الذخائر ٥٢

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار

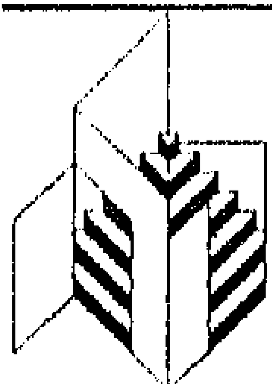
المعروف بالخطط المقريزية

تأليف

تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي

المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

الجزء الثاني



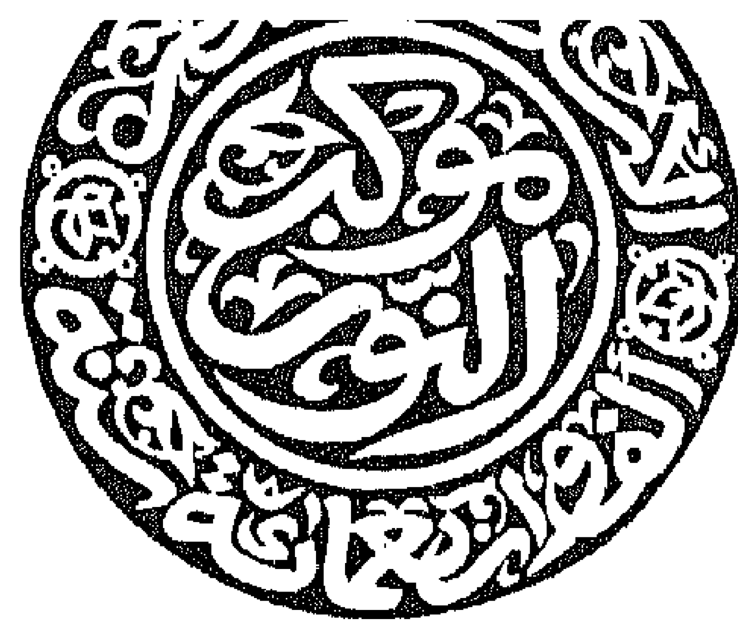
الهيئة العامة لقصور الثقافة

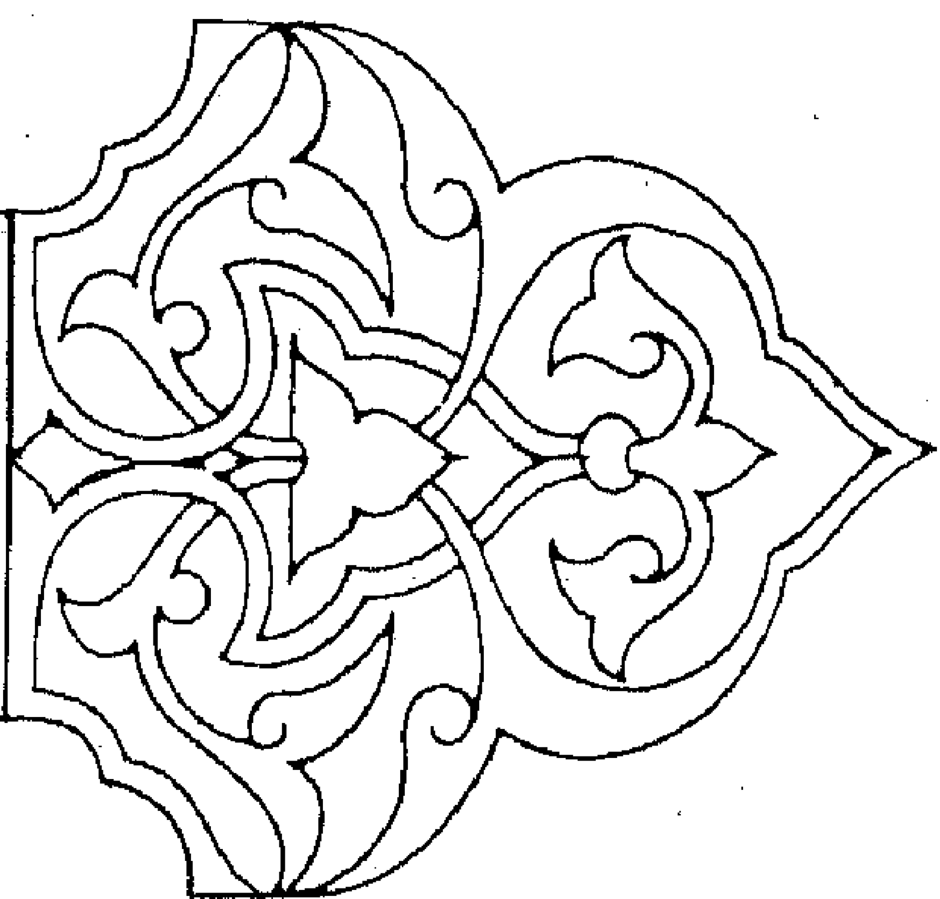
GENERAL ORGANIZATION for CULTURE CENTERS

اهداءات ٢٠٠٢

أ.د/ مصطفى الصاوى الجوينى

الاسكندرية





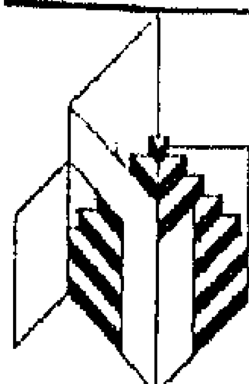
الذخائر ٥٢

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار

المعروف بالخطط المقريزية

تأليف
تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي المقريزي
المتوفى سنة ٨٤٥ هـ

الجزء الثاني



الهيئة العامة لقصور الثقافة
GENERAL ORGANIZATION for CULTURE CENTERS

طبعة جديدة بالأوفست

من طبعة بولاق

الذخائر

رئيس مجلس الإدارة
ورئيس التحرير
مصطفى الرزاز

المشرف العام
جمال الغيطانى

مدير التحرير
خيرى عبد الجواد

المراسلات
باسم مدير التحرير

على العنوان التالى
١٦ أ ش أمين سامى
القصر العينى - القاهرة
رقم بريدى ١٢٥٦١

موكب النور

تحيا مصر هذه الأيام ذكريات مجيدة، انطبعت أثارُها، من قديم، فى نفوس أفرادها. ففى الوقت الذى تتأهب فيه للاحتفال بحلول الألفية الثالثة، لميلاد السيد المسيح، تعاصرنا الذكرى التاريخية العطرة بمرور أربعة عشر قرناً على دخول الإسلام مصر، الأمر الذى يؤكد على الدوام أن مصر إنما تحتضن المسيحية والإسلام معاً، فى وحدة وطنية فريدة، تستحق التقدير والاحترام.

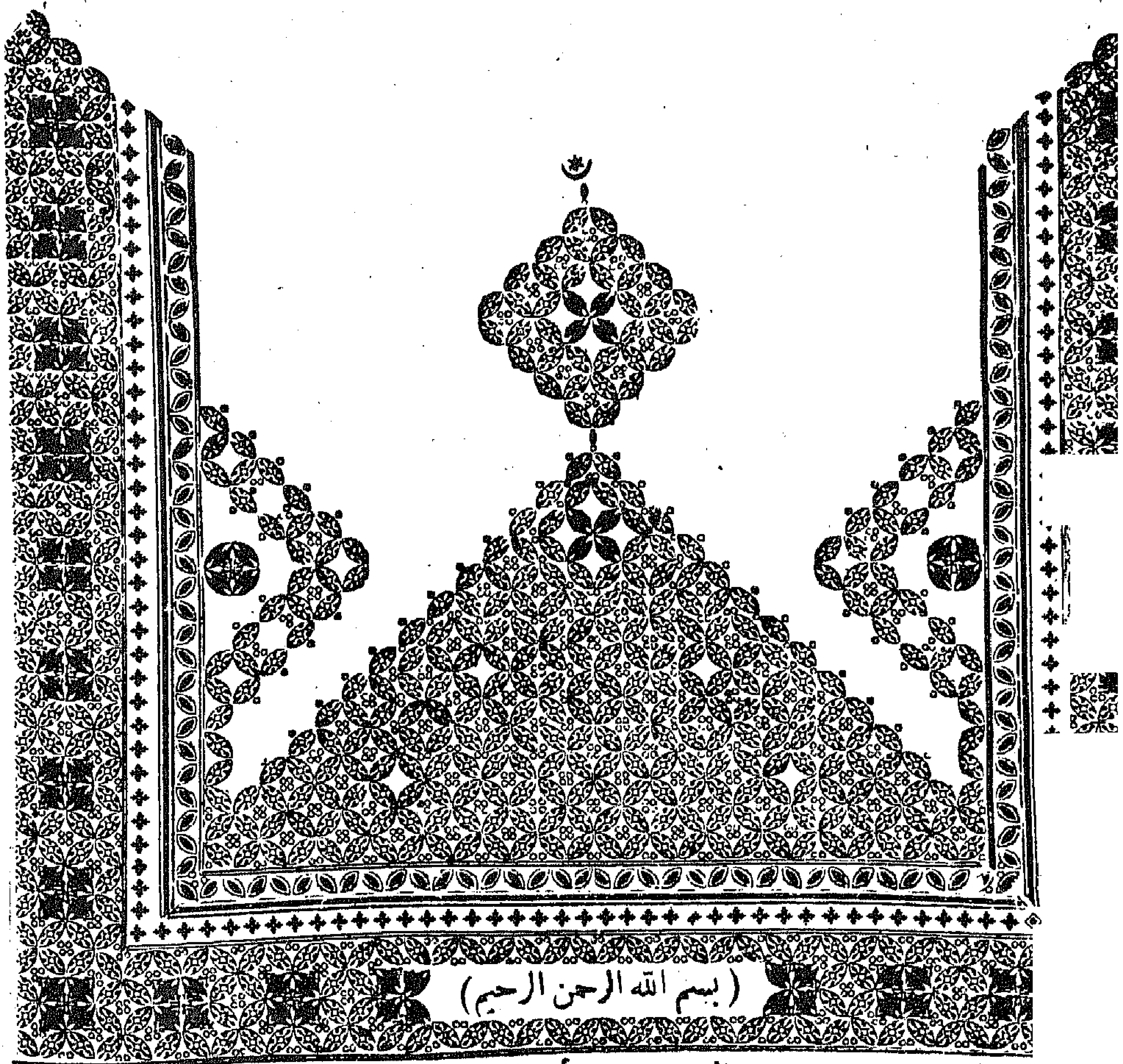
ولا يكاد يختلف إثنان حول مدى التأثير العميق الذى خلّفه الإسلام فى ثقافة مصر وحضارتها، وما اسهمت به مصر، فى المقابل، لاثراء الوعى الإسلامى بين الشعوب العربية والإسلامية فى شتى مناحى العلم وضروبه.

ولا يسع الهيئة العامة لقصور الثقافة، فى هذه المناسبة الإسلامية الرفيعة، إلا أن تبادر بتقديم نخبةٍ منتقاةٍ من المؤلفات الثرية، القديمة والحديثة، التى نسعى من وراءها إلى تأكيد دور مصر التاريخى والريادى بين شعوب الأمة الإسلامية، منذ الفتح الإسلامى وحتي اللحظة الراهنة، وإلقاء الضوء على الانجاز الحضارى الكبير الذى أسهمت به مصر فى تعزيز الحضارة العربية الإسلامية، فى الوقت الذى نهدف فيه إلى ربط القارىء المعاصر بتاريخه الأصيل، وتراثه الفريد، وحضارته المجيدة.

والله الموفق

د. مصطفى الرزاز

كتاب المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والاثار يختص
ذلك باخبار اقليم مصر والنيل وذكر القاهرة
وما يتعلق بها وباقليمها تاليف سيدنا الشيخ
الامام علامة الانام تقي الدين احمد بن
علي بن عبد القادر بن محمد
المعروف بالمقريزي رحمه
الله ونفع بعلومه
امين



(ذكر تاريخ الخليقة)

انه لما كانت الحوادث لا بدّ من ضبطها وكان لا يضبط ما بين العصور وبين ازمنة الحوادث الا بالتاريخ
نعمل العام الذى لا ينكره الجماعة او اكثرها وذلك أنّ التاريخ المجمع عليه لا يكون الا من حادث عظيم
كره الاسماع وكانت زيادة ماء النيل ونقصانه انما يعتبرهما أهل مصر ويحسبون أيامهما بأشهر القبط
ك خراج أراضى مصر انما يحسبون اوقاته بذلك وهكذا زراعات الاراضى انما يعتمدون فى اوقاتها أيام
القبطية عادة وسلكوا فيها سبيل اسلافهم واقتفوا مناهج قدمائهم وما برح الناس من قديم الدهر أسراه
د احتيج فى هذا الكتاب الى ايراد جملة من تاريخ الخليقة لتعيين موقع تاريخ القبط منها فان بذكر ذلك
رض فأقول التاريخ عبارة عن يوم ينسب اليه ما يأتى بعده ويقال أيضا التاريخ عبارة عن مدّة معلومة
اول زمن مفروض لتعرف بها الاوقات المحدودة ولا غنى عن التاريخ فى جميع الاحوال الدنيوية
ر الدينية ولكل امّة من امم البشر تاريخ تحتاج اليه فى معاملاتها وفى معرفة أزمنتها تنفرد به دون
ن بقية الامم وأول الاوائل القديمة وأشهرها هو كون مبدأ البشر ولاهل الكتاب من اليهود والنصارى
ن فى كيفيته وسياقة التاريخ منه خلاف لا يجوز مثله فى التواريخ وكل ما تعلق معرفته ببدء الخلق
ل القرون السالفة فانه مختلط بتزويرات وأساطير لبعد العهد وعجز المعتنى به عن حفظه وقد قال الله
وتعالى ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله فالاولى أن
من ذلك الا ما يشهد به كتاب أنزل من عند الله يعتمد على صحته لم يرد فيه نسخ ولا طرقه تبديل أو خبر ينقله
واذا نظرنا فى التاريخ وجدنا فيه بين الامم خلافا كثيرا وسأتلو عليك من ذلك ما لا اظنك تجده مجموعا
واقدّم بين يدى هذا القول ما قيل فى مدّة بقاء الدنيا

(ذكر ما قيل فى مدّة ايام الدنيا ماضيها وباقيها)

الناس قد اختلفوا قديما وحديثا فى هذه المسألة فقال قوم من القدماء الاول بالأكوار والادوار وهم
: وهؤلاء هم القائلون بعود العوالم كلها على ما كانت عليه بعد ألوف من السنين معدودة وهم فى ذلك
من جهة طول أدوار النجوم وذلك أنهم وجدوا قوما من الهند والفرس قد عملوا أدوار النجوم ليصححوا
قت مواضع الكواكب فظنوا أنّ العدد المشترك لجميعها هو عدد سنى العالم أو أيام العالم وانه كلما مضى

ذلك

ذلك العدد عادت الاشياء الى حالها الاول وقد وقع فى هذا الظن ناس كثير مثل ابى معشر وغيره وتبع هؤلاء خلق وانت تقف على فساد هذا الظن ان كنت تخبر من العدد شيأ وذلك انك اذا طلبت عددا مشتركا بعده أعداد معلومة فانك تقدر أن تضع لكل زيج أياما معلومة كالذى وضعه الهند والفرس فهؤلاء حيث جهلوا صورة الحال فى هذه الادوار ظنوا انها عدد أيام العالم فتفطن ترشد وعند هؤلاء أن الدور هو أخذ الكواكب من نقطة وهى سائرة حتى تعود الى تلك النقطة وأن الكور هو استئناف الكواكب فى ادوارها سيرا آخر الى أن تعود الى مواضعها مرة بعد اخرى وزعم اهل هذه المقالة أن الادوار منحصرة فى أنواع خمسة * الاول أدوار الكواكب السيارة فى أفلاك تداويرها * الثانى أدوار مراكز أفلاك التدوير فى أفلاكها الحاملة * الثالث أدوار أفلاكها الحالة فى فلك البروج * الرابع أدوار الكواكب الثابتة فى فلك البروج * الخامس ادوار الفلك المحيط بالكل حول الاركان الاربعة وهذه الادوار المذكورة منها ما يكون فى كل زمان طويل مرة واحدة ومنها ما يكون فى كل زمان قصير مرة واحدة فأقصر هذه الادوار أدوار الفلك المحيط بالكل حول الاركان الاربعة فانه يدور فى كل أربع وعشرين ساعة دورة واحدة وباقى الادوار يكون فى أزمنة اخر أطول من هذه لا حاجة بنا فى هذه المسألة الى ذكرها قالوا وأدوار الكواكب الثابتة فى فلك البروج تكون فى كل ستة وثلاثين ألف سنة شمسية مرة واحدة وحينئذ تنتقل اوجات الكواكب وجوزهراتها الى مواضع حضيضها ونوبهراتها وبالعكس فيوجب ذلك عندهم عود العوالم كلها الى ما كانت عليه من الاحوال فى الزمان والمكان والاشخاص والاوضاع بحيث لا يتخالف ذرة واحدة وهم مع ذلك مختلفون فى كمية ما مضى من ايام العالم وما بقى فقال البراهمة من الهند فى ذلك قولا غريبا وهو ما حكاه عنهم الاستاذ ابو الريحان محمد بن احمد البيرونى فى كتاب القانون المسعودى انهم يسمون الطبيعة باسم ملك يقال له براهيم ويزعمون انه محدث محصور الموت بين مبدأ وانتهاء عمره كعمرها مائة سنة برهموية كل سنة منها ثلثمائة وستون يوما زمان النهار منها بقدر مدة دوران الافلاك والكواكب لاثارة الكون والفساد وهذه المدة بقدر ما بين كل اجتماعين للكواكب السبعة فى اول برج الحمل باوجاتها وجوزهراتها ومقدارها أربعة آلاف ألف سنة وثلثمائة ألف ألف سنة وعشرون ألف ألف سنة شمسية وهو زمان اثنى عشر ألف دورة للكواكب الثابتة على أن زمان الدورة الواحدة ثلثمائة ألف سنة وستون ألف سنة شمسية واسم هذا النهار بلغتهم الكلبة وزمان الليل عندهم كزمان النهار وفى الليل تسكن المتحركات وتستريح الطبيعة من اثارة الكون والفساد ثم يثور فى مبدأ اليوم الثانى بالحركة والتكوين فيكون زمان اليوم بليلته من سنى الناس ثمانية آلاف ألف ألف سنة وستمائة ألف ألف سنة وأربعين ألف ألف سنة فاذا ضربنا ذلك فى ثلثمائة وستين تبلغ سنو أيام السنة البرهموية ثلاثة آلاف ألف ألف ألف سنة وعشرة آلاف ألف ألف سنة وأربعمائة ألف ألف سنة شمسية فاذا ضربناها فى مائة يبلغ عمر الملك الطبيعى البرهموى من سنى الناس ثلثمائة الف الف الف الف سنة وأحد عشر الف الف الف سنة واربعين الف الف سنة شمسية فاذا تمت هذه السنون بطل العالم عن الحركة والتكوين ما شاء الله ثم يستأنف من جديد على الوضع المذكور وقسموا زمان النهار المذكور الى تسع وعشرين قطعة سموا كل أربع عشرة قطعة منها نوبا وسموا الخمس عشرة قطعة الباقية فصولا وجعلوا كل نوبة محصورة بين فصلين وكل فصل محصورا بين نوبتين وقدموا زمان الفصل على النوبة الى تمام المدة وزمان الفصل هو خمسا الدور والدور جزء من ألف جزء من المدة فاذا قسمنا المدة على ألف تحصل زمان الدور أربعة آلاف الف سنة وثلثمائة ألف سنة وعشرين الف سنة وخساها اعنى زمان الفصل الف الف سنة وسبعمائة الف سنة وثمانية وعشرون ألف سنة وزمان النوبة عندهم احد وسبعون دورا مقدارها من السنين ثلثمائة ألف ألف سنة وستة آلاف الف سنة وسبعمائة ألف سنة وعشرون ألف سنة وقد قسموا الدور أيضا بأربع قطع اولها أعظمها وهى مدة الفصل المذكور وثانيها ثلاثة ارباع الفصل ومدتها ألف ألف سنة ومائتا ألف سنة وستة وتسعون ألف سنة وثالثها نصف الفصل ومدته ثمانمائة ألف سنة وأربعة وستون ألف سنة ورابعها ربع الفصل وهو عشر الدور المذكور ومدته أربعمائة ألف سنة واثنان وثلاثون ألف سنة ولكل واحد من هذه القطع الاربع اسم يعرف به فاسم القطعة الرابعة عندهم كلكال لانهم يزعمون انهم فى زمانها وان الذى مضى من عمر الملك

الطبيعى على زعم حكيمهم الاعظم المسمى عندهم برهمكوت ثمان سنين وخمسة اشهر وأربعة ايام ونحن الآن
فى نهار اليوم الخامس من الشهر السادس من السنة التاسعة ومضى من النهار الخامس ست نوب وسبعة فصول
وسبعة وعشرون دورا من النوبة السابعة وثلاث قطع من الدور المذكور أعنى تسعة اعشاره ومضى من
القطعة الرابعة أعنى من اول كاكال الى هلاك شككال عظيم ملوكهم الواقع فى آخر سنة ثمان وثمانين وثلثمائة
للاسكندر ثلاثة آلاف سنة ومائة سنة وتسع وسبعون سنة وقال انما عرفنا هذا الزمان من علم الهى وقع
الينا من عظماء انبيائنا المتألهين برواياتهم جيلا بعد جيل على ممر الدهور والازمان وزعموا أن فى مبدأ كل دور
أو فصل أو قطعة أو نوبة تتجدد أزمنة العوالم وتنتقل من حال الى حال وأن الماضى من اول كاكال الى
شككال ثلاثة آلاف ومائة وتسع وسبعون سنة والماضى من النهار المذكور الى آخر سنة ثمان وثمانين وثلثمائة
للاسكندر ألف ألف الف سنة وتسعمائة ألف ألف سنة واثنان وسبعون ألف ألف سنة وتسعمائة ألف سنة
وسبعة وأربعون ألف سنة ومائة سنة وسبع وسبعون سنة فيكون الماضى من عمر الملك الطبيعى الى آخر هذه
السنة ستة وعشرين ألف ألف ألف الف سنة وثلثمائة ألف ألف ألف سنة وخمسة عشر ألف ألف ألف سنة
وسبعمائة ألف الف سنة واثنين وثلاثين ألف ألف سنة وتسعمائة ألف سنة وسبعة وأربعين ألف سنة ومائة
سنة وتسعا وسبعين سنة فاذا زدنا عليها الباقى من تاريخ الاسكندر بعد نقصان السنين المذكورة منه
تحصل الماضى من عمر الملك بالوقت المفروض والله أعلم بحقيقة ذلك وقال الخطا والايغر فى ذلك قولا أعجب من
قول الهند وأغرب على ما نقلته من زيج أدوار الانوار وقد لخص هذا القول من كتب أهل الصين وذلك انهم
جعلوا مبادى سنيهم مبنية على ثلاثة أدوار الاول يعرف بالعشرى مدته عشر سنين لكل سنة منها اسم
يعرف به والثانى يعرف بالدور الاثنى عشرى وهو أشهرها خصوصا فى بلاد الترك يسمون سنيه بأسماء
حيوانات بلغتى الخطا والايغر والثالث مركب من الدورين جميعا ومدته ستون سنة وبه يؤرخون سنى العالم
وأيامه ويقوم عندهم مقام ايام الاسبوع عند العرب وغيرها واسم كل سنة منها مركب من اسميها فى الدورين
جميعا وكذلك كل يوم من أيام السنة ولهذا الدور ثلاثة أسماء وهى شانكون وجونكون وخاون ويصير بحسبها
مرة أعظم ومرة اوسط ومرة أصغر فيقال دور شانكون الاعظم ودور جونكون الاوسط ودور خاون الاصغر
وبهذه الادوار يعتبرون سنى العالم وأيامه وجملتها مائة وثمانون سنة ثم تدور الادوار الثلاثة عليها مرة أخرى
واتفق وقوع مبدأ الدور الاعظم فى الشهر الاول من سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ليزدجرد واسمها بلغتهم كادره
وبلغة العرب سنة الفار وكان دخول اول فروردين هذه السنة من سنى العرب يوم الخميس وهو بلغتهم سن جن
ومن هذا اليوم وعلى هذا التاريخ تترتب مبادى سنيهم وأيامهم فى الماضى والمستقبل وشهورهم اثنا عشر شهرا
لكل شهر منها اسم بلغة الخطا وبلغة الايغر لا حاجة بنا هنا الى ذكرها ويقسمون اليوم الاول بليلته اثنى عشر قسما
كل قسم منها يقال له جاغ وكل جاغ ثمانية أقسام كل قسم منها يقال له كه ويقسمون اليوم بليلته أيضا عشرة آلاف
فنك وكل فنك منها مائة ميا و فيصيب كل جاغ ثمانمائة وثلاثة وثلاثين فنكا وثلث فنك وكل كه مائة وأربعة أفنالك
وسدس فنك وينسبون كل جاغ الى صورة من الصور الاثنى عشرة ومبدأ اليوم بليلته عندهم من نصف الليل
وفى منتصف جاغ كسكو يتغير أول النهار وآخره بحسب الطول والقصر من قبل أن كل جاغ ساعتان مستويتان
وفى منتصف النهار بمنتصف جاغ يوند وهم يكبسون فى كل ثلاث سنين قرية شهرا واحدا يسمونه سيون
ليحفظوا بالكبس مبادى سنى الشمس فى زمان واحد من سنة اخرى ويكبسون احد عشر شهرا فى كل ثلاثين
سنة قرية ولا يقع عندهم شهر الكبس فى موضع واحد بعينه من السنة بل يقع فى كل موضع منها وكل شهر عدة
ايامه اما ثلاثون يوما او تسعة وعشرون يوما ولا يمكن عندهم اكثر من ثلاثة أشهر متوالية تامة ولا اكثر من
شهرين ناقصين ومبادى شهورهم يوم الاجتماع ان وقع اجتماع النيرين نهارا فان وقع الاجتماع ليلا كان اول
الشهر فى اليوم الذى بعد الاجتماع وزمان السنة الشمسية بحسب ارصادهم ثلثمائة وخمسة وستون يوما
وألفان وأربعمائة وستة وثلاثون فنكا والسنة أربعة وعشرون قسما كل قسم منها خمسة عشر يوما وألفان
ومائة وأربعة وثمانون فنكا وخمسة اسداس فنك ولكل قسم من هذه الاقسام اسم وكل ستة أقسام منها فصل
من فصول السنة فاسم اول قسم من فصولها الحن واوله أبدا حيث تكون الشمس فى ست عشرة درجة من

برج الدلو وهكذا اوائل كل فصل انما تكون فى حدود اواسط البروج الثابتة وكان بعد مدخل الحن من اول الدور الستينى فى السنة المذكورة احد عشر يوما وسبعة آلاف وستمائة وستين فنكا واسم مدخله بى خاين وكان بعد دخول السنة الفارسية المذكورة بنحو عشرين يوما ويبعد مدخله عن اول الدور فى كل سنة بقدر فضل سنة الشمس على سنة الدور وهو خمسة ايام وأربعة وعشرون فنكا فان زادت الايام على ستين يوما كان الباقى بعد الحن فى تلك السنة عن اول الدور الستينى ويتفاضل البعد بينهما فى كل سنة بقدر فضل سنة الشمس على سنة القمر التى هى ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما وثلاثة آلاف وستمائة واثنان وسبعون فنكا ومقدار الفضل بينهما عشرة ايام وثمانية آلاف وسبعمائة وأربعة وستون فنكا فان زادت الايام على زمان الشهر القمرى الاوسط الذى هو تسعة وعشرون يوما وخمسة آلاف وثمانمائة وستة افنكا نقص منها هذا العدد واحتسب بالباقى فاذا عرفت هذا من حسابهم فاعلم أن عمر العالم عندهم ثلثمائة ألف ون وستون الف ون كل ون عشرة آلاف سنة مضى من ذلك الى اول سنة ثلاث وثلاثين وستمائة ليزدجرد وهى دور شانكون الاعظم ثمانية آلاف ون وثمانمائة ون وثلاثة وستون ونا وتسعة آلاف وسبعمائة وأربعون سنة فتكون المدة العظمى على هذا ثلاثة آلاف ألف ألف ألف ألف سنة وستمائة ألف ألف ألف ألف سنة بهذه الصورة ٠٠٠٠٠٠٠٠ ٣٦٠ والماضى منها الى السنة المذكورة ثمانية وثمانون ألف ألف سنة وستمائة ألف سنة وتسعة وثلاثون ألف سنة وسبعمائة سنة وأربعون سنة بهذه الصورة ٨٨٦٣٩٧٤٠ ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله وانما ذكرت طرفا من حساب سنى البراهمة وطرفا من حساب سنى الخطا والايغر المستخرج من حساب الصين ليعلم المنصف أن ذلك لم يضعه حكماؤهم عبثا ولا مرما جدع قصير انفه وكم من جاهل بالتعاليم اذا سمع اقوالهم فى مدة سنى العالم يبادر الى تكذيبهم من غير علم بدلائلهم عليه وطريق الحق أن يتوقف فيما لا يعلمه حتى يتبين أحد طرفيه فيرجحه على الآخر والله يعلم وأنتم لا تعلمون * وقال أصحاب السندهند ومعناه الدهر الداهر ان الكواكب وأوجاتها وجوزهراتها تجتمع كلها فى اول برج الحمل عند كل أربعة آلاف ألف ألف سنة وثلثمائة ألف ألف سنة وعشرين ألف ألف سنة شمسية وهذه مدة سنى العالم قالوا واذا اجتمعت برأس الحمل فسدت المكونات الثلاث التى يحوبها عالم الكون والفساد المعبر عنه بالحياة الدنيا وهذه المكونات هى المعدن والنبات والحيوان فاذا فسدت بقى العالم السفلى خرابا دهرا طويلا الى أن تتفرق الكواكب والاوجات والجوزهرات فى بروج الفلك فاذا تفرقت فيها بدأ الكون بعد الفساد فعادت احوال العالم السفلى الى الامر الاول وهذا يكون عودا بعد بدء الى غير نهاية قالوا ولكل واحد من الكواكب والاوجات والجوزهرات عدة أدوار فى هذه المدة يدل كل دور منها على شئ من المكونات كما هو مذكور فى كتبهم مما لا حاجة بنا هنا الى ذكره وهذا القول منتزع من قول البراهمة الذى تقدم ذكره * وقال اصحاب الهازروان من قدماء الهند ان كل ثلثمائة ألف سنة وستين ألف سنة شمسية يهلك العالم بأسره ويبقى مثل هذه المدة ثم يعود بعينه ويعقبه البدل وهكذا ابدا يكون الحال لا الى نهاية قالوا ومضى من ايام العالم المذكورة الى طوفان نوح عليه السلام مائة ألف وثمانون ألف سنة شمسية ومضى من الطوفان الى السنة الهجرة المحمدية ثلاثة آلاف وسبعمائة وثلاث وعشرون سنة وأربعة اشهر وأيام وبقى من سنى العالم حتى يبتدئ ويفنى مائة ألف وبضع وسبعون ألف سنة شمسية اولها تاريخ الهجرة الذى يؤرخ به اهل الاسلام * وقال اصحاب الازجهير مدة العالم التى تجتمع فيها الكواكب برأس الحمل هى وأوجاتها وجوزهراتها جزء من ألف جزء من مدة السندهند وهذا أيضا منتزع من قول البراهمة * وقال ابو معشر وابن نوبخت ان بعض الفرس يرى أن عمر الدنيا اثنا عشر ألف سنة بعدة البروج لكل برج ألف سنة فكان ابتداء أمر الدنيا فى اول ألف الحمل لان الحمل والثور والجوزاء تسمى أشرف الشرف وينسب الى الحمل الفصل وفيها تكون الشمس فى شرفها وعلوها وطول نهارها ولذلك الدنيا كانت الى ثلاثة آلاف سنة علوية روحانية طاهرة ولان السرطان والاسد والسنبلة منتقصة فان الشمس تنحط من علوها فى اول دقيقة من السرطان وكان قدر الدنيا وأبنائها منحطا فى الثلاثة آلاف الثانية ولان الميزان اهبط الهبوط ويبتر الآثار وضد البرج الذى فيه شرف الشمس دل على انه اصابت الدنيا واكتسب اهلها المعصية والميزان والعقرب والقوس اذا نزلتها الشمس لم تزدد الا انحطاطا والايام الا انتقاصا

فلذلك دلت على البلايا والضيق والشدة والشر وحيث تبلغ الآلاف الى اول الجدى الذى فيه اول ارتفاع الشمس واشرافها على شرفها وفيه تزداد الايام طولا والدلو والحوت اللذان تزداد الشمس فيهما صعودا حتى تصل لشرفها فيدل على ظهور الخير وضعف الشر وثبات الدين والعقل والعمل بالحق والعدل ومعرفة فضل العلم والادب فى تلك الثلاثة الآلاف سنة وما يكون فى ذلك فعلى قدر صاحب الالف والمائة والعشرة وعلى حسب اتفاق الكواكب فى اول سلطان صاحب الالف فلا يزال ذلك فى زيادة حتى يعود أمر الدنيا فى آخرها الى مثل ما كان عليه ابتداؤها وهى فى ألف الحمل وكلما تقارب آخر كل ألف من هذه الالوف اشتد الزمان وكثرت البلايا لان اواخر البروج فى حدود النحوس وكذلك فى آخر المئين والعشرات فعلى هذا الانقضاء للدنيا اذا كان الزمان يعود الى الحمل كما بدا أول مرة وزعموا أن ابتداء الخلق بالتحرك كان والشمس فى ابتداء المسير فدار الفلك وجرت المياه وهبت الرياح واتقدت النيران وتحرك سائر الخلائق بما هم عليه من خير وشر والطالع تلك الساعة تسع عشرة درجة من برج السرطان وفيه المشترى وفى البيت الرابع الذى هو بيت العاقبة وهو برج الميزان زحل وكان الذنب فى القوس والمريخ والجدى والزهرة وعطارد فى الحوت ووسط السماء برج الحمل وفى أول دقيقة منه الشمس وكان القمر فى الثور وفى بيت السعادة وكان الرأس فى برج الجوزاء وهو بيت الشقاء وفى تلك الدقيقة من الساعة كان استقبال أمر الدنيا فكان خيرها وشرها وانحطاطها وارتفاعها وسائر ما فيها على قدر مجارى البروج والنجوم وولاية اصحاب الالوف وغير ذلك من احوالها ولان المشترى كان فى السرطان فى شرفه وزحل فى الميزان فى شرفه والمريخ والشمس والقمر فى اشرافها دلت على كائنة جليلة فكان نشو العالم وانبرز زحل فتولى الالف هو والميزان وكان المشترى فى الطالع مقبولا وكذلك جميع الكواكب كانت مقبولة فدل على نماء العالم وحسن نشوه وكان زحل هو المستولى والعالى فى الفلك والبرج طويل المطالع فطالت أعمار تلك الالف وقويت أبدانهم وكثرت مياههم وكون الميزان تحت الارض دل على خفاء اول حدوث العالم وعلى أن أهل ذلك الزمان ينظرون فى عمارة الارضين وتشييد البنيان ثم ولى الالف الثانى العقرب والمريخ وكان فى الطالع المريخ فدل على القتل فى ذلك الالف وسفك الدماء والسبى والظلم والجور والخوف والهم والاحزان والفساد وجور الملوك وولى الالف الثالث القوس وشاركه عطارد والزهرة بطلوعهما وكان الذنب فى القوس فدل المشترى على النجدة فى تلك الالف والشدة والجلد والبأس والرياسة والعدل وتقسيم الملوك الدنيا وسفك الدماء بسبب ذلك ودلت الزهرة على ظهور بيوت العبادة وعلى الانبياء ودل عطارد على ظهور العقل والادب والكلام وكون البرج بجسدا دل على انقلاب الخير والشر فى تلك الالف مرات وعلى ظهور ألوان من آيات الحق والعدل والجور ثم ولى الالف الرابع الجدى وكان فيه المريخ فدل على ما كان فى تلك الالف من اهراق الدماء ودلت الشمس على ظهور الخير والعلم ومعرفة الله تعالى وعبادته وطاعته وطاعة انبيائه والرغبة فى الدين مع الشجاعة والجلد وكون البرج منقلبا هو والبرج الذى فيه الشمس دل على انقلاب ذلك فى آخرها وظهور الشر والتفرق والقسم والقتل وسفك الدماء والغصب فى أصناف كثيرة وتحول ذلك وتلونه وكون الجدى منحطا دل على أنه يظهر فى آخر تلك الالف الحسن الشبيه بصفة زحل والمريخ وانقطاع العظماء والحكماء وبوارهم وارتفاع السفلة وخراب العامر وعمارة الخراب وكثرة تلون الاشياء وولى الالف الخامس الدلو بطلوع القمر وكان القمر فى الثور فدل الدلو لبرودته وعسره على سقوط العظماء وعطلة امرهم وارتفاع السفلة والعبيد ومحمدة البخلاء وظهور الجيش الاسود والسواد وعلى كثرة التفتيش والتفكر وظهور الكلام فى الاديان ومحبة الخصومات وكون القمر فى شرفه يدل على قهر الملوك وظهور ولاة الحق ونفاذ الخير وظهور بيوت العبادة والكف عن الدماء والراحة والسعادة فى العامة وثبات ما يكون من العدل والخير وطول المدة فيه وكون البرج مائيا يدل على كثرة الامطار والغرق وآفة من البرد يهلك فيها الكثير وبلى الالف السادس برج الحوت بطلوع المشترى والرأس فيدل على المجدة فى الناس عامة وعلى الصلاح والخير والسرور وذهاب الشر وحسن العيش ولكل واحد من الكواكب ولاية ألف سنة فصار عطارد خاتما فى برج السنبلة وزعم ابن نوبخت أن من يوم سارت الشمس الى تمام خمس وعشرين من ملك انوشروان ثلاثة آلاف وثمانمائة وسبع وستون سنة وذلك فى ألف الجدى وتدبير الشمس ومنه

الى

الى اليوم الاول من الهجرة سبع وثمانون سنة شمسية وستة وعشرون يوما ومن الهجرة الى قيام يزدجرد تسع سنين وثلثمائة وسبعة وثلاثون يوما فذلك الجميع الى أن قام يزجرد ثلاثة آلاف وتسعمائة وست وستون سنة * وقال ابو معشر وزعم قوم من الفرس أنّ عمر الدنيا سبعة آلاف سنة بعدّة الكواكب السبعة * وزعم ابو معشر أنّ عمر الدنيا ثلثمائة ألف سنة وستون ألف سنة وأنّ الطوفان كان فى النصف من ذلك على رأس مائة ألف وثمانين ألف سنة * وقال قوم عمر الدنيا تسعة آلاف سنة لكل كوكب من الكواكب السبعة السيارة ألف سنة وللرأس ألف سنة وللذنب ألف سنة وشرّها ألف الذنب وانّ الاعمار طالت فى تدبير آلاف الثلاثة العلوية وقصرت فى آلاف الكواكب السفلية وقال قوم عمر الدنيا تسعة عشر ألف سنة بعدد البروج الاثنى عشر لكل برج ألف سنة وبعدد الكواكب السبعة السيارة لكل كوكب ألف سنة وقال قوم عمر الدنيا احد وعشرون ألف سنة بزيادة ألف للرأس وألف للذنب وقال قوم عمر الدنيا ثمانية وسبعون ألف سنة فى تدبير برج الحمل اثنا عشر ألف سنة وفى تدبير برج الثور احد عشر ألف سنة وفى تدبير الجوزاء عشرة آلاف سنة فكانت الاعمار فى هذا الربع اطول والزمان أجدّ ثم تدبير الربع الثانى مدّة أربعة وعشرين ألف سنة فتكون الاعمار دون ما كانت فى الربع الاول وتدبير الربع الثالث خمسة عشر ألف سنة وتدبير الربع الرابع ستة آلاف سنة وقال قوم كانت المدّة من آدم الى الطوفان الفين وثمانين سنة واربعة اشهر وخمسة عشر يوما ومن الطوفان الى ابراهيم عليه السلام تسعمائة واثنتين وأربعين سنة وسبعة أشهر وخمسة عشر يوما فذلك ثلاثة آلاف ومائتان وثلاث وعشرون سنة وقال قوم من اليهود عمر الدنيا سبعون ألف سنة منحصرة فى ألف جيل ولفقوا ذلك من قول موسى عليه السلام فى صلاته انّ الجيل سبعون سنة ومن قوله فى الزبور انّ ابراهيم عليه السلام قطع معه الله تعالى عهد البقاء البشر ألف جيل فجاء من ذلك أنّ مدّة الدنيا سبعون ألف سنة واستظهروا القولهم هذا بما فى التوراة من قوله واعلم أن الله الهك هو القادر المهيمن الحافظ العهد والفضل لمحبيه وحافظى وصاياه لالف جيل * وذكر ابو الحسن علىّ بن الحسين المسعودىّ فى كتاب أخبار الزمان عن الاوائل انهم قالوا كان فى الارض ثمان وعشرون امّة ذات ارواح وأيد وبطش وصور مختلفات بعدد منازل القمر لكل منزلة امّة منفردة تعرف بها تلك الامّة ويزعمون أن تلك الامم كانت الكواكب الثابتة تدبرها وكانوا يعبدونها ويقال لما خلق الله تعالى البروج الاثنى عشر قسم دوامها فى سلطانها فجعل للحمل اثنى عشر ألف عام وللثور أحد عشر ألف عام وللجوزاء عشرة آلاف عام وللسرطان تسعة آلاف عام وللاسد ثمانية آلاف عام وللسنبلة سبعة آلاف عام وللميزان ستة آلاف عام وللعقرب خمسة آلاف عام وللقوس أربعة آلاف عام وللجدى ثلاثة آلاف عام وللدلو ألفى عام وللحوت ألف عام فصار الجميع ثمانية وسبعين ألف عام فلم يكن فى عالم الحمل والثور والجوزاء حيوان وذلك ثلاثة وثلاثون ألف عام فلما كان عالم السرطان تكوّنت دواب الماء وهوامّ الارض فلما كان عالم الاسد تكوّنت ذوات الاربع من الوحش والبهائم وذلك بعد تسعة آلاف عام من خلق دواب الماء والهوام فلما كان عالم السنبلة تكوّن الانسانان الاوّلان وهما أدمانوس وحنوانوس وذلك لتمام سبعة عشر ألف عام لخلق دواب الماء وهوامّ الارض ولتمام ثمانية آلاف عام من خلق ذوات الاربع وخلقت الارض فى عالم الميزان ويقال بل خلقت الارض اوّلا وأقامت خالية ثلاثة وثلاثين ألف عام ليس فيها حيوان ولا عالم روحانىّ ثم خلق الله تعالى هوامّ الماء ودواب الارض وما بعد ذلك على ما تقدّم ذكره فلما تمّ أربعة وعشرون ألف عام لخلق دواب الماء وهوامّ الارض ولتمام خمسة عشر ألف عام من خلق ذوات الاربع ولتتمة سبعة آلاف عام من لدن تكوّن الانسانين خلقت الطيور ويقال انّ مدّة مقام الانسانين ونسلهما فى الارض مائة ألف وثلاثة وثلاثون ألف عام منها لزحل ستة وخمسون ألف عام وللمشترى أربعة وأربعون ألف عام وللمرّيخ ثلاثة وثلاثون ألف عام ويقال انّ الامم المخلوقات قبل آدم هى كانت الجبلة الاولى وهى ثمان وعشرون امّة بازاء منازل القمر خلقت من امزجة مختلفة اصلها الماء والهواء والارض والنار فتباين خلقها فمنها امّة خلقت طوالا زرقا ذوات اجنحة كلامهم قرقعة على صفة الاسود ومنها امّة أبدانهم أبدان الاسود ورؤسهم رؤس الطير لهم شعور وآذان طوال وكلامهم دوىّ ومنها امّة لها وجهان وجه أمامها ووجه خلفها ولها أرجل كثيرة وكلامهم

كلام الطير ومنها امّة ضعيفة فى صور الكلاب لها أذناب وكلامهم همهمة لا يعرف ومنها امّة تشبه بنى آدم أفواههم فى صدورهم يصفرون اذا تكلموا تصفيرا ومنها امّة يشبهون نصف انسان لهم عين واحدة ورجل يقفزون بها قفزا ويصيحون كصياح الطير ومنها امّة لها وجوه كوجوه الناس وأصلاب كأصلاب السلاحف فى رؤسهم قرون طوال لا يفهم كلامهم ومنها امّة مدوّرة الوجوه لهم شعور بيض وأذناب كاذناب البقر ورؤسهم فى صدورهم لهم شعور وثدى وهم اناث كلهنّ ليس فيهنّ ذكر يلقحن من الريح ويلدن امثالهنّ ولهنّ اصوات مطربة يجتمع اليهنّ كثير من هذه الامم لحسن اصواتهنّ ومنها امّة على خلق بنى آدم سود وجوههم ورؤسهم كرؤس الغربان ومنها امّة فى خلق الهوام والحشرات الا انها عظيمة الاجسام تأكل وتشرب مثل الانعام ومنها امّة كوجوه دواب البحر لها أنياب كأنياب الخنازير وآذان طوال ويقال انّ هذه الثمانية والعشرين امّة تناكحت فصارت مائة وعشرين امّة * وسئل أمير المؤمنين علىّ بن ابى طالب رضى الله عنه هل كان فى الارض خلق قبل آدم يعبدون الله تعالى فقال نعم خلق الله الارض وخلق فيها الجنّ يسبحون الله ويقدّسونه لا يفترون وكانوا يطيرون الى السماء ويلقون الملائكة ويسلمون عليهم ويستعلمون منهم خبر ما فى السماء ثمّ انّ طائفة منهم تمرّدت وعتت عن أمر ربها وبغت فى الارض بغير الحق وعدا بعضهم على بعض وجحدوا الربوبية وكفروا بالله وعبدوا ماسواه وتغايروا على الملك حتى سفكوا الدماء وأظهروا فى الارض الفساد وكثر تقاتلهم وعلا بعضهم على بعض وأقام المطيعون لله تعالى على دينهم وكان ابليس من الطائفة المطيعة لله والمسبحين له وكان يصعد الى السماء فلا يحجب عنها لحسن طاعته وروى أنّ الجنّ كانت تفترق على احدى وعشرين قبيلة وأنّ بعد خمسة آلاف سنة ملكوا عليهم ملكا يقال له شملال بن ارس ثم افترقوا فملكوا عليهم خمسة ملوك وأقاموا على ذلك دهرا طويلا ثم اغار بعضهم على بعض وتحاسدوا فكانت بينهم وقائع كثيرة فأهبط الله تعالى اليهم ابليس وكان اسمه بالعربية الحارث وكنيته ابو مرّة ومعه عدد كثير من الملائكة فهزمهم وقتلهم وصار ابليس ملكا على وجه الارض فتكبر وطغى وكان من امتناعه من السجود لآدم ما كان فأهبطه الله تعالى الى الارض فسكن البحر وجعل عرشه على الماء فألقيت عليه شهوة الجماع وجعل لقاحه لقاح الطير وبيضه ويقال انّ قبائل الجنّ من الشياطين خمس وثلاثون قبيلة خمس عشرة قبيلة تطير فى الهواء وعشر قبائل مع لهب النار وثلاثون قبيلة يسترقون السمع من السماء ولكل قبيلة ملك موكل بدفع شرّها ومنهم صنف من السعالى يتصوّرون فى صور النساء الحسان ويتزوّجن برجال الانس ويلدن منهم ومنهم صنف على صور الحيات اذا قتل أحد منهم واحدة هلك من وقته فان كانت صغيرة هلك ولده او عزيز عنده * وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال انّ الكلاب من الجنّ فاذا رأوكم تأكلون فألقوا اليهم من طعامكم فانّ لهم انفسا يعنى انهم يأخذون بالعين وقد روى انّ الارض كانت معمورة بأمم كثيرة منهم الطمّ والرمّ والجنّ والبن والحسن والبسن وانّ الله تعالى لما خلق السماء عمرها بالملائكة ولما خلق الله الارض عمرها بالجنّ فعاثوا وسفكوا الدماء فأنزل الله اليهم جندا من الملائكة فأتوا على اكثرهم قتلا وأسرا فكان ممن اسر ابليس وكان اسمه عزازيل فلما صعد به الى السماء أخذ نفسه بالاجتهاد فى العبادة والطاعة رجاء أن يتوب الله عليه فلما لم يجد ذلك عليه شيأ خامر الملائكة القنوط فأراد الله أن يظهر لهم خبث طويته وفساد نيته فخلق آدم فامتحنه بالسجود له لتظهر للملائكة تكبره وابانة ما خفى عنهم من مكتوم أنبائه والى عمارة الارض قبل آدم ممن أفسد فيها أشار بقوله تعالى حكاية عن الملائكة أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء يعنون كما فعل بها من قبل والله أعلم بمراده وقال ابو بكر بن احمد بن علىّ بن وحشية فى كتاب الفلاحة انه عرّب هذا الكتاب ونقله من لسان الكلدانيين الى اللغة العربية وانه وجده من وضع ثلاثة حكماء قدماء وهم صغريت وسوساد وقوقاى ابتدأه الاوّل وكان ظهوره فى الالف السابعة من سبعة آلاف سنى زحل وهى الالف التى يشارك فيها زحل القمر وتممه الثانى وكان ظهوره فى آخر هذه الالف وأكمله الثالث وكان ظهوره بعد مضىّ أربعة آلاف سنة من دور الشمس الذى هو سبعة آلاف سنة وانه نظر الى ما بين زمان الاوّل والثالث فكان ثمانية عشر الف سنة شمسية وبعض الالف التاسعة عشر وقد اختلف أهل الاسلام فى هذه المسألة أيضا فروى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال الدنيا جمعة من جمع الآخرة واليوم ألف سنة فذلك سبعة آلاف سنة وروى سفيان عن

الاعمش

الاعمش عن أبي صالح قال قال كعب الاحبار الدنيا ستة آلاف سنة * وعن وهب بن منبه أنه قال قد خلا من الدنيا خمسة آلاف سنة وستمائة سنة انى لاعرف كل زمان منها ومن فيه من الانبياء فقيل له فكم الدنيا قال ستة آلاف سنة وروى عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أجلكم فى أجل من كان قبلكم من صلاة العصر الى مغرب الشمس وفى حديث أبى هريرة الحقب ثمانون عاما اليوم منها سدس الدنيا والحقب هنا بكسر الحاء وضمها * قال ابو محمد الحسن بن احمد بن يعقوب الهمدانى فى كتاب الاكليل وكأن الدنيا جزء من أربعة آلاف وسبعمائة وثلاثة وعشرين جزأ وثلث جزء من الحقب على أن السنة القمرية ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما وخمس وسدس يوم فاذا كانت الدنيا ستة آلاف سنة واليوم ألف سنة تكون سنين قرية ستة آلاف ألف سنة فاذا جعلناه جزأ وضربناه فى أجزاء الحقب وهى اربعة آلاف وسبعمائة سنة وثلاث وعشرون وثلث خرج من السنين ثمانية وعشرون ألف ألف ألف وثلثمائة ألف ألف واربعون ألف ألف واذا كانت جمعة من جمع الآخرة زدنا مع هذا العدد مثل سدسه وهذا عدد الحقب * وقال ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى الصواب من القول ما دل على صحته الخبر الوارد فذكر قوله عليه السلام اجلكم فى اجل من كان قبلكم من صلاة العصر الى مغرب الشمس وقوله عليه السلام بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى وقوله عليه السلام بعثت أنا والساعة جميعا ان كادت لتسبقنى قال فمعلوم ان كان اليوم اوله طلوع الشمس وآخره غروب الشمس وكان صحيحا عن النبى صلى الله عليه وسلم قوله أجلكم فى أجل من كان قبلكم من صلاة العصر الى مغرب الشمس وقوله بعثت أنا والساعة كهاتين وأشار بالسبابة والوسطى وكان قدر ما بين اوسط اوقات صلاة العصر وذلك اذا صار ظل كل شئ مثليه على التحرى انما يكون قدر نصف سبع اليوم يزيد قليلا او ينقص قليلا وكذلك فضل ما بين الوسطى والسبابة انما يكون نحوا من ذلك وكان صحيحا مع ذلك قوله عليه السلام لن يعجز الله أن يؤخر هذه الامة نصف يوم يعنى نصف اليوم الذى مقداره ألف سنة فأولى القولين اللذين أحدهما عن ابن عباس والآخر عن كعب قول ابن عباس ان الدنيا جمعة من جمع الآخرة سبعة آلاف واذا كان كذلك وكان قد جاء عنه عليه السلام أن الباقى من ذلك فى حياته نصف يوم وذلك خمسمائة عام اذا كان ذلك نصف يوم من الايام التى قدر الواحد منها الف عام كان معلوما أن الماضى من الدنيا الى وقت قوله عليه السلام ستة آلاف سنة وخمسمائة سنة او نحو ذلك وقد جاء عنه عليه السلام خبر يدل على صحة قول من قال ان الدنيا كلها ستة آلاف سنة لو كان صحيحا لم يعد القول به الى غيره وهو حديث ابى هريرة يرفعه الحقب ثمانون عاما اليوم منها سدس الدنيا فتبين من هذا الخبر أن الدنيا كلها ستة آلاف سنة وذلك انه حيث كان اليوم الذى هو من ايام الآخرة مقداره الف سنة من سنى الدنيا وكان اليوم الواحد من ذلك سدس الدنيا كان معلوما أن جميعها ستة ايام من ايام الآخرة وذلك ستة آلاف سنة وقال ابو القاسم السهيلى وقد مضت الخمسمائة من وفاته صلى الله عليه وسلم الى اليوم بنيف عليها وليس فى قوله لن يعجز الله أن يؤخر هذه الامة نصف يوم ما ينفى الزيادة على النصف ولا فى قوله بعثت انا والساعة كهاتين ما يقطع به على صحة تأويله يعنى الطبرى فقد نقل فى تأويله غير هذا وهو أنه ليس بينه وبين الساعة نبى ولا شرعة غير شرعته مع التقريب لحينها كما قال تعالى اقتربت الساعة وقال أتى أمر الله فلا تستعجلوه ولكن اذا قلنا انه عليه السلام انما بعث فى الالف الآخر بعد ما مضت منه سنون ونظرنا الى الحروف المقطعة فى أوائل السور وجدناها أربعة عشر حرفا يجمعها قولك * (الم يسطع نص حق كره) * ثم تأخذ العدد على حساب أبى جاد فيجئ تسعمائة وثلاثة ولم يسم الله تعالى اوائل السور الا هذه الحروف فليس يبعد أن يكون من بعض مقتضياتها وبعض فوائدها الاشارة الى هذا العدد من السنين لما قدمناه من حديث الالف السابع الذى بعث عليه السلام فيه غير أن الحساب يحتمل أن يكون من مبعثه او من وفاته او من هجرته وكل قريب بعضه من بعض فقد جاء أشراطها ولكن لا تأتيكم الا بغتة وقد روى أنه عليه السلام قال ان احسنت امتى فبقاؤها يوم من ايام الآخرة وذلك ألف سنة وان أساءت فنصف يوم ففى الحديث تتميم للحديث المتقدم وبيان له اذ قد انقضت الخمسمائة والامة باقية وقال شاذان البلخى المنجم مدة ملة الاسلام ثلثمائة وعشر سنين وقد ظهر كذب قوله ولله الحمد وقال ابو معشر يظهر بعد المائة والخمسين من سنى الهجرة

اختلاف كثير وقال حراس ان المنجمين اخبروا كسرى انوشروان بتملك العرب وظهور النبوة فيهم وأن دليلهم الزهرة وهى فى شرفها والزهرة دليل العرب فتكون مدة ملك نبوتهم ألفا وستين سنة ولان طالع القران الدال على ذلك برج الميزان والزهرة صاحبته فى شرفها قال وسأل كسرى وزيره بزرجمهر عن ذلك فأعلمه أن الملك يخرج من فارس وينتقل الى العرب وتكون ولادة القائم بامرة العرب لخمس وأربعين سنة من وقت القران وأن العرب تملك المشرق والمغرب من أجل أن المشترى دليل فارس قد قبل تدبير الزهرة دليل العرب والقران قد انتقل من المثلثة الهوائية الى المثلثة المائية والى برج العقرب منها وهو دليل العرب أيضا وهذه الادلة تقتضى بقاء الملة الاسلامية بقدر دور الزهرة وهو ألف وستون سنة شمسية ـ وقال نفيل الرومى وكان فى ايام بنى امية تبقى ملة الاسلام بقدر مدة القران الكبيرة وهى تسعمائة وستون سنة شمسية فاذا عاد القران بعد هذه المدة الى برج العقرب كما كان فى ابتداء الملة وتغير وضع تشكيل الفلك عن هيئته فى الابتداء فحينئذ يفتر العمل ويتجدد ما يوجب خلاف الظن * قال واتفقوا على أن خراب العالم يكون باستيلاء الماء والنار حتى تهلك المكونات بأسرها وذلك اذا قطع قلب الاسد أربعا وعشرين درجة من برج الاسد الذى هو حد المريخ بعد تسعمائة وستين سنة شمسية من قران الملة ويقال ان ملك زابلستان وهى عزنه بعث الى عبد الله أمير المؤمنين المأمون بحكيم اسمه دوبان فى جملة هدية فأعجب به المأمون وساله عن مدة ملك بنى العباس فاخبره بخروج الملك عن عقبه واتصاله فى عقب أخيه وأن العجم تغلبهم على الخلافة فيتغلب الديلم اولا ثم يسوء حالهم حتى يظهر الترك من شمال المشرق فيملكون الفرات والروم والشام وقال يعقوب بن اسحاق الكندى مدة ملة الاسلام ستمائة وثلاث وتسعون سنة * وقال الفقيه الحافظ ابو محمد على بن احمد بن سعيد بن حزم وأما اختلاف الناس فى التاريخ فان اليهود يقولون أربعة آلاف سنة والنصارى يقولون الدنيا خمسة آلاف سنة وأما نحن يعنى اهل الاسلام فلا نقطع على علم عدد معروف عندنا ومن ادعى فى ذلك سبعة آلاف سنة او اكثر أو اقل فقد قال مالم يأت قط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه لفظة تصح بل صح عنه عليه السلام خلافه بل نقطع على أن للدنيا امدا لا يعلمه الا الله تعالى قال الله تعالى ما أشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أنتم فى الامم قبلكم الا كالشعرة البيضاء فى الثور الأسود والشعرة السوداء فى الثور الابيض وهذه نسبة من تدبرها وعرف مقدار عدد أهل الاسلام ونسبة ما بأيديهم من معمور الارض وانه الاكثر علم أن للدنيا امدا لا يعلمه الا الله تعالى وكذلك قوله عليه السلام بعثت أنا والساعة كهاتين وضم اصبعيه المقدستين السبابة والوسطى وقد جاء النص بأن الساعة لا يعلم متى تكون الا الله تعالى لا احد سواه فصح أنه صلى الله عليه وسلم انما عنى شدة القرب لا فضل السبابة على السباحة اذ لو أراد ذلك لاخذت نسبة ما بين الاصبعين ونسب من طول الاصبع فكان يعلم بذلك متى تقوم الساعة وهذا باطل وأيضا فكان تكون نسبته صلى الله عليه وسلم ايانا الى من قبلنا بأننا كالشعرة فى الثور كذبا ومعاذ الله من ذلك فصح أنه عليه السلام انما أراد شدة القرب وله صلى الله عليه وسلم منذ بعث أربعمائة عام ونيف والله تعالى اعلم بما بقى للدنيا فاذا كان هذا العدد العظيم لا نسبة له عند ما سلف لقلته وتفاهته بالاضافة الى ما مضى فهو الذى قاله صلى الله عليه وسلم من اننا فيمن مضى كالشعرة فى الثور او الرقة فى ذراع الحمار وقد رأيت بخط الامير ابى محمد عبد الله بن الناصر قال حدثنى محمد بن معاوية القرشى أنه رأى بالهند بلدا له اثنتان وسبعون ألف سنة وقد وجد محمود بن سبكتكين بالهند مدينة يؤرخون بأربعمائة ألف سنة قال ابو محمد الا أن لكل ذلك اولا ولا بد ونهاية لم يكن شئ من العالم موجودا قبله ولله الامر من قبل ومن بعد والله أعلم

* (ذكر التواريخ التى كانت للامم قبل تاريخ القبط) *

التاريخ كلمة فارسية أصلها ماروز ثم عرب * قال محمد بن احمد بن محمد بن يوسف البلخى فى كتاب مفاتيح العلوم وهو كتاب جليل القدر وهذا اشتقاق بعيد لولا أن الرواية جاءت به وقال قدامة بن جعفر فى كتاب الخراج تاريخ كل شئ آخره وهو فى الوقت غايته يقال فلان تاريخ قومه اى اليه ينتهى شرفهم ويقال ورخت الكتاب توريخا وأرخته تأريخا اللغة الاولى لتميم والثانية لقيس ولكل أهل ملة تاريخ فكانت الامم تؤرخ اولا بتاريخ

الخلقة وهو ابتداء كون النسل من آدم عليه السلام ثم أرخت بالطوفان وأرخت بخت نصر وأرخت بفيلبش وأرخت بالاسكندر ثم بأغشطش ثم بانطيس ثم بدقلطيانوس وبه تؤرخ القبط ثم لم يكن بعد تاريخ القبط الا تاريخ الهجرة ثم تاريخ يزدجرد فهذه تواريخ الامم المشهورة وللناس تواريخ أخر قد انقطع ذكرها * فأما تاريخ الخلقة ويقال له ابتداء كون النسل وبعضهم يقول بدو التحرك فان لاهل الكتاب من اليهود والنصارى والمجوس فى كيفيته وسياقة التاريخ منه خلافا كثيرا قال المجوس والفرس عمر العالم اثنا عشر ألف عام على عدد بروج الفلك وشهور السنة وزعموا أن زرادست صاحب شريعتهم قال ان الماضى من الدنيا الى وقت ظهوره ثلاثة آلاف سنة مكبوسة الارباع وبين ظهور زرادست واول تاريخ الاسكندر ثلاثة آلاف ومائتا سنة وثمان وخمسون سنة واذا حسبنا من اول يوم كيومرث الذى هو عندهم الانسان الاول وجمعنا مدة كل من ملك بعده فان الملك ملصق فيهم غير منقطع عنهم كان العدد منه الى الاسكندر ثلاثة آلاف وثلثمائة وأربعا وخمسين سنة فاذا لم يتفق التفصيل مع الجملة وقال قوم الثلاثة الآلاف الماضية انما هى من خلق كيومرث فانه مضى قبله ألف سنة والفلك فيها واقف غير متحرك والطبائع غير مستحيلة والامهات غير متمازجة والكون والفساد غير موجود فيها والارض غير عامرة فلما تحرك الفلك حدث الانسان الاول فى معدن النهار وتولد الحيوان وتوالد وتناسل الانس فكثروا وامتزجت أجزاء العناصر للكون والفساد فعمرت الدنيا وانتظم العالم * وقال اليهود الماضى من آدم الى الاسكندر ثلاثة آلاف واربعمائة وثمان وأربعون سنة وقال النصارى المدة بينهما خمسة آلاف ومائة وثمانون سنة وزعموا أن اليهود نقصوها ليقع خروج عيسى ابن مريم عليه السلام فى الالف الرابع وسط السبعة آلاف التى هى مقدار العالم عندهم حتى تخالف ذلك الوقت الذى سبقت البشارة من الانبياء الذين كانوا بعد موسى بن عمران عليه السلام بولادة المسيح عيسى واذا جمع ما فى التوراة التى بيد اليهود من المدة التى بين ادم عليه السلام وبين الطوفان كانت ألفا وستمائة وستا وخمسين سنة وعند النصارى فى انجيلهم ألفان ومائتا سنة واثنتان وأربعون سنة وتزعم اليهود أن توراتهم بعيدة عن التخاليط وتزعم النصارى أن توراة السبعين التى هى بأيديهم لم يقع فيها تحريف ولا تبديل وتقول اليهود فيها خلاف ذلك وتقول السامرية بأن توراتهم هى الحق وما عداها باطل وليس فى اختلافهم ما يزيل الشك بل يقوى الجبالة له وهذا الاختلاف بعينه بين النصارى أيضا فى الانجيل وذلك أن له عند النصارى أربع نسخ مجموعة فى مصحف واحد أحدها انجيل متى والثانى لمارقوس والثالث للوقا والرابع ليوحنا قد ألف كل من هؤلاء الاربعة انجيلا على حسب دعوته فى بلاده وهى مختلفة اختلافا كثيرا حتى فى صفات المسيح عليه السلام وأيام دعوته ووقت الصلب بزعمهم وفى نسبه أيضا وهذا الاختلاف لا يحتمل مثله ومع هذا فعند كل من اصحاب مرقيون وأصحاب ابن ديصان انجيل يخالف بعضه هذه الاناجيل ولاصحاب مانى انجيل على حدة يخالف ما عليه النصارى من اوله الى آخره ويزعمون أنه هو الصحيح وما عداه باطل ولهم أيضا انجيل يسمى انجيل السبعين ينسب الى تلامس والنصارى وغيرهم ينكرونه واذا كان الامر من الاختلاف بين اهل الكتاب كما قد رأيته ولم يكن للقياس والرأى مدخل فى تمييز حق ذلك من باطله امتنع الوقوف على حقيقة ذلك من قبلهم ولم يعول على شئ من اقوالهم فيه وأما غير أهل الكتاب فانهم ايضا مختلفون فى ذلك * قال أسوش بين خلق آدم وبين ليلة الجمعة اول الطوفان ألفا سنة ومائتا سنة وست وعشرون سنة وثلاثة وعشرون يوما وأربع ساعات وقال ماشاء الله واسمه منشا بن اثرى منجم المنصور والمأمون فى كتاب القرانات اول قران وقع بين زحل والمشترى فى بدء التحرك يعنى ابتداء النسل من آدم كان على مضى خمسمائة وتسع سنين وشهرين وأربعة وعشرين يوما مضت من ألف المريخ فوقع القران فى برج الثور من المثلثة الارضية على سبع درج واثنتين وأربعين دقيقة وكان انتقال الممر من برج الميزان ومثلثته الهوائية الى برج العقرب ومثلثته المائية بعد ذلك بالفى سنة واربعمائة سنة واثنتى عشرة سنة وستة اشهر وستة وعشرين يوما ووقع الطوفان فى الشهر الخامس من السنة الاولى من القران الثانى من قرانات هذه المثلثة المائية وكان بين وقت القران الاول الكائن فى بدء التحرك وبين الشهر الذى كان فيه الطوفان ألفان وأربعمائة و ثلاث وعشرون سنة وستة أشهر واثنا عشر يوما قال وفى كل سبعة آلاف سنة وسنتين وعشرة اشهر وستة ايام يرجع القران الى موضعه من برج الثور الذى كان

في بدء التحرك وهذا القول اعزك الله هو الذي اشتهر حتى ظن كثير من الملل أن مدة بقاء الدنيا سبعة آلاف سنة فلا تغتر به وتنبه الى أصله تجده اوهى من بيت العنكبوت فاطرحه وقيل كان بين آدم وبين الطوفان ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمس وثلاثون سنة وقيل كانت بينهما مدة ألفين ومائتين وست وخمسين سنة وقيل ألفان وثمانون سنة * وأما تاريخ الطوفان فانه يتلو تاريخ الخليقة وفيه من الاختلاف ما لا يطمع في حقيقته من اجل الاختلاف فيما بين آدم وبينه وفيما بينه وبين تاريخ الاسكندر فان اليهود عندهم أن بين الطوفان وبين الاسكندر ألفا وسبعمائة واثنين وتسعين سنة وعند النصارى بينهما ألفا سنة وتسعمائة وثمان وثلاثون سنة والفرس وسائر المجوس والكلدانيون أهل بابل والهند واهل الصين وأصناف الامم المشرقية ينكرون الطوفان وأقر به بعض الفرس لكنهم قالوا لم يكن الطوفان بسوى الشام والمغرب ولم يعم العمران كله ولا غرق الا بعض الناس ولم يتجاوز عقبة حلوان ولا بلغ الى ممالك المشرق قالوا ووقع في زمان طمهورت وان اهل المغرب لما انذر حكماؤهم بالطوفان اتخذوا المباني العظيمة كالهرمين بمصر ونحوهما ليدخلوا فيها عند حدوثه ولما بلغ طمهورت الانذار بالطوفان قبل كونه بمائة واحدى وثلاثين سنة أمر باختيار مواضع في مملكته صحيحة الهواء والتربة فوجد ذلك بأصبهان فأمر بتجليد العلوم ودفنها فيها في أسلم المواضع ويشهد لهذا ما وجد بعد الثلثمائة من سني الهجرة في حي من مدينة اصبهان من التلال التي انشقت عن بيوت مملوءة أعدالا عدة كثيرة قد ملئت من لحاء الشجر التي تلبس بها القسي وتسمى التوز مكتوبة بكتابة لم يدر أحد ماهي وأما المنجمون فانهم صححوا هذه السنين من القران الاول من قرانات العلويين زحل والمشترى التي اثبت علماء أهل بابل والكلدانيين مثلها اذا كان الطوفان ظهوره من ناحيتهم فان السفينة استقرت على الجودي وهو غير بعيد من تلك النواحي قالوا وكان هذا القران قبل الطوفان بمائتين وعشرين سنة ومائة وثمانية ايام واعتنوا بامرها وصححوا ما بعدها فوجدوا ما بين الطوفان وبين اول ملك بخت نصر الاول ألفي سنة وستمائة وأربع سنين وبين بخت نصر هذا وبين الاسكندر اربعمائة وست وثلاثون سنة وعلى ذلك بنى ابو معشر أوساط الكواكب في زيجه وقال كان الطوفان عند اجتماع الكواكب في آخر برج الحوت وأول برج الحمل وكان بين وقت الطوفان وبين تاريخ الاسكندر قدر ألفي سنة وسبعمائة وتسعين سنة مكبوسة وسبعة أشهر وستة وعشرين يوما وبينه وبين يوم الخميس اول المحرم من السنة الاولى من سني الهجرة النبوية ألف ألف يوم وثلثمائة ألف يوم وتسعة وخمسون ألف يوم وتسعمائة يوم وثلاثة وسبعون يوما يكون من السنين الفارسية المصرية ثلاثة آلاف سنة وسبعمائة سنة وخمسا وعشرين سنة وثلثمائة يوم وثمانية وأربعين يوما ومنهم من يرى أن الطوفان كان يوم الجمعة وعند أبي معشر أنه كان يوم الخميس ولما تقرر عنده الجملة المذكورة وخرجت له المدة التي تسمى أدوار الكواكب وهي بزعمهم ثلثمائة ألف وستون ألف سنة شمسية وأولها متقدم على وقت الطوفان بمائة الف وثمانين الف سنة شمسية حكم بأن الطوفان كان في مائة ألف وثمانين ألف سنة وسيكون فيما بعد كذلك ومثل هذا لا يقبل الا بحجة او من معصوم * وأما تاريخ بخت نصر فانه على سني القبط وعليه يعمل في استخراج مواضع الكواكب من كتاب المجسطي ثم أدوار قالليس واول ادواره في سنة ثماني عشرة وأربعمائة لبخت نصر وكل دور منها ست وسبعون سنة شمسية وكان قالليس من جلة اصحاب التعاليم وبخت نصر هذا ليس هو الذي خرب بيت المقدس وانما هو آخر كان قبل بخت نصر مخرب بيت المقدس بمائة وثلاث واربعين سنة وهو اسم فارسي اصله بخت برسى ومعناه كثير البكاء والانين ويقال له بالعبرانية نصار وقيل تفسيره عطارد وهو ينطق وذلك لتحببه على الحكمة وتغريب اهلها ثم عرب فقيل بخت نصر * وأما تاريخ فيلبش فانه على سني القبط وكثيرا ما يستعمل هذا التاريخ من موت الاسكندر البناء المقدوني وكلا الامرين سواء فان القائم بعد البناء هو فيلبش فسواء كان من موت الاول او من قيام الآخر فان الحالة المؤرخة هي كالفصل المشترك بينهما وفيلبش هذا هو ابو الاسكندر المقدوني ويعرف هذا التاريخ بتاريخ الاسكندرانيين وعليه بنى تاون الاسكندراني في تاريخه المعروف بالقانون والله أعلم * وأما تاريخ الاسكندر فانه على سني الروم وعليه يعمل اكثر الامم الى وقتنا هذا من اهل الشام واهل بلاد الروم واهل المغرب والاندلس والفرنج واليهود وقد تقدم الكلام عليه عند ذكر الاسكندرية من هذا الكتاب * وأما

تاريخ

تاريخ اغشطش فانه لا يعرف اليوم احد يستعمله وأغشطاش هذا هو أول القياصرة ومعنى قيصر بالرومية شق عنه فان اغشطش هذا الماجات به امه ماتت فى المخاض فشق بطنها حتى أخرج منه فقيل قيصر وبه يلقب من بعده من ملوك الروم ويزعم النصارى أن المسيح عليه السلام ولد لاربعين سنة من ملكه وفى هذا القول نظر فانه لا يصح عند سياقة السنين والتواريخ بل يجىء تعديل ولادته عليه السلام فى السنة السابعة عشر من ملكه * وأما تاريخ انطينس فان بطلميوس صحح الكواكب الثابتة فى كتابه المعروف بالمجسطى لاول ملكه على الروم وسنو هذا التاريخ رومية

(ذكر تاريخ القبط)

اعلم أن السنة الشمسية عبارة عن عود الشمس فى فلك البروج اذا تحركت على خلاف حركة الكل الى اى نقطة فرضت ابتداء حركتها وذلك انها تستوفى الازمنة الاربعة التى هى الربيع والصيف والخريف والشتاء وتحوز طبائعها الاربع وتنتهى الى حيث بدأت وفى هذه المدة يستوفى القمر اثنتى عشرة عودة واقل من نصف عودة ويستهل اثنتى عشرة مرة فجعلت المدة التى فيها عودات القمر الاثنتا عشرة فى فلك البروج سنة للقمر على جهة الاصطلاح وأسقط الكسر الذى هو أحد عشر يوما بالتقريب فصارت السنة على قسمين سنة شمسية وسنة قمرية وجميع من على وجه الارض من الامم أخذوا تواريخ سنيهم من مسير الشمس والقمر فالآخذون بسير الشمس خمس امم هم اليونانيون والسريانيون والقبط والروم والفرس والآخذون بسير القمر خمس امم هم الهند والعرب واليهود والنصارى والمسلمون * فأهل قسطنطينية والاسكندرية وسائر الروم والسريانيون والكلدانيون واهل مصر ومن يعمل برأى المعتضد أخذوا بالسنة الشمسية التى هى ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم بالتقريب وصيروا السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما وألحقوا الارباع بها فى كل اربع سنين يوما حتى انجبرت السنة وسموا تلك السنة كبيسة لانكباس الارباع فيها * وأما قبط مصر القدماء فانهم كانوا يتركون الارباع حتى يجتمع منها ايام سنة تامة وذلك فى كل ألف واربعمائة وستين سنة ثم يكبسونها سنة واحدة ويتفقون حينئذ فى اول تلك السنة مع اهل الاسكندرية وقسطنطينية * وأما الفرس فانهم جعلوا السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما من غير كبس حتى اجتمع لهم من ربع اليوم فى مائة وعشرين سنة ايام شهر تام ومن خمس الساعة الذى يتبع ربع اليوم عندهم يوم واحد فألحقوا الشهر التام بها فى كل مائة وست عشرة سنة واقتفى اثرهم فى هذا اهل خوارزم القدماء والصفد ومن دان بدين فارس وكانت الملوك البيشدادية منهم وهم الذين ملكوا الدنيا بحذافيرها يعملون السنة ثلثمائة وخمسة وستين يوما كل شهر منها ثلاثون يوما سواء وكانوا يكبسون السنة كل ست سنين بيوم ويسمونها كبيسة وكل مائة وعشرين سنة بشهرين احدهما بسبب خمسة الايام والثانى بسبب ربع اليوم وكانوا يعظمون تلك السنة ويسمونها المباركة * وأما قدماء القبط واهل فارس فى الاسلام وأهل خوارزم والصفد فتركوا الكسور أعنى الربع وما يتبعه اصلا * وأما العبرانيون وجميع بنى اسرائيل والصابئون والحرانيون فانهم اخذوا السنة من مسير الشمس وشهورها من مسير القمر لتكون أعيادهم وصيامهم على حساب قمرى وتكون مع ذلك حافظة لاوقاتها من السنة فكبسوا كل تسع عشرة سنة قمرية بسبعة اشهر ووافقهم النصارى فى صومهم وبعض أعيادهم لان مدار أمرهم على نسخ اليهود وخالفوهم فى الشهور الى مذهب الروم والسريانيين وكانت العرب فى جاهليتها تنظر الى فضل ما بين سنتهم وسنة القمر وهو عشرة أيام واحدى وعشرون ساعة وخمس ساعة فيلحقون ذلك بها شهرا كلما تم منها ما يستوفى ايام شهر ولكنهم كانوا يعملون على انه عشرة ايام وعشرون ساعة وكان يتولى ذلك النسأة من بنى كنانة المعروفون بالقلامس واحدهم قلمس وهو البحر الغزير وهو ابو ثمامة جنادة بن عوف بن امية بن قلع وأول من فعل ذلك منهم حذيفة بن عبد فقيم وآخر من فعله ابو ثمامة وأخذ العرب الكبس من اليهود قبل مجىء دين الاسلام بنحو المائتى سنة وكانوا يكبسون فى كل أربع وعشرين سنة تسعة اشهر حتى تبقى اشهر السنة ثابتة مع الازمنة على حالة واحدة لا تتأخر عن اوقاتها ولا تتقدم الى أن حج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنزل الله تعالى عليه انما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة

.ما حرّم الله فيحلوا ما حرّم الله زين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدى القوم الكافرين فخطب صلى الله عليه وسلم وقال ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض فبطل النسيء وزالت شهور العرب عما كانت عليه وصارت اسماؤها غير دالة على معانيها * وأما اهل الهند فانهم يستعملون رؤية الاهلة فى شهورهم ويكبسون كل تسعمائة سنة وسبعين يوما بشهر قمرى ويجعلون ابتداء تاريخهم اتفاق اجتماع فى اوّل دقيقة من برج ما واكثر طلبهم لهذا الاجتماع أن يتفق فى احدى نقطتى الاعتدالين ويسمون السنة الكبيسة بدمات فهذه آراء الخليقة فى السنة * وأما اليوم فانه عبارة عن عود الشمس بدوران الكل الى دائرة قد فرضت وقد اختلف فيه فجعله العرب من غروب الشمس الى غروبها من الغد ومن أجل أنّ شهور العرب مبنية على مسير القمر وأوائلها مقيدة برؤية الهلال والهلال يرى لدن غروب الشمس صارت الليلة عندهم قبل النهار وعند الفرس والروم اليوم بليلته من طلوع الشمس بارزة من افق المشرق الى وقت طلوعها من الغد فصار النهار عندهم قبل الليل واحتجوا على قولهم بأنّ النور وجود والظلمة عدم والحركة تغلب على السكون لانها وجود لا عدم وحياة لا موت والسماء افضل من الارض والعامل الشاب أصح والماء الجارى لا يقبل عفونة كالراكد واحتج الآخرون بأن الظلمة أقدم من النور والنور طارئ عليها فالاقدم يبدأ به وغلبوا السكون على الحركة باضافة الراحة والدعة اليه وقالوا الحركة انما هى الحاجة والضرورة والتعب نتيجة الحركة والسكون اذا دام فى الاستقصاآت مدة لم يولد فسادا فاذا دامت الحركة فى الاستقصاآت واستحكمت افسدت وذلك كالزلازل والعواصف والامواج وشبهها وعند أصحاب التنجيم أن اليوم بليلته من موافاة الشمس فلك نصف النهار الى موافاتها اياه فى الغد وذلك من وقت الظهر الى وقت العصر وبنوا على ذلك حساب أزياجهم وبعضهم ابتدأ باليوم من نصف الليل وهو صاحب زيج شهريارا زانساه وهذا هو حد اليوم على الاطلاق اذا اشترط الدلة فى التركيب فأما على التفصيل فاليوم بانفراده والنهار بمعنى واحد وهو من طلوع جرم الشمس الى غروب جرمها والليل خلاف ذلك وعكسه وحدّ بعضهم اوّل النهار بطلوع الفجر وآخره بغروب الشمس لقوله تعالى وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود من الفجر ثم أتموا الصيام الى الليل وقالى هذان الحدان هما طرفا النهار وعورض بأنّ الآية انما فيها بيان طرفى الصوم لا تعريف اوّل النهار وبأن الشفق من جهة المغرب نظير الفجر من جهة المشرق وهما متساويان فى العلة فلو كان طلوع الفجر أوّل النهار لكان غروب الشفق آخره وقد التزم ذلك بعض الشيعة فاذا تقرر ذلك فنقول تاريخ القبط يعرف عند نصارى مصر الآن بتاريخ الشهداء ويسميه بعضهم تاريخ دقلطيانوس

(ذكر دقلطيانوس الذى يعرف تاريخ القبط به)

اعلم أنّ دقلطيانوس هذا أحد ملوك الروم المعروفين بالقياصرة ملك فى منتصف سنة خمس وتسعين وخمسمائة من سنى الاسكندر وكان من غير بيت الملك فلما ملك تجبر وامتد ملكه الى مدائن الاكاسرة ومدينة بابل فاستخلف ابنه على مملكة رومة واتخذ تخت ملكه بمدينة انطاكية وجعل لنفسه بلاد الشام ومصر الى أقصى المغرب فلما كان فى السنة التاسعة عشر من ملكه وقيل الثانية عشر خالف عليه اهل مصر والاسكندرية فبعث اليهم وقتل منهم خلقا كثيرا وأوقع بالنصارى فاستباح دماءهم وغلق كنائسهم ومنع من دين النصارى وحمل الناس على عبادة الاصنام وبالغ فى الاسراف فى قتل النصارى وأقام ملكا احدى وعشرين سنة وهلك بعد علل صعبة دوّد منها بدنه وسقطت اسنانه وهو آخر من عبد الاصنام من ملوك الروم وكل من ملك بعده فانما كان على دين النصرانية فان الذى ملك بعده ابنه سنة واحدة وقيل اكثر من ذلك ثم ملك قسطنطين الاكبر فأظهر دين النصرانية ونشره فى الارض ويقال ان رجلا ثار بمصر يقال له اجله وخرج عن طاعة الروم فسار اليه دقلطيانوس وحصر الاسكندرية دار الملك يومئذ ثمانية أشهر حتى اخذ أجله وقتله وعمّ أرض مصر كلها بالسبى والقتل وبعث قائده فحارب سابور ملك فارس وقتل اكثر عسكره وهزمه وأسر امرأته واخوته وأثخن فى بلاده وعاد بأسرى كثيرة من رجال فارس ثم أوقع بعامة بلاد رومة فاكثر فى قتلهم وسبيهم فكانت ايامه شنيعة قتل فيها من أصناف الامم وهدم من بيوت العبادات ما لا يدخل تحت حصر وكانت واقعته بالنصارى

هي الشدة العاشرة وهي أشنع شدائدهم وأطولها لانها دامت عليهم مدة عشر سنين لا يفتر يوما واحدا يحرق فيها كنائسهم ويعذب رجالهم ويطلب من استتر منهم او هرب ليقتل يريد بذلك قطع اثر النصارى وابطال دين النصرانية من الارض فلهذا اتخذوا ابتداء ملك دقلطيانوس تاريخا وكان ابتداء ملكه يوم الجمعة وبينه وبين يوم الاثنين اول يوم من توت وهو أول ايام ملك الاسكندر بن فيلبش المقدوني خمسمائة وأربع وتسعون سنة وأحد عشر شهرا وثلاثة أيام وبين يوم الجمعة اول يوم من تاريخ دقلطيانوس وبين يوم الخميس اول يوم من سنة الهجرة النبوية ثلثمائة وثمان وثلاثون سنة قمرية وتسعة وثلاثون يوما وجعلوا شهور السنة القبطية اثنى عشر شهرا كل شهر منها عدده ثلاثون يوما سواء فاذا تمت الاشهر الاثنا عشر أتبعوها بخمسة أيام زيادة على عدد أيامها وسموا هذه الخمسة الايام ابو عمنا وتعرف اليوم بأيام النسيء فيكون الحال في النسيء على ذلك ثلاث سنين متواليات فاذا كان في السنة الرابعة جعلوا النسيء ستة ايام فتكون سنوهم ثلاث سنين متواليات كل سنة ثلثمائة وخمسة وستون يوما والرابعة يصير عددها ثلثمائة وستة وستين يوما ويرجع حكم سنتهم الى حكم سنة اليونانيين بأن تصير سنتهم الوسطى ثلثمائة وخمسة وستين يوما وربع يوم الا أن الكبس يختلف فاذا كان كبس القبط في سنة كان كبس اليونانيين في السنة الداخلة *(واسماء شهور القبط)* توت بابه هتور كيهك طوبه أمشير برمهات برموده بشنس بؤونه أبيب مسرى فهذه اثنا عشر شهرا كل شهر منها عدده ثلاثون يوما واذا كانت عدة شهر مسرى وهو الشهر الثاني عشر زادوا أيام النسيء بعد ذلك وعملوا النوروز أول يوم من شهر توت

(ذكر اسابيع الايام)

اعلم أن القدماء من الفرس والصفد وقبط مصر الاول لم يكونوا يستعملون الاسابيع من الايام في الشهور وأول من استعملها أهل الجانب الغربي من الارض لاسيما أهل الشام وما حواليه من اجل ظهور الانبياء عليهم السلام فيها هنالك واخبارهم عن الاسبوع الاول وبدء العالم فيه وان الله خلق السموات والارض في ستة ايام من الاسبوع ثم انتشر ذلك منهم في سائر الامم واستعملته العرب العاربة بسبب تجاور ديارهم وديار أهل الشام فانهم كانوا قبل تحولهم الى اليمن ببابل وعندهم أخبار نوح عليه السلام ثم بعث الله تعالى اليهم هودا ثم صالحا عليهما السلام وانزل فيهم ابراهيم خليل الرحمن ابنه اسمعيل عليهما السلام فتعرب اسمعيل وكانت القبط الاول تستعمل اسماء الايام الثلاثين من كل شهر فتجعل لكل يوم منها اسما كما هو العمل في تاريخ الفرس ومازالت القبط على هذا الى أن ملك مصر اغشطش بن يوحس فأراد أن يحملهم على كبس السنين ليوافقوا الروم أبدا فيها فوجدوا الباقي حينئذ الى تمام السنة الكبيسة الكبرى خمس سنين فانتظر حتى مضى من ملكه خمس سنين ثم حملهم على كبس الشهور في كل اربع سنين يوم كما تفعل الروم فترك القبط من حينئذ استعمال اسماء الايام الثلاثين لاحتياجهم في يوم الكبس الى اسم يخصه وانقرض بعد ذلك مستعملو اسماء الايام الثلاثين من اهل مصر والعارفون بها ولم يبق لها ذكر يعرف في العالم بين الناس بل دثرت كما دثر غيرها من اسماء الرسوم القديمة والعادات الاول سنة الله في الذين خلوا من قبل وكانت اسماء شهور القبط في الزمن القديم توت بوونى اتور سواق طوبى ماكير فامينوت برموتي باحون باونى افيعى ابيقا وكل شهر منها ثلاثون يوما ولكل يوم اسم يخصه ثم أحدث بعض رؤساء القبط بعد استعمالهم الكبس الاسماء التي هي اليوم متداولة بين الناس بمصر الآن من الناس من يسمي كيهك كيالة ويقول في برمهات برمهوط وفي بشنس بشانس وفي مسرى ماسورى ومن الناس من يسمي الخمسة الايام الزائدة ايام النسيء ومنهم من يسميها ابو عمنا ومعنى ذلك الشهر الصغير وهي كما تقدم تلحق في آخر مسرى وفيه يزاد اليوم الكبيس فيكون ابو عمنا ستة ايام حينئذ ويسمون السنة الكبيسة النقط ومعناه العلامة ومن خرافات القبط أن شهورهم هي شهور سني نوح وشيث وآدم منذ ابتداء العالم وانها لم تزل على ذلك الى أن خرج موسى ببني اسرائيل من مصر فعملوا اول سنتهم خامس عشر نيسان كما أمروا به في التوراة الى أن نقل الاسكندر رأس سنتهم الى اول تشرين وكذلك المصريون نقل بعض ملوكهم اول سنتهم الى اول يوم من ملكه فصار أول توت عندهم يتقدم اول يوم

خلق فيه العالم بمائتين وثمانية ايام اولها يوم الثلاثاء وآخرها يوم السبت وكان توت اوله في ذلك الوقت يوم الاحد وهو أول يوم خلق الله فيه العالم الذى يقال له الآن تاسع عشرى برمهات وذلك أن اول من ملك على الارض بعد الطوفان نمرود بن كنعان بن حام بن نوح فعمر بابل وهو أبو الكلدانيين وملك بنو مصرايم ابن حام بن نوح عليه السلام متش فبنى منف بمصر على النيل وسماها باسم جده مصرايم وهو ثانى ملك ملك على الارض وهذان الملكان استعملا تاريخ جدهما نوح عليه السلام واستن بسنتهم من جاء بعدهم حتى تغيرت كما تقدم

(ذكر أعياد القبط من النصارى بديار مصر)

روى يونس عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه قال اجتنبوا عيد اليهود والنصارى فان السخط ينزل عليهم فى مجامعهم ولا تتعلموا رطانتهم فتخلقوا ببعض خلقهم * وعن ابن عباس فى قوله تعالى والذين لا يشهدون الزور واذا مرّوا باللغو مرّوا كراما قال اعياد المشركين فقيل له اوما هذا فى الشهادة بالزور فقال لا انما آية شهادة الزور ولا تقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤلا * اعلم أن نصارى مصر من القبط ينتحلون مذهب اليعقوبية كما تقدم ذكره وأعيادهم الآن التى هى مشهورة بديار مصر أربعة عشر عيدا فى كل سنة من سنيهم القبطية منها سبعة أعياد يسمونها أعيادا كبارا وسبعة يسمونها أعيادا صغارا * فالاعياد الكبار عندهم عيد البشارة وعيد الزيتونة وعيد الفصح وعيد خميس الاربعين وعيد الخميس وعيد الميلاد وعيد الغطاس * والاعياد الصغار عيد الختان وعيد الاربعين وخميس العهد وسبت النور وأحد الحدود والتجلى وعيد الصليب ولهم مواسم أخر ليست هى عندهم من الاعياد الشرعية لكنها عندهم من المواسم العادية وهو يوم النوروز وسأذكر من خبر هذه الاعياد مالا تجده مجموعا فى غير هذا الكتاب على ما استخرجته من كتب النصارى وتواريخ اهل الاسلام * عيد البشارة هذا العيد عيد النصارى أصله بشارة جبريل مريم بميلاد المسيح عليهما السلام وهم يسمون جبريل غبريال ويقولون مارت مريم ويسمون المسيح ياشوع وربما قالوا السيد يشوع وهذا العيد تعمله نصارى مصر فى اليوم التاسع والعشرين من شهر برمهات * عيد الزيتونة * ويعرف عندهم بعيد الشعانين ومعناه التسبيح ويكون فى سابع أحد من صومهم وسنتهم فى عيد الشعانين أن يخرجوا سعف النخل من الكنيسة ويرون أنه يوم ركوب المسيح العنو وهو الحمار فى القدس ودخوله الى صهيون وهو راكب والناس بين يديه يسبحون وهو يأمر بالمعروف ويحث على عمل الخير وينهى عن المنكر ويباعد عنه وكان عيد الشعانين من مواسم النصارى بمصر التى تزين فيها كنائسهم فلما كان لعشر خلون من شهر رجب سنة ثمان وسبعين وثلثمائة كان عيد الشعانين فمنع الحاكم بأمر الله ابو على منصور بن العزيز بالله النصارى من تزيين كنائسهم وحملهم الخوص على ما كانت عادتهم وقبض على عدّة ممن وجد معه شيأ من ذلك وأمر بالقبض على ما هو محبس على الكنائس من الاملاك وأدخلها فى الديوان وكتب لسائر الاعمال بذلك وأحرقت عدّة من صلبانهم على باب الجامع العتيق والشرطة * عيد الفصح * هذا العيد عندهم هو العيد الكبير ويزعمون أن المسيح عليه السلام لما تمالأ اليهود عليه واجتمعوا على تصليبه وقتله قبضوا عليه وأحضروه الى خشبة ليصلب عليها فصلب على خشبة عليها اللصان وعندنا وهو الحق أن الله تعالى رفعه اليه ولم يصلب ولم يقتل وأن الذى صلب على الخشبة مع اللصين غير المسيح ألقى الله عليه شبه المسيح قالوا واقتسم الجند ثيابه وغشى الارض ظلمة من الساعة السادسة من النهار الى الساعة التاسعة من يوم الجمعة خامس عشر هلال نيسان للعبرانيين وتاسع عشرى برمهات وخامس عشرى آذار سنة ودفن الشبيه آخر النهار بقبر وأطبق عليه حجر عظيم وختم عليه رؤساء اليهود وأقاموا عليه الحرس باكر يوم السبت كيلا يسرق فزعموا أن المقبور قام من القبر ليلة الاحد سحرا ومضى بطرس ويوحنا التلميذان الى القبر واذا الثياب التى كانت على المقبور بغير ميت وعلى القبر ملاك الله بثياب بيض فأخبرهما بقيام المقبور من القبر قالوا وفى عشية يوم الاحد هذا دخل المسيح على تلاميذه وسلم عليهم واكل معهم وكلمهم وأوصاهم وأمرهم بأمور قد تضمنها انجيلهم وهذا العيد عندهم بعد عيد الصلبوت

بثلاثة ايام *(خميس الاربعين)* ويعرف عند أهل الشام بالمسلاق ويقال له أيضا عيد الصعود وهو الثانى والاربعون من الفطر ويزعمون أنّ المسيح عليه السلام بعد أربعين يوما من قيامته خرج الى بيت عينا والتلاميذ معه فرفع يديه وبارك عليهم وصعد الى السماء وذلك عندنا كماله ثلاثا وثلاثين سنة وثلاثة اشهر فرجع التلامذة الى اوراسليم يعنى بيت المقدس وقد وعدهم باشتهار أمرهم وغير ذلك مما هو معروف عندهم فهذا اعتقادهم فى كيفية رفع المسيح ومن أصدق من الله حديثا *(عيد الخميس)* وهو العنصرة ويعملونه بعد خمسين يوما من يوم القيام وزعموا أن بعد عشرة ايام من الصعود وخمسين يوما من قيامة المسيح اجتمع التلاميذ فى علية صهيون فتجلى لهم روح القدس فى شبه ألسنة من نار فامتلأوا من روح القدس وتكلموا بجميع الالسن وظهرت على ايديهم آيات كثيرة فعاداهم اليهود وحبسوهم فنجاهم الله منهم وخرجوا من السجن فساروا فى الارض متفرقين يدعون الناس الى دين المسيح *(عيد الميلاد)* يزعمون أنه اليوم الذى ولد فيه المسيح وهو يوم الاثنين فيحيون عشية ليلة الميلاد وسنتهم فيه كثرة الوقود بالكنائس وتزيينها ويعملونه بمصر فى التاسع والعشرين من كيهك ولم يزل بديار مصر من المواسم المشهورة فكان يفرّق فيه ايام الدولة الفاطمية على ارباب الرسوم من الاستادين المحنكين والامراء المطوّقين وسائر الموالى من الكتاب وغيرهم الجامات من الحلاوة القاهرية والمثارد التى فيها السميذ وقربات الجلاب وطيافير الزلابية والسمك المعروف بالبورى * ومن رسم النصارى فى الميلاد اللعب بالنار * ومن أحسن ماقيل

ما اللعب بالنار فى الميلاد من سفه * وانما فيه للاسلام مقصود
فغيه بهت النصارى انّ ربهم * عيسى ابن مريم مخلوق ومولود

وأدركنا الميلاد بالقاهرة ومصر وسائر اقليم مصر موسما جليلا يباع فيه من الشموع المزهرة بالاصباغ المليحة والتماثيل البديعة بأموال لا تنحصر فلا يبقى أحد من الناس اعلاهم وادناهم حتى يشترى من ذلك لاولاده وأهله وكانوا يسمونها الفوانيس واحدها فانوس ويعلقون منها فى الاسواق بالحوانيت شيأ يخرج عن الحد فى الكثرة والملاحة ويتنافس الناس فى المغالاة فى اثمانها حتى لقد أدركت شمعة عملت فبلغ مصروفها ألف درهم وخمسمائة درهم فضة عنها يومئذ ما ينيف على سبعين مثقالا من الذهب واعرف السؤال فى الطرقات أيام هذه المواسم وهم يسألون الله أن يتصدّق عليهم بفانوس فيشترى لهم من صغار الفوانيس ما يبلغ ثمنه الدرهم وما حوله ثم لما اختلت امور مصر كان من جملة ما بطل من عوايد الترف عمل الفوانيس فى الميلاد الا قليلا *(الغطاس)* ويعمل بمصر فى اليوم الحادى عشر من شهر طوبه وأصله عند النصارى أنّ يحيى بن زكرياء عليهما السلام المعروف عندهم بيوحنا المعمدانى عمد المسيح اى غسله فى بحيرة الاردن وعندما خرج المسيح عليه السلام من الماء اتصل به روح القدس فصار النصارى لذلك يغمسون اولادهم فى الماء فى هذا اليوم وينزلون فيه بأجمعهم ولا يكون ذلك الا فى شدّة البرد ويسمونه يوم الغطاس وكان له بمصر موسم عظيم الى الغاية * قال المسعودى ولليلة الغطاس بمصر شأن عظيم عند أهلها لا ينام الناس فيها وهى ليلة الحادى عشر من طوبه ولقد حضرت سنة ثلاثين وثلثمائة ليلة الغطاس بمصر والاخشيد محمد بن طغج أمير مصر فى داره المعروفة بالمختار فى الجزيرة الراكبة للنيل والنيل يطيف بها وقد أمر فأسرج فى جانب الجزيرة وجانب الفسطاط ألف مشعل غير ما أسرج أهل مصر من المشاعل والشمع وقد حضر بشاطئ النيل فى تلك الليلة آلاف من الناس من المسلمين ومن النصارى منهم فى الزواريق ومنهم فى الدور الدانية من النيل ومنهم على سائر الشطوط لا يتناكرون كل ما يمكنهم اظهاره من المآكل والمشارب والملابس وآلات الذهب والفضة والجوهر والملاهى والعزف والقصف وهى أحسن ليلة تكون بمصر وأشملها سرورا ولا تغلق فيها الدروب ويغطس اكثرهم فى النيل ويزعمون أنّ ذلك أمان من المرض ونشرة للداء * وقال المسبحى فى تاريخه من حوادث سنة سبع وستين وثلثمائة منع النصارى من اظهار ما كانوا يفعلونه فى الغطاس من الاجتماع ونزول الماء واظهار الملاهى ونودى أن من عمل ذلك نفى من الحضرة وقال فى سنة ثمان وثمانين وثلثمائة كان الغطاس فضربت الخيام والمضارب والاسرّة فى عدّة مواضع على شاطئ النيل ونصبت اسرّة للرئيس فهد بن ابراهيم النصرانى كاتب الاستاد برجوان وأوقدت له الشموع والمشاعل وحضر المغنون والملهون وجلس مع اهله يشرب الى أن كان

وقت الغطاس فغطس وانصرف * وقال فى سنة احدى واربعمائة وفى ثامن عشرى جمادى الاولى وهو عاشر طوبه منع النصارى من الغطاس فلم يغطس احد منهم فى البحر وقال فى حوادث سنة خمس عشرة وأربعمائة وفى ليلة الاربعاء رابع ذى القعدة كان غطاس النصارى فجرى الرسم من الناس فى شراء الفواكه والضأن وغيره ونزل أمير المؤمنين الظاهر لاعزاز دين الله لقصر جده العزيز بالله فى مصر لنظر الغطاس ومعه الحرم ونودى أن لا يختلط المسلمون مع النصارى عند نزولهم فى البحر فى النيل وضرب بدر الدولة الخادم الاسود متولى الشرطتين خيمة عند الجسر وجلس فيها وأمر امير المؤمنين بأن توقد النار والمشاعل فى الليل وكان وقيدا كثيرا وحضر الرهبان والقسوس بالصلبان والنيران فقسسوا هنالك طويلا الى أن غطسوا * وقال ابن المأمون فى تاريخه من حوادث سنة سبع عشرة وخمسمائة وذكر الغطاس ففرق اهل الدولة ما جرت به العادة لاهل الرسوم من الاترج والنارنج والليمون فى المراكب وأطنان القصب والبورى بحسب الرسوم المقررة بالديوان لكل واحد * (الختان) * يعمل فى سادس شهر بؤونه ويزعمون أن المسيح ختن فى هذا اليوم وهو الثامن من الميلاد والقبط من دون النصارى تختتن بخلاف غيرهم * (الاربعون) * وهو عندهم دخول المسيح الهيكل ويزعمون أن سمعان الكاهن دخل بالمسيح مع امه وبارك عليه ويعمل فى ثامن شهر أمشير * (خميس العهد) * ويعمل قبل الفصح بثلاثة أيام وسنتهم فيه أن يملؤا اناء من ماء ويزمزمون عليه ثم يغسل للتبرك به ارجل سائر النصارى ويزعمون أن المسيح فعل هذا بتلامذته فى مثل هذا اليوم كى يعلمهم التواضع ثم أخذ عليهم العهد أن لا يتفرقوا وأن يتواضع بعضهم لبعض وعوام اهل مصر فى وقتنا يقولون خميس العدس من أجل أن النصارى تطبخ فيه العدس المصفى ويقول اهل الشام خميس الارز وخميس البيض ويقول اهل الاندلس خميس ابريل وابريل اسم شهر من شهورهم وكان فى الدولة الفاطمية تضرب فى خميس العدس هذا خمسمائة دينار فتعمل خراريب تفرق فى اهل الدولة برسوم مفردة كما ذكر فى أخبار القصر من القاهرة عند ذكر دار الضرب من هذا الكتاب وأدركنا خميس العدس هذا فى القاهرة ومصر وأعمالها من جملة المواسم العظيمة فيباع فى اسواق القاهرة من البيض المصبوغ عدة ألوان ما يتجاوز حد الكثرة فيقامر به العبيد والصبيان والغوغاء وينتدب لذلك من جهة المحتسب من يردعهم فى بعض الاحيان ويهادى النصارى بعضهم بعضا ويهدون الى المسلمين أنواع السمك المنوع مع العدس المصفى والبيض وقد بطل ذلك لما حل بالناس وبقيت منه بقية * (سبت النور) * وهو قبل الفصح بيوم ويزعمون أن النور يظهر على قبر المسيح بزعمهم فى هذا اليوم بكنيسة القمامة من القدس فتشعل مصابيح الكنيسة كلها وقد وقف اهل الفحص والتفتيش على أن هذا من جملة مخاريق النصارى لصناعة يعملونها وكان بمصر هذا اليوم من جملة المواسم ويكون ثالث يوم من خميس العدس ومن توابعه * (حد الحدود) * وهو بعد الفصح بثمانية ايام فيعمل اول احد بعد الفطر لان الاحاد قبله مشغولة بالصوم وفيه يجددون الآلات والاثاث واللباس ويأخذون فى المعاملات والامور الدنيوية والمعاش * (عيد التجلى) * يعمل فى ثالث عشر شهر مسرى يزعمون أن المسيح تجلى لتلاميذه بعد ما رفع وتمنوا عليه أن يحضر لهم ايلياء وموسى عليهما السلام فأحضرهما اليهم بمصلى بيت المقدس ثم صعد الى السماء وتركهم * (عيد الصليب) * ويعمل فى اليوم السابع عشر من شهر توت وهو من الاعياد المحدثة وسببه ظهور الصليب بزعمهم على يد هيلانة ام قسطنطين وله خبر طويل عندهم ملخصه ما أنت تراه * (ذكر قسطنطين) * وقسطنطين هذا هو ابن قسطنش بن وليطنوش بن ارشميوش بن دقيون بن كاوديش بن عايش بن كتيبان اعسب الاعظم الملقب قيصر وهو أول من ثبت دين النصرانية وأمر بقطع الاوثان وهدم هياكلها وبنيان البيع وآمن من الملوك بالمسيح وكانت امه هيلانة من مدينة الرها فنشأ بها مع أمه وتعلم العلوم ولم يزل فى غاية من الظفر والسعادة معانا منصورا على كل من حاربه وكان فى اول أمره على دين المجوس شديدا على النصارى ما قتا لدينهم وكان سبب رجوعه عن ذلك الى دين النصرانية انه ابتلى بجذام ظهر عليه فاغتم لذلك غما شديدا وجمع الحذاق من الاطباء فاتفقوا على ادوية دبروها له وأوجبوا أن يستنقع بعد أخذ تلك الادوية فى صهريج مملوء من دماء اطفال رضع ساعة يسيل منهم فتقدم أمره بجمع جملة من اطفال الناس وأمر بذبحهم فى صهريج ليستنقع فى دمائهم وهى طرية فجمعت الاطفال لذلك وبرز ليمضى فيهم ما تقدم به من ذبحهم فسمع ضجيج النساء اللاتى أخذ

اولادهن

أولادهنّ فرحهنّ وأمر فدفع لكل واحدة ابنها وقال احتمال علتى اولى بى وأوجب من هلاك هذه العدّة العظيمة من البشر فانصرف النساء بأولادهنّ وقد سررن سرورا كثيرا فلما صار من الليل الى مضجعه رأى فى منامه شيخا يقول له انك رحمت الاطفال وامّهاتهم ورأيت احتمال علتك اولى من ذبحهم فقد رحمك الله ووهبك السلامة من علتك فابعث الى رجل من اهل الايمان يدعى شلبشتر قد فرّ خوفا منك وقف عند ما يأمرك به والتزم ما يحضك عليه تتم لك العافية فانتبه مذعورا وبعث فى طلب شلبشتر الاسقف فأتى به اليه وهو يظنّ أنه يريد قتله لما عهده من غلظته على النصارى ومقته لدينهم فعندما رآه تلقاه بالبشر وأعلمه بما رآه فى منامه فقص عليه دين النصرانية وكانت له معه أخبار طويلة مذكورة عندهم فبعث قسطنطين فى جمع الاساقفة المنفيين والمسيرين والتزم دين النصرانية وشفاه الله من الجذام فأيد الديانة واعلن بالايمان بدين المسيح وبيناهو فى ذلك اذ وقع وثوب أهل رومة عليه وايقاعهم به فخرج عنها وبنى مدينة قسطنطينية بنيانا جليلا فعرفت به وسكنها فصارت موضع تخت الملك من عهده وقد كان النصارى من لدن زمان بيرون الملك الذى قبل الحواريين ومن بعده ممن ملك رومة فى كل وقت يقتلون ويحبسون ويشرّدون بالنفى فلما سكن قسطنطين مدينة قسطنطينية جمع الى نفسه أهل المسيح وقوّى وجرههم وأذل عباد الاوثان فشق ذلك على أهل رومة وخلعوا طاعته وقدّموا عليهم ملكا فأهمه ذلك ومرّت له معهم عدّة أخبار مذكورة فى تاريخ رومة ثم انه خرج من قسطنطينية يريد رومة وقد استعدّوا لحربه فلما قاربهم اذعنوا له والتزموا طاعته فدخلها فأقام الى أن رجع لحرب الفرس وخرج اليه فقهرهم ودانت له اكثر ممالك الدنيا فلما كان فى عشرين سنة من دولته خرجت الفرس على بعض اطرافه فغزاهم وأخرجهم عن بلاده ورأى فى منامه كأن بنودا شبه الصليب قد رفعت وقائلا يقول له ان اردت أن تظفر بمن خالفك فاجعل هذه العلامات على جميع بركك وسككك فلما انتبه أمر بتجهيز امه هيلانة الى بيت المقدس فى طلب آثار المسيح عليه السلام وبناء الكنائس واقامة شعائر النصرانية فسارت الى بيت المقدس وبنت الكنائس فيقال ان الاسقف مقاريوس دلها على الخشبة التى زعموا أن المسيح صلب عليها وقد قص عليها ما عمل به اليهود فحفرت فاذا قبر وثلاث خشبات على شكل الصليب فزعموا انهم ألقوا الثلاث خشبات على ميت واحدة بعد واحدة فقام حيا عند ما وضعت عليه الخشبة الثالثة منها فاتخذوا ذلك اليوم عيدا وسموه عيد الصليب وكان فى اليوم الرابع عشر من ايلول والسابع عشر من توت وذلك بعد ولادة المسيح بثلثمائة وثمان وعشرين سنة وجعلت هيلانة لخشبات الصليب غلافا من ذهب وبنت كنيسة القمامة ببيت المقدس على قبر المسيح بزعمهم وكانت لها مع اليهود أخبار كثيرة قد ذكرت عندهم ثم انصرفت بالصليب معها الى ابنها ومازال قسطنطين على ممالك الروم الى أن مات بعد أربع وعشرين سنة من ولايته فقام من بعده بممالك الروم ابنه قسطنطين الاصغر وقد كان لعيد الصليب بمصر موسم عظيم يخرج الناس فيه الى بنى وائل بظاهر فسطاط مصر ويتظاهرون فى ذلك اليوم بالمنكرات من انواع المحرّمات ويمرّ لهم فيه ما يتجاوز الحدّ فلما قدمت الدولة الفاطمية الى ديار مصر وبنوا القاهرة واستوطنوها وكانت خلافة امير المؤمنين العزيز بالله أمر فى رابع شهر رجب فى سنة احدى وثمانين وثلثمائة وهو يوم الصليب فمنع الناس من الخروج الى بنى وائل وضبط الطرق والدروب ثم لما كان عيد الصليب فى اليوم الرابع عشر من شهر رجب سنة اثنتين وثمانين وثلثمائة خرج الناس فيه الى بنى وائل وجروا على عادتهم فى الاجتماع واللهو وفى صفر سنة اثنتين وأربعمائة قرئ فى سابعه سجل بالجامع العتيق وفى الطرقات كتب عن الحاكم بأمر الله يشتمل على منع النصارى من الاجتماع على عمل عيد الصليب وأن لا يظهروا بزينتهم فيه ولا يقربوا كنائسهم وأن يمنعوا منها ثم بطل ذلك حتى لم يكد يعرف اليوم بديار مصر البتة * (النيروز) * هو أوّل السنة القبطية بمصر وهو أوّل يوم من توت وسنتهم فيه اشعال النيران والتراش بالماء وكان من مواسم لهو المصريين قديما وحديثا قال وهب بردت النار فى الليلة التى القى فيها ابراهيم وفى صبيحتها على الارض كلها فلم ينتفع بها احد فى الدنيا تلك الليلة وذلك الصباح فمن اجل ذلك بات الناس على النار فى تلك الليلة التى رمى فيها ابراهيم عليه السلام ووثبوا عليها وتبخروا بها وسموا تلك الليلة نيروزا والنيروز فى اللسان السريانى العيد وسئل ابن عباس عن النيروز لم اتخذوه عيدا فقال انه اوّل السنة المستانفة وآخر السنة المنقطعة فكانوا يستحبون أن يقدّموا فيه على ملوكهم بالطرف والهدايا فاتخذته الاعاجم سنة قال الحافظ ابو القاسم على بن

عساكر فى تاريخ دمشق من طريق ابن عباس رضى الله عنهما قال ان فرعون لما قال للملأ من قومه ان هذا الساحر عليم قالوا له ابعث الى السحرة فقال فرعون لموسى يا موسى اجعل بيننا وبينك موعدا لا نخلفه نحن ولا انت فتجتمع انت وهرون وتجتمع السحرة فقال موسى موعدكم يوم الزينة قال ووافق ذلك يوم السبت فى اول يوم من السنة وهو يوم النيروز وفى رواية ان السحرة قالوا لفرعون ايها الملك واعد الرجل فقال قد واعدته يوم الزينة وهو عيدكم الاكبر ووافق ذلك يوم السبت فخرج الناس لذلك اليوم قال والنوروز اول سنة الفرس وهو الرابع عشر من آذار وفى شهر برمهات ويقال اول من احدثه جمشيد من ملوك الفرس وانه ملك الاقاليم السبعة فلما كمل ملكه ولم يبق له عدو اتخذ ذلك اليوم عيدا وسماه نوروزا فى اليوم الجديد وقيل ان سليمان بن داود عليهما السلام اول من وضعه فى اليوم الذى رجع اليه فيه خاتمه وقيل هو اليوم الذى شفى فيه ايوب عليه السلام وقال الله سبحانه وتعالى له اركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فجعل ذلك اليوم عيدا وسنوا فيه رش الماء ويقال كان بالشام سبط من بنى اسرائيل اصابهم الطاعون فخرجوا الى العراق فبلغ ملك العجم خبرهم فأمر أن تبنى عليهم حظيرة يجعلون فيها فلما صاروا فيها ماتوا وكانوا أربعة آلاف رجل ثم ان الله تعالى اوحى الى نبى ذلك الزمان ارأيت بلاد كذا وكذا اخاربهم بسبط بنى فلان فقال يا رب كيف احاربهم وقد ماتوا فأوحى الله اليه انى احييهم لك فأمطرهم الله ليلة من الليالى فى الحظيرة فأصبحوا أحياء فهم الذين قال الله فيهم ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم فرفع أمرهم الى ملك فارس فقال تبركوا بهذا اليوم وليصب بعضكم على بعض الماء فكان ذلك اليوم يوم النوروز فصارت سنة الى اليوم وسئل الخليفة المأمون عن رش الماء فى النوروز فقال قول الله تعالى ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم هؤلاء قوم اجدبوا تقول مات فلان هزالا فغيثوا فى هذا اليوم برشة من مطر فعاشوا فأخصب بلدهم فلما احياهم الله بالغيث والغيث يسمى الحيا جعلوا صب الماء فى مثل هذا اليوم سنة يتبركون بها الى يومنا هذا * وقد روى ان الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف قوم من بنى اسرائيل فروا من الطاعون وقيل أمروا بالجهاد فخافوا الموت بالقتل فى الجهاد فخرجوا من ديارهم فرارا من ذلك فأماتهم الله ليعرفهم انه لا ينجيهم من الموت شئ ثم احياهم على يد حزقيل احد أنبياء بنى اسرائيل فى خبر طويل قد ذكره اهل التفسير * وقال على بن حمزة الاصفهانى فى كتاب اعياد الفرس ان اول من اتخذ النيروز جمشيد ويقال جمشاد أحد ملوك الفرس الاول ومعنى النوروز اليوم الجديد والنوروز عند الفرس يكون يوم الاعتدال الربيعى كما أن المهرجان اول الاعتدال الخريفى ويزعمون أن النوروز أقدم من المهرجان فيقولون ان المهرجان كان فى ايام افريدون وانه اول من عمله لما قتل الضحاك وهو بيوراسب فجعل يوم قتله عيدا سماه المهرجان وكان حدوثه بعد النوروز بألفى سنة وعشرين سنة * وقال ابن وصيف شاه فى ذكر مناوش بن منقاوش أحد ملوك القبط فى الدهر القديم وهو أول من عمل النوروز بمصر فكانوا يقيمون سبعة أيام يأكلون ويشربون اكراما للكواكب * وقال ابن رضوان ولما كان النيل هو السبب الاعظم فى عمارة أرض مصر رأى المصريون القدماء وخاصة الذين كانوا فى عهد قلديانوس الملك أن يجعلوا اول السنة فى اول الخريف عند استكمال النيل الحاجة فى الامر الاكثر فجعلوا اول شهورهم توت ثم بابه ثم هاتور وعلى هذا الولاء بحسب المشهور من ترتيب هذه الشهور * وقال ابن زولاق وفى هذه السنة يعنى سنة ثلاث وستين وثلثمائة منع امير المؤمنين المعز لدين الله من وقود النيران ليلة النوروز فى السكك ومن صب الماء يوم النوروز * وقال فى سنة اربع وستين وفى يوم النوروز زاد اللعب بالماء ووقود النيران وطاف اهل الاسواق وعملوا فيه وخرجوا الى القاهرة بلعبهم ولعبوا ثلاثة أيام وأظهروا السماجات والحلى فى الاسواق ثم أمر المعز بالنداء بالكف وأن لا توقد نار ولا يصب ماء واخذ قوم فحبسوا وأخذ قوم فطيف بهم على الجمال * وقال ابن المأمون فى تاريخه وحل موسم النوروز فى اليوم التاسع من رجب سنة سبع عشرة وخمسمائة ووصلت الكسوة المختصة بالنوروز من الطراز وثغر الاسكندرية مع ما يتبعها من الآلات المذهبة والحريرى والسوادج وأطلق بجميع ما هو مستقر من الكسوات الرجالية والنسائية والعين والورق وجميع الاصناف المختصة بالموسم على اختلافها بتفصيلها واسماء اربابها واصناف النوروز البطيخ والرمان وعناقيد الموز وأفراد

البسر واقفاص التمر القوصى واقفاص السفرجل وبكل الهريسة المعمولة من لحم الدجاج ومن لحم الضأن ومن لحم البقر من كل لون بكلة مع حبر برمارق قال وأحضر كاتب الدفتر الحسابات بما جرت به العادة من اطلاق العين والورق والكسوات على اختلافها في يوم النوروز وغير ذلك من جميع الاصناف وهو أربعة آلاف دينار ذهبا وخمسة عشر الف درهم فضة والكسوات عدة كثيرة من شقق ديبقية مذهبات وحريريات ومعاجر وعصائب نسائيات ملونات وسقولاد مذهب وحريرى ومسقع وفوط ديبقية حريرية فأما العين والورق والكسوات فذلك لا يخرج عمن تحوزه القصور ودار الوزارة والشيوخ والاصحاب والحواشى والمستخدمين ورؤساء العشاريات وبحارتها ولم يكن لاحد من الامراء على اختلاف درجاتهم فى ذلك نصيب * وأما الاصناف من البطيخ والرمان والبسر والموز والسفرجل والعناب والهرائس على اختلافها فيشمل ذلك جميع من تقدم ذكرهم ويشركهم فيه جميع الامراء أرباب الاطواق والانصاف وغيرهم من الاماثل والاعيان ممن له جاه ورسم فى الدولة * وقال القاضى الفاضل فى متجددات سنة أربع وثمانين وخمسمائة يوم الثلاثاء رابع عشر رجب يوم النوروز القبطى وهو مستهل توت وتوت اول سنتهم وقد كان بمصر فى الايام الماضية والدولة الخالية من مواسم بطالاتهم ومواقيت ضلالاتهم فكانت المنكرات ظاهرة فيه والفواحش صريحة فيه ويركب فيه أمير موسوم بأمير النوروز ومعه جمع كثير ويتسلط على الناس فى طلب رسم رتبه ويرسم على دور الاكابر بالجمل الكبار ويكتب مناشير ويندب مرسمين كل ذلك يخرج مخرج الطير ويقنع بالميسور من الهبات ويجتمع المغنون والفاسقات تحت قصر اللؤلؤة بحيث يشاهدهم الخليفة وبأيديهم الملاهى وترتفع الاصوات ويشرب الخمر والمزر شربا ظاهرا بينهم وفى الطرقات ويتراش الناس بالماء وبالماء والخمر وبالماء ممزوجا بالاقذار وان غلط مستور وخرج من بيته لقيه من يرشه ويفسد ثيابه ويستخف بحرمته فاما أن يفدى نفسه واما أن يفضح ولم يجر الحال على هذا ولكن قد رش الماء فى الحارات وقد أحيى المنكرات فى الدور أرباب الخسارات * وقال فى متجددات سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة وجرى الامر فى النوروز على العادة من رش الماء واستجد فيه هذا العام التراجم بالبيض والتصافع بالانطاع وانقطع الناس عن التصرف ومن ظفر به فى الطريق رش بمياه نجسة وخرق به ومازال يوم النوروز يعمل فيه ماذكر من التراش بالماء والتصافع بالجلود وغيرها الى أن كانت أعوام بضع وثمانين وسبعمائة وأمر الدولة بديار مصر وتدبيرها الى الامير الكبير برقوق قبل أن يجلس على سرير الملك ويتسمى بالسلطان فمنع من لعب النوروز وهدد من لعبه بالعقوبة فانكف الناس عن اللعب فى القاهرة وصاروا يعملون شيأ من ذلك فى الخلجان والبرك ونحوها من مواضع التنزه بعد ما كانت أسواق القاهرة تتعطل فى يوم النوروز من البيع والشراء ويتعاطى الناس فيه من اللهو واللعب ما يخرجون عن حد الحياء والحشمة الى الغاية من الفجور والعهور وقلما انقضى يوم نوروز الا وقتل فيه قتيل او اكثر ولم يبق الآن للناس من الفراغ ما يقتضى ذلك ولا من الرفه والبطر ما يوجب لهم عمله وما أحسن قول بعضهم

كيف ابتهاجك بالنوروز ياسكنى * وكل ما فيه يحكينى وأحكيه
فتارة كلهيب النار فى كبدى * وتارة كتوالى دمعتى فيه

(وقال آخر) *

نورز الناس ونورزت ولكن بدموعى
وذكت نارهم والنار ما بين ضلوعى

* (وقال آخر) *

ولما أتى النوروز يا غاية المنى * وأنت على الاعراض والهجر والصد
بعثت بنار الشوق ليلا الى الحشا * فنورزت صبحا بالدموع على الخد

ذكر ما يوافق ايام الشهور القبطية من الاعمال فى الزراعات وزيادة النيل وغير ذلك على ما نقله اهل مصر عن قدمائهم واعتمدوا عليه فى امورهم

اعلم أن المصريين القدماء اعتمدوا فى تاريخهم السنة الشمسية كما تقدم ذكره ليصير الزمان محفوظا وأعمالهم واقعة فى أوقات معلومة من كل سنة لا يتغير وقت عمل من أعمالهم بتقديم ولا تأخير البتة * (توت) بالقبطى "هو ايلول وكانت عادة مصر مذ عهد فراعنتها فى استخراج خراجها وجباية أموالها انه لا يستتم استيفاء الخراج من أهلها الا عند تمام الماء وافتراشه على سائر أرضها ويقع اتمامه فى شهر توت فاذا كان كذلك وربما كانت زيادة عن ذلك أطلق الماء فى جميع نواحيها من ترعها ثم لا يزال يترجح فى الزيادة والنقصان حتى يفرغ توت وفى اوله يكون يوم النوروز ورابعه أول ايلول وسابعه يلقط الزيتون وثانى عشره يطلع الفجر بالصرفة وسابع عشره عيد الصليب فيشرط البلسان ويستخرج دهنه ويفتح ما يتأخر من الابحر والترع وترتب المدامسة لحفظ الجسور وفى ثامن عشره تنقل الشمس الى برج الميزان فيدخل فصل الخريف وفى خامس عشريه يطلع الفجر بالعوا ويكبر صغار السمك وفى هذا الشهر يعم ماء النيل أراضى مصر وفيه تسجل النواحى وتسترفع السجلات والقوانين وتطلق التقاوى من الغلال لتخضير الاراضى وفيه يدرك الرمان والبسر والرطب والزيتون والقطن والسفرجل وفيه يكون هبوب ريح الشمال أقوى من هبوب ريح الجنوب وهبوب الصبا أقوى من الدبور وكان قدماء المصريين لا ينصبون فيه أساسا وفيه يكثر بمصر العنب الشتوى" وتبذر المحمضات * (بابه) فى اوله يحصد الارز ويزرع الفول والبرسيم وسائر الحبوب التى لا تشق لها الارض وفى رابعه اول تشرين الاول وفى ثامنه طلوع الفجر بالسماك وهو نهاية زيادة النيل وابتداء نقصه وقد لا يتم الماء فيه فيعجز بعض الارض عن أن يركبها الماء فيكون من ذلك نقص الخراج عن الكمال وفى تاسعه يكون مجىء الكراكى الى ارض مصر وفى عاشره يزرع الكتان وفى ثانى عشره يكون ابتداء شق الارض بصعيد مصر لبذر القمح والشعير وفى ثامن عشره تنقل الشمس الى برج العقرب و يقطع الخشب وفى تاسع عشره يكون ابتداء نقص ماء النيل ويكثر البعوض وفى حادى عشريه يطلع الفجر بالغفر * وفى هذا الشهر تصرف المياه عن الاراضى ويخرج المزارعون لتخضير الاراضى فيبدؤن ببذر زراعة القرط ثم بزراعة الغلة" البدرية اولا فأولا وفيه يستخرج دهن الآس ودهن النيلوفر ويدرك التمر والزبيب والسمسم والقلقاس وفيه يكثر صغار السمك ويقل كباره ويسمن الراى والابرميس من السمك خاصة وتستحكم حلاوة الرمان ويكون فيه أطيب منه فى سائر الشهور التى يكون فيها ويضع الضان والمعز والبقر الخيسية وفيه يملح السمك المعروف بالبورى ويهزل الضأن والمعز والبقر ولا تطيب لحومها وتدرك المحمضات وفيه يجب كتابة التذاكر بالاعمال القوصية وفيه يغرس المنثور ويزرع السلجم * (هاتور) فى خامسه يكون اول تشرين الثانى و يطلع الفجر بالزبانا فى رابعه وفى سادسه يزرع الخشخاش وفى سابعه يصرف ماء النيل عن اراضى الكتان ويبذر فى النصف منه وبعد تمام شهر يستنبح وفى ثامنه أوان المطر الوسمى وفى حادى عشره تهب ريح الجنوب وفى خامس عشره تبرد المياه بمصر وفى سابع عشره يطلع الفجر بالاكليل وفى ثامن عشره تحل الشمس برج القوس وفى تاسع عشره يغلق البحر الملح وفى سابع عشريه تهب الرياح اللواقح * وفى هذا الشهر يلبس اهل مصر الصوف من سابعه وفيه يكسر ما يحتاج اليه من قصب السكر برسم المعاصر وبراح الغلة" فى جميع ما يحتاج اليه فيها ويهتم بعلف أبقارها وجمالها بعد بيع شارفها وعاجزها والتعويض عنه بغيره وأفراد الاتبان برسم وقود القنود وترتيب القوامصة لعمل الاباليج والقواديس والامطار برسم القنود والاعسال وفيه يدرك البنفسج والنيلوفر والمنثور ومن البقولات الاسباناخ والبلسان واختار قدماء المصريين فى هاتور نصب الاساسات وزرع القمح وأطيب حملان السنة حمله وفيه يكثر العنب الذى كان يحمل من قوص * (كيهك) اوله الاربعينات بمصر ويدخل الطير وكره وفى سادسه بشارة مريم بحمل عيسى عليهما السلام وفى سابعه اول كانون الاول وفى عاشره آخر الليالى البلق وأولها اول هاتور وفى حادى عشره اول الليالى السود ويدخل النمل الاجحرة وفى ثالث عشره يطلع الفجر بالشولة وتظهر البراغيث ويسخن باطن الارض وفى سادس عشره يسقط ورق الشجر وفى سابع عشره تنقل الشمس الى برج الجدى فيدخل فصل الشتاء ويزرع الهليون وفى حادى عشريه يكون آخر الليالى البلق وفى ثانى عشريه عيد البشارة وفى ثالث عشريه تزرع الحلبة والترمس وفى سادس عشريه يطلع الفجر بالنعائم وفى ثامن عشريه يبيض النعام وفى تاسع عشريه الميلاد * وفى هذا الشهر يزرع الخيار بعد

اغراق

اغراق ارضه وفيه يتكامل بذر القمح والشعير والبرسيم الحراثى وفيه يستخرج خراج البرسيم بدار الوجه القبلى وفيه ترتب حراس الطير وفيه كسر قصب السكر واعتصاره واستخدام الطباخين لطبخ القنود وفيه يكون ادراك النرجس والمحمضات والفول الاخضر والكرنب والجزر والكراث الابيض واللفت وفيه يقل هبوب ريح الشمال ويكثر هبوب ريح الجنوب وفيه يجود الجداء ويكون أطيب منها فى جميع الشهور التى يكون فيها وفيه يزرع اكثر حبوب الحرث ولا يزرع بعده فى شئ من ارض مصر غير السمسم والمقاثى والقطن * (طوبه) فى ثالثه ابتداء زراعة الحمص والجلبان والعدس وفى سادسه اول كانون الثانى وفى تاسعه يطلع الفجر بالبلدة وعاشره صوم الغطاس وحادى عشره الغطاس وفى ثانى عشره يشتد البرد وفى رابع عشره يرتفع الوباء بمصر ويغرس النخل وفى سابع عشره تحل الشمس اول برج الدلو ويكثر الندى ويكون ابتداء غرس الاشجار وفى العشرين منه يكون آخر الليالى السود وحادى عشريه الليالى البلق الثانية وفى ثانى عشريه يطلع الفجر بسعد الذابح وفى ثالث عشريه تهب الرياح الباردة وفى رابع عشريه تفرخ جوارح الطير وفى خامس عشريه يكون نتاج الابل المحمودة وفى سابع عشريه يصفو ماء النيل وفى ثامن عشريه يتكامل ادراك القرط * وفى هذا الشهر تقلم الكروم وينظف زرع الغلة من اللبسان وغيره وينظف زرع الكتان من الفجل وغيره وفيه تبرش الاراضى اول سكة برسم الصيافى والمقاثى والقطن والسمسم وينتهى برشها فى اول امشير وفيه تسقى ارض القلقاس والقصب وتشق الجسور فى آخره وفيه تستخرج أراضى الخرس ويكسر القصب الراس بعد افراز ما يحتاج اليه من الزريعة وهو لكل فدان طين قيراط طيب قصب راس وفيه يهتم بعمارة السواقى وحفر الآبار وابتياع الابقار وفيه يظهر اللوز الاخضر والنبق والهليون وفيه أيضا يكون هبوب ريح الجنوب اكثر من هبوب الشمال وهبوب الصبا اكثر من هبوب الدبور وفيه يكون الباقلا الاخضر والجزر أطيب منهما فى غيره وفيه يتناهى ماء النيل فى صفائه ويخزن فلا يتغير فى أوانيه ولو طال لبثه فيها وفيه تطيب لحوم الضأن أطيب منها فى سائر الشهور وفيه تربط الخيول والبغال على القرط من اجل ربيعها وبطوبه يطالب الناس بافتتاح الخراج ومحاسبة المتقبلين على الثمن من السجلات من جميع ما بأيديهم من المحلول والمعقود *(امشير) فى اوله تختلف الرياح وفى خامسه يطلع الفجر بسعد بلع وفى سادسه يكون اول شباط وفى تاسعه يجرى الماء فى العود وحادى عشره اول جمرة باردة وسادس عشره تحل الشمس بأول برج الحوت وفى سابع عشره يخرج النمل من الاجحرة وفى ثامن عشره يطلع الفجر بسعد السعود وفى العشرين منه ثانى جمرة فاترة وفى ثالث عشريه تقلم الكروم وخامس عشريه يفرخ النحل وسابع عشريه ثالث جمرة حامية ويورق الشجر وهو آخر غرسها وفى آخره يكون آخر الليالى البلق * وفى هذا الشهر يقلع السلجم ويستخرج خراجه وفيه يثنى برش الصيافى وتبرش ايضا ثالث سكة وفيه يعمل مقاطع الجسور وتمسح الاراضى ويرقد البيض فى المعامل اربعة أشهر آخرها بشنس وفيه يكون ريح الشمال اكثر الرياح هبوبا وفيه ينبغى أن تعمل اوانى الخزف للماء لتستعمل فيه طول السنة فان ما عمل فيه من أوانى الخزف يبرد الماء فى الصيف اكثر من تبريد ما يعمل فى غيره من الشهور وفيه يتكامل غرس الشجر وتقليم الكروم وفيه يدرك النبق والاوز الاخضر ويكثر البنفسج والمنثور * ويقال أمشير يقول للزرع سير و يلحق بالطويل القصير وفيه يقل البرد ويهب الهواء الذى فيه سخونة ما وفى امشير يؤخذ الناس فيه باتمام ربع الخراج من السجلات *(برمهات) اول يوم منه يطلع الفجر بالاخبية وفى خامسه يحضن دود القز وسادسه يزرع السمسم وثانى عشره يقلع الكتان ورابع عشره يكون اول الاعجاز ويطلع الفجر بالفرغ المقدم وفى سادس عشره تفتح الحيات أعينها وفى سابع عشره تنتقل الشمس الى برج الحمل وهو أول فصل الربيع ورأس سنة الجند ورأس سنة العالم وفى العشرين منه يكون آخر الاعجاز وثانى عشريه نتاج الخيل المحمودة وثالث عشريه يظهر الذباب الازرق وخامس عشريه تظهر هوام الارض وسابع عشريه يطلع الفجر بالفرغ المؤخر وفى آخره يتفرق السحاب * وفى هذا الشهر تجرى المراكب السفرية فى البحر الملح الى ديار مصر من المغرب والروم ويهتم فيه بتجريد الاجناد الى الثغور كالاسكندرية ودمياط وتنيس ورشيد وفيه كانت تجهز الاساطيل ومراكب الشوانى لحفظ الثغور وفيه زرع المقاثى والصيفى ويدرك الفول والعدس ويقلع الكتان وتزرع اقصاب السكر فى الارض المبروشة المختارة لذلك البعيدة العهد

عن الزراعة ويأخذ المقشرون فى تنظيف الارض المزروعة من القش فى وقت الزراعة ويأخذ القطاعون فى قطع الزريعة ويأخذ المزارعون فى رمى قطع القصب وفيه يؤخذ فى تحصيل النطرون وحمله من وادى هبيت الى الشونة السلطانية وفيه يكون ريح الشمال اكثر الرياح هبوبا وفيه تزهر الاشجار وينعقد اكثر ثمارها وفيه يكون اللبن الرائب اطيب منه فى جميع الشهور التى يعمل فيها وفى برمهات يطالب الناس بالربع الثانى والثمن من الخراج * (برمودة) فى سادسه اول نيسان وفى عاشره يطلع الفجر بالرشاء وفى ثانى عشره يقلع الفجل وفى سابع عشره تحل الشمس اول برج الثور وفى ثالث عشريه يطلع الفجر بالشرطين وهو رأس الحمل وأول منازل القمر وفيه ابتداء كسار الفول وحصاد القمح وهو ختام الزرع * وفى هذا الشهر يهتم بقطع خشب السنط من الحراج الذى كان بمصر فى القديم أيام الدولة الفاطمية والايوبية ويجر الى السواحل لتيسر حمله فى زمن النيل الى ساحل مصر ليعمل شوانى واحطابا برسم الوقود فى المطابخ السلطانية وفيه يكثر الورد ويزرع الخيار شنبر والملوخيا والباذنجان وفيه يقطف اوائل عسل النحل وينفض بزر الكتان واحسن ما يكون الورد فيه من جميع زمانه وفيه يظهر البطن الاول من الجميز وفيه تقع المساحة على اهل الاعمال ويطالب الناس باغلاق نصف الخراج من غلاتهم ويحصد بدرى الزرع * (بشنس) فى خامسه تكثر الفاكهة وسادسه اول ايار وفيه طلوع الفجر بالبطين وثامنه عيد الشهيد وتاسعه انفتاح البحر المالح ورابع عشره يزرع الارز وثامن عشره تحل الشمس اول برج الجوزاء وفيه يطيب الحصاد وفى تاسع عشره يطلع الفجر بالثريا وفيه زراعة الارز والسمسم ورابع عشريه يكون عيد البلسان بالمطرية ويزعمون انه اليوم الذى دخلت فيه مريم الى مصر * وفى هذا الشهر يكون دراس الغلة وهدار الكتان ونفض البزر والتقاوى والاتبان وحملها وفيه زراعة البلسان وتقليمه وسقيه وتكريم أراضيه من بؤونة الى آخر هاتور واستخراج دهنه بعد شرطه فى نصف توت وان كان فى اوله فهو أصلح الى آخر هاتور وصلاح أيامه أيام الندى ويقيم فى الندى سنة كاملة الى أن يشرب اعكاره وأوساخه ويطبخ الدهن فى الفصل الربيعى فى شهر برمهات فيعمل لكل رطل مصرى أربعة وأربعون رطلا من مائة فيحصل منه قدر عشرين درهما وما حولها من الدهن * وفى هذا الشهر اكثر ما يهب من الرياح الشمالية وفيه يدرك التفاح القاسمى ويبتدى فيه التفاح المسكى والبطيخ العبدلى ويقال انه اول ما عرف بمصر عند ما قدم اليها عبد الله بن طاهر بعد المائتين من سنى الهجرة فنسب اليه وقيل له العبدلى وفيه أيضا يبتدئ البطيخ الجربى والمشمش والخوخ الزهرى ويجنى الورد الابيض وفيه تقرر المساحة ويطالب الناس بما يضاف الى المساحة من أبواب وجوه المال كالصرف والجهبذة وحق المراعى والقرط والكتان على رسوم كل ناحية ويستخرج فيه اتمام الربع مما تقررت عليه العقود والمساحة ويطلق الحصاد لجميع الناس * (بؤونه) فى ثانيه يطلع الفجر بالدبران وفى خامسه يتنفس النيل وفى تاسعه أوان قطف النحل وفى حادى عشره تهب رياح السموم وفى ثانى عشره عيد ميكائيل فيؤخذ قاع النيل وفى ثالث عشره يشتد الحر وفى خامس عشره يطلع الفجر بالهنعة وفى عشريه تحل الشمس اول برج السرطان وهو أول فصل الصيف وفى سابع عشريه ينادى على النيل بما زاده من الاصابع وفى ثامن عشريه يطلع الفجر بالهنعة * وفى هذا الشهر تسفر المراكب لاحضار الغلال والتبن والقنود والاعسال وغير ذلك من الاعمال القوصية ونواحى الوجه البحرى وفيه يقطف عسل النحل وتخرص الكروم ويستخرج زكاتها وفيه يندى الكتان ويقلب أربعة اوجه فى بؤونة وأبيب وفيه زراعة النيلة بالصعيد الاعلى وتحصد بعد مائة يوم ثم تترك وتحصد فى كل مائة يوم حصدة ويحصل فى اول كيلك وطوبه وأمشير وبرمهات ويطلع فى برمودة وتحصد فى عشرة أيام من أبيب وتقيم فى الارض الجيدة ثلاث سنين وتسقى كل عشرة أيام دفعتين وثانى سنة ثلاث دفعات وثالث سنة أربع دفعات وفى هذا الشهر يكون التين الفيومى والخوخ الزهرى والكمثرى والقراصيا والقثاء والبلح والحصرم ويبتدئ ادراك العصفر وفيه يدخل بعض العنب ويطيب التوت الاسود ويقطف جمهور العسل فتكون رياحه قليلة والتين يكون فيه أطيب منه فى سائر الشهور وفيه يطلع النخل وفيه يستخرج تمام نصف الخراج مما بقى بعد المساحة * (أبيب) فى سابعه اول تموز وفى عاشره آخر قطع الخشب وفى حادى عشره يطلع الفجر بالذراع وثانى عشره ابتداء تعطين الكتان وفى خامس عشره يقل ماء الآبار وتدرك الفواكه ويموت الدود وفى حادى

عشريه

عشر يه تحل الشمس بأول برج الاسد و تذهب البراغيث و يبرد باطن الارض وتهيج أوجاع العين وفى خامس عشريه يطلع الفجر بالنثرة وفى سادس عشريه تطلع الشعرى العبور اليمانية * وفى هذا الشهر اكثر ما يهب من الرياح الشمال ويكثر فيه العنب ويجود وفيه يطيب التين المقرون بمجىء العنب ويتغير البطيخ العبدلى وتقل حلاوته وتكثر الكمثرى السكرية ويطيب البلح وفيه يقطف بقايا عسل النحل وتقوى زيادة ماء النيل فيقال فى أبيب يدب الماء دبيب وفيه يقلع الكتان بالمبلات ويباع برسيم البذر برسم زراعة القرط والكتان وفيه تدرك ثمرة العنب ويحصد القرطم وفيه تستتم ثلاثة ارباع الخراج *(مسرى) فى سابعه يطلع الفجر بالطرف وفى ثامنه اول آب وفى حادى عشره يجمع القطن وفى رابع عشره يحمى الماء ولا يبرد وفى سابع عشره استكمال الثمار وفى عشريه يطلع الفجر بالجبهة وفى حادى عشريه تحل الشمس برج السنبلة وفى ثالث عشريه يتغير طعم الفاكهة لغلبة ماء النيل على الارض وفى خامس عشريه يكون آخر السموم وفى تاسع عشريه يطلع سهيل بمصر * وفى هذا الشهر يكون وفاء النيل ستة عشر ذراعا فى غالب السنين حتى قيل ان لم يوف النيل فى مسرى فانتظره فى السنة الاخرى وفيه يجرى ماء النيل فى خليج الاسكندرية ويسافر فيه المراكب بالغلال والبهار والسكر وسائر أصناف المتاجر وفيه يكثر البسر وكانوا يخرصون النخل ويخرجون زكاة الثمار فى هذا الشهر عندما كانت الزكوات يجبيها السلطان من الرعية واكثر ما يهب فى هذا الشهر ريح الشمال وفيه يعصر قبط مصر الخمر ويعمل الخل من العنب وفيه يدرك الموز وأطيب ما يكون الموز بمصر فى هذا الشهر وفيه يدرك الليمون التفاحى وكان من جملة أصناف الليمون بأرض مصر ليمون يقال له التفاحى يؤكل بغير سكر لقلة حمضه ولذة طعمه وفيه يكون ابتداء ادراك الرمان واذا انقضت أيام مسرى ابتدأت ايام النسىء ففى اولها ابتداء هيج النعام وفى رابعها يطلع الفجر بالخراتان وفى مسرى يغلق الفلاحون خراج أراضى زراعاتهم وكانوا يؤخرون البقايا على دق الكتان فى مسرى وأبيب لان الكتان يبل فى توت ويدق فى بابه

(ذكر تحويل السنة الخراجية القبطية الى السنة الهلالية العربية)

وكيف عمل ذلك فى الاسلام قد تقدم فيما سلف من هذا الكتاب التعريف بالسنة الشمسية والسنة القمرية وما للامم فى كبس السنين من الآراء فلما جاء الله تعالى بالاسلام تحترز المسلمون من كبس السنين خشية الوقوع فى النسىء الذى قال الله سبحانه وتعالى فيه انما النسىء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا ثم لما رأوا تداخل السنين القمرية فى السنين الشمسية اسقطوا عند رأس كل اثنتين وثلاثين سنة قمرية سنة وسموا ذلك الازدلاق لان لكل ثلاث وثلاثين سنة قمرية اثنتين وثلاثين سنة شمسية بالتقريب وسأتلو عليك من نبا ذلك ما لم أره مجموعا * قال ابو الحسين عبد الله بن احمد بن ابى طاهر فى كتاب أخبار امير المؤمنين المعتضد بالله ابى العباس احمد بن ابى احمد طلحة الموفق ابن المتوكل ومنه نقلت وخرج أمر المعتضد فى ذى الحجة سنة احدى وثمانين ومائتين بتصيير النوروز لاحدى عشرة ليلة خلت من حزيران رأفة بالرعية وايثارا الارفاق بها وقالوا خرج التوقيع فى المحرم سنة اثنتين وثمانين ومائتين بانشاء الكتب الى جميع العمال فى النواحى والامصار بترك افتتاح الخراج فى النوروز الفارسى الذى يقع يوم الجمعة لاحدى عشرة ليلة خلت من صفر وأن يجعل ما يفتتح من خراج سنة اثنتين وثمانين ومائتين يوم الاربعاء لثلاث عشرة ليلة تخلو من شهر ربيع الآخر من هذه السنة وهو اليوم الحادى عشر من حزيران ويسمى هذا النوروز المعتضدى ترفيها لاهل الخراج ونظرا لهم ونسخة التوقيع الخارج فى تصيير افتتاح الخراج فى حزيران (أما بعد) فان الله لما خول أمير المؤمنين للمحل الذى احله به من امور عباده وبلاده رأى أن من حق الله عليه أن لا يكلفها الا ما به العدل والانصاف لها والسيرة القاصدة وأن يتولى لها اصلاح امورها ويستقرئ السير والمعاملات التى كانت تعامل بها ويقر منها ما اوجب الحق اقراره ويزيل ما اوجب ازالته غير مستكثر لها كثير ما يسقطه العدل ولا مستقل لها قليل ما يلزمه اياها الجور وقد وفق الله أمير المؤمنين لما يرجو أن يكون لحق الله فيها قاضيا ولنصيبها من العدل موازيا وبالله يستعين امير المؤمنين على حفظ ما استرعاه منها وحياطة ما قلده من امورها وهو خير موفق ومعين وان أبا القاسم عبيد الله رفع الى أمير المؤمنين فيما أمر أمير المؤمنين به من رد النوروز الذى يفتتح به الخراج بالعراق والمشرق وما يتصل بهما ويجرى مجراهما من الوقت

الذى صار فيه من الزمان الى الوقت الذى كان عليه متقدما مع ما أمر به فى مستقبل السنين من الكبس حتى يصير العدل عامّا فى الزمان كله باقيا على غابر الدهر ومرّ الايام مواءمرة أمير المؤمنين فأمر بتسجيلها لك فى آخر كتابه مع ما وقع به فيها التمثيله فافعل ذلك ان شاء الله تعالى والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وكتب يوم الخميس لثلاث عشرة خلت من ذى الحجة سنة احدى وثمانين ومائتين * نسخة المواءمرة أنهيت الى امير المؤمنين أن مما انعم الله به على رعيته ورزقها اياه من رأفته وحسن نظره واقامته عليها من عدله وانصافه ورفعه عنها فى خلافته من الظلم الشامل ما كان الاقصى والادنى والصغير والكبير والمسلم والذمى فيه سواء ما حررته من نقل كتب الخراج عن السنة التى كانت تنسب اليها من سنى الهجرة الى السنة التى فيها تدرك الغلات ويستخرج المال وان ذلك ما كان بعض اهل الجهل حاوله وبعض المتغلبين استعمله من تثبيت الخراج على اهله ومطالبتهم به قبل وقت الزراعة واعناتهم بذكر سنة من السنتين اللتين ينسب الخراج لاحداهما وتدرك الغلات ويقع الاستخراج فى الاخرى منهما فى حساب شهور الفرس التى عليها يجرى العمل فى الخراج بالسواد وما يليه والاهواز وفارس والجبل وما يتصل به من جميع نواحى المشرق وما يضاف اليه اذا كان عمل الشأم والجزيرة والموصل يجرى على حساب شهور الروم الموافقة للازمنة فليست تختلف اوقاتها مع الكبيسة المستعملة فيها والعمل فى خراج مصر وما والاها على شهور القبط الموافقة لشهور الروم وكانت من شهور الفرس قد خالفت موافقها من الزمان بما ترك من الكبس منذ أزال الله ملك فارس وفتح للمسلمين بلادهم فصار النوروز الذى كان الخراج يفتتح فيه بالعراق والمشرق قد تقدم فى ترك الكبس شهرين وصار ابينه وبين ادراك الغلة فأمر أمير المؤمنين بما جبل الله عليه رأيه فى التوصل الى كل ما عاد بصلاح رعيته وحسما للاسباب المؤدية الى اعناتها بتأخير النوروز الذى يقع فى شهور سنة اثنتين وثمانين ومائتين من سنى الهجرة عن الوقت الذى يتفق فيه أيام سنة الفرس وهو يوم الجمعة لاحدى عشرة تخلو من صفر مثل عدة أيام الشهرين من شهور الفرس التى ترك كبسها وهى ستون يوما حتى يكون نوروز السنة واقعا يوم الاربعاء لثلاث عشرة ليلة تخلو من شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وثمانين ومائتين وهو الحادى عشر من حزيران وهو يتصل بهما ويجرى مجراهما وينسب ويضاف اليهما وبسائر أعمالهم وبما يعمله اصحاب الحساب من التقويمات وجميع الاعمال وما يعده الفرس من شهورهم الى شهوره الكبيسة الاول والاخر ثم يكبس بعد ذلك فى كل اربع سنين من سنى الفرس ولا يقع تفاوت بينه وبينها على مرور الايام ولكن ابدا واقعا فى حزيران وغير خارج عنه وأن يلغى ذكر كل سنة من أربع سنين تنسب الى الخراج بالعراق وفى المشرق والمغرب وسائر النواحى والآفاق اذ كان مقدار سنى أيام الهجرة والسنة الجامعة للازمنة التى تتكامل فيها الغلات وأن يخرج التوقيع بذلك لتنشأ الكتب به من ديوان الرسائل الى ولاة المعاون والاحكام وتقرأ على المنابر ويحمل أصحاب المعاون الرعية عليه وتأخذها بامتثال ما أمر به أمير المؤمنين وسنة الحكام فى ديوان حكمهم لتمثيل الضمان والمقاطعين ذلك على حسبه وأستطلع رأى امير المؤمنين فى ذلك فرأى امير المؤمنين فى ذلك موفق ان شاء الله تعالى وتكتب نسخة التوقيع بتنفيذ ذلك ان شاء الله تعالى وكتب فى شهر ذى الحجة سنة احدى وثمانين ومائتين * قال وكان السبب فى نقل الخراج الى حزيران فى أيام المعتضد ما حدثنى به ابو احمد يحيى بن على بن يحيى المنجم القديم قال كنت أحدث امير المؤمنين المعتضد فذكرت خبر المتوكل فى تأخير النوروز فاستحسنه وقال لى كيف كان ذلك قلت حدثنى ابى قال دخل المتوكل قبل تأخير النوروز بعض بساتينه الخاصة التى كانت فى يدى وهو متوكئ على يحادثنى وينظر الى ما أحدث فى ذلك البستان فمر بزرع فرآه اخضر فقال يا على ان الزرع اخضر بعد ما أدرك وقد استأمرنى عبيد الله بن يحيى فى استفتاح الخراج فكيف كانت الفرس تستفتح الخراج فى النوروز والزرع لم يدرك بعد قال فقلت له ليس يجرى الامر اليوم على ما كان يجرى عليه فى أيام الفرس ولا النوروز فى هذه الايام فى وقته الذى كان فى أيامها قال وكيف ذاك فقلت لانها كانت تكبس فى كل مائة وعشرين سنة شهرا وكان النوروز اذا تقدم شهرا وصار فى خمس من حزيران كبست ذلك الشهر فصار فى خمس من ايار وأسقطت شهرا وردته الى خمس من حزيران فكان لا يتجاوز هذا فلما تقلد العراق خالد بن عبد الله القسرى وحضر الوقت الذى تكبس فيه الفرس منعها من ذلك وقال هذا من النسىء الذى نهى الله عنه فقال انما النسىء زيادة فى الكفر وأنا لا أطلقه حتى أستأمر فيه امير المؤمنين فبذلوا على ذلك مالا جليلا فامتنع عليهم

من

من قبوله وكتب الى هشام بن عبد الملك يعرّفه ذلك ويستأمره ويعلمه انه من النسىء الذى نهى الله عنه فأمر بمنعهم من ذلك فلما امتنعوا من الكبس تقدّم النوروز تقدّما شديدا حتى صار يقع فى نيسان والزرع أخضر فقال له المتوكل فاعمل لهذا يا علىّ عملا تردّ النوروز فيه الى وقته الذى كان يقع فيه فى ايام الفرس وعرّف بذلك عبيد الله ابن يحيى وأدّ اليه رسالة منى فى أن يجعل استفتاح الخراج فيه قال فصرت الى ابى الحسن عبيد الله بن يحيى وعرّفته ما جرى بينى وبين المتوكل وأدّيت اليه رسالته فقال لى يا ابا الحسن قد والله فرّجت عنى وعن الناس وعملت عملا كثيرا يعظم ثوابك عليه وكسبت لامير المؤمنين اجرا وشكرا فأحسن الله جزاءك فمثلك من يجالس الخلفاء وأحب أن يتقدم بالعمل الذى أمر به المتوكل وينفذه الىّ حتى اجرى الامر عليه واتقدم فى كتب الكتب باستفتاح الخراج قال فرجعت وحرّرت الحساب فوجدت النوروز لم يكن يتقدم فى ايام الفرس اكثر من شهر يتقدم من خمس تخلو من حزيران فيصير فى خمسة ايام تخلو من ايار فتكبس سنتها وتردّه الى خمسة ايام من حزيران وأنفذته الى عبيد الله بن يحيى فأمر أن يستفتح الخراج فى خمس من حزيران وتقدم الى ابراهيم ابن العباس فى أن ينشئ كتابا عن أمير المؤمنين فى ذلك ينفذ نسخته الى النواحى فعمل ابراهيم بن العباس كتابه المشهور فى أيدى الناس * قال ابو احمد فقال لى المعتضد يا يحيى هذا والله فعل حسن وينبغى أن يعمل به فقلت ما احد أولى بفعل الحسن واحياء السنن الشريفة من سيدنا ومولانا أمير المؤمنين لما جمعه الله فيه من المحاسن ووهبه له من الفضائل فدعا بعبيد الله بن سليمان وقال له اسمع من يحيى ما يخبرك به وأمض الامر فى استفتاح الخراج عليه قال فصرت مع عبيد الله بن سليمان الى الديوان وعرّفته الخبر فأحب تأخيره عن ذلك لئلا يجرى الامر المجرى الاول بعينه فجعله فى احد عشر من حزيران واستأمر المعتضد فى ذلك فأمضاه فقلت فى ذلك شعرا انشدته للمعتضد فى هذا المعنى

يوم نوروزك يوم * واحد لا يتأخر
من حزيران يوافى * أبدا فى احد عشر

قال وأخبرنى بعض مشايخ الكتّاب قال وكانت الخلفاء تؤخر النوروز عن وقته عشرين يوما واقل واكثر ليكون ذلك سببا لتأخير افتتاح الخراج على اهله * وأمّا المهرجان فلم تكن تؤخره عن وقته يوما واحدا فكان اول من قدّمه عن وقته يوم المعتمد بمدينة السلام فى سنة خمس وستين ومائتين وأمر المعتضد بتأخير النوروز عن وقته ستين يوما وقال ابو الريحان محمد بن احمد البيرونى فى كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية ومنه نقلت ما ذكر ابن أبى طاهر وزاد ونفذت الكتب الى الآفاق يعنى عن المتوكل فى محرّم سنة ثلاث واربعين ومائتين وقتل المتوكل ولم يتم له ما دبر واستمر الامر حتى قام المعتضد فاحتذى ما فعله المتوكل فى تأخير النوروز غير أنه نظر فاذا المتوكل اخذ ما بين سنته وبين اول تاريخ يزدجرد فأخذ المعتضد ما بين سنته وبين السنة التى زال فيها ملك الفرس بهلاك يزدجرد ظنا أن اهمالهم أمر الكبس من ذلك الوقت فوجده مائتى سنة وثلاثا وأربعين سنة حصتها من الارباع ستون يوما وكسر فزاد ذلك على النوروز فى سنة وجعله منتهى تلك الايام وهو من خرداد ماه فى تلك السنة وكان يوم الاربعاء ويوافقه اليوم الحادى عشر من حزيران ثم وضع النوروز على شهور الروم لتكبس شهوره اذا كبست الروم شهورها وقال القاضى السعيد ثقة الثقات ذو الرياستين أبو الحسن علىّ بن القاضى المؤتمن ثقة الدولة أبى عمرو عثمان بن يوسف المخزومى فى كتاب المنهاج فى علم الخراج والسنة الخراجية مركبة على حكم السنة الشمسية لان السنة الشمسية ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم ورتب المصريون سنتهم على ذلك ليكون أداء الخراج عند ادراك الغلات من كل سنة ووافقها السنة القبطية لان أيام شهورها ثلثمائة وستون يوما ويتبعها خمسة ايام النسىء وربع يوم بعد تقضى مسرى وفى كل أربع سنين تكون أيام النسىء ستة أيام لينجبر الكسر ويسمون تلك السنة كبيسة وفى كل ثلاث وثلاثين سنة تسقط سنة فيحتاج الى نقلها لاجل الفصل بين السنين الشمسية والسنين الهلالية لان السنة الشمسية ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم والسنة الهلالية ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما وكسر ولما كان كذلك احتيج الى استعمال النقل الذى تطابق به احدى السنتين الاخرى وقد قال ابو الحسن علىّ بن الحسن الكاتب رحمه الله عهدت جباية أموال الخراج فى سنين قبل سنة احدى وأربعين ومائتين من خلافة أمير المؤمنين

المتوكل على الله رحمة الله عليه تجرى كل سنة فى السنة التى بعدها بسبب تاخير الشهور الشمسية عن الشهور القمرية فى كل سنة احد عشر يوما وربع يوم وزيادة الكسر عليه فلما دخلت سنة اثنتين وأربعين ومائتين كان قد انقضى من السنين التى قبلها ثلاث وثلاثون سنة اولهن سنة ثمان ومائتين من خلافة أمير المؤمنين المأمون رحمة الله عليه واجتمع من هذا المتأخر فيها أيام سنة شمسية كاملة وهى ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم وزيادة الكسر وبها ادراك غلات وثمار سنة احدى وأربعين ومائتين فى صفر سنة اثنتين وأربعين ومائتين وأمر أمير المؤمنين المتوكل على الله رحمة الله عليه بالغاء ذكر سنة احدى وأربعين ومائتين اذ كانت قد انقضت ونسب الخراج الى سنة اثنتين وأربعين ومائتين فجرت الاعمال على ذلك سنة بعد سنة الى أن انقضت ثلاث وثلاثون سنة آخرهن انقضاء سنة أربع وسبعين ومائتين فلم ينبه كتاب أمير المؤمنين المعتمد على الله رحمة الله عليه على ذلك اذ كان رؤساؤهم فى ذلك الوقت اسماعيل بن بلبل وبنى الفرات ولم يكونوا عملوا فى ديوان الخراج والضياع فى خلافة أمير المؤمنين المتوكل على الله رحمة الله عليه ولا كانت اسنانهم اسنانا بلغت معرفتهم معها هذا النقل بل كان مولد احمد بن محمد بن الفرات قبل هذه السنة بخمس سنين ومولد على أخيه فيها وكان اسماعيل بن بلبل يتعلم فى مجلس لم يبلغ أن ينسخ فلما تقلدت لناصر الدين أبى احمد طلحة الموفق رحمه الله أعمال الضياع بقزوين ونواحيها لسنة ست وسبعين ومائتين وكان مقيما بأذربيجان وخليفته بالجبل جرادة بن محمد واحمد بن محمد كاتبه واحتجت الى رفع جماعتى اليه ترجمتها بجماعة سنة ست وسبعين ومائتين التى أدركت غلاتها وثمارها فى سنة سبع وسبعين ومائتين ووجب الغاء ذكر سنة ست وسبعين ومائتين فلما وقفا على هذه الترجمة انكراها وسألانى عن السبب فيها فشرحت لهما واكدت ذلك بأن عرفتهما انى قد استخرجت حساب السنين الشمسية والسنين القمرية من القرآن الكريم بعدما عرضته على اصحاب التفسير فذكروا انه لم يأت فيه شئ من الاثر فكان ذلك اوكد فى لطف استخراجى وهو أن الله تعالى قال فى سورة الكهف ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا فلم أجد احدا من المفسرين عرف معنى قوله وازدادوا تسعا وانما خاطب الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بكلام العرب وما تعرفه من الحساب فمعنى هذه التسع أن الثلثمائة كانت شمسية بحساب العجم ومن كان لا يعرف السنين القمرية فاذا أضيف الى الثلثمائة القمرية زيادة التسع كانت سنين شمسية صحيحة فاستحسناه فلما انصرف جرادة مع الناصر لدين الله الى مدينة السلام وتوفى الناصر رحمه الله وتقلد القاسم عبيد الله بن سليمان كتابة أمير المؤمنين المعتضد بالله أجرى له جرادة ذكر هذا النقل وشرح له سببه تقربا اليه وطعنا على أبى القاسم عبيد الله فى تأخيره اياه فلما وقف المعتضد على ذلك تقدم الى أبى القاسم بانشاء الكتب بنقل سنة ثمان وسبعين الى سنة تسع وسبعين ومائتين وكان هذا النقل بعد أربع سنين من وجوبه ثم مضت السنون سنة بعد سنة الى أن انقضت الآن ثلاث وثلاثون سنة اولاهن السنة التى كان النقل وجب فيها وهى سنة خمس وسبعين ومائتين وآخرتهن انقضاء سنة سبع وثلثمائة وقد تهيأ ادراك الغلات والثمار فى صدر سنة ثمان وثلثمائة ونسبته اليها وقد عملت نسخة هذا النقل نسختها تحت هذا الموضع ليوقف عليها وقد كان اصحاب الدواوين فى أيام المتوكل لما نقل سنة احدى وأربعين ومائتين الى سنة اثنتين واربعين ومائتين جبوا الجوالى والصدقات لسنتى احدى واثنتين وأربعين ومائتين فى وقت واحد لان الجوالى بسر من رآى ومدينة السلام وقصب المدن المشهورة كانت تجبى على شهور الاهلة وما كان من جماجم اهل القرى فى الخراج والضياع والصدقات والمستغلات كان يجبى على شهور الشمس وفى ثلاث وثلاثين سنة اجتمعت أيام سنة شمسية كاملة فألزم اهل الذمة خاصة بالجوالى ورفعها العمال فى حساباتهم فمن لم يرفعها ألزموه بجوالى السنة الزائدة فأحفظ انه اجتمع من ذلك الوف دراهم ثم جددت الكتب الى العمال بأن تكون حساباتهم الجوالى على شهور الاهلة تجرى الامر على ذلك قال القاضى ابو الحسن وقد كان النقل اغفل فى الديار المصرية حتى كانت سنة تسع وتسعين واربعمائة الهلالية تجرى مع سنة سبع وتسعين الخراجية فنقلت سنة سبع وتسعين واربعمائة الى سنة احدى وخمسمائة هكذا رأيت فى تعليقات أبى رحمه الله وآخر ما نقلت السنة فى وقتنا هذا سنة خمس وستين وخمسمائة الى سنة سبع وستين وخمسمائة الهلالية فتطابقت السنتان وذلك انى لما قلت للقاضى الفاضل ابى على

عبد الرحيم بن على البيسانى انه قد آن نقل السنة فانشأ سجلا بنقلها نسخ الدواوين وحمل الامر على حكمه وما برح الملوك والوزراء يعتنون بنقل السنين فى احيانها * وقال ابو الحسين هلال بن المحسن الصابى حدثنى ابو على قال لما أراد الوزير ابو محمد المهلبى نقل سنة خمس وثلثمائة الهلالية امر أبا اسحاق والدى وغيره من كتابه فى الخراج والرسائل بانشاء كتاب عن المطيع لله فى هذا المعنى فكتب كل منهم وكتب والدى الكتاب الموجود فى رسائله وعرضت النسخ على الوزير فاختاره منها وتقدم بأن يكتب الى اصحاب الاطراف وقال لابى الفرج بن ابى هشام خليفته اكتب الى العمال بذلك كتبا محققة وانسخ فى اواخرها هذا الكتاب السلطانى فغاظ أبا الفرج وقوع التفضيل والاختيار لكتاب والدى وقد كان عمل نسخة اطرحت فى جملة ما اطرح وكتب قد رأينا نقل سنة خمسين الى احدى وخمسين فاعمل على ذلك ولم ينسخ الكتاب السلطانى وعرف الوزير ما كتب به ابو الفرج فقال له لماذا اغفلت نسخ الكتاب السلطانى فى آخر الكتب الى العمال واثباته فى الديوان فأجاب جوابا عللّ فيه فقال له يا أبا الفرج ما تركت ذلك الا حسدا لابى اسحاق وهو والله فى هذا الفن اكتب اهل زمانه فأعد الآن الكتب وانسخ الكتاب فى اواخرها قال القاضى ابو الحسن وأنا اذكر بمشيئة الله نسخة الكتاب الذى أشار اليه ابو الحسن على بن الحسن الكاتب وكتاب أبى اسحاق وكتاب القاضى الفاضل ليستبين للناظر طريق نقل السنين الخراجية الى السنين الهلالية فاذا قاربت الموافقة وحسنت فيها المطابقة فالكتاب الفاضلى اكثر مجازا وأعظم اعجازا ولا يخفى على المتأمل قدر ما اورد فيه من البلاغة كما لا يخفى على العارف قدر ما تضمنه كتاب الصابى من الصناعة * نسخة الكتاب الذى أشار اليه ابو الحسن الكاتب * ان أولى ما صرف اليه أمير المؤمنين عنايته وأعمل فيه فكره ورويته وشغل فيه تفقده ورعايته أمر الفىء الذى خصه الله به وألزمه جمعه وتوفيره وحياطته وتكثيره وجعله عماد الدين وقوام أمر المسلمين وفيما يصرف منه الى اعطيات الاولياء والجنود ومن يستعان به لتحصين البيضة والذب عن الحريم وحج البيت وجهاد العدو وسد الثغور وأمن السبيل وحقن الدماء واصلاح ذات البين وأمير المؤمنين يسأل الله تعالى راغبا اليه ومتوكلا عليه أن يحسن عونه على ما حمله منه ويديم توفيقه بما أرضاه وارشاده الى أن يقضى عنه وله وقد نظر امير المؤمنين فيما كان يجرى عليه أمر جباية هذا الفىء فى خلافة آبائه الراشدين صلوات الله عليهم فوجده على حسب ما كان يدرك من الغلات والثمار فى كل سنة اولا اولا على مجارى شهور سنى الشمس فى النجوم التى يحل مال كل صنف منها فيها ووجد شهور السنة الشمسية تتأخر عن شهور السنة الهلالية أحد عشر يوما وربعا وزيادة عليه ويكون ادراك الغلات والثمار فى كل سنة بحسب تأخرها فلا تزال السنون تمضى على ذلك سنة بعد سنة حتى تنقضى منها ثلاث وثلاثون سنة وتكون عدة الايام المتأخرة منها أيام سنة شمسية كاملة وهى ثلثمائة وخمسة وستون يوما وربع يوم وزيادة عليه فحينئذ يتهيأ بمشيئة الله تعالى وقدرته ادراك الغلات التى تجرى عليها الضرائب والطسوق فى استقبال المحرم من سنى الاهلة ويجب مع ذلك الغاء السنة الخارجة اذا كانت قد انقضت ونسبتها الى السنة التى أدركت الغلات والثمار فيها لانه وجد ذلك قد كان وقع فى أيام أمير المؤمنين المتوكل على الله رحمة الله عليه عند انقضاء ثلاث وثلاثين سنة آخرهن سنة احدى وأربعين ومائتين فجرت المكاتبات والحسبانات وسائر الاعمال بعد ذلك سنة بعد سنة الى أن مضت ثلاث وثلاثون سنة آخرتهن انقضاء سنة أربع وسبعين ومائتين ووجب انشاء الكتب بالغاء ذكر سنة أربع وسبعين ومائتين ونسبتها الى سنة خمس وسبعين ومائتين فذهب ذلك على كتاب أمير المؤمنين المعتمد على الله وتأخر الامر أربع سنين الى أن أمر أمير المؤمنين المعتضد بالله رحمة الله عليه فى سنة سبع وسبعين ومائتين بنقل خراج سنة ثمان وسبعين الى سنة تسع وسبعين ومائتين فجرى الامر على ذلك الى أن انقضت فى هذا الوقت ثلاث وثلاثون سنة اولاهن السنة التى كان يجب نقلها فيها وهى سنة خمس وسبعين ومائتين وآخرتهن انقضاء شهور خراج سنة سبع وثلثمائة ووجب افتتاح خراج ما يجرى على الضرائب والطسوق فى اولها وان من صواب التدبير واستقامة الاعمال واستعمال ما يخف على الرعية معاملتها به نقل سنة الخراج سنة سبع وثلثمائة الى سنة ثمان وثلثمائة فرأى أمير المؤمنين لما يلزمه نفسه ويؤاخذها به من العناية بهذا الفىء وحياطة اسبابه واجرائها مجاريها وسلوك سبيل آبائه الراشدين رحمة الله عليهم اجمعين فيها أن يكتب اليك والى سائر

العمال فى النواحى بالعمل على ذلك وأن يكون مايصدر اليكم من الكتب وتصدرونه منكم وتجرى عليه أعمالكم ورفوعكم وحسباناتكم وسائر مناظراتكم على هذا النقل فاعلم ذلك من رأى أمير المؤمنين واعمل به مستشعرا فيه وفى كل مضنة تقوى الله وطاعته ومستعملا عليه ثقات الاعوان وكفاتهم ومشرفا عليهم ومقوما لهم واكتب بما يكون منك فى ذلك ان شاء الله تعالى * (نسخة ابى اسحاق الصابى) * أما بعد فان أمير المؤمنين لازال مجتهدا فى مصالح المسلمين وباعثا لهم على مراشد الدنيا والدين ومهيأ لهم احسن الاختيار فيما يوردون ويصدرون وأصوب الرأى فيما يبرمون وينقضون فلا يلوح له خلة داخلة على امورهم الا سدها وتلافاها ولا حال عائدة بحظ عليهم الا اعتمدها وأتاها ولا سنة عادلة الا أخذهم باقامة رسمها وامضاء حكمها والاقتداء بالسلف الصالح فى العمل بها والاتباع لها واذا عرض من ذلك ما تعلمه الخاصة بوفور ألبابها وتجهله العامة بقصور أفهامها وكانت اوامره فيه خارجة اليك والى امثالك من أعيان رجاله وأماثل عماله الذين يكتفون بالاشارة ويجتزون بيسير الابانة والعبارة لم يدع أن يبلغ من تخليص اللفظ وايضاح المعنى الى الحد الذى يلحق المتأخر بالمتقدم ويجمع بين العالم والمتعلم ولاسيما اذا كان ذلك فيما يتعلق بمعاملات الرعية ومن لا يعرف الا الظواهر الجلية دون البواطن الخفية ولا يسهل عليه الانتقال عن العادات المتكررة الى الرسوم المتغيرة ليكون القول بالمشروح لمن برز فى المعرفة مذكرا ولمن تأخر فيها مبصرا ولانه ليس من الحق أن تمنع هذه الطبقة من برد اليقين فى صدورها ولا أن يقتصر على اللمعة الدالة فى مخاطبة جمهورها حتى اذا استوت الاقدام بطوائف الناس فى فهم ما أمروا به وفقه ما دعوا اليه وصاروا على حكمه سواء لا يعترضهم شك الشاكين ولا استرابة المسترببين اطمأنت قلوبهم وانشرحت صدورهم وسقط الخلاف بينهم واستمر الاتفاق بهم واستيقنوا أنهم مؤسسون على استقامة من المنهاج ومحروسون من حوائز الزيغ والاعوجاج فكان الانقياد منهم وهم دارون عالمون لا مقلدون مسلمون وطائعون مختارون لا مكرهون ولا مجبرون وأمير المؤمنين يستمد الله تعالى فى جميع أغراضه ومراميه ومطالبه ومغازيه مادة من صنعه يقف بها على سنن الصلاح ويفتح له ابواب النجاح وينهضه بما اهله لحمله من الاعباء التى لا يدعى الاستقلال بها الا بتوفيقه ومعونته ولا يتوجه فيها الا بدلالته وهدايته وحسب أمير المؤمنين الله ونعم الوكيل يرى أن اولى الاقوال أن يكون سدادا واحرى الافعال أن يكون رشادا ماوجد له فى السابق من حكم الله اصول وقواعد وفى النص من كتابه آيات وشواهد وكان منصبا بالامة الى قوام من دين أو دنيا ووفاق فى آخرة اواولى فذلك هو البناء الذى يثبت ويعلو والغرس الذى ينبت ويزكو والسعى الذى تنجح مباديه وهواديه وتبهج عواقبه وتواليه وتستنير سبله لسالكيها وتوردهم موارد السعود فى مقاصدهم فيها غير ضالين ولا عادلين ولا منحرفين ولا زائلين وقد جعل الله عزوجل لعباده من هذه الافلاك الدائرة والنجوم السائرة فيما تتقلب عليه من اتصال وافتراق ويتعاقب عليها من اختلاف واتفاق منافع تظهر فى كرور الشهور والاعوام ومرور الليالى والايام وتفاوت الضياء والظلام واعتدال المسالك والاوطان وتغاير الفصول والازمان ونشو النبات والحيوان مما ليس فى نظام ذلك خلل ولا فى صنعه زلل بل هو منوط بعضه ببعض ومحوط من كل ثلمة ونقض قال الله تعالى هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ما خلق الله ذلك الا بالحق وقال جل من قائل الم تر أن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل وسخر الشمس والقمر كل يجرى الى اجل مسمى وان الله بما تعملون خبير وقال تعالى والشمس تجرى لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم وقال عزت قدرته والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم ففضل الله تعالى بهذه الآيات بين الشمس والقمر وأنبأنا فى الباهر من حكمه والمعجز من كلامه أن لكل منهما طريقا سخر فيها وطبيعة جبل عليها وأن تلك المباينة والمخالفة فى المسير يؤديان الى موافقة وملازمة فى التدبير فمن هنالك زادت السنة الشمسية فصارت ثلثمائة وخمسة وستين يوما وربعا بالتقريب المعمول عليه وهى المدة التى تقطع الشمس فيها الفلك مرة واحدة ونقصت الهلالية فصارت ثلثمائة واربعة وخمسين يوما وهى المدة التى يجامع القمر فيها الشمس اثنتى عشرة مرة واحتيج اذا انساق هذا الفضل الى استعمال النقل الذى يطابق احدى السنتين بالاخرى اذا افترقتا ويدانى بينهما اذا تفاوتتا ومازالت الامم السالفة تكبس زيادات السنين على افتنان من طرقها ومذاهبها وفى كتاب الله عزوجل شهادة بذلك اذ يقول فى قصة اهل الكهف ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة

سنين

سنين وازدادوا تسعا فكانت هذه الزيادة بأن الفضل فى السنين المذكورة على تقريب التقريب فأما الفرس فانهم اجروا معاملاتهم على السنة المعتدلة التى شهورها اثناعشر شهرا وأيامها ثلثمائة وستون يوما ولقبوا الشهور باثنى عشر لقبا وسموا أيام الشهر منها بثلاثين اسما وأفردوا الخمسة الايام الزائدة وسموها المسترقة وكبسوا الربع فى كل مائة وعشرين سنة شهرا فلما انقرض ملكهم بطل فى كبس هذا الربع تدبيرهم وزال نوروزهم عن سننه وانفرج ما بينه وبين حقيقة وقته انفراجا هو زائد لا يقف ودائر لا ينقطع حتى ان موضوعهم فى النوروز أن يقع فى مدخل الصيف وسينتهى الى أن يقع فى مدخل الشتاء ويتجاوز ذلك وموضوعهم فى المهرجان أن يقع فى مدخل الشتاء وينتهى الى أن يقع فى مدخل الصيف ويتجاوز وأما الروم فكانوا اتقن منهم حكمة وأبعد نظرا فى العاقبة لانهم رتبوا شهور السنة على ارصاد شهروها وأنواء عرفوها وفضوا الخمسة الايام على الشهور وساقوها على الدهور وكبسوا الربع فى كل أربع سنين يوما ورسموا أن يكون الى شباط مضافا فاقتربوا ما بعده غيرهم وسهلوا على الناس أن يقتفوا اثرهم لاجرم ان المعتضد بالله رحمه الله على اصولهم بنى ولمثالهم احتذى فى تصييره نوروزه اليوم الحادى عشر من حزيران حتى سلم مما لحق النواريز فى سالف الازمان وتلافوا الامر فى عجز سنى الهلال عن سنى الشمس بأن جبروها بالكبس فكلما اجتمع من فصول سنى الشمس وما بقى تمام شهر جعلوا السنة الهلالية يتفق ذلك فيها ثلاثة عشر هلالا فربما تم الشهر الثالث عشر فى ثلاث سنين وربما تم فى سنتين بحسب ما يوجبه الحساب فتصير سنتا الشمس والهلال عندهم متقاربتين ابدا لا يتباعد ما بينهما وأما العرب فان الله تعالى فضلها على الامم الماضية وورثها ثمرات مشاقها المتعبة وأجرى شهر صيامها ومواقيت أعيادها وزكاة اهل ملتها وجزية اهل ذمتها على السنة الهلالية وتعبدها فيها برؤية الاهلة ارادة منه أن تكون مناهجها واضحة وأعلامها لائحة فيتكافأ فى معرفة الغرض ودخول الوقت الخاص منها والعام والناقص الفقه والتام والانثى والذكر والصغير والكبير والاكبر فصاروا حينئذ يحسبون فى سنة الشمس حاصل الغلات المقسومة وخراج الارض الممسوحة ويجبون فى سنة الهلال الجوالى والصدقات والارجاء والمقاطعات والمستغلات وسائر ما يجرى على المشاهرات وحدث من التداخل بين السنين ما لو استمر لقبح جدا وازداد بعدا اذ كانت الجباية الخراجية فى السنة التى ينتهى اليها تنسب الى الشمسية والى ما قبلها فوجب مع هذا أن تطرح تلك السنة وتلغى ويتجاوز الى ما بعدها ويتخطى ولم يجز لهم أن يعتدوا لمخالفتهم فى كبس السنة الهلالية بشهر ثالث عشر ولانهم لو فعلوا ذلك لزحزحت الاشهر الحرم عن مواقعها وارتجت المناسك عن حقائقها ونقصت الجباية فى سنى الاهلة القبطية بقسط ما استغرقه الكبس منها فانتظروا بذلك الفضل الى أن تتم السنة وأوجب الحساب المقرب أن يكون كل اثنتين وثلاثين سنة شمسية ثلاثا وثلاثين هلالية فنقلوا المتقدمة الى المتاخرة نقلا لا يتجاوز الشمسية وكانت هذه الكافة فى دنياهم مستسهلة مع تلك النعمة فى دينهم وقد رأى أمير المؤمنين نقل سنة خمسين وثلثمائة الخراجية الى سنة احدى وخمسين وثلثمائة الهلالية جمعا بينهما ولزوما لتلك السنة فيهما فاعمل بما ورد به امر أمير المؤمنين عليك وتضمنه كتابه هذا اليك ومر الكتاب قبلك أن يحتذوا رسمه فيما يكتبون به الى عمال نواحيك ويخلدونه فى الدواوين من ذكورهم ورفوعهم ويعدونه من خروج الاموال وينظمونه فى الدواوين والاعمال ويثبتون عليه الجماعات والحسبانات ويوعزون بكتبه من الروزنامجات والبرآت وليكن المنسوب من ذلك الى سنة خمسين وثلثمائة التى وقع النقل اليها وأقم فى نفوس من بحضرتك من اصناف الجند والرعية واهل الملة والذمة أن هذا النقل لا يغير لهم رسما ولا يلحق بهم ثلما ولا يعود على قابضى العطاء بنقصان ما استحقوا قبضه ولا على مؤدى حق بيت المال باغضاء عما وجب أداؤه فان قرائح اكثرهم فقيرة الى افهام أمير المؤمنين الذى اثر أن تزاح فيه العلة ويسد به سهم الخلة اذ كان هذا الشأن لا يتجدد الا فى المدد الطوال التى فى مثلها يحتاج الى تعريف الناسى وأجب بما يكون منك جوابا يحسن موقعه لك ان شاء الله تعالى * وقال ابن المأمون فى تاريخه من حوادث سنة احدى وخمسمائة وأول ما تحدث فيه نقل السنة الشمسية الى العربية وكان قد حصل بينهما تفاوت أربع سنين فتحدث القائد ابو عبد الله محمد بن فاتك البطائحى مع الافضل بن أمير الجيوش فى ذلك فأجاب اليه وخرج أمره الى الشيخ أبى القاسم بن الصيرفى بانشاء سجل به فأنشأ ما نسخته بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى ارتضى أمير المؤمنين امينه فى أرضه وخليفته وألهمه أن يتم بحسن

التدبير عبيده وخليقته ووفقه لمصالح يستمد أسبابها ويفتح بحسن نظره أبوابها واورثه مقام آبائه الراشدين
الذين اختصهم بشرف المفخر وجعل اعتقاد موالاتهم سبب النجاة فى المحشر وعناهم بقوله يأمرهم بالمعروف
وينهاهم عن المنكر وأعلى منار سلطانه بمدبر افلاك دولته ومبيد أعداء مملكته واشرف من نصب للجند علما
وراية ووقف على مصلحة البرية نظره ورايه وأرشد بهدايته الالباب الحائرة وأذهب بعدلته الاحكام الجائرة
السيد الاجل الافضل وتمم النعوت بالدعاء للذى كمل تدبيره نظام الصلاح وتممه وسدد تقريره الامور
فى كل ماقصده ويممه ونبه فى السياسة على ما اهمله من سبقه وأغفله من تقدمه وتتبع احوال المملكة
فلم يدع مشكلا الا اوضحه وبين الواجب فيه ولا خللا الا اصلحه وبادر بتلافيه ولا مهملا الا استعمله على مايوافق
الصواب ولا ينافيه ايثار العمارة الاعمال وقصد المايقضى بتوفير الاموال وتوخيا الماعاد بضروب
لاستغلال واعتناء برجال الدولة العلوية واجنادها واهتماما بمصالحهم التى ضعفت قواهم عن ارتيادها
ورعاية لمن ضمنه اقطار المملكة من الرعايا وحملا لهم على اعدل السنن وأفضل القضايا يحمده امير المؤمنين على
ما اعانه عليه من حسن النظر للأمة وادخره لايامه من الفضائل التى صفت بها ملابس النعمة ووفقه لما يعود
على الكافة بشمول الانتفاع حتى صار استبدال الحقوق بواجبات الشريعة الواضحة الادلة واستيفاؤها
بمقتضى المعدلة فيما يجرى على احكام الخراج وأوضاع الاهلة ويرغب اليه بالصلوة على محمد الذى ميزه بالحكمة
وفصل الخطاب وبين به ما استبهم من سبل الصواب وانزل عليه فى محكم الكتاب هو الذى جعل الشمس ضياء
والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب صلى الله عليه وعلى أخيه وابن عمه ابينا أمير
المؤمنين على بن ابى طالب كافيه فيما اعضل لما عدم المساعد وواقيه بنفسه لما تخاذل الكف والساعد وعلى
الائمة من ذريتهما العاملين برضى الله تعالى فيما يقولون ويفعلون والذين يهدون بالحق وبه يعدلون وان
أولى ما اولاه امير المؤمنين حظا وافيا من تفقده وأسهم له جزأ وافرا من كريم تعهده ونظر اليه بعين اهتمامه
واختصه بالقسم الاجزل من استمالة امر الاموال التى يستعان بها على سد الخلل وبرجائها يستدفع مايطرق
من الحادث الجلل وبوفورها تستثبت شؤون المملكة وتستقيم احوال الدول وباستخراجها على حكم العدل
الشامل ووصية انصاف المعامل تكون العمارة التى هى اصل زيادتها ومادة كثرتها وغزارتها ولما كانت
جباياتها على حكمين احدهما يجئ هلاليا وذلك مالايدخله عارض ولا اشكال ولا ابهام ولا يحتاج فيه الى
ايضاح ولا افهام لان شهور الهلال يشترك فى معرفتها الامير والمقصر ويستوى فى الفهم بها المتقدم فى العلم
والمتأخر اذ كان الناس آلفين لازمنة متعبداتهم السنين مما يحفظ لهم نظام مرسومهم والآخر يجيء خراجيا
ويثبت بنسبته الى الخراج لانها تضبط اوقات مايجرى ذلك لاجله من النيل المبارك والزراعة وتحفظ احيانه
دون السنة الهلالية وتحرس أوضاعه ولا يستقل بمعرفته الا من باشره وعرف موارده ومصادره فوجب
أن يقصر على السنة الخراجية النظر ويفعل فيها ما تعظم به الفائدة ويحسن فيه الاثر ويعتمد فى ايضاح امرها
وتقديم حكمها على ما تحلى به التواريخ وتزين به السير ويكون ذلك شاهدا لمساعى السيد الاجل الافضل
الذى لايزال ساهرا ليله فى حياطة الهاجعين شاهرا سيفه فى حماية الوادعين مطلعا للدولة بدور السعادة
وشموسها مذللا لها صعب الحوادث وشموسها ناطقة تارة بأن امة هو راعيها قد فضل الله سائسها واسعد
مسوسها وهذا حين التبصير والارشاد وأوان التبيين للغرض والمراد لتتساوى العامة والخاصة فى علمه
وتسعهم الفائدة فى معرفة حكمه وتحقق المنفعة لهم فيما يمنع من تداخل السنين واستقبالها وتتيقن المعدلة
عليهم فيما يؤمن من المضار التى يحتاج الى استدراكها ومعلوم أن ايام السنة الخراجية وهى السنة الشمسية
بخلاف السنة الهلالية لان ايام السنة الخراجية من استقبال النوروز الى آخر النسىء ثلثمائة وخمسة
وستون يوما وربع يوم وأيام السنة الهلالية لاستقبال المحرم الى آخر ذى الحجة ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما
والخلاف فى كل سنة بالتقريب احد عشر يوما وفى كل ثلاث وثلاثين سنة سنة واحدة على حكم التقريب
ويقتضيه ما تقدم من الترتيب فاذا اتفق أن يكون اول الهلالية موافقا لمدخل السنة الخراجية وكانت
نسبتهما واحدة استمر اتفاق التسمية فيهما وبقى ذلك جاريا عليهما ولم يزل الامتداخلين لكون مدخل الخراجية
فى اثناء شهور الهلالية الى انقضاء ثلاث وثلاثين سنة فاذا انقضت هذه المدة بطلت المداخلة وخلت السنة

الهلالية

الهلالية من نوروز يكون فيها وبحكم ذلك بطل اتفاق التسمية ويكون التفاوت سنة واحدة للعلة المقدم ذكرها ومن اين يستمر بينهما ائتلاف او يعدم لهما اختلاف ام كيف يعتقد ذلك أحد من البشر والله تعالى يقول لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر فقد وضح دليل التباعد بما جاء منصوصا في الكتاب وظهر برهانه بما اقتضاه موجب الحساب فيحتاج بحكم ذلك الى نقل السنة الشمسية الى التى تليها لتكون موافقة للهلالية وجارية معها وفائدة النقل أن لا تخلو السنة الهلالية من مال خاص ينسب الى السنة الموافقة لها الان والواجبات العسكرية على عظمها واتساعها وأرزاق المرتزقة على اختلاف أجناسها واوضاعها جارية على أحكام الهلالية غير معدول بها عن ذلك فى حال من الاحوال والمحافظة على ثمرة ارتفاعها متعينة ومنفعة العناية بما تجرى عليه واضحة مبينة ولما اهلت سنة احدى وخمسمائة ودخلت فيها سنة تسع وتسعين وأربعمائة الخراجية الموافقة لسنة احدى وخمسمائة الهلالية كان فى ذلك من التباين والتعارض والتفاوت والتنافر بحكم اهمال النقل فيما تقدم ما صارت السنة الهلالية الحاضرة لا يجبى خراج ما يوافقها فيها ولا تدرك غلات السنة المجرى مالها عليها الا فى السنة التى تليها فهى تستهل وتنقضى وليس لها فى الخراجى ارتفاع والاعمال تطيف بالزراعة ولا حظ لها فى ذلك ولا انتفاع وهذه الحال المضرة بها على بيت المال غير خفية والاذية فيها للرجال المقطعين بادية وأسباب لحوقها اياهم مستمرة متمادية ولاسيما من وقع له بالثبات وانعم عليه بزيادات فانهم يتعجلون الاستقبال ويتأجلون الاستغلال ومتى لم تنقل هذه السنة الخراجية كانت متداخلة بين سنين هلالية وهى موافقة لغيرها وما لها يجرى على سنة تجرى بينهما الان مدخلها فى اليوم العاشر من المحرم سنة احدى وخمسمائة وانقضاؤها فى العشرين من المحرم سنة اثنتين وخمسمائة وهى متداخلة بين هاتين السنتين وما لها يجرى على سنة احدى وخمسمائة والحال فى ذلك لا ينتهى الى أمد ولا يزال الفساد يتزايد طول الابد وقد رأى أمير المؤمنين وبالله توفيقه ما خرج به أمره الى السيد الاجل الافضل الذى نبه على هذا الامر وكشف غامضه وأزال بحسن توصله تنافيه وتناقضه أن يوعز الى ديوان الانشاء بكتب هذا السجل مضمنا ما رآه ودبره مودعا انفاذ ما أحكمه وقرره من نقل سنة تسع وتسعين وأربعمائة الى سنة احدى وخمسمائة لتكون موافقة لها ويجرى عليها مالها ويكون ما يستأدونه من اقطاعاتهم ويستخرجونه من واجباتهم جاريا على نظام محروس ونطاق محيط غير منحوس وشاهدا بنصيب موفى غير منقوص ويتضح ما أبهم اشكاله التعمية ويزول الاستكراه فى اختلاف التسمية ويستمر الوفاق بين السنين الهلالية والخراجية الى سنة أربع وثلاثين وخمسمائة وينسب مال الخراج والمقاسمات وما يستغل ويجبى من الاقطاعات مما كان جاريا على ذكر سنة تسع وتسعين وأربعمائة الى سنة احدى وخمسمائة وتجرى الاضافة اليها مجرى ما يرتفع من الهلالى فيها لتكون سنة احدى من هذه مشتملة على ما يخصها من مالها وعلى مال السنة الخراجية بما يشرح من انتقالها وكذلك نقل سنة تسع وتسعين وأربعمائة الخراجية الثابتة بالتسمية الى سنة احدى وخمسمائة المشار اليها ويكون مالها جاريا عليها فليعتمد ذلك فى الدواوين بالحضرة وفى سائر اعمال الدولة قاصيها ودانيها وفارسها وشاميها وليتنبه كافة الكتاب والمستخدمين وجميع العمال والمتصرفين الى اقتفاء هذا السنن واتباعه وليحذروا الخروج عن أحكامه المقررة وأوضاعه وليبادروا الى امتثال المرسوم فيه وليحذروا من تجاوزه وتعديه ولينسخ فى دواوين الاموال والجيوش المنصورة وليخلد بعد ذلك فى بيوت المال المعمورة وكتب فى محرم سنة احدى وخمسمائة * وقال القاضى الفاضل فى متجددات سنة سبع وستين وخمسمائة ومن خطه نقلت * مستهل المحرم نسخ منشور بنقل السنة الخراجية الى السنة الهلالية والمطابقة بين اسميهما لموافقة الشهور العربية للشهور القبطية وخلو سنة سبع من نوروز فنقلت سنة خمس وستين وخمسمائة الخراجية الى هذه السنة وكان آخر نقل نقلته هذه السنة فى الايام الافضلية فان سنة ثمان وتسعين وأربعمائة وسنة تسع وتسعين الخراجيتين نقلتا الى سنة احدى وخمسمائة الخراجية وسبب هذا الانفراج بينهما زيادة عدد السنة الشمسية على عدد الهلالية احد عشر يوما واغفال النقل فى سنة ثلاث وثلاثين فى أيام الوزير الافضل رضوان بن ولخشى وانسحب ذيل هذه الزيادة وتداخل السنين بعضها فى بعض الى أن صار التفاوت بينهما سنتين فى هذه السنة فنقلت وهو انتقال لا يتعدى التسمية ولا يتجاوز اللفظ ولا ينقص

مالا لديوان ولا لمقطع وانما يقصد به ازالة الالباس وحل الاشكال * وقال القاضي ابوالحسين ونسخة الكتاب الذي انشاه القاضي الفاضل خرجت الاوامر الملكية الناصرية زادالله في اعلائها بابداع هذا المنشور انا نؤثر من حسن النظر مايؤثر أحسن الخبر ولا ينصرف بنا الفكر عما تحلى به السير وتجلى به الغير ولا تزال خواطرنا تعتلي فتطلع الدراري وتغوص فتخرج الدرر وان اولى مااستحدثت به البصائر وحرست فيه المصائر كل أمر يصحح المعاملات ويشرحها ويطلق عقولهم من عقول الاشكال ويسرحها ولما وجب نقل السنة الخراجية والمطابقة بينها وبين الهلالية لانفراجهما بسنتين وموافقة الشهور الخراجية والهلالية في هذه السنة مطلع المستهلين امضينا هذه السنة الحالية في هذه السنة الآتية واستخرنا الله تعالى في نقل سنتي خمس وست وستين وخمسمائة الى سنة سبع وستين وخمسمائة التي سميت بهذا النقل هلالية خراجية نفيا للامور المشتبهة والتسمية المموهة وتنزيها السني الاسلام عن التكبيس ولتاريخه عن ملابسة التلبيس واعلاما بالوفاق الذي استشعرته آباؤها وبنوها واعلانا باتباعه عناية بعوايد السلف التي خلفوها للخلف وبنوها وفي ذلك مما تحمد به العواقب وتنفسح به المذاهب وتتيسر به المطالب ويزول به الاشكال ويؤمن به الاختلال وينحسم به الغلط في الحساب ويؤلف بين السنين المختلفة الانساب ويحفظ على القمر معاملته ويبعد عن التاريخ معاطلته ويقرب على الكاتب محاولته ويصرف عن نعمة الله هجنة كونها مقدمة في التسنية مؤخرة في التسمية وعن معاملة بيت المال وصمة كونها معذوقة بالمطل وقد بالغت في التوفية لان من أعطى في سنة سبع وستين وخمسمائة استحقاق سنة خمس فلا ريب أنه قد مطل بحكم السمع وان كان قد انجز بحكم الشرع فتوسم هذه السنة المباركة بالهلالية الخراجية وترفع الحسبانات بهذا الوضع ويعمل في التقريرات والتسجيلات على هذا فليفعل في ذلك ما يقضي بارتاج هذا الانفراج وجبر هذا الصدع وليعلم في الدواوين علمه ولينفذ فيها حكمه بعد ثبوته الى حيث يثبت مثله ان شاء الله تعالى *(وأما تاريخ العرب) فانه لم يزل في الجاهلية والاسلام يعمل بشهور الاهلة وعدة شهور السنة عندهم اثناعشر شهرا الا انهم اختلفوا في اسمائها فكانت العرب العاربة تسميها ناتق ونقيل وطليق واسخ وأنخ وحلك وكسح وزاهر ونوط وحرف وبغش فناتق هو المحرم ونقيل هو صفر وهكذا مابعده على سرد الشهور وكانت ثمود تسميها موجب وموجر ومورد وملزم ومصدر وهوبر وهوبل وموها وديمر ودابر وحيقل ومسبل فموجب هو المحرم وموجر صفر الا انهم كانوا يبدؤن بالشهور من ديمر وهو شهر رمضان فيكون أول شهور السنة عندهم ثم كانت العرب تسميها بأسماء أخر وهي مؤتمر وناجر وخوان وصوان وحنتم وزبا والاصم وعادل ونايق ووعل وهواع وبرك ومعنى المؤتمر أنه يأتمر بكل شئ مما تأتي به السنة من اقضيتها وناجر من النجر وهو شدة الحر وخوان فعال من الخيانة وصوان بكسر الصاد وضمها فعال من الصيانة والزبا الداهية العظيمة المتكاثفة سمي بذلك لكثرة القتال فيه ومنهم من يقول بعد صوان الزبا وبعد الزبا بائدة وبعد بائدة الاصم ثم واغل وباطل وعادل ورنه وبرك فالبائد من القتال اذ كان فيه يبيد كثير من الناس وجرى المثل بذلك فقيل العجب كل العجب بين جمادى ورجب وكانوا يستعجلون فيه ويتوخون بلوغ النار والغارات قبل رجب فانه شهر حرام ويقولون له الاصم لانهم كانوا يكفون فيه عن القتال فلا يسمع فيه صوت سلاح والواغل الداخل على شرب ولم يدعوه وذلك لانه تهجم على شهر رمضان وكان يكثر في شهر رمضان شربهم الخمر لان الذي يتلوه هي شهور الحج وباطل هو مكيال الخمر سمي به لافراطهم فيه في الشرب وكثرة استعمالهم لذلك المكيال وأما العادل فهو من العدل لانه من أشهر الحج وكانوا يشتغلون فيه عن الباطل وأما الزبا فلان الانعام كانت ترب فيه لقرب النحر وأما برك فهو لبروك الابل اذا حضرت المنحر وقد روى انهم كانوا يسمون المحرم مؤتمر وصفر ناجر وربيع الاول نصار وربيع الآخر خوان وجمادى الاولى حنتن وجمادى الآخرة الرنة ورجب الاصم وهو شهر مضر وكانت العرب تصومه في الجاهلية وكانت تمتار فيه وتميراهلها وكان يأمن بعضهم بعضا فيه ويخرجون الى الاسفار ولا يخافون وشعبان عادل ورمضان ناتق وشوال واغل وذوالقعدة هواع وذوالحجة برك ويقال فيه أيضا بروك وكانوا يسمونه الميمون ثم سمت العرب أشهرها بالمحرم وصفر وربيع الاول وربيع الآخر وجمادى الاولى وجمادى الآخرة ورجب وشعبان ورمضان وشوال وذي القعدة وذي الحجة

واسموا

واشتقوا اسماءها من امور اتفق وقوعها عند تسميتها فالمحرم كانوا يحرمون فيه القتال وصفر كانت تصفر فيه بيوتهم لخروجهم الى الغزو وشهرا ربيع كانا زمن الربيع وشهرا جمادى كانا يجمد فيهما الماء لشدة البرد ورجب الوسط وشعبان يشعب فيه القتال ورمضان من الرمضاء لانه كان يأتى فيه القيظ وشوال تشيل فيه الابل أذنابها وذو القعدة لقعودهم فى دورهم وذو الحجة لانه شهر الحج وأنت اذا تأملت اشتقاق اسماء شهور الجاهلية اولا ثم اشتقاقها ثانيا تبين لك أن بين التسميتين زمانا طويلا فان صفر فى احدهما هو صميم الحروب وفى الآخر رمضان ولا يمكن ذلك فى وقت واحد او وقتين متقاربين وكانت العرب اولا تستعمل هذه الشهور على نحو ما يستعمله اهل الاسلام اما بطريق الهى اولان العرب لم يكن لها دراية بمراعاة حساب حركات النيرين فاحتاجت الى استعمال مبادى الشهور برؤية الاهلة وجعلت زمان الشهر بحسب ما يقع بين كل هلالين فربما كان بعض الشهور تاما أعنى ثلاثين يوما وربما كان ناقصا اعنى تسعة وعشرين يوما وربما كانت اشهر متوالية تامة اكثرها اربعة وهذا نادر وربما كانت اشهر متوالية ناقصة اكثرها ثلاثة وكان يقع حج العرب فى ازمنة السنة كلها وهو أبدا عاشر ذى الحجة من عهد ابراهيم واسماعيل عليهما السلام فاذا انقضى موسم الحج تفرقت العرب طالبة أماكنها واقام أهل مكة بها فلم يزالوا على ذلك دهرا طويلا الى أن غيروا دين ابراهيم واسماعيل فأحبوا أن يتوسعوا فى معيشتهم ويجعلوا حجهم فى وقت ادراك شغلهم من الادم والجلود والثمار ونحوها وأن يثبت ذلك على حالة واحدة فى أطيب الازمنة وأخصبها فتعلموا كبس الشهور من اليهود الذين نزلوا يثرب من عهد شمويل نبى بنى اسرائيل وعملوا النسىء قبل الهجرة بنحو مائتى سنة وكان الذى يلى النسىء يقال له القلمس يعنى الشريف وقد اختلف فى اول من أنسأ الشهور منهم فقيل القلمس هو عدى بن زيد وقيل القلمس هو سرير بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة وانه قال أرى شهور الاهلة ثلثمائة وأربعة وخمسين يوما وأرى شهور العجم ثلثمائة وخمسة وستين يوما فبيننا وبينهم احد عشر يوما ففى كل ثلاث سنين ثلاثة وثلاثون يوما ففى كل ثلاث سنين شهر وكان اذا جاءت ثلاث سنين قدم الحج فى ذى القعدة فاذا جاءت ثلاث سنين أخر فى المحرم وكانت العرب اذا حجت قلدت الابل النعال وألبستها الجلال وأشعرتها فلا يتعرض لها أحد الا خثعم وكان النسىء فى بنى كنانة ثم فى بنى ثعلبة بن مالك بن كنانة وكان الذى يلى ذلك منهم ابو ثمامة المالكى ثم من بنى فقيم وبنو فقيم هم النسأة وهو نسىء الشهور وكان يقوم على باب الكعبة فيقول ان الهتكم العزى قد أنسأت صفر الاول وكان يحله عاما ويحرمه عاما وكان اتباعهم على ذلك غطفان وهوازن وسليم وتميم وآخر النسأة جنادة بن عوف بن امية بن قلع بن عباد بن حذيفة بن عبد بن فقيم وقيل القلمس هو حذيفة بن عبد بن فقيم بن عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة ثم توارث ذلك منه بنوه من بعده حتى كان آخرهم الذى قام عليه الاسلام ابو ثمامة جنادة وكانت العرب اذا فرغت من حجها اجتمعت اليه فأحل لهم من الشهور وحرم فأحلوا ما أحل وحرموا ما حرم وكان اذا اراد أن ينسئ منها شيأ أحل المحرم فأحلوه وحرم مكانه صفر فحرموه ليواطئوا عدة الاربعة فاذا أرادوا الهدى اجتمعوا اليه فقال اللهم انى لا احاب ولا اعاب فى امرى والامر لما قضيت اللهم انى قد أحللت دماء المحلين من طى وخثعم فاقتلوهم حيث ثقفتموهم اى ظفرتم بهم اللهم انى قد أحللت أحد الصفرين الصفر الاول وأنسأت الآخر من العام المقبل وانما احل دم طى وخثعم لانهم كانوا يعدون على الناس فى الشهر الحرام من بين جميع العرب * وقيل اول من انسأ سرير بن ثعلبة وانقرض فانسأ من بعده ابن اخيه القلمس واسمه عدى بن عامر بن ثعلبة بن الحرث بن كنانة ثم صار النسىء فى ولده وكان آخرهم ابو ثمامة جنادة وقيل عوف بن امية بن قلع عن ابيه امية بن قلع عن جده قلع بن عباد عن جد أبيه عباد بن حذيفة عن جد جده حذيفة بن عبد بن فقيم وكان يقال لحذيفة القلمس وهو أول من أنسأ الشهور على العرب فأحل منها ما أحل وحرم ما حرم ثم كان بعد عوف المذكور ولده ابو ثمامة جنادة بن عوف وعليه قام الاسلام وكان أبعدهم ذكرا وأطولهم أمدا يقال انه انسأ أربعين سنة ولهم يقول عمير بن قيس جذل الطعان يفتخر

وأى الناس لم يسبق بوتر * واى الناس لم يعلك لجاما
ألسنا الناسئين على معد * شهور الحل نجعلها حراما

وقال آخر

ازعم انى من فقيم بن مالك * لعمرى لقد غيرت ما كنت اعلم
لهم ناسئ يمشون تحت لوائه * يحل اذا شاء الشهور ويحرم

وقيل كانت العرب تكبس فى كل اربع وعشرين سنة قرية بتسعة اشهر فكانت شهورهم ثابتة مع الازمنة جارية على سنن واحد لا تتاخر عن أوقاتها ولا تتقدم وكان النسئ الاول للمحرم فسمى صفر باسمه وشهر ربيع الاول باسم صفر ثم والوا بين اسماء الشهور فكان النسئ الثانى بصفر فسمى الذى كان يتلوه بصفر أيضا وكذلك حتى دار النسئ فى الشهور الاثنى عشر وعاد الى المحرم فأعادوا فعلهم الاول وكانوا يعدون ادوار النسئ ويحدون بها الازمنة فيقولون قد دارت السنون من لدن زمان كذا الى زمان كذا كذا وكذا دورة فان ظهر لهم مع ذلك تقدم شهر عن فصله من الفصول الاربعة لما يجتمع من كسور سنة الشمس بقية فضل ما بينها وبين سنة القمر الذى ألحقوه بها كبسوها كبسا ثانيا وكان يظهر لهم ذلك بطلوع منازل القمر وسقوطها حتى هاجر النبى صلى الله عليه وسلم وكانت نوبة النسئ بلغت شعبان فسمى محرما وشهر رمضان صفر وقيل ان الناسئ الاول نسأ المحرم وجعله كبسا وأخر المحرم الى صفر وصفر الى ربيع الاول وكذا بقية الشهور فوقع لهم فى تلك السنة عاشر المحرم وجعل تلك السنة ثلاثة عشر شهرا ونقل الحج بعد كل ثلاث سنين شهرا فمضى على ذلك مائتان وعشر سنين وكان انقضاؤها سنة حجة الوداع وكان وقوع الحج فى السنة التاسعة من الهجرة عاشر ذى القعدة وهى السنة التى حج فيها ابو بكر الصديق رضى الله عنه بالناس ثم حج رسول الله صلى الله عليه وسلم فى السنة العاشرة حجة الوداع لوقوع الحج فيها عاشر ذى الحجة كما كان فى عهد ابراهيم واسماعيل ولذلك قال صلى الله عليه وسلم فى حجته هذه ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض يعنى رجوع الحج والشهور الى الوضع وأنزل الله تعالى ابطال النسئ بقوله تعالى انما النسئ زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء أعمالهم فبطل ما أحدثته الجاهلية من النسئ واستمر وقوع الحج والصوم برؤية الاهلة ولله الحمد * وكانت العرب لها تواريخ معروفة عندها قد بادت فمما كانت تؤرخ به ان كنانة أرخت من موت كعب بن لؤى حتى كان عام الفيل فأرخوا به وهو عام مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بين كعب بن لؤى والفيل خمسمائة وعشرون سنة وكان بين الفيل وبين الفجار أربعون سنة ثم عدوا من الفجار الى وفاة هشام بن المغيرة فكان ست سنين ثم عدوا من وفاة هشام بن المغيرة الى بنيان الكعبة فكان تسع سنين ثم كان بين بنائها وبين هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة سنة ثم وقع التاريخ من الهجرة النبوية فعن سعيد بن المسيب قال جمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه الناس فسألهم من اى يوم يكتب التاريخ فقال على بن ابى طالب من يوم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك أرض الشرك ففعله عمر وعن سهل بن سعد الساعدى قال اخطأ الناس فى العدد ما عدوا من مبعثه ولا من وفاته انما عدوا من مقدمه المدينة وعن ابن عباس رضى الله عنهما قال كان التاريخ من السنة التى قدم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقال قرة بن خالد عن محمد كان عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه عامل جاء من اليمن فقال لعمر أما تؤرخون تكتبون فى سنة كذا وكذا من شهر كذا وكذا فأراد عمر والناس أن يكتبوا من مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالوا من عند وفاته ثم أرادوا أن يكون ذلك من الهجرة ثم قالوا من اى شهر فأرادوا أن يكون من رمضان ثم بدا لهم فقالوا من المحرم وقال ميمون بن مهران رفع الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه صك محله شعبان فقال اى شعبان هو أشعبان الذى نحن فيه او الآتى ثم جمع وجوه الصحابة فقال ان الاموال قد كثرت وما قسمنا منها غير موقت فكيف التوصل الى ما يضبط به ذلك فقالوا يجب أن يعرف ذلك من رسوم الفرس فعندها استحضر عمر رضى الله عنه الهرمزان وسأله عن ذلك فقال ان لنا حسابا نسميه ماه روز معناه حساب الشهور والايام فعربوا الكلمة وقالوا مؤرخ ثم جعلوه اسم التاريخ واستعملوه ثم طلبوا وقتا يجعلونه اولا لتاريخ دولة الاسلام فاتفقوا على أن يكون المبدأ من سنة الهجرة وكانت الهجرة النبوية من مكة الى المدينة وقد تصرم من شهور السنة وأيامها المحرم وصفر وأيام من ربيع الاول فلما عزموا على تأسيس الهجرة رجعوا القهقرى ثمانية وستين يوما وجعلوا التاريخ من اول محرم هذه السنة ثم احصوا من اول يوم فى المحرم الى آخر عمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان عشر سنين وشهرين وأما اذا

حسب

حسب عمره المقدس من الهجرة حقيقة فيكون قد عاش صلى الله عليه وسلم بعدها تسع سنين وأحد عشر شهرا واثنين وعشرين يوما وكان بين مولده صلى الله عليه وسلم وبين مولد المسيح عليه السلام خمسمائة وثمان وسبعون سنة تنقص شهرين وثمانية ايام وابتداء تاريخ الهجرة يوم الخميس اول شهر الله المحرم وبينه وبين الطوفان ثلاثة آلاف وسبعمائة وخمس وثلاثون سنة وعشرة اشهر واثنان وعشرون يوما على ما عرفناه من الخلاف فى ذلك وبينه وبين تاريخ الاسكندر بن فيلبس المقدونى الرومى تسعمائة واحدى وستون سنة قرية وأربعة وخمسون يوما تكون من السنين الشمسية تسعمائة واثنتين وثلاثين سنة ومائتين وتسعة وثمانين يوما عنها تسعة اشهر وتسعة عشر يوما وبينه وبين تاريخ القبط ثلثمائة وسبع وثلاثون سنة وتسعة وثلاثون يوما * وقال ابن ماشاالله ان انتقال المرمن المثلثة الهوائية التى هى برج الجوزاء دولتها الى برج السرطان ومثلثته المائية التى كانت دولة الاسلام فيها عند تمام ستة آلاف وثلثمائة وخمس وأربعين سنة وثلاثة أشهر وعشرين يوما من وقت القران الاول الواقع فى بدء التحرك يعنى خلق آدم عليه السلام وان القران من هذه المثلثة وقع فى أربع درج ودقيقة واحدة من برج العقرب وهو قران الملة الاسلامية قال وفى السنة الثانية من هذا القران ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان بين دخول الشمس برج الحمل فى هذه السنة وبين اول يوم من سنة الهجرة سنون فارسية عدتها احدى وخمسون سنة وثلاثة أشهر وثمانية ايام وست عشرة ساعة فكان من وقت الطوفان الى وقت قران الملة ثلاثة آلاف وتسعمائة واثنتا عشرة سنة وستة اشهر وأربعة عشر يوما * وزعمت اليهود أن من آدم عليه السلام الى سنة الهجرة أربعة آلاف واثنتين واربعين سنة وثلاثة اشهر * وزعمت النصارى أن بينهما خمسة آلاف وتسعمائة وتسعين سنة وثلاثة اشهر * وزعمت المجوس اعنى الفرس أن بينهما اربعة آلاف ومائة واثنتين وثمانين سنة وعشرة اشهر وتسعة عشر يوما وقد عرفت أن شهور تاريخ الهجرة قرية وأيام كل سنة منها عدتها ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما وخمس وسدس يوم وجميع الاحكام الشرعية مبنية على رؤية الهلال عند جميع فرق الاسلام ماعدا الشيعة فان الاحكام مبنية عندهم على عمل شهور السنة بالحساب على ماستراه فى ذكر القاهرة وخلفائها ثم لما احتاج منجمو الاسلام الى استخراج مالابد منه من معرفة الاهلة وسمت القبلة وغير ذلك بنوا أزياجهم على التاريخ العربى وجعلوا شهور السنة العربية شهرا كاملا وشهرا ناقصا وابتدؤا بالمحرم اقتداء بالصحابة رضى الله عنهم فجعلوا المحرم ثلاثين يوما وصفر تسعة وعشرين يوما وربيعا الاول ثلاثين يوما وربيعا الآخر تسعة وعشرين يوما وجمادى الاولى ثلاثين يوما وجمادى الآخرة تسعة وعشرين يوما ورجب ثلاثين يوما وشعبان تسعة وعشرين يوما ورمضان ثلاثين يوما وشوالا تسعة وعشرين يوما وذا القعدة ثلاثين يوما وذا الحجة تسعة وعشرين يوما وزادوا من أجل كسر اليوم الذى هو خمس وسدس يوما فى ذى الحجة اذا صار هذا الكسر اكثر من نصف يوم فيكون شهر ذى الحجة فى تلك السنة ثلاثين يوما ويسمون تلك السنة كبيسة ويصير عددها ثلثمائة وخمسة وخمسين يوما ويجتمع فى كل ثلاثين من الكبس احد عشر يوما والله أعلم * وأما تاريخ الفرس ويعرف ايضا بتاريخ يزدجرد فانه من ابتداء تملك يزدجرد بن شهريار بن كسرى ابرويز ارخ به الفرس من أجل أن يزدجرد قام فى المملكة بعد ما تبدد ملك فارس واستولى عليه النساء والمتغلبون وهو أيضا آخر ملوك فارس وبقتله تمزق ملكهم واول هذا التاريخ يوم الثلاثاء وبينه وبين تاريخ الهجرة تسع سنين وثلثمائة وثمانية وثلاثون يوما وايام سنة هذا التاريخ تنقص عن السنة الشمسية ربع يوم فيكون فى كل مائة وعشرين سنة شهرا واحدا ولهم فى كبس السنة آراء ليس هذا موضع ايرادها وعلى هذا التاريخ يعتمد فى زمننا اهل العراق وبلاد العجم ولله عاقبة الامور

قوله وقال ابن الخ هكذا هذه العبارة فى جميع النسخ التى بيدى ولا تخلو عن تحريف ظاهر ككثير من عبارات هذا الكتاب ولا يعلم الغيب الا الله اﻫ

(ذكر فسطاط مصر)

قال الجوهرى الفسطاط بيت من شعر قال ومنه فسطاط مدينة مصر اعلم أن فسطاط مصر اختط فى الاسلام بعد مافتحت أرض مصر وصارت دار اسلام وقد كانت بيد الروم والقبط وهم نصارى ملكانية ويعقوبية وميانية وحين اختط المسلمون الفسطاط انتقل كرسى المملكة من مدينة الاسكندرية بعد ما كانت منزل الملك ودار الامارة زيادة على تسعمائة سنة وصار من حينئذ الفسطاط دار امارة ينزل به امراء مصر فلم يزل على

ذلك حتى بنى العسكر بظاهر الفسطاط فنزل فيه امراء مصر وسكنوه وربما سكن بعضهم الفسطاط فلما أنشأ الامير ابو العباس أحمد بن طولون القطائع بجانب العسكر سكن فيها واتخذها الامراء من بعده منزلا الى أن انقرضت دولة بنى طولون فصار امراء مصر من بعد ذلك ينزلون بالعسكر خارج الفسطاط ومازالوا على ذلك حتى قدمت عساكر الامام المعز لدين الله أبى تميم معد الفاطمى مع كاتبه جوهر القائد فبنى القاهرة وصارت خلافة واستمر سكنى الرعية بالفسطاط وبلغ من وفور العمارة وكثرة الخلائق ما أربى على عامة مدن المعمور حاشا بغداد ومازال على ذلك حتى تغلب الفرنج على سواحل البلاد الشامية ونزل مرى ملك الفرنج بجموعه الكثيرة على بركة الحبش يريد الاستيلاء على مملكة مصر وأخذ الفسطاط والقاهرة فعجز الوزير شاور ابن مجير السعدى عن حفظ البلدين معا فأمر الناس باخلاء مدينة الفسطاط واللحاق بالقاهرة للامتناع من الفرنج وكانت القاهرة اذ ذاك من الحصانة والامتناع بحيث لا ترام فارتحل الناس من الفسطاط وساروا باسرهم الى القاهرة وأمر شاور فألقى العبيد النار فى الفسطاط فلم تزل به بضعا وخمسين يوما حتى احترقت اكثر مساكنه فلما رحل مرى عن القاهرة واستولى شيركوه على الوزارة تراجع الناس الى الفسطاط ورموا بعض شعثه ولم يزل فى نقص وخراب الى يومنا هذا وقد صار الفسطاط يعرف فى زمننا بمدينة مصر والله اعلم

(ذكر ما كان عليه موضع الفسطاط قبل الاسلام الى أن اختطه المسلمون مدينة)

اعلم أن موضع الفسطاط الذى يقال له اليوم مدينة مصر كان فضاء ومزارع فيما بين النيل والجبل الشرقى الذى يعرف بالجبل المقطم ليس فيه من البناء والعمارة سوى حصن يعرف اليوم بعضه بقصر الشمع وبالمعلقة ينزل به شحنة الروم المتولى على مصر من قبل القياصرة ملوك الروم عند مسيره من مدينة الاسكندرية ويقيم فيه ماشاء ثم يعود الى دار الامارة ومنزل الملك من الاسكندرية وكان هذا الحصن مطلا على النيل وتصل السفن فى النيل الى بابه الغربى الذى كان يعرف بباب الحديد ومنه ركب المقوقس فى السفن فى النيل من بابه الغربى حين غلبه المسلمون على الحصن المذكور وصار فيه الى الجزيرة التى تجاه الحصن وهى التى تعرف اليوم بالروضة قبالة مصر وكان مقياس النيل بجانب الحصن * وقال ابن المتوج وعمود المقياس موجود فى زقاق مسجد ابن النعمان قلت وهو باق الى يومنا هذا أعنى سنة عشرين وثمانمائة وكان هذا الحصن لا يزال مشحونا بالمقاتلة وسيرد فى هذا الكتاب خبره ان شاء الله تعالى وكان بجوار هذا الحصن من بحريه وهى الجهة الشمالية أشجار وكروم صار موضعها الجامع العتيق وفيما بين الحصن والجبل عدة كنائس وديارات للنصارى فى الموضع الذى يعرف اليوم براشدة وبجانب الحصن فيما بين الكروم التى كانت بجانبه وبين الجرف الذى يعرف اليوم بجبل يشكر حيث جامع ابن طولون والكبش عدة كنائس وديارات للنصارى فى الموضع الذى كان يعرف فى اوائل الاسلام بالحمراء وعرف الآن بخط قناطر السباع والسبع سقايات وبقى بالحمراء عدة من الديارات الى أن هدمت فى سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاون على ماذكر فى هذا الكتاب عند ذكر كنائس النصارى فلما افتتح عمرو بن العاص مدينة الاسكندرية الفتح الاول نزل بجوار هذا الحصن واختط الجامع المعروف بالجامع العتيق وبجامع عمرو بن العاص واختطت قبائل العرب من حوله فصارت مدينة عرفت بالفسطاط ونزل الناس بها فانحسر بعد الفتح بأعوام ماء النيل عن ارض تجاه الحصن والجامع العتيق فصار المسلمون يوقفون هناك دوابهم ثم اختطوا فيه المساكن شيأ بعد شئ وصار ساحل البلد حيث الموضع الذى يقال له اليوم فى مصر المعاريج مارا الى الكوم الذى على يسرة الداخل من باب مصر بحذاء الكبارة وفى موضع هذا الكوم كانت الدور المطلة على النيل ويمر الساحل من باب مصر المذكور الى حيث بستان ابن كيسان الذى يعرف اليوم ببستان الطواشى فى اول مراغة مصر وجميع الاماكن التى تعرف اليوم بمراغة مصر وبالجرف الى الخليج عرضا ومن حيث قنطرة السد الى سوق المعاريج طولا كان غامرا بماء النيل الى أن انحسر عنه ماء النيل بعد سنة ستمائة من سنى الهجرة فصار رملة ثم اختط فيه الامراء مما يلى النيل آدرا عندما عمر الملك الصالح نجم الدين أيوب قلعة الروضة واختط بعضه شونا الى أن أنشأ الملك الناصر محمد بن قلاون جامعه المعروف بالجامع

الجديد الناصري ظاهر مصر فعمر ما حوله وقد كان عند فتح مصر سائر المواضع التي من منشأة المهراني الى بركة الحبش طولا ومن ساحل النيل بموردة الحلفاء وتجاه الجامع الجديد الى سوق المعاريج وما على سمته الى تجاه المشهد الذى يقال له مشهد الراس وتسميه العامة اليوم مشهد زين العابدين كلها بحر الايحول بين الحصن والجامع وما على سمتهما الى الحمراء الدنيا التي منها اليوم خط قناطر السباع وبين جزيرة مصر التي تعرف اليوم بالروضة شئ سوى ماء النيل وجميع ما فى هذه المواضع من الابنية انكشف عنه النيل قليلا قليلا واختط على ما يتبين لك فى هذا الكتاب

(ذكر الحصن الذى يعرف بقصر الشمع)

اعلم أن هذا القصر احدث بعد خراب مصر على يد بخت نصر وقد اختلف فى الوقت الذى بنى فيه ومن أنشأه من الملوك فذكر الواقدى أن الذى بناه اسمه الريان بن الوليد بن ارسلاوس وكان هذا القصر يوقد عليه الشمع فى رأس كل شهر وذلك انه اذا حلت الشمس فى برج من البروج اوقد فى تلك الليلة الشمع على رأس ذلك القصر فيعلم الناس بوقود الشمع أن الشمس انتقلت من البرج الذى كانت فيه الى برج آخر غيره ولم يزل القصر على حاله الى أن خربت مصر زمن بخت نصر بن نيروز الكلدانى فأقام خرابا خمسمائة سنة ولم يبق منه الا اثره فقط فلما غلب الروم على مصر وملكوها من أيدى اليونانيين ولى مصر من قبلهم رجل يقال له ارجاليس بن مقراطيس فبنى القصر على ما وجد من اساسه وقال ابن سعيد وصارت مصر والشام بعد بخت نصر فى مملكة الفرس فوليها منهم كشرجوش الفارسى بانى قصر الشمع وبعده طغارست الطويل الولاية وتوالت بعده نواب الفرس الى ظهور الاسكندر وقال غيره ان الذى بناه طخشاشت احد ملوك الفرس عند ما سار لمحاربة اهل مصر فلما غلب قسطوملك مصر الذى يعرف بفرعون سابان وفرّ منه الى مقدونية غلب على ملك مصر واستولى عليها وبنى للفرس قصرا وجعل فيه بيت نار على شاطئ النيل الشرقى وعرف بقصر الشمع لانه كان له باب يقال له باب الشمع وجعل فى القصر بيت نار وهو باق * وقال ابن عبد الحكم عن الليث بن سعد وكانت الفرس قد أسست بناء الحصن الذى يقال له باب اليون وهو الحصن الذى بفسطاط مصر اليوم فلما انكشفت جموع فارس عن الروم وأخرجتهم الروم من الشام اتمت بناء ذلك الحصن وأقامت به فلم تزل مصر فى ملك الروم حتى فتحها الله تعالى على المسلمين قال وكان ابو الاسود نصر بن عبد الجبار يقولها بالميم يعنى باب اليوم ويقال انما سمى كذا لانهم كانوا يقولون من يقاتل اليوم * وقال القضاعى ذكر الحصن المعروف بقصر الشمع يقال ان فارس لما ظهرت على الروم وملكت عليهم الشام وملكت مصر بدأت ببناء هذا القصر وبنت فيه هيكلا لبيت النار ولم يتم بناؤه على ايديهم الى أن ظهرت الروم عليهم فتممت بناءه وحصنته ولم تزل فيه الى حين الفتح وهيكل النار هو القبة المعروفة اليوم بقبة الدخان وبحضرتها مسجد معلق احدثه المسلمون * وقال ابو عبيد البكرى باب اليون بمصر ان كان عربيا فانه مثل يوم ويوح مما فاؤه ياء وعينه واو وقد يجوز أن يكون فعلا من ين وهو اسم موضع على مذهب ابى الحسن فى فعل من البيع بوع قال وليست الالف واللام فيه للتعريف فعلى هذا يجب أن تثبت فى الرسم وقال ابو صخر

وحلوا بها مى ارضنا وتبدلوا * بمكة باب اليون والربط بالعصب

والرواية فى شعر كثير عزة فى قوله

جرى بين باب اليون والعصب دونه * رياح اشفت بالنقى واشمت

بالباء وبفتح النون غير مجرور للعجمة على أن همزته مقطوعة وصلها للضرورة وقال الحازمى باب اليون بالباء اسم مدينة مصر فتحها المسلمون وسموها الفسطاط وقال عبد الملك بن هشام بابليون المنسوب اليه مصر هو بابليون ابن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان وان من ولده عمرو بن امرئ القيس بن بابليون بن سبا وهو الملك على مصر لما قدم اليها ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه والقبط تسمى عمرا هذا اطوطيس ومن ولده حلوان بن بابليون بن عمرو بن امرئ القيس وبه سميت حلوان * وقال القاضى القضاعى فى ظاهر الفسطاط القصر المعروف بباب ليون بالشرف ليون اسم بلد مصر بلغة السودان والروم وقد بقيت من بنائه بقية مبنية بالحجارة

على طرف الجبل بالشرف وعليه اليوم مسجد قال المؤلف فهذا كما ترى صريح فى أن قصر باب اليون غير قصر الشمع فان قصر الشمع فى داخل الفسطاط وقصر باب اليون هذا عند القضاعى على الجبل المعروف بالشرف والشرف خارج الفسطاط وهو خلاف ما قاله ابن عبد الحكم فى كتاب فتوح مصر والله اعلم * ويقال ان فى زمن ناحور بن شاروع وهو الثامن عشر من آدم ملك مصر رجل اسمه افطوطس مدة اثنتين وثلاثين سنة وانه اول من اظهر علم الحساب والسحر وحمل كتب ذلك من بلاد الكلدانيين الى مصر وفى ذلك الزمان بنيت بابليون على بحر النيل بمصر وذلك لتمام ثلاثة آلاف وثلثمائة وتسعين للعالم وقال ابن سعيد فى كتاب المعرب وأما فسطاط مصر فان مبانيها كانت فى القديم متصلة بمبانى مدينة عين شمس وجاء الاسلام وبها بناء يعرف بالقصر حوله مساكن وعليه نزل عمرو بن العاص وضرب فسطاطه حيث المسجد الجامع المنسوب اليه وهذا وهم من ابن سعيد فان فسطاط عمرو انما كان مضروبا عند درب حمام شمول بخط الجامع هكذا هو بخط الشريف محمد بن أسعد الجوانى النسابة وهو أقعد بخطط مصر وأعرف من ابن سعيد وأما موضع الجامع فكان كروما وجنانا وحاز موضعه قيسبة التجيبى ثم تصدق به على المسلمين فعمل المسجد وسنقف على هذا ان شاء الله تعالى فى ذكر جامع عمرو عند ذكر الجوامع من هذا الكتاب * وقال ابن المتوج خط قصر الشمع هذا الخط يعرف بقصر الشمع وفيه قصر الروم وفيه ازقة ودروب قال وكنيسة المعلقة بمصر بباب القصر وهو قصر الروم * وقال ابن عبد الحكم وأقر عمرو بن العاص القصر لم يقسمه ووقفه * وقال ابو عمرو الكندى فى كتاب الامراء وقد ذكر قيام على بن محمد بن عبد الله بن الحسن بن على بن ابى طالب وطروق المسجد فى امارة يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن ابى صفرة على مصر وورد كتاب ابى جعفر المنصور على يزيد بن حاتم يأمره بالتحول من العسكر الى الفسطاط وأن يجعل الديوان فى كنائس القصر وذلك فى سنة ست وأربعين ومائة والله اعلم

(ذكر حصار المسلمين للقصر وفتح مصر)

اختلف الناس فى فتح مصر فقال محمد بن اسحق وابو معشر ومحمد بن عمر الواقدى ويزيد بن ابى حبيب وابو عمرو الكندى فتحت سنة عشرين وقال سيف بن عمر فتحت سنة ست عشرة وقيل فتحت سنة ست وعشرين وقيل سنة احدى وعشرين وقيل سنة اثنتين وعشرين والاول اصح وأشهر * قال ابن عبد الحكم لما قدم عمر بن الخطاب رضى الله عنه الجابية قام اليه عمرو بن العاص فخلا به فقال يا امير المؤمنين ائذن لى أن اسير الى مصر وحرضه عليها وقال انك ان فتحتها كانت قوة للمسلمين وعونا لهم وهى اكثر الارض اموالا وأعجز عن القتال والحرب فتخوف عمر بن الخطاب وكره ذلك فلم يزل عمرو يعظم امرها عند عمر بن الخطاب ويخبره بحالها ويهون عليه فتحها حتى ركن لذلك فعقد له على اربعة آلاف رجل كلهم من عك ويقال بل ثلاثة آلاف وخمسمائة وقال له عمر سر وأنا مستخير الله فى مسيرك وسيأتيك كتابى سريعا ان شاء الله تعالى فان ادركك كتابى آمرك فيه بالانصراف عن مصر قبل أن تدخلها او شيأ من ارضها فانصرف وان أنت دخلتها قبل أن يأتيك كتابى فامض لوجهك واستعن بالله واستنصره فسار عمرو بن العاص من جوف الليل ولم يشعر به احد من الناس واستخار عمر الله فكانه تخوف على المسلمين فى وجههم ذلك فكتب الى عمرو بن العاص أن ينصرف بمن معه من المسلمين فأدرك عمرا الكتاب اذ هو برفح فتخوف عمرو ان هو اخذ الكتاب وفتحه أن يجد فيه الانصراف كما عهد اليه عمر فلم يأخذ الكتاب من الرسول ودافعه وسار كما هو حتى نزل قرية فيما بين رفح والعريش فسأل عنها فقيل انها من مصر فدعا بالكتاب فقرأه على المسلمين فقال عمرو لمن معه ألستم تعلمون أن هذه القرية من مصر قالوا بلى قال فان امير المؤمنين عهد الى وأمرنى ان لحقنى كتابه ولم ادخل ارض مصر أن ارجع ولم يلحقنى كتابه حتى دخلنا أرض مصر فسيروا وامضوا على بركة الله ويقال بل كان عمرو بفلسطين فتقدم عمرو بأصحابه الى مصر بغير اذن فكتب فيه الى عمر رضى الله عنه فكتب اليه عمر وهو دون العريش فحبس الكتاب فلم يقرأه حتى بلغ العريش فقرأه فاذا فيه من عمر بن الخطاب الى العاصى ابن العاصى أما بعد فانك سرت الى مصر ومن

معك وبها جموع الروم وانما معك نفر يسير ولعمري لو ثكل بك ما سرت بهم فان لم تكن بلغت مصر فارجع فقال عمرو الحمد لله أية ارض هذه قالوا من مصر فتقدم كما هو ويقال بل كان عمرو في جنده على قيسارية مع من كان بها من اجناد المسلمين وعمر بن الخطاب رضي الله عنه اذ ذاك بالجابية فكتب سرا فاستأذن أن يسير الى مصر وأمر أصحابه فتنحوا كالقوم الذين يريدون أن يتنحوا من منزل الى منزل قريب ثم سار بهم ليلا فلما فقده امراء الاجناد استنكروا الذي فعل ورأوا أن قد غدر فرفعوا ذلك الى عمر بن الخطاب فكتب اليه عمر الى العاصي ابن العاصي أما بعد فانك قد غررت بمن معك فان ادركك كتابي ولم تدخل مصر فارجع وان ادركك وقد دخلت فامض واعلم أني ممدك * ويقال ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كتب الى عمرو بن العاص بعد ما فتح الشام أن اندب الناس الى المسير معك الى مصر فمن خف معك فسر به وبعث به مع شريك بن عبدة فندبهم عمرو فأسرعوا الى الخروج مع عمرو ثم ان عثمان بن عفان رضي الله عنه دخل على عمر بن الخطاب فقال عمر كتبت الى عمرو بن العاص يسير الى مصر من الشام فقال عثمان يا أمير المؤمنين ان عمرا لجرىء وفيه اقدام وحب للامارة فأخشى أن يخرج في غير ثقة ولا جماعة فيعرض المسلمين للهلكة رجاء فرصة لا يدري تكون ام لا فندم عمر على كتابه الى عمرو واشفق مما قال عثمان فكتب اليه ان أدركك كتابي قبل أن تدخل الى مصر فارجع الى موضعك وان كنت دخلت فامض لوجهك فلما بلغ المقوقس قدوم عمرو بن العاص الى مصر توجه الى موضع الفسطاط فكان يجهز على عمرو الجيوش وكان على القصر رجل من الروم يقال له الاعيرج واليا عليه وكان تحت يد المقوقس وأقبل عمرو حتى اذا كان بجبل الحلال نفرت معه راشدة وقبائل من لخم فتوجه عمرو حتى اذا كان بالعريش ادركه النحر فضحى عن اصحابه يومئذ بكبش وتقدم فكان اول موضع قوتل فيه الفرما قاتله الروم قتالا شديدا نحوا من شهر ثم فتح الله عليه وكان عبد الله بن سعد على ميمنة عمرو منذ توجه من قيسارية الى أن فرغ من حربه وكان بالاسكندرية أسقف للقبط يقال له ابو ميامين فلما بلغه قدوم عمرو الى مصر كتب الى القبط يعلمهم أنه لا يكون للروم دولة وان ملكهم قد انقطع ويأمرهم بتلقي عمرو فيقال ان القبط الذين كانوا بالفرما كانوا يومئذ لعمرو أعوانا ثم توجه عمرو لا يدافع الا بالامر الخفيف حتى نزل القواصر فسمع رجل من لخم نفرا من القبط يقول بعضهم لبعض ألا تعجبون من هؤلاء القوم يقدمون على جموع الروم وانما هم في قلة من الناس فأجابه رجل منهم فقال ان هؤلاء القوم لا يتوجهون الى احد الا ظهروا عليه حتى يقتلوا خيرهم وتقدم عمرو لا يدافع الا بالامر الخفيف حتى اتى بلبيس فقاتلوه بها نحوا من الشهر حتى فتح الله عليه ثم مضى لا يدافع الا بالامر الخفيف حتى اتى ام دنين فقاتلوه بها قتالا شديدا وأبطأ عليه الفتح فكتب الى عمر يستمده فأمده بأربعة آلاف تمام ثمانية آلاف وقيل بل امده باثني عشر ألفا فوصلوا اليه أرسالا يتبع بعضهم بعضا فكان فيهم اربعة آلاف عليهم اربعة الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد وقيل ان الرابع خارجة بن حذافة دون مسلمة ثم احاط المسلمون بالحصن واميره يومئذ المندقور الذي يقال له الاعيرج من قبل المقوقس بن قرقب اليوناني وكان المقوقس ينزل الاسكندرية وهو في سلطان هرقل غير أنه كان حاضر الحصن حين حاصره المسلمون فقاتل عمرو بن العاص من بالحصن وجاء رجل الى عمرو فقال اندب معي خيلا حتى آتي من ورائهم عند القتال فأخرج معه خمسمائة فارس عليهم خارجة بن حذافة في قول فساروا من وراء الجبل حتى دخلوا مغار بني وائل قبل الصبح وكانت الروم قد خندقوا خندقا وجعلوا له ابوابا وبنوا في افنيتها حسك الحديد فالتقى القوم حين اصبحوا وخرج خارجة من ورائهم فانهزموا حتى دخلوا الحصن وكانوا قد خندقوا حوله فنزل عمرو على الحصن وقاتلهم قتالا شديدا يصبحهم ويمسيهم وقيل انه لما أبطأ الفتح على عمرو كتب الى عمر بن الخطاب يستمده ويعلمه بذلك فأمده بأربعة آلاف رجل على كل الف رجل منهم مقام الالف الزبير بن العوام والمقداد ابن عمرو وعبادة بن الصامت ومسلمة بن مخلد وقيل بل خارجة بن حذافة لا يعدون مسلمة وقال عمر اعلم أن معك اثني عشر الفا ولا تغلب اثنا عشر الفا من قلة وقيل قدم الزبير في اثني عشر الفا وان عمرا لما قدم من الشام كان في عدة قليلة فكان يفرق اصحابه ليرى العدو أنهم اكثر مما هم فلما انتهى الى الخندق نادوه أن قد رأينا ما صنعت وانما معك من اصحابك كذا وكذا فلم يخطئوا برجل واحد فأقام عمرو على ذلك اياما يغدو في السحر فيصف اصحابه على افواه الخندق عليهم السلاح فبينا هو على ذلك اذ جاءه خبر الزبير بن العوام انه قدم

فى اثنى عشر ألفا فتلقاه عمرو ثم اقبلا يسيران ثم لم يلبث الزبير أن ركب ثم طاف بالخندق ثم فرّق الرجال حول الخندق والح عمرو على القصر ووضع عليه المنجنيق ودخل عمرو الى صاحب الحصن فتناظرا فى شئ مماهم فيه فقال عمرو اخرج وأستشير أصحابى وقد كان صاحب الحصن اوصى الذى على الباب اذا مرّ به عمرو أن يلقى عليه صخرة فيقتله فمرّ عمرو وهو يريد الخروج برجل من العرب فقال له قد دخلت فانظر كيف تخرج فرجع عمرو الى صاحب الحصن فقال له انى اريد أن آتيك بنفر من اصحابى حتى يسمعوا منك مثل الذى سمعت فقال العلج فى نفسه قتل جماعة احب الىّ من قتل واحد وأرسل الى الذى كان امره بما امره به من قتل عمرو أن لا يتعرض له رجاء أن يأتيه بأصحابه فيقتلهم فخرج عمرو وعبادة بن الصامت فى ناحية يصلى وفرسه عنده فرآه قوم من الروم فخرجوا اليه وعليهم حلية وبزة فلما دنوا منه سلم من صلاته ووثب على فرسه ثم حمل عليهم فلما رأوه ولوا راجعين فاتبعهم فجعلوا يلقون مناطقهم ومتاعهم ليشغلوه بذلك عن طلبهم وهو لا يلتفت اليه حتى دخلوا الحصن ورمى عبادة من فوق الحصن بالحجارة فرجع ولم يتعرض لشئ مما طرحوا من متاعهم حتى رجع الى موضعه الذى كان به فاستقبل الصلاة وخرج الروم الى متاعهم يجمعونه فلما ابطأ الفتح على عمرو قال الزبير انى اهب الله نفسى ارجو أن يفتح الله بذلك على المسلمين فوضع سلما الى جانب الحصن من ناحية سوق الحمام ثم صعد فأمرهم اذا سمعوا تكبيره أن يجيبوه جميعا فما شعروا الا والزبير على رأس الحصن يكبر ومعه السيف وتحامل الناس على السلم حتى نهاهم عمرو خوفا من أن ينكسر وكبر الزبير فكبرت الناس معه وأجابهم المسلمون من خارج فلم يشك اهل الحصن أن العرب قد اقتحموا جميعا فهربوا وعمد الزبير وأصحابه الى باب الحصن ففتحوه واقتحم المسلمون الحصن فخاف المقوقس على نفسه ومن معه فحينئذ سأل عمرو بن العاص الصلح ودعاه اليه على أن يفرض للعرب على القبط دينارين على كل رجل منهم فأجابه عمرو الى ذلك وكان مكثهم على باب القصر حتى فتحوه سبعة اشهر قال وقد سمعت فى فتح القصر وجها آخر هو أن المسلمين لما حصروا باب اليون كان به جماعة من الروم واكابر القبط ورؤسائهم وعليهم المقوقس فقاتلوهم شهرا فلما رأى القوم الجدّ من العرب على فتحه والحرص ورأوا من صبرهم على القتال ورغبتهم فيه خافوا أن يظهروا عليهم فتنحى المقوقس وجماعة من اكابر القبط وخرجوا من باب القصر القبلى ودونهم جماعة يقاتلون العرب فلحقوا بالجزيرة موضع الصناعة اليوم وأمروا بقطع الجسر وذلك فى جرى النيل ويقال ان الاعيرج تخلف فى الحصن بعد المقوقس وقيل خرج معهم فلما خاف فتح الحصن ركب هو وأهل القوة والشرف وكانت سفنهم ملصقة بالحصن ثم لحقوا بالمقوقس بالجزيرة فأرسل المقوقس الى عمرو انكم قوم قد ولجتم فى بلادنا وألححتم على قتالنا وطال مقامكم فى ارضنا وانما انتم عصبة يسيرة وقد أظلتكم الروم وجهزوا اليكم ومعهم من العدّة والسلاح وقد أحاط بكم هذا النيل وانما انتم اسارى فى ايدينا فابعثوا الينا رجالا منكم نسمع من كلامهم فلعله أن يأتى الامر فيما بيننا وبينكم على ما تحبون ونحب وينقطع عنا وعنكم القتال قبل أن تغشاكم جموع الروم فلا ينفعنا الكلام ولا نقدر عليه ولعلكم أن تندموا ان كان الامر مخالفا لطلبتكم ورجائكم فابعثوا الينا رجالا من اصحابكم نعاملهم على مانرضى نحن وهم به من شئ فلما اتت عمرو ابن العاص رسل المقوقس حبسهم عنده يومين وليلتين/ حتى خاف عليهم المقوقس فقال لاصحابه اترون أنهم يقتلون الرسل ويستحلون ذلك فى دينهم وانما اراد عمرو بذلك أن يروا حال المسلمين فردّ عليهم عمرو مع رسله انه ليس بينى وبينكم الا احدى ثلاث خصال اما ان دخلتم فى الاسلام فكنتم اخواننا وكان لكم مالنا وان ابيتم فأعطيتم الجزية عن يد وانتم صاغرون واما ان جاهدناكم بالصبر والقتال حتى يحكم الله بيننا وبينكم وهو خير الحاكمين فلما جاءت رسل المقوقس اليه قال كيف رأيتم هؤلاء قالوا راينا قوما الموت احب الى احدهم من الحياة والتواضع احب الى احدهم من الرفعة ليس لاحدهم فى الدنيا رغبة ولا نهمة انما جلوسهم على التراب واكلهم على ركبهم واميرهم كواحد منهم ما يعرف رفيعهم من وضيعهم ولا السيد منهم من العبد واذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم احد يغسلون أطرافهم بالماء ويخشعون فى صلاتهم فقال عند ذلك المقوقس والذى يحلف به لو أن هؤلاء استقبلوا الجبال لازالوها وما يقوى على قتال هؤلاء احد ولئن لم نغتنم صلحهم اليوم وهم محصورون بهذا النيل لم يجيبوا بعد اليوم اذا امكنتهم الارض وقووا

على

على الخروج من موضعهم فردّ اليهم المقوقس رسلاً ابعثوا الينا رسلاً منكم نعاملهم ونتداعى نحن وهم الى ما عساه أن يكون فيه صلاح لنا ولكم فبعث عمرو بن العاص عشرة نفر أحدهم عبادة بن الصامت وكان طوله عشرة اشبار وأمره أن يكون متكلم القوم ولا يجيبهم الى شئ دعوه اليه الا احدى هذه الثلاث خصال فان امير المؤمنين قد تقدم الىّ فى ذلك وأمرنى أن لا اقبل شيأ سوى خصلة من هذه الثلاث خصال وكان عبادة أسود فلما ركبوا السفن الى المقوقس ودخلوا عليه تقدم عبادة فهابه المقوقس لسواده وقال نحوا عنى هذا الاسود وقدموا غيره يكلمنى فقالوا جميعا ان هذا الاسود افضلنا رأيا وعلما وهو سيدنا وخيرنا والمقدم علينا وانما نرجع جميعا الى قوله ورأيه وقد أمره الامير دوننا بما أمره وأمرنا أن لا نخالف رأيه وقوله قال وكيف رضيتم أن يكون هذا الاسود افضلكم وانما ينبغى أن يكون هو دونكم قالوا كلا انه وان كان اسود كما ترى فانه من افضلنا موضعا وافضلنا سابقة وعقلا ورأيا وليس ينكر السواد فينا فقال المقوقس لعبادة تقدم يا اسود وكلمنى برفق فانى اهاب سوادك وان اشتد كلامك علىّ ازددت لك هيبة فتقدم عليه عبادة فقال قد سمعت مقالتك وان فيمن خلفت من اصحابى ألف رجل اسود كلهم اشد سوادا منى وافظع منظرا ولو رأيتهم لكنت اهيب لهم منك لى وأنا قد وليت وأدبر شبابى وانى مع ذلك بحمد الله ما اهاب مائة رجل من عدوى لو استقبلونى جميعا وكذلك اصحابى وذلك انما رغبتنا وهمتنا الجهاد فى الله واتباع رضوانه وليس غزونا عدونا ممن حارب الله لرغبة فى دنيا ولا طلب للاستكثار منها الا أن الله عز وجل قد أحل لنا ذلك وجعل ما غنمنا من ذلك حلالا وما يبالى احدنا ان كان له قنطار من ذهب ام كان لا يملك الا درهما لان غاية احدنا من الدنيا اكلة يأكلها يسد بها جوعه لليله ونهاره وشملة يلتحفها فان كان احدنا لا يملك الا ذلك كفاه وان كان له قنطار من ذهب انفقه فى طاعة الله واقتصر على هذا الذى بيده ويبلغه ما كان فى الدنيا لان نعيم الدنيا ليس بنعيم ورخاءها ليس برخاء انما النعيم والرخاء فى الآخرة وبذلك امرنا الله وامرنا به نبينا وعهد الينا أن لا تكون همة احدنا من الدنيا الا ما يمسك جوعته ويستر عورته وتكون همته وشغله فى رضوانه وجهاد عدوه فلما سمع المقوقس ذلك منه قال لمن حوله هل سمعتم مثل كلام هذا الرجل قط لقد هبت منظره وان قوله لاهيب عندى من منظره ان هذا وأصحابه اخرجهم الله لخراب الارض ما اظن ملكهم الا سيغلب على الارض كلها ثم اقبل المقوقس على عبادة بن الصامت فقال له ايها الرجل الصالح قد سمعت مقالتك وما ذكرت عنك وعن اصحابك ولعمرى ما بلغتم ما بلغتم الا بما ذكرت وما ظهرتم على من ظهرتم عليه الا لحبهم الدنيا ورغبتهم فيها وقد توجه الينا لقتالكم من جمع الروم ما لا يحصى عدده قوم معروفون بالنجدة والشدة ما يبالى احدهم من لقى ولا من قاتل وانا لنعلم انكم لن تقدروا عليهم ولن تطيقوهم لضعفكم وقلتكم وقد اقمتم بين اظهرنا اشهرا وانتم فى ضيق وشدة من معاشكم وحالكم ونحن نرق عليكم لضعفكم وقلتكم وقلة ما بين ايديكم ونحن تطيب انفسنا أن نصالحكم على أن نفرض لكل رجل منكم دينارين دينارين ولاميركم مائة دينار ولخليفتكم ألف دينار فتقبضونها وتنصرفون الى بلادكم قبل أن يغشاكم ما لا قوام لكم به فقال عبادة بن الصامت يا هذا لا تغرن نفسك ولا اصحابك أما ما تخوفنا به من جمع الروم وعددهم وكثرتهم وأنا لا نقوى عليهم فلعمرى ما هذا بالذى تخوفنا به ولا بالذى يكسرنا عما نحن فيه وان كان ما قلتم حقا فذلك والله ارغب ما يكون فى قتالهم وأشد لحرصنا عليهم لان ذلك اعذر لنا عند ربنا اذا قدمنا عليه ان قتلنا من آخرنا كان امكن لنا فى رضوانه وجنته وما شئ أقر لاعيننا ولا احب لنا من ذلك وانا منكم حينئذ لعلى احدى الحسنيين اما أن تعظم لنا بذلك غنيمة الدنيا ان ظفرنا بكم او غنيمة الآخرة ان ظفرتم بنا ولانها احب الخصلتين الينا بعد الاجتهاد منا وان الله عز وجل قال لنا فى كتابه كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وما منا رجل الا وهو يدعو ربه صباحا ومساء أن يرزقه الشهادة وأن لا يرده الى بلده ولا الى ارضه ولا الى اهله وولده وليس لاحد منا هم فيما خلفه وقد استودع كل واحد منا ربه أهله وولده وانما همنا ما أمامنا وأما قولك انا فى ضيق وشدة من معاشنا وحالنا فنحن فى أوسع السعة لو كانت الدنيا كلها لنا ما اردنا منها لانفسنا اكثر مما نحن عليه فانظر الذى تريد فبينه لنا فليس بيننا وبينك خصلة نقبلها منك ولا نجيبك اليها الا خصلة من ثلاث فاختر ايتها شئت ولا تطمع نفسك فى الباطل بذلك امرنى

الامير بها امره امير المؤمنين وهو عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من قبل الينا اما ان اجبتم الى الاسلام الذى هو الدين القيم الذى لا يقبل الله غيره وهو دين انبيائه ورسله وملائكته امرنا الله تعالى أن نقاتل من خالفه ورغب عنه حتى يدخل فيه فان فعل كان له مالنا وعليه ما علينا وكان اخانا فى دين الله فان قبلت ذلك انت واصحابك فقد سعدتم فى الدنيا والآخرة ورجعنا عن قتالكم ولم نستحل اذاكم ولا التعرض لكم وان ابيتم الا الجزية فأدوا الينا الجزية عن يد وانتم صاغرون وان نعاملكم على شئ نرضى به نحن وانتم فى كل عام ابدا ما بقينا وبقيتم ونقاتل عنكم من ناواكم وعرض لكم فى شئ من ارضكم ودمائكم وأموالكم ونقوم بذلك عنكم اذ كنتم فى ذمتنا وكان لكم به عهد علينا وان ابيتم فليس بيننا وبينكم الا المحاكمة بالسيف حتى نموت من آخرنا او نصيب ما نريد منكم هذا ديننا الذى ندين الله تعالى به ولا يجوز لنا فيما بيننا وبينه غيره فانظروا لانفسكم فقال المقوقس هذا ما لا يكون ابدا ما تريدون الا أن تتخذونا عبيدا ما كانت الدنيا فقال له عبادة هو ذلك فاختر لنفسك ما شئت فقال المقوقس افلا تجيبونا الى خصلة غير هذه الثلاث خصال فرفع عبادة يديه الى السماء فقال لا ورب هذه السماء ورب هذه الارض ورب كل شئ ما لكم عندنا خصلة غيرها فاختاروا لانفسكم فالتفت المقوقس عند ذلك الى اصحابه فقال قد فرغ القوم فما ترون فقالوا اويرضى احد بهذا الذل أما ما ارادوا من دخولنا فى دينهم فهذا لا يكون ابدا أن نترك دين المسيح ابن مريم وندخل فى دين غيره لا نعرفه وأما ما ارادوا أن يسبونا ويجعلونا عبيدا فالموت أيسر من ذلك لو رضوا منا أن نضعف لهم ما اعطيناهم مرارا كان أهون علينا فقال المقوقس لعبادة قد أبى القوم فما ترى فراجع صاحبك على أن نعطيكم فى مرتكم هذه ما تمنيتم وتنصرفون فقال عبادة وأصحابه لا فقال المقوقس عند ذلك أطيعونى واجيبوا القوم الى خصلة من هذه الثلاث فوالله ما لكم بهم طاقة ولئن لم تجيبوا اليها طائعين لتجيبنهم الى ما هو أعظم كارهين فقالوا وأى خصلة نجيبهم اليها قال اذا اخبركم أما دخولكم فى غير دينكم فلا آمركم به وأما قتالهم فأنا اعلم انكم لن تقووا عليهم ولن تصبروا اصبرهم ولا بد من الثالثة قالوا فنكون لهم عبيدا ابدا قال نعم تكونون عبيدا مسلطين فى بلادكم آمنين على انفسكم واموالكم وذراريكم خير لكم من أن تموتوا من آخركم وتكونوا عبيدا تباعوا وتمزقوا فى البلاد مستعبدين ابدا انتم واهليكم وذراريكم قالوا فالموت اهون علينا وامروا بقطع الجسر من الفسطاط وبالجزيرة وبالقصر من جمع القبط والروم كثير فألح المسلمون عند ذلك بالقتال على من بالقصر حتى ظفروا بهم وأمكن الله منهم فقتل منهم خلق كثير واسر من اسر وانحازت السفن كلها الى الجزيرة وصار المسلمون يراقبونهم وقد أحدق بهم الماء من كل وجه لا يقدرون على أن يتقدموا نحو الصعيد ولا الى غير ذلك من المدن والقرى والمقوقس يقول لاصحابه ألم اعلمكم واخافه عليكم ما تنتظرون فوالله لتجيبنهم الى ما ارادوا طوعا او لتجيبنهم الى ما هو اعظم منه كرها فأطيعونى من قبل أن تندموا فلما رأوا منهم ما رأوا وقال لهم المقوقس ما قال اذعنوا بالجزية ورضوا بذلك على صلح يكون بينهم يعرفونه وأرسل المقوقس الى عمرو بن العاص انى لم ازل حريصا على اجابتكم الى خصلة من تلك الخصال التى ارسلت الى بها فأبى على من حضرنى من الروم والقبط فلم يكن لى أن افتات عليهم فى اموالهم وقد عرفوا نصحى لهم وحبى صلاحهم ورجعوا الى قولى فأعطنى امانا اجتمع انا وأنت انا فى نفر من أصحابى وأنت فى نفر من اصحابك فان استقام الامر بيننا تم ذلك جميعا وان لم يتم رجعنا الى ما كنا عليه فاستشار عمرو أصحابه فى ذلك فقالوا لا نجيبهم الى شئ من الصلح ولا الجزية حتى يفتح الله علينا وتصير الارض كلها لنا فيئا وغنيمة كما صار لنا القصر وما فيه فقال عمرو قد علمتم ما عهد الى امير المؤمنين فى عهده فان اجابوا الى خصلة من الخصال الثلاث التى عهد الى فيها اجبتهم اليها وقبلت منهم مع ما قد حال هذا الماء بيننا وبين ما نريد من قتالهم فاجتمعوا على عهد بينهم واصطلحوا على أن يفرض لهم على جميع من بمصر أعلاها وأسفلها من القبط دينارين دينارين عن كل نفس شريفهم ووضيعهم ممن بلغ منهم الحلم ليس على الشيخ الفانى ولا على الصغير الذى لم يبلغ الحلم ولا على النساء شئ وعلى أن للمسلمين عليهم النزل بجماعتهم حيث نزلوا ومن نزل عليه ضيف واحد من المسلمين أو اكثر من ذلك كانت لهم ضيافة ثلاثة ايام مفترضة عليهم وأن لهم ارضهم وأموالهم لا تعرض لهم فى شئ منها فشرط ذلك كله على القبط خاصة وأحصوا عدد القبط يومئذ خاصة من بلغ منهم الجزية وفرض

عليهم الديناران رفع ذلك عرفاؤهم بالايمان المؤكدة فكان جميع من احصى يومئذ بمصر أعلاها وأسفلها من جميع القبط فيما احصوا وكتبوا ورفعوا اكثر من ستة آلاف ألف نفس فكانت فريضتهم يومئذ اثنى عشر ألف ألف دينار فى كل سنة * وقال ابن لهيعة عن يحيى بن ميمون الحضرمى لما فتح عمرو مصر صالح عن جميع من فيها من الرجال من القبط ممن راهق الحلم الى ما فوق ذلك ليس فيهم امرأة ولا شيخ ولا صبى فأحصوا بذلك على دينارين دينارين فبلغت عدتهم ثمانية آلاف ألف قال وشرط المقوقس للروم أن يخيروا فمن احب منهم أن يقيم على مثل هذا أقام على ذلك لازما له مفترضا عليه ممن اقام بالاسكندرية وما حولها من ارض مصر كلها ومن اراد الخروج منها الى ارض الروم خرج وعلى أن للمقوقس الخيار فى الروم خاصة حتى يكتب الى ملك الروم ويعلمه ما فعل فان قبل ذلك ورضيه جاز عليهم والا كانوا جميعا على ما كانوا عليه وكتبوا به كتابا وكتب المقوقس الى ملك الروم كتابا يعلمه بالامر كله فكتب اليه ملك الروم يقبح رأيه ويعجزه ويرد عليه ما فعل ويقول فى كتابه انما اتاك من العرب اثنا عشر ألفا وبمصر من بها من كثرة عدد القبط ما لا يحصى فان كان القبط كرهوا القتال وأحبوا أداء الجزية الى العرب واختاروهم علينا فان عندك بمصر من الروم وبالاسكندرية ومن معك اكثر من مائة ألف معهم العدة والقوة والعرب وحالهم وضعفهم على ما قد رأيت فعجزت عن قتالهم ورضيت أن تكون انت ومن معك من الروم فى حال القبط اذلاء فقاتلهم انت ومن معك من الروم حتى تموت او تظهر عليهم فانهم فيكم على قدر كثرتكم وقوتكم وعلى قدر قلتهم وضعفهم كأكلة ناهضهم القتال ولا يكن لك رأى غير ذلك وكتب ملك الروم بمثل ذلك كتابا الى جماعة الروم فقال المقوقس لما اتاه كتاب ملك الروم والله اعلم انهم على قلتهم وضعفهم اقوى وأشد منا على قوتنا وكثرتنا ان الرجل الواحد منهم ليعدل مائة رجل منا وذلك انهم قوم الموت احب الى احدهم من الحياة يقاتل الرجل منهم وهو مستقبل يتمنى أن لا يرجع الى اهله ولا بلده ولا ولده ويرون أن لهم اجرا عظيما فيمن قتلوه منا ويقولون انهم ان قتلوا دخلوا الجنة وليس لهم رغبة فى الدنيا ولا لذة الا قدر بلغة العيش من الطعام واللباس ونحن قوم نكره الموت ونحب الحياة ولذتها فكيف نستقيم نحن وهؤلاء وكيف صبرنا معهم واعلموا معشر الروم والله انى لا أخرج مما دخلت فيه ولا صالحت العرب عليه وانى لاعلم انكم سترجعون غدا الى قولى ورأيى وتتمنون أن لو كنتم أطعتمونى وذلك انى قد عاينت ورأيت وعرفت ما لم يعاين الملك ولم يره ولم يعرفه أما يرضى احدكم أن يكون آمنا فى دهره على نفسه وماله وولده بدينارين فى السنة ثم أقبل المقوقس الى عمرو فقال له ان الملك قد كره ما فعلت وعجزنى وكتب الىّ والى جماعة الروم أن لا نرضى بمصالحتك وأمرهم بقتالك حتى يظفروا بك أو تظفر بهم ولم اكن لاخرج مما دخلت فيه وعاقدتك عليه وانما سلطانى على نفسى ومن أطاعنى وقد تم صلح القبط فيما بينك وبينهم ولم يأت من قبلهم نقض وأنا متم لك على نفسى والقبط متمون لك على الصلح الذى صالحتهم عليه وعاقدتهم وأما الروم فأنا منهم برىء وانا أطلب اليك أن تعطينى ثلاث خصال لا تنقض بالقبط وأدخلنى معهم وألزمنى ما لزمهم وقد اجتمعت كلمتى وكلمتهم على ما عاقدتك عليه فهم متمون لك على ما تحب وأما الثانية ان سألك الروم بعد اليوم أن تصالحهم فلا تصالحهم حتى تجعلهم فيأ وعبيدا فانهم اهل ذلك لانى نصحتهم فاستغشونى ونظرت لهم فاتهمونى وأما الثالثة أطلب اليك ان انا مت أن تأمرهم أن يدفنونى بجسر الاسكندرية فأنعم له عمرو بذلك وأجابه الى ما طلب على أن يضمنوا له الجسرين جميعا ويقيموا لهم الانزال والضيافة والاسواق والجسور ما بين الفسطاط الى الاسكندرية ففعلوا وصارت لهم القبط أعوانا كما جاء فى الحديث وقال ابن وهب فى حديثه عن عبد الرحمن بن شريح فسار عمرو بمن معه حتى نزل على الحصن فحاصرهم حتى سألوه أن يسير منهم بضعة عشر أهل بيت ويفتحوا له الحصن ففعل ذلك ففرض عليهم عمرو لكل رجل من أصحابه دينارا وجبة وبرنسا وعمامة وخفين وسألوه أن يأذن لهم أن يهيؤا له ولاصحابه صنيعا ففعل وأمر عمرو أصحابه فتهيؤا ولبسوا البرود ثم اقبلوا فلما فرغوا من طعامهم سألهم عمرو كم أنفقتم قالوا عشرين ألف دينار قال عمرو لا حاجة لنا بصنيعكم بعد اليوم اذوا الينا عشرين ألف دينار فجاءه النفر من القبط فاستأذنوه الى قراهم وأهليهم فقال لهم عمرو كيف رأيتم أمرنا قالوا لم نر الا حسنا فقال الرجل الذى قال فى المرة الاولى انكم لن تزالوا تظهرون على كل من لقيتم حتى تقتلوا خيركم رجلا فغضب عمرو وأمر به فطلب اليه أصحابه وأخبروه

انه لايدرى مايقول حتى خلصوه فلما بلغ عمرا قتل عمر بن الخطاب رضى الله عنه أرسل فى طلب ذلك القبطى فوجدوه قد هلك فعجب عمرو من قوله ويقال ان عمرو بن العاص قال فلما طعن عمر بن الخطاب قلت هو ماقال القبطى فلما حدثت انه انما قتله ابولؤلؤة رجل نصرانى قلت لم يعن هذا انما عنى من قتله المسلمون فلما قتل عثمان عرفت أن ماقال الرجل حق فلما فرغ القبط من صنيعهم أمر عمرو بن العاص بطعام فصنع لهم وأمرهم أن يحضروا لذلك فصنع لهم الثريد والعراق وأمر أصحابه بلباس الاكسية واشتمال الصماء والقعود على الركب فلما حضرت الروم وضعوا كراسى الديباج فجلسوا عليها وجلست العرب الى جوانبهم فجعل الرجل من العرب يلتقم اللقمة العظيمة من الثريد وينهش من ذلك اللحم فيتطاير على من الى جنبه من الروم فبشعت الروم ذلك وقالت أين اولئك الذين كانوا أتونا قبل فقيل لهم اولئك أصحاب المشورة وهؤلاء أصحاب الحرب * وقال الكندى وذكر يزيد بن أبى حبيب أن عدد الجيش الذين كانوا مع عمرو بن العاص خمسة عشر ألفا وخمسمائة وذكر عبد الرحمن بن سعيد بن مقلاص أن الذين جرت سهمانهم فى الحصن من المسلمين اثنا عشر ألفا وثلثمائة بعد من أصيب منهم فى الحصار بالقتل والموت ويقال ان الذين قتلوا فى هذا الحصار من المسلمين دفنوا فى اصل الحصن * وذكر القضاعى أن مصر فتحت يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين وقيل فتحت سنة ست عشرة وهو قول الواقدى وقيل فتحت والاسكندرية سنة خمس وعشرين والاكثر على انها فتحت قبل عام الرمادة وكانت الرمادة فى آخر سنة سبع عشرة وأول ثمان عشرة

(ذكر ماقيل فى مصر هل فتحت بصلح اوعنوة)

وقد اختلف فى فتح مصر فقال قوم فتحت صلحا وقال آخرون انما فتحت عنوة فأما الذين قالوا كان فتح مصر بصلح فان حسين بن شفى قال لما فتح عمرو بن العاص الاسكندرية بقى من الاسارى بها ممن بلغ الخراج وأحصى يومئذ ستمائة ألف سوى النساء والصبيان فاختلف الناس على عمرو فى قسمهم فكان اكثر المسلمين يريد قسمها فقال عمرو لاأقدر على قسمها حتى اكتب الى أمير المؤمنين فكتب اليه يعلمه بفتحها وشأنها وأن المسلمين طلبوا قسمها فكتب اليه عمر رضى الله عنه لاتقسمها وذرهم يكون خراجهم فيأ للمسلمين وقوة لهم على جهاد عدوهم فاقرها عمرو وأحصى اهلها وفرض عليهم الخراج فكانت مصر كلها صلحا بفريضة دينارين دينارين الا انه يلزم بقدر مايتوسع فيه من الارض والزرع الا الاسكندرية فانهم كانوا يؤدون الخراج والجزية على قدر مايرى من وليهم لان الاسكندرية فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد ولم يكن لهم صلح ولا ذمة * وقال الليث عن يزيد بن أبى حبيب مصر كلها صلح الا الاسكندرية فانها فتحت عنوة * وقال عبد الله بن أبى جعفر حدثنى رجل ممن أدرك عمرو ابن العاص قال للقبط عهد عند فلان وعهد عند فلان فسمى ثلاثة نفر وفى رواية ان عهد أهل مصر كان عند كبرائهم وفى رواية سألت شيخا من القدماء عن فتح مصر قلت له فان ناسا يذكرون انه لم يكن لهم عهد فقال مايبالى أن لايصلى من قال انه ليس لهم عهد فقلت فهل كان لهم كتاب فقال نعم كتب ثلاثة كتاب عند طلما صاحب اخنا وكتاب عند قزمان صاحب رشيد وكتاب عند يحنس صاحب البرلس قلت كيف كان صلحهم قال دينارين على كل انسان جزية وأرزاق المسلمين قلت فتعلم ما كان من الشروط قال نعم ستة شروط لايخرجون من ديارهم ولا تنزع نساؤهم ولا كفورهم ولا أراضيهم ولا يزاد عليهم * وقال يزيد بن أبى حبيب عن أبى جمعة مولى عقبة قال كتب عقبة بن عامر الى معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه يسأله ارضا يسترفق بها عند قرية عقبة فكتب له معاوية بألف ذراع فى ألف ذراع فقال له مولى له كان عنده انظر اصلحك الله أرضا صالحة فقال له عقبة ليس لنا ذلك ان فى عهدهم شروطا ستة لايؤخذ من أنفسهم شئ ولا من نسائهم ولا من أولادهم ولا يزاد عليهم ويدفع عنهم موضع الخوف من عدوهم وانا شاهد لهم بذلك * وعن يزيد بن أبى حبيب عن عوف بن حطان انه كان لقريات من مصر منهن أم دنين و بلهيت عهد وان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما سمع بذلك كتب الى عمرو يأمره أن يخيرهم فان دخلوا فى الاسلام فذاك وان كرهوا فاردد هم الى قراهم وقال يحيى بن أيوب وخالد بن حميد فتح الله أرض مصر كلها بصلح غير الاسكندرية وثلاث قريات ظاهرت الروم على المسلمين سلطيس ومصيل و بلهيت فانه كان للروم جمع تظاهروا الروم على المسلمين فلما ظهر عليها المسلمون استحلوها وقالوا هؤلاء لنا فىء مع الاسكندرية فكتب

عمرو بن العاص بذلك الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فكتب اليه عمر أن يجعل الاسكندرية وهؤلاء الثلاث قريات ذمة للمسلمين ويضربون عليهم الخراج ويكون خراجهم وما صالح عليه القبط كله قوة للمسلمين لا يجعلون فيأ ولا عبيدا ففعلوا ذلك الى اليوم * وقال آخرون بل فتحت مصر عنوة بلا عهد ولا عقد قال سفيان بن وهب الخولانى لما افتتحنا مصر بغير عهد ولا عقد قام الزبير بن العوام فقال اقسمها يا عمرو بن العاص فقال عمرو والله لا أقسمها فقال الزبير والله لنقسمنها كما قسم رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر فقال عمرو والله لا أقسمها حتى أكتب الى أمير المؤمنين فكتب الى عمر فكتب اليه عمر أقرّها حتى يغزو منها حبل الحبلة وصولح الزبير على شئ أرضى به وقال ابن لهيعة عن عبد الله بن هبيرة ان مصر فتحت عنوة وعن عبد الرحمن بن زياد بن انعم قال سمعت أشياخنا يقولون ان مصر فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد منهم ابى يحدثنا عن أبيه وكان فيمن شهد فتح مصر وعن أبى الاسود عن عروة ان مصر فتحت عنوة وعن عمرو بن العاص انه قال لقد قعدت مقعدى هذا وما لاحد من قبط مصر علىّ عهد ولا عقد الا اهل انطابلس كان لهم عهد يوفى به ان شئت قتلت وان شئت خمست وان شئت بعت وعن ربيعة بن أبى عبد الرحمن أن عمرو بن العاص فتح مصر بغير عهد ولا عقد وأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه حبس درها وضرعها أن يخرج منه شئ نظرا للاسلام وأهله * وعن زيد بن أسلم قال كان تابوت لعمر بن الخطاب فيه كل عهد كان بينه و بين أحد ممن عاهده فلم يوجد فيه لاهل مصر عهد فمن أسلم منهم اقامه ومن أقام منهم قوّمه وكتب حيان بن شريح الى عمر بن عبد العزيز يسأله أن يجعل جزية موتى القبط على أحيائهم فسأل عمر عراك ابن مالك فقال عراك ما سمعت لهم بعهد ولا عقد وانما أخذوا عنوة بمنزلة العبيد فكتب عمر الى حيان أن يجعل جزية موتى القبط على أحيائهم وقال يحيى بن عبد الله بن بكير خرج أبو سلمة بن عبد الرحمن يريد الاسكندرية فى سفينة فاحتاج الى رجل يجذف فسخر رجلا من القبط فكلم فى ذلك فقال انما هم بمنزلة العبيد ان احتجنا اليهم وقال ابن لهيعة عن الصلت بن ابى عاصم انه قرأ كتاب عمر بن عبد العزيز الى حيان بن شريح ان مصر فتحت عنوة بغير عهد ولا عقد وعن عبيد الله بن أبى جعفر أن كاتب حيان حدثه انه احتيج الى خشب لصناعة الجزيرة فكتب حيان الى عمر بن عبد العزيز يذكر ذلك له وانه وجد خشبا عند بعض اهل الذمة وانه كره أن يأخذها منهم حتى يعلمه فكتب اليه عمر خذها منهم بقيمة عدل فانى لم أجد لاهل مصر عهدا أفى لهم به وقال عمر ابن عبد العزيز لسالم أنت تقول ليس لاهل مصر عهد قال نعم وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان عمرو ابن العاص كتب الى عمر بن الخطاب فى رهبان يترهبون بمصر فيموت أحدهم وليس له وارث فكتب اليه عمر أن من كان منهم له عقب فادفع ميراثه الى عقبه فان لم يكن له عقب فاجعل ماله فى بيت مال المسلمين فان ولاءه للمسلمين * وقال ابن شهاب كان فتح مصر بعضها بعهد وذمة وبعضها عنوة فجعلها عمر بن الخطاب رضى الله عنه جميعها ذمة وحملهم على ذلك فمضى ذلك فيهم الى اليوم واشترى الليث بن سعد شيأ من أرض مصر لانه كان يحدث عن يزيد بن أبى حبيب ان مصر صلح وكان مالك بن أنس ينكر على الليث ذلك وانكر عليه أيضا عبد الله ابن لهيعة ونافع بن يزيد لان مصر عندهم كانت عنوة

* (ذكر من شهد فتح مصر من الصحابة رضى الله عنهم) *

قال ابن عبد الحكم وكان من حفظ من الذين شهدوا فتح مصر من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرهم وممن لم يكن له برسول الله صلى الله عليه وسلم صحبة الزبير بن العوّام وسعد بن أبى وقاص وعمرو ابن العاص وكان أمير القوم وعبد الله بن عمرو وخارجة بن حذافة العدوىّ وعبد الله بن عمر بن الخطاب وقيس بن ابى العاص السهمىّ والمقداد بن الاسود وعبد الله بن أبى سعد بن أبى سرح العامرى ونافع بن عبد قيس الفهرىّ ويقال بل هو عقبة بن نافع وأبو عبد الرحمن يزيد بن أنيس الفهرىّ وأبو رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن عبدة وعبد الرحمن وربيعة ابنا شرحبيل بن حسنة ووردان مولى عمرو بن العاص وكان حامل لواء عمرو بن العاص وقد اختلف فى سعد بن أبى وقاص فقيل انما دخلها بعد الفتح وشهد الفتح من الانصار عبادة بن الصامت وقد شهد بدرا وبيعة العقبة ومحمد بن مسلمة الانصارىّ وقد شهد بدرا وهو الذى بعثه عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى مصر فقاسم عمرو بن العاص ماله وهو أحد من كان صعد الحصن مع الزبير بن

العوام ومسلمة بن مخلد الانصارى يقال له صحبة وأبو أيوب خالد بن زيد الانصارى وابو الدرداء عويمر بن عامر وقيل عويمر بن زيد ومن أحياء القبائل ابو نصرة جميل بن نصرة الغفارى وأبوذر جندب بن جنادة الغفارى وشهد الفتح مع عمرو بن العاص وهبيب بن معقل واليه ينسب وادى هبيب الذى بالمغرب وعبد الله بن الحارث ابن جزء الزبيدى وكعب بن ضبة العبسى ويقال كعب بن يسار بن ضبة وعقبة بن عامر الجهنى وهو كان رسول عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاص حين كتب اليه يامره أن يرجع ان لم يكن دخل ارض مصر وابو زمعة البلوى وبرح بن حسكل ويقال برح بن عسكر وشهد فتح مصر واختط بها وجنادة بن أبى أمية الازدى وسفيان ابن وهب الخولانى وله صحبة ومعاوية بن خديج الكندى وهو كان رسول عمرو بن العاص الى عمر بن الخطاب بفتح الاسكندرية وقد اختلف فيه فقال قوم له صحبة وقال آخرون ليست له صحبة وعامر مولى جمل الذى يقال له عامر جمل شهد الفتح وهو مملوك وعمار بن ياسر ولكن دخل بعد الفتح فى أيام عثمان وجهه اليها فى بعض اموره قال ابن عبد الحكم منهم من اختط بالبلد فذكرنا خطته ومنهم من لم يذكر له خطة قال فاختط عمرو بن العاص داره التى عند باب المسجد بينهما الطريق وداره الأخرى اللاصقة الى جنبها وفيها دفن عبد الله بن عمرو فيما زعم بعض مشايخ البلد لحدث كان يومئذ فى البلد والحمام الذى يقال له حمام الفار وانما قيل له حمام الفار لان حمامات الروم كانت ديماسات كبارا فلما بنى هذا الحمام ورأوا صغره قالوا من يدخل هذا هذا حمام الفار

*(ذكر السبب فى تسمية مدينة مصر بالفسطاط)

قال ابن عبد الحكم عن يزيد بن أبى حبيب ان عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية ورأى بيوتها وبناءها مفروغا منها هم أن يسكنها وقال مساكن قد كفيناها فكتب الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه يستأذنه فى ذلك فسأل عمر الرسول هل يحول بينى وبين المسلمين ماء قال نعم يا أمير المؤمنين اذا جرى النيل فكتب عمر الى عمرو انى لا أحب أن تنزل بالمسلمين منزلا يحول الماء بينى وبينهم فى شتاء ولا صيف فتحوّل عمرو من الاسكندرية الى الفسطاط قال وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى سعد بن أبى وقاص وهو نازل بمدائن كسرى والى عامله بالبصرة والى عمرو بن العاص وهو نازل بالاسكندرية أن لا تجعلوا بينى وبينكم ماء متى أردت أن اركب اليكم راحلتى حتى أقدم عليكم قدمت فتحوّل سعد من مدائن كسرى الى الكوفة وتحوّل صاحب البصرة من المكان الذى كان فيه فنزل البصرة وتحوّل عمرو بن العاص من الاسكندرية الى الفسطاط قال وانما سميت الفسطاط لان عمرو بن العاص لما أراد التوجه الى الاسكندرية لقتال من بها من الروم أمر بنزع فسطاطه فاذا فيه يمام قد فرّخ فقال عمرو لقد تحرّم منا بمتحرّم فأمر به فأقرّ كما هو وأوصى به صاحب القصر فلما قفل المسلمون من الاسكندرية قالوا أين ننزل قالوا الفسطاط لفسطاط عمرو الذى كان خلفه وكان مضروبا فى موضع الدار التى تعرف اليوم بدار الحصار عند دار عمرو الصغيرة * قال الشريف محمد بن اسعد الجوّانى كان فسطاط عمرو عند درب حمام شمول بخط الجامع وقال ابن قتيبة فى كتاب غريب الحديث فى حديث النبى صلى الله عليه وسلم انه قال عليكم بالجماعة فان يد الله على الفسطاط يرويه سويد بن عبد العزيز عن النعمان بن المنذر عن مكحول عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم والفسطاط المدينة وكل مدينة فسطاط ولذلك قيل لمصر فسطاط وقال البكرى الفسطاط بضم أوله وكسره واسكان ثانيه اسم لمصر ويقال فسطاط وبسطاط قال المطرزى وفصطاط وفستاط وبكسر اوائل جميعها فهى عشر لغات وقال ابن قتيبة كل مدينة فسطاط وذكر حديث عليكم بالجماعة فان يد الله على الفسطاط وأخبرنى ابو حاتم عن الاصمعى أنه قال حدثنى رجل من بنى تميم قال قرأت فى كتاب رجل من قريش هذا ما اشترى فلان بن فلان من عجلان مولى زياد اشترى منه خمسمائة جريب حيال الفسطاط يريد البصرة ومنه قول الشعبى فى الآبق اذا أخذ فى الفسطاط عشرة واذا اخذ خارجا عن الفسطاط أربعون وأراد أن يد الله على اهل الامصار وأن من شذ عنهم وفارقهم فى الرأى فقد خرج عن يد الله وفى ذلك آثار والله أعلم

(ذكر الخطط التى كانت بمدينة الفسطاط)

اعلم أن الخطط التى كانت بمدينة فسطاط مصر بمنزلة الحارات التى هى اليوم بالقاهرة فقيل لتلك فى مصر خطة

وقيل

وقيل لها فى القاهرة حارة * قال القضاعى ولما رجع عمرو من الاسكندرية ونزل موضع فسطاطه انضمت القبائل بعضها الى بعض وتنافسوا فى المواضع فولى عمرو على الخطط معاوية بن خديج التجيبى وشريك بن سمى الغطيفى وعمرو بن قحزم الخولانى وحيويل بن ناشرة المغافرى وكانوا هم الذين ازلوا الناس وفصلوا بين القبائل وذلك فى سنة احدى وعشرين * (خطة اهل الراية) اهل الراية جماعة من قريش والانصار وخزاعة واسلم وغفار ومزينة وأشجع وجهينة وثقيف ودوس وعبس بن بغيض وحرش من بنى كنانة وليث بن بكر والعتقاء منهم الا أن منزل العتقاء فى غير الراية وانما سموا اهل الراية ونسبت الخطة اليهم لانهم جماعة لم يكن لكل بطن منهم من العدد ما ينفرد بدعوة من الديوان فكره كل بطن منهم أن يدعى باسم قبيلة غير قبيلته فجعل لهم عمرو بن العاص راية ولم ينسبها الى أحد فقال يكون موقفكم تحتها فكانت لهم كالنسب الجامع وكان ديوانهم عليها وكان اجتماع هذه القبائل لما عقده رسول الله صلى الله عليه وسلم من الولاية بينهم وهذه الخطة محيطة بالجامع من جميع جوانبه ابتدؤا من المصف الذى كانوا عليه فى حصارهم الحصن وهو باب الحصن الذى يقال له باب الشمع ثم مضوا بخطتهم الى حمام الفار وشرعوا بغربيها الى النيل فاذا بلغت الى النحاسين فالجانبان لاهل الراية الى باب المسجد الجامع المعروف بباب الوراقين ثم يسلك على حمام شمول وفى هذه الخطة زقاق القناديل الى تربة عفان الى سوق الحمام الى باب القصر الذى بدأنا بذكره * (خطة مهرة) بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ابن مالك بن حمير * وخطة مهرة هذه قبلى خطة الراية واختطت مهرة أيضا على سفح الجبل الذى يقال له جبل يشكر مما يلى الخندق الى شرقى العسكر الى جنان بنى مسكين ومن جملة خطة مهرة الموضع الذى يعرف اليوم بمساطب الطباخ واسمه حمد ويقال ان الخطة التى لهم قبلى الراية كانت حوزالهم يربطون فيها خيلهم اذا رجعوا الى الجمعة ثم انقطعوا اليها وتركوا منازلهم بيشكر * (خطة تجيب) وتجيب هم بنو عدى وسعد ابنى الأشرس بن شبيب بن السكن بن الاشرس بن كندة فمن كان من ولد عدى وسعد يقال لهم تجيب وتجيب أمهم وهذه الخطة تلى خطة مهرة وفيها درب المصوصة آخره حائط من الحصن الشرقى * (وخطط لخم فى موضعين) فمنها خطة لخم بن عدى بن مرة بن ادد ومن خالطها من جذام فابتدأت لخم بخطتها من الذى انتهت اليه خطة الراية وأصعدت ذات الشمال وفى هذه الخطة سوق بربر وشارعه مختلط فيما بين لخم والراية ولهم خطتان أخريان احداهما منسوبة الى بنى رية بن عمرو بن الحارث بن وائل بن راشدة من لخم وأولها شرقى الكنيسة المعروفة بميكائيل التى عند خليج بنى وائل وهذا الموضع اليوم وراقات يعلى فيها الورق بالقرب من باب القنطرة خارج مصر والخطة الثانية خطة راشدة بن أدب بن جزيلة من لخم وهى متاخمة للخطة التى قبلها وفى هذه الخطة جامع راشدة وجنان كهمس بن معمر الذى عرف بالمادرانى ثم عرف بجنان الامير تميم وهو اليوم يقال له المعشوق بجوار الآثار النبوية ولهم مواضع مع اللفيف وخطط أيضا بالحمراء * (خطط اللفيف) انما سموا بذلك لالتفاف بعضهم ببعض وسبب ذلك أن عمرو بن العاص لما فتح الاسكندرية أخبر أن مراكب الروم قد توجهت الى الاسكندرية لقتال المسلمين فبعث عمرو بعمرو بن جمالة الازدى الحجرى ليأتيه بالخبر فمضى واسرعت هذه القبائل التى تدعى اللفيف وتعاقدوا على اللحاق به واستأذنوا عمرو بن العاص فى ذلك فأذن لهم وهم جمع كثير فلما رآهم عمرو بن جمالة استكثرهم وقال تالله ما رأيت قوما قد سدوا الأفق مثلكم وانكم كما قال الله تعالى فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا فبذلك سموا من يومئذ اللفيف وسألوا عمرو بن العاص أن يفرد لهم دعوة فامتنعت عشائرهم من ذلك فقالوا لعمرو فانا نجتمع فى المنزل حيث كنا فأجابهم الى ذلك فكانوا مجتمعين فى المنزل متفرقين فى الديوان اذا دعى كل بطن منهم انضم الى بنى أبيه قال قتادة ومجاهد والضحاك بن مزاحم فى قوله جئنا بكم لفيفا قال جميعا وكان عامتهم من الازد من الحجر ومن غسان ومن شجاعة والتف بهم نفر من جذام ولخم والزحاف وتنوخ من قضاعة فهم مجتمعون فى المنزل متفرقون فى الديوان وهذه الخطة اولها مما يلى الراية سالكا ذات الشمال الى نقاشى البلاط وفيها دار ابن عشرات الى نحو من سوق وردان * (خطط اهل الظاهر) انما سمى هذا المنزل بالظاهر لان القبائل التى نزلته كانت بالاسكندرية ثم قفلت بعد قفول عمرو بن العاص وبعد أن اختط الناس خطهم فخاصمت الى عمرو فقال لهم معاوية بن خديج وكان ممن تولى الخطط يومئذ ارى لكم أن تظهروا على اهل هذه القبائل فتتخذوا منزلا فسمى الظاهر بذلك وكانت القبائل التى نزلت الظاهر

العتقاء وهم جماع من القبائل كانوا يقطعون على ايام النبي صلى الله عليه وسلم فبعث اليهم فأتى بهم أسرى فأعتقهم فقيل لهم العتقاء وديوانهم مع اهل الراية وخطتهم بالظاهر متوسطة فيه وكان فيهم طوائف من الازد وفهم وأول هذه الخطة من شرقي خطة لخم وتتصل بموضع العسكر ومن هذه الخطة سويقة العراقيين وعرفت بذلك لان زيادا لما ولاه معاوية بن أبي سفيان البصرة غرب جماعة من الازد الى مصر وبها مسلمة بن مخلد في سنة ثلاث وخمسين فنزل منهم هنا نحو من مائة وثلاثين فقيل لموضعهم من خطة الظاهر سويقة العراقيين * (خطط غافق) هو غافق بن الحارث بن عك بن عدثان بن عبد الله بن الازد وهذه الخطة تلي خطة لخم الى خطة الظاهر بجوار درب الاعلام * (خطط الصدف) واسمه مالك بن سهل بن عمرو بن قيس بن حمير ودعوتهم مع كندة * (خطط الفارسيين) واستبدّ بخطة خولان من حضر فتح مصر من الفارسيين وهم بقايا جند باذان عامل كسرى على اليمن قبل الاسلام اسلموا بالشأم ورغبوا في الجهاد فنفروا مع عمرو بن العاص الى مصر فاختطوا بها وأخذوا في سفح الجبل الذي يقال له جبل باب البون وهذا الجبل اليوم شرقي من وراء خطة جامع ابن طولون تعرف أرضه بالارض الصفراء وهي من جملة العسكر * (خطة مذحج) بالحاء قبل الجيم وهو مالك بن مرة بن ادد بن زيد بن كهلان * (خطة غطيف) بن مراد * (خطة وعلان) بن قرن بن ناجية بن مراد وكلهم من مذحج فاختطت وعلان من الزقاق الذي فيه الصنم المعروف بسرية فرعون وهذا الزقاق أوله باب السوق الكبير واختطت ايضا بخولان ثم انفردت وعلان بخططها مقابل المسجد المعروف بالدينوري واسندت الى خولان وهذه الخطة اليوم كيمان تطل على قبر القاضي بكار * (خطة يحصب) بن مالك بن اسلم بن زيد بن غوث وهذه الخطة موضعها كيمان وهي تتصل بالشرف الذي يعرف اليوم بالرصد المطل على راشدة * (خطة رعين) بن زيد ابن سهل * (خطة ذي الكلاع) بن شرحبيل بن سعد من حمير * (خطة المغافر) بن يعفر بن مرة بن أدد وهذه الخطة من الرصد الى سقاية بن طولون وهي القناطر التي تطل على عفصة وتفصل بين القرافتين والقناطر للمغافر ولهم الى مصلى خولان والى الكوم المشرف على المصلى (خطة سبا وخطة الرحبة) بن زرعة بن كعب (خطة السلف بن سعد) فيما بين الكوم المطل على القاضي بكار و بين المغافر (خطة بني وائل) بن زيد مناة بن افصى بن الياس بن حرام بن جذام بن عدي وهي من سفح الشرف المعروف بالرصد الى خطة خولان (خطة القبض) بالتحريك بن مرثد وهي بجانب خطة بني وائل الى نحو بركة الحبش قال وكان سبب نزول بني وائل والقبض وربة وراشدة والفارسيين هذه المواضع انهم كانوا في طوالع عمرو بن العاص فنزلوا في مقدمة الناس وحازوا هذه المواضع قبل الفتح * (خطط الحمراوات الثلاث) قال الكندي وكانت الحمراء على ثلاثة بنو نبه وروبيل والازرق وكانوا ممن سار مع عمرو بن العاص من الشام الى مصر من عجم الشأم ممن كان رغب في الاسلام من قبل اليرموك ومن اهل قيسارية وغيرهم وقال القضاعي وانما قيل الحمرا لنزول الروم بها وهي خطط بلي ابن عمرو بن الحاف بن قضاعة وفهم وعدوان وبعض الازد وهم ثراد و بني بحر و بني سلامان ويشكر بن لخم وهذيل بن مدركة بن الياس بن مضر و بني نبه و بني الازرق وهم من الروم و بني روبيل وكان يهوديا فاسلم * فأول ذلك الحمراء الدنيا خطة بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة ومنها خطة ثراد من الازد وخطة فهم بن عمرو ابن قيس عيلان ومنها خطة بني بحر بن سوادة من الازد * ومن ذلك الحمراء الوسطى منها خطة بني نبه وهم قوم من الروم حضر الفتح منهم مائة رجل ومنها خطة هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر ومنها خطة بني سلامان من الازد ومنها خطة عدوان * ومن ذلك الحمراء القصوى وهي خطة بني الازرق وكان روميا حضر الفتح منهم أربعمائة وخطة بني روبيل وكان يهوديا فأسلم وحضر الفتح منهم ألف رجل وخطة بني يشكر بن جزيلة بن لخم وكانت منازل يشكر مفترقة في الجبل فدثرت قديما وعادت صحراء حتى جاءت المسودة يعني جيوش بني العباس فعمروها وهي الآن خراب * وقال ابن المتوج الحمراوات ثلاث اولى ووسطى وقصوى فأما الاولى فتجمع جامع الاور وعقبة العداسين وسوق وردان وخطة الزبير الى نقاشي البلاط طولا وعرضا على قدر ذلك وأما الوسطى فمن درب نقاشي البلاط الى درب معاني طولا وعرضا على قدره وأما القصوى فمن درب معاني الى القناطر الظاهرية يعني قناطر السباع وهي حد ولاية مصر من القاهرة وكانت هذه الحمراوات جل عمارة مصر في زمن الروم فاذا الحمراء الاولى والوسطى هما الآن خراب وموضعهما فيما بين سوق المعاريج وحمام طن من شرقيهما

الى ما يقابل المراغة فى الشرق وأما الحمراء الدنيا فهى الآن تعرف بخط قناطر السباع و بخط السبع سقايات وبحكر الخليلى وحكر أقبغا والكوم حيث الأسرى ومنها أيضا خط الكبش وخط الجامع الطولونى والعسكر ومنها حدرة ابن قميحة الى حيث قنطرة السد و بستان الطواشى وما فى شرقيه الى مشهد الرأس المعروف بزين العابدين وسيأتى لذلك مزيد بيان ان شاء الله تعالى عند ذكر العسكر وكانت مدينة الفسطاط على قسمين هما عمل فوق وعمل أسفل * فعمل فوق له طرفان غربى وشرقى فالغربى من شاطئ النيل فى الجهة القبلية وأنت مار فى الشرف المعروف اليوم بالرصد الى القرافة الكبرى والشرقى من القرافة الكبرى الى العسكر * وعمل أسفل ماعدا ذلك الى حد القاهرة

(ذكر امراء الفسطاط من حين فتحت مصر الى أن بنى العسكر)

اعلم أن عدة من ولى مصر من الامراء فى الاسلام منذ فتحت وسكن الفسطاط الى أن بنى العسكر تسعة وعشرون أميرا فى مدة مائة وثلاث عشرة سنة وسبعة أشهر أولها يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين من الهجرة النبوية وهو يوم فتح مصر و آخرها سلخ شهر رجب سنة ثلاث وثلاثين ومائة آخر ولاية صالح بن على بن عبد الله ابن عباس على مصر وأول ولاية أبى عون عبد الملك وهو أول من سكن العسكر من أمراء مصر * واول أمراء الفسطاط بعد الفتح على ماذكرا الكندى وغيره (عمرو بن العاص) بن وائل بن هاشم بن سعيد بن سهم بن عمرو ابن هصيص بن كعب بن لؤى بن غالب بن فهر بن مالك أبو عبد الله كان تاجرا فى الجاهلية وكان يختلف بتجارته الى مصر وهى الادم والعطر ثم ضرب الدهر ضرب باته حتى فتح المسلمون الشأم فخلا بعمر بن الخطاب رضى الله عنه فاستأذنه فى المسير الى مصر فسار فى سنة تسع عشرة وأتى الحصن فحاصره سبعة أشهر الى أن فتحه فى يوم الجمعة مستهل المحرم سنة عشرين وقيل كان فتح مصر فى ثانى عشر بؤنة سنة سبع وخمسين وثلثمائة لدقلطيانوس فعلى هذا يكون فتح مصر فى سنة تسع عشرة من الهجرة وتحرير ذلك أن الذى بين يوم الجمعة اول يوم من ملك دقلطيانوس و بين يوم الخميس اول سنة الهجرة ثمان وثلاثون وثلثمائة سنة فارسية وتسعة وثلاثون يوما فاذا ألغينا ذلك من تاريخ مصر فى ثانى عشر بؤنة سنة سبع وخمسين وثلثمائة بقى ثمان عشرة سنة وثمانية أشهر وثلاثة أيام وهذه سنون شمسية عنها من سنى القمر تسع عشرة سنة وشهر وثلاثة عشر يوما فيكون ذلك فى ثالث عشر ربيع الاول سنة عشرين فلعل الوهم وقع فى الشهر القبطى وحاز الحصن بما فيه وسار الى الاسكندرية فى ربيع الاول منها فحاصرها ثلاثة أشهر ثم فتحها عنوة وهو الفتح الاول ويقال بل فتحها مستهل سنة احدى وعشرين ثم سار عنها الى برقة فافتتحها عنوة فى سنة اثنتين وعشرين وقيل فى سنة ثلاث وعشرين وقدم على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه قدمتين استخلف فى احداهما زكريا بن جهم العبدرى وفى الثانية ابنه عبد الله وتوفى عمر رضى الله عنه فى ذى الحجة سنة ثلاث وعشرين وبويع أمير المؤمنين عثمان ابن عفان رضى الله عنه فوفد عليه عمرو وسأله عزل عبد الله بن سعد بن أبى سرح عن صعيد مصر وكان عمر ولاه الصعيد فامتنع من ذلك عثمان وعقد لعبد الله بن سعد على مصر كلها فكانت ولاية عمرو على مصر صلاتها وخراجها منذ افتتحها الى أن صرف عنها أربع سنين وأشهرا *(عبد الله بن سعد) بن أبى سرح واسمه الحسام ابن الحارث بن حبيب بن جذيمة بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤى ولى من قبل أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه فجاءه الكتاب بالفيوم فجعل لاهل اطواف جعلا فقدموا به الفسطاط ثم ان منويل الخصى سار الى الاسكندرية فى سنة أربع وعشرين فسأل اهل مصر عثمان أن يرد عمرو بن العاص لمحاربته فرده والياعلى الاسكندرية فحارب الروم بها حتى افتتحها وعبد الله بن سعد مقيم بالفسطاط حتى فتحت الاسكندرية الفتح الثانى عنوة فى سنة خمس وعشرين ثم جمع لعبد الله بن سعد أمير مصر صلاتها وخراجها ومكث أميرا مدة ولاية عثمان رضى الله عنه كلها محمودا فى ولايته وغزا ثلاث غزوات كلها لها شأن غزا افريقية سنة سبع وعشرين وقتل ملكها جرجير وغزا غزوة الاساود حتى بلغ دنقلة فى سنة احدى وثلاثين وغزا ذا الصوارى فى سنة أربع وثلاثين فلقيهم قسطنطين بن هرقل فى ألف مركب وقيل فى سبعمائة مركب والمسلمون فى مائتى مركب فهزم الله الروم وانما سميت غزوة ذى الصوارى لكثرة صوارى المراكب واجتماعها ووفد على عثمان

حين تكلم الناس بالطعن على عثمان واستخلف عقبة بن عامر الجهنى وقيل السائب بن هشام العامرى وجعل على خراجها سليمان بن عتر التجيبى وكان ذلك سنة خمس وثلاثين فى رجب * (محمد بن ابى حذيفة) بن عتبة ابن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف أمّر فى شوّال سنة خمس وثلاثين على عقبة بن عامر خليفة عبد الله ابن سعد فأخرجه من الفسطاط ودعا الى خلع عثمان واسعر البلاد وحرّض على عثمان بكل شرّ يقدر عليه فاعتزله شيعة عثمان ونابذوه وهم معاوية بن خديج وخارجة بن حذافة وبسر بن ارطاة ومسلمة بن مخلد فى جمع كثير وبعثوا الى عثمان بامرهم وبصنيع ابن ابى حذيفة فبعث سعد بن ابى وقاص ليصلح أمرهم فخرج اليه جماعة فتقلبوا عليه فسطاطه وشجوه وسبوه فركب وعاد راجعا ودعا عليهم واقبل عبد الله بن سعد فمنعوه أن يدخل فانصرف الى عسقلان وقتل عثمان رضى الله عنه وابن سعد بعسقلان ثم أجمع ابن ابى حذيفة على بعث جيش الى عثمان فجهز اليه ستمائة رجل عليهم عبد الرحمن بن عديس البلوى ثم قتل عثمان فى ذى الحجة منها فثار شيعة عثمان بمصر وعقدوا لمعاوية بن خديج وبايعوه على الطلب بدم عثمان وساروا الى الصعيد فبعث اليهم ابن ابى حذيفة خيلا فهزمت ومضى ابن خديج الى برقة ثم رجع الى الاسكندرية فبعث اليه ابن ابى حذيفة بجيش آخر فاقتتلوا بخربتا فى اول شهر رمضان سنة ست وثلاثين فانهزم الجيش وأقامت شيعة عثمان بخربتا وقدم معاوية بن ابى سفيان يريد الفسطاط فنزل سلمنت فى شوّال فخرج اليه ابن ابى حذيفة فى اهل مصر فمنعوه ثم اتفقا على أن يجعلا رهنا ويتركا الحرب فاستخلف ابن ابى حذيفة على مصر الحكم بن الصلت وخرج فى الرهن هو وابن عديس وعدّة من قتلة عثمان فلما بلغوا لدّا سجنهم معاوية بها وسار الى دمشق فهربوا من السجن وتبعهم أمير فلسطين فقتلهم فى ذى الحجة سنة ست وثلاثين * (قيس بن سعد) بن عبادة الانصارى ولاه أمير المؤمنين علىّ بن ابى طالب رضى الله عنه لما بلغه مصاب ابن ابى حذيفة وجمع له الخراج والصلاة فدخل مصر مستهل ربيع الاول سنة سبع وثلاثين فاستمال الخارجية بخربتا شيعة عثمان وبعث اليهم أعطياتهم ووفد عليه وفدهم فأكرمهم وكان من ذوى الرأى فجهد عمرو بن العاص ومعاوية بن ابى سفيان على أن يخرجاه من مصر ليغلبا على أمرها فانها كانت من جيش علىّ رضى الله عنه فامتنع منهما بالدهاء والمكايدة فلم يقدرا على مصر حتى كاد معاوية قيسا من قبل علىّ رضى الله عنه فأشاع أن قيسا من شيعته وأنه يبعث اليه بالكتب والنصيحة سرّا فسمع ذلك جواسيس علىّ رضى الله عنه ومازال به محمد بن أبى بكر وعبد الله بن جعفر حتى كتب الى قيس بن سعد يأمره بالقدوم اليه فوليها الى أن عزل أربعة أشهر وخمسة أيام وصرف لخمس خلون من رجب سنة سبع وثلاثين فوليها * (الاشتر مالك بن الحارث) بن خالد النخعى من قبل أمير المؤمنين علىّ بن ابى طالب فلما قدم القلزم شرب عسلا فمات فبلغ ذلك عمرا ومعاوية فقال عمرو ان لله جنودا من عسل * ثم وليها (محمد بن ابى بكر الصديق) من قبل علىّ رضى الله عنه وجمع له صلاتها وخراجها فدخلها للنصف من رمضان سنة سبع وثلاثين فهدم دور شيعة عثمان ونهب اموالهم وسجن ذراريهم فنصبوا له الحرب ثم صالحهم على أن يسيرهم الى معاوية فلحقوا بمعاوية بالشأم فبعث معاوية بعمرو بن العاص فى جيوش اهل الشأم الى الفسطاط وتغيب ابن أبى بكر فظفر به معاوية بن خديج فقتله ثم جعله فى جيفة حمار ميت وأحرقه بالنار لاربع عشرة خلت من صفر سنة ثمان وثلاثين فكانت ولايته خمسة اشهر * ثم وليها (عمرو بن العاص) ولايته الثانية من قبل معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه فاستقبل بولايته شهر ربيع الاول سنة ثمان وثلاثين وجعل اليه الصلاة والخراج جميعا وجعلت مصر له طعمة بعد عطاء جندها والنفقة فى مصلحتها ثم خرج عمرو للحكومة واستخلف على مصر ابنه عبد الله وقيل بل خارجة بن حذافة ورجع الى مصر وتعاقد بنو ملجم عبد الرحمن وقيس ويزيد على قتل علىّ ومعاوية وعمرو وتواعدوا ليلة من رمضان سنة أربعين فمضى كل منهم الى صاحبه وكان يزيد هو صاحب عمرو فعرضت لعمرو علة منعته من حضور المسجد فصلى خارجة بالناس فشدّ عليه يزيد فضربه حتى قتله فدخل به على عمرو فقال أما والله ما أردت غيرك يا عمرو قال عمرو ولكن الله أراد خارجة ولله درّ القائل

وليتها اذ فدت عمرا بخارجة * فدت عليا بمن شاءت من البشر

وعقد عمرو لشريك بن سمى على غزو لواتة من البربر فغزاهم فى سنة أربعين وصالحهم ثم انتقضوا فبعث اليهم عقبة بن نافع فى سنة احدى وأربعين فغزاهم حتى هزمهم وعقد لعقبة أيضا على غزو هوّارة وعقد لشريك

ابن

ابن سمي" على غزو لبدة فغزواهما في سنة ثلاث وأربعين فقفلا وعمرو شديد الدنف في مرض موته وتوفي ليلة الفطر فغسله عبد الله بن عمرو وأخرجه الى المصلى وصلى عليه فلم يبق احد شهد العيد الا صلى عليه ثم صلى بالناس صلاة العيد وكان ابوه استخلفه وخلف عمرو بن العاص سبعين بهارا دنانير والبهار جلد ثور ومبلغه اردبان بالمصري" فلما حضرته الوفاة أخرجه وقال من يأخذه بما فيه فأبى ولداه أخذه وقالا حتى تردّ الى كل ذي حق حقه فقال والله ما أجمع بين اثنين منهم فبلغ معاوية فقال نحن نأخذه بما فيه * ثم وليها (عتبة بن أبي سفيان) من قبل أخيه معاوية بن ابي سفيان على صلاتها فقدم في ذي القعدة سنة ثلاث واربعين وأقام شهرا ثم وفد على أخيه واستخلف عبد الله بن قيس بن الحارث وكان فيه شدة فكره الناس ولايته وامتنعوا منها فبلغ ذلك عتبة فرجع الى مصر وصعد المنبر فقال يا اهل مصر قد كنتم تعذرون ببعض المنع منكم لبعض الجور عليكم وقد وليكم من اذا قال فعل فان أبيتم درأكم بيده فان ابيتم درأكم بسيفه ثم رجا في الاخير ما أدرك في الاول ان البيعة شائعة لنا عليكم السمع ولكم علينا العدل وأينا غدر فلا ذمة له عند صاحبه فناداه المصريون من جنبات المسجد سمعا سمعا فناداهم عدلا عدلا ثم نزل ثم جمع له معاوية الصلات والخراج وعقد عتبة لعلقمة بن يزيد على الاسكندرية في اثني عشر ألفا من اهل الديوان تكون لها رابطة ثم خرج اليها مرابطا في ذي الحجة سنة اربع واربعين فمات بها واستخلف على مصر عقبة بن عامر الجهني" فكانت ولايته سنة أشهر * ثم وليها (عقبة بن عامر) بن عبس الجهني" من قبل معاوية وجعل له صلاتها وخراجها وكان قارئا فقيها مفرضا شاعرا له الهجرة والصحبة والسابقة ثم وفد مسلمة بن محمد الانصاري" على معاوية فولاه مصر وأمره أن يكتم ذلك عن عقبة بن عامر وجعل عقبة على البحر وأمره أن يسير الى رودس فقدم مسلمة فلم يعلم بامارته وخرج مع عقبة الى الاسكندرية فلما توجه سائرا استوى مسلمة على سرير امارته فبلغ ذلك عقبة فقال اخلعا وغربة وكان صرفه لعشر بقين من ربيع الاول سنة سبع وأربعين وكانت ولايته سنتين وثلاثة أشهر * فولي (مسلمة بن مخلد) بن صامت بن نيار الانصاري" من قبل معاوية وجمع له الصلات والخراج والغزو فانتظمت غزواته في البر والبحر وفي امارته نزلت الروم البرلس في سنة ثلاث وخمسين فاستشهد يومئذ وردان مولى عمرو بن العاص في جمع من المسلمين وهدم ما كان عمرو ابن العاص بناه من المسجد وبناه وأمر بابتناء منارات المساجد كلها الا خولان وتجيب وخرج الى الاسكندرية في سنة ستين واستخلف عابس بن سعيد ومات معاوية بن ابي سفيان في رجب منها واستخلف ابنه يزيد بن معاوية فأقر مسلمة وكتب اليه بأخذ البيعة فبايعه الجند الا عبد الله بن عمرو بن العاص فدعا عابس بالنار ليحرق عليه بابه فحينئذ بايع ليزيد وقدم مسلمة من الاسكندرية فجمع لعابس مع الشرط القضاء في سنة احدى وستين وقال مجاهد صليت خلف مسلمة بن مخلد فقرأ سورة البقرة فما ترك ألفا ولا واوا وقال ابن لهيعة عن الحرث بن يزيد كان مسلمة بن مخلد يصلي بنا فيقوم في الظهر فربما قرأ الرجل البقرة وتوفي مسلمة وهو وال لخمس بقين من رجب سنة اثنتين وستين فكانت ولايته خمس عشرة سنة وأربعة أشهر واستخلف عابس بن سعيد * ثم وليها (سعيد بن يزيد) بن علقمة بن يزيد بن عوف الازدي من أهل فلسطين فقدم مستهل" رمضان سنة اثنتين وستين فتلقاه عمرو بن قحزم الخولاني" فقال يغفر الله لامير المؤمنين أما كان فينا مائة شاب كلهم مثلك يولى علينا أحدهم ولم تزل أهل مصر على الشنآن له والاعراض عنه والتكبر عليه حتى توفي يزيد بن معاوية ودعا عبد الله بن الزبير رضي الله عنه الى نفسه فقامت الخوارج الذين بمصر وأظهروا دعوته وسار منهم اليه فبعث لعبد الرحمن بن جحدم فقدم واعتزل سعيدا فكانت ولايته سنتين غير شهر * ثم وليها (عبد الرحمن بن عتبة) بن جحدم من قبل عبد الله بن الزبير فدخل في شعبان سنة اربع وستين في جمع كثير من الخوارج فأظهروا التحكيم ودعوا اليه فاستعظم الجند ذلك وبايعه الناس على غل في قلوب شيعة بني امية ثم بويع مروان بن الحكم بالخلافة في اهل الشام وأهل مصر معه في الباطن فسار اليها وبعث ابنه عبد العزيز في جيش الى ايلة ليدخل مصر من هناك وأجمع ابن جحدم على حربه وحفر الخندق في شهر وهو الذي في شرقي" القرافة وقدم مروان فحاربه ابن جحدم وقتل بينهما كثير من الناس ثم اصطلحا ودخل مروان لعشر من جمادى الاولى سنة خمس وستين فكانت مدة ابن جحدم تسعة اشهر ووضع مروان العطاء فبايعه الناس الا نفرا من المغافر قالوا لا نخلع بيعة ابن الزبير فضرب أعناقهم وكانوا ثمانين رجلا وذلك للنصف من جمادى الآخرة ويومئذ مات عبد الله بن عمرو بن العاص

فلم يستطع أن يخرج بجنازته الى المقبرة لشغب الجند على مروان وجعل مروان صلات مصر وخراجها الى ابنه عبد العزيز وسار وقد اقام بها شهرين لهلال رمضان (عبد العزيز بن مروان) بن الحكم بن ابى العاص ابو الاصبغ ولى من قبل ابيه لهلال رجب سنة خمس وستين على الصلات والخراج ومات ابوه وبويع من بعده عبد الملك بن مروان فأقرّ أخاه عبد العزيز ووقع الطاعون بمصر سنة سبعين فخرج عبد العزيز منها ونزل حلوان فاتخذها دارا وسكنها وجعل بها الاعوان وبنى بها الدور والمساجد وعمرها احسن عمارة وغرس نخلها وكرمها وعرّف بمصر وهو أول من عرّف بها فى سنة احدى وسبعين وجهز البعث فى البحر لقتال ابن الزبير فى سنة اثنتين وسبعين ثم مات لثلاث عشرة خلت من جمادى الاولى سنة ست وثمانين فكانت ولايته عشرين سنة وعشرة اشهر وثلاثة عشر يوما فولى (عبد الله بن عبد الملك) بن مروان من قبل ابيه على صلاتها وخراجها فدخل يوم الاثنين لاحدى عشرة خلت من جمادى الآخرة سنة ست وثمانين وهو ابن تسع وعشرين سنة وقد تقدم اليه ابوه أن يقتفى آثار عمه عبد العزيز فاستبدل بالعمال وبالاصحاب ومات عبد الملك وبويع ابنه الوليد بن عبد الملك فأقرّ أخاه عبد الله وامر عبد الله فنسخت دواوين مصر بالعربية وكانت بالقبطية وفى ولايته غلت الاسعار فتشاءم الناس به وهى اول شدة رأوها بمصر وكان يرتشى ثم وفد على أخيه فى صفر سنة ثمان وثمانين واستخلف عبد الرحمن بن عمرو بن قحزم الخولانى وأهل مصر فى شدة عظيمة ورفع سقف المسجد الجامع فى سنة تسع وثمانين ثم صرف فكانت ولايته ثلاث سنين وعشرة اشهر * فولى (قرّة بن شريك) بن مرثد بن الحرث العبسى للوليد بن عبد الملك على صلات مصر وخراجها فقدمها يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت من ربيع الاول سنة تسعين وخرج عبد الله بن عبد الملك من مصر بكل ما ملكه فأحيط به فى الاردن وأخذ سائر ما معه وحمل الى أخيه وأمر الوليد بهدم ما بناه عبد العزيز فى المسجد فهدم اول سنة اثنتين وتسعين وبنى واستنبط قرّة بن شريك بركة الحبش من الموات وأحياها وغرس فيها القصب فقيل لها اصطبل قرّة واصطبل القاش ثم مات وهو والٍ ليلة الخميس لست بقين من ربيع الاول سنة ست وتسعين واستخلف على الجند والخراج عبد الملك بن رفاعة فكانت ولايته ست سنين واياما * ثم ولى (عبد الملك بن رفاعة) بن خالد بن ثابت الفهمى من قبل الوليد ابن عبد الملك على صلاتها وتوفى الوليد واستخلف سليمان بن عبد الملك فأقرّ ابن رفاعة وتوفى سليمان وبويع عمر بن عبد العزيز فعزل ابن رفاعة فكانت ولايته ثلاث سنين * ثم ولى (ايوب بن شرحبيل) بن اكسوم بن ابرهة ابن الصباح من قبل عمر بن عبد العزيز على صلاتها فى ربيع الاول سنة تسع وتسعين فورد كتاب امير المؤمنين عمر بن عبد العزيز بالزيادة فى اعطيات الناس عامة ونحرت الخمر وكسرت وعطلت حاناتها وقسم للغارمين بخمسة وعشرين ألف دينار ونزعت مواريث القبط عن الكور واستعمل المسلمون عليها ومنع الناس الحمامات وتوفى عمر بن عبد العزيز واستخلف يزيد بن عبد الملك فأقرّ أيوب على الصلات الى أن مات لاحدى عشرة وقيل لسبع عشرة خلت من رمضان سنة احدى ومائة فكانت ولايته سنتين ونصفا * فولى (بشر بن صفوان) الكلبى من قبل يزيد بن عبد الملك قدمها لسبع عشرة خلت من رمضان سنة احدى ومائة وفى امرته نزل الروم تنيس ثم ولاه يزيد على افريقية فخرج اليها فى شوال سنة اثنتين ومائة واستخلف اخاه حنظلة * فولى (حنظلة ابن صفوان) باستخلاف أخيه فأقره يزيد بن عبد الملك وخرج الى الاسكندرية فى سنة ثلاث ومائة واستخلف عقبة بن مسلمة التجيبى وكتب يزيد بن عبد الملك فى سنة اربع ومائة بكسر الاصنام والتماثيل فكسرت كلها ومحيت التماثيل ومات يزيد بن عبد الملك وبويع هشام بن عبد الملك فصرف حنظلة فى شوال سنة خمس ومائة فكانت ولايته ثلاث سنين * وولى (محمد بن عبد الملك بن مروان) بن الحكم من قبل اخيه هشام بن عبد الملك على الصلات فدخل مصر لاحدى عشرة خلت من شوال سنة خمس ومائة ووقع وباء شديد بمصر فترفع محمد الى الصعيد هاربا من الوباء اياما ثم قدم وخرج عن مصر لم يلها الا نحوا من شهر وانصرف الى الاردن * فولى (الحرّ بن يوسف) بن يحيى بن الحكم من قبل هشام بن عبد الملك على صلاتها فدخل لثلاث خلون من ذى الحجة سنة خمس ومائة وفى امرته كان اول انتقاض القبط فى سنة سبع ومائة ورابط بدمياط ثلاثة اشهر ثم وفد الى هشام بن عبد الملك فاستخلف حفص بن الوليد وقدم فى ذى القعدة من سنة سبع وانكشف النيل عن الارض فبنى فيها وصرف فى ذى القعدة سنة ثمان ومائة باستعفائه لمغاضبة كانت بينه وبين عبد الله

ابن

ابن الحبحاب متولى خراج مصر فكانت ولايته ثلاث سنين سواء * وولى (حفص بن الوليد) بن سيف بن عبد الله من قبل هشام بن عبد الملك ثم صرف بعد جمعتين يوم الاضحى بشكوى ابن الحبحاب منه وقيل صرف سلخ ثمان ومائة * فولى (عبد الملك بن رفاعة) ثانيا على الصلات فقدم من الشام عليلا لثنتى عشرة بقيت من المحرم سنة تسع ومائة وكان اخوه الوليد يخلفه من اول المحرم وقيل بل ولى اول المحرم ومات للنصف منه وكانت ولايته خمس عشرة ليلة * ثم ولى اخوه (الوليد بن رفاعة) باستخلاف اخيه فأقره هشام بن عبد الملك على الصلات وفى ولايته نقلت قيس الى مصر ولم يكن بها احد منهم وخرج وهيب اليحصبى شاردا فى سنة سبع عشرة ومائة من اجل أن الوليد اذن للنصارى فى ابتناء كنيسة بومنا بالحمراء وتوفى وهو وال اول جمادى الآخرة سنة سبع عشرة واستخلف عبد الرحمن بن خالد فكانت امرته تسع سنين وخمسة اشهر * فولى (عبد الرحمن ابن خالد) بن مسافر الفهمى ابو الوليد من قبل هشام بن عبد الملك على صلاتها وفى امرته نزل الروم على تروجة فحاصروها ثم اقتتلوا فأسروا فصرفه هشام فكانت ولايته سبعة اشهر * وولى (حنظلة بن صفوان ثانيا) فقدم لخمس خلون من المحرم سنة تسع ومائة فانتقض القبط وحاربهم فى سنة احدى وعشرين ومائة وقدم رأس زيد بن على الى مصر فى سنة اثنتين وعشرين ومائة ثم ولاه هشام افريقية فاستخلف حفص بن الوليد بامرة هشام وخرج لسبع خلون من ربيع الآخر سنة اربع وعشرين ومائة فكانت ولايته هذه خمس سنين وثلاثة اشهر * وولى (حفص بن الوليد) الحضرمى ثانيا باستخلاف حنظلة له على صلاتها فأقره هشام بن عبد الملك الى ليلة الجمعة لثلاث عشرة خلت من شعبان سنة اربع وعشرين فجمع له الصلات والخراج جميعا واستسقى بالناس وخطب ودعا ثم صلى بهم ومات هشام بن عبد الملك واستخلف من بعده الوليد بن يزيد فاقر حفصا على الصلات والخراج ثم صرف عن الخراج بعيسى بن ابى عطاء لسبع بقين من شوال سنة خمس وعشرين ومائة وانفرد بالصلات ووفد على الوليد بن يزيد واستخلف عقبة بن نعيم الرعينى وقتل الوليد بن يزيد وحفص بالشام وبويع يزيد بن الوليد بن عبد الملك فأمر حفصا باللحاق بجنده وأمّره على ثلاثين ألفا وفرض الفروض وبعث بيعة اهل مصر الى يزيد بن الوليد ثم توفى يزيد وبويع ابراهيم بن الوليد وخلعه مروان بن محمد الجعدى فكتب حفص يستعفيه من ولاية مصر فأعفاه مروان فكانت ولاية حفص هذه ثلاث سنين الا اشهرا * وولى (حسان بن عتاهية) بن عبد الرحمن التجيبى وهو بالشام فكتب الى خير بن نعيم باستخلافه فسلم حفص الى خير ثم قدم حسان لثنتى عشرة خلت من جمادى الآخرة سنة سبع وعشرين ومائة على الصلات وعيسى بن ابى عطاء على الخراج فأسقط حسان فروض حفص كلها فوثبوا به وقالوا لا نرضى الا بحفص وركبوا الى المسجد ودعوا الى خلع مروان وحصروا حسان فى داره وقالوا له اخرج عنا فانك لا تقيم معنا ببلد وأخرجوا عيسى بن ابى عطاء صاحب الخراج وذلك فى آخر جمادى الآخرة وأقاموا حفصا فكانت ولاية حسان ستة عشر يوما * فولى (حفص بن الوليد) الثالثة كرها اخذه قواد الفروض بذلك فأقام على مصر رجب وشعبان ولحق حسان بمروان وقدم حنظلة بن صفوان من افريقية وقد أخرجه اهلها فنزل الجيزة وكتب مروان بولايته على مصر فامتنع المصريون من ولاية حنظلة وأظهروا الخلع وأخرجوا حنظلة الى الحوف الشرقى ومنعوه من المقام بالفسطاط وهرب ثابت بن نعيم من فلسطين يريد الفسطاط فحاربوه وهزموه وسكت مروان عن مصر بقية سنة سبع وعشرين ومائة ثم عزل حفصا مستهل سنة ثمان وعشرين * وولى (الحوثرة بن سهيل) بن العجلان الباهلى فسار اليها فى آلاف وقدم أول المحرم وقد اجتمع الجند على منعه فأبى عليهم حفص فخافوا حوثرة وسألوه الامان فأمنهم ونزل ظاهر الفسطاط وقد اطمأنوا اليه فخرج اليه حفص ووجوه الجند فقبض عليهم وقيدهم فانهزم الجند ودخل معه عيسى بن ابى عطاء على الخراج لثنتى عشرة خلت من المحرم وبعث فى طلب رؤساء الفتنة فجمعوا له وضرب أعناقهم وقتل حفص بن الوليد ثم صرف فى جمادى الاولى سنة احدى وثلاثين ومائة وبعثه مروان الى العراق فقتل واستخلف على مصر حسان بن عتاهية وقيل ابا الجراح بشر بن اوس وخرج لعشر خلون من رجب وكانت ولايته ثلاث سنين وستة اشهر * ثم ولى (المغيرة بن عبيد الله) بن المغيرة الفزارى على الصلات من قبل مروان فقدم لست بقين من رجب سنة احدى وثلاثين وخرج الى الاسكندرية واستخلف ابا الجراح الحرشى وتوفى لثنتى عشرة خلت من جمادى الاولى

سنة اثنتين وثلاثين ومائة فكانت ولايته عشرة اشهر واستخلف ابنه الوليد بن المغيرة ثم صرف الوليد فى النصف من جمادى الآخرة * وولى (عبد الملك بن مروان) بن موسى بن نصير من قبل مروان على الصلات والخراج وكان واليا على الخراج قبل أن يولى الصلات فى جمادى الآخرة سنة اثنتين وثلاثين ومائة فأمر باتخاذ المنابر فى الكور ولم تكن قبله وانما كانت ولاة الكور يخطبون على العصى الى جانب القبلة وخرج القبط فحاربهم وقتل كثيرا منهم وخالف عمرو بن سهيل بن عبد العزيز بن مروان على مروان واجتمع عليه جمع من قيس فى الحوف الشرقى فبعث اليهم عبد الملك بجيش فلم يكن حرب وسار مروان بن محمد الى مصر منهزما من بنى العباس فقدم يوم الثلاثاء لثمان بقين من شوال سنة اثنتين وثلاثين ومائة وقد سوّد اهل الحوف الشرقى واهل الاسكندرية واهل الصعيد واسوان فعزم مروان على تعدية النيل وأحرق دار آل مروان المذهبة ثم رحل الى الجيزة وحرق الجسرين وبعث بجيش الى الاسكندرية فاقتتلوا بالكريون وخالفت القبط برشيد فبعث اليهم وهزمهم وبعث الى الصعيد فقدم صالح بن على بن عبد الله بن عباس فى طلب مروان هو وأبو عون عبد الملك ابن يزيد يوم الثلاثاء للنصف من ذى الحجة فأدرك صالح مروان ببوصير من الجيزة بعد ما استخلف على الفسطاط معاوية بن بحيرة بن ريسان فحارب مروان حتى قتل ببوصير يوم الجمعة لسبع بقين من ذى الحجة ودخل صالح الى الفسطاط يوم الاحد لثمان خلون من المحرم سنة ثلاث وثلاثين ومائة وبعث برأس مروان الى العراق وانقضت ايام بنى امية * فولى (صالح بن على) بن عبد الله بن عباس ولى من قبل امير المؤمنين ابى العباس عبد الله بن محمد السفاح فاستقبل بولايته المحرم سنة ثلاث وثلاثين ومائة وبعث بوفد اهل مصر الى ابى العباس السفاح ببيعة اهل مصر وأسر عبد الملك بن موسى بن نصير وجماعة وقتل كثيرا من شيعة بنى امية وحمل طائفة منهم الى العراق فقتلوا بقلنسوة من أرض فلسطين وأمر للناس بأعطياتهم للمقاتلة والعيال وقسمت الصدقات على اليتامى والمساكين وزاد صالح فى المسجد وورد عليه كتاب امير المؤمنين السفاح بامارته على فلسطين والاستخلاف على مصر فاستخلف اباعون مستهل شعبان سنة ثلاث وثلاثين وسار ومعه عبد الملك بن نصير ملزما وعدة من اهل مصر صحابة لامير المؤمنين وأقطع الذين سوّدوا اقطائع منها منية بولاق وقرى اهناس وغيرها ثم من بعد صالح بن على سكن امراء مصر العسكر وأول من سكنه ابو عون والله تعالى اعلم

(ذكر العسكر الذى بنى بظاهر مدينة فسطاط مصر)

اعلم أن موضع العسكر قد كان يعرف فى صدر الاسلام بالحمراء القصوى وقد تقدّم أن الحمراء القصوى كانت خطة بنى الازرق وبنى رويبل وبنى يشكر بن جزيلة ثم دثرت هذه الخطط بعد العمارة بتلك القبائل حتى صارت صحراء فلما قدم مروان بن محمد آخر خلفاء بنى امية الى مصر منهزما من بنى العباس نزلت عساكر صالح بن على وابى عون عبد الملك بن يزيد فى هذه الصحراء حيث جبل يشكر حتى ملؤا الفضاء وأمر ابو عون اصحابه بالبناء فيه فبنوا وذلك فى سنة ثلاث وثلاثين ومائة فلما خرج صالح بن على من مصر خرب اكثر ما بنى فيه الى زمن موسى بن عيسى الهاشمى فابتنى فيه دارا أنزل فيها حشمه وعبيده وعمر الناس ثم ولى السرى بن الحكم فاذن للناس فى البناء فابتنوا فيه وصار مملوكا بأيديهم واتصل بناؤه ببناء الفسطاط وبنيت فيه دار الامارة ومسجد جامع عرف بجامع العسكر ثم عرف بجامع ساحل الغلة وعملت الشرطة ايضا فى العسكر وقيل لها الشرطة العليا والى جانبها بنى احمد بن طولون جامعه الموجود الآن وسمى من حينئذ ذلك الفضاء بالعسكر وصار أمراء مصر اذا ولوا ينزلون به من بعد ابى عون فقال الناس من يومئذ كنا بالعسكر وخرجنا الى العسكر وكتب من العسكر وصار مدينة ذات محال واسواق ودور عظيمة وفيه بنى احمد بن طولون مارستانه فأنفق عليه وعلى مستغله ستين ألف دينار وكان بالقرب من بركة قارون التى صارت كيمانا وبعضها بركة على يسرة من سار من حدرة ابن قميحة يريد قنطرة السدّ وعلى بركة قارون هذه كانت جنان بنى مسكين وبنى كافور الاخشيدى دارا أنفق عليها مائة ألف دينار وسكنها فى رجب سنة ست وأربعين وثلثمائة وانتقل منها بعد أيام لوباء وقع فى غلمانه من بخار البركة وعظمت العمارة فى العسكر جدا الى أن قدم احمد بن طولون من العراق الى مصر فنزل بدار الامارة من العسكر وكان لها باب الى جامع العسكر وينزلها الامراء منذ بناها صالح بن على بعد قتله مروان

وما زال بها احمد بن طولون الى أن بنى القصر والميدان بالقطائع فتحول من العسكر وسكن قصره بالقطائع فلما ولى ابو الجيش خمارويه بن احمد بن طولون بعد أبيه جعل دار الامارة ديوان الخراج ثم فرقت حجرا بعد دخول محمد ابن سليمان الكاتب الى مصر وزوال دولة بنى طولون فسكن محمد بن سليمان بدار الامارة فى العسكر عند المصلى القديم وكان المصلى القديم حيث الكوم المطل الآن على قبر القاضى بكار ومازالت الامراء تنزل بالعسكر الى أن قدم القائد جوهر من المغرب وبنى القاهرة المعزية ولما بنى أحمد بن طولون القطائع اتصلت مبانيها بالعسكر وبنى جامعه على جبل يشكر فعمر ماهنالك عمارة عظيمة تخرج عن الحد فى الكثرة وقدم جوهر القائد بعساكر مولاه المعز لدين الله فى سنة ثمان وخمسين وثلثمائة والعسكر عامر الا انه منذ بنيت القطائع هجر اسم العسكر وصار يقال مدينة الفسطاط والقطائع وربما قيل والعسكر أحيانا فلما خرب محمد بن سليمان قصر ابن طولون وميدانه بقى فى القطائع مساكن جليلة حيث كان العسكر وأنزل المعز لدين الله عمه أبا على فى دار الامارة فلم يزل اهله بها الى أن خربت القطائع فى الشدة العظمى التى كانت فى خلافة المستنصر أعوام بضع وخمسين وأربعمائة فيقال انه كان هنالك زيادة على مائة ألف دار سوى البساتين وماهذا يبعد فان ذلك كان مابين سفح الشرف الذى عليه الآن قلعة الجبل وبين ساحل مصر القديم حيث الآن الكبارة خارج مصر وماعلى سمتها الى كوم الجارح ومن كوم الجارح الى جامع ابن طولون وخط قناطر السباع وخط السبع سقايات الى قنطرة السد ومراغة مصر الى المعاريج بمصر والى كوم الجارح ففى هذه المواضع كان العسكر والقطائع ويخص العسكر من ذلك مابين قناطر السباع وحدرة ابن قميحة الى كوم الجارح حيث الفضاء الذى يتوسط مابين قنطرة السد وبين سور القرافة الذى يعرف بباب الجدم فهذا هو العسكر ولما استولى الخراب فى المحنة أمر ببناء حائط يستر الخراب عن نظر الخليفة اذا سار من القاهرة الى مصر فيما بين العسكر والقطائع وبين الطريق وأمر ببناء حائط آخر عند جامع ابن طولون فلما كان فى خلافة الآمر بأحكام الله ابى على منصور ابن المستعلى أمر وزيره ابو عبد الله محمد بن فاتك المنعوت بالاجل المأمون بن البطايحى فنودى مدة ثلاثة ايام فى القاهرة ومصر بأن من كان له دار فى الخراب اومكان فليعمره ومن عجز عن عمارته يبيعه او يؤجره من غير نقل شئ من أنقاضه ومن تأخر بعد ذلك فلا حق له ولا حكر يلزمه وأباح تعمير جميع ذلك بغير طلب حق وكان سبب هذا النداء أنه لما قدم أمير الجيوش بدر الجمالى فى آخر الشدة العظمى وقام بعمارة اقليم مصر أخذ الناس فى نقل ما كان بالقطائع والعسكر من أنقاض المساكن حتى أتى على معظم ماهنالك الهدم فصار موحشا يخرب مابين القاهرة ومصر من المساكن ولم يبق هنالك الابعض البساتين فلما نادى الوزير المأمون عمر الناس ماكان من ذلك مما يلى القاهرة من جهة المشهد النفيسى الى ظاهر باب زويلة كما يرد خبر ذلك فى موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى ونقلت أنقاض العسكر كما تقدم فصار هذا الفضاء الذى يتوصل اليه من مشهد السيدة نفيسة ومن الجامع الطولونى ومن قنطرة السد ومن باب الجدم فى سور القرافة ويسلك فى هذا الفضاء الى كوم الجارح ولم يبق الآن من العسكر ماهو عامر سوى جبل يشكر الذى عليه جامع ابن طولون وماحوله من الكبش وحدرة ابن قميحة الى خط السبع سقايات وخط قناطر السباع الى جامع ابن طولون وأماسوق الجامع من قبليه وماوراء ذلك الى المشهد النفيسى والى القبيبات والرميلة تحت القلعة فانما هو من القطائع كما ستقف عليه عند ذكر القطائع وعند ذكر هذه الخطط ان شاء الله تعالى ولطالما سلكت هذا الفضاء الذى بين جامع ابن طولون وكوم الجارح حيث كان العسكر وتذكرت ماكان هنالك من الدور الجليلة والمنازل العظيمة والمساجد والاسواق والحمامات والبساتين والبرك البديعة والمارستان العجيب وكيف بادت حتى لم يبق لشئ منها اثر البتة فأنشدت اقول

وبادوا فلا مخبر عنهم * وماتوا جميعا وهذا الخبر
فمن كان ذا عبرة فليكن * فطينا ففى من مضى معتبر
وكان لهم اثر صالح * فأين هم ثم اين الاثر

وسيأتى لذلك مزيد بيان عند ذكر القطائع وعند ذكر خط قناطر السباع وغيره من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

(ذكر من نزل العسكر من امراء مصر من حين بنى الى أن بنيت القطائع)

اعلم أن امراء مصر مابرحوا ينزلون فسطاط مصر منذ اختط بعد الفتح الى أن بنى ابو عون العسكر فصارت امراء مصر من عهد أبى عون انما ينزلون بالعسكر ومابرحوا على ذلك الى أن أنشأ الامير أبو العباس احمد بن طولون القصر والميدان والقطائع فتحول من العسكر الى القصر وسكن فيه وسكنه الامراء من اولاده بعده الى أن زالت دولتهم فسكن الامراء بعد ذلك العسكر الى أن زالت دولة الاخشيدية بقدوم جوهر القائد من المغرب * وأول من سكن العسكر من امراء مصر (ابو عون) عبد الملك بن يزيد من أهل جرجان ولى صلات مصر وخراجها باستخلاف صالح بن على له فى مستهل شعبان سنة ثلاث وثلاثين ومائة ووقع الوباء بمصر فهرب ابو عون الى يشكر واستخلف صاحب شرطته عكرمة بن عبد الله بن عمرو بن قحزم وخرج الى دمياط فى سنة خمس وثلاثين ومائة واستخلف عكرمة وجعل على الخراج عطاء بن شرحبيل وخرج القبط بسمنود فبعث اليهم وقتلهم وورد الكتاب بولاية صالح بن على على مصر وفلسطين والمغرب جمعت له ووردت الجيوش من قبل أمير المؤمنين السفاح لغزو المغرب فولى (صالح بن على) الثانية على الصلات والخراج فدخل لخمس خلون من ربيع الآخر سنة ست وثلاثين ومائة فأقر عكرمة على شرطة الفسطاط وجعل على شرطته بالعسكر يزيد بن هانى الكندى وولى أبا عون جيوش المغرب وقدم أمامه دعاة لاهل افريقية وخرج ابو عون فى جمادى الآخرة وجهزت المراكب من الاسكندرية الى برقة فمات السفاح فى ذى الحجة واستخلف ابو جعفر عبد الله بن محمد المنصور فأقر صالحا وكتب الى ابى عون بالرجوع وورد الدعاة وقد بلغوا اشبرت وبلغ ابو عون برقة فأقام بها احد عشر يوما ثم عاد الى مصر فى جيشه فجهزه صالح الى فلسطين لحربه فغلب وسير الى مصر ثلاثة آلاف رأس ثم خرج صالح الى فلسطين واستخلف ابنه الفضل فبلغ بلبيس ورجع ثم خرج لاربع خلون من رمضان سنة سبع وثلاثين فلقى أبا عون بالفرما فأمره على مصر صلاتها وخراجها ومضى فدخل ابو عون الفسطاط لاربع بقين من رمضان فولى *(ابو عون)* ولايته الثانية من قبل صالح بن على ثم أفرده ابو جعفر بولايتها وقدم ابو جعفر بيت المقدس وكتب الى أبى عون بأن يستخلف على مصر ويخرج اليه فاستخلف عكرمة على الصلات وعطاء على الخراج وخرج للنصف من ربيع الاول سنة احدى وأربعين ومائة فلما صار الى أبى جعفر ببيت المقدس بعث ابو جعفر موسى بن كعب فكانت ولاية أبى عون هذه ثلاث سنين وستة اشهر فوليها (موسى ابن كعب) بن عيينة ابن عائشة ابو عيينة من تميم من قبل ابى جعفر المنصور وكان احد نقباء بنى العباس فدخلها لاربع عشرة بقيت من ربيع الآخر سنة احدى وأربعين ومائة على صلاتها وخراجها ونزل العسكر وبها الناس من الجند يغدون ويروحون اليه كما كانوا يفعلون بالامراء قبله فانتهوا عنه حتى لم يكن أحد يلزم بابه وكان قد اتهم فى خراسان بأمر أبى مسلم فأمر به أسد بن عبد الله البجلى والى خراسان فألجم بلجام ثم كسرت اسنانه فكان يقول بمصر كانت لنا اسنان وليس عندنا خبز فلما جاء الخبز ذهبت الاسنان وكتب اليه ابو جعفر انى عزلتك من غير سخطة ولكن بلغنى أن غلاما يقتل بمصر يقال له موسى فكرهت أن تكونه فكان ذلك موسى بن مصعب زمن المهدى كما يأتى ان شاء الله تعالى فولى موسى بن كعب سبعة اشهر وصرف فى ذى القعدة واستخلف على الجند ابن خاله ابن حبيب وعلى الخراج نوفل بن الفرات وخرج لست بقين منه فولى (محمد بن الاشعث) ابن عقبة الخزاعى من قبل أبى جعفر على الصلات والخراج وقدم لخمس خلون من ذى الحجة سنة احدى وأربعين ومائة وبعث ابو جعفر الى نوفل بن الفرات أن اعرض على محمد بن الاشعث ضمان خراج مصر فان ضمنه فأشهد عليه واشخص الى وان ابى فاعمل على الخراج فعرض عليه ذلك فأبى فانتقل نوفل الدواوين فافتقد ابن الاشعث الناس فقيل له هم عند صاحب الخراج فندم على تسليمه وعقد على جيش بعث به الى المغرب لحربه فانهزم وخرج ابن الاشعث يوم الاضحى سنة اثنتين وأربعين وتوجه الى الاسكندرية واستخلف محمد ابن معاوية بن بحير بن ريسان صاحب شرطته ثم صرف ابن الاشعث فكانت ولايته سنة وشهرا وولى (حميد ابن قحطبة) بن شبيب بن خالد بن سعدان الطائى من قبل أبى جعفر على الصلات والخراج فدخل فى عشرين ألفا من الجند لخمس خلون من رمضان سنة ثلاث وأربعين ومائة ثم قدم عسكر آخر فى شوال وقدم على بن محمد بن عبد الله بن حسن بن الحسن داعية لابيه وعمه فدس اليه حميد فتغيب فكتب بذلك الى ابى جعفر فصرفه

فى ذى القعدة وخرج لثمان بقين من ذى القعدة سنة أربع واربعين فولى (يزيد بن حاتم) بن قبيصة بن المهلب بن أبى صفرة من قبل أبى جعفر على الصلات والخراج فقدم على البريد للنصف من ذى القعدة فاستخلف على الخراج معاوية بن مروان بن موسى بن نصير وفى امرته ظهرت دعوة بنى الحسن بن علىّ بمصر وتكلم بها الناس وبايع كثير منهم لعلىّ بن محمد بن عبد الله وطرق المسجد لعشر خلون من شوال سنة خمس وأربعين كما يذكر فى موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى ثم قدمت الخطباء برأس ابراهيم بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علىّ فى ذى الحجة فنصبت فى المسجد وورد كتاب أبى جعفر بأمر يزيد بن حاتم بالتحول من العسكر الى الفسطاط وأن يجعل الديوان فى كنائس القصر وذلك فى سنة ست وأربعين ومائة من أجل ليلة المسجد ومنع يزيد أهل مصر من الحج سنة خمس وأربعين فلم يحج أحد منهم ولا من اهل الشام لما كان بالحجاز من الاضطراب بامر بنى حسن ثم حج يزيد فى سنة سبع وأربعين واستخلف عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج صاحب شرطته وبعث جيشا لغزو الحبشة من أجل خارجىّ ظهر هنالك فظفر به الجيش وقدم رأسه فى عدة رؤس فحملت الى بغداد وضم يزيد برقة الى عمل مصر وهو أول من ضمها الى مصر وذلك فى سنة ثمان وأربعين وخرج القبط بسخا فى سنة خمسين ومائة فبعث اليهم جيشا فبيتته القبط ورجع منهزما فصرفه ابو جعفر فى ربيع الآخر سنة اثنتين وخمسين ومائة فكانت ولايته سبع سنين وأربعة أشهر وولى (عبد الله بن عبد الرحمن) بن معاوية بن خديج من قبل ابى جعفر على الصلات لثنتى عشرة بقيت من ربيع الآخر وهو اول من خطب بالسواد وخرج الى ابى جعفر لعشر بقين من رمضان سنة أربع وخمسين ومائة واستخلف أخاه محمدا ورجع فى آخرها ومات وهو وال مستهلّ صفر سنة خمس وخمسين ومائة واستخلف أخاه محمدا فكانت ولايته سنتين وشهرين فولى (محمد بن عبد الرحمن) بن معاوية بن خديج باستخلاف أخيه فأقرّه ابو جعفر على الصلات ومات وهو وال للنصف من شوال فكانت ولايته ثمانية اشهر ونصفا واستخلف موسى بن علىّ فولى (موسى بن علىّ) بن رباح باستخلاف محمد بن خديج فأقرّه ابو جعفر على الصلات وخرج القبط ببيب فى سنة ست وخمسين فبعث اليهم وهزمهم وكان يروح الى المسجد ماشيا وصاحب شرطته بين يديه يحمل الحربة واذا أقام صاحب الشرطة الحدود يقول له ارحم أهل البلاد فيقول أيها الامير ما يصلح الناس الا ما يفعل بهم وكان يحدّث فيكتب الناس عنه ومات ابو جعفر لست خلون من ذى الحجة سنة ثمان وخمسين ومائة وبويع ابنه محمد المهدىّ فأقرّ موسى بن علىّ الى سابع عشر ذى الحجة سنة احدى وستين ومائة فكانت ولايته ست سنين وشهرين وولى (عيسى بن لقمان) بن محمد الجمحىّ من قبل المهدىّ على الصلات والخراج فقدم لثلاث عشرة بقيت من ذى الحجة سنة احدى وستين ومائة وصرف لثنتى عشرة بقيت من جمادى الاولى سنة اثنتين وستين ومائة فوليها اربعة أشهر ثم ولى (واضح مولى ابى جعفر) من قبل المهدىّ على الصلات والخراج فدخل لست بقين من جمادى الاولى وصرف فى رمضان فولى (منصور بن يزيد) بن منصور الرعينىّ وهو ابن خال المهدىّ على الصلات فقدم لاحدى عشرة خلت من رمضان سنة اثنتين وستين ومائة وصرف للنصف من ذى الحجة فكان مقامه شهرين وثلاثة ايام ثم ولى (يحيى بن داود) أبو صالح من اهل خراسان من قبل المهدىّ على الصلات والخراج فقدم فى ذى الحجة وكان ابوه تركيا وهو من أشد الناس وأعظمهم هيبة وأقدمهم على الدم واكثرهم عقوبة فمنع من غلق الدروب بالليل ومن غلق الحوانيت حتى جعلوا عليها شرائح القصب لمنع الكلاب ومنع حراس الحمامات أن يجلسوا فيها وقال من ضاع له شئ فعلىّ اداؤه وكان الرجل يدخل الحمام فيضع ثيابه ويقول يا أبا صالح احرسها فكانت الامور على هذا مدة ولايته وأمر الاشراف والفقهاء وأهل النوبات بلبس القلانس الطوال والدخول بها على السلطان يوم الاثنين والخميس بلا اردية وكان ابو جعفر المنصور اذا ذكره قال هو رجل يخافنى ولا يخاف الله فولى الى المحرم سنة اربع وستين وقدم *(سالم بن سوادة) التميمىّ من قبل المهدىّ على الصلات ومعه ابو قطيفة اسماعيل بن ابراهيم على الخراج لثنتى عشرة خلت من المحرم ثم ولى (ابراهيم بن صالح) بن علىّ بن عبد الله بن عباس من قبل المهدىّ على الصلات والخراج فقدم لاحدى عشرة خلت من المحرم سنة خمس وستين وابتنى دارا عظيمة بالموقف من العسكر وخرج دحية بن المعصب بن الاصبغ بن عبد العزيز بن مروان بالصعيد ونابذ ودعا الى نفسه بالخلافة فتراخى عنه

ابراهيم ولم يحفل بأمره حتى ملأ عاتة الصعيد فسخط المهدى لذلك وعزله عزلا قبيحا لسبع خلون من ذى الحجة سنة سبع وستين فوليها ثلاث سنين ثم ولى (موسى بن مصعب) بن الربيع من أهل الموصل على الصلات والخراج من قبل المهدى فقدم لسبع خلون من ذى الحجة المذكور فرد ابراهيم وأخذ منه وممن عمل له ثلثمائة ألف دينار ثم سيره الى بغداد وشدد موسى فى استخراج الخراج وزاد على كل فدان ضعف ما يقبل به وارتشى فى الاحكام وجعل خرجا على أهل الاسواق وعلى الدواب فكرهه الجند ونابذوه وثارت قيس واليمانية وكاتبوا اهل الفسطاط فاتفقوا عليه وبعث بجيش الى قتال دحية بالصعيد وخرج فى جند مصر كلهم لقتال أهل الحوف فلما التقوا انهزم عنه اهل مصر بأجمعهم وأسلموه فقتل من غير أن يتكلم أحد من أهل مصر لتسع خلون من شوال سنة ثمان وستين ومائة فكانت ولايته عشرة اشهر وكان ظالما غاشما سمعه الليث بن سعد يقرأ فى خطبته انا اعتدنا للظالمين نارا احاط بهم سرادقها فقال الليث اللهم لا تمقتنا ثم ولى (عسامة بن عمرو) باستخلاف موسى بن مصعب وبعث الى دحية جيشا مع اخيه بكار بن عمرو فحارب يوسف بن نصير وهو على جيش دحية فتطاعنا ووضع يوسف الرمح فى خاصرة بكار ووضع بكار الرمح فى خاصرة يوسف فقتلا معا ورجع الجيشان منهزمين وذلك فى ذى الحجة وصرف عسامة لثلاث عشرة خلت من ذى الحجة بكتاب ورد عليه من الفضل ابن صالح بانه ولى مصر وقد استخلفه فجاءه الى سلخ المحرم سنة تسع وستين ومائة ثم قدم (الفضل بن صالح) بن على بن عبد الله بن عباس سلخ المحرم المذكور فى جيوش الشام ومات المهدى فى المحرم هذا وبويع موسى الهادى فأقر الفضل وقدم مصر يضطرب من اهل الحوف ومن خروج دحية فان الناس كانوا قد كاتبوه ودعوه فسير العساكر حتى هزم دحية وأسر وسيق الى الفسطاط فضربت عنقه وصلب فى جمادى الآخرة سنة تسع وستين فكان الفضل يقول أنا اولى الناس بولاية مصر لقيامى فى امر دحية وقد عجز عنه غيرى فعزل وندم على قتل دحية والفضل هو الذى بنى الجامع بالعسكر فى سنة تسع وستين فكانوا يجمعون فيه ثم ولى (على بن سليمان) بن على بن عبد الله بن عباس من قبل الهادى على الصلات والخراج فدخل فى سنة تسع وستين ومائة ومات الهادى للنصف من ربيع الاول سنة سبعين ومائة وبويع هرون بن محمد الرشيد فأقر على بن سليمان وأظهر فى ولايته الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ومنع الملاهى والخمور وهدم الكنائس المحدثة بمصر وبذل له فى تركها خمسون ألف دينار فامتنع وكان كثير الصدقة فى الليل وأظهر أنه تصلح له الخلافة وطمع فيها فسخط عليه هرون الرشيد وعزله لاربع بقين من ربيع الاول سنة احدى وسبعين ومائة ثم ولى (موسى بن عيسى) بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس من قبل الرشيد على الصلات فاذن للنصارى فى بنيان الكنائس التى هدمها على بن سليمان فبنيت بمشورة الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة ثم صرف لاربع عشرة خلت من رمضان سنة اثنتين وسبعين ومائة فكانت ولايته سنة وخمسة اشهر ونصفا ثم ولى (مسلمة بن يحيى) بن قرة بن عبيد الله البجلى من أهل جرجان من قبل الرشيد على الصلات ثم صرف فى شعبان سنة ثلاث وسبعين فوليها احد عشر شهرا ثم ولى (محمد بن زهير) الازدى على الصلات والخراج لخمس خلون من شعبان فبادر الجند لعمر بن غيلان صاحب الخراج فلم يدفع عنه فصرف بعد خمسة اشهر فى سلخ ذى الحجة سنة ثلاث وسبعين ومائة فولى (داود بن يزيد) بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن ابى صفرة وقدم هو وابراهيم بن صالح بن على فولى داود الصلات وبعث بابراهيم لاخراج الجند الذين ثاروا من مصر فدخل لاربع عشرة خلت من المحرم سنة اربع وسبعين ومائة فاخرجت الجند العديدة الى المشرق والمغرب فى عالم كثير فساروا فى البحر فأسرتهم الروم وصرف لست خلون من المحرم سنة خمس وسبعين فكانت ولايته سنة ونصف شهر ثم ولى (موسى بن عيسى) بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس على الصلات والخراج من قبل الرشيد فدخل لسبع خلون من صفر سنة خمس وسبعين وصرف لليلتين بقيتا من صفر سنة ست وسبعين ومائة فولى سنة واحدة ثم ولى (ابراهيم بن صالح) بن على بن عبد الله بن عباس ثانيا من قبل الرشيد فكتب الى عسامة بن عمرو فاستخلفه ثم قدم نصر بن كلثوم خليفته على الخراج مستهل ربيع الاول وتوفى عسامة لسبع بقين من ربيع الآخر فقدم روح بن روح بن زنباع خليفة لابراهيم على الصلات والخراج ثم قدم ابراهيم للنصف من جمادى الاولى وتوفى وهو وال لثلاث خلون من شعبان فكان مقامه بمصر شهرين

وثمانية

وثمانية عشر يوما وقام بالامر بعده ابنه صالح بن ابراهيم مع صاحب شرطته خالد بن يزيد ثم ولى (عبد الله ابن المسيب) بن زهير بن عمرو الضبى من قبل الرشيد على الصلات لاحدى عشرة بقيت من رمضان سنة ست وسبعين ومائة وصرف فى رجب سنة سبع وسبعين ومائة فولى (اسحاق بن سليمان) بن على بن عبد الله ابن عباس من قبل الرشيد على الصلات والخراج مستهل رجب فكشف أمر الخراج وزاد على المزارعين زيادة أجحفت بهم فخرج عليه أهل الحوف فحاربهم فقتل كثير من اصحابه فكتب الى الرشيد بذلك فعقد لهرثمة بن اعين فى جيش عظيم وبعث به فنزل الحوف فتلقاه اهله بالطاعة وأذعنوا فقبل منهم واستخرج الخراج كله فكان صرف اسحق فى رجب سنة ثمان وسبعين ومائه فولى (هرثمة بن اعين) من قبل الرشيد على الصلات والخراج لليلتين خلتا من شعبان ثم سار الى افريقية لثنتى عشرة خلت من شوّال فأقام بمصر شهرين ونصفا ثم ولى (عبد الملك بن صالح) بن على بن عبد الله بن عباس من قبل الرشيد على الصلات والخراج فلم يدخل مصر واستخلف عبد الله بن المسيب بن زهير الضبى وصرف فى سلخ سنة ثمان وسبعين ومائة فولى (عبيد الله بن المهدى) محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عباس من قبل الرشيد على الصلات والخراج فى يوم الاثنين لثنتى عشرة خلت من المحرم سنة تسع وسبعين ومائة فاستخلف ابن المسيب ثم قدم لاحدى عشرة خلت من ربيع الاول وصرف فى شهر رمضان فولى تسعة اشهر وخرج من مصر لليلتين خلتا من شوّال فاعاد الرشيد (موسى بن عيسى) وولاه مرّة ثالثة على الصلات فقدم ابنه يحيى بن موسى خليفة له لثلاث خلون من رمضان ثم قدم اخر ذى القعدة وصرف فى جمادى الآخرة سنة ثمانين ومائة فولى الرشيد (عبيد الله ابن المهدى) ثانيا على الصلات فقدم داود بن حباش خليفة له لسبع خلون من جمادى الآخرة ثم قدم لاربع خلون من شعبان وصرف لثلاث خلون من رمضان سنة احدى وثمانين ومائة فولى (اسماعيل ابن صالح) بن على بن عبد الله بن عباس على الصلات لسبع خلون من رمضان فاستخلف عون بن وهب الخزاعى ثم قدم لخمس بقين منه قال ابن عفير ما رأيت على هذه الاعواد أخطب من اسماعيل بن صالح ثم صرف فى جمادى الآخرة سنة اثنتين وثمانين ومائة فولى (اسمعيل بن عيسى) بن موسى بن محمد بن على ابن عبد الله بن عباس من قبل الرشيد على الصلات فقدم لاربع عشرة بقيت من جمادى الآخرة وصرف فى رمضان فولى (الليث بن الفضل) البيوردى من اهل بيورد على الصلات والخراج وقدم لخمس خلون من شوّال ثم خرج الى الرشيد لسبع بقين من رمضان سنة ثلاث وثمانين ومائة بالمال والهدايا واستخلف أخاه الفضل بن على ثم عاد فى آخر السنة وخرج ثانيا بالمال لتسع بقين من رمضان سنة خمس وثمانين واستخلف هاشم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج وقدم لاربع عشرة خلت من المحرّم سنة ست وثمانين فكان كلما غلق خراج سنة وفرغ من حسابها خرج بالمال الى امير المؤمنين هرون الرشيد ومعه الحساب ثم خرج عليه اهل الحوف وساروا الى الفسطاط فخرج اليهم فى أربعة آلاف ليومين بقيا من شعبان سنة ست وثمانين ومائة واستخلف عبد الرحمن بن موسى بن على بن رباح على الجند والخراج فواقع اهل الحوف وانهزم عنه الجند فبقى فى نحو المائتين فحمل بهم وهزم القوم من أرض الجب الى غيفة وبعث الى الفسطاط بثمانين رأسا وقدم فرجع اهل الحوف ومنعوا الخراج فخرج ليث الى الرشيد وسأله أن يبعث معه بالجيوش فانه لا يقدر على استخراج الخراج من أهل الاحواف الا بجيش فرفع محفوظ بن سليمان انه يضمن خراج مصر عن آخره بغير سوط ولا عصا فولاه الرشيد الخراج وصرف ليثا عن الصلات والخراج وبعث احمد بن اسحق على الصلات مع محفوظ وكانت ولاية ليث اربع سنين وسبعة اشهر فولى (احمد بن اسمعيل) بن على بن عبد الله بن عباس من قبل الرشيد على الصلات والخراج وقدم لخمس بقين من جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين ثم صرف لثمان عشرة خلت من شعبان سنة تسع وثمانين فولى سنتين وشهرا ونصفا ثم ولى (عبيد الله بن محمد) بن ابراهيم بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس على الصلات واستخلف لهيعة بن عيسى بن لهيعة الحضرمى ثم قدم للنصف من شوّال وصرف لاحدى عشرة بقيت من شعبان سنة تسعين ومائة وخرج واستخلف هاشم بن عبد الله بن عبد الرحمن بن معاوية بن خديج فولى (الحسين بن جميل) من قبل الرشيد على الصلات وقدم لعشر خلون من رمضان ثم جمع له الخراج مع الصلات فى رجب سنة احدى وتسعين وخرج اهل الحوف وامتنعوا من

قوله اخاه الفضل بن على هكذا فى النسخ التى بيدى ولعله اباه الفضل الخ تأمل اه مصححه

اداء الخراج وخرج ابو النداء بأيلة فى نحو ألف رجل فقطع الطريق بأيلة وشعيب ومدين وأغار على بعض قرى الشام وضوى اليه من جذام جماعة فبلغ من النهب والقتل مبلغا عظيما فبعث الرشيد من بغداد جيشا لذلك وبعث الحسين بن جميل من مصر عبد العزيز بن الوزير بن صابى الجروى فى عسكر فالتقى العسكران بأيلة فظفر عبد العزيز بأبى النداء وسار جيش الرشيد الى بلبيس فى شوّال سنة احدى وتسعين ومائة فأذعن أهل الحوف بالخراج وصرف ابن جميل لثنتى عشرة خلت من ربيع الآخر سنة اثنتين وتسعين ومائة فولى (مالك بن دلهم) بن عمير الكلبى على الصلات والخراج وقدم لسبع بقين من ربيع الآخر وفرغ يحيى بن معاذ أمير جيش الرشيد من أمر الحوف وقدم الفسطاط لعشر بقين من جمادى الآخرة فكتب الى اهل الاحواف أن اقدموا حتى اوصى بكم مالك بن دلهم فدخل الرؤساء من اليمانية والقيسية فأخذت عليهم الابواب وقيدوا وسار بهم للنصف من رجب وصرف مالك لاربع خلت من صفر سنة ثلاث وتسعين ومائة فولى (الحسن بن التختاح) بن التختكان على الصلات والخراج فاستخلف العلاء بن عاصم الخولانى وقدم لثلاث خلون من ربيع الاول ثم مات الرشيد واستخلف ابنه محمد الامين فثار الجند بمصر ووقعت فتنة عظيمة قتل فيها عدة وسير الحسن مال مصر فوثب اهل الرملة وأخذوه وبلغ الحسن عزله فسار من طريق الحجاز لفساد طريق الشام لثمان بقين من ربيع الاول سنة اربع وتسعين ومائة واستخلف عوف بن وهب على الصلات ومحمد بن زياد بن طبق القيسى على الخراج فولى (حاتم بن هرثمة) بن اعين من قبل الامين على الصلات والخراج وقدم فى ألف من الابناء فنزل بلبيس فصالحه أهل الاحواف على خراجهم وثار عليه اهل تنو وتمى وعسكروا فبعث اليهم جيشا فانهزموا ودخل حاتم الى الفسطاط ومعه نحو مائة من الرهائن لاربع خلون من شوّال وصرف فى جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين ومائة فولى (جابر بن الاشعث) بن يحيى الطائى من قبل الامين على الصلات والخراج لخمس بقين من جمادى الآخرة وكان لينا فلما حدثت فتنة الامين والمامون قام السرى بن الحكم غضبا للمامون ودعا الناس الى خلع الامين فاجابوه وبايعوا المامون لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين وأخرجوا جابر بن الاشعث وكانت ولايته سنة فولى (عباد بن محمد) بن حيان ابو نصر من قبل المامون على الصلات والخراج لثمان خلون من رجب بكتاب هرثمة بن اعين وكان وكيله على ضياعه بمصر فى الثامن من رجب سنة ست وتسعين فبلغ الامين ما كان بمصر فكتب الى ربيعة بن قيس بن الزبير الجرشى رئيس قيس الحوف بولاية مصر وكتب الى جماعة بمعاونته فقاموا ببيعة الامين وخلعوا المامون وساروا لمحاربة اهل الفسطاط فخندق عباد وكانت حروب فقتل الامين وصرف عباد فى صفر سنة ثمان وتسعين ومائة فكانت ولايته سنة وسبعة اشهر فولى (المطلب بن عبد الله) بن مالك الخزاعى من قبل المامون على الصلات والخراج فدخل من مكة للنصف من ربيع الاول فكانت فى ايامه حروب وصرف فى شوّال بعد سبعة اشهر فولى (العباس بن موسى) بن عيسى بن موسى بن محمد بن على بن عبد الله بن عباس من قبل المامون على الصلات والخراج فقدم ابنه عبد الله ومعه الحسين بن عبيد بن لوط الانصارى فى آخر شوّال فسجنا المطلب فثار الجند مرارا فمنعهم الانصارى ا عطياتهم وتهددهم وتحامل على الرعية وعسفها وتهدد الجميع فثاروا واخرجوا المطلب من الحبس وأقاموه لاربع عشرة خلت من المحرّم سنة تسع وتسعين ومائة وأقبل العباس فنزل بلبيس ودعا قيسا الى نصرته ومضى الى الجروى بتنيس ثم عاد فمات فى بلبيس لثلاث عشرة بقيت من جمادى الآخرة ويقال ان المطلب دس اليه سما فى طعامه فمات منه وكانت حروب وفتن فكانت ولاية المطلب هذه سنة وثمانية اشهر ثم ولى (السرى بن الحكم) بن يوسف من قوم الزط ومن اهل بلخ باجماع الجند عليه عند قيامه على المطلب فى مستهل رمضان سنة مائتين ثم ولى (سليمان بن غالب) بن جبريل البجلى على الصلات والخراج بمبايعة الجند له لاربع خلون من ربيع الاول سنة احدى ومائتين فكانت حروب ثم صرف بعد خمسة اشهر واعيد (السرى بن الحكم) ثانيا من قبل المامون على الصلات والخراج فذمّت ولايته وأخرجه الجند من الحبس لثنتى عشرة خلت من شعبان وتتبع من حاربه وقوى امره ومات وهو وال لانسلاخ جمادى الاولى سنة خمس ومائتين فكانت ولايته هذه ثلاث سنين وتسعة أشهر وثمانية عشر يوما فولى ابنه (محمد ابن السرى) ابو نصر اول جمادى الآخرة على الصلات والخراج وكان الجروى قد غلب على أسفل الارض

فجرت بينهما حروب ثم مات لثمان خلون من شعبان سنة ست ومائتين وكانت ولايته اربعة عشر شهرا ثم ولى (عبيد الله بن السرى) بن الحكم بمبايعة الجند لتسع خلون من شعبان على الصلات والخراج فكانت بينه وبين الجروى حروب الى أن قدم عبد الله بن طاهر وأذعن له عبيد الله فى آخر صفر سنة احدى عشرة ومائتين فولى (عبد الله بن طاهر) بن الحسين بن مصعب من قبل المامون على الصلات والخراج فدخل يوم الثلاثاء للبلتين خلتا من ربيع الاول سنة احدى عشرة ومائتين وأقام فى معسكره حتى خرج عبيد الله بن السرى الى بغداد للنصف من جمادى الاولى ثم سار الى الاسكندرية مستهل صفر سنة اثنى عشرة واستخلف عيسى بن يزيد الجلودى فحصرها بضع عشرة ليلة ورجع فى جمادى الآخرة وأمر بالزيادة فى الجامع العتيق فزيد فيه مثله وركب النيل متوجها الى العراق لخمس بقين من رجب وكان مقامه بمصر والبا سبعة عشر شهرا او عشرة ايام ثم ولى (عيسى بن يزيد) الجلودى باستخلاف ابن طاهر على صلاتها الى سابع عشر ذى القعدة سنة ثلاث عشرة فصرف ابن طاهر وولى الامير ابو اسحق بن هرون الرشيد مصر فأقر عيسى على الصلات فقط وجعل على الخراج صالح بن شيراز اد فظلم الناس وزاد عليهم فى خراجهم فانتقض أهل اسفل الارض وعسكروا فبعث عيسى بابنه محمد فى جيش فحاربوه فانهزم وقتل اصحابه فى صفر سنة اربع عشرة فولى (عمير بن الوليد) التميمى باستخلاف ابى اسحاق بن الرشيد على الصلات لسبع عشرة خلت من صفر وخرج ومعه عيسى الجلودى لقتال اهل الحوف فى ربيع الآخر واستخلف ابنه محمد بن عمير فاقتتلوا وكانت بينهم معارك قتل فيها عمير لست عشرة خلت من ربيع الآخر فكانت مدة امرته ستين يوما فولى (عيسى الجلودى) ثانيا لابى اسحاق على الصلات فحارب اهل الحوف بمنية مطر ثم انهزم فى رجب وأقبل ابو اسحاق الى مصر فى اربعة آلاف من اتراكه فقاتل أهل الحوف فى شعبان ودخل الى مدينة الفسطاط لثمان بقين منه وقتل اكابر الحوف ثم خرج الى الشام غرة المحرم سنة خمس عشرة ومائتين فى اتراكه ومعه جمع من الاسارى فى ضر وجهد شديد وولى على مصر (عبدويه بن جبلة) من الابناء على الصلات فخرج ناس بالحوف فى شعبان فبعث اليهم وحاربهم حتى ظفر بهم ثم قدم الافشين حيدر بن كاوس الصفدى الى مصر لثلاث خلون من ذى الحجة ومعه على ابن عبد العزيز الجروى لاخذ ماله فلم يدفع اليه شيئا فقتله وصرف عبدويه وخرج الى برقة (وولى عيسى بن منصور) بن موسى بن عيسى الرافعى فولى من قبل ابى اسحاق اول سنة ست عشرة على الصلات فانتقضت اسفل الارض عربها وقبطها فى جمادى الاولى وأخرجوا العمال لسوء سيرتهم وخلعوا الطاعة فقدم الافشين من برقة للنصف من جمادى الآخرة ثم خرج هو وعيسى فى شوال فأوقعا بالقوم وأسرا منهم وقتلا ومضى الافشين ورجع عيسى فسار الافشين الى الحوف وقتل جماعتهم وكانت حروب الى أن قدم امير المومنين عبد الله المأمون لعشر خلون من المحرم سنة سبع عشرة ومائتين فسخط على عيسى وحل لواءه فأخذه بلباس البياض ونسب الحدث اليه والى عماله وسير الجيوش وأوقع بأهل الفساد وسبى القبط وقتل مقاتلتهم ثم رحل لثمان عشرة خلت من صفر بعد تسعة وأربعين يوما وولى (كيدر) وهو نصر بن عبد الله ابو مالك الصفدى فورد كتاب المأمون عليه بأخذ الناس بالمحنة فى جمادى الآخرة سنة ثمان عشرة والقاضى بمصر يومئذ هارون بن عبد الله الزهرى فأجاب وأجاب الشهود ومن وقف منهم سقطت شهادته وأخذ بها القضاة والمحدثون والمؤذنون فكانوا على ذلك من سنة ثمان عشرة الى سنة اثنتين وثلاثين ومات المأمون فى رجب سنة ثمان عشرة وبويع ابو اسحق المعتصم فورد كتابه على كيدر ببيعته ويأمره باسقاط من فى الديوان من العرب وقطع العطاء عنهم ففعل ذلك فخرج يحيى بن الوزير الجروى فى جمع من لخم وجذام ومات كيدر فى ربيع الآخر سنة تسع عشرة ومائتين فولى ابنه (المظفر بن كيدر) باستخلاف ابيه وخرج الى يحيى بن وزير وقاتله وأسره فى جمادى الآخرة ثم صرفت مصر الى ابى جعفر اشناس فدعى له بها وصرف مظفر فى شعبان فولى (موسى بن ابى العباس) ثابت من قبل اشناس على الصلات مستهل شهر رمضان سنة تسع عشرة وصرف فى ربيع الآخر سنة اربع وعشرين ومائتين فكانت ولايته اربع سنين وسبعة اشهر فولى (مالك بن كيدر) بن عبد الله الصفدى من قبل اشناس على الصلات وقدم لسبع بقين من ربيع الآخر وصرف لثلاث خلون من ربيع الآخر سنة ست وعشرين فولى سنتين وأحد عشر يوما وتوفى لعشر خلون من شعبان سنة ثلاث وثلاثين

ومائتين فولى (علىّ بن يحيى) الارمنىّ من قبل اشناس على صلاتها وقدم لسبع خلون من ربيع الآخر
سنة ست وعشرين ومائتين ومات المعتصم فى ربيع الاول سنة سبع وعشرين وبويع الواثق بالله فأقرّه
الى سابع ذى الحجة سنة ثمان وعشرين ومائتين فكانت ولايته سنتين وثلاثة اشهر ثم ولى (عيسى
ابن منصور) الثانية من قبل اشناس على صلاتها فدخل لسبع خلون من المحرم سنة تسع وعشرين ومائتين
ومات اشناس سنة ثلاثين وجعل مكانه ايتاخ فأقرّ عيسى ومات الواثق وبويع المتوكل فصرف عيسى للنصف
من ربيع الاول سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وقدم علىّ بن مهرويه خليفة هرثمة بن النضر ثم مات عيسى
فى قبة الهواء بعد عزله لاحدى عشرة خلت من ربيع الآخر فولى (هرثمة بن نضر) الجبلىّ من اهل
الجبل لايتاخ على الصلات وقدم لست خلون من رجب سنة ثلاث وثلاثين ومائتين فورد كتاب المتوكل بترك
الجدال فى القرءان لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة اربع وثلاثين ومائتين ومات هرثمة وهو وال لسبع
بقين من رجب سنة اربع واستخلف ابنه حاتم بن هرثمة فولى (حاتم بن هرثمة) بن النضر باستخلاف
ابيه له على الصلات وصرف لست خلون من رمضان فولى (علىّ بن يحيى) بن الارمنىّ الثانية من قبل ايتاخ
على الصلات لست خلون من رمضان وصرف ايتاخ فى المحرم سنة خمس وثلاثين واستصفيت امواله بمصر
وترك الدعاء له ودعى للمنتصر مكانه وصرف علىّ فى ذى الحجة منها فولى (اسحق بن يحيى) بن معاذ بن مسلم
الجبلىّ من قبل المنتصر ولىّ عهد أبيه المتوكل على الله على الصلات والخراج فقدم لاحدى عشرة خلت من
ذى الحجة فورد كتاب المتوكل والمنتصر باخراج الطالبيين من مصر الى العراق فأخرجوا ومات اسحق بعد
عزله اول ربيع الآخر سنة سبع وثلاثين ومائتين فولى (خوط عبد الواحد بن يحيى) بن منصور بن طلحة
ابن زريق من قبل المنتصر على الصلات والخراج فقدم لتسع بقين من ذى القعدة سنة ست وثلاثين ومائتين
وصرف عن الخراج لتسع خلون من صفر سنة سبع وثلاثين وأقرّ على الصلات ثم صرف سلخ صفر سنة ثمان
وثلاثين بخليفته عنبسة على الصلات والشركة فى الخراج مستهل ربيع الاول فولى (عنبسة بن اسحق)
ابن شمر بن عبس ابو جابر من قبل المنتصر على الصلات وشريكا لاحمد بن خالد الضريفى صاحب الخراج فقدم
لخمس خلون من ربيع الآخر سنة ثمان وثلاثين ومائتين واخذ العمال بردّ المظالم واقامهم للناس وأنصف منهم
وأظهر من العدل مالم يسمع بمثله فى زمانه وكان يروح ماشيا الى المسجد الجامع من العسكر وكان ينادى فى شهر
رمضان السحور وكان يرمى بمذهب الخوارج وفى ولايته نزل الروم دمياط وملكوها ومافيها وقتلوا بها جمعا
كثيرا من الناس وسبوا النساء والاطفال فنفر اليهم يوم النحر من سنة ثمان وثلاثين فى جيشه وكثير من الناس
فلم يدركهم واضيف له الخراج مع الصلات ثم صرف عن الخراج اول جمادى الآخرة سنة احدى واربعين
وأفرد بالصلات وورد الكتاب بالدعاء للفتح بن خاقان فى ربيع الاول سنة اثنتين وأربعين فدعا له وعنبسة هذا
آخر من ولى مصر من العرب وآخر أمير صلى بالناس فى المسجد الجامع وصرف اول رجب منها فقدم العباس بن
عبد الله بن دينار خليفة يزيد بن عبد الله بولاية يزيد وكانت ولاية عنبسة اربع سنين وأربعة اشهر وخرج الى
العراق فى رمضان سنة اربع واربعين فولى (يزيد بن عبد الله) بن دينار أبو خالد من الموالى ولاه المنتصر على
الصلات فقدم لعشر بقين من رجب سنة اثنتين وأربعين فأخرج المؤنثين من مصر وضربهم وطاف بهم ومنع
من النداء على الجنائز وضرب فيه وخرج الى دمياط مرابطا فى المحرم سنة خمس وأربعين ورجع فى ربيع الاول
فبلغه نزول الروم الفرما فرجع اليها فلم يلقهم وعطل الرهان وباع الخيل التى تتخذ للسلطان فلم تجر الى سنة تسع
وأربعين وتتبع الروافض وحملهم الى العراق وبنى مقياس النيل فى سنة سبع وأربعين وجرت على العلويين
فى ولايته شدائد ومات المتوكل فى شوال وبويع ابنه محمد المنتصر ومات الفتح بن خاقان فأقرّ المنتصر يزيد على مصر
ثم مات المنتصر فى ربيع الاول سنة ثمان واربعين وبويع المستعين فورد كتابه بالاستسقاء لقحط كان بالعراق
فاستسقوا لسبع عشرة خلت من ذى القعدة واستسقى اهل الآفاق فى يوم واحد وخلع المستعين فى المحرم سنة
اثنتين وخمسين وبويع المعتز فخرج جابر بن الوليد بأرض الاسكندرية وكانت هنالك حروب ابتدأت من ربيع الآخر
فقدم مزاحم بن خاقان من العراق معينا ليزيد فى جيش كثيف لثلاث عشرة بقيت من رجب فواقعهم حتى ظفر
بهم ثم صرف يزيد وكانت مدته عشر سنين وسبعة اشهر وعشرة ايام فولى (مزاحم بن خاقان) بن

عرطوج ابو الفوارس التركى لثلاث خلون من ربيع الاول سنة ثلاث وخمسين ومائتين على الصلات من قبل المعتز وخرج الى الحوف فأوقع باهله وعاد ثم خرج الى الجيزة فسار الى تروجة فأوقع بأهلها وأسر عدة من اهل البلاد وقتل كثيرا وسار الى الفيوم فطاش سيفه وكثرا يقاعه بسكان النواحى وعاد وولى الشرطة ارجوز فمنع النساء من الحمامات والمقابر وسجن المؤنثين والنوائح ومنع من الجهر بالبسملة فى الصلاة بالجامع فى رجب سنة ثلاث وخمسين ولم يزل اهل مصر على الجهر بها فى الجامع منذ الاسلام الى أن منع منها ارجوز واخذ اهل الجامع بتمام الصفوف ووكل بذلك رجلا من العجم يقوم بالسوط من مؤخر المسجد وأمر أهل الحلق بالتحول الى القبلة قبل اقامة الصلاة ومنع من المساند التى يستند اليها ومن الحصر التى كانت للمجالس فى الجامع وأمر أن تصلى التراويح فى رمضان خمس تراويح ولم يزل اهل مصر يصلونها ستا الى شهر رمضان سنة ثلاث وخمسين ومائتين ومنع من التثويب وأمر بالاذان يوم الجمعة فى مؤخر المسجد وأن يغلس بصلاة الصبح ونهى أن يشق ثوب على ميت او يسوّد وجه او يحلق شعر أو تصيح امرأة وعاقب فى ذلك وشدد فيه ثم مات مزاحم لخمس مضين من المحرم سنة اربع وخمسين فاستخلف ابنه (احمد بن مزاحم) فولى باستخلاف ابيه على الصلات الى أن مات لسبع خلون من ربيع الآخر فكانت ولايته شهرين ويوما فاستخلف (ارجوز بن اولغ طرخان التركى) على الصلات فولى خمسة اشهر ونصفا وخرج اول ذى القعدة بعد أن صرف بأحمد بن طولون فى شهر رمضان سنة أربع وخمسين ومائتين واليه كان امر البلد بجميعه من ايام مزاحم وفى ايام ابنه احمد أيضا والله تعالى اعلم

(ذكر القطائع ودولة بنى طولون)

اعلم أن القطائع قد زالت آثارها ولم يبق لها رسم يعرف وكان موضعها من قبة الهواء التى صار مكانها قلعة الجبل الى جامع ابن طولون وهذا اشبه أن يكون طول القطائع وأما عرضها فانه من اول الرميلة تحت القلعة الى الموضع الذى يعرف اليوم بالارض الصفراء عند مشهد الرأس الذى يقال له الآن زين العابدين وكانت مساحة القطائع ميلا فى ميل فقبة الهواء كانت فى سطح الجرف الذى عليه قلعة الجبل وتحت قبة الهواء قصر ابن طولون وموضع هذا القصر الميدان السلطانى تحت القلعة والرميلة التى تحت القلعة مكان سوق الخيل والحمير والجمال كانت بستانا ويجاورها الميدان فى الموضع الذى يعرف اليوم بالقبيبات فيصير الميدان فيما بين القصر والجامع الذى انشأه احمد بن طولون وبحذاء الجامع دار الامارة فى جهته القبلية ولها باب من جدار الجامع يخرج منه الى المقصورة المحيطة بمصلى الامير الى جوار المحراب وهناك أيضا دار الحرم والقطائع عدة قطع تسكن فيها عبيد ابن طولون وعساكره وغلمانه وكل قطيعة لطائفة فيقال قطيعة السودان وقطيعة الروم وقطيعة الفراشين ونحو ذلك فكانت كل قطيعة لسكنى جماعة بمنزلة الحارات التى بالقاهرة وكان ابتداء عمارة هذه القطائع وسببها أن أمير المؤمنين المعتصم بالله أبا اسحق محمد بن هارون الرشيد لما اختص بالاتراك ووضع من العرب وأخرجهم من الديوان وأسقط اسماءهم ومنعهم العطاء وجعل الاتراك انصار دولته وأعلام دعوته كان من عظمت عنده منزلته قلده الاعمال الجليلة الخارجة عن الحضرة فيستخلف على ذلك العمل الذى تقلده من يقوم بامره ويحمل اليه ماله ويدعى له على منابره كما يدعى للخليفة وكانت مصر عندهم بهذه السبيل وقصد المعتصم ومن بعده من الخلفاء بذلك العمل مع الاتراك محاكاة ما فعله الرشيد بعبد الملك بن صالح والمأمون بطاهر بن الحسين ففعل المعتصم مثل ذلك بالاتراك فقلد اشناس وقلد الواثق ايتاخ وقلد المتوكل نقا ووصيف وقلد المهتدى ماجور وغيرمن ذكرنا من أعمال الاقاليم ما قد تضمنته كتب التاريخ فتقلد باكباك مصر وطلب من يخلفه عليها وكان احمد بن طولون قد مات ابوه فى سنة اربعين ومائتين ولاحمد عشرون سنة منذ ولد من جارية كانت تدعى قاسم وكان مولده فى سنة عشرين ومائتين وولدت أيضا أخاه موسى وحبسية وسمانة وكان طولون من الطغرغر مما حمله نوح بن أسد عامل بخارى الى المأمون فيما كان موظفا عليه من المال والرقيق والبراذين وغير ذلك فى كل سنة وذلك فى سنة مائتين فنشأ احمد بن طولون نشأ جميلا غير نشء اولاد العجم فوصف بعلو الهمة وحسن الادب والذهاب بنفسه عما كان يترامى اليه اهل طبقته وطلب الحديث واحب الغزو وخرج الى طرسوس

مرّات ولقي المحدّثين وسمع منهم وكتب العلم وصحب الزهاد وأهل الورع فتأدّب بآدابهم وظهر فضله فاشتهر عند الاولياء وتميّز على الاتراك وصار في عداد من يوثق به ويؤتمن على الاموال والاسرار فزوّجه ماجور ابنته وهي أمّ ابنه العباس وابنته فاطمة ثم انه سأل الوزير عبيد الله بن يحيى أن يكتب له برزقه على الثغر فأجابه وخرج الى طرسوس فأقام بها وشق على امّه مفارقته فكاتبته بما اقلقه فلما قفل الناس الى سرّ من رأى سار معهم الى لقاء امّه وكان في القافلة نحو خمسمائة رجل والخليفة اذ ذاك المستعين بالله احمد بن المعتصم وكان قد أنفذ خادماً الى بلاد الروم لعمل اشياء نفيسة فلما عاد بها وهي وقر بغل الى طرسوس خرج مع القافلة وكان من رسم الغزاة أن يسيروا متفرقين فطرق الاعراب بعض سوادهم وجاء الصائح فبدر احمد بن طولون لقتالهم وتبعوه فوضع السيف في الاعراب ورمى بنفسه فيهم حتى استنقذ منهم جميع ما أخذوه وفرّوا منه وكان من جملة ما استنقذ من الاعراب البغل المحمل بمتاع الخليفة فعظم احمد بما فعل عند الخادم وكبر في اعين القافلة فلما وصلوا الى العراق وشاهد المستعين ما احضره الخادم اعجب به وعرّفه الخادم خروج الاعراب وأخذهم البغل بما عليه وما كان من صنع احمد بن طولون فأمر له بألف دينار وسلم عليه مع الخادم وامره أن يعرّفه به اذا دخل مع المسلّمين ففعل ذلك وتوالت عليه صلات الخليفة حتى حسنت حاله ووهبه جارية اسمها مياس استولدها ابنه خمارويه في النصف من المحرم سنة خمسين ومائتين فلما خلع المستعين وبويع المعتز اخرج المستعين الى واسط واختار الاتراك احمد بن طولون أن يكون معه فسلم اليه ومضى به فأحسن عشرته وأطلق له التنزه والصيد وخشي أن يلحقه منه احتشام فألزمه كاتبه احمد بن محمد الواسطي وهو اذ ذاك غلام حسن الشاهد حاضر النادرة فأنس به المستعين ثم ان قبيحة ام المعتز كتبت الى احمد بن طولون بقتل المستعين وقلدته واسط فامتنع من ذلك وكتب الى الاتراك يخبرهم بأنه لا يقتل خليفة له في رقبته بيعة فزاد محله عند الاتراك بذلك ووجهوا سعيداً الحاجب وكتبوا الى ابن طولون بتسليم المستعين له فسلمه منه وقتله وواراه ابن طولون وعاد الى سرّ من رأى وقد تقلد باكباك مصر وطلب من يوجهه اليها فذكر له احمد بن طولون فقلده خلافته وضم اليه جيشاً وسار الى مصر فدخلها يوم الاربعاء لسبع بقين من شهر رمضان سنة اربع وخمسين ومائتين متقلداً للقصبة دون غيرها من الاعمال الخارجة عنها كالاسكندرية ونحوها ودخل معه احمد بن محمد الواسطي وجلس الناس لرؤيته فسأل بعضهم غلام ابي قبيل صاحب الملاحم وكان مكفوفاً عما يجده في كتبهم فقال هذا رجل نجد صفته كذا وكذا وانه يتقلد الملك هو وولده قريباً من اربعين سنة فما تمّ كلامه حتى اقبل احمد بن طولون واذا هو على النعت الذي قال * ولما تسلم احمد بن طولون مصر كان على الخراج احمد بن محمد بن المدبر وهو من دهاة الناس وشياطين الكتاب فأهدى الى احمد بن طولون هدايا قيمتها عشرة آلاف دينار بعد ما خرج الى لقائه هو وشقير الخادم غلام قبيحة ام المعتز وهو يتقلد البريد فرأى ابن طولون بين يدي ابن المدبر مائة غلام من الغور قد انتخبهم وصيرهم عدة وجمالاً وكان لهم خلق حسن وطول اجسام وبأس شديد وعليهم اقبية ومناطق ثقال عراض وبأيديهم مقارع غلاظ على طرف كل مقرعة مقمعة من فضة وكانوا يقفون بين يديه في حافتي مجلسه اذا جلس فاذا ركب ركبوا بين يديه فيصير له بهم هيبة عظيمة في صدور الناس فلما بعث ابن المدبر بهديته الى ابن طولون ردّها عليه فقال ابن المدبر ان هذه لهمة عظيمة من كانت هذه همته لا يؤمن على طرف من الاطراف فخافه وكره مقامه بمصر معه وسار الى شقير الخادم صاحب البريد واتفقا على مكاتبة الخليفة بازالة ابن طولون فلم يكن غير أيام حتى بعث ابن طولون الى ابن المدبر يقول له قد كنت اعزك الله أهديت لنا هدية وقع الغنى عنها ولم يجز أن يغتنم مالك كثره الله فرددتها توفيراً عليك ونحب أن تجعل العوض منها الغلمان الذين رأيتهم بين يديك فأنا اليهم احوج منك فقال ابن المدبر لما بلغته الرسالة هذه اخرى اعظم مما تقدم قد ظهرت من هذا الرجل اذ كان يرد الاعراض والاموال ويستهدي الرجال ويشاحّ عليهم ولم يجد بدّاً من أن بعثهم اليه فتحولت هيبة ابن المدبر الى ابن طولون ونقصت مهابة ابن المدبر بمفارقة الغلمان مجلسه فكتب ابن المدبر فيه الى الحضرة يغري به ويحرّض على عزله فبلغ ذلك ابن طولون فكتم في نفسه ولم يبده واتفق موت المعتز في رجب سنة خمس وخمسين وقيام المهتدي بالله محمد بن الواثق وقتل باكباك ورد جميع ما كان بيده الى ماجور التركي حمو ابن طولون فكتب اليه تسلم من نفسك لنفسك وزاده الاعمال الخارجة عن قصبة مصر وكتب الى اسحق بن دينار وهو يتقلد الاسكندرية

أن يسلمها لاحمد بن طولون فعظمت لذلك منزلته وكثر قلق ابن المدبر وغمه ودعته ضرورة الخوف من ابن طولون الى ملاطفته والتقرب من خاطره وخرج ابن طولون الى الاسكندرية وتسلمها من اسحق بن دينار وأقرّه عليها وكان احمد بن عيسى بن شيخ الشيباني يتقلد جندى فلسطين والاردن فلما مات وثب ابنه على الاعمال واستبدّ بها فبعث ابن المدبر سبعمائة الف وخمسين الف دينار حملا من مال مصر الى بغداد فقبض ابن شيخ عليها وفرّقها فى اصحابه وكانت الامور قد اضطربت ببغداد فطمع ابن شيخ فى التغلب على الشامات واشيع انه يريد مصر فلما قتل المهتدى فى رجب سنة ست وخمسين وبويع المعتمد بالله احمد بن المتوكل لم يدع ابن شيخ له ولا بايع هو ولا اصحابه فبعث اليه بتقليد ارمينية زيادة على ما معه من بلاد الشام وفسح له فى الاستخلاف عليها والاقامة على عمله فدعا حينئذ للمعتمد وكتب الى ابن طولون أن يتاهب لحرب ابن شيخ وأن يزيد فى عدّته وكتب لابن المدبر أن يطلق له من المال ما يريد فعرض ابن طولون الرجال وأثبت من يصلح واشترى العبيد من الروم والسودان وعمل سائر ما يحتاج اليه وخرج فى تجمل كبير وجيش عظيم وبعث الى ابن شيخ يدعوه الى طاعة الخليفة وردّ ما أخذ من المال فأجاب بجواب قبيح فسار لست خلون من جمادى الآخرة واستخلف اخاه موسى بن طولون على مصر ثم رجع من الطريق بكتاب ورد عليه من العراق ودخل الفسطاط فى شعبان وقدم من العراق ماجور التركى لمحاربة ابن شيخ فلقيه اصحاب ابن شيخ وعليهم ابنه فانهزموا منه وقتل الابن واستولى ماجور على دمشق ولحق ابن شيخ بنواحى ارمينية وتقلد ماجور أعمال الشام كله وصار أحمد بن طولون من كثرة العبيد والرجال والآلات بحال يضيق به داره ولا يتسع له فركب الى سفح الجبل فى شعبان وامر بحرث قبور اليهود والنصارى واختط موضعها فبنى القصر والميدان وتقدّم الى اصحابه وغلمانه وأتباعه أن يختطوا لانفسهم حوله فاختطوا وبنوا حتى اتصل البناء لعمارة الفسطاط ثم قطعت القطائع وسميت كل قطيعة باسم من سكنها فكانت للنوبة قطيعة مفردة تعرف بهم وللروم قطيعة مفردة تعرف بهم وللفراشين قطيعة مفردة تعرف بهم ولكل صنف من الغلمان قطيعة مفردة تعرف بهم وبنى القوّاد مواضع متفرّقة فعمرت القطائع عمارة حسنة وتفرّقت فيها السكك والازقة وبنيت فيها المساجد الحسان والطواحين والحمامات والافران وسميت اسواقها فقيل سوق العيارين وكان يجمع العطارين والبزازين وسوق الفاميين ويجمع الجزارين والبقالين والشوايين فكان فى دكاكين الفاميين جميع ما فى دكاكين نظرائهم فى المدينة وأكثر وأحسن وسوق الطباخين ويجمع الصيارف والخبازين والحلوانيين ولكل من الباعة سوق حسن عامر فصارت القطائع مدينة كبيرة أعمر وأحسن من الشام وبنى ابن طولون قصره ووسعه وحسنه وجعل له ميدانا كبيرا يضرب فيه بالصوالجة فسمى القصر كله الميدان وكان كل من أراد الخروج من صغير وكبير اذا سئل عن ذهابه يقول الى الميدان وعمل للميدان ابوابا لكل باب اسم وهى باب الميدان ومنه كان يدخل ويخرج معظم الجيش وباب الصوالجة وباب الخاصة ولا يدخل منه الا خاصة ابن طولون وباب الجبل لانه مما يلى جبل المقطم وباب الحرم ولا يدخل منه الا خادم خصىّ أو حرمة وباب الدرمون لانه كان يجلس عنده حاجب اسود عظيم الخلقة يتقلد جنايات الغلمان السودان الرجالة فقط يقال له الدرمون وباب دعناج لانه كان يجلس عنده حاجب يقال له دعناج وباب الساج لانه عمل من خشب الساج وباب الصلاة لانه كان فى الشارع الاعظم ومنه يتوصل الى جامع ابن طولون وعرف هذا الباب ايضا بباب السباع لانه كان عليه صورة سبعين من جبس وكان الطريق الذى يخرج منه ابن طولون وهو الذى يخرج منه الى القصر طريقا واسعا فقطعه بحائط وعمل فيه ثلاثة ابواب كاكبر ما يكون من الابواب وكانت متصلة بعضها ببعض واحدا بجانب الآخر وكان ابن طولون اذا ركب يخرج معه عسكر متكاثف الخروج على ترتيب حسن بغير زحمة ثم يخرج ابن طولون من الباب الاوسط من الابواب الثلاثة بمفرده من غير أن يختلط به احد من الناس وكانت الابواب المذكورة تفتح كلها فى يوم العيد أو يوم عرض الجيش او يوم صدقة وما عدا هذه الايام لا تفتح الا بترتيب فى اوقات معروفة وكان القصر له مجلس يشرف منه ابن طولون يوم العرض ويوم الصدقة لينظر من اعلاه من يدخل ويخرج وكان الناس يدخلون من باب الصوالجة ويخرجون من باب السباع وكان على باب السباع مجلس يشرف منه ابن طولون ليلة العيد على القطائع ليرى حركات الغلمان وتأهبهم وتصرّفهم فى حوائجهم فاذا رأى فى حال احد منهم نقصا او خللا امر له بما يتسع به ويزيد فى تجمله وكان يشرف منه ايضا

على البحر وعلى باب مدينة الفسطاط وما يلى ذلك فكان منتزها حسنا وبنى الجامع فعرف بالجامع الجديد وبنى العين والسقاية بالمغافر وبنى تنور فرعون فوق الجبل واتسعت احواله وكثرت اصطبلاته وكراعه وعظم صيته فخافه ماجور وكتب فيه الى الحضرة يغرى به وكتب فيه ابن المدبر وشقير الخادم وكانت لابن طولون اعين وأصحاب أخبار يطالعونه بسائر ما يحدث فلما بلغه ذلك تلطف اصحاب الاخبار له ببغداد عند الوزير حتى سير الى ابن طولون بكتب ابن المدبر وكتب شقير من غير أن يعلما بذلك فاذا فيها ان احمد بن طولون عزم على التغلب على مصر والعصيان بها فكتم خبر الكتب ومازال بشقير حتى مات وكتب الى الحضرة يسأل صرف ابن المدبر عن الخراج وتقليده هلال فأجيب الى ذلك وقبض على ابن المدبر وحبسه وكانت له معه امور آلت الى خروج ابن المدبر عن مصر وتقلد ابن طولون خراج مصر مع المعونة والثغور الشامية فأسقط المعاون والمرافق وكانت بمصر خاصة فى كل سنة مائة ألف دينار فأظفره الله عقيب ذلك بكنز فيه الف الف دينار بنى منه المارستان وخرج الى الشام وقد تقلدها فتسلم دمشق وحمص ونازل انطاكية حتى اخذها وكانت صدقاته على اهل المسكنة والستر وعلى الضعفاء والفقراء وأهل التجمل متواترة وكان راتبه لذلك فى كل شهر ألفى دينار سوى ما يطرأ عليه من النذور وصدقات الشكر على تجديد النعم وسوى مطابخه التى اقيمت فى كل يوم للصدقات فى داره وغيرها يذبح فيها البقر والكباش ويغرف للناس فى القدور الفخار والقصاع على كل قدر أو قصعة لكل مسكين اربعة ارغفة فى اثنين منها فالوذج والاثنان الآخران على القدر وكانت تعمل فى داره وينادى من احب أن يحضر دار الامير فليحضر وتفتح الابواب ويدخل الناس الميدان وابن طولون فى المجلس الذى تقدم ذكره ينظر الى المساكين ويتأمل فرحهم بما يأكلون ويحملون فيسره ذلك ويحمد الله على نعمته ولقد قال له مرة ابراهيم ابن قراطغان وكان على صدقاته ايد الله الامير انا نقف فى المواضع التى تفرق فيها الصدقة فتخرج لنا الكف الناعمة المخضوبة نقشا والمعصم الرائع فيه الحديدة والكف فيها الخاتم فقال يا هذا كل من مد يده اليك فأعطه فهذه هى الطبقة المستورة التى ذكرها الله سبحانه وتعالى فى كتابه فقال يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف فاحذر أن ترد يدا امتدت اليك وأعط كل من يطلب منك فلما مات احمد بن طولون وقام من بعده ابنه خمارويه أقبل على قصر أبيه وزاد فيه وأخذ الميدان الذى كان لابيه فجعله كله بستانا وزرع فيه انواع الرياحين وأصناف الشجر ونقل اليه الودى اللطيف الذى ينال ثمره القائم ومنه ما يتناوله الجالس من اصناف خيار النخل وحمل اليه كل صنف من الشجر المطعم العجيب وأنواع الورد وزرع فيه الزعفران وكسا اجسام النخل نحاسا مذهبا حسن الصنعة وجعل بين النحاس وأجساد النخل مزاريب الرصاص وأجرى فيها الماء المدبر فكان يخرج من تضاعيف قائم النخل عيون الماء فتنحدر الى فساقى معمولة ويفيض منها الماء الى مجار تسقى سائر البستان وغرس فيه من الريحان المزروع على نقوش معمولة وكتابات مكتوبة يتعاهدها البستانى بالمقراض حتى لا تزيد ورقة على ورقة وزرع فيه النيلوفر الاحمر والازرق والاصفر والجنوى العجيب وأهدى اليه من خراسان وغيرها كل اصل عجيب وطعموا له شجر المشمش باللوز واشباه ذلك من كل ما يستظرف ويستحسن وبنى فيه برجا من خشب الساج المنقوش بالنقر النافذ ليقوم مقام الاقفاص وزوقه بأصناف الاصباغ وبلط ارضه وجعل فى تضاعيفه انهارا لطافا جداولها يجرى فيها الماء مدبرا من السواقى التى تدور على الآبار العذبة ويسقى منها الاشجار وغيرها وسرح فى هذا البرج من اصناف القمارى والدباسى والنونيات وكل طائر مستحسن حسن الصوت فكانت الطير تشرب وتغتسل من تلك الانهار الجارية فى البرج وجعل فيه اوكارا فى قواديس لطيفة ممكنة فى جوف الحيطان لتفرخ الطيور فيها وعارض لها فيه عيدانا ممكنة فى جوانبه لتقف عليها اذا تطايرت حتى يجاوب بعضها بعضا بالصياح وسرح فى البستان من الطير العجيب كالطواويس ودجاج الحبش ونحوها شيأ كثيرا وعمل فى داره مجلسا برواقه سماه بيت الذهب طلى حيطانه كلها بالذهب المجاول باللازورد المعمول فى احسن نقش وأظرف تفصيل وجعل فيه على مقدار قامة ونصف صورا فى حيطانه بارزة من خشب معمول على صورته وصور حظاياه والمغنيات اللاتى تغنينه بأحسن تصوير وابهج تزويق وجعل على رؤسهن الاكاليل من الذهب الخالص الابريز الرزين والكوادن المرصعة بأصناف الجواهر وفى آذانها الاجراس الثقال الوزن المحكمة الصنعة وهى مسمرة فى الحيطان ولونت

اجسامها

اجسامها بأصناف اشباه الثياب من الاصباغ العجيبة فكان هذا البيت من اعجب مبانى الدنيا وجعل بين يدى هذا البيت فسقية مقدّرة وملأها زئبقا وذلك انه شكا الى طبيبه كثرة السهر فأشار عليه بالتغميز فأنف من ذلك وقال لا اقدر على وضع يد أحد علىّ فقال له تأمر بعمل بركة من زئبق فعمل بركة يقال انها خمسون ذراعا طولا فى خمسين ذراعا عرضا وملأها من الزئبق فأنفق فى ذلك اموالا عظيمة وجعل فى اركان البركة سككا من الفضة الخالصة وجعل فى السكك زنانير من حرير محكمة الصنعة فى حلق من الفضة وعمل فرشا من ادم يحشى بالريح حتى ينتفخ فيحكم حينئذ شدّه ويلقى على تلك البركة الزئبق وتشدّ زنانير الحرير التى فى حلق الفضة بسكك الفضة وينام على هذا الفرش فلا يزال الفرش يرتج ويتحرّك بحركة الزئبق مادام عليه وكانت هذه البركة من اعظم ما سمع به من الهمم الملوكية فكان يرى لها فى الليالى المقمرة منظر عجيب اذا تألف نور القمر بنور الزئبق ولقد أقام الناس بعد خراب القصر مدّة يحفرون لاخذ الزئبق من شقوق البركة وما عرف ملك قط تقدّم خمارويه فى عمل مثل هذه البركة وبنى ايضا فى القصر قبة تضاهى قبة الهواء سماها الدكة فكانت احسن شئ بنى وجعل لها الستر التى تقى الحرّ والبرد فتسبل اذا شاء وترفع اذا احب وفرش ارضها بالفرش السرية وعمل لكل فصل فرشا يليق به وكان كثيرا ما يجلس فى هذه القبة ليشرف منها على جميع ما فى داره من البستان وغيره ويرى الصحراء والنيل والجبل وجميع المدينة وبنى ميدانا آخر أكبر من ميدان ابيه وكان احمد بن طولون قد اتخذ حجرة بقربه فيها رجال سماهم بالمكبرين عدّتهم اثناعشر رجلا يبيت منهم فى كل ليلة اربعة يتعاقبون الليل نوبا يكبرون ويسبحون ويحمدون ويهللون ويقرؤن القرآن تطريبا بألحان ويتوسلون بقصائد زهدية ويؤذنون اوقات الاذان فلما ولى خمارويه اقرّهم على حالهم وأجراهم على رسمهم وكان يجلس للشرب مع حظاياه فى الليل وقيناته تغنيه فاذا سمع اصوات هؤلاء يذكرون الله والقدح فى يده وضعه بالارض وأسكت مغنياته وذكر الله معهم ابدا حتى يسكت القوم لا يضجره ذلك ولا يغيظه أن قطع عليه ما كان فيه من لذته بالسماع وبنى ايضا فى داره دارا للسباع عمل فيها بيوتا بآزاج كل بيت يسع سبعا ولبوته وعلى تلك البيوت ابواب تفتح من اعلاها بحركات ولكل بيت منها طاق صغير يدخل منه الرجل الموكل بخدمة ذلك البيت يفرشه بالزبل وفى جانب كل بيت حوض من رخام بميزاب من نحاس يصب فيه الماء وبين يدى هذه البيوت قاعة فسيحة متسعة فيها رمل مفروش بها وفى جانبها حوض كبير من رخام يصب فيه ماء من ميزاب كبير فاذا أراد سائس سبع من تلك السباع تنظيف بيته او وضع وظيفة اللحم التى لغذائه رفع الباب بحيلة من اعلى البيت وصاح بالسبع فيخرج الى القاعة المذكورة ويردّ الباب ثم ينزل الى البيت من الطاق فيكنس الزبل ويبدل الرمل بغيره مما هو نظيف ويضع الوظيفة من اللحم فى مكان معدّ لذلك بعد ما يخلص ما فيه من الغدد ويقطعه لهما ويغسل الحوض ويملأه ماء ثم يخرج ويرفع الباب من اعلاه وقد عرف السبع ذلك فحال ما يرفع السائس باب البيت دخل اليه الاسد فأكل ما هيئ له من اللحم حتى يستوفيه ويشرب من الماء كفايته فكانت هذه مملوءة من السباع ولهم اوقات يفتح فيها سائر بيوت السباع فتخرج الى القاعة وتتمشى فيها وتمرح وتلعب ويهارش بعضها بعضا فتقيم يوما كاملا الى العشىّ فيصيح بها السوّاس فيدخل كل سبع الى بيته لا يتخطاه الى غيره وكان من جملة هذه السباع سبع ازرق العينين يقال له زريق قد انس بخمارويه وصار مطلقا فى الدار لا يؤذى احدا ويقام له بوظيفته من الغذاء فى كل يوم فاذا نصبت مائدة خمارويه اقبل زريق معها وربض بين يديه فرمى اليه بيده الدجاجة بعد الدجاجة والفضلة الصالحة من الجدى ونحو ذلك مما على المائدة فيتفكه به وكانت له لبوة لم تستأنس كما انس فكانت مقصورة فى بيت ولها وقت معروف يجتمع معها فيه فاذا نام خمارويه جاء زريق ليحرسه فان كان قد نام على سرير ربض بين يدى السرير وجعل يراعيه مادام نائما وان كان انما نام على الارض بقى قريبا منه وتفطن لمن يدخل ويقصد خمارويه لا يغفل عن ذلك لحظة واحدة وكان على ذلك دهره قد ألف ذلك ودرب عليه وكان فى عنقه طوق من ذهب فلا يقدر أحد أن يدنو من خمارويه مادام نائما لمراعاة زريق له وحراسته اياه حتى اذا شاء الله انفاذ قضائه فى خمارويه كان بدمشق وزريق غائب عنه بمصر ليعلم انه لا يغنى حذر من قدر وبنى ايضا دار الحرم ونقل اليها امهات اولاد ابيه مع اولادهن وجعل معهن المعزولات من امهات اولاده وافرد لكل واحدة حجرة واسعة نزل فى كل حجرة منها بعد زوال دولتهم قائد جليل فوسعته وفضل عنه منها شئ وأقام

لكل حجرة من الانزال والوظائف الواسعة ما كان يفضل عن اهلها منه شئ كثير فكان الخدم الموكلون بالحرم
من الطباخين وغيرهم يفضل لكل منهم مع كثرة عددهم بعد التوسع فى قوته الزلة الكبيرة والتى فيها العدة من
الدجاج فمنها ما قلع فخذها ومنها ما قد تشعب صدرها ومن الفراخ مثل ذلك مع القطع الكبار من الجدى ولحوم
الضأن والعدة من ألوان عديدة والقطع الصالحة من الفالوذج والكثير من اللوزينج والقطائف والهرائس من
العصيدة التى تعرف اليوم فى وقتنا هذا بالمامونية وأشباه ذلك مع الارغفة الكبار واشتهر بمصر بيعهم لذلك
وعرفوا به فكان الناس يتناوبونهم لذلك واكثر ما تباع الزلة الكبيرة منها بدرهمين ومنها ما يباع بدرهم فكان
كثير من الناس يتفكهون من هذه الزلات وكان شباء موجودا فى كل وقت لكثرته واتساعه بحيث ان الرجل
اذا طرقه ضيف خرج من فوره الى باب دار الحرم فيجد ما يشتريه ليتجمل به لضيفه مما لا يقدر على عمل مثله ولا
يتهيأ له من اللحوم والفراخ والدجاج والحلوى مثل ذلك واتسعت ايضا اصطبلات خمارويه فعمل لكل صنف
من الدواب اصطبلا مفردا فكان للخيل الخاص اصطبل مفرد والدواب الغلمان اصطبلات عدة ولبغال
القباب اصطبلات ولبغال النقل غير بغال القباب اصطبلات وللنجائب والبخاتى اصطبلات لكل صنف
اصطبل مفرد للاتساع فى المواضع والتفنن فى الاثقال وعمل للنمور دارا مفردة وللفهود دارا مفردة وللفيلة
دارا وللزرافات دارا كل ذلك سوى الاصطبلات التى بالجيزة فانه كان له فى عدة ضياع من الجيزة اصطبلات
مثل نهيا ووسيم وسفط وطهرمس وغيرها وكانت هذه الضياع لا تزرع الا القرط برسم الدواب وكان
للخليفة ايضا بمصر اصطبلات سوى ما ذكر تنتج فيها الخيل لحلبة السباق والرباط فى سبيل الله تعالى برسم
الغزو وكان لكل دار من الدور المذكورة ولكل اصطبل وكلاء لهم الرزق السنى والوظائف الكثيرة والاموال
المتسعة وبلغ رزق الجيش فى ايام خمارويه تسعمائة ألف دينار فى كل سنة وقام مطبخه المعروف بمطبخ العامة
بثلاثة وعشرين ألف دينار فى كل شهر سوى ما هو موظف لجواريه وأرزاق من يخدمهن ويتصرف فى
حوائجهن وكان قد اتخذ لنفسه من ولد الحوف وشناترة الضياع قوما معروفين بالشجاعة والباس لهم
خلق عظيم تام وعظم اجسام وأدر عليهم الارزاق ووسع لهم فى العطاء وشغلهم عما كانوا فيه من قطع الطريق
واذية الناس بخدمته والبسهم الاقبية وجواشن الديباج وصاغ لهم المناطق العراض الثقال وقلدهم
السيوف المحلاة يضعونها على اكتافهم فاذا مشوا بين يديه وموكبه على ترتيبه ومضت اصناف العسكر
وطوائفه تلاهم السودان وعدتهم ألف اسود لهم درق من حديد محكم الصنعة وعليهم اقبية سود وعمائم
سود فيخالهم الناظر اليهم بحرا أسود يسير لسواد الوانهم وسواد ثيابهم ويصير لبريق درقهم وحلى سيوفهم
والبيض التى تلمع على رؤسهم من تحت العمائم زى بهيج فاذا مضى السودان قدم خمارويه وقد انفرد عن
موكبه وصار بينه وبين الموكب نحو نصف غلوة سهم والمختارة تحف به وكان تام الظهر ويركب فرسا
تاما فيصير كالكوكب اذا اقبل لا يخفى على احد كانه قطعة جبل فى وسط المختارة وكان مهابا ذا سطوة وقد
وقع فى قلوب الكافة انه متى اشار اليه احد باصبعه او تكلم او قرب منه لحقه مكروه عظيم فكان اذا اقبل
كما ذكرنا لا يسمع من احد كلمة ولا سعلة ولا عطسة ولا نحنحة البتة كانما على رؤسهم الطير وكان يتقلد فى يوم العيد
سيفا بحمائل ولا يزال يتفرج ويتنزه ويخرج الى مواضع لم يكن ابوه يهش اليها كالاهرام ومدينة العقاب
ونحو ذلك لاجل الصيد فانه كان مشغوفا به لا يكاد يسمع بسبع الا قصده ومعه رجال عليهم لبود فيدخلون
الى الاسد ويتناولونه بأيديهم من غابه عنوة وهو سليم فيضعونه فى اقفاص من خشب محكمة الصنعة يسع
الواحد منها السبع وهو قائم فاذا قدم خمارويه من الصيد سار القفص وفيه السبع بين يديه وكانت حلبة
السباق فى ايامهم تقوم مقام الاعياد لكثرة الزينة وركوب سائر الغلمان والعساكر على كثرتهم بالسلاح التام
والعدد الكاملة فيجلس الناس لمشاهدة ذلك كما يجلسون فى الاعياد وتطلق الخيل من غاياتها فتمر متفاوتة
يقدم بعضها بعضا حتى يتم السبق قال القضاعى المنظر بناه احمد بن طولون فى ولايته لعرض الخيل وكان
عرض الخيل من عجائب الاسلام الاربعة التى منها هذا العرض ورمضان بمكة والعيد كان بطرسوس والجمعة
ببغداد فبقى من هذه الاربعة شهر رمضان بمكة والجمعة ببغداد وذهبت اثنتان قال كاتبه وقد ذهبت الجمعة ببغداد
ايضا بعد القضاعى بقتل هولاكو للخليفة المستعصم وزوال شعائر الاسلام من العراق وبقيت مكة شرفها

الله تعالى وليس فى شهر رمضان الآن بها ما يقال فيه انه من عجائب الاسلام ولما تكامل عز خمارويه وانتهى
أمره بدا يسترجع منه الدهر ما اعطاه فأوّل ما طرقه موت حظيته بوران التى من اجلها بنى بيت الذهب
وصوّر فيه صورتها وصورته كما تقدّم وكان يرى أن الدنيا لا تطيب له الا بسلامتها وبنظره اليها وتمتعه بها فكدّر
موتها عيشه وانكسر انكسارا بان عليه ثم انه اخذ فى تجهيز ابنته فجهزها جهازا ضاهى به نعم الخلافة فلم يبق خطيرة
ولا طرفة من كل لون وجنس الا حمله معها فكان من جملته دكة اربع قطع من ذهب عليها قبة من ذهب مشبك
فى كل عين من التشبيك قرط معلق فيه حبة جوهر لا يعرف لها قيمة ومائة هون من ذهب * قال القضاعى وعقد
المعتضد النكاح على ابنته يعنى ابنة خمارويه قطر الندى فحملها ابو الجيش خمارويه مع عبد الله بن الجصاص
وحمل معها ما لم ير مثله ولا يسمع به ولما دخل اليه ابن الجصاص يودّعه قال له خمارويه هل بقى بينى وبينك حساب
فقال لا فقال انظر حسابك فقال كسر بقى من الجهاز فقال أحضروه فاخرج ربع طومار فيه ثبت ذكر النفقة
فاذا هى اربعمائة ألف دينار قال محمد بن على المادرانى فنظرت فى الطومار فاذا فيه وألف تكة الثمن عنها عشرة
آلاف دينار فأطلق له الكل * قال القضاعى وانما ذكرت هذا الخبر لتستدل به على اشياء منها سعة نفس ابى
الجيش ومنها كثرة ما كان يملكه ابن الجصاص حتى انه قال كسر بقى من الجهاز وهو أربعمائة ألف دينار
لو لم يقتضه ذلك لم يذكره ومنها ميسور ذلك الزمان لما طلب فيه ألف تكة من اثمان عشرة دنانير قدر عليها
فى ايسر وقت وبأهون سعى ولو طلب اليوم خمسون لم يقدر عليها قال كاتبه ولا يعرف اليوم فى اسواق القاهرة
ومصر تكة بعشرة دنانير اذا طلبت توجد فى الحال ولا بعد شهر الا أن يتعنى بعملها فتعمل ولما فرغ خمارويه من
جهاز ابنته امر فبنى لها على رأس كل مرحلة تنزل بها قصر فيما بين مصر وبغداد وأخرج معها اخاه شيبان بن
احمد بن طولون فى جماعة مع ابن الجصاص فكانوا يسيرون بها سير الطفل فى المهد فاذا وافت المنزل وجدت
قصرا قد فرش فيه جميع ما يحتاج اليه وعلقت فيه الستور وأعدّ فيه كل ما يصلح لمثلها فى حال الاقامة فكانت
فى مسيرها من مصر الى بغداد على بعد الشقة كأنها فى قصر ابيها تنتقل من مجلس الى مجلس حتى قدمت بغداد
أوّل المحرّم سنة اثنتين وثمانين ومائتين فزفت على الخليفة المعتضد وبعد ذلك قتل خمارويه بدمشق وكانت مدّة بنى
طولون بمصر سبعا وثلاثين سنة وستة اشهر واثنين وعشرين يوما وولى منهم خمسة امراء اوّلهم (احمد بن طولون)
ولى مصر من قبل المعتز على صلاتها فدخل يوم الخميس لسبع بقين من شهر رمضان سنة اربع وخمسين ومائتين
وخرج بغا الاصغر وهو احمد بن محمد بن عبد الله بن طباطبا فيما بين برقة والاسكندرية فى جمادى الاولى سنة خمس
وخمسين وسار الى الصعيد فقتل فى الحرب وحمل رأسه الى الفسطاط لاحدى عشرة بقيت من شعبان وخرج ابن
الصوفى العلوى وهو ابراهيم بن محمد بن يحيى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن على بن ابى طالب ودخل اسنا فى ذى
القعدة فنهب وقتل فبعث اليه ابن طولون جيشا فهزم الجيش فى ربيع الاوّل سنة ست وخمسين فبعث بجيش آخر
فواقعه باخميم فى ربيع الآخر فانهزم ابن الصوفى الى الواح فأقام به وخرج احمد بن طولون يريد حرب عيسى بن
الشيخ ثم عاد فابتدأ فى بناء الميدان وقدم العباس وخمارويه ابنا احمد بن طولون من العراق على طريق مكة
سنة سبع وخمسين وورد كتاب ماجور بتسلم احمد بن طولون الاعمال الخارجة عن يده من أرض مصر فتسلم
الاسكندرية وخرج اليها لثمان خلون من شهر رمضان واستخلف طغج صاحب الشرط ثم قدم لاربع عشرة بقيت
من شوّال وسخط على اخيه موسى وأمره بلباس البياض وخرج الى الاسكندرية ثانيا لثمان بقين من شعبان سنة
تسع وخمسين واستخلف ابنه العباس وقدم لثمان خلون من شوّال وأمر ببناء المسجد الجامع على الجبل فى صفر
سنة تسع وخمسين وبناء المارستان للمرضى وورد كتاب المعتمد يستحثه فى حمل الاموال فكتب اليه لست اطيق
ذلك والخراج بيد غيرى فأنفذ المعتمد نفيسا الخادم بتقليد احمد بن طولون الخراج وبولايته على الثغور الشامية
فاقرّ ابا ايوب احمد بن محمد بن شجاع على الخراج خليفة له عليه وعقد لطخشى بن بلبرد على الثغور فخرج فى جمادى
الاولى سنة اربع وستين وتقدّم ابو احمد الموفق الى موسى بن بغا فى صرف احمد بن طولون وتقليدها ماجور
التركى والى دمشق فكتب اليه بذلك فتوقف لعجزه عن مقاومة ابن طولون فخرج موسى بن بغا ونزل الرقة فبلغ
ابن طولون انه سائر اليه فابتدأ فى بناء الحصن بالجزيرة ليكون معقلا لماله وحرمه فى سنة ثلاث وستين واجتهد
فى عمل المراكب الحربية وأطافها بالجزيرة فأقام موسى بالرقة عشرة اشهر واضطربت اموره ومات فى صفر سنة

اربع وستين ومات ماجور بدمشق واستخلف ابنه على بن ماجور فحرك ذلك احمد بن طولون على المسير وكتب الى ابن ماجور انه سائر اليه وأمره باقامة الانزال والميرة فأجاب بجواب حسن وشكا اهل مصر الى ابن طولون ضيق المسجد الجامع يوم الجمعة بجنده وسودانه فأمر ببناء المسجد الجامع بجبل يشكر فابتدأ ببنائه فى سنة أربع وتم فى سنة ست وستين ومائتين وخرج فى جيوشه لثمان بقين من شعبان سنة أربع وستين واستخلف ابنه العباس وضم اليه احمد بن محمد الواسطى مدبرا ووزيرا فبلغ الرملة وتلقاه محمد بن رافع واليها وأقام له بها الدعوة فأقره ومضى الى دمشق فتلقاه على بن ماجور وأقام له بها الدعوة فأقام بها حتى استوثق له امرها ومضى الى حمص فتسلمها وبعث الى سيما الطويل وهو بانطاكية يأمره بالدعاء له فأبى فسار اليه فى جيش عظيم وحاصره ورماه بالمجانيق حتى دخلها فى المحرم سنة خمس وستين فقتل سيما واستباح امواله ورجاله ومضى الى طرسوس فدخلها فى ربيع الاول فضاقت به وغلا السعر بها فنابذه اهلها فقاتلهم وأمر أصحابه أن ينهزموا عن اهل طرسوس ليبلغ طاغية الروم فيعلم أن جيوش ابن طولون مع كثرتها وشدتها لم تقم لاهل طرسوس فانهزموا وخرج عنهم واستخلف عليها طخشى فورد الخبر عليه بأن ابنه العباس قد خالف عليه فازعجه ذلك وسار نخاف العباس وقيد الواسطى وخرج بطائفته الى الجيزة لثمان خلون من شعبان سنة خمس وستين ومائتين فعسكر بها واستخلف أخاه ربيعة بن احمد وأظهر أنه يريد الاسكندرية وسار الى برقة فقدم احمد بن طولون من الشام لاربع خلون من رمضان فأنفذ القاضى بكار بن قتيبة فى نفر بكتابه الى العباس فساروا اليه ببرقة فأبى أن يرجع وعاد بكار فى اول ذى الحجة ومضى العباس يريد افريقية فى جمادى الاولى سنة ست وستين فنهب لبدة وقتل من اهلها عدة وضجت نساؤهم فاجتمع عليه جيش ابن الاغلب والاباضية فقاتلهم بنفسه وحسن بلاؤه يومئذ وقال

لله درى اذ أعدوا على فرسى * الى الهياج ونار الحرب تستعر
وفى يدى صارم افرى الرؤس به * فى حده الموت لا يبقى ولا يذر
ان كنت سائلة عنى وعن خبرى * فها أنا الليث والصمصامة الذكر
من آل طولون اصلى ان سألت فما * فوقى لمفتخر بالجود مفتخر
لو كنت شاهدة كرى بلبدة اذ * بالسيف اضرب والهامات تبتدر
اذا لعاينت منى ماتبادره * عنى الاحاديث والانباء والخبر

وقتل يومئذ صناديد عسكره ووجوه أصحابه ونهبت امواله وفر الى برقة فى ضر وعقد احمد بن طولون على جيش وبعث به الى برقة فى رمضان سنة سبع وستين ثم خرج بنفسه فى عسكر عظيم يقال انه بلغ مائة ألف لثنتى عشرة خلت من ربيع الاول سنة ثمان وستين فاقام بالاسكندرية وفر اليه احمد بن محمد الواسطى من عند العباس فصغر عنده أمر العباس فعقد على جيش سيره الى برقة فواقعوا اصحاب العباس وهزموهم وقتلوا منهم كثيرا وأدركوا العباس لاربع خلون من رجب وعاد احمد الى الفسطاط لثلاث عشرة خلت منه وقدم العباس والاسرى فى شوال ثم اخرجوا اول ذى القعدة وقد بنيت لهم دكة عالية فضربوا وألقوا من اعلاها ثم بعث بلؤلؤ فى جيش الى الشام فخالف على احمد ومال مع الموفق وصار اليه فخرج احمد واستخلف ابنه خمارويه فى صفر سنة تسع وستين فنزل دمشق ومعه ابنه العباس مقيدا فخالف عليه اهل طرسوس فخرج يريد محاربتهم ثم توقف لورود كتاب المعتمد عليه أنه قادم عليه ليلتجئ اليه فخرج كالمتصيد من بغداد وتوجه نحو الرقة فبلغ أبا احمد الموفق مسيره وهو محارب لصاحب الزنج فعمل عليه حتى عاد الى سامرا ووكل به جماعة وعقد لاسحق بن كنداج الخزرى على مصر فبلغ ذلك ابن طولون فرجع الى دمشق وأحضر القضاة والفقهاء من الاعمال وكتب الى مصر كتابا قرئ على الناس بأن أبا احمد الموفق نكث بيعة المعتمد وأسره فى دار أحمد بن الخصيب وان المعتمد قد صار من ذلك الى مالا يجوز ذكره وانه بكى بكاء شديدا فلما خطب الخطيب يوم الجمعة ذكر ما نيل من المعتمد وقال اللهم فاكفه من حصره وظلمه وخرج من مصر بكار بن قتيبة وجماعة الى دمشق وقد حضر أهل الشامات والثغور فأمر ابن طولون بكتاب فيه خلع الموفق من ولاية العهد لمخالفة المعتمد وحصره اياه وكتب فيه ان ابا احمد الموفق خلع الطاعة وبرئ من الذمة فوجب جهاده على الامة وشهد على ذلك جميع من حضر الا بكار بن قتيبة

وآخرين

وآخرين وقال بكار لم يصح عندي ما فعله ابو أحمد ولم اعلمه وامتنع من الشهادة والخلع وكان ذلك لاحدى عشرة خلت من ذي القعدة فبلغ ذلك الموفق فكتب الى عماله بلعن احمد بن طولون على المنابر فلعن عليها بما صيغته اللهم العنه لعنا يفل حده ويتعس جده واجعله مثلا للغابرين انك لاتصلح عمل المفسدين ومضى احمد الى طرسوس فنازلها وكان البرد شديدا ثم رحل عنها الى أذنة وسار الى المصيصة فنزلت به علة الموت فأعد السير يريد مصر حتى بلغ الفرما فركب النيل الى الفسطاط فدخل لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة سبعين فأوقف بكار بن قتيبة وبعث به الى السجن وتزايدت به العلة حتى مات ليلة الاحد لعشر خلون من ذي القعدة سنة سبعين ومائتين فلما بلغ المعتمد موته اشتد وجده وجزعه عليه وقال يرثيه

الى الله اشكو اسى * عراني كوقع الاسل * على رجل اروع * يرى منه فضل الوجل
شهاب خبا وقده * وعارض غيث افل * شكت دولتي فقده * وكان بزين الدول

فقام بعده ابنه (ابو الجيش خمارويه) بن احمد بن طولون وبايعه الجند يوم الاحد لعشر خلون من ذي القعدة فأمر بقتل اخيه العباس لامتناعه من مبايعته وعقد لابي عبد الله احمد الواسطي على جيش الى الشام لست خلون من ذي الحجة وعقد لسعد الاعسر على جيش آخر وبعث بمراكب في البحر لتقيم على السواحل الشامية فنزل الواسطي فلسطين وهو خائف من خمارويه أن يوقع به لانه كان اشار عليه بقتل اخيه العباس فكتب الى ابي احمد الموفق يصغر امر خمارويه ويحرضه على المسير اليه فأقبل من بغداد وانضم اليه اسحق بن كنداج ومحمد بن ابي الساج ونزل الرقة فتسلم قنسرين والعواصم وسار الى شيرز فقاتل اصحاب خمارويه وهزمهم ودخل دمشق فخرج خمارويه في جيش عظيم لعشر خلون من صفر سنة احدى وسبعين فالتقى مع احمد بن الموفق بنهر ابي بطرس المعروف بالطواحين من ارض فلسطين واقتتلا فانهزم اصحاب خمارويه وكان في سبعين ألفا وابن الموفق في نحو أربعة آلاف واحتوى على عسكر خمارويه بما فيه ومضى خمارويه الى الفسطاط وأقبل كمين له عليه سعد الاعسر ولم يعلم بهزيمة خمارويه فحارب ابن الموفق حتى ازاله عن المعسكر وهزمه اثني عشر ميلا ومضى الى دمشق فلم يفتح له ودخل خمارويه الى الفسطاط لثلاث خلون من ربيع الاول وسار سعد الاعسر والواسطي فملكا دمشق وخرج خمارويه من مصر لسبع بقين من رمضان فوصل الى فلسطين ثم عاد لاثنتي عشرة بقيت من شوال ثم خرج في ذي القعدة سنة اثنتين وسبعين فقتل سعد الاعسر ودخل دمشق لسبع خلون من المحرم سنة ثلاث وسبعين وسار لقتال ابن كنداج فكانت على خمارويه فانهزم اصحابه وثبت هو في طائفة فهزم ابن كنداج واتبعه حتى بلغ اصحابه سر من رأى ثم اصطلحا وتظاهرا واقبل الى خمارويه فأقام في عسكره ودعا له في اعماله التي بيده وكاتب خمارويه أبا احمد الموفق في الصلح فأجابه الى ذلك وكتب له بذلك كتابا فورد عليه به فائق الخادم الى مصر في رجب ذكر فيه أن المعتمد والموفق وابنه كتبوه بأيديهم وبولاية خمارويه وولده ثلاثين سنة على مصر والشامات ثم تقدم خمارويه سلخ رجب فأمر بالدعاء لابي احمد الموفق وترك الدعاء عليه وجعل على المظالم بمصر محمد بن عبدة بن حرب وبلغه مسير محمد بن ابي الساج الى أعماله فخرج اليه في ذي القعدة ولقيه بثنية العقاب من دمشق فانهزم اصحاب خمارويه وثبت هو فحاربه حتى هزمه أقبح هزيمة وعاد الى مصر فدخلها لست بقين من جمادى الآخرة سنة ست وسبعين ثم خرج الى الاسكندرية لاربع خلون من شوال وورد الخبر أنه دعي له بطرسوس في جمادى الآخرة سنة سبع وسبعين وخرج الى الشام لسبع عشرة من ذي القعدة ومات الموفق في سنة ثمان وسبعين ثم مات المعتمد في رجب سنة تسع وسبعين وبويع المعتضد ابو العباس احمد بن الموفق فبعث اليه خمارويه بالهدايا وقدم من الشام لست خلون من ربيع الاول سنة ثمانين فورد كتاب المعتضد بولاية خمارويه على مصر هو وولده ثلاثين سنة من الفرات الى برقة وجعل له الصلات والخراج والقضاء وجميع الاعمال على أن يحمل في كل عام مائتي ألف دينار عما مضى وثلثمائة الف للمستقبل ثم قدم رسول المعتضد بالخلع وهي اثنتا عشرة خلعة وسيف وتاج ووشاح مع خادم في رمضان وعقد المعتضد نكاح قطر الندى بنت خمارويه في سنة احدى وثمانين وفيها خرج خمارويه الى نزهته ببربوط في شعبان ومضى الى الصعيد فبلغ سيوط ثم رجع من الشرق الى الفسطاط اول ذي القعدة وخرج الى الشام لثمان خلون من شعبان سنة اثنتين وثمانين فأقام بمنية الاصبغ ومنية مطر ثم رحل حتى اتى دمشق فقتل بها على فراشه ذبحه جواريه

وخدمه وحمل فى صندوق الى مصر وكان لدخول تابوته يوم عظيم واستقبله جواريه وجوارى غلمانه ونساء قواده ونساء القطائع بالصياح وما يصنع فى المآتم وخرج الغلمان وقد حلوا أقبيتهم وفيهم من سوّد ثيابه وشققها وكانت فى البلد ضجة عظيمة وصرخة تقطع القلوب حتى دفن وكانت مدته اثنتى عشرة سنة وثمانية عشر يوما ثم ولى (ابو العساكر جيش بن خمارويه) بن احمد بن طولون لليلة بقيت من ذى القعدة سنة اثنتين وثمانين ومائتين بدمشق فسار الى مصر واشتمل على امور انكرت عليه فاستوحش من عظماء الجند وتنكر لهم فخافوه ودأبوا فى الفساد فخرج متنزها الى منية الاصبغ ففرّ جماعة من عظماء الدولة الى المعتضد وخلعه احمد بن طغان وكان على الثغر وخلعه طغج بن جف بدمشق فوثب جيش على عمه مضر بن احمد بن طولون فقتله فوثب عليه الجيش وخلعوه وجمعوا الفقهاء والقضاة فتبرّأ من بيعته وحلاهم منها وكان خلعه لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين فولى ستة اشهر واثنى عشر يوما ومات فى السجن بعد أيام ثم ولى (أبو موسى هرون ابن خمارويه) يوم خلع جيش فقام طائفة من الجند وكاتبوا ربيعة بن احمد بن طولون وكان بالاسكندرية ودعوه ووعدوه بالقيام معه فجمع جمعا كثيرا من اهل البحيرة ومن البربر وغيرهم وسار حتى نزل ظاهر فسطاط مصر فخذله القوم وخرج اليه القواد فقاتلوه وأسروه لاحدى عشرة ليلة خلت من شعبان سنة اربع وثمانين وضرب ألف سوط ومائتى سوط فمات ومات المعتضد فى ربيع الآخر سنة تسع وثمانين وبويع ابنه محمد المكتفى بالله وخرج القرمطى بالشام فى سنة تسعين فخرج القواد من مصر وحاربوه فهزمهم وبعث المكتفى محمد بن سليمان الكاتب فنزل حمص وبعث بالمراكب من الثغر الى سواحل مصر وأقبل الى فلسطين فخرج هارون يوم التروية سنة احدى وتسعين وسير المراكب الحربية فالتقوا بمراكب محمد بن سليمان فى تنيس فغلبوا وملك اصحاب محمد بن سليمان تنيس ودمياط فسار هرون الى العباسة ومعه اهله وأعمامه فى ضيق وجهد فتفرق عنه كثير من اصحابه وبقى فى نفر يسير وهو متشاغل باللهو فأجمع عماه شيبان وعدى ابنا احمد بن طولون على قتله فدخلا عليه وهو ثمل فقتلاه ليلة الاحد لاحدى عشرة بقيت من صفر سنة اثنتين وتسعين وسنه يومئذ اثنان وعشرون سنة فكانت ولايته ثمان سنين وثمانية اشهر وأياما ثم ولى (شيبان بن احمد بن طولون) ابو المواقيت لعشر بقين من صفر فرجع الى الفسطاط وبلغ طغج بن جف وغيره من القواد قتل هرون فأنكروه وخالفوا على شيبان وبعثوا الى محمد بن سليمان فأمنهم وحرّكوه على المسير الى مصر فسار حتى نزل العباسة فلقيه طغج فى ناس من القواد كثير فساروا به الى الفسطاط وأقبل اليهم عامة اصحاب شيبان فخاف حينئذ شيبان وطلب الامان فأمنه محمد بن سليمان وخرج اليه لليلة خلت من ربيع الاول سنة اثنتين وتسعين ومائتين وكانت ولايته اثنى عشر يوما ودخل محمد بن سليمان يوم الخميس اول ربيع الاول فألقى النار فى القطائع ونهب اصحابه الفسطاط وكسروا السجون وأخرجوا من فيها وهجموا الدور واستباحوا الحريم وهتكوا الرعية وافتضوا الابكار وساقوا النساء وفعلوا كل قبيح من اخراج الناس من دورهم وغير ذلك وأخرج ولد أحمد بن طولون وهم عشرون انسانا واخرج قوادهم فلم يبق بمصر منهم احد يذكر وخلت منهم الديار وعفت منهم الآثار وتعطلت منهم المنازل وحل بهم الذل بعد العز والتطريد والتشريد بعد اجتماع الشمل ونضرة الملك ومساعدة الايام ثم سيق اصحاب شيبان الى محمد بن سليمان وهو راكب فذبحوا بين يديه كما تذبح الشياه وقتل من السودان سكان القطائع خلقا كثيرا فقال احمد بن محمد الحبيشى

الحمد لله اقرارا بما وهبا * قد لمّ بالامن شعب الحق فانشعبا
الله اصدق هذا الفتح لا كذب * فسوء عاقبة المثوى لمن كذبا
فتح به فتح الدنيا محمدها * وفرّج الظلم والاظلام والكربا
لاريب ربّ هياج يقتضى دعة * وفى القصاص حياة تذهب الريبا
رمى الامام به عذراء غادره * فاقتض عذرتها بالسيف واقتضبا
محمد بن سليمان اعزهم * نفسا واكرمهم فى الذاهبين أبا
سرى بأسد الشرى لولم يروا بشرا * اضحى عرينهم الخطى لا القضبا
جمّ الفضاء على اليحموم حين اتوا * مثل الزبا يتحون الزبية الذأبا

ايا عاوت على الايام مرتبة * اباعلى ترى من دونها الرتبا
لما اطال بنو طولون خطبتهم * من الخطوب وعافت منهم الخطبا
هارت بهارون من ذكراه بقعته * وشيب الرعب شيبانا وقد رعبا
وكم ترى لهم من جنة انف * ومن نعيم جنى من غدرهم عطبا
فأصبحوا الاترى الامساكنهم * كانها من زمان غابر ذهبا

وقال احمد بن يعقوب

ان كنت تسال عن جلالة ملكهم * فارتع وعج بمرابع الميدان
وانظر الى تلك القصور وماحوت * واسرح بزهرة ذلك البستان
وان اعتبرت ففيه ايضا عبرة * تنبيك كيف تصرف العصران
باقتل هرون اجتثت اصولهم * واشبت رأس اميرهم شيبان
لم يغن عنكم بأس قيس اذا غدا * فى جحفل لجب ولا غسان
وعديه البطل الكمى وخزرج * لم ينصرا بأخيهما عدنان
زفت الى آل النبوة والهدى * وتمزقت عن شيعة الشيطان

وقال اسمعيل بن ابى هاشم

قف وقفة بقباب باب الساج * والقصر ذى الشرفات والابراج
وربوع قوم ازعجوا عن دارهم * بعد الاقامة ايما ازعاج
كانوا مصابيحا لدى ظلم الدجى * يسرى بها السارون فى الادلاج
وكان اوجههم اذا ابصرتها * من فضة بيضاء اومن عاج
كانوا ليوثا لا يرام حماهم * فى كل ملحمة وكل هياج
فانظر الى آثارهم تلق لهم * علما بكل ثنية وفجاج
وعليهم ماعشت لا ادع البكا * مع كل ذى نظر وطرف ساجى

وقال سعيد القاص

جرى دمعه مابين سحر الى نحر * ولم يجر حتى اسلمته يد الصبر
وبات وقيذا للذى خامر الحشا * يئن كما أن الاسير من الاسر
وهل يستطيع الصبر من كان ذا اسى * يبيت على جمر ويضحى على جمر
تتابع أحداث يضمن صبره * وغدر من الايام والدهر ذوغدر
اصاب على رغم الانوف وجدعها * ذوى الدين والدنيا بقاصمة الظهر
طوى زينة الدنيا ومصباح اهلها * بفقد بنى طولون والانجم الزهر
وفقد بنى طولون فى كل موطن * أمرّ على الاسلام فقدا من القطر
فبادوا وأضحوا بعد عز ومنعة * احاديث لاتخفى على كل ذى حجر
وكان ابو العباس احمد ماجدا * جميل المحيا لا يبيت على وتر
كأن ليالى الدهر كانت لحسنها * واشرافها فى عصره ليلة القدر
يدل على فضل ابن طولون همة * محلقة بين السماكين والغفر
فان كنت تبغى شاهدا ذا عدالة * يخبر عنه بالجلى من الامر
فبالجبل الغربى خطة يشكر * له مسجد يغنى عن المنطق الهذر
يدل ذوى الالباب أن بناءه * وبانيه لا بالضنين ولا الغمر
بناه بآجر وساج وعرعر * وبالمرمر المسنون والجص والصخر
بعيد مدى الاقطار سام بناؤه * وثيق المبانى من عقود ومن جدر
فسيح رحاب يحصر الطرف دونه * رقيق نسيم طيب العرف والنشر

وتنور فرعون الذى فوق قـلة * على جبل عال على شاهق وعـر
بنى مسجـدا فيـه يروق بناؤه * ويهدى به فى الليل ان ضل من يسرى
تخال سنا قنـديله وضيـاءه * سهيلا اذا مالاح فى الليـل للسفر
وعين معـين الشرب عين زكيـة * وعـين اجاج للرواة و للطهر
كأن وفود النيل فى جنباتها * تروح وتغـدو بين مد الى جزر
فأرك بها مستنبطا لمعينها * من الارض من بطن عميق الى ظهر
بناء لوان الجن جاءت بمثـله * لقيـل لقد جاءت بمستفظع نكر
يمر على ارض المغافر كلها * وشعبان والاحمور والحى من بشر
قبائل لانوء السحاب يمدها * ولا النيل يرويها ولا جدول يجرى
ولا تنس مارستانه واتساعـه * وتوسعة الارزاق للحول والشهر
ومافيـه من قوامه وكفاته * ورفقهـم بالمعتفين ذوى الفـقر
فللميت المقبور حسـن جهازه * وللحى رفق فى عـلاج وفى جبر
وان جئت رأس الجسر فانظر تأملا * الى الحصن او فاعبر اليه على الجسر
ترى أثرا لم يبق من يستطيعه * من الناس فى بدو البلاد ولا حضر
مآثر لاتبلى وان باد أهلها * ومجد يؤدى وارثيـه الى الفخر
لقـد ضمن القـبر المقـدر ذرعـه * اجـل اذا ماقيس من قبتى حجر
وقام ابو الجيش ابنـه بعـد موته * كما قام ليث الغاب فى الاسل السمر
اتتـه المنايا وهو فى أمن داره * فأصبح مسلوبا من النهى والأمر
كذاك الليالى من اعارته بهجـة * فيالك من ناب حـديد ومن ظفر
وورث هرون ابنـه تاج ملكه * كذاك ابو الاشبال ذو الناب والهصر
وقد كان جيش قبله فى محله * ولكن جيشا كان مستقصر العمر
تمام بأمر الملك هارون مـدة * على كظظ من ضيق باع ومن حصر
ومازال حتى زال والدهر كاشح * عقاربه من كل ناحية تسرى
تذكرتهم لما مضوا فتتابعوا * كما ارفض سلك من جمان ومن شذر
فمن يبك شيأ ضاع من بعـد أهـله * لفقدهـم فليبك حزنا على مصر
ليبك بنى طولون اذبان عصرهم * فبورك من دهر وبورك من عصر

وقال ايضا

من لم ير الهـدم للميـدان لم يره * تبارك الله ماأعـلى واقـدره
لوان عـين الذى انشاه تبصـره * والحادثات تعاديه لاكبره
كانت عيون الورى تعشو لهيبتـه * اذا اضاف اليـه الملك عسكره
أين الملوك التى كانت تحل به * واين من كان بالانفاذ دبره
واين من كان يحميه ويحرسـه * من كل ليث يهاب الليث منظره
صاح الزمان بمن فيـه ففرقهـم * وحط ريب البلى فيـه فدعثره
وأخلق الدهر منه حسـن جدته * مثل الكتاب محا العصران اسطره
دكت مناظره واجتث جوسـقه * كانما الخسف فاجاه فدمره
اوهب اعصار نار فى جوانبـه * فعاد معروفه للعين منكره
كم كان يأوى اليـه فى مقاصره * احوى اغن غضيض الطرف احوره
كم كان فيه لهـم من مشرب غـدق * فعب صرف الردى فيـه فكدره
اين ابن طولون بانيـه وساكنه * اماته الملك الاعلى فأقـبره

ما أوضح الامر لو صحت لنا فكر * طوبى لمن خصه رشد فذكره

وقال احمد بن اسحق الجفر

واذا ما اردت اعجوبة الدهر تراها فانظر الى الميدان
تنظر البين والهموم وانوا عا توالت به من الاشجان
يعلم العالم المبصر أن الدهر فيما يراه ذو ألوان
اين ما فيه من نعيم ومن عيش رخيّ ونضرة وحسان
اين ذاك المسك الذى ديف بالعنبر بحتا وعلّ بالزعفران
اين ذاك الخز المضاعف والوشى وما استخلصوا من الكتان
اين تلك القيان تشدو على العرس بما استحسنوا من الالحان
حوز الدهر آل طولون فى هوّة نقر مسكونها غيردان
واعاض الميدان من بعد أهليه ذئابا تعوى بتلك المغانى

ثم امر الحسين بن احمد المادرانى متولى خراج مصر بهدم الديوان فابتدئ فى هدمه فى شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين ومائتين وبيعت أنقاضه ودثر كانه لم يكن * فقال محمد بن طسويه

وكان الميدان ثكلى اصيبت * بحبيب قد ضاع ليلة عرس
تتغشى الرياح منه محلا * كان للصون فى ستور الدمقس
وبفرش الاضريج والبسط الديباج فى نعمة وفى لين لمس
ووجوه من الوجوه حسان * وخدود مثل اللآلئ ملس
كل نجلاء كالغزال وبخلا * ورداح من بين حور واعس
آل طولون كنتم زينة الارض فأضحى الجديد أهدام لبس

وقال ابن ابى هاشم

يا منزلا لبنى طولون قد دثرا * سقاك صرف الغوادى القطر والمطرا
يا منزلا صرت اجفوه وأهجره * وكان يعدل عندى السمع والبصرا
بالله عندك علم من احبتنا * ام هل سمعت لهم من بعدنا خبرا

وقال

ألا فاسأل الميدان ثم اسأل الجبل * عن الملك الماضى ابن طولون ما فعل
وعن ابنه العباس ان كنت سائلا * وأين ابو الجيش الفصافصة البطل
وجيش وهارون الذى قام بعده * وشيبان بالامس الذى خانه الامل
ومن قبله اردى ربيعة يومه * وكان هزبر الابطال اذا حمل
واين ذراريهم واين جموعهم * وكيف تقضى عنهم الملك فاضمحل
واين بناء القصر والجوسق الذى * عهدناه معمور الفناء له زجل
لقد ملكوه برهة من زماننا * بدولتهم ثم انقضوا بانقضا الدول
فما منهم خلق يحس ولا يرى * بذكر طوال الدهر لما انقضى الاجل
وصاروا احاديثا لمن جاء بعدهم * وكان بهم فى ملكهم يضرب المثل

وقال

قف وقفة وانظر الى الميدان * والقصر ذى الشرفات والايوان
والجوسق العالى المنيف بناؤه * ما باله قفر من السكان
اين الذين لهوا به وعنوا به * زمنا مع القينات والنسوان
يجبى الخراج اليهم فى دارهم * لا يرهبون غوائل الحدثان
جمعوا الجموع مع الجموع فأكثروا * واستأثروا بالروم والسودان

فانظر الى ما شيدوا من بعدهم * هل فيه غير البوم والغربان
اين الاولى حفروا العيون بأرضه * وتأنقوا فيه وفى البنيان
غرسوا صنوف النخل فى ساحاته * وغرائب الاعناب والرمان
والزعفران مع البهار بأرضه * والورد بين الآس والريحان
كانوا ملوك الارض فى ايامهم * كبراء كل مدينة ومكان
فتمزقوا وتفرقوا فهمالك هم * تحت الثرى يبلون فى الاكفان
الا اغيلمة اسارى بعدهم * فى دار مضيعة ودار هوان
متلذذين بأسرهم قد شردوا * ونفوا عن الاهلين والاوطان
والله وارث كل حىّ بعدهم * وله البقاء وكل شئ فان

وقال

ان فى قبة الهواء لذى اللب معتبر * والقصور المشيدات مع الدور والحجر
والبساتين والمجالس والبيت والزهر * والجوارى المغنيات ذوى الدل والخفر
يتبخترن فى الحرير وفى الوشى والحبر * وملوك عبيدهم عدد الشوك والشجر
وجيوش مؤيدون لدى الباس بالظفر * من صنوف السودان والترك والروم والخزر
عمروا الارض مدّة ثم صاروا الى الحفر * واستبدّ الزمان من عاش منهم فلم يذر
فهم فى الهوان والذل اسرى على خطر * وهم بعد صفو عيش من الذل فى كدر
يال طولون مالكم صرتم للورى سمر * يال طولون كنتم خبرا فانقضى الخبر

وقال

مررت على الميدان معتبرا به * فناديته اين الجبال الشوامخ
خمار وعباس واحمد قبلهم * وأين ترى شبانهم والمشايخ
وأين ذرارى آل طولون بعدهم * أما فيك منهم ايها الربع صارخ
وأين ثياب الخز والوشى والحلى * وأربابها ام اين تلك المطابخ
وأين فتات المسك والعنبر الذى * عنيت به دهرا وتلك اللطائخ
لقد غالك الدهر الخؤون بصرفه * فأصبحت منحطا وغيرك بازخ

وقال

مررت على الميدان بالامس ضاحيا * فأبصرته قفر الجناب فراعنى
فناديت فيه يال طولون مالكم * فهود فما حلق بحرف اجابنى
فأذريت عيناذات دمع غزيرة * ورحت كئيب القلب مما اصابنى
وانى عليهم مابقيت لموجع * ولست ابالى من لحانى وعابنى

وحدّث محمد بن ابى يعقوب الكاتب قال لما كانت ليلة عيد الفطر من سنة اثنتين وتسعين ومائتين تذكرت ما كان فيه آل طولون فى مثل هذه الليلة من الزىّ الحسن بالسلاح وملوّنات البنود والاعلام وشهرة الثياب وكثرة الكراع وأصوات الابواق والطبول فاعترانى لذلك فكرة ونمت فى ليلتى فسمعت هاتفا يقول ذهب الملك والتملك والزينة لما مضى بنو طولون وقال القاضى ابو عمرو عثمان النابلسىّ فى كتاب حسن السيرة فى اتخاذ الحصن بالجزيرة رأيت كتابا قدر اثنتى عشرة كراسة مضمونه فهرست شعراء الميدان الذى لاحمد بن طولون قال فاذا كانت اسماء الشعراء فى ثنتى عشرة كراسة كم يكون شعرهم مع أنه لم يوجد من ذلك الآن ديوان واحد وقال ابو الخطاب بن دحية فى كتاب النبراس وخربت قطائع احمد بن طولون يعنى فى الشدّة العظمى زمن الخليفة المستنصر وهلك جميع من كان بها من الساكنين وكانت نيفا على مائة ألف دار نزهة للناظرين محدقة بالجنان والبساتين والله يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين

ذكر

(ذكر من ولي مصر من الامراء بعد خراب القطائع الى أن بنيت قاهرة المعز على يد القائد جوهر)

وكان اول من ولي مصر بعد زوال دولة بني طولون وخراب القطائع (محمد بن سليمان الكاتب) كاتب لؤلؤ غلام احمد بن طولون دخل مصر يوم الخميس مستهل ربيع الاول سنة اثنتين وتسعين ومائتين ودعا على المنبر لامير المؤمنين المكتفي بالله وحده وجعل أبا علي الحسين بن احمد المادراني على الخراج عوضا عن احمد بن علي المادراني ثم ورد كتاب المكتفي بولاية (عيسى بن محمد) النوشري ابي موسى فولي على الصلات ودخل خليفته لاربع عشرة خلت من جمادى الاولى فتسلم الشرطتين وسائر الاعمال ثم قدم عيسى لسبع خلون من جمادى الآخرة وخرج محمد بن سليمان مستهل رجب وكان مقامه بمصر أربعة اشهر فأخرج كل من بقي من الطولونية فلما بلغوا دمشق انخنس عنهم محمد بن علي الخليج في جمع كثير ممن كره مفارقة مصر من القوّاد فعقدوا له عليهم وبايعوه بالامرة في شعبان ورجع الى مصر فبعث اليه النوشري بجيش اول رمضان وقد دخل ارض مصر ثم خرج اليه النوشري وعسكر بباب المدينة اول ذي القعدة وسار الى العباسة ثم رجع لثلاث عشرة خلت منه وخرج الى الجيزة من غده واحرق الجسرين وسار يريد الاسكندرية ففرّ عنه طائفة الى ابن الخليج فبعث اليه بجيش فهزمه وسار الى الصعيد ودخل (محمد بن الخليج) الفسطاط لاربع عشرة بقيت من ذي القعدة فوضع العطاء وفرض الفروض وقدم ابو الاعز من قبل المكتفي في طلب ابن الخليج فخرج اليه لثلاث خلون من المحرم سنة ثلاث وتسعين وحاربه فانهزم منه ابو الاعز وأسر من اصحابه جمعا كثيرا وعاد لثمان بقين منه فقدم فاتك المعتضدي من بغداد في البرّ فعسكر وقدم دميانة في المراكب فنزل فاتك النويرة فخرج ابن الخليج وعسكر بباب المدينة وقام في الليل بأربعة آلاف من اصحابه ليبيت فاتكا فأضلوا الطريق وأصبحوا قبل أن يبلغوا النويرة فعلم بهم فاتك فنهض بأصحابه وحارب ابن الخليج فانهزم عنه اصحابه وثبت في طائفة ثم انهزم الى الفسطاط لثلاث خلون من رجب فاستتر ودخل دميانة في مراكب الثغور وأقبل عيسى النوشري ومعه الحسين المادراني ومن كان معهما لخمس خلون منه فعاد النوشري الى ما كان عليه من صلاتها والمادراني الى ما كان عليه من الخراج وعرف النوشري بمكان ابن الخليج فهجم عليه وقيده لست خلون من رجب وكانت مدة ابن الخليج بمصر سبعة اشهر وعشرين يوما ودخل فاتك في عسكره الى الفسطاط لعشر خلون من رجب فأخرج ابن الخليج في البحر لست خلون من شعبان فلما قدم بغداد طيف به وبأصحابه وهم ثلاثون نفرا فكان يوما مذكورا وابتدئ في هدم ميدان بني طولون في شهر رمضان وبيعت انقاضه وخرج فاتك الى العراق للنصف من جمادى الاولى سنة اربع وتسعين وامر النوشري بنفي المؤنثين ومنع النوح والنداء على الجنائز وامر باغلاق المسجد الجامع فيما بين الصلاتين ثم امر بفتحه بعد ايام ومات المكتفي في ذي القعدة سنة خمس وتسعين فشغب الجند بمصر وحاربوا النوشري على طلب مال البيعة فظفر بجماعة منهم وبويع جعفر المقتدر فأقرّ النوشري على الصلات وقدم زيادة الله بن ابراهيم بن الاغلب امير افريقية مهزوما من ابي عبد الله الشيعي في رمضان سنة ست وتسعين الى الجيزة فمنعه النوشري من العبور وكانت بين اصحابه وبين جند مصر منافسة ثم اذن له أن يعبر وحده ومات النوشري لاربع بقين من شعبان سنة سبع وتسعين وهو وال فكانت ولايته خمس سنين وشهرين ونصفا منها مدة ابن الخليج سبعة اشهر وعشرون يوما وقام من بعده ابنه ابو الفتح محمد بن عيسى ثم ولي (تكين الخزري ابو منصور) من قبل المقتدر على الصلات فدعي له بها يوم الجمعة لاحدى عشرة خلت من شوال وقدم خليفته لسبع بقين منه ثم قدم تكين لليلتين خلتا من ذي الحجة وتقدم اليه بالجد في أمر المغرب والاحتراس منه فبعث جيشا الى برقة عليه ابو اليمن فحاربه حباسة بن يوسف بعساكر المهدي عبيد الله الفاطمي صاحب افريقية واستولى على برقة وسار الى الاسكندرية في زيادة على مائة ألف فدخلها في المحرم سنة اثنتين وثلثمائة فقدمت الجيوش من العراق مددا لتكين في صفر وقدم الحسين المادراني واحمد بن كيغلغ في جمع من القوّاد وبرزت العساكر الى الجيزة في جمادى الاولى وخرج تكين فكانت واقعة حباسة قتل فيها آلاف من الناس وعاد حباسة الى المغرب وقدم مونس الخادم من بغداد في جيوشه للنصف من رمضان ومعه جمع من الامراء فنزل الحمراء ولقي الناس منهم شدائد وخرج ابن كيغلغ الى الشام في رمضان وصرف تكين لاربع عشرة خلت من ذي القعدة صرفه مؤنس فخرج لسبع خلون من

ذى الحجة وأقام مونس يدعى ويخاطب بالاستاذ ثم ولى (ذكا الرومى) ابو الحسن الاعور من قبل المقتدر على الصلات فدخل لثنتى عشرة خلت من صفر سنة ثلاث وثلثمائة وخرج مونس بجميع جيوشه لثمان خلون من ربيع الآخر وخرج ذكا الى الاسكندرية فى المحرم سنة اربع وثلثمائة ثم عاد فى ثامن ربيع الاول وتتبع كل من يومأ اليه بمكاتبة المهدى صاحب افريقية فسجن منهم وقطع ايدى اناس وارجلهم وجلا اهل لوبية ومراقية الى الاسكندرية خوفا من صاحب برقة وسير العساكر الى الاسكندرية ثم فسد ما بينه وبين الرعية بسبب سب الصحابة رضى الله عنهم وسب القرءان وقدمت عساكر المهدى صاحب افريقية الى لوبية ومراقية عليها ابو القاسم فدخل الاسكندرية ثامن صفر سنة سبع وثلثمائة وفر الناس من مصر الى الشام فى البر والبحر فهلك اكثرهم وأخرج ذكا الجند المخالفون له فعسكر بالجيزة وقدم ابو الحسن بن احمد المادرانى واليا على الخراج فوضع العطاء وجد ذكا فى أمر الحرب واحتفر خندقا على عسكره بالجيزة فمرض ومات لاحدى عشرة خلت من ربيع الاول بالجيزة فكانت امرته اربع سنين وشهرا فولى (تكين) مرة ثانية من قبل المقتدر وقدمت جيوش العراق عليها محمود بن حمل وابراهيم بن كيغلغ فى ربيع الاول ودخل تكين لاحدى عشرة خلت من شعبان فنزل الجيزة وحفر خندقا ثانيا وأقبلت مراكب المغرب فظفر بها فى شوال وقدم مونس الخادم من بغداد بعساكره لخمس خلون من المحرم سنة ثمان وثلثمائة فنزل الجيزة وكان فى نحو ثلاثة آلاف وسير ابن كيغلغ الى الاشمونين فمات بالبهنساء اول ذى القعدة وملك اصحاب المهدى الفيوم وجزيرة الاشمونين فقدم جنى الخادم من بغداد فى عسكر آخر ذى الحجة فعسكر بالجيزة فكانت حروب مع اصحاب المهدى بالفيوم والاسكندرية ورجع ابو القاسم بن المهدى الى برقة وصرف تكين لثلاث عشرة خلت من ربيع الاول سنة تسع وثلثمائة فولى مونس (أبا قابوس محمود بن حمل) فأقام ثلاثة ايام وعزله ورد تكين لخمس بقين من ربيع الاول ثم صرفه بعد أربعة ايام وأخرجه الى الشام فى اربعة آلاف من اهل الديوان ثم ولى (هلال ابن بدر) من قبل المقتدر على الصلات فدخل لست خلون من ربيع الآخر وخرج مونس لثمان عشرة خلت منه ومعه ابن حمل فشغب الجند على هلال وخرجوا الى منية الاصبغ ومعهم محمد بن طاهر صاحب الشرط فكثر النهب والقتل والفساد بمصر الى أن صرف عنها فى ربيع الآخر سنة احدى عشرة وثلثمائة وخرج فى نفر من اصحابه فولى (احمد بن كيغلغ) من قبل المقتدر على الصلات وقدم ابنه ابو العباس خليفة له اول جمادى الاولى ثم قدم ومعه محمد بن الحسين بن عبد الوهاب المادرانى على الخراج فى رجب فأحضر الجند ووضعا العطاء وأسقطا كثيرا من الرجالة وكان ذلك بمنية الاصبغ فثار الرجالة به ففر الى فاقوس وأدخل المادرانى الى المدينة لثمان خلون من شوال واقام ابن كيغلغ بفاقوس الى أن صرف بقدوم رسول تكين فى ثالث ذى القعدة فولى (تكين) المرة الثالثة من قبل المقتدر على الصلات وخلفه ابن منجور الى أن قدم يوم عاشوراء سنة اثنتى عشرة وثلثمائة فأسقط كثيرا من الرجالة وكانوا اهل الشر والنهب ونادى ببراءة الذمة ممن أقام منهم بالفسطاط وصلى الجمعة فى دار الامارة بالعسكر وترك حضور الجمعة فى مسجد العسكر والمسجد الجامع العتيق فى سنة سبع عشرة ولم يصل قبله أحد من الامراء فى دار الامارة الجمعة ثم قتل المقتدر فى شوال سنة عشرين وبويع ابو منصور القاهر بالله فأقر تكين حتى مات فى سادس عشر ربيع الاول سنة احدى وعشرين وثلثمائة فحمل الى بيت المقدس وكانت امرته هذه تسع سنين وشهرين وخمسة ايام فقام ابنه محمد بن تكين موضعه وقام ابو بكر محمد بن على المادرانى بأمر البلد كله ونظر فى اعماله فشغب الجند عليه فى طلب أرزاقهم وأحرقوا دوره ودور أهله فخرج ابن تكين الى منية الاصبغ فبعث اليه المادرانى يأمره بالخروج من أرض مصر وعسكر بباب المدينة وأقام هنالك بعد ما رحل ابن تكين الى سلخ ربيع الاول فلحق ابن تكين بدمشق ثم أقبل يريد مصر فمنعه المادرانى ثم ولى (محمد بن طفج) بن جف الفرغانى ابو بكر من قبل القاهر بالله على الصلات فورد كتابه لسبع خلون من رمضان سنة احدى وعشرين ودعى له وهو بدمشق مدة اثنين وثلاثين يوما الى أن قدم رسول (احمد بن كيغلغ) بولايته الثانية من قبل القاهر بالله لتسع خلون من شوال واستخلف أبا الفتح بن عيسى النوشرى فشغب الجند فى أرزاقهم على المادرانى صاحب الخراج فاستترمنهم فأحرقوا دوره ودور اهله وكانت فتن قتل فيها جماعة الى أن أتاهم محمد بن تكين من فلسطين لثلاث عشرة خلت من ربيع الاول سنة اثنتين

وعشرين فأنكر المادرانى ولايته وتعصب له طائفة ودعى له بالامارة وخرج قوم الى الصعيد فيهم ابن النوشرى فأمّروه عليهم وهم على الدعاء لابن كيغلغ فنزل منية الاصبغ لثلاث خلون من رجب فلحق به كثير من اصحاب تكين ففر ابن تكين ليلا ودخل ابن كيغلغ المدينة لست خلون منه وكان مقام ابن تكين بالفسطاط مائة يوم واثنى عشر يوما وخلع القاهر وبويع ابو العباس الراضى بالله فعاد ابن تكين وأظهر أن الراضى ولاه فخرج اليه العسكر وحاربوه فيما بين بلبيس وفاقوس فانهزم وجىء به الى المدينة فحمل الى الصعيد فورد الخبر بأن محمد بن طغج سار الى مصر بولاية الراضى له فبعث اليه ابن كيغلغ بجيش ليمنعوه من دخول الفرما فأقبلت مراكب ابن طغج الى تنيس وسارت مقدمته فى البر وكانت بينهما حروب فى تاسع عشر شعبان سنة ثلاث وعشرين كانت لاصحاب ابن طغج وأقبلت مراكبه الى الفسطاط سلخ شعبان واقبل فعسكر ابن كيغلغ للنصف من رمضان ولاقاه لسبع بقين منه فسلم ابن كيغلغ الى محمد بن طغج من غير قتال وولى (محمد بن طغج) الثانية من قبل الراضى على الصلات والخراج فدخل لست بقين من رمضان وقدم ابو الفتح الفضل بن جعفر بن محمد بن فرات بالخلع لمحمد بن طغج وكانت حروب مع اصحاب ابن كيغلغ انهزموا منها الى برقة وساروا الى القائم بأمر الله محمد بن المهدى بالمغرب فحرضوه على أخذ مصر فجهز جيشا سار الى مصر فبعث ابن طغج عسكره الى الاسكندرية والصعيد ثم ورد الكتاب من بغداد بالزيادة فى اسم الامير محمد بن طغج فلقب الاخشيد ودعى له بذلك على المنبر فى رمضان سنة سبع وعشرين وسار محمد بن رائق الى الشامات ثم سار فى المحرم سنة ثمان وعشرين واستخلف أخاه الحسن بن طغج فنزل الفرما وابن رائق بالرملة فسفر بينهما الحسن بن طاهر بن يحيى العلوى فى الصلح حتى تم وعاد الى الفسطاط مستهل جمادى الاولى ثم أقبل ابن رائق من دمشق فى شعبان فسير اليه الاخشيد الجيوش ثم خرج لست عشرة خلت من شعبان والتقيا للنصف من رمضان بالعريش فكانت بينهما وقعة عظيمة انكسرت فيها ميسرة الاخشيد ثم حمل بنفسه فهزم أصحاب ابن رائق وأسر كثيرا منهم وأثخنهم قتلا وأسرا ومضى ابن رائق فقتل الحسين بن طغج باللجون ودخل الاخشيد الرملة بخمسمائة اسير فتداعى ابن طغج وابن رائق الى الصلح فمضى ابن رائق الى دمشق على صلح وقدم الاخشيد محمد بن طغج الى مصر لثلاث خلون من المحرم سنة تسع وعشرين ومات الراضى بالله وبويع المتقى لله ابراهيم فى شعبان فأقر الاخشيد وقتل محمد بن رائق بالموصل قتله بنو حمدان فى شعبان سنة ثلاثين وثلثمائة فبعث الاخشيد بجيوشه الى الشام ثم سار لست خلون من شوال واستخلف أخاه أبا المظفر الحسن بن طغج ودخل دمشق ثم عاد لثلاث عشرة خلت من جمادى الاولى سنة احدى وثلاثين فنزل البستان الذى يعرف اليوم بالكافورى من القاهرة ثم دخل داره وأخذ البيعة لابنه ابى القاسم انوجور على جميع القواد آخر ذى القعدة وسار المتقى لله الى بلاد الشام ومعه بنو حمدان فسار الاخشيد لثمان خلون من رجب سنة اثنتين وثلاثين واستخلف أخاه الحسن فلقى المتقى ثم رجع فنزل البستان لاربع خلون من جمادى الاولى سنة ثلاث وثلاثين وخلع المتقى وبويع عبد الله المستكفى لسبع خلون من جمادى الآخرة فأقر الاخشيد وبعث الاخشيد بجانك وكافور فى الجيوش الى الشام ثم خرج لخمس خلون من شعبان سنة ست وثلاثين واستخلف اخاه الحسن فلقى على بن عبد الله بن حمدان بأرض قنسرين وحاربه ومضى فأخذ منه حلب وخلع المستكفى ودعى للمطيع لله الفضل بن جعفر فى شوال سنة اربع وثلاثين فاقر الاخشيد الى أن مات بدمشق يوم الجمعة لثمان بقين من ذى الحجة فولى بعده ابنه (انوجور) ابو القاسم باستخلافه اياه وقبض على ابى بكر محمد بن على بن مقاتل فى ثالث المحرم سنة خمس وثلاثين وجعل مكانه على الخراج محمد بن على المادرانى وقدم العسكر من الشام اول صفر فلم يزل انوجور واليا الى أن مات لسبع خلون من ذى القعدة سنة سبع واربعين وثلثمائة وحمل الى القدس فدفن عند أبيه وكان كافور متحكما فى أيامه ويطلق له فى السنة اربعمائة الف دينار فلما مات قوى كافور وكانت ولايته أربع عشرة سنة وعشرة اشهر فأقام كافور أخاه (على بن الاخشيد) أبا الحسن لثلاث عشرة خلت من ذى القعدة فاقره المطيع لله على الحرب والخراج بمصر والشام والحرمين وصار خليفته على ذلك كافور غلام أبيه وأطلق له ما كان يطلق لاخيه فى كل سنة وفى سنة احدى وخمسين ترفع السعر واضطربت الاسكندرية والبحيرة بسبب المغاربة الواردين اليها وتزايد الغلاء وعز وجود القمح وقدم القرمطى الى الشام فى سنة ثلاث وخمسين وقل ماء النيل ونهبت ضياع مصر وتزايد الغلاء وسار

ملك النوبة الى اسوان ووصل الى اخميم فقتل ونهب وأحرق واشتد اضطراب الاعمال وفسد ما بين كافور وبين علي بن الاخشيد فمنع كافور من الاجتماع به واعتل علي بعد ذلك علة أخيه ومات لاحدى عشرة خلت من المحرم سنة خمس وخمسين وثلثمائة فحمل الى القدس وبقيت مصر بغير أمير أياما ولم يدع بها الا للمطيع لله وحده وكافور يدبر أمورها ومعه ابو الفضل جعفر بن الفرات ثم ولي (كافور) الخصي الاسود مولى الاخشيد من قبل المطيع على الحرب والخراج وجميع امور مصر والشام والحرمين فلم يغير لقبه وانما كان يدعى ويخاطب بالاستاذ وأخرج كتاب المطيع بولايته لاربع بقين من المحرم سنة خمس وخمسين فلم يزل الى أن توفي لعشر بقين من جمادى الاولى سنة سبع وخمسين وثلثمائة فولي (احمد بن علي الاخشيد ابو الفوارس) وسنه احدى عشرة سنة في يوم وفاة كافور وجعل الحسين بن عبيد الله بن طغج يخلفه وأبو الفضل جعفر بن الفرات يدبر الامور وسمول الاخشيدي العساكر الى أن قدم جوهر القائد من المغرب بجيوش المعز لدين الله في سابع عشر شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ففر الحسين بن عبيد الله وتسلم جوهر البلاد كما سيأتي ان شاء الله تعالى فكانت مدة الدعاء لبني العباس بمصر منذ ابتدئت دولتهم الى أن قدم القائد جوهر الى مصر مائتي سنة وخمسا وعشرين سنة ومدة الدولة الاخشيدية بها اربعا وثلاثين سنة وعشرة اشهر وأربعة وعشرين يوما ومنذ افتتحت مصر الى أن انتقل كرسي الامارة منها الى القاهرة ثلثمائة سنة وسبع وثلاثون سنة وأشهر والله تعالى أعلم

(ذكر ما كانت عليه مدينة الفسطاط من كثرة العمارة)

قال ابن يونس عن الليث بن سعد ان حكيم بن ابي راشد حدثه عن ابي سلمة بن عبد الرحمن أنه وقف على جزار فسأله عن السعر فقال بأربعة أفلس الرطل فقال له ابو سلمة هل لك أن تعطينا بهذا السعر ما بدا لك قال نعم فأخذ منه ابو سلمة ومر في القصبة حتى اذا أراد أن يوفيه قال بعني بدينار ثم قال اصرفه فلوسا ثم وفه وقال الشريف ابو عبد الله محمد بن أسعد الجواني النسابة في كتاب النقط على الخطط سمعت الامير تأييد الدولة تميم بن محمد المعروف بالضمضام يقول في سنة تسع وثلاثين وخمسمائة وحدثني القاضي ابو الحسين علي بن الحسين الخلعي عن القاضي أبي عبد الله القضاعي قال كان في مصر الفسطاط من المساجد ستة وثلاثون ألف مسجد وثمانية آلاف شارع مسلوك وألف ومائة وسبعون حماما وان حمام جنادة في القرافة ما كان يتوصل اليها الا بعد عناء من الزحام وان قبالتها في كل يوم جمعة خمسمائة درهم * وقال القاضي ابو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي في كتاب الخطط انه طلب لقطر الندى ابنة خمارويه بن احمد بن طولون الف تكة بعشرة آلاف دينار من أثمان كل تكة بعشرة دنانير فوجدت في السوق في ايسر وقت وبأهون سعي وذكر عن القاضي ابي عبيد أنه لما صرف عن قضاء مصر كان في المودع مائة ألف دينار وان فائقا مولى احمد بن طولون اشترى دارا بعشرين ألف دينار وسلم الثمن الى البائعين وأجلهم شهرين فلما انقضى الاجل سمع فائق صياحا عظيما وبكاء فسأل عن ذلك فقيل هم الذين باعوا الدار فدعاهم وسالهم عن ذلك فقالوا انما نبكي على جوارك فأطرق وأمر بالكتب فردت عليهم ووهب لهم الثمن وركب الى احمد بن طولون فأخبره فاستصوب رأيه واستحسن فعله ويقال انه كان لفائق ثلثمائة فرشة كل فرشة لحظية مثمنة وان دار الحرم بناها خمارويه لحرمه وكان ابوه اشتراها له فقام عليه الثمن وأجرة الصناع والبناء بسبعمائة الف دينار وان عبد الله بن احمد بن طباطبا الحسيني دخل الجامع فلم يجد مكانا في الصف الاول فوقف في الصف الثاني فالتفت ابو حفص بن الجلاب فلما رآه تأخر وتقدم الشريف مكانه فكافأه على ذلك بنعمة حملها اليه ودار ابتاعها له ونقل اهله اليها بعد أن كساهم وحلاهم وذكر غير القضاعي أنه دفع اليه خمسمائة دينار قال ويقال انه اهدى الى ابي جعفر الطحاوي كتبا قيمتها ألف دينار وان رشيقا الاخشيدي استحجبه ابو بكر محمد بن علي المادرائي فلما مضت عليه سنة رفع فيه أنه كسب عشرة آلاف دينار فخاطبه في ذلك فحلف بالايمان الغلاظ على بطلان ذلك فأقسم ابو بكر المادرائي بمثل ما أقسم به لئن خرجت سنتنا هذه ولم تكسب هذه الجملة لاحجبتني ولم يزل في صحبته الى أن صودر ابو بكر فأخذ منه ومن رشيق مال جزيل وذكر أن الحسن بن ابي المهاجر موسى بن اسمعيل بن عبد الحميد بن بحر بن سعد كان

على البريد فى زمن احمد بن طولون وقتله خمارويه وسبب ذلك ما كان فى نفس على بن احمد المادرانى منه فأغرى خمارويه به وقال قد بقى لابيك مال غير الذى ذكره فى وصيته ولم يقف عليه غير ابن مهاجر فطالبه فلم يزل خمارويه بابن مهاجر الى أن وصف له موضع المال من دار خمارويه فأخرج فكان مبلغه ألف ألف دينار فسلمه الى احمد المادرانى فحمله الى داره وأقبلت توقيعات خمارويه ترد اليه بالصلات والنفقات فيخرجها من فضول اموال الضياع والمرافق وحصلت له تلك الاموال ولم يضع يده عليها الى أن قتل وصودر أبو بكر محمد بن على فى ايام الاخشيد وقبضت ضياعه فعاد الى تلك الالف الف دينار مع ما سواها من ذخائره وأعراضه وعقده فما ظنك برجل ذخيرته ألف ألف دينار سوى ما ذكر عن ابى بكر محمد بن على المادرانى أنه قال بعث الى ابو الجيش خمارويه أن اشترى له اردية وأقنعة للجوارى وعمل دعوة خلا فيها بنفسه وبهم وغدوت متعرفا لخبره فقيل لى انه طرب لما هو فيه فنثر دنانير على الجوارى والغلمان وتقدم اليهم أن ما سقط من ذلك فى البركة فهو لمحمد بن على كاتبى فلما حضرت وبلغنى ذلك أمرت الغلمان فنزلوا فى البركة فأصعدوا الى منها سبعين الف دينار فما ظنك بمال نثر على الناس فتطاير منه الى بركة ماء هذا المبلغ وقال ابن سعيد فى كتاب المغرب فى حلى المغرب وفى الفسطاط دار تعرف بعبد العزيز يصب فيها لمن بها فى كل يوم اربعمائة راوية ماء وحسبك من دار واحدة يحتاج اهلها فى كل يوم الى هذا القدر من الماء * وقال ابن المتوج فى كتاب ايقاظ المتغفل واتعاظ المتأمل عن ساحل مصر ورأيت من نقل عمن نقل عمن رأى الاسطال التى كانت بالطاقات المطلة على النيل وكان عددها ستة عشر ألف سطل مؤبدة ببكر وأطناب بها ترخى وتملأ اخبرنى بذلك من أثق بنقله قال وكان بالفسطاط فى جهته الشرقية حمام من بناء الروم عامرة زمن احمد بن طولون قال الراوى دخلتها فى زمن خمارويه بن احمد بن طولون وطلبت بها صانعا يخدمنى فلم اجد فيها صانعا متفرغا لخدمتى وقيل لى ان كل صانع معه اثنان يخدمهم وثلاثة فسألت كم فيها من صانع فأخبرت أن بها سبعين صانعا قل من معه دون ثلاثة سوى من قضى حاجته وخرج قال فخرجت ولم ادخلها لعدم من يخدمنى بها ثم طفت غيرها فلم اقدر على من اجده فارغا الا بعد أربع حمامات وكان الذى خدمنى فيها نائبا فانظر رحمك الله ما اشتمل عليه هذا الخبر مع ما ذكره القضاعى من عدد الحمامات وانها ألف ومائة وسبعون حماما تعرف من ذلك كثرة ما كان بمصر من الناس هذا والسعر راخ والقمح كل خمسة ارادب بدينار وبيعت عشرة ارادب بدينار فى زمن احمد بن طولون قال ابن المتوج خطة مسجد عبد الله ادركت بها آثار دار عظيمة قيل انها كانت دار كافور الاخشيدى ويقال ان هذه الخطة تعرف بسوق العسكر وكان به مسجد الزكاة وقيل انه كان منه قصبة سوق متصلة الى جامع احمد بن طولون وأخبرنى بعض المشايخ العدول عن والده وكان من اكابر الصلحاء انه قال عددت من مسجد عبد الله الى جامع ابن طولون ثلثمائة وتسعين قدر حمص مصلوق بقصبة هذا السوق بالارض سوى المقاعد والحوانيت التى بها الحمص فتأمل اعزك الله ما فى هذا الخبر مما يدل على عظمة مصر فان هذا السوق كان خارج مدينة الفسطاط وموضعه اليوم الفضاء الذى بين كوم الجارح وبين جامع ابن طولون ومن المعروف أن الاسواق التى تكون بداخل المدينة اعظم من الاسواق التى هى خارجها ومع ذلك ففى هذا السوق من صنف واحد من المآكل هذا القدر فكم ترى تكون جملة ما فيه من سائر اصناف المآكل وقد كان اذ ذاك بمصر عشرة اسواق كلها او اكثرها اجل من هذا السوق قال ودرب السفافير بنى فيه زقاق بنى الرصاص كان به جماعة اذا عقد عندهم عقد لا يحتاجون الى غريب وكانوا هم وأولادهم نحوا من أربعين نفسا * وقال ابن زولاق فى كتاب سيرة المادرانيين ولما قدم الاستاذ مونس الخادم من بغداد الى مصر استدعى ابو على الحسين بن احمد المادرانى المعروف بابى زنبور الدقاق وهو الذى نسميه اليوم الطحان وقال ان الاستاذ مونسا قد وافى ولى بمشتول قدر ستين الف اردب قمحا فاذا وافى فقم له بالوظيفة فكان يقوم له بما يحتاج اليه من دقيق حوارى مدة شهر فلما كمل الشهر قال كاتب مونس للدقاق كم لك حتى ندفعه اليك فأعلمه الخبر فقال ما احسب الاستاذ يرضى أن يكون فى ضيافة ابى على وأعلم مونسا بذلك فقال انا آكل خبز حسين لا يبرح الرجل حتى يقبض ماله فمضى الدقاق [illegible] ابا زنبور فقام من فوره الى مونس فأكب على رجليه فاحتشم منه وقال والله لا اجيبك الا هذا الشهر الذى مضى ولا تعاود ثم رجع فقال للدقاق قم له بالوظيفة فى المستقبل واعمل ما يريده قال فجئته وقد فرغ القمح ومعى الحساب وأربعمائة دينار قال ايش هذا فقلت بقية ذلك القمح

فقال اعفنى منه وتركه فتأمّل ما اشتمل عليه هذا الخبر من سعة حال كاتب من كتّاب مصر كيف كان له فى قرية واحدة هذا القدر من صنف القمح وكيف صار مما يفضل عنه حتى يجعله ضيافة وكيف لم يعبأ باربعمائة دينار حتى وهبها الدقاق قمح وما ذاك الا من كثرة المعاش وقس عليه باقى الاحوال وقال عن ابى بكر محمد بن على المادرانى انه حج اثنتين وعشرين حجة متوالية انفق فى كل حجة مائة الف دينار وخمسين الف دينار وانه كان يخرج معه بتسعين ناقة لقبته التى يركبها وأربعمائة لجهازه ومبرته ومعه المحامل فيها احواض البقل واحواض الرياحين وكلاب الصيد وينفق على الاشراف وأولاد الصحابة ولهم عنده ديوان بأسمائهم وانه أنفق فى خمس حجات أخر ألفى ألف دينار ومائتى الف دينار وكانت جاريته تواصل معه الحج ومعها لنفسها ثلاثون ناقة لقبتها ومائة وخمسون عربيا لجهازها وأحصى ما يعطيه كل شهر لحاشيته وأهل الستر وذوى الاقدار جراية من الدقيق الحوارى فكان بضعا وثمانين ألف رطل وكان سنة القرمطى بمكة فمن جملة ما ذهب له به مائتا قميص ديبقى ثمن كل ثوب منها خمسون دينارا وقال مرة وهو فى عطلته أخذ منى محمد بن طغج الاخشيد عينا وعرضا يبلغ نيفا وثمانين ويبة دنانير فاستعظم من حضر ذلك فقال ابنه الذى أخذ اكثر وانا اوقفه عليه ثم قال لابيه يا مولاى اليس نكبت ثلاث مرات قال بلى قال اليس أخذت ضياعك بالشام قال نعم قال فكم ثمنها قال ألف ألف دينار قال وضياعك بمصر قال قريب منها قال وعرض وعين قال كذلك فأمر بعض الحساب بضبط ذلك فجاء ما ينيف عن ثلاثين اردبا من ذهب فانظر ما تضمنته أخبار المادرانى وقس عليها بقية احوال مصر فما كان سوى كاتب الخراج وهذه امواله كما قد رأيت وقال الشريف الجوانى ان أبا عبد الله محمد بن مفسر قاضى مصر سمع بأن المادرانى عمل فى ايامه الكعك المحشو بالسكر والقرص الصغار المسمى افطن له فأمرهم بعمل الفستق الملبس بالسكر الابيض الفانيد المطيب بالمسك وعمل منه فى اول الحال اشياء عوض لبه لب ذهب فى صحن واحد فمضى عليه جملة وخطف قدامه فخاطفه الحاضرون ولم يعد لعمله بل الفستق الملبس وكان قد سمع فى سيرة المادرانيين انه عمل له هذا الافطن له وفى كل واحدة خمسة دنانير ووقف استاذ على السماط فقال لاحد الجلساء افطن له وكان عمل على السماط عدة صحون من ذلك الجنس لكن ما فيه الدنانير صحن واحد فلما رمز الاستاذ لذلك الرجل بقوله افطن له واشار الى الصحن تناول ذلك الرجل منه فأصاب الذهب واعتمد عليه فحصل له جملة وراءه الناس وهو اذا اكل يخرج من فمه ويجمع بيده ويحط فى حجره فتنبهوا له وتزاحموا عليه فقيل لذلك من يومئذ افطن له * وقال ابو سعيد عبد الرحمن بن احمد بن يونس فى تاريخ مصر حدثنى بعض اصحابنا بتفسير رؤيا رآها غلام ابن عقيل الخشاب عجيبة فكانت حقا كما فسرت فسألت غلام ابن عقيل عنها فقال لى انا اخبرك كان ابى فى سوق الخشابين فأنفق بضاعته وورث حاله ومات فأسلمتنى امى الى ابن عقيل وكان صديقا لابى فكنت اخدمه وأفتح حانوته واكنسها ثم افرش له ما يجلس عليه فكان يجرى على رزقا اتقوت به فأتى يوما فى الحانوت وقد جلس استاذى ابن عقيل فجاء ابن العسال مع رجل من أهل الريف يطلب عود خشب لطاحونة فاشترى من ابن عقيل عود طاحونة بخمسة دنانير فسمعت قوما من اهل السوق يقولون هذا ابن العسال المفسر للرؤيا عند ابن عقيل فجاء منهم قوم وقصوا عليه منامات رأوها ففسرها لهم فذكرت رؤيا رأيتها فى ليلتى فقلت له انى رأيت البارحة فى نومى كذا وكذا فقصصت عليه الرؤيا فقال لى اى وقت رأيتها من الليل فقلت انتبهت بعد رؤياى فى وقت كذا فقال لى هذه رؤيا لست افسرها الا بدنانير كثيرة فألححت عليه فقال استاذى ابن عقيل فرج عنه هذا غلام صغير فقير لا يملك شيأ فقال لست آخذ الا عشرين دينارا فقال له ابن عقيل ان قربت علينا وزنت انا لك ذلك من عندى فلم يزل به ينزله حتى قال والله لا آخذ أقل من ثمن العود الخشب خمسة دنانير فقال له ابن عقيل ان صحت الرؤيا دفعت اليك العود بلا ثمن فقال له يأخذ مثل هذا اليوم الف دينار قال استاذى فاذا لم يصح هذا فقال يكون العود عندك الى مثل هذا اليوم فان كان لم يصح أخذ ما قلت له فى ذلك اليوم فليس لى عندك شئ ولا افسر رؤيا ابدا فقال له استاذى قد أنصفت ومضت الجمعة فلما كان مثل ذلك اليوم غدوت مثل ما كنت اغدو الى دكان استاذى ففتحتها ورششتها واستلقيت على ظهرى افكر فيما قال لى ومن اين يمكن أن يصير الى ألف دينار فقلت لعل سقف المكان ينفرج فيسقط منه هذا المال وجعلت اجيل فكرى وانى كذلك الى ضحى اذ وقف على جماعة من اعوان الخراج معهم ناس فقالوا اهذه دكان ابن عقيل ثم قالوا الى قم فقلت لهم لست

ابن عقيل انا غلامه فقالوا بل انت ابنه وجبذونى فأخرجونى من الدكان فقلت الى اين فقالوا الى ديوان الاستاذ أبى على الحسين بن احمد يعنون ابازنبور فقلت وما يصنع بى فقالوا اذا جئت سمعت كلامه وما يريده منك وكنت بعقب علة ضعيف البدن فقلت ما اقدر أمشى فقالوا اكتر حمارا تركبه ولم يكن معى ما اكترى به حمارا فنزعت تكة سراويلى من وسطى ودفعتها على درهمين لمن اكرانى الحمار ومضيت معهم فجاؤا بى الى دار أبى زنبور فلما دخلت قال لى انت ابن عقيل فقلت لا يا سيدى أنا غلام فى حانوته قال أفليس تبصر قيمة الخشب قلت بلى قال فاذهب مع هؤلاء فقوم لنا هذا الخشب فانظر بحيث لا يزيد ولا ينقص فمضيت معهم فجاؤا بى الى شط البحر الى خشب كثير من اثل وسنط جاف وغير ذلك مما يصلح لبناء المراكب فقومته تقويم جزع حتى بلغت قيمته ألفى دينار فقالوا لى انظر هذا الموضع الآخر فيه من الخشب ايضا فنظرت فاذا هو اكثر مما قومت بنحو مرتين فأعجلونى ولم اضبط قيمة الخشب فردونى الى ابى زنبور فقال لى قومت الخشب كما أمرتك ففزعت فقلت نعم فقال هات كم قومته فقلت ألفا دينار فقال انظر لا تغلط فقلت هو قيمته عندى فقال لى فخذه انت بألفى دينار فقلت انا فقير لا املك دينارا واحدا فكيف لى بقيمته قال ألست تحسن تدبيره وتبيعه فقلت بلى قال فدبره وبعه ونحن نصبر عليك بالثمن الى أن تبيع شيأ شيأ وتؤدى ثمنه فقلت أفعل فأمر بكتاب يكتب علىّ فى الديوان بالمال فكتب علىّ ورجعت الى الشط اعرف عدد الخشب وأوصى به الحراس فوافيت جماعة اهل سوقنا وشيوخهم قد أتوا الى موضع الخشب فقالوا لى ايش صنعت قومت الخشب قلت نعم قالوا بكم قومته فقلت بألفى دينار فقالوا لى وأنت تحسن تقوم لا يساوى هذا هذه القيمة فقلت لهم قد كتب علىّ كتاب فى الديوان وهو عندى يساوى أضعاف هذا فقالوا لى اسكت لا يسمعك احد وكانوا قد قوموه قبلى لابى زنبور بألف دينار فقال بعضهم لبعض أعطوا هذا ربحه وتسلموه أنتم فقال قائل أعطوه ربحه خمسمائة دينار فقلت لا والله لا آخذ فقالوا قد رأى رؤيا فزيدوه فقلت لا والله لا آخذ أقل من ألف دينار قالوا فلك ألف دينار فحول اسمك من الديوان نعطك اذا بعنا ألف دينار فقلت لا والله لا افعل حتى آخذ الالف دينار فى وقتى هذا فمضوا الى حوانيتهم والى منازلهم حتى جاؤنى بألف دينار فقلت لا آخذها الا بنقد الصيرفى وميزانه فمضيت معهم الى صيرفى الناحية حتى وزنوا عنده الالف دينار ونقدتها وأخذتها فشددتها فى طرف ردائى ومضيت معهم الى الديوان وحولت اسماءهم مكان اسمى ووفوا حق الديوان من عندهم ورجعت وقت الظهر الى استاذى فقال لى قبضت ألف دينار منهم فقلت نعم ببركتك وتركت الدنانير بين يديه وقلت له يا استاذ خذ ثمن العود الخشب فقال لا والله لا آخذ منك شيأ أنت عندى مقام ابنى وجاء فى الوقت ابن العسال فدفع اليه استاذى العود الخشب فمضى فهذا خبر رؤياى وتفسيرها فتأمل اعزك الله ما يشتمل عليه من عظم ما كانت عليه مصر وسعة حال الديوان وكيف فضل فيه خشب يساوى الأفا من الذهب ونحن اليوم فى زمن اذا احتيج فيه الى عمارة شئ من الاماكن السلطانية بخشب او غيره أخذ من الناس اما بغير ثمن او بأخس القيم مع ما يصيب مالكه من الخوف والخسارة للاعوان وكيف لما قوم هذا الخشب لم يكلف المشترى دفع المال فى الحال وفى زمننا اذا طرحت البضاعة السلطانية على الباعة يكلفون حمل ثمنها بالسرعة حتى انّ فيهم من يبيعها بأقلّ من نصف ما اشتراها به ويكمل الثمن اما من ماله أو يقترضه بربح وكيف لما علم اهل السوق أن الخشب بيع بدون القيمة لم يمضوا الى الديوان ويدفعون فيه زيادة اما لقلة شره الناس اذ ذاك وتركهم الاخلاق الرذيلة من الحسد ونحوه او لعلمهم بعدل السلطان وانه لا ينكث ما عقده وفى زمننا لو ادّعى عدوّ على عدوّه أنّ البضاعة التى كان اشتراها من الديوان قيمتها اكثر مما اخذها به لقبل قوله وغرم زيادة على ما ادّعاه عدوّه من قلة القيمة جملة اخرى لا جرم أنه تظاهر سفهاء الناس بكل رذيلة وذميمة من الاخلاق فانّ الملك سوق يجبى اليه ما نفق به وكيف لما علم ابن عقيل أنّ غلامه استفاد على اسمه ألف دينار لم يشره الى أخذها بل دفع عنه خمسة الدنانير وما ذاك الا من انتشار الخير فى الناس وكثرة اموالهم وسعة حال كل أحد بحسبه وطيب نفوس الكافة ولعمرى لو سمع فى زمننا أحد من الامراء والوزراء فضلا عن الباعة أنّ غلاما من غلمانه أخذ على اسمه عشر هذا المبلغ لقامت قيامته وكيف اتسعت احوال الخشابين حتى وزنوا ألف دينار فى ساعة وانه ليعسر اليوم على الخشابين أن يزنوا فى يوم مائة دينار وهذا كله من وفور غنى الناس بمصر وعظم امرهم وكثرة سعاداتهم وكان

القسطاط نحو ثلث بغداد ومقداره فرسخ على غاية العمارة والخصب والطيبة واللذة وكانت مساكن اهلها خمس طبقات وستا وسبعا وربما سكن فى الدار الواحدة المائتان من الناس وكان فيه دار عبد العزيز بن مروان يصب فيها لمن فيها فى كل يوم أربعمائة راوية ماء وكان فيها خمسة مساجد وحمامان وعدة افران يخبز بها عجين اهلها وقد قال ابو داود فى كتاب السنن شبرت قثاءة بمصر ثلاثة عشر شبرا ورأيت اترجة على بعير قطعتين قطعت وصيرت على مثل عدلين ذكره فى باب صدقة الزرع من كتاب الزكاة قلت وقد ذكر أن هذا كان فى جنان بنى سنان البصرى خارج مدينة الفسطاط وكانت بحيث لم ير أبدع منها فلما قدم امير المؤمنين عبد الله المأمون بن هارون الرشيد مصر سنة سبع عشرة ومائتين رأى جنان بنى سنان هذه فاعجب بها وسأل ابراهيم بن سنان كم عليه من الخراج لجنانه فذكر أنه يحمل الى الديوان فى كل سنة عشرين ألف دينار فقال المأمون وكم ترد عليك هذه الجنان قال لا استطيع حصره الآن ما زاد على مائة الف دينار أتصدق به ولو درهما هذا وله ولد اسمه احمد بن ابراهيم بن سنان يوصف بعلم وزهد والله تعالى اعلم

(ذكر الآثار الواردة فى خراب مصر)

روى قاسم بن اصبغ عن كعب الاحبار قال الجزيرة آمنة من الخراب حتى تخرب ارمينية ومصر آمنة من الخراب حتى تخرب الجزيرة والكوفة آمنة من الخراب حتى تكون الملحمة ولا يخرج الدجال حتى تفتح القسطنطينية * وعن وهب بن منبه انه قال الجزيرة آمنة من الخراب حتى تخرب ارمينية وأرمينية آمنة من الخراب حتى تخرب مصر ومصر آمنة من الخراب حتى تخرب الكوفة ولا تكون الملحمة الكبرى حتى تخرب الكوفة فاذا كانت الملحمة الكبرى فتحت القسطنطينية على يدى رجل من بنى هاشم وخراب الاندلس من قبل الزنج وخراب افريقية من قبل الاندلس وخراب مصر من انقطاع النيل واختلاف الجيوش فيها وخراب العراق من قبل الجوع والسيف وخراب الكوفة من قبل عدو من ورائهم يحفرهم حتى لا يستطيعوا أن يشربوا من الفرات قطرة وخراب البصرة من قبل العراق وخراب الابلة من قبل عدو يحفرهم مرة برا ومرة بحرا وخراب الرى من قبل الديلم وخراب خراسان من قبل التبت وخراب التبت من قبل الصين وخراب الصين من قبل الهند وخراب اليمن من قبل الجراد والسلطان وخراب مكة من قبل الحبشة وخراب المدينة من قبل الجوع وفى رواية وخراب ارمينية من قبل الرجف والصواعق وخراب الاندلس وخراب الجزيرة من سنابك الخيل واختلاف الجيوش * وعن عبد الله بن الصامت قال ان اسرع الارضين خرابا البصرة ومصر فقيل له وما يخربهما وفيهما عيون الرجال والاموال فقال يخربهما القتل الاحمر والجوع الاغبر كأنى بالبصرة كأنها نعامة جاثمة وأما مصر فان نيلها ينضب او قال ييبس فيكون ذلك خرابها وعن الاوزاعى اذا دخل اصحاب الرايات الصفر مصر فليحفر أهل الشام أسرابا تحت الارض * وعن كعب علامة خروج المهدى الوية تقبل من قبل المغرب عليها رجل من كندة اعرج فاذا ظهر أهل المغرب على مصر فبطن الارض يومئذ خير لاهل الشام * وعن سفيان الثورى قال يخرج عنق من البربر فويل لاهل مصر وقال ابن لهيعة عن ابى الاسود عن مولى لشرحبيل بن حسنة او لعمرو بن العاص قال سمعته يوما واستقبلنا فقال ايها لك مصر اذا رميت بالقسى الاربع قوس الاندلس وقوس الحبشة وقوس الترك وقوس الروم * وعن قاسم بن اصبغ حدثنا احمد بن زهير ثنا هرون بن معروف ثنا ضمرة عن الشيبانى قال تهلك مصر غرقا او حرقا * وعن عبد الله بن مغفل أنه قال لابنته اذا بلغك أن الاسكندرية قد فتحت فان كان خمارك بالمغرب فلا تأخذيه حتى تلحقى بالمشرق * وذكر مقاتل بن حيان عن عكرمة عن ابن عباس يرفعه قال أنزل الله تعالى من الجنة الى الارض خمسة أنهار سيحون وهو نهر الهند وجيحون وهو نهر بلخ ودجلة والفرات وهما نهرا العراق والنيل وهو نهر مصر أنزلها الله تعالى من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحى جبريل عليه السلام واستودعها الجبال وأجراها فى الارض وجعل فيها منافع للناس فى أصناف معايشهم وذلك قوله عز وجل وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه فى الارض فاذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله تعالى جبريل عليه السلام فرفع من الارض القرآن كله والعلم كله والحجر من ركن البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الانهار الخمسة فيرفع كل ذلك الى السماء فذلك قوله تعالى وانا على ذهاب به

لقادرون فاذا رفعت هذه الاشياء من الارض فقدت اهلها خير الدنيا والدين وقال ابن لهيعة عن عقبة بن عامر الحضرمي عن حيان بن الاعين عن عبد الله بن عمرو قال ان اول مصر خرابا انطابلس وقال الليث بن سعد عن يزيد بن ابي حبيب عن سالم بن أبي سالم عن عبد الله بن عمرو قال انى لاعلم السنة التى تخرجون فيها من مصر قال فقلت له ما يخرجنا منها يا أبا محمد أعدو قال لا ولكن يخرجكم منها نيلكم هذا يغور فلا تبقى منه قطرة حتى تكون فيه الكثبان من الرمل وتأكل سباع الارض حيتانه

(ذكر خراب الفسطاط)

وكان لخراب مدينة فسطاط مصر سببان أحدهما الشدة العظمى التى كانت فى خلافة المستنصر بالله الفاطمى والثانى حريق مصر فى وزارة شاور بن مجير السعدى *(فاما الشدة العظمى)* فان سببها أن السعر ارتفع بمصر فى سنة ست وأربعين واربعمائة وتبع الغلاء وباء فبعث الخليفة المستنصر بالله ابو تميم معد بن الظاهر لاعزاز دين الله أبى الحسن على الى متملك الروم بقسطنطينية أن يحمل الغلال الى مصر فأطلق اربعمائة الف اردب وعزم على حملها الى مصر فأدركه أجله ومات قبل ذلك فقام فى الملك بعده امرأة وكتبت الى المستنصر تسأله أن يكون عونا لها ويمدها بعساكر مصر اذا ثار عليها أحد فأبى أن يسعفها فى طلبتها فحردت لذلك وعاقت الغلال عن المسير الى مصر فحنق المستنصر وجهز العساكر وعليها مكين الدولة الحسن بن ملهم وسارت الى اللاذقية فحاربتها بسبب نقض الهدنة وامساك الغلال عن الوصول الى مصر وامدها بالعساكر الكثيرة ونودى فى بلاد الشام بالغزو فنزل ابن ملهم قريبا من فامية وضايق اهلها وجال فى أعمال انطاكية فسبى ونهب فأخرج صاحب قسطنطينية ثمانين قطعة فى البحر فحاربها ابن ملهم عدة مرار وكانت عليه واسر هو وجماعة كثيرة فى شهر ربيع الاول منها فبعث المستنصر فى سنة سبع وأربعين اباعبد الله القضاعى برسالة الى القسطنطينية فوافى اليها رسول طغريل السلجوقى من العراق بكتابة يامر متملك الروم بأن يمكن الرسول من الصلاة فى جامع القسطنطينية فأذن له فى ذلك فدخل اليه وصلى فيه صلاة الجمعة وخطب للخليفة القائم بأمر الله العباسى فبعث القاضى القضاعى الى المستنصر يخبره بذلك فأرسل الى كنيسة قمامة بيت المقدس وقبض على جميع مافيها وكان شيأ كثيرا من اموال النصارى ففسد من حينئذ مابين الروم والمصريين حتى استولوا على بلاد الساحل كلها وحاصروا القاهرة كما يرد فى موضعه ان شاء الله تعالى واشتد فى هذه السنة الغلاء وكثر الوباء بمصر والقاهرة وأعمالها الى سنة اربع وخمسين وأربعمائة فحدث مع ذلك الفتنة العظيمة التى خرب بسببها اقليم مصر كله وذلك أن المستنصر لما خرج على عادته فى كل سنة على النجب مع النساء والحشم الى ارض الجب خارج القاهرة جرد بعض الاتراك سيفا وهو سكران على احد عبيد الشراء فاجتمع عليه كثير من العبيد وقتلوه فحنق لقتله الاتراك وساروا بجميعهم الى المستنصر وقالوا ان كان هذا عن رضاك فالسمع والطاعة وان كان من غير رضى أمير المؤمنين فلا نرضى بذلك فتبرأ المستنصر مما جرى وأنكره فتجمع الاتراك لمحاربة العبيد وكانت بينهما حروب شديدة بناحية كوم شريك قتل فيها عدة من العبيد وانهزم من بقى منهم فشق ذلك على ام المستنصر فانها كانت السبب فى كثرة العبيد السود بمصر وذلك انها كانت جارية سوداء فأحبت الاستكثار من جنسها واشترتهم من كل مكان وعرفت رغبتها فى هذا الجنس فجلبت الناس الى مصر منهم حتى يقال انه صار فى مصر اذ ذاك زيادة على خمسين الف عبد أسود فلما كانت وقعة كوم شريك امدت العبيد بالاموال والسلاح سرا وكانت ام المستنصر قد تحكمت فى الدولة وحقدت على الاتراك وحثت على قتلهم مولاها اباسعد التسترى فقويت العبيد لذلك حتى صار الواحد منهم يحكم بما يختار فكرهت الاتراك ذلك وكان ما ذكر فظفر بعض الاتراك يوما بشئ من المال والسلاح قد بعثت به ام المستنصر الى العبيد تمدهم به بعد انهزامهم من كوم شريك فاجتمعوا بأسرهم ودخلوا على المستنصر واغلظوا فى القول فحلف انه لم يكن عنده علم بما ذكر وصار الى امه فانكرت مافعلت وخرج الاتراك فصار السيف قائما ووقعت الفتنة ثانيا فانتدب المستنصر أبا الفرج ابن المغربى ليصلح بين الطائفتين فاصطلحا على غل وخرج العبيد الى شبرا دمنهور فكان هذا اول اختلال احوال اهل مصر ودبت عقارب العداوة بين الفئتين الى سنة تسع وخمسين فقويت شوكة الاتراك وضروا على المستنصر وزاد طمعهم

فيه وطلبوا منه الزيادة فى واجباتهم وضاقت احوال العبيد واشتدت ضرورتهم وكثرت حاجتهم وقل مال السلطان واستضعف جانبه فبعثت أم المستنصر الى قواد العبيد تغريهم بالاتراك فاجتمعوا بالجيزة وخرج اليهم الاتراك ومقدمهم ناصر الدين حسين بن حمدان فاقتتلا عدة مرار ظهر فى آخرها الاتراك على العبيد وهزموهم الى بلاد الصعيد فعاد ابن حمدان الى القاهرة وقد عظم امره وقوى جاشه وكبرت نفسه واستخف بالخليفة فجاءه الخبر أنه قد تجمع من العبيد ببلاد الصعيد نحو خمسة عشر الف فارس فقلق وبعث بمقدمى الاتراك الى المستنصر فأنكروا ما كان من اجتماع العبيد وجفوا فى خطابهم وفارقوه على غير رضى منهم فبعثت أم المستنصر الى من بحضرتها من العبيد تأمرهم بالايقاع على غفلة بالاتراك فهجموا عليهم وقتلوا منهم عدة فبادر ابن حمدان الى الخروج ظاهر القاهرة وتلاحق به الاتراك وبرز اليهم العبيد المقيمون بالقاهرة ومصر وحاربوهم عدة ايام فحلف ابن حمدان أنه لا ينزل عن فرسه حتى ينفصل الامر اما له أو عليه وجد كل من الفريقين فى القتال فظهرت الاتراك على العبيد وأثخنوا فى قتلهم وأسرهم فعادوا الى القاهرة وتتبع ابن حمدان من فى البلد منهم حتى افنى معظمهم هذا والعبيد ببلاد الصعيد على حالهم وبالاسكندرية أيضا منهم جمع كثير فسار ابن حمدان الى الاسكندرية وحاصرهم فيها مدة حتى سألوه الامان فأخرجهم وأقام فيها من يثق به وانقضت هذه السنة كلها فى قتال العبيد ودخلت سنة ستين وأربعمائة وقد خرق الاتراك ناموس المستنصر واستهانوا به واستخفوا بقدره وصار مقررهم فى كل شهر اربعمائة الف دينار بعد ما كان ثمانية وعشرين ألف دينار ولم يبق فى الخزائن مال فبعثوا يطالبونه بالمال فاعتذر اليهم بعجزه عما طلبوه فلم يعذروه وقالوا بع ذخائرك فلم يجد بدا من اجابتهم واخرج ما كان فى القصر من الذخائر فصاروا يقومون ما يخرج اليهم بأخس القيم وأقل الاثمان ويأخذون ذلك فى واجباتهم وتجهز ابن حمدان وسار الى الصعيد يريد قتال العبيد وكانت شرورهم قد كثرت وضررهم وفسادهم قد تزايد فلقيهم وواقعهم غير مرة والاتراك تنكسر منهم وتعود الى محاربتهم الى أن حمل العبيد عليهم حملة انهزموا فيها الى الجيزة فأخشوا عند ذلك فى أمر المستنصر ونسبوه الى مباطنة العبيد وتقويتهم فأنكر ذلك وحلف عليه فأخذوا فى اصلاح شأنهم ولم شعثهم وساروا القتال العبيد وما زالوا يلحون فى قتالهم حتى انكسرت العبيد كسرة شنيعة وقتل منهم خلق كثير وفر من بقى فذهبت شوكتهم وزالت دولتهم ورجع ابن حمدان وقد كشف قناع الحياء وجهر بالسوء للمستنصر واستبد بسلطنة البلاد ودخلت سنة احدى وستين وابن حمدان مستبد بالامر مجاف للمستنصر فثقل مكانه على الاتراك وتفرغوا من العبيد والتفتوا اليه وقد استبد بالامور دونهم واستأثر بالاموال عليهم ففسد ما بينهم وبينه وشكوا منه الى الوزير خطير الملك فأغراهم به ولامهم على ما كان من تقويته وحسن لهم الثورة به فصاروا الى المستنصر ووافقوه على ذلك فبعث الى ابن حمدان يأمره بالخروج عن مصر ويهدده ان امتنع فلم يقدر على الامتناع منه لفساد الاتراك عليه وميلهم مع المستنصر فخرج الى الجيزة وانتهب الناس دوره ودور حواشيه فلما جن عليه الليل عاد من الجيزة سرا الى دار القائد تاج الملوك شادى وترامى عليه وقبل رجليه وسأله النصرة على الذكر والوزير الخطير فانهما قاما بهذه الفتنة فأجابه الى ذلك ووعده بقتل المذكورين وفارقه ابن حمدان فلما كان من الغد ركب شادى فى اصحابه وأخذ يسير بين القصرين بالقاهرة وأقبل الوزير الخطير فى موكبه فبادره شادى على حين غفلة وقتله ففر الذكر الى القصر والتجأ بالمستنصر فلم يكن بأسرع من قدوم ابن حمدان وقد استعد للحرب فيمن معه فركب المستنصر بلامة الحرب واجتمع اليه الاجناد والعامة وصار فى عدد لا ينحصر وبرزت الفرسان فكانت بين الخليفة وابن حمدان حروب آلت الى هزيمة ابن حمدان وقتل كثير من اصحابه فمضى فى طائفة الى البحيرة وترامى على بنى سيس وتزوج منهم فعظم الامر بالقاهرة ومصر من شدة الغلاء وقلة الاقوات لما فسد من الاعمال بكثرة النهب وقطع الطريق حتى اكل الناس الجيف والميتات ووقف ارباب الفساد فى الطريق فصاروا يقتلون من ظفروا به فى أزقة مصر فهلك من اهل مصر فى هذه الحروب والفتن ما لا يمكن حصره وامتد ذلك الى أن دخلت سنة ثلاث وستين فجهز المستنصر عساكره لقتال ابن حمدان بالبحيرة فسارت اليه ولم يوفق فى محاربته فكسرها كلها واحتوى على ما كان معها من سلاح وكراع ومال فتقوى به وقطع الميرة عن البلد ونهب اكثر الوجه البحرى وقطع منه الخطبة للمستنصر ودعا للخليفة القائم بأمر الله العباسى بالاسكندرية ودمياط وعامة الوجه البحرى فاشتد الجوع وتزايد الموتان بالقاهرة ومصر

حتى

حتى انه كان يموت الواحد من اهل البيت فلا يمضى يوم وليلة من موته حتى يموت سائر من فى ذلك البيت ولا يوجد من يستولى عليه ومدّت الاجناد أيديها الى النهب فخرج الامر عن الحدّ ونجا اهل القوّة بأنفسهم من مصر وساروا الى الشام والعراق وخرج من خزائن القصر ما يجل وصفه وقد ذكر طرف من ذلك فى أخبار القاهرة عند ذكر خزائن القصر فاضطرّ الاجناد ماهم فيه من شدّة الجوع الى مصالحة ابن حمدان بشرط أن يقيم فى مكانه ويحمل اليه مال مقرّر وينوب عنه شادى بالقاهرة فرضى بذلك وسير الغلال الى القاهرة ومصر فسكن ما بالناس من شدّة الجوع قليلا ولم يكن ذلك الا نحو شهر ووقع الاختلاف عليه فقدم من البحيرة الى مصر وحاصرها وانتهبها وأحرق دورا عديدة بالساحل ورجع الى البحيرة فدخلت سنة اربع وستين والحال على ذلك وشادى قد استبدّ بأمر الدولة وفسد ما بينه وبين ابن حمدان ومنعه من المال الذى تقرّر له وشح به عليه فلم يوصله الا القليل فخرد من ذلك ابن حمدان وجمع العربان وسار الى الجيزة وخادع شادى حتى صار اليه ليلا فى عدّة من الاكابر فقبض عليه وعليهم وبعث اصحابه فنهبوا مصر واطلقوا فيها النار فخرج اليهم عسكر المستنصر من القاهرة وهزموهم فعاد الى البحيرة وبعث رسولا الى الخليفة القائم بأمر الله ببغداد باقامة الخطبة له وسأله انفاذ الخلع والتشاريف فانحل امر المستنصر وتلاشى ذكره وتفاقم الامر فى الشدّة من الغلاء حتى هلكوا فسار ابن حمدان الى البلد وليس فى أحد قوّة يمنعه بها فملك القاهرة وامتنع المستنصر بالقصر فسير اليه رسولا يطلب منه المال فوجده وقد ذهب سائر ما كان يعهده من ابهة الخلافة حتى جلس على حصير ولم يبق معه سوى ثلاثة من الخدم فبلغه رسالة ابن حمدان فقال المستنصر للرسول ما يكفى ناصر الدولة أن اجلس فى مثل هذا البيت على هذا الحال فبكى الرسول رقّة له وعاد الى ابن حمدان فأخبره بما شاهد من اتضاع امر المستنصر وسوء حاله فكف عنه وأطلق له فى كل شهر مائة دينار واستدّت يده وتحكم وبالغ فى اهانة المستنصر مبالغة عظيمة وقبض على امه وعاقبها اشدّ العقوبة واستصفى اموالها فحاز منها شيأ كثيرا فتفرّق حينئذ عن المستنصر جميع اقاربه واولاده من الجوع فمنهم من سار الى المغرب ومنهم من سار الى الشام والعراق * قال الشريف محمد بن اسعد الجوانى النسابة فى كتاب النقط حل بمصر غلاء شديد فى خلافة المستنصر بالله فى سنة سبع وخمسين واربعمائة واقام الى سنة اربع وستين وأربعمائة وعمّ مع الغلاء وباء شديد فأقام ذلك سبع سنين والنيل يمدّ وينزل فلا يجد من يزرع وشمل الخوف من العسكرية وفساد العبيد فانقطعت الطرقات برّا وبحرا الا بالخفارة الكثيرة مع ركوب الغرر ونزا المارقون بعضهم على بعض واستولى الجوع لعدم القوت وصار الحال الى أن بيع رغيف من الخبز الذى وزنه رطل بزقاق القناديل كبيع الطرف فى النداء بأربعة عشر درهما وبيع اردب من القمح بثمانين دينارا ثم عدم ذلك واكلت الكلاب والقطاط ثم تزايد الحال حتى اكل الناس بعضهم بعضا وكان بمصر طوائف من اهل الفساد قد سكنوا بيوتا قصيرة السقوف قريبة ممن يسعى فى الطرقات ويطوف وقد أعدّوا سلبا وخطاطيف فاذا مرّ بهم أحد شالوه فى أقرب وقت ثم ضربوه بالاخشاب وشرّحوا لحمه واكلوه * قال وحدّثنى بعض نسائنا الصالحات قالت كانت لنا من الجارات امرأة ترينا افخاذها وفيها كالحفر فكنا نسألها فتقول انا ممن خطفنى اكلة الناس فى الشدّة فأخذنى انسان وكنت ذات جسم وسمن فأدخلنى الى بيت فيه سكاكين وآثار الدماء وزفرة القتلى فأضجعنى على وجهى وربط فى يدىّ ورجلىّ سلبا الى اوتاد حديد عريانة ثم شرّح من افخاذى شرائح وأنا استغيث ولا أحد يجيبنى ثم اضرم الفحم وشوى من لحمى وأكل اكلا كثيرا ثم سكر حتى وقع على جنبه لا يعرف اين هو فأخذت فى الحركة الى أن انحل أحد الاوتاد وأعان الله على الخلاص وتخلصت وحللت الرباط وأخذت خرقا من داره ولففت بها افخاذى وزحفت الى باب الدار وخرجت ازحف الى أن وقعت الى المأمن وجئت الى بيتى وعرّفتهم بموضعه فمضوا الى الوالى فكبس عليه وضرب عنقه وأقام الدواء فى أفخاذى سنة الى أن ختم الجرح وبقى كذا حفرا وبسبب هذا الغلاء خرب الفسطاط وخلا موضع العسكر والقطائع وظاهر مصر مما يلى القرافة حيث الكيمان الآن الى بركة الحبش فلما قدم امير الجيوش بدر الجمالىّ الى مصر وقام بتدبير أمرها نقلت أنقاض ظاهر مصر مما يلى القاهرة حيث كان العسكر والقطائع وصار فضاء وكيمانا فيما بين مصر والقاهرة وفيما بين مصر والقرافة وتراجعت أحوال الفسطاط بعد ذلك حتى قارب ما كان عليه قبل الشدّة

* (وأما حريق مصر) *

فكان سببه أنّ الفرنج لما تغلبوا على ممالك الشام واستولوا على السواحل حتى صار بايديهم ما بين ملطية

الى بلبيس الامدينة دمشق فقط وصار أمر الوزارة بديار مصر لشاور بن مجير السعدى والخليفة يومئذ العاضد لدين الله عبد الله بن يوسف اسم لا معنى له وقام فى منصب الوزارة بالقوّة فى صفر سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وتلقب بأمير الجيوش وأخذ أموال بنى رزيك وزراء مصر وملوكها من قبله فلما استبد بالامرة حسده ضرغام صاحب الباب وجمع جموعا كثيرة وغلب شاور على الوزارة فى شهر رمضان منها فسار شاور الى الشام واستقل ضرغام بسلطنة مصر فكان بمصر فى هذه السنة ثلاثة وزراء هم العادل بن رزيك بن طلائع بن رزيك وشاور بن مجير وضرغام فأساء ضرغام السيرة فى قتل أمراء الدولة وضعفت من اجل ذلك دولة الفاطميين بذهاب رجالها الاكابر ثم ان شاور استنجد بالسلطان نور الدين محمود بن زنكى صاحب الشام فأنجده وبعث معه عسكرا كثيرا فى جمادى الاولى سنة تسع وخمسين وقدم عليه أسد الدين شيركوه على أن يكون لنور الدين اذا عاد شاور الى منصب الوزارة ثلث خراج مصر بعد اقطاعات العساكر وأن يكون شيركوه عنده بعساكره فى مصر ولا يتصرّف الا بأمر نور الدين فخرج ضرغام بالعسكر وحاربه فى بلبيس فانهزم وعاد الى مصر فنزل شاور بمن معه عند التاج خارج القاهرة وانتشر عسكره فى البلاد وبعث ضرغام الى اهل البلاد فأتوه خوفا من الترك القادمين معه وأتته الطائفة الريحانية والطائفة الجيوشية فامتنعوا بالقاهرة وتطاردوا مع طلائع شاور بأرض الطبالة فنزل شاور فى المقس وحارب اهل القاهرة فغلبوه حتى ارتفع الى بركة الحبش فنزل على الرصد استولى على مدينة مصر وأقام اياما فمال الناس اليه وانحرفوا عن ضرغام لامور فنزل شاور باللوق وكانت بينه وبين ضرغام حروب آلت الى احراق الدور من باب سعادة الى باب القنطرة خارج القاهرة وقتل كثير من الفريقين واختلّ أمر ضرغام وانهزم فملك شاور القاهرة وقتل ضرغام آخر جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين فأخلف شيركوه ماوعد به السلطان نور الدين وأمره بالخروج عن مصر فأبى عليه واقتتلا وكان شيركوه قد بعث بابن اخيه صلاح الدين يوسف بن ايوب الى بلبيس ليجمع له الغلال وغيرها من الاموال فحشد شاور وقاتل الشاميين فجرت وقائع واحترق وجه الخليج خارج القاهرة بأسره وقطعة من حارة زويلة فبعث شاور الى الفرنج واستنجد بهم فطمعوا فى البلاد وخرج ملكهم مرى من عسقلان بجموعه فبلغ ذلك شيركوه فرحل عن القاهرة بعد طول محاصرتها ونزل بلبيس فاجتمع على قتاله بها شاور وملك الفرنج وحصروه بها وكانت اذ ذاك حصينة ذات أسوار فأقام محصورا مدة ثلاثة اشهر وبلغ ذلك نور الدين فأغار على ماقرب منه من بلاد الفرنج وأخذها من ايديهم فخافوه ووقع الصلح مع شيركوه على عوده الى الشام فخرج فى ذى الحجة ولحق بنور الدين فأقام وفى نفسه من مصر أمر عظيم الى أن دخلت سنة اثنتين وستين فجهزه نور الدين الى مصر فى جيش قوى فى ربيع الاول وسيره فبلغ ذلك شاور فبعث الى مرى ملك الفرنج مستنجدا به فسار بجموع الفرنج حتى نزل بلبيس فوافاه شاور وأقام حتى قدم شيركوه الى اطراف مصر فلم يطق لقاء القوم فسار حتى خرج من اطفيح الى جهة بلاد الصعيد من ناحية بحر القلزم فبلغ شاور أن شيركوه قد ملك بلاد الصعيد فسقط فى يده ونهض للفور من بلبيس ومعه الفرنج فكان من حروبه مع شيركوه ماكان حتى انهزم بالاشمونين وسار منها بعد الهزيمة الى الاسكندرية فملكها وأقر بها ابن اخيه صلاح الدين وخرج الى الصعيد فخرج شاور بالفرنج وحصر الاسكندرية أشدّ حصار فسار شيركوه من قوص ونزل على القاهرة وحاصرها فرحل اليه شاور وكانت امور آلت الى الصلح وسار شيركوه بمن معه الى الشام فى شوّال فطمع مرى فى البلاد وجعل له شحنة بالقاهرة وصارت أسوارها بيد فرسان الفرنج وتقرّر لهم فى كل سنة مائة ألف دينار ثم رحل الى بلاده وترك بالقاهرة من يثق به من الفرنج وسار شيركوه الى الشام فتحكم الفرنج فى القاهرة حكما جائرا وركبوا المسلمين بالاذى العظيم وتيقنوا عجز الدولة عن مقاومتهم وانكشفت لهم عورات الناس الى أن دخلت سنة اربع وستين فجمع مرى جمعا عظيما من اجناس الفرنج وأقطعهم بلاد مصر وسار يريد أخذ مصر فبعث اليه شاور يسأله عن سبب مسيره فاعتل بأن الفرنج غلبوه على قصد ديار مصر وأنه يريد ألفى ألف دينار يرضيهم بها وسار فنزل على بلبيس وحاصرها حتى اخذها عنوة فى صفر فسبى اهلها وقصد القاهرة فسير العاضد كتبه الى نور الدين وفيها شعور نسائه وبناته يسأله انقاذ المسلمين من الفرنج وسار مرى من بلبيس فنزل على بركة الحبش وقد انضم الناس من الاعمال الى القاهرة فنادى شاور بمصر أن لا يقيم بها احد وأزعج الناس فى النقلة منها فتركوا اموالهم وأثقالهم ونجوا بأنفسهم واولادهم

وقد ماج الناس واضطربوا كانما خرجوا من قبورهم الى المحشر لا يعبأ والد بولده ولا يلتفت اخ الى اخيه وبلغ كراء الدابة من مصر الى القاهرة بضعة عشر دينارا وكراء الجمل الى ثلاثين دينارا ونزلوا بالقاهرة فى المساجد والحمامات والازقة وعلى الطرقات فصاروا مطروحين بعيالهم وأولادهم وقد سلبوا سائر أموالهم وينتظرون هجوم العدو على القاهرة بالسيف كما فعل بمدينة بلبيس وبعث شاور الى مصر بعشرين ألف قارورة نفط وعشرة آلاف مشعل نار فرق ذلك فيها فارتفع لهب النار ودخان الحريق الى السماء فصار منظرا مهولا فاستمرت النار تأتى على مساكن مصر من اليوم التاسع والعشرين من صفر لتمام اربعة وخمسين يوما والنهابة من العبيد ورجال الاسطول وغيرهم بهذه المنازل فى طلب الخبايا فلما وقع الحريق بمصر رحل مرى من بركة الحبش ونزل بظاهر القاهرة مما يلى باب البرقية وقاتل اهلها قتالا كثيرا حتى زلزلوا زلزالا شديدا وضعفت نفوسهم وكادوا يؤخذون عنوة فعاد شاور الى مقاتلة الفرنج وجرت امور آلت الى الصلح على مال فبينا هم فى جبايته اذ بلغ الفرنج مجيء اسد الدين شيركوه بعساكر الشام من عند السلطان نور الدين محمود فرحلوا فى سابع ربيع الآخر الى بلبيس وساروا منها الى فاقوس فصاروا الى بلادهم بالساحل ونزل شيركوه بالمقس خارج القاهرة وكان من قتل شاور واستيلاء شيركوه على مصر ما كان فمن حينئذ خربت مصر الفسطاط هذا الخراب الذى هو الآن كيمان مصر وتلاشى امرها وافتقر اهلها وذهبت اموالهم وزالت نعمهم فلما استبد شيركوه بوزارة العاضد أمر باحضار اعيان اهل مصر الذين خلوا عن ديارهم فى الفتنة وصاروا بالقاهرة وتغمم لمصابهم وسفه رأى شاور فى احراق المدينة وأمرهم بالعود اليها فشكوا اليه ما بهم من الفقر والفاقة وخراب المنازل وقالوا الى اى مكان نرجع وفى اى مكان ننزل ونأوى وقد صارت كما ترى وبكوا وأبكوا فوعدهم جميلا وترفق بهم وأمر فنودى فى الناس بالرجوع الى مصر فتراجع اليها الناس قليلا قليلا وعمروا ما حول الجامع الى أن كانت المحنة من الغلاء والوباء العظيم فى سلطنة الملك العادل ابى بكر بن ايوب لسنتى خمس وست وخمسمائة فخرب من مصر جانب كبير ثم تحايا الناس بها واكثروا من العمارة بجانب مصر الغربى على شاطئ النيل لما عمر الملك الصالح نجم الدين ايوب قلعة الروضة وصار بمصر عدة آدر جليلة وأسواق ضخمة فلما كان غلاء مصر والوباء الكائن فى سلطنة الملك العادل كتبغا سنة ست وتسعين وستمائة خرب كثير من مساكن مصر وتراجع الناس بعد ذلك فى العمارة الى سنة تسع واربعين وسبعمائة فحدث الفناء الكبير الذى اقفر منه معظم دور مصر وخربت ثم تحايا الناس من بعد الوباء وصار ما يحيط بالجامع العتيق وما على شط النيل عامرا الى سنة ست وسبعين وسبعمائة فشرقت بلاد مصر وحدث الوباء بعد الغلاء فخرب كثير من عامر مصر ولم يزل يخرب شيأ بعد شئ الى سنة تسعين وسبعمائة فعظم الخراب فى خط زقاق القناديل وخط النحاسين وشرع الناس فى هدم دور مصر وبيع أنقاضها حتى صارت على ما هى عليه الآن وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا

(ذكر ما قيل فى مدينة فسطاط مصر)

قال ابن رضوان والمدينة الكبرى اليوم بأرض مصر ذات اربعة أجزاء الفسطاط والقاهرة والجزيرة والجيزة وبعد هذه المدينة عن خط الاستواء ثلاثون درجة والجبل المقطم فى شرقيها وبينها وبين مقابر المدينة وقد قالت الاطباء ان أردأ المواضع ما كان الجبل فى شرقيه يعوق ريح الصبا عنه وأعظم اجزائها هو الفسطاط ويلى الفسطاط من الغرب النيل وعلى شط النيل الغربى اشجار طوال وقصار وأعظم أجزاء الفسطاط موضع فى غور فانه يعلوه من المشرق المقطم ومن الجنوب الشرف ومن الشمال الموضع العالى من عمل فوق اعنى الموقف والعسكر وجامع ابن طولون ومتى نظرت الى الفسطاط من الشرق او من مكان آخر عال رأيت وضعها فى غور وقد بين ابقراط أن المواضع المتسفلة اسخن من المواضع المرتفعة وأردأ هواء لاحتقان البخار فيها ولان ما حولها من المواضع العالية يعوق تحليل الرياح لها وأزقة الفسطاط وشوارعها ضيقة وابنيتها عالية وقد قال روفس اذا دخلت مدينة فرأيتها ضيقة الازقة مرتفعة البناء فاهرب منها لانها وبيئة أراد أن البخار لا يتحلل منها كما ينبغى لضيق الازقة وارتفاع البناء * ومن شأن اهل الفسطاط أن يرموا ما يموت فى دورهم من السنانير

والكلاب ونحوها من الحيوان الذى يخالط الناس فى شوارعهم وأزقتهم فتعفن وتخالط عفونتها الهواء ومن شأنهم ايضا أن يرموا فى النيل الذى يشربون منه فضول حيواناتهم وجيفها وخرارات كنفهم تصب فيه وربما انقطع جرى الماء فيشربون هذه العفونة باختلاطها بالماء وفى خلال الفسطاط مستوقدات عظيمة يصعد منها فى الهواء دخان مفرط وهى أيضا كثيرة الغبار لسخافة أرضها حتى انك ترى الهواء فى ايام الصيف كدرا يأخذ بالنفس ويتسخ الثوب النظيف فى اليوم الواحد واذا مرّ الانسان فى حاجة لم يرجع الا وقد اجتمع فى وجهه ولحيته غبار كثير ويعلوها فى العشيات خاصة فى ايام الصيف بخار كدر أسود وأغبر سيما اذا كان الهواء سليما من الرياح واذا كانت هذه الاشياء كما وصفنا فمن البين انه يصير الروح الحيوانى الذى فيها حاله كهذه الحال فيتولد اذا فى البدن من هذه الاعراض فضول كثيرة واستعدادات نحو العفن الا أن الف أهل الفسطاط لهذه الحال وانسهم بها يعوق منهما اكثر شرّها وان كانوا على كل حال اسرع اهل مصر وقوعا فى الامراض وما يلى النيل من الفسطاط يجب أن يكون ارطب مما يلى الصحراء وأهل الشرق اصلح حالا لتخرق الرياح لدورهم وكذلك عمل فوق والحمراء الا أن اهل الشرف الذى يشربونه أجود لانه يستقى قبل أن تخالطه عفونة الفسطاط فأما القرافة فأجود هذه المواضع لان المقطم يعوق بخار الفسطاط من المرور بها واذا هبت ريح الشمال مرّت بأجزاء كثيرة من بخار الفسطاط والقاهرة على الشرف فغيرت حاله وظاهر أن المواضع المكشوفة فى هذه المدينة هى اصح هواء وكذلك حال المواضع المرتفعة وأردأ موضع فى المدينة الكبرى هو ما كان من الفسطاط حول الجامع العتيق الى ما يلى النيل والسواحل واذا كان فى الشتاء واول الربيع حمل من بحر الملح سمك كثير فيصل الى هذه المدينة وقد عفن وصارت له رائحة منكرة جدا فيباع فى القاهرة ويأكله اهلها وأهل الفسطاط فيجتمع فى أبدانهم منه فضول كثيرة عفنة فلولا اعتدال امزجتهم وصحة ابدانهم فى هذا الزمان لكان ذلك يولد فى ابدانهم امراضا كثيرة قاتلة الا أن قوة الاستمرار تعوق عن ذلك وربما انقطع النيل فى آخر الربيع وأول الصيف من جهة الفسطاط فيعفن بكثرة ما يلقى فيه الى أن يبلغ عفنه الى أن تصير له رائحة منكرة محسوسة وظاهر أن هذا الماء اذا صار على هذه الحال غير مزاج الناس تغيرا محسوسا قال فمن البين أن اهل هذه المدينة الكبرى بأرض مصر أسرع وقوعا فى الامراض من جميع اهل هذه الارض ما خلا اهل الفيوم فانها ايضا قريبة وأردأ ما فى المدينة الموضع الغائر من الفسطاط ولذلك غلب على اهلها الجبن وقلة الكرم وأنه ليس احد منهم يغيث ولا يضيف الغريب الا فى النادر وصاروا من السعاية والاغتياب على امر عظيم ولقد بلغ بهم الجبن الى أن خمسة اعوان تسوق منهم مائة رجل واكثر ويسوق الاعوان المذكورين رجل واحد من أهل البلدان الاخر وممن قد تدرّب فى الحرب فقد استبان اذا العلة والسبب فى أن صار أهل المدينة الكبرى بأرض مصر أسرع وقوعا فى الامراض من جميع اهل هذه الارض وأضعف انفسا ولعل لهذا السبب اختار القدماء اتخاذ المدينة فى غير هذا الموضع فمنهم من جعلها بمنف وهى مصر القديمة ومنهم من جعلها بالاسكندرية ومنهم من جعلها بغير هذه المواضع ويدل على ذلك آثارهم * وقال ابن سعيد عن كتاب الكمائم وأما فسطاط مصر فان مبانيها كانت فى القديم متصلة بمبانى مدينة عين شمس وجاء الاسلام وبها بناء يعرف بالقصر حوله مساكن وعليه نزل عمرو ابن العاص وضرب فسطاطه حيث المسجد الجامع المنسوب اليه ثم لما فتحها قسم المنازل على القبائل ونسبت المدينة اليه فقيل فسطاط عمرو وتداولت عليها بعد ذلك ولاة مصر فاتخذوها سريرا للسلطنة وتضاعفت عمارتها فأقبل الناس من كل جانب اليها وقصروا امانيهم عليها الى أن رسخت بها دولة بنى طولون فبنوا الى جانبها المنازل المعروفة بالقطائع وبها كان مسجد ابن طولون الذى هو الآن الى جانب القاهرة وهى مدينة مستطيلة يمرّ النيل مع طولها ويحط فى ساحلها المراكب الآتية من شمال النيل وجنوبه بأنواع الفوائد ولها منتزهات وهى فى الاقليم الثالث ولا ينزل فيها مطر الا فى النادر وترابها تثيره الارجل وهو قبيح اللون تتكدّر منه ارجاؤها ويسوء بسببه هواؤها ولها أسواق ضخمة الا انها ضيقة ومبانيها بالقصب والطوب طبقة على طبقة ومذ بنيت القاهرة ضعفت مدينة الفسطاط وفرّط فى الاغتباط بها بعد الافراط وبينهما نحو ميلين وأنشد فيها الشريف العقيلى

احنّ الى الفسطاط شوقا واننى * لادعو لها أن لا يحل بها القطر

وهل فى الحيا من حاجة لجنابها * وفى كل قطر من جوانبها نهر
تبدت عروسا والمقطم تاجها * ومن نيلها عقد كما انتظم الدر

* وقال عن كتاب آخر فالفسطاط هى قصبة مصر والجبل المقطم شرقها وهو متصل بجبل الزمرذ * وقال عن كتاب ابن حوقل والفسطاط مدينة حسنة ينقسم النيل لديها وهى كبيرة نحو ثلث بغداد ومقدارها نحو فرسخ على غاية العمارة والطيبة واللذة ذات رحاب فى محالها وأسواق عظام فيها ضيق ومتاجر فخام ولها ظاهر أنيق وبساتين نضرة ومنتزهات على ممر الايام خضرة وفى الفسطاط قبائل وخطط للعرب تنسب اليها كالبصرة والكوفة الا انها أقل من ذلك وهى سبخة الارض غير نقية التربة وتكون بها الدار سبع طبقات وستا وخمسا وربما يسكن فى الدار المائتان من الناس ومعظم بنيانهم بالطوب وأسفل دورهم غير مسكون وبها مسجدان للجمعة بنى أحدهما عمرو بن العاص فى وسط الفسطاط والآخر على الموقف بناه احمد بن طولون وكان خارج الفسطاط أبنية بناها احمد بن طولون ميلا فى ميل يسكنها جنده تعرف بالقطائع كما بنى بنو الاغلب خارج القيروان رقادة وقد خربتا فى وقتنا هذا وأخلف الله بدل القطائع بظاهر مدينة الفسطاط القاهرة * قال ابن سعيد ولما استقررت بالقاهرة تشوقت الى معاينة الفسطاط فسار معى احد أصحاب العزمة فرأيت عند باب زويلة من الحمر المعدة لركوب من يسير الى الفسطاط جملة عظيمة لاعهد لى بمثلها فى بلد فركب منها حمارا وأشار الى أن اركب حمارا آخر فأنفت من ذلك جريا على عادة ما خلفته فى بلاد المغرب فأعلمنى انه غير معيب على اعيان مصر وعاينت الفقهاء وأصحاب البزة والسادة الظاهرة يركبونها فركبت وعند ما استويت راكبا اشار المكارى على الحمار فطار بى وأثار من الغبار الاسود ما أعمى عينى ودنس ثيابى وعاينت ما كرهته ولقلة معرفتى بركوب الحمار وشدة عدوه على قانون لم أعهده وقلة رفق المكارى وقفت فى تلك الظلمة المثارة من ذلك العجاج فقلت

لقيت بمصر أشد البوار ركوب الحمار وكحل الغبار
وخلفى مكار يفوق الريا ح لا يعرف الرفق مهما استطار
اناديه مهلا فلا يرعوى الى أن سجدت سجود العثار
وقد مد فوقى رواق الثرى وألحد فيه ضياء النهار

فدفعت الى المكارى اجرته وقلت له احسانك الى أن تتركنى امشى على رجلى ومشيت الى أن بلغتها وقدرت الطريق بين القاهرة والفسطاط وحققت بعد ذلك نحو الميلين ولما اقبلت على الفسطاط ادبرت عنى المسرة وتأملت اسوارا مثلمة سوداء وآفاقا مغبرة ودخلت من بابها وهو دون غلق مفض الى خراب معمور بمبان سيئة الوضع غير مستقيمة الشوارع قد بنيت من الطوب الادكن والقصب والنخيل طبقة فوق طبقة وحول ابوابها من التراب الاسود والازبال ما يقبض نفس النظيف ويغض طرف الظريف فسرت وانا معاين لاستصحاب تلك الحال الى أن سرت فى اسواقها الضيقة فقاسيت من ازدحام الناس فيها بحوائج السوق والروايا التى على الجمال ما لا يفى به الا مشاهدته ومقاساته الى أن انتهيت الى المسجد الجامع فعاينت من ضيق الاسواق التى حوله ما ذكرت بضده فى جامع اشبيلية وجامع مراكش ثم دخلت اليه فعاينت جامعا كبيرا قديم البناء غير مزخرف ولا محتفل فى حصره التى تدور مع بعض حيطانه وتبسط فيه وأبصرت العامة رجالا ونساء قد جعلوه معبرا بأوطئة أقدامهم يجوزون فيه من باب الى باب ليقرب عليهم الطريق والبياعون يبيعون فيه اصناف المكسرات والكعك وما جرى مجرى ذلك والناس يأكلون منه فى امكنة عديدة غير محتشمين لجرى العادة عندهم بذلك وعدة صبيان بأوانى ماء يطوفون على من يأكل قد جعلوا ما يحصل لهم منهم رزقا وفضلات ما يأكلهم مطروحة فى صحن الجامع وفى زواياه والعنكبوت قد عظم نسجه فى السقوف والاركان والحيطان والصبيان يلعبون فى صحنه وحيطانه مكتوبة بالفحم والحمرة بخطوط قبيحة مختلفة من كتب فقراء العامة الا أن مع هذا كله على الجامع المذكور من الرونق وحسن القبول وانبساط النفس ما لا تجده فى جامع اشبيلية مع زخرفته والبستان الذى فى صحنه ولقد تأملت ما وجدت فيه من الارتياح والانس دون منظر يوجب ذلك فعلمت انه سر مودع من وقوف الصحابة رضوان الله عليهم فى ساحته عند بنائه واستحسنت ما أبصرته فيه من حلق المصدرين لاقراء القرآن والفقه والنحو فى عدة اماكن وسألت عن موارد ارزاقهم فأخبرت انها من فروض الزكاة وما اشبه ذلك

ثم أخبرت أن اقتضاءها يصعب الا بالجاه والتعب ثم انفصلنا من هنالك الى ساحل النيل فرأيت ساحلا كدر التربة غير نظيف ولا متسع الساحة ولا مستقيم الاستطالة ولا عليه سور أبيض الا انه مع ذلك كثير العمارة بالمراكب واصناف الارزاق التى تصل من جميع اقطار الارض والنيل ولئن قلت انى لم ابصر على نهر ما أبصرته على ذلك الساحل فانى اقول حقا والنيل هنالك ضيق لكون الجزيرة التى بنى فيها سلطان الديار المصرية الآن قلعته قد توسطت الماء ومالت الى جهة الفسطاط وبحسن سورها المبيض الشامخ حسن منظر الفرجة فى ذلك الساحل وقد ذكر ابن حوقل الجسر الذى يكون ممتدا من الفسطاط الى الجزيرة وهو غير طويل ومن الجانب الآخر الى البر الغربى المعروف ببر الجيزة جسر آخر من الجزيرة اليه وأكثر جواز الناس بأنفسهم ودوابهم فى المراكب لان هذين الجسرين قد احترما بحصولهما فى حيز قلعة السلطان ولا يجوز أحد على الجسر الذى بين الجزيرة والفسطاط راكبا احتراما لموضع السلطان وبتنا فى ليلة ذلك اليوم بطيارة مرتفعة على جانب النيل فقلت

نزلنا من الفسطاط احسن منزل * بحيث امتداد النيل قد دار كالعقد
وقد جمعت فيه المراكب سحرة * كسرب قطا أضحى يرف على ورد
وأصبح يطغى الموج فيه ويرتمى * ويطغو حنانا وهو يلعب بالنرد
غدا ماؤه كالريق ممن احبه * فمدت عليه حلية من حلى الخد
وقد كان مثل الزهر من قبل مده * فأصبح لما زاده المد كالورد

قلت هذا لانى لم اذق فى المياه أحلى من مائه وأنه يكون قبل المد الذى يزيد به ويفيض على اقطاره أبيض فاذا كان عباب النيل صار أحمر * وانشدنى علم الدين فخر الترك ايدمر عتيق وزير الجزيرة فى مدح الفسطاط واهلها

حبذا الفسطاط من والدة * جنبت اولادها درّ الجفا
يرد النيل اليها كدرا * فاذا مازج اهليها صفا
لطفوا فالمزن لا يألفهم * خجلا لما رآهم ألطفا

ولم أرق اهل البلاد ألطف من اهل الفسطاط حتى انهم ألطف من اهل القاهرة وبينهما نحو ميلين وجملة الحال أن اهل الفسطاط فى نهاية من اللطافة واللين فى الكلام وتحت ذلك من الملق وقلة المبالاة برعاية قدم الصحبة وكثرة الممازجة والالفة ما يطول ذكره وأما ما يرد على الفسطاط من متاجر البحر الاسكندرانى والبحر الحجازى فانه فوق ما يوصف وبها مجمع ذلك لا بالقاهرة ومنها تجهز الى القاهرة وسائر البلاد وبالفسطاط مطابخ السكر والصابون ومعظم ما يجرى هذا المجرى لان القاهرة بنيت للاختصاص بالجند كما أن جميع زى الجند بالقاهرة اعظم منه بالفسطاط وكذلك ما ينسج ويصاغ وسائر ما يعمل من الاشياء الرفيعة السلطانية والخراب فى الفسطاط كثير والقاهرة أجد وأعمر واكثر زحمة بسبب انتقال السلطان اليها وسكنى الاجناد فيها وقد نفخ روح الاعتناء والنمو فى مدينة الفسطاط الآن لمجاورتها للجزيرة الصالحية وكثير من الجند قد انتقل اليها للقرب من الخدمة وبنى على سورها جماعة منهم مناظر تبهج الناظر يعنى ابن سعيد ما بنى على شقة مصر من جهة النيل

* (ذكر ما عليه مدينة مصر الآن وصفتها) *

قد تقدم من الاخبار جملة تدل على عظم ما كان بمدينة فسطاط مصر من المبانى وكثرتها ثم الاسباب التى أوجبت خرابها وآخر ما رأيت من الكتب التى صنفت فى خطط مصر كتاب ايقاظ المتغفل واتعاظ المتأمل تأليف القاضى الرئيس تاج الدين محمد بن عبد الوهاب بن المتوج الزبيرى رحمه الله وقطع على سنة خمس وعشرين وسبعمائة فذكر من الاخطاط المشهورة بذاتها لعهده اثنين وخمسين خطا ومن الحارات ثنتى عشرة حارة ومن الازقة المشهورة ستة وثمانين زقاقا ومن الدروب المشهورة ثلاثة وخمسين دربا ومن الخوخ المشهورة خمسا وعشرين خوخة ومن الاسواق المشهورة تسعة عشر سوقا ومن الخطط المشهورة بالدور ثلاثة عشر خطا ومن الرحاب المشهورة خمس عشرة رحبة ومن العقبات المشهورة احدى عشرة عقبة ومن الكيمان المسماة ستة كيمان ومن الاقباء عشرة أقباء ومن البرك خمس برك ومن السقائف خمسا وستين سقيفة ومن القياسر

سبع قياسر ومن مطابخ السكر العامرة ستة وستين مطبخا ومن الشوارع ستة شوارع ومن المحارس عشرين محرسا ومن الجوامع التى تقام فيها الجمعة بمصر وظاهرها من الجزيرة والقرافة أربعة عشر جامعا ومن المساجد أربعمائة وثمانين مسجدا ومن المدارس سبع عشرة مدرسة ومن الزوايا ثمانى زوايا ومن الربط التى بمصر والقرافة بضعا وأربعين رباطا ومن الاحباس والاوقاف كثيرا ومن الحمامات بضعا وسبعين حماما ومن الكنائس وديارات النصارى ثلاثين مابين دير وكنيسة وقد باد أكثر ماذكره ودثر وسيرد ما قاله من ذلك فى مواضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى (فأقول) انّ مدينة مصر محدودة الآن بحدود أربعة * فحدّها الشرقىّ اليوم من قلعة الجبل وأنت آخذ الى باب القرافة فتمرّ من داخل السور الفاصل بين القرافة ومصر الى كوم الجارح وتمرّ من كوم الجارح وتجعل كيمان مصر كلها عن يمينك حتى تنتهى الى الرصد حيث اوّل بركة الحبش فهذا طول مصر من جهة المشرق وكان يقال لهذه الجهة عمل فوق * وحدّها الغربى من قناطر السباع خارج القاهرة الى موردة الحلفاء وتأخذ على شاطئ النيل الى دير الطين فهذا أيضا طولها من جهة المغرب * وحدّها القبلىّ من شاطئ النيل بدير الطين حيث ينتهى الحدّ الغربىّ الى بركة الحبش تحت الرصد حيث انتهى الحدّ الشرقىّ فهذا عرض مصر من جهة الجنوب التى تسميها اهل مصر الجهة القبلية * وحدّها البحرىّ من قناطر السباع حيث ابتداء الحدّ الغربىّ الى قلعة الجبل حيث ابتداء الحدّ الشرقىّ فهذا عرض مصر من جهة الشمال التى تعرف بمصر بالجهة البحرية ومابين هذه الجهات الاربع فانه يطلق عليه الآن مصر فيكون اوّل عرض مصر فى الغرب بحر النيل وآخر عرضها فى الشرق اوّل القرافة وأوّل طولها من قناطر السباع وآخره بركة الحبش فاذا عرفت ذلك ففى الجهة الغربية خط السبع سقايات ويجاوره الخليج وعليه من شرقيه حكر أقبغا ومن غربيه المريس ومنشأة المهرانىّ ويحاذى المنشأة من شرقىّ الخليج خط قنطرة السدّ وخط بين الزقاقين وخط موردة الحلفاء وخط الجامع الجديد ومن شرقىّ خط الجامع الجديد خط المراغة ويتصل به خط الكبارة وخط المعاريج ويجاور خط الجامع الجديد من بحريه الدور التى تطلّ على النيل وهى متصلة الى جسر الافرم المتصل بدير الطين وماجاوره الى بركة الحبش وهذه الجهة هى أعمر مافى مصر الآن وأما الجهة الشرقية فليس فيها شئ عامر الا قلعة الجبل وخط المراغة المجاور لباب القرافة الى مشهد السيدة نفيسة ويجاور خط مشهد السيدة نفيسة من قبليه الفضاء الذى كان موضع الموقف والعسكر الى كوم الجارح ثم خط كوم الجارح ومابين كوم الجارح الى آخر حدّ طول مصر عند بركة الحبش تحت الرصد فانه كيمان وهى الخطط التى ذكرها القضاعىّ وخربت فى الشدّة العظمى زمن المستنصر وعند حريق شاور لمصر كما تقدّم وأما عرض مصر الذى من قناطر السباع الى القلعة فانه عامر ويشتمل على بركة الفيل الصغرى بجوار خط السبع سقايات ويجاور الدور التى على هذه البركة من شرقيها خط الكبش ثم خط جامع احمد بن طولون ثم خط القبيبات وينتهى الى الفضاء الذى يتصل بقلعة الجبل وأما عرض مصر الذى من شاطئ النيل بخط دير الطين الى تحت الرصد حيث بركة الحبش فليس فيه عمارة سوى خط دير الطين وماعدا ذلك فقد خرب بخراب الخطط وكان فيه خط بنى وائل وخط راشدة فأما خط السبع سقايات فانه من جملة الحمراء الدنيا وسيرد عند ذكر الاخطاط ان شاء الله تعالى وماعدا ذلك فانه يتبين من ذكر ساحل مصر

(ذكر ساحل النيل بمدينة مصر)

قد تقدّم أنّ مدينة فسطاط مصر اختطها المسلمون حول جامع عمرو بن العاص وقصر الشمع وأنّ بحر النيل كان ينتهى الى باب قصر الشمع الغربىّ المعروف بالباب الجديد ولم يكن عند فتح أرض مصر بين جامع عمرو وبين النيل حائل ثم انحسر ماء النيل عن ارض تجاه الجامع وقصر الشمع فابتنى فيها عبد العزيز بن مروان وحاز منه بشر بن مروان لما قدم على اخيه عبد العزيز ثم حاز منه هشام بن عبد الملك فى خلافته وبنى فيه فلما زالت دولة بنى امية قبض ذلك فى الصوافى ثم اقطعه الرشيد السرىّ بن الحكم فصار فى يد ورثته من بعده يكترونه ويأخذون حكره وذلك أنه كان قد اختط فيها المسلمون شيأ بعد شئ وصار شاطئ النيل بعد انحسار ماء النيل عن الارض المذكورة حيث الموضع الذى يعرف اليوم بسوق المعاريج * قال القضاعىّ كان ساحل أسفل الارض بازاء المعاريج

القديم وكانت آثار المعاريج قائمة سبع درج حول ساحل البما الى ساحل البورى اليوم فعرف ساحل البورى بالمعاريج الجديد يعنى بالمعاريج الجديد موضع سوق المعاريج اليوم وكان من جملة خطط مدينة فسطاط مصر الحمراوات الثلاث فالحمراء الاولى من جملتها سوق وردان وكان يشرف بغربيه على النيل ويجاوره الحمراء الوسطى ومن بعضها الموضع الذى يعرف اليوم بالكبارة وكانت على النيل ايضا وبجانب الكبارة الحمراء القصوى وهى من بحرى الحمراء الوسطى الى الموضع الذى هو اليوم خط قناطر السباع ومن جملة الحمراء القصوى خط خليج مصر من حد قناطر السباع الى تجاه قنطرة السد من شرقيها وبآخر الحمراء القصوى الكبش وجبل يشكر وكان الكبش يشرف على النيل من غربيه وكان الساحل القديم فيما بين سوق المعاريج اليوم الى دار التفاح بمصر وانت مار الى باب مصر بجوار الكبارة وموضع الكوم المجاور لباب مصر من شرقيه فلما خربت مصر بحريق شاور بن مجير اياها صار هذا الكوم من حينئذ وعرف بكوم المشانيق فانه كان يشنق بأعلاه ارباب الجرائم ثم بنى الناس فوقه دورا فعرف الى يومنا هذا بكوم الكبارة وكان يقال لما بين سوق المعاريج وهذا الكوم لما كان ساحل النيل القالوص * قال القضاعى رأيت بخط جماعة من العلماء القالوص بألف والذى يكتب فى هذا الزمان القلوص بحذف الالف فأما القلوص بحذف الالف فهى من الابل والنعام الشابة وجمعها قلص وقلاص وقلائص والقلوص من الحبارى الانثى الصغيرة فلعل هذا المكان سمى بالقلوص لانه فى مقابلة الجمل الذى كان على باب الريحان الذى يأتى ذكره فى عجائب مصر وأما القالوص بالالف فهى كلمة رومية ومعناها بالعربية مرحبابك ولعل الروم كانوا يصفقون لراكب هذا الجمل ويقولون هذه الكلمة على عادتهم * وقال ابن المتوج والساحل القديم اوله من باب مصر المذكور يعنى المجاور للكبارة والى المعاريج جميعه كان بحرا يجرى فيه ماء النيل وقيل ان سوق المعاريج كان موردة سوق السمك يعنى ماذكره القضاعى من أنه كان يعرف بساحل البورى ثم عرف بالمعاريج الجديد قال ابن المتوج ونقل أن بستان الجرف المقابل لبستان حوض ابن كيسان كان صناعة العمارة وأدركت أنا فيه بابها ورأيت زريبة من ركن المسجد المجاور للحوض من غربيه تتصل الى قبالة مسجد العادل الذى بمراغة الدواب الآن * (قال مؤلفه رحمه الله) بستان الجرف يعرف بذلك الى اليوم وهو على يمنة من سلك الى مصر من طريق المراغة وهو جار فى وقف الخانقاه التى تعرف بالواصلة بين الزقاقين وحوض ابن كيسان يعرف اليوم بحوض الطواشى تجاه غيط الجرف المذكور يجاوره بستان ابن كيسان الذى صار صناعة وقد ذكر خبر هذه الصناعة عند ذكر مناظر الخلفاء ويعرف بستان ابن كيسان اليوم ببستان الطواشى أيضا وبين بستان الجرف وبستان الطواشى هذا مراغة مصر المسلوك منها الى الكبارة وباب مصر * قال ابن المتوج ورأيت من نقل عمن نقل عمن رآى هذا القلوص يتصل الى آدر الساحل القديم وأنه شاهد ما عليه من العمائر المطلة على بحر النيل من الرباع والدور المطلة وعد الاسطال التى كانت بالطاقات المطلة على بحر النيل فكانت عدتها ستة عشر ألف سطل مؤبدة ببكر مؤبد فيها اطناب ترخى بها وتملا أخبرنى بذلك من اثق بنقله وقال انه اخبره به من يثق به متصلا بالمشاهد له الموثوق به قال وباب مصر الآن بين البستان الذى قبلى الجامع الجديد يعنى بستان العالمة وبين كوم المشانيق يعنى كوم الكبارة ورأيت السور يتصل به الى دار النحاس وجميع ما بظاهره شون ولم يزل هذا السور القديم الذى هو قبلى بستان العالمة موجودا أراه وأعرفه الى أن اشترى أرضه من باب مصر الى موقف المكارية بالخشابين القديمة الامير حسام الدين طرنطاى المنصورى فأجر مكانه للعامة وصار كل من استأجر قطعة هدم ما بها من البناء بالطوب اللبن وقلع الاساس الحجر وبنى به فزال السور المذكور ثم حدث الساحل الجديد * قال مؤلفه رحمه الله وهذا الباب الذى ذكره ابن المتوج كان يقال له باب الساحل واول حفر ساحل مصر فى سنة ست وثلاثين وثلثمائة وذلك أنه جف النيل عن بر مصر حتى احتاج الناس أن يستقوا من بحر الجيزة الذى هو فيما بين جزيرة مصر التى تدعى الآن بالروضة وبين الجيزة وصار الناس يمشون هم والدواب الى الجزيرة فحفر الاستاذ كافور الاخشيدى وهو يومئذ مقدم امراء الدولة لاونوجور بن الاخشيد خليجا حتى اتصل بخليج بنى وائل ودخل الماء الى ساحل مصر ثم انه لما كان قبل سنة ستمائة تقلص الماء عن ساحل مصر القديمة وصار فى زمن الاحتراق يقل حتى تصير الطريق الى المقياس يبسا فلما كان فى سنة ثمان وعشرين وستمائة خاف السلطان الملك الكامل

محمد بن العادل ابى بكر بن ايوب من تباعد البحر عن العمران بمصر فاهتم بحفر البحر من دار الوكالة بمصر الى صناعة التمر الفاضلية وعمل فيه بنفسه فوافقه على العمل فى ذلك الجم الغفير واستوى فى المساعدة السوقة والامير وقسط مكان الحفر على الدور بالقاهرة ومصر والروضة والمقياس فاستمر العمل فيه من مستهل شعبان الى سلخ شوال مدة ثلاثة اشهر حتى صار الماء يحيط بالمقياس وجزيرة الروضة دائما بعدما كان عند الزيادة يصير جدولا رقيقا فى ذيل الروضة فاذا اتصل بحر بولاق فى شهر ابيب كان ذلك من الايام المشهودة بمصر فلما كانت ايام الملك الصالح وعمر قلعة الروضة اراد أن يكون الماء طول السنة كثيرا فيما دار بالروضة فأخذ فى الاهتمام بذلك وغرق عدة مراكب مملوءة بالحجارة فى بر الجيزة تجاه باب القنطرة خارج مدينة مصر ومن قبلى جزيرة الروضة فانعكس الماء وجعل البحر حينئذ يمر قليلا قليلا وتكاثر أولا فأولا فى بر مصر من دار الملك الى قريب المقس وقطع المنشأة الفاضلية * قال ابن المتوج عن موضع الجامع الجديد وكان فى الدولة الصالحية يعنى الملك الصالح نجم الدين ايوب رملة تمرغ الناس فيها الدواب فى زمن احتراق النيل وجفاف البحر الذى هو أمامها فلما عمر السلطان الملك الصالح قلعة الجزيرة وصار فى كل سنة يحفر هذا البحر بجنده ونفسه ويطرح بعض رمله فى هذه البقعة شرع خواص السلطان فى العمارة على شاطئ هذا البحر فذكر من عمر على هذا البحر من قبالة موضع الجامع الجديد الآن الى المدرسة المعزية وذكر ما وراء هذه الدور من بستان العالمة المطل عليه الجامع الجديد وغيره ثم قال وانما عرف بالعالمة لانه كان قد حله السلطان الملك الصالح لهذه العالمة فعمرت بجانبه منظرة لها وكان الماء يدخل من النيل لباب المنظرة المذكورة فلما توفيت بقى البستان مدة فى يد ورثتها ثم أخذ منهم وذكر أن بقعة الجامع الجديد كانت قبل عمارته شونا للاتبان السلطانية وكذلك ما يجاورها فلما عمر السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون الجامع الجديد كثرت العمائر من حد موردة الحلفاء على شاطئ النيل حتى اتصلت بدير الطين وعمر أيضا ما وراء الجامع من حد باب مصر الذى كان بحرا كما تقدم الى حد قنطرة السد وأدركنا ذلك كله على غاية العمارة وقد اختل منذ الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة فخرب خط بين الزقاقين المطل من غربيه على الخليج ومن شرقيه على بستان الجرف ولم يبق به الا القليل من الدور وموضعه كما تقدم كان فى قديم الزمان غامرا بماء النيل ثم ربى جرفا وهو بين الزقاقين المذكور فعمر عمارة كبيرة ثم خرب الآن وخرب ايضا خط موردة الحلفاء وكان فى القديم غامرا بالماء فلما ربى النيل الجرف المذكور وتربت الجزيرة قدام الساحل القديم الذى هو الآن الكبارة الى المعاريج وأنشأ الملك الناصر محمد بن قلاون الجامع الجديد عمرت موردة الحلفاء هذه واتصلت من بحريها بمنشأة المهرانى ومن قبليها بالاملاك التى تمتد من تجاه الجامع الجديد الى دير الطين وصارت موردة الحلفاء عظيمة تقف عندها المراكب بالغلال وغيرها ويملأ منها الناس الروايا وكان البحر لا يبرح طول السنة هنالك ثم صار ينشف فى فصل الربيع والصيف واستمر على ذلك الى يومنا هذا وخرب ما خلف الجامع الجديد أيضا من الاماكن التى كانت بحرا تجاه الساحل القديم ثم لما انحسر الماء صارت مراغة للدواب فعرفت اليوم بالمراغة وهى من آخر خط قنطرة السد الى قريب من الكبارة ويحصرها من غربيها بستان الجرف المقدم ذكره وعدة دور كانت بستانا وشونا الى باب مصر ومن شرقيها بستان ابن كيسان الذى صار صناعة وعرف الآن ببستان الطواشى ولم يبق الآن بخط المراغة الا مساكن يسيرة حقيرة

(ذكر المنشأة)

اعلم أن خليج مصر كان يخرج من بحر النيل فيمر بطريق الحمراء القصوى وكان فى الجانب الغربى من هذا الخليج عدة بساتين من جملتها بستان عرف ببستان الخشاب ثم خرب هذا البستان وموضعه الآن يعرف بالمريس فلما كان بعد الخمسمائة من سنى الهجرة انحسر النيل عن أرض فيما بين ميدان اللوق الآتى ذكره فى الاحكار ظاهر القاهرة ان شاء الله تعالى وبين بستان الخشاب المذكور فعرفت هذه الارض بمنشأة الفاضل لان القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى انشأ بها بستانا عظيما كان يمير أهل القاهرة من ثماره وأعنابه وعمر بجانبه جامعا وبنى حوله فقيل لتلك الخطة منشأة الفاضل وكثرت بها العمارة وأنشأ بها موفق الدين محمد بن ابى بكر المهدوى العثمانى الديباجى بستانا دفع له فيه ألف دينار فى ايام الظاهر بيبرس وكان الصرف قد بلغ

كل دينار ثمانية وعشرين درهما ونصفا فاستولى البحر على بستان الفاضل وجامعه وعلى سائر ما كان
بمنشأة الفاضل من البساتين والدور وقطع ذلك حتى لم يبق لشئ منه اثر وما برح باعة العنب بالقاهرة ومصر
تنادي على العنب بعد خراب بستان الفاضل هذا عدة سنين رحم الله الفاضل يا عنب اشارة لكثرة
أعناب بستان الفاضل وحسنها وكان اكل البحر لمنشأة الفاضل هذه بعد سنة ستين وستمائة وكان الموفق
الديباجي المذكور يتولى خطابة جامع الفاضل الذي كان بالمنشأة فلما تلف الجامع باستيلاء النيل عليه سأل
الصاحب بهاء الدين بن حنا وألح عليه وكان من ألزامه حتى قام في عمارة الجامع بمنشأة المهراني ومنشأة
المهراني هذه موضعها فيما بين النيل والخليج وفيها من الحمراء القصوى فوهة الخليج انحسر عنها ماء النيل قديما
وعرف موضعها بالكوم الاحمر من اجل انه كان يعمل فيها أقمنة الطوب فلما سأل الصاحب بهاء الدين بن حنا
الملك الظاهر بيبرس في عمارة جامع بهذا المكان ليقوم مقام الجامع الذي كان بمنشأة الفاضل اجابه الى ذلك
وانشأ الجامع بخط الكوم الاحمر كما ذكر في خبره عند ذكر الجوامع فأنشأ هنالك الامير سيف الدين بلبان المهراني
دارا وسكنها وبنى مسجدا فعرفت هذه الخطة به وقيل لها منشأة المهراني فان المهراني المذكور أول من ابتنى
فيها بعد بناء الجامع وتتابع الناس في البناء بمنشأة المهراني واكثروا من العمائر حتى يقال انه كان بها فوق
الاربعين من امراء الدولة سوى من كان هنالك من الوزراء وأماثل الكتاب وأعيان القضاة ووجوه الناس ولم تزل
على ذلك حتى انحسر الماء عن الجهة الشرقية فخربت وبها الآن بقية يسيرة من الدور ويتصل بخط الجامع الجديد
خط دار النحاس وهو مطل على النيل * ودار النحاس هذه من الدور القديمة وقد دثرت وصار الخط
يعرف بها * قال القضاعي دار النحاس اختطها وردان مولى عمرو بن العاص فكتب مسلمة بن مخلد وهو أمير
مصر الى معاوية يسأله أن يجعلها ديوانا فكتب معاوية الى وردان يسأله فيها وعوضه فيها دار وردان التي بسوقه
الآن وقال ربيعة كانت هذه الدار من خطة الحجر من الازد فاشتراها عمر بن مروان وبناها فكانت في يد ولده
وقبضت عنهم وبيعت في الصوافي سنة ثمان وثلثمائة ثم صارت الى شمول الاخشيدي فبناها قيسارية وحماما
فصارت دار النحاس قيسارية شمول * وقال ابن المتوج دار النحاس خط نسب لدار النحاس وهو الآن فندق
الاشراف ذو البابين أحدهما من رحبة امامة والثاني شارع بالساحل القديم وبآخر هذه الشقة التي تطل على
النيل (جسر الافرم) وهو في طرف مصر فيما بين المدرسة المعزية وبين رباط الآثار كان مطلا على النيل دائما
والآن ينحسر الماء عنه عند هبوط النيل وعرف بالامير عز الدين أيدمر الافرم الصالحي النجمي أمير جندار
وذلك أنه لما استأجر بركة الشعيبية كما ذكر عند ذكر البرك من هذا الكتاب جعل منها فدانين من غربيها أذن
للناس في تحكيرها فحكرت وبنى عليها عدة دور بلغت الغاية في اتقان العمارة وتنافس عظماء دولة الناصر
محمد بن قلاون من الوزراء وأعيان الكتاب في المساكن بهذا الجسر وبنوا وتأنقوا وتفننوا في بديع الزخرفة
وبالغوا في تحسين الرخام وخرجوا عن الحد في كثرة انفاق الاموال العظيمة على ذلك بحيث صار خط الجسر
خلاصة العامر من اقليم مصر وسكانه ارق الناس عيشا وأترف المتنعمين حياة وأوفرهم نعمة ثم خرب هذا
الجسر بأسره وذهبت دوره * وأما الجهة الشرقية من مصر ففيها قلعة الجبل وقد أفردنا لها خبرا مستقلا يحتوي
على فوائد كثيرة تضمنه هذا الكتاب فانظره ويتصل آخر قلعة الجبل بخط باب القرافة وهو من اطراف القطائع
والعسكر ويلي خط باب القرافة الفضاء الذي كان يعرف بالعسكر وقد تقدم ذكره وكان بأطراف العسكر مما يلي
كوم الجارح * (الموقف) قال ابن وصيف شاه في أخبار الريان بن الوليد وهو فرعون نبي الله يوسف صلوات
الله عليه ودخل الى البلد في أيامه غلام من اهل الشام احتال عليه اخوته وباعوه وكانت قوافل الشام تعرس
بناحية الموقف اليوم فأوقف الغلام ونودي عليه وهو يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم خليل الرحمن
صلوات الله عليهم فاشتراه أطفين العزيز ويقال ان الذي أخرج يوسف من الجب مالك بن دعر بن حجر بن جزيلة
ابن لخم بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد بن زيد بن يشجب بن يعرب بن قحطان * وقال القضاعي كان الموقف
فضاء لام عبد الله بن مسلمة بن مخلد فتصدقت به على المسلمين فكان موقفا تباع فيه الدواب ثم ملك بعد وقد
ذكرته في الظاهر يعني في خطط اهل الظاهر فان الموقف من جملة خطط أهل الظاهر * وقال ابن المتوج
بقعة (خط الصفاء) هذا الخط دثر جميعه ولم يبق له اثر وهو قبلي الفسطاط اوله بجوار المصنع وخط الطحانين

ادركته

أدركته كان صفين طواحين متلاصقة متصلة من درب الصفاء الى كوم الجارح وأدركت به جماعة من أكابر المصريين اكثرهم عدول وكان المار بين هذين الصفين لا يسمع حديث رفيقه اذا حدثه لقوة دوران الطواحين وكان من جملتها طاحون واحد فيه سبعة أحجار دثر جميع ذلك ولم يبق له أثر * قال وبقعة درب الصفاء هو الدرب الذى كان باب مصر وقيل انه كان بظاهره سوق يوسف عليه السلام وكان بابا بمصراعين يعلوهما عقد كبير وهو بعتبة كبيرة سفلى من صوان وكان بجوار المصنع الخراب الموجود الآن وكان حول المصنع عمد رخام بدائرة حاملة الساباط يعلوه مسجد معلق هدم ذلك جميعه فى ولاية سيف الدين المعروف بابن سلار والى مصر فى دولة الظاهر بيبرس وهذا الدرب يسلك منه الى درب الصفاء والطحانين * (قال مؤلفه رحمه الله) * كان هذا الباب المذكور أحد أبواب مدينة مصر وبابها الآخر من ناحية الساحل الذى موضعه اليوم باب مصر بجوار الكبارة وأنا أدركت آثار درب الصفاء المذكور والمصنع الخراب وكان يصب فيه الماء للسبيل وهو قريب من كوم الجارح وسيأتى ذكر كوم الجارح فى ذكر الكيمان من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى * وأما الذى يلى كوم الجارح الى آخر حد طول مصر عند بركة الحبش فانها الخطط القديمة وأدركتها عامرة لاسيما خط النخالين وخط زقاق القناديل وخط المصاصة وقد خرب جميع ذلك وبيعت أنقاضه من بعد سنة تسعين وسبعمائة * وأما الجهة القبلية من مصر فان خط دير الطين حدثت العمارة فيه بعد سنة ستمائة لما أنشأ الصاحب فخر الدين محمد بن الصاحب بهاء الدين على بن حنا الجامع هناك وعمر الناس فى جسر الافرم وكان قبل ذلك آخر عمارة مدينة مصر دار الملك التى موضعها الآن بجوار المدرسة المعزية وأما موضع الجسر فانه كان بركة ماء تتصل بخط راشدة حيث جامع راشدة ومن قبلى هذه البركة البستان الذى كان يعرف ببستان الامير تميم بن المعز ويعرف اليوم بالمعشوق وهو وقف على رباط الآثار ويجاور المعشوق بركة الحبش وما بين خط دير الطين وآخر عرض مصر من الجهة القبلية طرف خط راشدة * وأما الجهة البحرية من مصر فانه يتصل بخط السبع سقايات الدور المطلة على البركة التى يقال لها بركة قارون وهى التى تجاور الآن حدرة ابن قميحة وهى من جملة الحمراء القصوى وبقبلى البركة المذكورة الكوم المعروف بالاسرى وهو من جملة العسكر وسيرد ان شاء الله تعالى ذكره عند ذكر الكيمان ويجاور البركة المذكورة خط الكبش وقد ذكر فى الجبال ويأتى ان شاء الله تعالى له خبر عند ذكر الاخطاط ويلى خط الكبش خط الجامع الطولونى ويلى خط الجامع القبيبات وخط المشهد النفيسى وجميع ذلك الى قلعة الجبل من جملة القطائع

(ذكر ابواب مدينة مصر)

وكان لفسطاط مصر أبواب فى القديم خربت وتجدد لها بعد ذلك ابواب أخر *(باب الصفاء)* هذا الباب كان هو فى الحقيقه باب مدينة مصر وهى فى كمالها ومنه تخرج العساكر وتعبر القوافل وموضعه الآن بالقرب من كوم الجارح وهدم فى ايام الملك الظاهر بيبرس *(باب الساحل)* كان يفضى بسالكه الى ساحل النيل القديم وموضعه قريب من الكبارة *(باب مصر)* هذا الباب هو الذى بناه قراقوش ومنه يسلك الآن من دخل الى مدينة مصر من الطريق التى تعرف بالمراغة وهو مجاور للكوم الذى يقال له كوم المشانيق ويعرف اليوم بالكبارة وكان موضع هذا الباب غامرا بماء النيل فلما انحسر الماء عن ساحل مصر صار الموضع المعروف بالمراغة والموضع المعروف بغيط الجرف الى موردة الحلفاء فضاء لا يصل اليه ماء النيل البتة فأحب السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب أن يدير سورا يجمع فيه القاهرة ومصر وقلعة الجبل فزاد فى سور القاهرة على يد قراقوش من باب القنطرة الى باب الشعرية والى باب البحر يريد أن يمد السور من باب البحر الى الكوم الاحمر الذى هو اليوم حافة خليج مصر تجاه خط بين الزقاقين ليصل ايضا من الكوم الاحمر الى باب مصر هذا فلم يتهيأ له هذا وانقطع السور من عند جامع المقس وزاد فى سور القاهرة أيضا من باب النصر الى قلعة الجبل فلم يكمل له ومد السور من قلعة الجبل الى باب القنطرة خارج مصر فصار هذا الباب غير متصل بالسور *(باب القنطرة)* هذا الباب فى قبلى مدينة مصر عرف بقنطرة بنى وائل التى كانت هنالك وهو أيضا من بناء قراقوش

(ذكر القاهرة قاهرة المعز لدين الله)

اعلم أن القاهرة المعزية رابع موضع انتقل سرير السلطنة اليه من أرض مصر فى الدولة الاسلامية وذلك أن الامارة كانت بمدينة الفسطاط ثم صار محلها العسكر خارج الفسطاط فلما عمرت القطائع صارت دار الامارة الى أن خربت فسكن الامراء بالعسكر الى أن قدم القائد جوهر بعساكر مولاه الامام المعز لدين الله معد فبنى القاهرة حصنا ومعقلا بين يدى المدينة وصارت القاهرة دار خلافة ينزلها الخليفة بحرمه وخواصه الى أن انقرضت الدولة الفاطمية فسكنها من بعدهم السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب وابنه الملك العزيز عثمان وابنه الملك المنصور محمد ثم الملك العادل ابوبكر بن ايوب وابنه الملك الكامل محمد وانتقل من القاهرة الى قلعة الجبل فسكنها بحرمه وخواصه وسكنها الملوك من بعده الى يومنا هذا فصارت القاهرة مدينة سكنى بعد ما كانت حصنا يعتقل به ودار خلافة يلتجأ اليها فهانت بعد العز وابتذلت بعد الاحترام وهذا شأن الملوك مازالوا يطمسون آثار من قبلهم ويميتون ذكر أعدائهم فقد هدموا بذلك السبب اكثر المدن والحصون وكذلك كانوا أيام العجم وفى جاهلية العرب وهم على ذلك فى أيام الاسلام فقد هدم عثمان بن عفان صومعة غمدان وهدم الآطام التى كانت بالمدينة وقد هدم زياد كل قصر ومصنع كان لابن عامر وقد هدم بنو العباس مدن الشام لبنى مروان (واذا تأملت البقاع وجدتها * تشقى كما تشقى الرجال وتسعد) وسيأتى من أخبار القاهرة والكلام على خططها وآثارها ما تنتهى اليه قدرتى ويصل الى معرفته علمى وفوق كل ذى علم عليم

(ذكر ما قيل فى نسب الخلفاء الفاطميين بناة القاهرة)

اعلم أن القوم كانوا ينتسبون الى الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما والناس فريقان فى امرهم فريق يثبت صحة ذلك وفريق يمنعه وينفيهم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويزعم انهم أدعياء من ولد ديصان البونى الذى ينسب اليه الثنوية وان ديصان كان له ابن اسمه ميمون القداح كان له مذهب فى الغلو فولد ميمون عبد الله وكان عبد الله عالما بجميع الشرائع والسنن والمذاهب وانه رتب سبع دعوات يتدرج الانسان فيها حتى ينحل عن الاديان كلها ويصير معطلا اباحيا لا يرجو ثوابا ولا يخاف عقابا ويرى انه وأهل نحلته على هدى وجميع من خالفهم اهل ضلالة وانه قصد بذلك أن يجعل له أتباعا وكان يدعو الى الامام من آل البيت محمد بن اسمعيل بن جعفر الصادق وانه كان من الاهواز واشتهر بالعلم والتشيع وصار له دعاة وقصد بالمكروه ففر الى البصرة فاشتهر أمره وسار منها الى سلمية من أرض الشام فولد له ابن بها اسمه احمد ومات فقام من بعده أحمد وبعث بالحسين الاهوازى داعية الى العراق فلقى أحمد بن الاشعث المعروف بقرمط فى سواد الكوفة ودعاه الى مذهبه فأجابه وقام هنالك بالامر والى قرمط هذا تنسب القرامطة وولد لاحمد بن عبد الله بن ميمون القداح الحسين ومحمد المعروف بأبى الشعلع فلما مات احمد خلفه ابنه الحسين فى الدعوة حتى مات فقام من بعده أخوه ابو الشعلع وكان لاحمد بن عبد الله ولد اسمه سعيد فصار تحت حجر عمه وبعث ابو الشعلع بداعيين الى المغرب وهما ابو عبد الله وأخوه ابو العباس فنزلا فى البربر ودعوها واشتهر سعيد بسلمية بعد موت عمه وكثر ماله فطلبه السلطان ففر من سلمية الى مصر يريد المغرب وكان على مصر عيسى النوشرى فورد عليه كتاب الخليفة ببغداد بالقبض عليه ففاته وصار بسلجماسة فى زى التجار فبعث المعتضد من بغداد فى طلبه فأخذ وحبس حتى اخرجه ابو عبد الله الشيعى من محبسه فتسمى حينئذ بعبيد الله وتكنى بأبى محمد وتلقب بالمهدى وصار اماما علويا من ولد محمد بن جعفر الصادق وانما هو سعيد بن الحسين بن احمد بن عبد الله بن ميمون القداح بن ديصان البونى الاهوازى وأصله من المجوس فهذا قول من ينكر نسبهم وبعض منكرى نسبهم فى العلوية يقول ان عبيد الله من اليهود وان الحسين بن احمد المذكور تزوج امرأة يهودية من نساء سلمية كان لها ابن من يهودى حداد مات وتركه لها فرباه الحسين وأدبه وعلمه ثم مات عن غير ولد فعهد الى ابن امرأته هذا فكان هو عبيد الله المهدى وهذه أقوال ان أنصفت تبين لك انها موضوعة فان بنى على بن ابى طالب رضى الله عنه قد كانوا اذ ذاك على غاية من وفور العدد وجلالة القدر عند الشيعة فما الحامل لشيعتهم على الاعراض عنهم والدعاء لابن مجوسى اولابن

يهودى" فهذا مما لا يفعله أحد ولو بلغ الغاية فى الجهل والسخف وانما جاء ذلك من قبل ضعفة خلفاء بنى العباس عنـدما غصوا بمكان الفـاطميين فانهم كانوا قد اتصلت دولتهم نحوا من مائتين وسـبعين سـنة وملكوا من بنى العبـاس بلاد المغرب ومصر والشـام وديار بكر والحرمين واليمن وخطب لهم ببغداد نحو أربعين خطبة وعجزت عساكر بنى العباس عن مقـاومتهم فلاذت حينئذ بتنفير الكافة عنهم باشاعة الطعن فى نسبهم وبث ذلك عنهم خلفاؤهـم وأعجب به أولياؤهـم وأمراء دولتهم الذين كانوا يحـاربون عساكر الفاطميين كى يدفعوا بذلك عن انفسهم وسلطانهـم معرة العجز عن مقـاومتهم ودفعهم عما غلبوا عليه من ديار مصر والشام والحرمين حتى اشتهر ذلك ببغداد وأسجل القضاة بنفيهم من نسب العلويين وشهد بذلك من أعلام النـاس جماعة منهم الشريفـان الرضى والمرتضى وابو حامد الاسفراينى" والقدورى" فى عدّة وافرة عند ما جمعوا لذلك فى سنة اثنتين وأربعـمائة أيام القادر وكانت شهادة القوم فى ذلك على السماع لما اشتهر وعرف بين الناس ببغداد وأهلها انما هم شيعة بنى العباس الطاعنون فى هذا النسـب والمتطيرون من بنى على" بن أبى طـالب الفـاعلون فيهم منذ ابتـداء دولتهم الافاعيل القبيحة فنقل الاخباريون وأهل التاريخ ذلك كما سمعوه ورووه حسب ما تلقوه من غير تدبر والحق من وراء هـذا وكفاك بكتاب المعتضد من خلائف بنى العباس حجة فانه كتب فى شأن عبيد الله الى ابن الاغلب بالقيروان وابن مدرار بسجلماسة بالقبض على عبيد الله فتفطن اعزك الله لصحة هـذا الشاهد فان المعتضد لولا صحة نسب عبيد الله عنده ما كتب لمن ذكرنا بالقبض عليه اذ القوم حينئذ لا يدعون لدعى" البتة ولا يذعنون له بوجه وانما ينقادون لمن كان علويا فخاف مما وقع ولو كان عنده من الادعياء لما مرّ له بفكر ولا خافه على ضيعة من ضيـاع الارض وانما كان القوم أعنى بنى على" بن أبى طالب تحت ترقب الخوف من بنى العباس لتطلبهم لهم فى كل وقت وقصدهم اياهم دائما بأنواع من العقاب فصاروا ما بين طريد شريد وبين خائف يترقب ومع ذلك فان لشيعتهم الكثيرة المنتشرة فى اقطارهم من المحبة لهم والاقبال عليهم ما لا مزيد عليه وتكرر قيام الرجال منهم مرّة بعد مرّة والطلب عليهم من ورائهم فلاذوا بالاختفاء ولم يكادوا يعرفون حتى تسمى محمد بن اسمعيل الامام جد عبيد الله المهدى" بالمكتوم سماه بذلك الشيعة عند اتفاقهم على اخفائه حذرا من المتغلبين عليهم وكانت الشيعة فرقا فانهم من كان يذهب الى أن الامام من ولد جعفر الصادق هو اسمعيل ابنه وهؤلاء يعرفون من بين فرق الشيعة بالاسماعيلية من أجل انهم يرون أن الامام من بعـد جعفر ابنه اسماعيل وأن الامام بعـد اسماعيل بن جعفر الصادق هو ابنه محمد المكتوم وبعد ابنه محمد المكتوم ابنه جعفر الصادق ومن بعد جعفر الصادق ابنه محمد الحبيب وكانوا اهل غلوّ فى دعاويهم فى هؤلاء الائمة وكان محمـد بن جعفر هذا يؤمّل ظهوره وأنه يصير له دولة وكان باليمن من اهل هذا المذهب كثير بعدن وبافريقية وفى كتامة ونفره تلقوا ذلك من عهد جعفر الصادق فقدم على محمد بن جعفر والد عبيد الله رجل من شيعته باليمن فبعث معه الحسن بن حوشب فى سنة ثمان وستين ومائتين فأظهرا أمرهما باليمن وأشهرا الدعوة فى سـنة سبعين وصار لابن حوشـب دولة بصـنعاء وبث الدعاة بأقطار الارض وكان من جمـلة دعاته ابو عبـد الله الشـيعى" فسـيره الى المغرب فلقى كتامة ودعاهم فلما مات محمد بن جعفر عهد لابنه عبيد الله فطلبه المكتفى العباسى" وكان يسكن عسكر مكرم فسار الى الشام ثم سار الى المغرب فكان من أمره ما كان وكانت رجال هـذه الدولة الذين قاموا ببلاد المغرب وديار مصر عشر رجلا هذه خلاصة أخبارهم فى انسابهم فتفطن ولا تغترّ بزخرف القول الذى لفقوه من الطعن فيهم والله يهدى من يشاء

هكذا بياض بالاصل ولعله اربعة عشر رجلا كما يؤخذ من بعض التواريخ اهـ

(ذكر الخلفاء الفاطميين)

وكان ابتداء الدولة الفاطمية أن أبا عبد الله الحسين بن احمد بن محمد بن زكرياء الشـيعى" سار الى أبى القسم الحسين ابن فرج بن حوشب الكوفى" القائم ببلاد اليمن وصار من كبار أصحابه وله علم وعنده دهاء ومكر فورد على ابن حوشب من المغرب خبر موت الحلوانى" داعيه فى المغرب ورفيقه فقال لابى عبد الله الشيعى" قد خرب الحلوانى" وابو يوسف بلاد المغرب وقد ماتا وليس للبلاد الا أنت فانها موطأة ممهدة فخرج ابو عبد الله الى مكة وقصد حجاج كتامة فجلس قريبا منهم وسمعهم يتحـدثون بفضائل البيت فحدثهـم فى معناه فمالوا اليه وسألوه أن يأذن لهـم فى زيارته فلما زاروه سألوه عن مقصده فلم يخبرهم وأوهـمهم أنه يريد مصر فسرّوا بصحبته ورحلوا وهو رفيقهم

فشاهدوا من عبادته وزهده مازادهم رغبة فيه هذا وهو يسألهم عن احوالهم وقبائلهم حتى صار يعرف جميع امورهم فلما وصلوا مصر همّ بفارقتهم فقالوا اى شئ تطلب من مصر فقال أطلب التعليم بها فقالوا اذا كان قصدك هذا فبلادنا أنفع لك ومازالوا به حتى سار معهم فلما وصلوا بلادهم اقترعوا فيمن يضيفه منهم ومن بقية اصحابهم ووصلوا به أرض كتامة للنصف من ربيع الاول سنة ثمان وثمانين ومائتين وكادوا يحتربون عليه أيهم ينزل عنده فأبى أن ينزل عندهم وقال اين يكون فج الاخيار فعجبوا لذلك اذلم يكونوا ذكروه له قط فدلوه عليه فسار اليه وقال هذا فج الاخيار وماسمى الابكم ولقد جاء فى الآثار للمهدى هجرة عن الاوطان ينصره فيها الاخيار من اهل ذلك الزمان قوم اسمهم مشتق من الكتمان وبخروجكم فى هذا الفج سمى فج الاخيار فتسامعت به القبائل وأتوه فعظم أمره وهو لايذكر اسم المهدى البتة فبلغ خبره ابراهيم بن احمد بن الاغلب أمير افريقية فبعث يسأل عن خبره وكانت له معه قصص آلت الى قيام ابى عبد الله ومحاربته لمن خالفه فظفر بهم وصارت اليه اموالهم وغلب على مدائن وهزم جيوش ابن الاغلب وقتل كثيرا من اصحابه فمات ابراهيم بن الاغلب وولى زيادة الله بن الاغلب وكان كثير اللهو فقوى أمر أبى عبد الله وانتشرت جنوده فى البلاد وصار يقول المهدى يخرج فى هذه الايام ويملك الارض فياطوبى لمن هاجر الى وأطاعنى ويغرى الناس بزيادة الله بن الاغلب ويعيبه وكان اكثر خواص زيادة الله شيعة فلم يكن يسوءهم ظفر أبى عبد الله واكثر من ذكر كرامات المهدى والارسال الى اصحاب زيادة الله الى أن تمكن فبعث برجال من كتامة الى سلمية من أرض الشام فقدموا على عبيد الله وأخبروه بما فتح الله عليه وكان قد اشتهر هنالك وطلبه الخليفة المكتفى فخرج من سلمية فارا ومعه ابنه ابو القاسم نزار ومعهما اهلهما ومواليهما فأقاما بمصر مستترين فوردت على عيسى النوشرى أمير مصر الكتب من بغداد بصفة عبيد الله وحليته وانه يأخذ عليه الطريق ويقبضه فبلغ ذلك عبيد الله فخرج والاعوان فى طلبه ويقال ان النوشرى ظفر به فناشده الله فى امره فخلى عنه ووصله فسار الى طرابلس وقد سبق خبره الى زيادة الله فسار الى قسطيلية فقدم كتاب زيادة الله بن الاغلب الى عامل طرابلس بأخذ عبيد الله وقد فاتهم فلم يدركوه فرحل الى سلجماسة وأقام بها وقد اقيمت له المراصد بالطرقات فتلطف باليسع بن مدرار صاحب سلجماسة وأهدى اليه فكف عنه ووافاه كتاب زيادة الله بالقبض على عبيد الله فلم يجد بدا من أن قبض عليه وسجنه واشتغل زيادة الله بجمع العساكر لمحاربة ابى عبد الله وتجهيزهم اليه فغلبهم ابو عبد الله وغنم سائر مامعهم وقتل اكثرهم وبلغه ماكان من سجن عبيد الله فكتب اليه يبشره فوصل اليه الكتاب وهو بالسجن مع قصاب دخل به اليه وهو يبيع اللحم ومازال ابو عبد الله يضايق زيادة الله الى أن فرّ الى مصر وقام من بعده ابراهيم بن الاغلب فلم يتم له امر وملك ابو عبد الله القيروان ونزل برقادة مستهل رجب سنة ست وتسعين ومائتين فأمر ونهى وبث العمال فى الاعمال وقتل من يخاف شره وأمر فنقش على السكة فى أحد الوجهين بلغت حجة الله وفى الآخر تفرق أعداء الله ونقش على السلاح عدة فى سبيل الله ووسم الخيل على أفخاذها الملك لله وأقام على ماكان عليه من لبس الخشن الدون وتناول القليل الغليظ من الطعام فلما دخل شهر رمضان سار من رقادة فى جيوش عظيمة اهتزلها المغرب بأسره يريد سلجماسة فحاربه اليسع يوما كاملا الى الليل ثم فرّ فى خاصته فدخل ابو عبد الله من الغد الى البلد وأخرج عبيد الله وابنه ومشى فى ركابهما بجميع رؤساء القبائل وهو يقول للناس هذا مولاكم وهو يبكى من شدة الفرح حتى وصل بهما الى فسطاط ضرب به فى العسكر فأنزلهما فيه وبعث الخيل فى طلب اليسع فأدركته وجاءت به فقتله وأقام عبيد الله بسلجماسة أربعين يوما ثم سار الى افريقية فى ربيع الآخر سنة سبع وتسعين ونزل برقادة وأمر يوم الجمعة أن يذكر فى الخطبة وتلقب بالمهدى أمير المؤمنين فدعى له فى جميع البلاد بذلك وجلس بعد الصلاة الدعاة ودعوا الناس كافة الى مذهبهم فمن أجاب قبل منه ومن أبى قتل وعرض جوارى زيادة الله واختار منهن لنفسه ولولده وفرق مابقى على وجوه كتامة وقسم عليهم أعمال افريقية ودوّن الدواوين وجبى الاموال ودانت له البلاد فشق ذلك على أبى عبد الله ونافس المهدى وحسده من اجل انه كف يده ويد أخيه أبى العباس فعظم عليه الفطام عن الامر والنهى والاخذ والعطاء وأقبل ابو العباس يزرى على المهدى فى مجلس أخيه ويؤنب اخاه على مافعل حتى أثر فى نفسه فسأل المهدى أن يفوض اليه الامور ويجلس فى القصر وكان قد بلغ المهدى مايجهر به ابو العباس

من السوء فى حقه فردّ أبا عبد الله ردّا لطيفا وأسرّها فى نفسه وأكثر أبو العباس من قوله حتى أغرى المتقدمين بالمهدى وقال ماهذا بالذى كنا نعتقد طاعته وندعوا اليه لان المهدى يأتى بالآيات الباهرة فمال اليه جماعة وواجه بعضهم المهدى بذلك وقال له ان كنت المهدى فأظهر لنا آية فقد شككنا فيك فبعد مابين المهدى وبين ابى عبد الله وأوجس كل منهما فى نفسه خيفة من الآخر وأخذ ابو العباس يدبر فى قتل المهدى والمهدى يحل ما كان يبرمه ثم رتب رجالا فلما ركب ابو عبد الله وأخوه الى قصر المهدى ثار بهما الرجال فقال ابو عبد الله لا تفعلوا فقالوا له ان الذى امرتنا بطاعته امرنا بقتلك فقتل هو وأخوه للنصف من جمادى الآخرة سنة ثمان وتسعين ومائتين بمدينة رقادة فثارت فتنة بسبب قتلهما فركب المهدى حتى سكنت وتتبع جماعة منهم فقتلهم فلما استقام له الامر عهد الى ابنه أبى القاسم وتتبع بنى الاغلب فقتل منهم جماعة وجهز فى سنة احدى وثلثمائة ابنه أبا القاسم بالعساكر الى مصر فأخذ برقة والاسكندرية والفيوم وكانت له مع عساكر مصر وعساكر العراق الواردة الى مصر مع مؤنس الخادم عدّة حروب وعاد الى الغرب فجهز المهدى فى سنة اثنتين وثلثمائة حباسة بجيوش الى مصر فغلب على الاسكندرية وكان من امره ما تقدم ذكره وكان للمهدى ببلاد المغرب عدّة حروب وكان يوجد فى الكتب خروج أبى يزيد النكارى على دولته فبنى المهدية وأدار عليها سورا جعل فيه ابوابا زنة كل مصراع منها مائة قنطار من حديد وكان ابتداء بنائها فى ذى القعدة سنة ثلاث وثلثمائة وبنى المصلى بظاهرها وقال الى هنا يصل صاحب الحمار يعنى أبا يزيد فكان كذلك وأنشأ صناعة فيها تسعمائة شونة وقال انما بنيت هذه لتعتصم الفواطم بها ساعة من نهار فكان كذلك ثم انه جهز ابنه أبا القاسم فى سنة ست وثلثمائة على جيش الى مصر فأخذ الاسكندرية وملك جزيرة الاشمونين وكثيرا من صعيد مصر وكانت هنالك حروب مع عساكر مصر والعراق ثم عاد الى المغرب وخرج ابو القاسم فى سنة خمس عشرة بالجيوش الى المغرب فحارب قوما وعاد فمات عبيد الله فى ليلة الثلاثاء منتصف شهر ربيع الاول سنة اثنتين وعشرين وثلثمائة بالمهدية من القيروان عن ثلاث وستين سنة وكانت خلافته اربعا وعشرين سنة وشهرا وعشرين يوما ولما مات اخفى ابنه موته وقام من بعد عبيد الله المهدى ولى عهده (القائم بأمر الله ابو القاسم محمد) * ويقال كان اسمه بالمشرق عبد الرحمن فتسمى فى بلاد المغرب بمحمد وذلك بسلمية فى المحرّم سنة ثمانين ومائتين فلما فرغ من جميع ما يريده وتمكن اظهر موت ابيه واستقل بالامر وله سبع واربعون سنة وتبع سيرة أبيه وثار عليه جماعة فظفر بهم وبث جيوشه فى البر والبحر فسبوا وغنموا من بلد جنوة وبعث جيشا الى مصر فملكوا الاسكندرية والاخشيد يومئذ امير مصر فلما كان فى سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة خرج عليه أبو يزيد مخلد بن كندار النكارى الخارجى بأفريقية واشتدت شوكته وكثرت أتباعه وهزم جيوش القائم غير مرّة وكان مذهبه تكفير أهل الملة واراقة دمائهم ديانة فملك باجة وحرّقها وقتل الاطفال وسبى النسوان ثم ملك القيروان فاضطرب القائم وخاف الناس وهموا بالنقلة من زويلة وقوى أمر ابى يزيد ونازل المهدية وحصر القائم بها وكاد أن يغلب عليها فلما بلغ المصلى حيث أشار المهدى أنه يصل هزمه اصحاب القائم وقتلوا كثيرا من أصحابه وكانت له قصص وأنباء الى أن مات القائم لثلاث عشرة خلت من شوّال سنة اربع وثلاثين وثلثمائة عن أربع وخمسين سنة وتسعة أشهر ولم يرق منبرا ولا ركب دابة لصيد مدّة خلافته حتى مات وصلى مرّة على جنازة وصلى بالناس العيد مرّة واحدة وكانت مدّة خلافته اثنتى عشرة سنة وستة أشهر وأياما وترك ابا الظاهر اسمعيل وأبا عبد الله جعفرا وحمزة وعدنان وعدّة أخر وقام من بعده ابنه * (المنصور بنصر الله ابو الظاهر اسمعيل) * وكتم موت أبيه خوفا أن يعلم ابو يزيد فانه كان قريبا منه وأبقى الامور على حالها ولم يتسم بالخليفة ولا غير السكة ولا الخطبة ولا البنود وجدّ فى حرب أبى يزيد حتى ظفر به وحمل اليه فمات من جراحات كانت به سلخ المحرّم سنة ست وثلاثين وثلثمائة ولم يزل المنصور الى أن مات سلخ شوّال سنة احدى واربعين وثلثمائة عن احدى وأربعين سنة وخمسة أشهر وكانت مدّة خلافته ثمان سنين وقيل سبع سنين وعشرة أيام وقد اختلف فى تاريخ ولادته فقيل ولد أوّل ليلة من جمادى الآخرة سنة ثلاث وثلثمائة بالمهدية وقيل بل ولد فى سنة اثنتين وقيل سنة احدى وثلثمائة وكان خطيبا بليغا يرتجل الخطبة لوقته شجاعا عاقلا وقام من بعده ابنه * (المعز لدين الله ابو تميم معدّ) * وعمره نحو أربع وعشرين سنة فانه ولد للنصف من رمضان سنة سبع

عشرة وثلثمائة فانقاد اليه البربر وأحسن اليهم فعظم أمره واختص من مواليه بجوهر وكناه بأبي الحسين وأعلى قدره وصيره في رتبة الوزارة وعقد له على جيش كثيف فيهم الامير زيري بن مناد الصنهاجي فدوّخ المغرب وافتتح مدنا وقهر عدة أكابر وأسرهم حتى انتهى الى البحر المحيط فأمر باصطياد سمكة منه وسيرها في قلة من ماء الى المعز اشارة الى أنه ملك حتى سكان البحر المحيط الذي لا عمارة بعده ثم قدم غانما مظفرا فعظم قدره عند المعز ولما كان في بعض الايام استدعى المعز في يوم شات عدة من شيوخ كتامة فدخلوا عليه في مجلس قد فرش باللبود وحوله كساء وعليه جبة وحوله ابواب مفتحة تفضي الى خزائن كتب وبين يديه دواة وكتب فقال يا اخواننا أصبحت اليوم في مثل هذا الشتاء والبرد فقلت لام الامراء وانها الآن بحيث تسمع كلامي أترى اخواننا يظنون انا في مثل هذا اليوم نأكل ونشرب ونتقلب في المثقل والديباج والحرير والفنك والسمور والمسك والخمر والقيناء كما يفعل أرباب الدنيا ثم رأيت أن أنفذ اليكم فأحضرتكم لتشاهدوا حالى اذا خلوت دونكم واحتجبت عنكم واني لا افضلكم في احوالكم الا بما لا بد لي منه من دنياكم وبما خصني الله به من امامتكم واني مشغول بكتب ترد علىّ من المشرق والمغرب اجيب عنها بخطي واني لا اشتغل بشيء من ملاذ الدنيا الا بما يصون أرواحكم ويعمر بلادكم ويذل اعداءكم ويقمع اضدادكم فافعلوا يا شيوخ في خلواتكم مثل ما افعله ولا تظهروا التكبر والتجبر فينزع الله النعمة عنكم وينقلها الى غيركم وتحننوا على من وراءكم ممن لا يصل الىّ كتحنني عليكم ليتصل في الناس الجميل ويكثر الخير وينتشر العدل وأقبلوا بعدها على نسائكم والزموا الواحدة التي تكون لكم ولا تشرهوا الى التكثر منهن والرغبة فيهن فيتنغص عيشكم وتعود المضرة عليكم وتنهكوا أبدانكم وتذهب قوتكم وتضعف غرائزكم فحسب الرجل الواحد الواحدة ونحن محتاجون الى نصرتكم بأبدانكم وعقولكم واعلموا أنكم اذا لزمتم ما آمركم به رجوت أن يقرب الله علينا امر المشرق كما قرب امر المغرب بكم انهضوا رحمكم الله ونصركم فخرجوا عنه واستدعى يوما أبا جعفر حسين بن مهذب صاحب بيت المال وهو في وسط القصر قد جلس على صندوق وبين يديه ألوف صناديق مبددة فقال له هذه صناديق مال وقد شذ عني ترتيبها فانظرها ورتبها قال فأخذت اجمعها الى أن صارت مرتبة وبين يديه جماعة من خدام بيت المال والفراشين فأنفذت اليه أعلمه فأمر برفعها في الخزائن على ترتيبها وأن يغلق عليها ويختم بخاتمه وقال قد خرجت عن خاتمنا وصارت اليك فكانت جملتها أربعة وعشرين ألف ألف دينار وذلك في سنة سبع وخمسين وثلثمائة فأنفقها أجمع على العساكر التي سيرها الى مصر من سنة ثمان وخمسين الى سنة اثنتين وستين وثلثمائة * ولما أخذ في تجهيز جوهر بالعساكر الى أخذ ديار مصر حتى تهيأ أمره وبرز للمسير بعث المعز خفيفا الصقلي الى شيوخ كتامة يقول يا اخواننا قد رأينا أن ننفذ رجالا الى البلدان كتامة يقومون بينهم ويأخذون صدقاتهم ومراعيهم ويحفظونها عليهم في بلادهم فاذا احتجنا اليها انفذنا خلفها فاستعنا بها على ما نحن بسبيله فقال بعض شيوخهم لخفيف لما بلغه ذلك قل لمولانا والله لا فعلنا هذا أبدا كيف تؤدي كتامة الجزية ويصير عليها في الديوان ضريبة وقد أعزها الله قديما بالاسلام وحديثا معكم بالايمان وسيوفنا بطاعتكم في المشرق والمغرب فعاد خفيف الى المعز بذلك فأمر باحضار جماعة كتامة فدخلوا عليه وهو راكب فرسه فقال ما هذا الجواب الذي صدر عنكم فقالوا هذا جواب جماعتنا ما كان مولانا الذي يؤدي جزية تبقى علينا فقام المعز في ركابه وقال بارك الله فيكم فهكذا اريد أن تكونوا وانما أردت أن اختبركم فأنظر كيف أنتم بعدي فسار جوهر وأخذ مصر كما قد ذكر في ترجمته عند ذكر سور القاهرة من هذا الكتاب * فلما ثبتت قدم جوهر بمصر كتب اليه المعز جوابا عن كتابه وأما ما ذكرت يا جوهر من أن جماعة بني حمدان وصلت اليك كتبهم يبذلون الطاعة ويعدون بالمسارعة في المسير اليك فاسمع لما اذكره لك احذر أن تبتدئ احدا من آل حمدان بمكاتبة ترهيبا له ولا ترغيبا ومن كتب اليك كتابا منهم فأجبه بالحسن الجميل ولا تستدعه اليك ومن ورد اليك منهم فأحسن اليه ولا تمكن احدا منهم من قيادة جيش ولا ملك طرف فبنو حمدان يتظاهرون بثلاثة أشياء عليها مدار العالم وليس لهم فيها نصيب يتظاهرون بالدين وليس لهم فيه نصيب ويتظاهرون بالكرم وليس لواحد منهم كرم في الله ويتظاهرون بالشجاعة وشجاعتهم للدنيا لا للآخرة فاحذر كل الحذر من الاستناد الى أحد منهم * ولما عزم المعز على المسير الى مصر أجال فكره فيمن يخلفه في بلاد المغرب فوقع اختياره على جعفر بن علي الامير فاستدعاه وأسرّ اليه أنه يريد استخلافه بالمغرب

فقال

فقال تترك معى أحد أولادك اواخوتك يجلس فى القصر وأنا ادبر ولا تسألنى عن شئ من الاموال لانّ ما أجبيه يكون بازاء ما انفقه من الاموال واذا أردت امرا فعلته من غير أن أنتظر ورود أمرك فيه لبعد ما بين مصر والمغرب ويكون تقليد القضاء والخراج وغيره الىّ فغضب المعز وقال يا جعفر عزلتنى عن ملكى وأردت أن تجعل لى فيه شريكا فى امرى واستبددت بالاعمال والاموال دونى قم فقد أخطأت حظك وما اصبت رشدك فخرج عنه ثم انه استدعى يوسف بن زيرى الصنهاجىّ وقال له تأهب لخلافة المغرب فأكبر ذلك وقال يا مولانا أنت وآباؤك الائمة من ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صفا لكم المغرب فكيف يصفو لى وأنا صنهاجىّ بربرى قتلتنى يا مولانا بغير سيف ولا رمح فما زال به المعز حتى اجاب بشريطة أنّ المعز يولى القضاء والخراج لمن يراه ويختاره ويجعل الخبر لمن يثق به ويجعله قائما بين ايدى هؤلاء فمن استعصى عليهم يأمره هؤلاء به حتى يعمل به ما يجب ويكون الامر لهم ويصير كالخادم بين اوائك فأحب المعز ما قال وشكره فلما انصرف قال ابو طالب بن القائم بأمر الله للمعز يا مولانا وتثق بهذا القول من يوسف وانه يقوم بوفاء ما ذكر فقال المعز يا عمنا كم بين قول يوسف وقول جعفر فاعلم يا عمّ أنّ الامر الذى طلبه جعفر ابتداء هو آخر ما يصير اليه امر يوسف واذا تطاولت المدّة سينفرد بالامر ولكن هذا أولا احسن وأجود عند ذوى العقل وهو نهاية ما يفعله وكانت أم الامراء قد وجهت من المغرب صبية لتباع بمصر فعرضها وكيلها فى مصر للبيع وطلب فيها ألف دينار فحضر اليه فى بعض الايام امرأة شابة على حمار لتقلب الصبية فساومته فيها وابتاعتها منه بستمائة دينار فاذا هى ابنة الاخشيد محمد بن طغج وقد بلغها خبر هذه الصبية فلما رأتها شغفتها حبا فاشترتها لتستمتع بها فعاد الوكيل الى المغرب وحدّث المعز بذلك فأحضر الشيوخ وأمر الوكيل فقص عليهم خبر ابنة الاخشيد مع الصبية الى آخره فقال المعز يا اخواننا انهضوا الى مصر فلن يحول بينكم وبينها شئ فانّ القوم قد بلغ بهم الترف الى أن صارت امرأة من بنات الملوك فيهم تخرج بنفسها وتشترى جارية لتتمتع بها وما هذا الا من ضعف نفوس رجالهم وذهاب غيرتهم فانهضوا المسيرنا اليهم فقالوا السمع والطاعة فقال خذوا فى حوائجكم فنحن نقدّم الاختيار لمسيرنا ان شاء الله تعالى وكان قيصر ومظفر الصقلبيان قد بلغا رتبة عظيمة عند المنصور والد المعز وكان المظفر يدل على المعز من اجل أنه علمه الخط فى صغره فحرد عليه مرّة وولى فسمعه المعز يتكلم بكلمة صقلبية استراب منها واقنها منه وأنفت نفسه من السؤال عن معناها فأخذ يحفظ اللغات فابتدأ بتعلم اللغة البربرية حتى احكمها ثم تعلم الرومية والسودانية حتى اتقنهما ثم أخذ يتعلم الصقلبية فمرّت به تلك الكلمة فاذا هى سب قبيح فأمر بمظفر فقتل من اجل تلك الكلمة وبلغه امر الحرب التى كانت بين بنى حسن وبنى جعفر بالحجاز حتى قتل من بنى حسن اكثر ممن قتل من بنى جعفر فأنفذ مالا ورجالا فى السرّ مازالوا بالطائفتين حتى اصطلحتا وتحمل الرجال عن كل منهما الجمالات لجاء الفاضل فى القتلى لبنى حسن عند بنى جعفر نحو سبعين قتيلا فأدّوا عنهم وعقدوا بينهم الصلح فى الحرم تجاه الكعبة وتحملوا عنهم الديات من مال المعز وكان ذلك فى سنة ثمان وأربعين وثلثمائة فصارت هذه الفعلة يدا عند بنى حسن للمعز فلما ملك جوهر مصر بادر حسن بن جعفر الحسنىّ بالدعاء للمعز فى مكة وبعث الى جوهر بالخبر فسير الى المعز يعرّفه باقامة الدعوة له بمكة فأنفذ اليه بتقليده الحرم وأعماله وسار المعز بعساكره من المغرب حتى نزل بالجيزة فعقد له جوهر جسرا جديدا عند المختار بالجزيرة فسار عليه وقد زينت له مدينة الفسطاط فلم يشقها ودخل الى القاهرة بجميع أولاده واخوته وسائر اولاد عبيد الله المهدىّ وبتوابيت آبائه وذلك لسبع خلون من رمضان سنة اثنتين وستين وثلثمائة فعند ما دخل القصر صلى ركعتين فاقتدى به من حضر وبات به ثم اصبح فجلس للهناء وأمر فكتب فى سائر مدينة مصر خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم امير المؤمنين علىّ بن ابى طالب وأثبت اسم المعز لدين الله واسم أبيه عبيد الله الامير وجلس فى القصر على السرير الذهب وصلى بالناس صلاة عيد الفطر فى المصلى فسبح فى كل ركعة وفى كل سجدة ثلاثين تسبيحة ثم خطب بعد الصلاة وركب لفتح خليج مصر يوم الوفاء وعمل عيد غدير خم ومات بعض بنى عمه فصلى عليه وكبر سبعا وكبر على ميت آخر خمسا وقدمت القرامطة الى مصر فسير اليهم الجيوش وهزموهم ومازال الى أن توفى من علة اعتلها بعد دخوله الى القاهرة بسنتين وسبعة اشهر وعشرة ايام وعمره خمس وأربعون سنة وستة اشهر تقريبا فانّ مولده بالمهدية فى حادى عشر شهر رمضان سنة تسع عشرة وثلثمائة ووفاته بالقاهرة لاربع عشرة خلت من ربيع

الآخر سنة خمس وستين وثلثمائة وكانت مدّة خلافته بالمغرب وديار مصر ثلاثا وعشرين سنة وعشرة ايام وهو أوّل الخلفاء الفاطميين بمصر واليه تنسب القاهرة المعزية لانّ عبده جوهرا القائد بناها حسب ما رسم له كما ذكر في خبر بنائها * وكان المعز عالما فاضلا جوادا حسن السيرة منصفا للرعية مغرما بالنجوم اقيمت له الدعوة بالمغرب كله وديار مصر والشام والحرمين وبعض أعمال العراق * وقام من بعده ابنه (العزيز بالله ابو منصور نزار) * فأقام في الخلافة احدى وعشرين سنة وخمسة اشهر ونصفا ومات وعمره اثنتان وأربعون سنة وثمانية أشهر وأربعة عشر يوما في الثامن والعشرين من رجب سنة ست وثمانين وثلثمائة بمدينة بلبيس وحمل الى القاهرة * وقام من بعده ابنه (الحاكم بأمر الله ابو علي منصور) * وكانت مدّة خلافته الى أن فقد خمسا وعشرين سنة وشهرا وفقد وعمره ست وثلاثون سنة وسبعة أشهر في ليلة السابع والعشرين من شوّال سنة احدى عشرة واربعمائة وقد بسطت خبر العزيز والحاكم عند ذكر الجوامع من هذا الكتاب * وقام من بعده ابنه (الظاهر لاعزاز دين الله ابو الحسن علي) بن الحاكم بأمر الله ولد بالقاهرة يوم الاربعاء لعشر خلون من رمضان سنة خمس وتسعين وثلثمائة وبويع له بالخلافة يوم عيد النحر سنة احدى عشرة وأربعمائة وعمره ست عشرة سنة فخرج الى صلاة العيد وعلى رأسه المظلة وحوله العساكر وصلى بالناس في المصلى وعاد فكتب بخلافته الى الاعمال وشرب الخمور ورخص فيه للناس وفي سماع الغناء وشرب الفقاع وأكل الملوخيا وجميع الاسماك فأقبل الناس على اللهو ووزر له الخطير رئيس الرؤساء ابو الحسن عمار بن محمد وكان يلي ديوان الانشاء وغيره واستوزره الحاكم الى أن فقد فتولى البيعة للظاهر ثم قتل بعد سبعة اشهر في ربيع الاوّل سنة اثنتي عشرة فاستوزر بعده بدر الدولة أبا الفتوح موسى بن الحسين وكان يتولى الشرطة ثم ولي ديوان الانشاء بعد ابن خيران وصرف عن الوزارة في المحرّم سنة ثلاث عشرة وقبض عليه في شوّال وقتل فوجد له من العين ستمائة ألف دينار وعشرون ألف دينار وولي بعده الوزارة الامير شمس الملوك المكين مسعود بن طاهر * وفي سنة أربع عشرة قلد منتخب الدولة الدزبري متولي قيسارية ولاية فلسطين فكانت له مع حسان ابن مفرج بن جراح الطائي حروب وفيها نزع السعر بمصر وتعذر وجود الخبز وفي المحرّم سنة خمس عشرة لقب الخادم الاسود معضاد بالقائد عز الدولة وسنائها ابي الفوارس معضاد الظاهر وخلع عليه وثار رجل من بني الحسين ببلاد الصعيد فقبض عليه وأقرّ أنه قتل الحاكم بأمر الله ووجد معه قطعة من جلد رأسه وقطعة من الفوطة التي كانت عليه فسئل عن سبب قتله اياه فقال غيرة لله وللاسلام ثم قتل نفسه بسكين كانت معه فقطعت رأسه وسيرت الى القاهرة وفيها اشتدّ الغلاء بمصر وكثر نقص النيل * وفيها قرّر الشريف الكبير العجمي والشيخ نجيب الدولة الجرجرائي والشيخ العميد محسن بن بدوس مع القائد معضاد أن لا يدخل على الظاهر أحد غيرهم وكانوا يدخلون كل يوم خلوة ويخرجون فيتصرّفون في سائر أمور الدولة والظاهر مشغول بلذاته وصار شمس الملوك مظفر صاحب المظلة وابن خيران صاحب الانشاء وداعي الدعاة ونقيب نقباء الطالبيين وقاضي القضاة ربما دخلوا على الظاهر في كل عشرين يوما مرّة ومن عداهم لا يصل الى الظاهر البتة والثلاثة الاول هم الذين يقضون الاشغال ويمضون الامور بعد الاجتماع عند القائد معضاد ومنع الناس من ذبح الابقار لقلتها وعزت الاقوات بمصر وقلت البهائم كلها حتى بيع الرأس البقر بخمسين دينارا وكثر الخوف في ظواهر البلد وكثر اضطراب الناس وتحدّث زعماء الدولة بمصادرة التجار فاختلف بعضهم على بعض وكثر ضجيج طوائف العسكر من الفقر والحاجة فلم يجابوا وتحاسد زعماء الدولة فقبض على العميد محسن وضرب عنقه واشتدّ الغلاء وفشت الامراض وكثر الموت في الناس وفقد الحيوان فلم يقدر على دجاجة ولا فروج وعز الماء لقلة الظهر فعمّ البلاء من كل جهة وعرض الناس امتعتهم للبيع فلم يوجد من يشتريها وخرج الحاج فقطع عليهم الطريق بعد رحيلهم من بركة الجب وأخذت اموالهم وقتل منهم كثير وعاد من بقي فلم يحج أحد من اهل مصر وتفاقم الامر في شدّة الغلاء فصاح الناس بالظاهر الجوع الجوع يا أمير المؤمنين لم يصنع بنا هذا ابوك ولا جدّك فالله الله في امرنا وطرقت عساكر ابن جراح الفرما ففرّ اهلها الى القاهرة وأصبح الناس بمصر على اقبح حال من الامراض والموتان وشدّة الغلاء وعدم الاقوات وكثر الخوف من الذعار التي تكبس حتى انه لما عمل سماط عيد النحر بالقصر كبس العبيد على السماط وهم يصيحون الجوع ونهبوا سائر ما كان عليه

ونهبت

ونهبت الارياف وكثر طمع العبيد ونهبهم وجرت امور من العامة قبيحة واحتاج الظاهر الى القرض فحمل بعض اهل الدولة اليه مالا وامتنع آخرون واجتمع نحو الالف عبد لتنهب البلد من الجوع فنودى بأن من تعرض له أحد من العبيد فليقتله وندب جماعة لحفظ البلد واستعد الناس فكانت نهبات بالساحل ووقائع مع العبيد احتاج الناس فيها الى أن خندقوا عليهم خنادق وعملوا الدروب على الازقة والشوارع وخرج معضاد فى عسكر فطردهم وقبض على جماعة منهم ضرب أعناقهم وأخذ العبيد فى طلب الجرجراى وغيره من وجوه الدولة فحرسوا انفسهم وامتنعوا فى دورهم وانقضت السنة والناس فى أنواع من البلاء * وفى سنة ست عشرة امر الظاهر فأخرج من بمصر من الفقهاء المالكية وغيرهم وأمر الدعاة أن يحفظوا الناس كتاب دعائم الاسلام ومختصر الوزير وجعل لمن حفظ ذلك مالا * وفى سنة سبع عشرة ثار بمصر رعاف عظيم بالناس وكثرت زيادة النيل عن العادة وتصدق الظاهر بمائة الف دينار من أجل أنه سقط عن فرسه وسلم * وفى سنة ثمان عشرة وقعت الهدنة مع صاحب الروم وخطب للظاهر فى بلاده وأعاد الجامع بقسطنطينية وعمل فيه مؤذنا فأعاد الظاهر كنيسة قمامة بالقدس وأذن لمن اظهر الاسلام فى أيام الحاكم أن يعود الى النصرانية فرجع اليها كثير منهم وصرف الظاهر وزيره عميد الدولة وناصحها أبا محمد الحسن بن صالح الروذبادى وأقام بدله ابا القاسم على بن احمد الجرجراى * وفى سنة عشرين كانت فتنة بين المغاربة والاتراك قتل فيها كثير * وفى سنة احدى وعشرين بويع لابن الظاهر بولاية العهد وعمره ثمانية اشهر وأنفق على ذلك فى خلع لاهل الدولة وطعام ونثار للعامة ما يجل وصفه * وفى سنة اثنتين وعشرين تحرك السعر لنقص ماء النيل ثم زاد بعد أوانه بأربعة أشهر * وفى سنة ثلاث وعشرين قتل الظاهر أحد الدعاة فاضطربت الرعية والجند وتحدث الناس بخلعه ثم سكنت الفتنة بعد انفاق مال جزيل * وفى سنة أربع وعشرين ركب ولى العهد من القاهرة الى مصر وقد زينت الطرقات فكان اذا امر بقوم قبلوا له الارض ونثر يومئذ على العامة مبلغ خمسة آلاف دينار فكان يوما عظيما * وفى سنة خمس وعشرين بث الظاهر دعاته ببغداد عند اختلاف الاتراك بها فكثرت دعاته هناك واستجاب لهم خلق كثير فلما كان فى سنة ست وعشرين كثر الوباء بمصر ومات الظاهر للنصف من شعبان سنة سبع وعشرين وأربعمائة عن اثنتين وثلاثين سنة الا اياما فكانت مدة خلافته خمس عشرة سنة وثمانية اشهر وأياما وكان مشغوفا باللهو محبا للغناء فتأنق الناس فى ايامه بمصر واتخذوا المغنيات والرقاصات وبلغوا من ذلك مبلغا عظيما واتخذ حجرا لمماليكه وعلمهم انواع العلوم وسائر فنون الحرب واتخذ خزانة البنود وأقام فيها ثلاثة آلاف صانع وراسل الملوك واستكثر من شراء الجواهر وكانت مملكته بافريقية ومصر والشام والحجاز وغلب صالح بن مرداس على حلب فى أيامه واستولى على ما يليها وتغلب حسان بن جراح على اكثر بلاد الشام فتضعضعت الدولة * وقام من بعده ابنه ولى العهد وبويع له وهو (المستنصر بالله ابو تميم معد) * ومولده فى السادس عشر من جمادى الآخرة سنة عشرين واربعمائة وبويع بالخلافة للنصف من شعبان سنة سبع وعشرين وعمره يومئذ سبع سنين فأقام ستين سنة وأشهرا فى الخلافة كانت فيها أنباء وقصص شنيعة بديار مصر منها أن امه كانت امة سوداء لتاجر يهودى يقال له ابو سعد سهل بن هرون التسترى فابتاعها منه الظاهر واستولدها المستنصر فلما أفضت الخلافة اليه استدنت امه أبا سعد ورقته درجة علية وكان الوزير يومئذ ابا القاسم الجرجراى فلم يتمكن ابو سعد من اظهار ما فى نفسه حتى مات الجرجراى وتولى ابو منصور صدقة بن يوسف العلاجى الوزارة فانبسطت يد أبى سعد وصار العلاجى يأتمر بأمره فعمل عليه وقتله كما ذكر فى خبر خزانة البنود فحقدت أم المستنصر على العلاجى وصرفته عن الوزارة واستقر ابو البركات صفى الدين الحسين بن محمد بن احمد الجرجراى فى الوزارة * وفى سنة اربعين سار ناصر الدولة الحسين بن حمدان متولى دمشق بالعساكر الى حلب وحارب متوليها ثمال بن صالح بن مرداس ثم رجع بغير طائل فقلد مظفر الصقلى دمشق وقبض على ابن حمدان وصادره واعتقله بصور ثم بالرملة وخرج امير الامراء رفق الخادم على عسكر تبلغ عدته نحو الثلاثين الفا بلغت النفقة عليه اربعمائة ألف دينار يريد الشام ومحاربة بنى مرداس * وفى المحرم سنة احدى واربعين صرف قاضى القضاة قاسم بن عبد العزيز بن النعمان عن القضاء بعدما باشره ثلاث عشرة سنة وشهرا وأربعة ايام وتقلد وظيفة القضاء بعده القاضى الاجل خطير الملك ابو محمد البازورى * وفيها

حارب رفق بنى مرداس فظفروا به وأسروه فمات بقلعة حلب فأفرج عن ابن حمدان وبقى بالحضرة وقبض على الوزير أبى البركات الجرجرائى ونفى الى الشام وعمل ابو الفضل صاعد بن مسعود واسطة لا وزيرا ثم قلد قاضى القضاة ابو محمد البازورى الوزارة مع وظيفة القضاء ولقب بسيد الوزراء * وفى سنة اثنتين واربعين كانت حروب البحيرة واخراج بنى قرة منها وانزال بنى سنبس بعدهم بها وفيها دعا على بن محمد الصليحى باليمن للمستنصر وبعث اليه بمال النجوة والهدن * وفى سنة أربع واربعين كتب ببغداد محاضر بالقدح فى نسب الخلفاء المصريين ونفيهم من الانتساب الى على بن ابى طالب وسيرت الى الآفاق وقصر مد النيل فتحرك السعر بمصر ثم قصر أيضا مد النيل فى سنة ست وأربعين فقوى الغلاء وكثر الموت فى الناس * وفى سنة ثمان وأربعين خرج ابو الحارث البساسيرى من بغداد منتميا للمستنصر فسيرت اليه الاموال والخلع * وفى سنة ثمان وأربعين عادت حلب الى مملكة المستنصر * وفى سنة خمسين قبض على الوزير الناصر للدين ابى محمد البازورى وتقلد بعده الوزارة ابو الفرج محمد بن جعفر المغربى بن عبد الله بن محمد وولى القضاء بعد البازورى ابو على احمد بن عبد الحكم ثم صرف بعبد الحاكم المليحى وفيها أخذ البساسيرى بغداد وأقام فيها الخطبة للمستنصر وفر الخليفة القائم بأمر الله العباسى الى قريش بن بدران فبعث به الى غانة وسيرت ثياب القائم وعمامته وغير ذلك من الاموال الى مصر وفيها سار ناصر الدولة الى دمشق أميرا عليها * وفى سنة احدى وخمسين اقيمت دعوة المستنصر بالبصرة وواسط وجميع تلك الاعمال فقدم طغربل الى بغداد وأعاد الخليفة القائم بعد ما خطب للمستنصر ببغداد أربعون خطبة وقتل البساسيرى وفيها قطعت خطبة المستنصر أيضا من حلب فسار اليها ابن حمدان وحارب اهلها فانكسر كسرة شديدة شنيعة وعاد الى دمشق وفيها صرف ابو الفرج بن المغربى عن الوزارة وعبد الحاكم عن القضاء وأعيد الى الوزارة ابو الفرج البابلى واستقر فى وظيفة القضاء احمد بن ابى زكرى * وفى سنة ثلاث وخمسين كثر صرف الوزراء والقضاة وولايتهم لكثرة مخالطة الرعاع للخليفة وتقدم الاراذل بحيث كان يصل اليه فى كل يوم ثمانمائة رقعة فيها المرافعات والسعايات فاشتبهت عليه الامور وتناقضت الاحوال ووقع الاختلاف بين عبيد الدولة وضعفت قوى الوزراء عن التدبير لقصر مدة كل منهم وخربت الاعمال وقل ارتفاعها وتغلب الرجال على معظمها مع كثرة النفقات والاستخفاف بالامور وطغيان الاكابر الى أن آل الامر الى حدوث الشدة العظمى كما قد ذكر فى موضعه من هذا الكتاب وكان من قدوم أمير الجيوش بدر الجمالى فى سنة ست وستين وأربعمائة وقيامه بسلطنة مصر ما ذكر فى ترجمته عند ذكر أبواب القاهرة فلم يزل المستنصر مدة أمير الجيوش ملجما عن التصرف الى أن مات فى سنة سبع وثمانين فأقام العسكر من بعده فى الوزارة ابنه الافضل شاهنشاه فباشر الامور يسيرا ومات المستنصر ليلة الخميس لليلتين بقيتا من ذى الحجة سنة سبع وثمانين عن سبع وستين سنة وخمسة اشهر منها فى الخلافة ستون سنة وأربعة اشهر وثلاثة ايام مرت فيها اهوال عظيمة وشدائد آلت به الى أن جلس على نخ وفقد القوت فلم يقدر عليه حتى كانت امرأة من الاشراف تتصدق عليه فى كل يوم بقعب فيه فتيت فلا يأكل سواه مرة فى كل يوم وقد مر فى غير موضع من هذا الكتاب كثير من أخباره فلما مات المستنصر أقام الافضل بن امير الجيوش فى الخلافة من بعده ابنه (المستعلى بالله ابا القاسم احمد) *

وكان مولده فى العشرين من المحرم سنة سبع وستين وأربعمائة فخالف عليه اخوه نزار وفر الى الاسكندرية وكان القائم بالاء وركانها الافضل فحاربه حتى ظفر به وقتله كما تقدم فى خبر أفتكين عند خزائن القصر * وفى سنة تسعين وقع بمصر غلاء ووباء وقطعت الخطبة من دمشق للمستعلى وخطب بها للعباسى وخرج الفرنج من قسطنطينية لأخذ سواحل الشام وغيرها من ايدى المسلمين فملكوا انطاكية * وفى سنة احدى وتسعين خرج الافضل بعسكر عظيم من القاهرة فأخذ بيت المقدس من الارمن وعاد الى القاهرة * وفى سنة اثنتين وتسعين ملك الفرنج الرملة وبيت المقدس فخرج الافضل بالعساكر وسار الى عسقلان فسار اليه الفرنج وقاتلوه وقتلوا كثيرا من اصحابه وغنموا منه شيأ كثيرا وحصروه فنجا بنفسه فى البحر وصار الى القاهرة * وفى سنة ثلاث وتسعين عم الوباء اكثر البلاد فهلك بمصر عالم عظيم * وفى سنة اربع وتسعين خرج عسكر مصر لقتال الفرنج وكانت بينهما حروب كثيرة * وفى سنة خمس وتسعين وأربعمائة مات المستعلى بالله لثلاث عشرة بقيت من صفر وعمره سبع وعشرون سنة وسبعة وعشرون يوما ومدة خلافته سبع سنين وشهران وفى أيامه اختلت الدولة

وانقطعت

وانقطعت الدعوة من اكثر مدن الشام فانها صارت بين الاتراك والفرنج وصارت الاسماعيلية فرقتين فرقة نزارية تطعن في امامة المستعلي وفرقة ترى صحة خلافته ولم يكن للمستعلي مع الافضل امر ولا نهي ولا نفوذ كلمة وقيل انه سم وقيل بل قتل سرا * فلما مات أقام الافضل من بعده في الخلافة ابنه (الآمر بأحكام الله ابا علي منصورا) * وعمره خمس سنين وشهر وايام فقتل الافضل في ايامه واقام في الخلافة تسعا وعشرين سنة وثمانية اشهر ونصفا وقد ذكرت ترجمته عند ذكر الجامع الاقمر في ذكر الجوامع من هذا الكتاب ولما قتل الآمر بأحكام الله اقيم من بعده (الحافظ لدين الله ابو الميمون عبد المجيد) ابن الامير أبي القاسم محمد بن المستنصر بالله وكان قد ولد بعسقلان في المحرم سنة سبع وقيل في سنة ثمان وتسعين وأربعمائة لما اخرج المستنصر ابنه ابا القاسم مع بقية اولاده في ايام الشدة فلذلك كان يقال له في ايام الآمر بأحكام الله الامير عبد المجيد العسقلاني ابن عم مولانا * ولما قتل النزارية الخليفة الآمر أقام برغش وهزار الملوك الامير عبد المجيد في دست الخلافة ولقباه بالحافظ لدين الله وانه يكون كفيلا لمنتظر في بطن أمه من اولاد الآمر واستقر هزار الملوك وزيرا فثار العسكر وأقاموا أبا علي بن الافضل وزيرا وقتل هزار الملوك ونهب شارع القاهرة وذلك كله في يوم واحد فاستبد ابو علي بالوزارة يوم السادس عشر من ذي القعدة سنة اربع وعشرين وخمسمائة وقبض على الحافظ وسجنه مقيدا فاستمر الى أن قتل ابو علي في سادس عشر المحرم سنة ست وعشرين فأخرج من معتقله وأخذ له العهد على انه ولي عهد كفيل لمن يذكر اسمه فاتخذ الحافظ هذا اليوم عيدا سماه عيد النصر وصار يعمل كل سنة ونهبت القاهرة يومئذ وقام يانس صاحب الباب بالوزارة الى أن هلك في ذي الحجة منها بعد تسعة اشهر فلم يستوزر الحافظ بعده أحدا وتولى الامور بنفسه الى سنة ثمان وعشرين فأقام ابنه سليمان ولي عهده مقام وزير فلم تطل أيامه سوى شهرين ومات فجعل مكانه ابن حيدرة فحنق ابنه حسن وثار بالفتنة وكان من أمره ما ذكر في خبر الحارة اليانسية من هذا الكتاب فلما قتل حسن قام بهرام الارمني وأخذ الوزارة في جمادى الآخرة سنة تسع وعشرين وكان نصرانيا فاشتد ضرر المسلمين من النصارى وكثرت أذيتهم فسار رضوان بن ولخشي وهو يومئذ متولي الغربية وجمع الناس لحرب بهرام وسار الى القاهرة فانهزم بهرام ودخل رضوان القاهرة واستولى على الوزارة في جمادى الاولى سنة احدى وثلاثين فأوقع بالنصارى وأذلهم فشكره الناس الا أنه كان خفيفا عجولا فأخذ في اهانة حواشي الخليفة وهم بخلعه وقال ماهو بامام وانما هو كفيل لغيره وذلك الغير لم يصح فتوحش الحافظ منه ومازال يدبر عليه حتى ثارت فتنة انهزم فيها رضوان وخرج الى الشام فجمع وعاد في سنة اربع وثلاثين فجهز له الحافظ العساكر لمحاربته فقاتلهم وانهزم منهم الى الصعيد فقبض عليه واعتقل فلم يستوزر الحافظ أحدا بعده الى أن كانت سنة ست وثلاثين فغلت الاسعار بمصر وكثر الوباء وامتد الى سنة سبع وثلاثين فعظم الوباء * وفي سنة اثنتين وأربعين خلص رضوان من معتقله بالقصر وخرج من نقب وثار بجماعة وكانت فتنة آلت الى قتله * وفي سنة أربع واربعين ثارت فتنة بالقاهرة بين طوائف العسكر فمات الحافظ ليلة الخامس من جمادى الآخرة عن سبع وسبعين سنة منها مدة خلافته ثمان عشرة سنة وأربعة اشهر وتسعة عشر يوما اصابته فيها شدائد كثيرة وكان حازما سيوسا كثير المداراة عارفا جماعا للمال مغرى بعلم النجوم يغلب عليه الحلم * فلما مات والفتنة قائمة اقيم ابنه (الظاهر بأمر الله ابو منصور اسمعيل) * ومولده للنصف من ربيع الآخر سنة سبع وعشرين وخمسمائة فأقام في الخلافة اربع سنين وثمانية اشهر الا خمسة ايام وكان محكوما عليه من الوزارة وفي ايامه أخذت عسقلان فظهر الخلل في الدولة وقد ذكرت أخباره في خط الخشيبة عند ذكر الخطط من هذا الكتاب * فلما قتل اقيم من بعده ابنه (الفائز بنصر الله ابو القاسم عيسى) * أقامه في الخلافة بعد مقتل ابيه الوزير عباس وعمره خمس سنين فقدم طلائع بن رزيك والى الاشمونين بجموعه الى القاهرة ففر عباس واستولى طلائع على الوزارة وتلقب بالصالح وقام بأمر الدولة الى أن مات الفائز لثلاث عشرة بقيت من رجب سنة خمس وخمسين عن احدى عشرة سنة وستة اشهر ويومين منها في الخلافة ست سنين وخمسة اشهر وأيام لم ير فيها خيرا فانه لما اخرج ليقام خليفة رأى اعمامه قتلى وسمع الصراخ فاختل عقله وصار يصرخ حتى مات * فأقام الصالح بن رزيك في الخلافة بعده (العاضد لدين الله أبا محمد عبد الله) * ابن الامير يوسف بن الحافظ لدين الله ومولده لعشر بقين من المحرم سنة ست وأربعين

وخمسمائة وكان عمره يوم بويع نحوا حدى عشرة سنة وقام الصالح بتدبير الامور الى أن قتل فى رمضان سنة ست وخمسين كما ذكر فى خبره عند ذكر الجوامع فقام من بعده ابنه رزيك بن طلائع وحسنت سيرته فعزل شاور بن مجير السعدى عن ولاية قوص فلم يقبل العزل وحشد وسار على طريق الواحات فى البرية الى تروجة فجمع الناس وسار الى القاهرة فلم يثبت رزيك وفر فقبض عليه باطفيح واستقر شاور فى الوزارة لايام خلت من صفر سنة ثمان وخمسين فأقام الى أن ثار ضرغام صاحب الباب ففر منه الى الشام واستبد ضرغام بالوزارة فقتل امراء الدولة وأضعفها بسبب ذهاب اكابرها فقدم الفرنج ونازلوا مدينة بلبيس مدة ودافعهم المسلمون عدة مرار حتى عادوا الى بلادهم بالساحل ورجع العسكر الى القاهرة وقد قتل منهم كثير فوصل شاور بعساكر الشام فى جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين فحاربه ضرغام على بلبيس بعساكر مصر وكانت لهم منه معارك انهزموا فى آخرها وغنم شاور ومن معه سائر ما خرجوا به وكان شيأ جليلا فسروا بذلك وساروا الى القاهرة فكانت بين الفريقين حروب آلت الى هزيمة ضرغام وقتله فى شهر رمضان منها فاستولى شاور على الوزارة مرة ثانية واختلف مع الغز القادمين معه من الشام وكانت له معهم حروب آلت الى أن شاور كتب الى مرى ملك الفرنج يستدعيه الى القاهرة ليعينه على محاربة شيركوه ومن معه من الغز فحضر وقد صار شيركوه فى مدينة بلبيس فخرج شاور من القاهرة ونزل هو ومرى على بلبيس وحصرا شيركوه ثلاثة أشهر ثم وقع الصلح فسار شيركوه بالغز الى الشام ورحل الفرنج وعاد شاور الى القاهرة فى سنة ستين وخمسمائة فلم يزل الى أن قدم شيركوه من الشام بالعساكر مرة ثانية فى ربيع الآخر فخرج شاور من القاهرة الى لقائه واستدعى مرى ملك الفرنج فسار شيركوه على الشرق وخرج من اطفيح فسار اليه شاور بالفرنج وكانت له معه الوقعة المشهورة فسار شيركوه بعد الوقعة من الاشمونين وأخذ الاسكندرية وعاد شاور الى القاهرة وخرج شيركوه من الاسكندرية بعد أن استخلف عليها ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن ايوب ولم يزل يسير من الاسكندرية الى قوص وهو يجبى البلاد فخرج شاور من القاهرة بالفرنج ونازل الاسكندرية فبلغ شيركوه ذلك فعاد من قوص الى القاهرة وحصرها ثم كانت امور آخرها مسير شيركوه واصحابه من ارض مصر الى الشام فى شوال وقد طمع الفرنج فى البلاد وتسلموا اسوار القاهرة وأقاموا فيها شحنة معه عدة من الفرنج لمقاسمة المسلمين ما يتحصل من مال البلد وفحش امر شاور وساءت سيرته وكثر تجريه على الدماء واتلافه للاموال فلما كان فى سنة اربع وستين قوى تمكن الفرنج فى القاهرة وجاروا فى حكمهم بها وركبوا المسلمين بأنواع الاهانة فسار مرى يريد اخذ القاهرة ونزل على مدينة بلبيس وأخذها عنوة فكتب العاضد الى نور الدين محمود بن زنكى صاحب الشام يستصرخه ويحثه على نجدة الاسلام وانقاذ المسلمين من الفرنج فجهز أسد الدين شيركوه فى عسكر كثير وجهزهم وسيرهم الى مصر وقد أحرق شاور مدينة مصر كما تقدم ونزل مرى ملك الفرنج على القاهرة وألح فى قتال اهلها حتى كاد أن يأخذها عنوة فسير اليه شاور وخادعه حتى رضى بمال يجمعه له فشرع فى جبايته واذا بالخبر ورد بقدوم شيركوه فرحل الفرنج عن القاهرة فى سابع ربيع الآخر ونزل شيركوه على القاهرة بالغز ثالث مرة فخلع عليه العاضد وأكرمه فأخذ شاور يفتك بالغز على عادته فكان من قتله ما ذكر فى موضعه وذلك فى سابع عشر ربيع الآخر المذكور وتقلد شيركوه وزارة العاضد وقام بالدولة شهرين وخمسة ايام ومات فى الثانى والعشرين من جمادى الآخرة ففوض العاضد الوزارة لصلاح الدين يوسف بن ايوب فساس الامور ودبر لنفسه فبذل الاموال وأضعف العاضد باستنفاد ما عنده من المال فلم يزل امره فى ازدياد وأمر العاضد فى نقصان وصار يخطب من بعد العاضد للسلطان محمود نور الدين وأقطع اصحابه البلاد وأبعد اهل مصر وأضعفهم واستبد بالامور ومنع العاضد من التصرف حتى تبين للناس ما يريده من ازالة الدولة الى أن كان من واقعة العبيد ما ذكرنا فأبادهم وأفناهم ومن حينئذ تلاشى العاضد وانحل امره ولم يبق له سوى اقامة ذكره فى الخطبة فقط هذا وصلاح الدين يوالى الطلب منه فى كل يوم ليضعفه فأتى على المال والخيل والرقيق وغير ذلك حتى لم يبق عند العاضد غير فرس واحد فطلبه منه وألجأه الى ارساله وأبطل ركوبه من ذلك الوقت وصار لا يخرج من القصر البتة وتتبع صلاح الدين جند العاضد وأخذ دور الامراء واقطاعاتهم فوهبها لاصحابه وبعث الى أبيه واخوته وأهله فقدموا من الشام عليه فلما كان فى سنة ست وستين ابطل المكوس من ديار مصر وهدم دار المعونة بمصر وعمرها

مدرسة للشافعية وانشأ مدرسة اخرى للمالكية وعزل قضاة مصر الشيعة وقلد القضاء صدر الدين عبد الملك ابن درباس الشافعي وجعل اليه الحكم في اقليم مصر كله فعزل سائر القضاة واستناب قضاة شافعية فتظاهر الناس من تلك السنة بمذهب مالك والشافعي رضي الله عنهما واختفى مذهب الشيعة الى أن نسي من مصر وأخذ في غزو الفرنج فخرج الى الرملة وعاد في ربيع الاول ثم سار الى ايلة ونازل قلعتها حتى أخذها من الفرنج في ربيع الآخر ثم سار الى الاسكندرية ولم شعث سورها وعاد وسير توران شاه فأوقع بأهل الصعيد وأخذ منهم ما لا يمكن وصفه كثرة وعاد فكثر القول من صلاح الدين وأصحابه في ذم العاضد وتحدثوا بخلعه واقامة الدعوة العباسية بالقاهرة ومصر ثم قبض على سائر من بقي من امراء الدولة وأنزل اصحابه في دورهم في ليلة واحدة فأصبح في البلد من العويل والبكاء ما يذهل وتحكم اصحابه في البلد بأيديهم واخرج اقطاعات سائر المصريين لاصحابه وقبض على بلاد العاضد ومنع عنه سائر مواده وقبض على القصور وسلمها الى الطواشي بهاء الدين قراقوش الاسدي وجعله زمامها فضيق على اهل القصر وصار العاضد معتقلا تحت يده وأبطل من الاذان حي على خير العمل وأزال شعار الدولة وخرج بالعزم على قطع خطبة العاضد فمرض ومات وعمره احدى وعشرون سنة الا عشرة ايام منها في الخلافة احدى عشرة سنة وستة اشهر وسبعة ايام وذلك في ليلة يوم عاشوراء سنة سبع وستين وخمسمائة بعد قطع اسمه من الخطبة والدعاء للمستنجد العباسي بثلاثة ايام وكان كريما لين الجانب مرت به مخاوف وشدائد وهو آخر الخلفاء الفاطميين بمصر وكانت مدتهم بالمغرب ومصر منذ قام عبيد الله المهدي الى أن مات العاضد مائتي سنة واثنتين وسبعين سنة واياما بالقاهرة منها مائتان وثماني سنين فسبحان الباقي

(ذكر ما كان عليه موضع القاهرة قبل وضعها)

اعلم أن مدينة الاقليم منذ كان فتح مصر على يد عمرو بن العاص رضي الله عنه كانت مدينة الفسطاط المعروفة في زماننا بمدينة مصر قبلي القاهرة وبها كان محل الامراء ومنزل ملكهم واليها تجبى ثمرات الاقاليم وتأوي الكافة وكانت قد بلغت من وفور العمارة وكثرة الناس وسعة الارزاق والتفنن في انواع الحضارة والتأنق في النعيم ما اربت به على كل مدينة في المعمور حاشا بغداد فانها كانت سوق العالم وقد زاحمتها مصر وكادت أن تساميها الا قليلا ثم لما انقضت الدولة الاخشيدية من مصر واختل حال الاقليم بتوالي الغلوات وتواتر الاوباء والفنوات حدثت مدينة القاهرة عند قدوم جيوش المعز لدين الله ابي تميم معد امير المؤمنين على يد عبده وكاتبه القائد جوهر فنزل حيث القاهرة الآن وأناخ هناك وكانت حينئذ رملة فيما بين مصر وعين شمس يمر بها الناس عند مسيرهم من الفسطاط الى عين شمس وكانت فيما بين الخليج المعروف في اول الاسلام بخليج امير المؤمنين ثم قيل له خليج القاهرة ثم هو الآن يعرف بالخليج الكبير وبالخليج الحاكمي وبين الخليج المعروف باليحاميم وهو الجبل الاحمر وكان الخليج المذكور فاصلا بين الرملة المذكورة وبين القرية التي يقال لها أم دنين ثم عرفت الآن بالمقس وكان من يسافر من الفسطاط الى بلاد الشام ينزل بطرف هذه الرملة في الموضع الذي كان يعرف بمنية الاصبغ ثم عرف الى يومنا بالخندق وتمر العساكر والتجار وغيرهم من منية الاصبغ الى بني جعفر على غيفة وسلمنت الى بلبيس وبينها وبين مدينة الفسطاط أربعة وعشرون ميلا ومن بلبيس الى العلاقة الى الفرما ولم يكن الدرب الذي يسلك في وقتنا من القاهرة الى العريش في الرمل يعرف في القديم وانما عرف بعد خراب تنيس والفرما وازاحة الفرنج عن بلاد الساحل بعد تملكهم له مدة من السنين وكان من يسافر في البر من الفسطاط الى الحجاز ينزل بجب عميرة المعروف اليوم ببركة الجب وببركة الحاج ولم يكن عند نزول جوهر بهذه الرملة فيها بنيان سوى أماكن هي بستان الاخشيد محمد بن طغج المعروف اليوم بالكافوري من القاهرة ودير للنصارى يعرف بدير العظام تزعم النصارى أن فيه بعض من أدرك المسيح عليه السلام وبقي الآن بئر هذا الدير وتعرف ببئر العظام والعامة تقول بئر العظمة وهي بجوار الجامع الاقمر من القاهرة ومنها ينقل الماء اليه وكان بهذه الرملة أيضا مكان ثالث يعرف بقصير الشوك بصيغة التصغير تنزله بنو عذرة في الجاهلية وصار موضعه عند بناء القاهرة يعرف بقصر الشوك من جملة القصور الزاهرة هذا الذي اطلعت عليه انه كان في موضع القاهرة قبل بنائها بعد الفحص والتفتيش وكان النيل حينئذ بشاطئ المقس يمر من موضع الساحل القديم بمصر الذي هو الآن

سوق المعاريج وحمام طن والمراغة وبستان الجرف وموردة الحلفاء ومنشأة المهراني على ساحل الحمراء وهي موضع قناطر السباع فمر النيل بساحل الحمراء الى المقس موضع جامع المقس الآن وفيما بين الخليج وبين ساحل النيل بساتين الفسطاط فاذا صار النيل الى المقس حيث الجامع الآن مر من هنالك على طرف الارض التي تعرف اليوم بأرض الطبالة من الموضع المعروف اليوم بالجرف وصار الى البعل ومر على طرف منية الاصبغ من غربي الخليج الى المنية وكان فيما بين الخليج والجبل مما يلي بحري موضع القاهرة مسجد بني على رأس ابراهيم ابن عبد الله بن حسن بن الحسين بن علي بن ابي طالب ثم مسجد تبر الاخشيدي فعرف بمسجد تبر والعامة تقول مسجد التبن ولم يكن الممر من الفسطاط الى عين شمس والى الحوف الشرقي والى البلاد الشامية الا بجافة الخليج ولا يكاد يمر بالرملة التي في موضعها الآن مدينة القاهرة كثير جدا ولذلك كان يهادر للنصارى الا أنه لما عمر الاخشيد البستان المعروف بالكافوري أنشأ بجانبه ميدانا وكان كثيرا ما يقيم به وكان كافور أيضا يقيم به وكان فيما بين موضع القاهرة ومدينة الفسطاط مما يلي الخليج المذكور أرض تعرف في القديم منذ فتح مصر بالحمراء القصوى وهي موضع قناطر السباع وجبل يشكر حيث الجامع الطولوني وما داربه وفي هذه الحمراء عدة كنائس وديارات للنصارى خربت شيأ بعد شئ الى أن خرب آخرها في أيام الملك الناصر محمد ابن قلاون وجميع ما بين القاهرة ومصر مما هو موجود الآن من الاماكن فانه حادث بعد بناء القاهرة ولم يكن هنالك قبل بنائها شئ البتة سوى كنائس الحمراء وسيأتي بيان ذلك مفصلا في موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى

(ذكر حد القاهرة)

قال ابن عبد الظاهر في كتاب الروضة البهية الزاهرة في خطط المعزية القاهرة الذي استقر عليه الحال أن حد القاهرة من مصر من السبع سقايات وكان قبل ذلك من المجنونة الى مشهد السيدة رقية عرضا اه والآن تطلق القاهرة على ما حازه السور الحجر الذي طوله من باب زويلة الكبير الى باب الفتوح وباب النصر وعرضه من باب سعادة وباب الخوخة الى باب البرقية والباب المحروق ثم لما توسع الناس في العمارة بظاهر القاهرة وبنوا خارج باب زويلة حتى اتصلت العمائر بمدينة فسطاط مصر وبنوا خارج باب الفتوح وباب النصر الى أن انتهت العمائر الى الريدانية وبنوا خارج باب القنطرة الى حيث الموضع الذي يقال له بولاق حيث شاطئ النيل وامتدوا بالعمارة من بولاق على الشاطئ الى أن اتصلت بمنشأة المهراني وبنوا خارج باب البرقية والباب المحروق الى سفح الجبل بطول السور فصار حينئذ العامر بالسكنى على قسمين أحدهما يقال له القاهرة والآخر يقال له مصر فاما مصر فان حدها على ما وقع عليه الاصطلاح في زمننا هذا الذي نحن فيه من حد اول قناطر السباع الى طرف بركة الحبش القبلي مما يلي بساتين الوزير وهذا هو طول حد مصر وحدها في العرض من شاطئ النيل الذي يعرف قديما بالساحل الجديد حيث فم الخليج الكبير وقنطرة السد الى اول القرافة الكبرى *وأما حد القاهرة فان طولها من قناطر السباع الى الريدانية وعرضها من شاطئ النيل ببولاق الى الجبل الاحمر ويطلق على ذلك كله مصر والقاهرة وفي الحقيقة قاهرة المعز التي انشأها القائد جوهر عند قدومه من حضرة مولاه المعز لدين الله أبي تميم معد الى مصر في شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة انما هي ما دار عليه السور فقط غير أن السور المذكور الذي أداره القائد جوهر تغير وعمل منذ بنيت الى زمننا هذا ثلاث مرات ثم حدثت العمائر فيما وراء السور من القاهرة فصار يقال لداخل السور القاهرة ولما خرج عن السور ظاهر القاهرة وظاهر القاهرة أربع جهات الجهة القبلية وفيها الآن معظم العمارة وحد هذه الجهة طولا من عتبة باب زويلة الى الجامع الطولوني وما بعد الجامع الطولوني فانه من حد مصر وحدها عرضا من الجامع الطيبرسي بشاطئ النيل غربي المريس الى قلعة الجبل وفي الاصطلاح الآن أن القلعة من حكم مصر والجهة البحرية وكانت قبل السبعمائة من سني الهجرة وبعدها الى قبيل الوباء الكبير فيها اكثر العمائر والمساكن ثم تلاشت من بعد ذلك وطول هذه الجهة من باب الفتوح وباب النصر الى الريدانية وعرضها من منية الامراء المعروفة في زمننا الذي نحن فيه بمنية الشيرج الى الجبل الاحمر ويدخل في هذا الحد مسجد تبر والريدانية والجهة الشرقية فانها حيث ترب أهل القاهرة ولم تحدث بها العمائر من التربة الا بعد سنة اثنتي عشرة وسبعمائة وحد هذه الجهة طولا

من

من باب القلعة المعروف بباب السلسلة الى ما يحاذى مسجد تبر فى سفح الجبل وحدّها عرضا فيما بين سور القاهرة والجبل والجهة الغربية فاكثر العمائر بها لم يحدث أيضا الا بعد سنة اثنى عشرة وسبعمائة وانما كانت بساتين وبحرا وحدّ هذه الجهة طولا من منية الشيرج الى منشأة المهرانى بحافة بحر النيل وحدّها عرضا من باب القنطرة وباب الخوخة وباب سعادة الى ساحل النيل وهذه الاربع جهات من خارج السور يطلق عليها ظاهر القاهرة * وتحوى مصر والقاهرة من الجوامع والمساجد والربط والمدارس والزوايا والدور العظيمة والمساكن الجليلة والمناظر البهجة والقصور الشامخة والبساتين النضرة والحمامات الفاخرة والقياسر المعمورة بأصناف الانواع والاسواق المملوءة مما تشتهى الانفس والخانات المشحونة بالواردين والفنادق الكاظة بالسكان والترب التى تحكى القصور ما لا يمكن حصره ولا يعرف ما هو وقدره الا أن قدر ذلك بالتقريب الذى يصدّقه الاختبار طولا بريدا او ما يزيد عليه وهو من مسجد تبر الى بساتين الوزير قبلى بركة الحبش وعرضا يكون نصف بريد فما فوقه وهو من ساحل النيل الى الجبل ويدخل فى هذا الطول والعرض بركة الحبش وما دار بها وسطح الجرف المسمى بالرصد ومدينة الفسطاط التى يقال لها مدينة مصر والقرافة الكبرى والصغرى وجزيرة الحصن المعروف اليوم بالروضة ومنشأة المهرانى وقطائع ابن طولون التى تعرف الآن بجدرة ابن قميحة وخط جامع ابن طولون والرميلة تحت القلعة والقبيبات وقلعة الجبل والميدان الاسود الذى هو اليوم مقابر أهل القاهرة خارج باب البرقية الى قبة النصر والقاهرة المعزية وهو ما دار عليه السور الحجر والحسينية والريدانية والخندق وكوم الريش وجزيرة الفيل وبولاق والجزيرة الوسطى المعروفة بجزيرة اروى وزربية قوصون وحكر ابن الاثير ومنشأة الكاتب والاحكار التى فيما بين القاهرة وساحل النيل وأراضى اللوق والخليج الكبير الذى تسميه العامّة بالخليج الحاكمى والحبانية والصليبة والتبانة ومشهد السيدة نفيسة وباب القرافة وأرض الطبالة والخليج الناصرى والمقس والدكة وغير ذلك مما يأتى ذكره ان شاء الله تعالى وقد أدركنا هذه المواضع وهى عامرة والمشيخة تقول هى خراب بالنسبة لما كانت عليه قبل حدوث طاعون سنة تسع وأربعين وسبعمائة الذى يسميه اهل مصر الفناء الكبير وقد تلاشت هذه الاماكن وعمها الخراب منذ كانت الحوادث بعد سنة ست وثمانمائة ولله عاقبة الامور

(ذكر بناء القاهرة وما كانت عليه فى الدولة الفاطمية)

وذلك أن القائد جوهر الكاتب لما قدم الجيزة بعساكر مولاه الامام المعز لدين الله ابى تميم معدّ أقبل فى يوم الثلاثا لسبع عشرة بخلت من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وسارت عساكره بعد زوال الشمس وعبرت الجسر افواجا وجوهر فى فرسانه الى المناخ الذى رسم له المعز موضع القاهرة الآن فاستقرّ هنالك واختط القصر وبات المصريون فلما اصبحوا حضروا للهناء فوجدوه قد حفر أساس القصر بالليل وكانت فيه ازورارات غير معتدلة فلما شاهدها جوهر لم يعجبه ثم قال قد حفر فى ليلة مباركة وساعة سعيدة فتركه على حاله وأدخل فيه دير العظام ويقال ان القاهرة اختطها جوهر فى يوم السبت لست بقين من جمادى الآخرة سنة تسع وخمسين واختطت كل قبيلة خطة عرفت بها فزويلة بنت الحارة المعروفة بها واختطت جماعة من اهل برقة الحارة البرقية واختطت الروم حارتين حارة الروم الآن وحارة الروم الجوانية بقرب باب النصر وقصد جوهر باختطاط القاهرة حيث هى اليوم أن تصير حصنا فيما بين القرامطة وبين مدينة مصر ليقاتلهم من دونها فأدار السور اللبن على مناخه الذى نزل فيه بعساكره وأنشأ من داخل السور جامعا وقصرا وأعدّها معقلا يتحصن به وتنزله عساكره واحتفر الخندق من الجهة الشامية ليمنع اقتحام عساكر القرامطة الى القاهرة وما وراءها من المدينة وكان مقدار القاهرة حينئذ أقل من مقدارها اليوم فان أبوابها كانت من الجهات الاربعة ففى الجهة القبلية التى تفضى بالسالك منها الى مدينة مصر بابان متجاوران يقال لهما بابا زويلة وموضعهما الآن بحذاء المسجد الذى تسميه العامّة بسام بن نوح ولم يبق الى هذا العهد سوى عقده ويعرف بباب القوس وما بين باب القوس هذا وباب زويلة الكبير ليس هو من المدينة التى اسسها القائد جوهر وانما هى زيادة حدثت بعد ذلك وكان فى جهة القاهرة البحرية وهى التى يسلك منها الى عين شمس بابان أحدهما باب النصر وموضعه بأوّل الرحبة التى قدّام الجامع

الحاكمى الآن وادركت قطعة منه كانت قدّام الركن الغربى من المدرسة القاصدية ومابين هذا المكان وباب النصر الآن مما زيد فى مقدار القاهرة بعد جوهر والباب الآخر من الجهة البحرية باب الفتوح وعقده باق الى يومناهذا مع عضادته اليسرى وعليه اسطر مكتوبة بالقلم الكوفى وموضع هذا الباب الآن بآخر سوق المرحلين وأول رأس حارة بهاء الدين مما يلى باب الجامع الحاكمى وفيما بين هذا العقد وباب الفتوح من الزيادات التى زيدت فى القاهرة من بعد جوهر وكان فى الجهة الشرقية من القاهرة وهى الجهة التى يسلك منها الى الجبل بابان أحدهما يعرف الآن بالباب المحروق والآخر يقال له باب البرقية وموضعهما دون مكانهما الآن ويقال لهذه الزيادة من هذه الجهة بين السورين وأحد البابين القديمين موجود الى الآن اسكفته وكان فى الجهة الغربية من القاهرة وهى المطلة على الخليج الكبير بابان أحدهما باب سعادة والآخر باب الفرج وباب ثالث يعرف بباب الخوخة أظنه حدث بعد جوهر وكان داخل سور القاهرة يشتمل على قصرين وجامع يقال لاحد القصرين القصر الكبير الشرقى وهو منزل سكنى الخليفة ومحل حرمه وموضع جلوسه لدخول العساكر وأهل الدولة وفيه الدواوين وبيت المال وخزائن السلاح وغير ذلك وهو الذى أسسه القائد جوهر وزاد فيه المعز ومن بعده من الخلفاء والآخر تجاه هذا القصر ويعرف بالقصر الغربى وكان يشرف على البستان الكافورى ويتحوّل اليه الخليفة فى ايام النيل للنزهة على الخليج وعلى ما كان اذ ذاك بجانب الخليج الغربى من البركة التى يقال لها بطن البقرة ومن البستان المعروف بالبغدادية وغيره من البساتين التى كانت تتصل بأرض اللوق وجنان الزهرى وكان يقال لمجموع القصرين القصور الزاهرة ويقال للجامع جامع القاهرة والجامع الازهر ❊ فأما القصر الكبير الشرقى فانه كان من باب الذهب الذى موضعه الآن محراب المدرسة الظاهرية التى انشأها الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى وكان يعلو عقد باب الذهب منظرة يشرف الخليفة فيها من طاقات فى اوقات معروفة وكان باب الذهب هذا هو أعظم ابواب القصر ويسلك من باب الذهب المذكور الى باب البحر وهو الباب الذى يعرف اليوم بباب قصر بشتاك مقابل المدرسة الكاملية وهو من باب البحر الى الركن المخلق ومنه الى باب الريح وقد أدركنا منه عضادتيه واسكفته وعليها أسطر بالقلم الكوفى وجميع ذلك مبنى بالحجر الى أن هدمه الامير الوزير المشير جمال الدين يوسف الاستادار وفى موضعه الآن قيسارية انشأها المذكور بجوار مدرسته من رحبة باب العيد ويسلك من باب الريح المذكور الى باب الزمرّذ وهو موضع المدرسة الحجازية الآن ومن باب الزمرّذ الى باب العيد وعقده باق وفوقه قبة الى الآن فى درب السلامى بخط رحبة باب العيد وكان قبالة باب العيد هذا رحبة عظيمة فى غاية الاتساع تقف فيها العساكر الكثيرة من الفارس والراجل فى يومى العيدين تعرف برحبة العيد وهى من باب الريح الى خزانة البنود وكان يلى باب العيد السفينة وبجوار السفينة خزانة البنود ويسلك من خزانة البنود الى باب قصر الشوك وأدركت منه قطعة من أحد جانبيه كانت تجاه الحمام التى عرفت بحمام الايدمرى ثم قيل لها فى زمننا حمام يونس بجوار المكان المعروف بخزانة البنود وقد عمل موضع هذا الباب زقاق يسلك منه الى المارستان العتيق وقصر الشوك ودرب السلامى وغيره ويسلك من باب قصر الشوك الى باب الديلم وموضعه الآن المشهد الحسينى وكان فيما بين قصر الشوك وباب الديلم رحبة عظيمة تعرف برحبة قصر الشوك اولها من رحبة خزانة البنود وآخرها حيث المشهد الحسينى الآن وكان قصر الشوك يشرف على اصطبل الطارمة ويسلك من باب الديلم الى باب تربة الزعفران وهى مقبرة اهل القصر من الخلفاء وأولادهم ونسائهم وموضع باب تربة الزعفران فندق الخليلى فى هذا الوقت ويعرف بخط الزراكشة العتيق وكان فيما بين الديلم وباب تربة الزعفران الخوخ السبع التى يتوصل منها الخليفة الى الجامع الازهر فى ليالى الوقدات فيجلس بمنظرة الجامع الازهر ومعه حرمه لمشاهدة الوقيد والجمع وبجوار الخوخ السبع اصطبل الطارمة وهو برسم الخيل الخاص المعدّة لركاب الخليفة وكان مقابل باب الديلم ومن وراء اصطبل الطارمة الجامع المعدّ لصلاة الخليفة بالناس أيام الجمع وهو الذى يعرف فى وقتنا هذا بالجامع الازهر ويسمى فى كتب التاريخ بجامع القاهرة وقدّام هذا الجامع رحبة متسعة من حدّ اصطبل الطارمة الى الموضع الذى يعرف اليوم بالاكفانيين ويسلك من باب تربة الزعفران الى باب الزهومة وموضعه الآن باب سرّ قاعة مدرسة الحنابلة من المدارس الصالحية وفيما بين تربة الزعفران وباب الزهومة دراس العلم وخزانة الدرق ويسلك

من

من باب الزهومة الى باب الذهب المذكور أولا وهذا هو دور القصر الشرقى الكبير وكان بحذاء رحبة باب العيد دار الضيافة وهى الدار المعروفة بدار سعيد السعداء التى هى اليوم خانقاه للصوفية ويقابلها دار الوزارة وهى حيث الزقاق المقابل لباب سعيد السعداء والمدرسة القراسنقرية وخانقاه بيبرس وما يجاورها الى باب الجوانية وما وراء هذه الاماكن وبجوار دار الوزارة الحجر وهى من حذاء دار الوزارة بجوار باب الجوانية الى باب النصر القديم ومن وراء دار الوزارة المناخ السعيد ويجاوره حارة العطوفية وحارة الروم الجوانية وكان جامع الخطبة الذى يعرف اليوم بجامع الحاكم خارجا عن القاهرة وفى غربيه الزيادة التى هى باقية الى اليوم وكانت أهراء لخزن الغلال التى تدخر بالقاهرة كما هى عادة الحصون وكان فى غربى الجامع الازهر حارة الديلم وحارة الروم البرانية وحارة الاتراك وهى تعرف اليوم بدرب الاتراك وحارة الباطلية وفيما بين باب الزهومة والجامع الازهر وهذه الحارات خزائن القصر وهى خزانة الكتب وخزانة الاشربة وخزانة السروج وخزانة الخيم وخزائن الفرش وخزائن الكسوات وخزائن دار افتكين ودار الفطرة ودار التعبية وغير ذلك من الخزائن هذا ما كان فى الجهة الشرقية من القاهرة * وأما القصر الصغير الغربى فانه موضع المارستان الكبير المنصورى الى جوار حارة برجوان وبين هذا القصر وبين القصر الكبير الشرقى فضاء متسع يقف فيه عشرة آلاف من العساكر ما بين فارس وراجل يقال له بين القصرين وبجوار القصر الغربى الميدان وهو الموضع الذى يعرف بالخرنشف واصطبل الطارمة وبحذاء الميدان البستان الكافورى المطل من غربيه على الخليج الكبير ويجاور الميدان دار برجوان العزيزى وبحذائها رحبة الافيال ودار الضيافة القديمة ويقال لهذه المواضع الثلاثة حارة برجوان ويقابل دار برجوان المنحر وموضعه الآن يعرف بالدرب الاصفر ويدخل اليه من قبالة خانقاه بيبرس وفيما بين ظهر المنحر وباب حارة برجوان سوق أمير الجيوش وهو من باب حارة برجوان الآن الى باب الجامع الحاكمى ويجاور حارة برجوان من بحريها اصطبل الحجرية وهو متصل بباب الفتوح الاول وموضع باب اصطبل الحجرية يعرف اليوم بخان الوراقة والقيسارية تجاه الجلون الصغير وسوق المرحلين وتجاه اصطبل الحجرية الزيادة وفيما بين الزيادة والمنحر درب الفرنجية وبجوار البستان الكافورى حارة زويلة وهى تتصل بالخليج الكبير من غربيها وتجاه حارة زويلة اصطبل الجميزة وفيه خيول الخليفة أيضا وفى هذا الاصطبل بئر زويلة وموضعها الآن قيسارية معقودة على البئر المذكورة يعلوها ربع يعرف بقيسارية يونس من خط البندقانيين فكان اصطبل الجميزة المذكور فيما بين القصر الغربى من بحريه وبين حارة زويلة وموضعه الآن قبالة باب سر المارستان المنصورى الى البندقانيين وبحذاء القصر الغربى من قبليه مطبخ القصر تجاه باب الزهومة المذكور والمطبخ موضعه الآن الصاغة قبالة المدارس الصالحية وبجوار المطبخ الحارة العدوية وهى من الموضع الذى يعرف بحمام خشيبة الى حيث الفندق الذى يقال له فندق الزمام وبجوار العدوية حارة الامراء ويقال لها اليوم سوق الزجاجين وسوق الحريريين الشراربيين ويجاور الصاغة القديمة حبس المعونة وهو موضع قيسارية العنبر وتجاه حبس المعونة عقبة الصباغين وسوق القشاشين وهو يعرف اليوم بالخراطين ويجاور حبس المعونة دكة الحسبة ودار العيار ويعرف موضع دكة الحسبة الآن بالابزاريين وفيما بين دكة الحسبة وحارتى الروم والديلم سوق السراجين ويقال له الآن الشوايين وبطرف سوق السراجين مسجد ابن البناء الذى تسميه العامة سام ابن نوح ويجاور هذا المسجد باب زويلة وكان من حذاء حارة زويلة من ناحية باب الخوخة دار الوزير يعقوب بن كلس وصارت بعده دار الديباج ودار الاستعمال وموضعها الآن المدرسة الصالحية وما وراءها ويتصل دار الديباج بالحارة الوزيرية والى جانب الوزيرية الميدان الآخر الى باب سعادة وفيما بين باب سعادة وباب زويلة اهراء أيضا وسطاح هذا ما كانت عليه صفة القاهرة فى الدولة الفاطمية وحدثت هذه الاماكن شيأ بعد شئ ولم تزل القاهرة دار خلافة ومنزل ملك ومعقل قتال لا ينزلها الا الخليفة وعساكره وخواصه الذين يشرفهم بقربه فقط *(وأما ظاهر القاهرة من جهاتها الاربع)* فانه كان فى الدولة الفاطمية على ما اذكر * أما الجهة القبلية وهى التى فيما بين باب زويلة ومصر طولا وفيما بين الخليج الكبير والجبل عرضا فانها كانت قسمين ما حاذى يمينك اذا خرجت من باب زويلة تريد مصر وما حاذى شمالك اذا خرجت منه نحو الجبل فأما ما حاذى يمينك وهى المواضع التى تعرف اليوم بدار التفاح وتحت الربع والقشاشين وقنطرة باب الخرق وما على حافتى الخليج من جانبيه

طولا الى الحمراء التى يقال لها اليوم خط قناطر السباع ويدخل فى ذلك سويقة عصفور وحارة الحزيين وحارة بنى سوس الى الشارع وبركة الفيل والهلالية والمحمودية الى الصليبة ومشهد السيدة نفيسة فان هذه الاماكن كلها كانت بساتين تعرف بجنان الزهرى وبستان سيف الاسلام وغير ذلك ثم حدث فى الدولة هناك حارات للسودان وعمر الباب الجديد وهو الذى يعرف اليوم بباب القوس من سوق الطيور فى الشارع عند رأس وحدثت الحارة الهلالية والحارة المحمودية وأما ما حاذى شمالك حيث الجامع المعروف بجامع الصالح والدرب الاحمر الى قطائع ابن طولون التى هى الآن الرميلة والميدان تحت القلعة فان ذلك كان مقابر أهل القاهرة * وأما جهة القاهرة الغربية وهى التى فيها الخليج الكبير وهى من باب القنطرة الى المقس وما جاور ذلك فانها كانت بساتين من غربيها النيل وكان ساحل النيل بالمقس حيث الجامع الآن فيمر من المقس الى المكان الذى يقال له الجرف ويمضى على شمالى أرض الطبالة الى البعل وموضع كوم الريش الى المنية ومواضع هذه البساتين اليوم أراضى اللوق والزهرى وغيرها من المحكورة التى فى بر الخليج الغربى الى بركة قرموط والخور وبولاق وكان فيما بين باب سعادة وباب الخوخة وباب الفرج وبين الخليج فضاء لا بنيان فيه والمناظر تشرف على ما فى غربى الخليج من البساتين التى وراءها بحر النيل ويخرج الناس فيما بين المناظر والخليج للنزهة فيجتمع هنالك من ارباب البطالة واللهو ما لا يحصى عددهم ويمر لهم هنالك من اللذات والمسرات ما لا تسع الاوراق حكايته خصوصا فى ايام النيل عندما يتحول الخليفة الى اللؤلؤة ويتحول خاصته الى دار الذهب وما جاورها فانه يكثر حينئذ الملاذ بسعة الارزاق وادرار النعم فى تلك المدة كما يأتى ذكره ان شاء الله تعالى * وأما جهة القاهرة البحرية فانها كانت قسمين خارج باب الفتوح وخارج باب النصر أما خارج باب الفتوح فانه كان هناك منظرة من مناظر الخلفاء وقدامها البستانان الكبيران وأولهما من زقاق الكحل وآخرهما منية مطر التى تعرف اليوم بالمطرية ومن غربى هذه المنظرة فى جانب الخليج الغربى منظرة البعل فيما بين أرض الطبالة والخندق وبالقرب منها مناظر الخمس وجوه والتاج ذات البساتين الانيقة المنصوبة لتنزه الخليفة وأما خارج باب النصر فكان به مصلى العيد التى عمل من بعضها مصلى الاموات لا غير والفضاء من المصلى الى الريدانية وكان بستانا عظيما ثم حدث فيما خرج من باب النصر تربة أمير الجيوش بدر الجمالى وعمر الناس الترب بالقرب منها وحدث فيما خرج عن باب الفتوح عمائر منها الحسينية وغيرها * وأما جهة القاهرة الشرقية وهى ما بين السور والجبل فانه كان فضاء ثم أمر الحاكم بأمر الله أن تلقى أتربة القاهرة من وراء السور لتمنع السيول أن تدخل الى القاهرة فصار منها الكيمان التى تعرف بكيمان البرقية ولم تزل هذه الجهة خالية من العمارة الى أن انقرضت الدولة الفاطمية فسبحان الباقى بعد فناء خلقه

(ذكر ما صارت اليه القاهرة بعد استيلاء الدولة الايوبية عليها)

قد تقدم أن القاهرة انما وضعت منزل سكنى للخليفة وحرمه وجنده وخواصه ومعقل قتال يتحصن بها ويلتجأ اليها وانها ما برحت هكذا حتى كانت السنة العظمى فى خلافة المستنصر ثم قدم أمير الجيوش بدر الجمالى وسكن القاهرة وهى بياب دائرة خاوية على عروشها غير عامرة فأباح للناس من العسكرية والملحية والارمن وكل من وصلت قدرته الى عمارة بأن يعمر ما شاء فى القاهرة مما خلا من فسطاط مصر ومات اهله فأخذ الناس ما كان هنالك من أنقاض الدور وغيرها وعمروا به المنازل فى القاهرة وسكنوها فمن حينئذ سكنها اصحاب السلطان الى أن انقرضت الدولة الفاطمية باستيلاء السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب بن شادى فى سنة سبع وستين وخمسمائة فنقلها عما كانت عليه من الصيانة وجعلها مبتذلة لسكن العامة والجمهور وحط من مقدار قصور الخلافة واسكن فى بعضها وتهدم البعض وازيلت معالمه وتغيرت معاهده فصارت خططا وحارات وشوارع ومسالك وأزقة ونزل السلطان منها فى دار الوزارة الكبرى حتى بنيت قلعة الجبل فكان السلطان صلاح الدين يتردد اليها ويقيم بها وكذلك ابنه الملك العزيز عثمان وأخوه الملك العادل ابو بكر فلما كان الملك الكامل ناصر الدين محمد بن العادل ابى بكر بن ايوب تحول من دار الوزارة الى القلعة وسكنها ونقل سوق الخيل والجمال والحمير الى الرميلة تحت القلعة فلما خرب المشرق والعراق بهجوم عساكر التتر منذ كان جنكزخان فى اعوام بضع عشرة وستمائة الى أن قتل الخليفة المستعصم ببغداد فى صفر سنة ست وخمسين وستمائة كثر قدوم المشارقة

الى مصر وعمرت حافتى الخليج الكبير ومادار على بركة الفيل وعظمت عمارة الحسينية فلما كانت سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاون الثالثة بعد سنة احدى عشرة وسبعمائة واستجد بقلعة الجبل المبانى الكثيرة من القصور وغيرها حدثت فيما بين القلعة وقبة النصر عدة ترب بعد ما كان ذلك المكان فضاء يعرف بالميدان الاسود وميدان القبق وتزايدت العمائر بالحسينية حتى صارت من الريدانية الى باب الفتوح وعمر جميع ماحول بركة الفيل والصليبة الى جامع ابن طولون وماجاوره الى المشهد النفيسى وحكر الناس أرض الزهرى وماقرب منها وهو من قناطر السباع الى منشأة المهرانى ومن قناطر السباع الى البركة الناصرية الى اللوق الى المقس فلما حفر الملك الناصر محمد بن قلاون الخليج الناصرى اتسعت الخطة فيما بين المقس والدكة الى ساحل النيل وأنشأ الناس فيها البساتين العظيمة والمساكن الكثيرة والاسواق والجوامع والمساجد والحمامات والشون وهى من المواضع التى من باب البحر خارج المقس الى ساحل النيل المسمى ببولاق ومن بولاق الى منية الشيرج ومنه فى القبلة الى منشأة المهرانى وعمر ماخرج عن باب زويلة يمنة ويسرة من قنطرة الخرق الى الخليج ومن باب زويلة الى المشهد النفيسى وعمرت القرافة من باب القرافة الى بركة الحبش طولا ومن القرافة الكبرى الى الجبل عرضا حتى انه استجد فى ايام الناصر بن قلاون بضع وستون حكرا ولم يبق مكان يحكر واتصلت عمائر مصر والقاهرة فصارا بلدا واحدا يشتمل على البساتين والمناظر والقصور والدور والرباع والقياسر والاسواق والفنادق والخانات والحمامات والشوارع والازقة والدروب والخطط والحارات والاحكار والمساجد والجوامع والزوايا والربط والمشاهد والمدارس والترب والحوانيت والمطابخ والشون والبرك والخلجان والجزائر والرياض والمنتزهات متصلا جميع ذلك بعضه ببعض من مسجد تبر الى بساتين الوزير قبلى بركة الحبش ومن شاطئ النيل بالجيزة الى الجبل المقطم ومازالت هذه الاماكن فى كثرة العمارة وزيادة العدد تضيق بأهلها لكثرتهم وتختال عجبا بهم لما بالغوا فى تحسينها وتأنقوا فى جودتها وتنميقها الى أن حدث الفناء الكبير فى سنة تسع وأربعين وسبعمائة فخلا كثير من هذه المواضع وبقى كثير أدركناه فلما كانت الحوادث من سنة ست وثمانمائة وقصر جرى النيل فى مدة وخربت البلاد الشامية بدخول الطاغية تيمورلنك وتحريقها وقتل اهلها وارتفاع اسعار الديار المصرية وكثرة الغلاء فيها وطول مدته وتلاف النقود المتعامل بها وفسادها وكثرة الحروب والفتن بين اهل الدولة وخراب الصعيد وجلاء اهله عنه وتداعى أسفل ارض مصر من البلاد الشرقية والغربية الى الخراب واتضاع امور ملوك مصر وسوء حال الرعية واستيلاء الفقر والحاجة والمسكنة على الناس وكثرة تنوع المظالم الحادثة من ارباب الدولة بمصادرة الجمهور وتتبع ارباب الاموال واحتجاب ما بأيديهم من المال بالقوة والقهر والغلبة وطرح البضائع مما يتجر فيه السلطان وأصحابه على التجار والباعة باغلى الاثمان الى غير ذلك مما لا يتسع لاحد ضبطه ولا تسع الاوراق حكايته كثر الخراب بالاماكن التى تقدم ذكرها وعم سائرها وصارت كيمانا وخرائب موحشة مقفرة يأويها البوم والرخم اومستهدمة واقعة او آيلة الى السقوط والدثور سنة الله التى قد خلت فى عباده ولن تجد لسنة الله تبديلا

* (ذكر طرف مما قيل فى القاهرة ومنتزهاتها) *

قال ابو الحسن على بن رضوان الطبيب ويلى الفسطاط فى العظم وكثرة الناس القاهرة وهى فى شمال الفسطاط وفى شرقيها أيضا الجبل المقطم يعوق عنها ريح الصبا والنيل منها ابعد قليلا وجميعها مكشوف للهواء وان كان عمل فوق ربما عاق عن بعض ذلك وليس ارتفاع الابنية بها كارتفاع الفسطاط لكن دونها كثيرا وأزقتها وشوارعها بالقياس الى ازقة الفسطاط وشوارعها انظف وأقل وسخا وأبعد عن العفن واكثر شرب أهلها من مياه الآبار واذا هبت ريح الجنوب أخذت من بخار الفسطاط على القاهرة شيأ كثيرا وقرب مياه آبار القاهرة من وجه الارض مع سخافتها موجب ضرورة أن تكون يصل اليها بالرشح من عفونة الكنف شئ ما وبين القاهرة والفسطاط بطائح تمتلئ من رشح الارض فى ايام فيض النيل ويصب فيها بعض خزارات القاهرة ومياه البطائح هذه رديئة وسخة أرضها ومايصب فيها من العفونة يقتضى أن يكون البخار المرتفع منها على القاهرة والفسطاط زائدا فى رداءة الهواء بهما ويطرح فى جنوب القاهرة قذر كثير نحو حارة الباطلية وكذلك يطرح فى وسط حارة

العبيد الا انه اذا تاملنا حال القاهرة كانت بالاضافة الى الفسطاط أعدل وأجود هواء وأصلح حالا لان أكثر عفوناتهم ترمى خارج المدينة والبخار يتحلل منها اكثر وكثير أيضا من اهل القاهرة يشرب من ماء النيل وخاصة فى ايام دخوله الخليج وهذا الماء يستقى بعد مروره بالفسطاط واختلاطه بعفوناتها قال وقد اقتصر أمر الفسطاط والجيزة والجزيرة فظاهر أن اصح اجزاء المدينة الكبرى القرافة ثم القاهرة والشرف وعمل فوق مع الحمراء والجيزة وشمال القاهرة أصح من جميع هذه لبعده عن بخار الفسطاط وقربه من الشمال وأرقى موضع فى المدينة الكبرى هو ما كان من الفسطاط حول الجامع العتيق الى ما يلى النيل والسواحل والى جانب القاهرة من الشمال الخندق وهو فى غور فهو يتغير أبدا لهذا السبب فاما المقس فجاورته للنيل تجعله أرطب * وقال ابن سعيد فى كتاب المعرب فى حلى المغرب عن البيهقى وأما مدينة القاهرة فهى الحالية الباهرة التى تفنن فيها الفاطميون وأبدعوا فى بنائها واتخذوها وطنا لخلافتهم ومركزا لارجائها فنسى الفسطاط وزهد فيه بعد الاغتباط قال وسميت القاهرة لانها تقهر من شذ عنها ورام مخالفة أميرها وقدروا أن منها يملكون الارض ويستولون على قهر الامم وكانوا يظهرون ذلك ويتحدثون به قال ابن سعيد هذه المدينة اسمها اعظم منها وكان ينبغى أن تكون فى ترتيبها ومبانيها على خلاف ما عاينته لانها مدينة بناها المعز أعظم خلفاء العبيديين وكان سلطانه قد عم جميع طول المغرب من اول الديار المصرية الى البحر المحيط وخطب له فى البحرين من جزيرة عند القرامطة وفى مكة والمدينة وبلاد اليمن وما جاورها وقد علت كلمته وسارت مسير الشمس فى كل بلدة وهبت هبوب الريح فى البر والبحر لاسيما وقد عاين مبانى أبيه المنصور فى مدينة المنصورية التى الى جانب القيروان وعاين المهدية مدينة جده عبيد الله المهدى لكن الهمة السلطانية ظاهرة على قصور الخلفاء بالقاهرة وهى ناطقة الى الآن بألسن الآثار ولله در القائل

هم الملوك اذا أرادوا ذكرها * من بعدهم فبألسن البنيان
ان البناء اذا تعاظم شأنه * اضحى يدل على عظيم الشان

واهتم من بعد الخلفاء المصريون بالزيادة فى تلك القصور وقد عاينت فيها ايوانا يقولون انه بنى على قدر ايوان كسرى الذى بالمدائن وكان يجلس فيه خلفاؤهم ولهم على الخليج الذى بين الفسطاط والقاهرة مبان عظيمة جليلة الآثار وأبصرت فى قصورهم حيطانا عليها طاقات عديدة من الكلس والجبس ذكر لى انهم كانوا يجددون تبييضها فى كل سنة والمكان المعروف فى القاهرة ببين القصرين هو من الترتيب السلطانى لان هنالك ساحة متسعة للعسكر والمتفرجين ما بين القصرين ولو كانت القاهرة عظيمة القدر كاملة الهمة السلطانية ولكن ذلك أمد قليل ثم تسير منه الى أمد ضيق وتمر فى ممر كدر حرج بين الدكاكين اذا ازدحمت فيه الخيل مع الرجالة كان ذلك ما تضيق منه الصدور وتسخن منه العيون ولقد عاينت يوما وزير الدولة وبين يديه امراء الدولة وهو فى موكب جليل وقد لقى فى طريقه عجلة بقر تحمل حجارة وقد سدت جميع الطرق بين يدى الدكاكين ووقف الوزير وعظم الازدحام وكان فى موضع طباخين والدخان فى وجه الوزير وعلى ثيابه وقد كاد يهلك المشاة وكدت اهلك فى جملتهم واكثر دروب القاهرة ضيقة مظلمة كثيرة التراب والازبال والمبانى عليها من قصب وطين مرتفعة قد ضيقت مسلك الهواء والضوء بينهما ولم أر فى جميع بلاد المغرب أسوء حالا منها فى ذلك ولقد كنت اذا مشيت فيها يضيق صدرى ويدركنى وحشة عظيمة حتى اخرج الى بين القصرين * ومن عيوب القاهرة انها فى أرض النيل الاعظم ويموت الانسان فيها عطشا لبعدها عن مجرى النيل لئلا يصادرها ويأكل ديارها واذا احتاج الانسان الى فرجة فى نيلها مشى فى مسافة بعيدة بظاهرها بين المبانى التى خارج السور الى موضع يعرف بالمقس وجوها لا يبرح كدرا بما تثيره الارجل من التراب الاسود وقد قلت فيها حين اكثر على رفاقى من الحض على العود فيها

يقولون سافر الى القاهره * ومالى بها راحة ظاهره
زحام وضيق وكرب وما * تثيربها أرجل السائره

وعند ما يقبل المسافر عليها يرى سورا أسود كدرا وجوا مغبرا فتنقبض نفسه ويفر أنسه وأحسن موضع فى ظواهرها للفرجة ارض الطبالة لاسيما ارض القرط والكتان فقلت

سقى الله ارضا كلما زرت ارضها * كساها وحلاها بزينته القرط
تجلت عروسا والمياه عقودها * وفى كل قطر من جوانبها قرط

وفيها خليج لا يزال يضعف بين خضرتها حتى يصير كما قال الرصافى

مازالت الانحال تأخذه * حتى غدا كذؤابة النجم

وقلت فى نوار الكتان على جانبي هذا الخليج

انظر الى النهر والكتان يرمقه * من جانبيه بأجفان لها حدق
رأته سيفا عليه للصبا شطب * فقابلته بأحداق بها أرق
واصبحت فى يد الارواح تنسجها * حتى غدت حلقا من فوقها حلق
فقم وزرها ووجه الافق متضح * اوعند صفرته ان كنت تغتبق

واعجبنى فى ظاهرها بركة الفيل لانها دائرة كالبدر والمناظر فوقها كالنجوم وعادة السلطان أن يركب فيها بالليل وتسرج اصحاب المناظر على قدر هممهم وقدرتهم فيكون بذلك لها منظر عجيب وفيها اقول

انظر الى بركة الفيل التى اكتنفت * بها المناظر كالاهداب للبصر
كانما هى والابصار ترمقها * كواكب قد أداروها على القمر

ونظرت اليها وقد قابلتها الشمس بالغدو فقلت

انظر الى بركة الفيل التى نحرت * لها الغزالة نحرا من مطالعها
وخل طرفك مجنونا ببهجتها * تهيم وجدا وحبا فى بدائعها

والفسطاط اكثر أرزاقا وأرخص اسعارا من القاهرة لقرب النيل من الفسطاط فالمراكب التى تصل بالخيرات تحط هناك ويباع ما يصل فيها بالقرب منها وليس يتفق ذلك فى ساحل القاهرة لانه بعيد عن المدينة والقاهرة هى اكثر عمارة واحتراما وحشمة من الفسطاط لانها أجل مدارس وأضخم خانات وأعظم ديارا لسكنى الامراء فيها لانها المخصوصة بالسلطنة لقرب قلعة الجبل منها فأمور السلطنة كلها فيها أيسر واكثر وبها الطراز وسائر الاشياء التى تتزين بها الرجال والنساء الا أن فى هذا الوقت لما اعتنى السلطان الآن ببناء قلعة الجزيرة التى أمام الفسطاط وصيرها سرير السلطنة عظمت عمارة الفسطاط وانتقل اليها كثير من الامراء وضخمت اسواقها وبنى فيها السلطان أمام الجسر الذى للجزيرة قيسارية عظيمة تنقل اليها من القاهرة سوق الاجناد التى يباع فيها الفراء والجوخ وما اشبه ذلك ومعاملة القاهرة والفسطاط بالدراهم المعروفة بالسوداء كل درهم منها ثلث من الدرهم الناصرى وفى المعاملة بها مشقة وخسارة فى البيع والشراء ومخاصمة مع الفريقين وكان بها فى القديم الفلوس فقطعها الملك الكامل فبقيت الى الآن مقطوعة منها وهى فى الاقليم الثالث وهواء هاردىء لاسيما اذا هب المريسى من جهة القبلة وأيضا رمد العين فيها كثير والمعايش فيها متعذرة نزرة لاسيما اصناف الفضلاء وجوامك المدارس قليلة كدرة واكثر ما يتعيش بها اليهود والنصارى فى كتابة الخراج والطب والنصارى بها يتمازون بالزنار فى أوساطهم واليهود بعلامة صفراء فى عمائمهم ويركبون البغال ويلبسون الملابس الجليلة ومآكل اهل القاهرة الدميس والصير والصحناة والبطارخ ولا تصنع النيدة وهى حلاوة القمح الا بها وبغيرها من الديار المصرية وفيها جوار طباخات أصل تعليمهن من قصور الخلفاء الفاطميين لهن فى الطبخ صناعة عجيبة ورياسة متقدمة ومطابخ السكر والمطابخ التى يصنع فيها الورق المنصورى مخصوصة بالفسطاط دون القاهرة ويصنع فيها من الانطاع المستحسنة ما يسفر الى الشام وغيرها ولها من الشروب الدمياطية وأنواعها ما اختصت به وفيها اصناع للقسى كثيرون متقدمون ولكن قسى دمشق بها يضرب المثل واليها النهاية ويسفر من القاهرة الى الشام ما يكون من انواع الكمرانات وخرائط الجلد والسيور وما اشبه ذلك وهى الآن عظيمة آهلة يجبى اليها من الشرق والغرب والجنوب والشمال ما لا يحيط بجملته وتفصيله الا خالق الكل جل وعلا وهى مستحسنة للفقير الذى لا يخاف على طلب زكاة ولا ترسيما وعذابا ولا يطلب برفيق له اذا مات فيقال له ترك عندك مالا فربما سجن فى شأنه او ضرب وعصر والفقير المجرد فيها مستريح من جهة رخص الخبز وكثرته ووجود السماعات والفرج فى ظواهرها ودواخلها وقلة الاعتراض عليه فيما تذهب اليه نفسه

يحكم فيها كيف شاء من رقص فى السوق او تجريد أو سكر من حشيشة اوغيرها او صحبة المردان وما اشبه ذلك بخلاف غيرها من بلاد المغرب وسائر الفقراء لا يعترضون بالقبض للاسطول الا المغاربة فذلك وقف عليهم لمعرفتهم بمعاناة البحر فقد عم ذلك من يعرف معاناة البحر منهم ومن لا يعرف وهم فى القدوم عليها بين حالين ان كان المغربى غنيا طولب بالزكاة وضيقت عليه أنفاسه حتى يفر منها وان كان مجردا فقيرا حمل الى السجن حتى يجىء وقت الاسطول وفى القاهرة ازاهير كثيرة غير منقطعة الاتصال وهذا الشان فى الديار المصرية تفضل به كثيرا من البلاد وفى اجتماع النرجس والورد فيها اقول

من فضل النرجس وهو الذى * يرضى بحكم الورد اذ يرأس
أما ترى الورد غدا قاعدا * وقام فى خدمته النرجس

واكثر ما فيها من الثمرات والفواكه الرمان والموز والتفاح وأما الاجاص فقليل غال وكذلك الخوخ وفيها الورد والنرجس والنسرين والنيلوفر والبنفسج والياسمين والليمون الاخضر والاصفر وأما العنب والتين فقليل غال والكثرة ما يعصرون العنب فى أرياف النيل لا يصل منه الا القليل ومع هذا فشراؤه عندهم فى نهاية الغلاء وعامتها يشربون المزر الابيض المتخذ من القمح حتى ان القمح يطلع عندهم سعره بسببه فينادى المنادى من قبل الوالى بقطعه وكسر أوانيه ولا ينكر فيها اظهار أوانى الخمر ولا آلات الطرب ذوات الاوتار ولا تبرج النساء العواهر ولا غير ذلك مما ينكر فى غيرها من بلاد المغرب وقد دخلت فى الخليج الذى بين القاهرة ومصر ومعظم عمارته فيما يلى القاهرة فرأيت فيه من ذلك العجائب وربما وقع فيه قتل بسبب السكر فيمنع فيه الشرب وذلك فى بعض الاحيان وهو ضيق عليه فى الجهتين مناظر كثيرة العمارة بعالم الطرب والتهكم والمخالفة حتى ان المحتشمين والرؤساء لا يجيزون العبور به فى مركب وللسرج فى جانبيه بالليل منظر فتان وكثيرا ما يتفرج فيه اهل الستر بالليل وفى ذلك اقول

لا تركبن فى خليج مصر * الا اذا أسدل الظلام
فقد علمت الذى عليه * من عالم كلهم طغام
صفان للحرب قد أطلا * سلاح ما بينهم كلام
ياسيدى لا تسر اليه * الا اذا هوم النيام
والليل ستر على التصابى * عليه من فضله لثام
والسرج قد بددت عليه * منها دنانير لا ترام
وهو قد امتد والمبانى * عليه فى خدمة قيام
لله كم دوحة جنينا * هناك اثمارها الاثام

انتهى

وفيه تحامل كثير * وقال زكى الدين الحسين من رسالة كتبها من مصر فى شهر رجب سنة اثنتين وستين وسبعمائة الى اخيه وهو بدمشق يتشوق اليها ويذكر ما فيها من المواضع والمنتزهات ويذم من مصر بقوله فكيف يبقى لمن حل فى جنة النعيم ورياضها ويرتع فى ميادين المسرات وغياضها تلفت الى من سلمته يد الاقدار الى ارض ليست بذات قرار وبدلوا بجنتهم ذات البان المتفاوح والورق المتصادح والنشر المتقادح والماء المطلق المسلسل والنسيم الصحيح العليل جنتين ذواتى اكل خمط وأثل وشىء من سدر قليل وتقصدتهم يد القضاء فأخذتهم بالباساء والضراء واوقعتهم بمصر وشموسها وحميها وغمومها وحزونها ووعورها وحرورها وزفيرها وسعيرها وكيمانها ونيرانها وسودانها وفلاحيها وملاحيها ومشاربها ومساربها ومسالكها ومهالكها وصحناتها وعصفورها وبوريها ودقورها ومخاوف نوروزها وحرارة تموزها ودارس طلولها ورائس اسطولها وتعكر مائها وتكدر هوائها فلو تراهم فى أرجائها القصوى كالاباعر الهمل وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل * فأجابه من دمشق بكتاب من جملته على لسان دمشق كأنها تخاطبه ويا ايها الولد العزيز كيف سمحت فطرتك السليمة ومروءتك الكريمة وسيرتك المستقيمة وصبرك المحافظ ودينك المراقب الملاحظ بذم من جنيت نعمها وسكنت حرمها وقلت مصر وشموسها وسقت عليها القول من كل جانب واستعرت لها التكدير حتى فى المشارب والمسارب وهلا ذكرتها وقد باكرها نيل النعيم بمعيشة بليل

النسيم

النسيم بكاس من تسنيمه وطما البحر عليها زاخرا فأغناها عن بكاء السحاب وتجهيمه وعمّ معظم أرضها وعب عبابه في طولها وعرضها حتى كاد يعلو رفيع قصورها ويتسوّر بسورته شامخ سورها ومع ذا الاتراه جسورا على ضعاف جسورها قد طبق التهائم والانجاد وغرّق الآكام والوهاد وعلا اعلى الصعيد والصعاد وأعاد البرّ سلطانه بحرا بالازدياد فاذا ارتوى أوام أكباد البلاد وروى السهل والوعر والهضاب والوهاد وذهب املاق الارض بكل ملقة وخليج وانجاب عنها فاهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج بدت روضة نضرة بأملاق مقطعة كزمرّذة خضراء بلآل مرصعة فكم من غدير مستدير كبدر منير ودقيق مستطيل كسيف صقيل وكم من قليب قلاب بماء كجلاب وكم من عظيم بركة حرّكها النسيم بلطفه وطيبها عبير عنبرها فضمخها بكفه وزهت بزهو نيلوفرها فعرّفها بعرفه وكم ترى من ملقة لبقة عليها عيون النرجس محدّقة كعين خدّ عروس محمّقة والنوّار قد دارت بمدام الندى كؤوسه وجالت في مراح الافراح نفوسه ونجم نجمه وابتسم عروسه وسامره الرذاذ المنهل وباكره الطل فكلله بلؤلؤه وقلده وزاره النسيم المعتل فأقامه وأقعده ونمق أرضه وروضه فذهبه وفضضه قد تاهت برياضها الغناء وزهت بزخرفها وزينتها الحسناء وامتدّ بساطها الزمرّدي وانبسط مدادها الزبرجدي فلا يدرك أقصاه ناظر مسافر ولا يحيط بمنتهاه خيال ولا خاطر فلله درّها من روضة مرن وكعبة حسن ومقطعات بماء غير آسن وحرم بحور للحجاج طيره امن آتاها حجيج الطير من كل فج عميق ملبيا داعي حسنها من كل مكان سحيق قد امتطى ركبها متون الرياح وعلا جثمانها عالم الارواح ووصلن الادلاج بالصباح وقطعن اجناح الليل بخفاق الجناح كأنهنّ الدراري السواري او المنشآت الجواري او المطايا المهاري

تواصل من جوّ حواتض نيله * صعود على حكم الطريق نزول

رفاق تعاهدن على الوفاء وتحالفن على النعماء والبلاء خرجن مهاجرات من الاوطان ألوفا وقدمن صافات كالمصلين صفوفا يقدمهن دليل كأنه امام قد قتل طرق الآفاق خبرا واستوى لديه الاضواء والاظلام أبصر من زرقاء اليمامه وأطير من الورقاء والهامه وأهدى من النجم وأشدّ من السهم يتناجين بلغات أعجميات مسجعات بألحان مطربات فطفن في حرمها الآمن واعتمرن بتلك المحاسن فتراها عند اقبال نوّها وحومها في جوّها ماتستقيم خطا مستقيما وان كانت تصطف صفا عظيما فمنها ما يستهل هلالا ومنها ما يحكي بنات نعش حالا ومنها ما ينشئ بادلاله دالا ومنها ما يخط نونا نونا فيحكي حاجبا مقرونا ومنها ما يكتب زينا فيعيدها عينا ومنها ما يصوّر مهم الهجاء فيشاهد مبسم السماء ومنها ما يأتي زرافات ووحدانا فيبدع في اعجابه حسنا واحسانا فكم من حبل اوزمعلق بالسماء يحلق الى ذلك الماء وأوانس عرّيسات انيسات كيسات وصور صور كأمثال حور وطيرالغلغ مكتس بديباج مصبغ وجليل حبرج كعلج متوّج وكركيّ عريض طويل كبعير كبير جميل وغرير غرّ مغرّر متغير وسبيطر شديد شويطر وكم ضخم الدسيعة جوّال ككوهي بالقوّة المنيعة صوّال ورخام مرزم كذي امرة محتشم وجلالة نسر في الشائع الذائع والحاضر الواقع أبهى من النسر الطائر والواقع وعظم عقاب تمّ الحسن بحسنه وكل الصيد في ضمنه وكم من خضاري وحرمان وبلشون وشهرمان صنوان وغير صنوان وكم من بط على شط وخلط وقطقط منقط وغرّ وغرنوق وكرسوغ ممشوق ونورس مستأنس وقد امتلأت بهنّ الآفاق وتكللت بنجومهنّ الاملاق وشربن من بحريالها فأسكرهنّ الاصطباح والاغتباق فكم من مسودّ كخال بخدّ وأزرق كلازورد وأشقر كزهر ورد أحمر ناصع وأصفر فاقع وابيض ذي خضاب عندمي بلطيف منقار بقمي ومبرقش ومبقع ومعمم ومقنع وأشقر منقش وارقش مرشش وعودي وهندي وصيني سني وعينين كياقوتتين قد رصعتا في لجين وكم من طائر ابهى من قرسائر بفرق مثل صبح سافر فتراهنّ في الماء صموتا وقوفا صفوفا عكوفا كصور أصنام او حجارة مبددة في آكام وكم من اطيار ظراف ملاح لطاف ذوات ألحان ونضرة وألوان وخلق وأخلاق ونطق وأطواق وايناس مع شماس قد ازدانت الارض بأصواتها واختلاف لغاتها وعجائب صفاتها فبرزت بأنواع الاعاجيب وتجلت بأجمل الجلابيب وابدعت في صور الاحسان وتصوّرت في بدائع الالوان فاذا ابدت زرقاء في زهر كأنها مذهبة بأزهار لبساتها

مفضضة بنجوم اقحوانها خلعت السماء عليها خلعة جميل أردانها واذا فاح نشر نوار قرطها شممت المسك الذكى من مرطها ورأيت لآلئ سمطها مبسوطة على خضر بسطها ومغالاتها بغالية نور فولها وهزاتها اذا رفل النسيم فى ذيولها قد رصعت اغصانه بفصوص لجينها ونقطته من حسنها بسواد عينها فعيونه كعيون غزلانها فى فتكها وأحداقه كأحداق ولدانها من تركها وكم لها من طرة معنبرة وجبهة منورة ووجنة من عفرة وملاءة منشورة معصفرة وخد مورد وطرف مهند ولماها صيغ من عقيق الشقيق وسكرها من ذلك الريق على التحقيق واين بزوغ بشنينها وامتداد يقطينها وأين حلاوة عرائس نخلاتها وطلاوة أوانس قاماتها بمشابهتها فى صفاتها وعرائس فسيلاتها واين نضيد طلعها وحميد فرعها ومديد جذعها وفرجارها عن غرة جمارها واخضرار اكمامها واحمرار التامها وبنان بسرها المطرف وبنان نشرها المشرف وانتظام سرورها بابتسام منثورها وورد واديها ومحناها وندى ندها وعرحناها وآسها وطيب طيب أنفاسها وتبرجها بأترجها وتبهرجها بنارنجها وتختمها بمختمها وتبسمها عن بلسمها وتشقق أبرادها عن نهود كادها وتضاعف أرجها بمضعف بنفسجها وجلالة مقدارها اذا فتحت أزرارها عن جلنارها وطيب شميمها من اشمومها ونسيمها ووسميها بأوسميها وجنان قلوبها وحرمان قليبها وأحواضها بيهنيها ورياضها وطوبتها بطريتها ونفيس انسها بقسها وغريب غرسها بيلقسها وعظيم آسها بحلق مقيامها وكريم تحيتها من قبل اليمن هبوب أنفاسها واجتماع اسعدها وارتفاع رصدها وسواقيها الحنانة فى سجعها الهتانة بسكبها من دمعها وجنة لوقها وبلدة بولاقها وبركة فيلها من بركة نيلها وجزيرة ذهبها وقلعة الجزيرة بذهبها من عجبها حكت فلكها فى بحرها واحكمت مملكتها فى برها وعظم جلالها بقلعة جبلها واعتلاء أعلامها ببناء أهرامها واذا نظرت الى سعود صعودها الى سعيد صعيدها واغتباطها بانحطاطها الى صوب سكندريتها ودمياطها ألهتك عن حسن الثريا ومناطها ولا تنس الجوارى المنشآت فى البحر كالاعلام التى تسبق عند طياب الرياح مفوقات السهام واعجابها بغربانها البحرية وحراقاتها الحربية وشوانيها وهول مبانيها وجلال شكلها وجمال معانيها تبدو موشاة بالنضار الاحمر منقشة باللون الاخضر فهى كالارقم المنمر او كتلون النمر او الطاوس الذكر او الناوس لبنى الاصفر معمرة ببأس الحديد والاحجار محمولة على سيح الماء التيار مشحونة بالرجال منصورة عند القتال مصونة بالجن والنبال تبرز مذكرة بالآية النوحية وتضمن احراز الهمة العلية الفتحية حصون امنع من اعز قلاع تطير اذا فتح لها جناح القلاع فتسبق وفد الريح عند الاسراع وتفوق سرعة السحاب عند الاتساع فهن مع العقبان فى النيق حوم وهن مع البنيان فى البحر عوم لو اقسم من رآها ولو قال مشاهد معناها ان الله نفخ فيها الروح فأحياها لبر فى يمينه التى اقسم وتلاها وكم من مركب لحسنه معجب وكم من سفين قوى امين وخضارى جليل وعشارى طويل ومسمارى طويل جميل وفستراوى عكاوى واكة ودرمونه ومعدية مكينه وسلور دقيق وشختور رشيق وقرقور رقيق وزورق ذى زواريق وطريدة بخيل الطراد معمورة دهماء بحمل الجياد والاجناد مشهورة ومخلوف فى الآفاق بالمعروف معروف وما احلى بنان رطبها المخضب ورشيق قامة قصبها المقصب وبهجة فوزها بطلع موزها وخضر أعلام اوراقها وصفر كرام اعلاقها فلا البلاغة تبلغ من احصاء فضلها مراما ولا الفصاحة تصوغ لوصف تشبيهها كلاما فنسأل الله تعالى أن يكنفها بركنه الذى لا يرام ويحرسها بعينه التى لا تنام بمنه وكرمه * وقال الرئيس شهاب الدين احمد بن محيي الدين يحيي بن فضل الله العمرى كاتب السر

لمصر فضل باهر * بعيشها الرغد النضر
فى كل سفح يلتقى * ماء الحياة والخضر

وقال ابراهيم بن القاسم الكاتب الملقب بالرشيق يتشوق الى مصر وقد خرج عنها فى سنة ست وثمانين وثلثمائة من قصيدة

هل الريح ان سارت مشرقة تسرى * تؤدى تحياتى الى ساكنى مصر
فما خطرت الا بكيت صبابة * وحملتها ماضاق عن حمله صدرى

لانى اذا هبت قبولا بنشرهم * شممت نسيم المسك من ذلك النشر
فكم لى بالاهرام اودير نهية * مصايد غزلان المطايد والقفر
الى جيزة الدنيا وما قد تضمنت * جزيرتها ذات المواخر والجسر
وبالمقس والبستان للعين منظر * انيق الى شاطى الخليج الى القصر
وفى بئر دوس مستراد وملعب * الى دير مرحنا الى ساحل البحر
فكم بين بستان الامير وقصره * الى البركة النضراء من زهر نضر
تراها كمرآة بدت فى رفارف * من السندس الموشى تنشر للتجر
وكم ليلة لى بالقرافة خلتها * لما نلت من لذاتها ليلة القدر

وقال احمد بن رستم بن اسفهسلار الديلمى يخاطب الوزير نجم الدين ابا يوسف بن الحسين المجاور وتوفى فى رابع عشر ذى الحجة سنة احدى وعشرين وستمائة

حى الديار بشاطئ مقياسها * فالمقسم الفياح بين دهاسها
فالروضتين وقد تضوع عرفها * ارج البنفسج فى غضارة آسها
فمنازل العين المنيفة أصبحت * يغنى سناها عن سنا نبراسها
فخليجها اذ انه مطلوبة * تسمو محاسنه علا أناسها
حافاته محفوفة بمنازل * نزلت بها الآرام دون كناسها

وقال العلامة جلال الدين محمد الشيرازى المعروف بامام منكلى بغا

حيا الحيا مصرا وسكانها * وباكرا لو سمى كثبانها
وجاد صوب المزن من ارضها * معاهد الانس وأوطانها
معاهد بالانس معمورة * لم انس مهما عشت احسانها
كم ايقظتنى فى ذراد وخها * عجماء لا تفقه ألحانها
وكم نعيم قد تخيلته * فيها وكم غازات غزلانها
وعاينت عينى بها اغيدا * منعس المقلة وسنانها
تسحر بالتفتير ألحاظه * كأن من بابل شيطانها
وكم شجت قلبى بها غادة * قد كحلت بالغنج أجفانها
اذا دعت صبا الى حبها * لا يستطيع الصب عصيانها
وكم ليال لى بها قد مضت * تسحب بالاعجاب أردانها
والهف نفسى كيف شطت بها * حوادث قوضن بنيانها
فارقتها لا عن قلى صدنى * عنها فراق الروح جسمانها
واعتضت عن غزلانها والمها * نعاج جيرون وثيرانها
يا سائلى عن حالتى بعدها * ها انا ذا اذكر عنوانها
ما حال من فارق اصحابه * وفارق الدنيا وجيرانها
تقاب فوق الجمر أحشاؤه * تؤجج الاشواق نيرانها
والعين لا تنفك من عبرة * ترسل فوق الخد طوفانها
يا سائق النوق يبث الثرى * كمثل بث السحب تهتانها
حى زبا مصر وجناتها * وحورها العين وولدانها
ودورها الزهر وساحاتها * وبين قصريها وميدانها
وأرضها المخصب أرجاؤها * ونيلها الزاهى وخلجانها
والروضة الفيحاء تلك التى * تجلو عن الانفس أحزانها
ومنية السيرج لا تنسها * وقرطها الاحوى وكتانها

والتاج والجس وجوه التى * اضحت من الاعين انسانها
وحى يا برق وجد بالحيا * جزيرة الفيل وغيطانها
وبانها الغض ونسرينها * ووردها البكر وريحانها
وظلها الضافى وأزهارها * وماءها الصافى وغدرانها
والمعهد المأنوس من ربعها * وحى اهليها وسكانها
لم انس لا انسى اصطباحى بها * ولا اغتبا قاتى وابانها
ولا اويقات التصابى ولا * تلك الخلاعات وأزمانها
ايام لا انفك من صبوة * اهوى اللذاذات واعلانها
اخطر تيها فى رياض الصبا * مرنح الاعطاف كسلانها
وخيل لهوى فى ميادينها * تجر جرا الصبوة أرسانها
ودوحتى ناضرة غضة * تعطف ريح اللهو أغصانها
حاشاى أن انقض عهدا لها * حاشاى أن اصبح خوانها
حاشاى أن أهجرها قاليا * حاشاى أن احدث سلوانها
حاشاى أن أرضى بديلا بها * روابى الشام وقيعانها
وماءها الثج وحصباءها * وصخرها الصلد وصوانها
قد تاقت النفس الى الفها * وحثت الاشواق أظعانها
واذكرت فى البعد أحبابها * فهيج التبريح أشجانها
وما لها غيرك من ملتجا * يا أوحد الدنيا وانسانها

(ذكر ما قيل فى مدة بقاء القاهرة ووقت خرابها)

قال العارف محيى الدين محمد بن العربى الطائى الحاتمى فى الملحمة المنسوبة اليه قاهرة تعمر فى سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وتخرب سنة ثمانين وسبعمائة ووقفت لها على شرح لم اعرف تصنيف من هو فانه لم يسم فى النسخة التى وقفت عليها وهو شرح لطيف قليل الفائدة فانه ترك كلام المصنف فيما مضى على ما هو معروف فى كتب التاريخ ولم يبين مراده فيما يستقبل وكانت الحاجة ماسة الى معرفة ما يستقبل اكثر من المعرفة بحال ما مضى لكن اخبرنى غير واحد من الثقات انه وقف لهذه الملحمة على شرح كبير فى مجلدين قال هذا الشارح كانت بداية عمارة القاهرة والنيران فى شرفهما الشمس فى برج الحمل والقمر فى برج الثور وهو برج ثابت قال فعمر القاهرة ومدتها اربعمائة واحدى وستون سنة قال فى الاصل واذا نزل زحل برج الجوزاء عزت الاقوات بمصر وقل اغنياؤهم وكثر فقراءهم ويكون الموت فيهم ويخرج اهل برقة عن أوطانهم لا سيما اذا قارن زحل الجوزهر فان الحال يكون أشد وأقوى قال الشارح كان ذلك فى سنة اربع وستين وستمائة فى ايام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس فانه نزل زحل برج الجوزاء فوقع الغلاء وفى آخر سنة اربع واول سنة خمس وتسعين وستمائة فى ايام الملك العادل كتبغا حل زحل فى برج الجوزاء وكان معه الجوزهر فكانت اشد وأقوى وكثر الغلاء والوباء قال سئل المعز عن الترك ما هم فقال قوم مسلمون يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الحدود والواجبات ويقاتلون فى سبيل الله اعداء الله فقيل له اتطول مدتهم قال لا تطول مدتهم قيل فكيف يكون زوالهم قال يكون هكذا وكان الى جانبه طبق كيزان فحركه حركة شديدة فتكسرت الكيزان فقال هكذا يكون زوالهم يقتل بعضهم بعضا قال

احذر بنى من القران العاشر * وارحل بأهلك قبل نقر الناقر

قال الشارح اول القران العاشر فى سنة خمس وثمانين وسبعمائة وفيه تكون حالات رديئة بارض مصر وهذا يوافق ما فى القول عن القاهرة وتخرب فى سنة خمس وثمانين وسبعمائة يعنى بداية انحطاطها من سنة خمس وثمانين وسبعمائة التى فيها القران العاشر ويثبت فى عشرين سنة التى هى ايام القران وقد ذكر فى الربع

الآخر أربعمائة واحدى وستين سنة وقد تخيلت انها مدة عمر القاهرة فاذا زدتها على تاريخ عمارتها بلغ ذلك ثمانمائة وتسع عشرة سنة وفى ذلك الوقت يكون زوالها وهو ما بين سنة ثمانين وسبعمائة الى سنة تسع عشرة وثمانمائة ويكون ذلك سببه قحط عظيم وقلة خير وكثرة شر حتى تخرب ويضعف اهلها قال قران زحل والمريخ فى برج الجدى يكون فى سنة سبعين وسبعمائة فتعد لكل مائة سنة من سنى الهجرة ثلاث سنين فيكون ثلاثا وعشرين سنة تزيدها على سبعمائة وسبعين سنة تبلغ سبعمائة وثلاثا وتسعين سنة ففى مثلها من سنى الهجرة يكون اول اوقات خراب القاهرة انتهى * وتهذيب هذا القول أن زحل كلما حل برج الجوزاء اتضعت احوال مصر وقلت اموالهم وكثر الغلاء والفناء عندهم بحسب الاوضاع الفلكية وزحل يحل فى برج الجوزاء كل ثلاثين سنة شمسية فيقيم فيه نحوا من ثلاثين شهرا وانت اذا اعتبرت امور العالم وجدت الحال كما ذكرنا فانه كلما حل زحل برج الجوزاء وقع الغلاء بمصر وذكر ان القران العاشر تتضع فيه احوال القاهرة ورأينا الامر كما ذكرنا فان القران العاشر كان فى سنة ست وثمانين وسبعمائة ومدة سنيه عشرون سنة شمسية آخرها سابع عشر رجب سنة سبع وثمانمائة وفى هذه المدة اتضع حال القاهرة وأهلها اتضاعا قبيحا ومن الاوقات المحذورة لها أيضا اقتران زحل والمريخ فى برج السرطان ويكون ذلك فى كل ثلاثين سنة شمسية ويقترنان فى سنة ثمان عشرة وثمانمائة وفى مدته تنقضى الاربعمائة والاحدى والستون سنة التى ذكر أنها عمر القاهرة فى سنة تسع عشرة وثمانمائة وشواهد الحال اليوم تصدق ذلك لما عليه اهل القاهرة الآن من الفقر والفاقة وقلة المال وخراب الضياع والقرى وتداعى الدور للسقوط وشمول الخراب اكثر معمور القاهرة واختلاف اهل الدولة وقرب انقضاء مدتهم وغلاء سائر الاسعار ولقد سمعت ممن يرجع اليه فى مثل ذلك أن العمارة تنتقل من القاهرة الى بركة الحبش فيصير هنالك مدينة والله تعالى أعلم

(ذكر مسالك القاهرة وشوارعها على ما هى عليه الآن)

وقبل أن نذكر خطط القاهرة فلنبتدئ بذكر شوارعها ومسالكها المسلوك منها الى الازقة والحارات لتعرف بها الحارات والخطط والازقة والدروب وغير ذلك مما ستقف عليه ان شاء الله تعالى * فالشارع الاعظم قصبة القاهرة من باب زويلة الى بين القصرين عليه باب الخرنفش او الخرنشف ومن باب الخرنفش يتفرق من هنالك طريقان ذات اليمين ويسلك منها الى الركن المخلق ورحبة باب العيد الى باب النصر وذات اليسار ويسلك منها الى الجامع الاقمر والى حارة برجوان الى باب الفتوح فاذا ابتدأ السالك بالدخول من باب زويلة فانه يجد يمنة الزقاق الضيق الذى يعرف اليوم بسوق الخلعيين وكان قديما يعرف بالخشابين ويسلك من هذا الزقاق الى حارة الباطلية وخوخة حارة الروم البرانية ثم يسلك الداخل أمامه فيجد على يسرته سجن متولى القاهرة المعروف بخزانة شمايل وقيسارية سنقر الاشقر ودرب الصفيرة ثم يسلك أمامه فيجد على يمنته حمام الفاضل المعدة لدخول الرجال وعلى يسرته تجاه هذه الحمام قيسارية الامير بهاء الدين رسلان الدوادار الناصرى الى أن ينتهى بين الحوانيت والرباع فوقها الى بابى زويلة الاول ولم يبق منهما سوى عقد أحدهما ويعرف الآن بباب القوس ثم يسلك أمامه فيجد على يسرته الزقاق المسلوك فيه الى سوق الحدادين والجارين المعروف اليوم بسوق الانماطيين وسكن الملاهى والى المحمودية والى سوق الاخفافيين وحارة الجودرية والصوافين والقصارين والفحامين وغير ذلك ويجد تجاه هذا الزقاق عن يمينه المسجد المعروف قديما بابن البناء وتسميه العامة الآن بسام بن نوح وهو فى وسط سوق الغرابليين والمناخليين ومن معهم من الضببيين ثم يسلك أمامه فيجد سوق السراجين ويعرف اليوم بالشوايين وفى هذا السوق على يمينه الجامع الظافرى المعروف بجامع الفكاهين وبجانبه الزقاق المسلوك منه الى حارة الديلم وسوق القفاصين وسوق الطيوريين والاكفانيين القديمة المعروفة الآن بسكنى دقاقى الثياب ويجد على يسرته الزقاق المسلوك منه الى حارة الجودرية ودرب كركامة ودكة الحسبة المعروفة قديما بسوق الحدادين وسوق الوراقين القديمة والى سوق الفاميين المعروف اليوم بالابازرة والى غير ذلك ثم يسلك أمامه الى سوق الحلاويين الآن فيجد عن يمينه الزقاق المسلوك فيه الى سوق الكعكيين المعروف قديما بالقطانين وسكنى الاساكفة والى بابى قيسارية جهاركس وعن يسرته قيسارية الشرب ثم يسلك

أمامه الى سوق الشرابشيين المعروف قديما بسكن الحالقيين وعن يمنته درب قيطون ثم يسلك أمامه شاقا فى سوق الشرابشيين فيجد عن يمنته قيسارية امير على ويجد عن يسرته سوق الجملون الكبير المسلوك فيه الى قيسارية ابن قريش والى سوق العطارين والوراقين والى سوق الكفتيين والصيارف والاخفافيين والى بئر زويلة والبندقانيين والى غير ذلك ثم يسلك أمامه فيجد عن يمينه الزقاق المسلوك فيه الى سوق القرابين الآن وكان يعرف اولا بدرب البيضاء والى درب الاسوانى والى الجامع الازهر وغير ذلك ويجد عن يسرته قيسارية بنى اسامة

ثم يسلك أمامه شاقا فى سوق الجوخيين واللجميين فيجد عن يمينه قيسارية السروج وعن يسرته قيسارية

هكذا بياض بالاصل

ثم يسلك أمامه الى سوق السقطيين والمهامزيين فيجد عن يمينه درب الشمسى ويقابله باب قيسارية الامير علم الدين الخياط وتعرف اليوم بقيسارية العصفر ثم يسلك أمامه شاقا فى السوق المذكور فيجد عن يمينه الزقاق المسلوك فيه الى سوق القشاشين وعقبة الصباغين المعروف اليوم بالخراطين والى سوق الخميين والى الجامع الازهر وغير ذلك ويجد قبالة هذا الزقاق عن يسرته قيسارية العنبر المعروفة قديما بحبس المعونة ثم يسلك أمامه فيجد على يسرته الزقاق المسلوك فيه الى سوق الوراقين وسوق الحريريين الشراربيين المعروف قديما بسوق الصاغة القديمة والى درب شمس الدولة والى سوق الحريريين والى بئر زويلة والبندقانيين والى سويقة الصاحب والحارة الوزيرية والى باب سعادة وغير ذلك ثم يسلك أمامه شاقا فى بعض سوق الحريريين وسوق المتعيشين وكان قديما سكنى الدجاجين والكعكيين وقبل ذلك اولا سكنى السيوفيين فيجد عن يمينه قيسارية الصنادقيين وكانت قديما تعرف بفندق الدبابليين ويجد عن يسرته مقابلها دار المأمون البطائحى المعروفة بمدرسة الحنفية ثم عرفت اليوم بالمدرسة السيوفية لانها كانت فى سوق السيوفيين ثم يسلك أمامه فى سوق السيوفيين الذى هو الآن سوق المتعيشين فيجد عن يمينه خان مسرور وحجرتى الرقيق ودكة المماليك بينهما ولم تزل موضعا لجلوس من يعرض من المماليك الترك والروم ونحوهم للبيع الى اوائل ايام الملك الظاهر برقوق ثم بطل ذلك ويجد عن يسرته قيسارية الرماحين وخان الحجر ويعرف اليوم هذا الخط بسوق باب الزهومة ثم يسلك أمامه فيجد عن يسرته الزقاق والساباط المسلوك فيه الى حمام خشيبة ودرب شمس الدولة والى حارة العدوية المعروفة اليوم بفندق الزمام والى حارة زويلة وغير ذلك ويجد بعد هذا الزقاق قريبا منه فى صفه درب السلسلة ومن هنا ابتداء خط بين القصرين وكان قديما فى ايام الدولة الفاطمية براحا واسعا ليس فيه عمارة البتة يقف فيه عشرة آلاف فارس والقصران هما موضع سكنى الخليفة احدهما شرقى وهو القصر الكبير وكان على يمنة السالك من موضع خان مسرور طالبا باب النصر وباب الفتوح وموضعه الآن المدارس الصالحية النجمية والمدرسة الظاهرية الركنية وما فى صفها من الحوانيت والرباع الى رحبة العيد وما وراء ذلك الى البرقية ويقابل هذا القصر الشرقى القصر الغربى وهو القصر الصغير ومكانه الآن المارستان المنصورى وما فى صفه من المدارس والحوانيت الى تجاه باب الجامع الاقمر فاذا ابتدأ السالك بدخول بين القصرين من جهة خان مسرور فانه يجد على يسرته درب السلسلة ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه الزقاق المسلوك فيه الى سوق الامشاطيين المقابل لمدرسة الصالحية التى للحنفية والحنابلة والى الزقاق الملاصق لسور المدرسة المذكورة المسلوك فيه الى خط الزراكشة العتيق حيث خان الخليلى وخان منجك والى الخوخ السبع حيث الآن سوق الابارين والى الجامع الازهر والى المشهد الحسينى وغير ذلك ثم يسلك أمامه شاقا فى سوق السيوفيين الآن فيجد على يساره دكاكين السيوفيين وعلى يمينه دكاكين النقليين ظاهر سوق الكتبيين الآن وعلى يساره سوق الصيارف برأس باب الصاغة وكان قديما مطبخ القصر قبالة باب الزهومة ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه باب المدارس الصالحية تجاه باب الصاغة ثم يسلك أمامه فيجد عن يمينه القبة الصالحية وبجوارها المدرسة الظاهرية الركنية ويجد على يساره باب المارستان المنصورى وفى داخله القبة المنصورية التى فيها قبور الملوك وتحت شبابيكها دكاك القفصيات التى فيها الخواتيم ونحوها فيما بين القبة المذكورة والمدرسة الظاهرية المذكورة وفى داخله أيضا المدرسة المنصورية وتحت شبابيكها أيضا دكاك القفصيات فيما بين شبابيكها وشبابيك المدرسة الصالحية التى للشافعية والمالكية وتحتها خيمة الغلمان بجوار قبة الصالح وفى داخله أيضا المارستان الكبير المنصورى المتوصل من باب سره الى حارة زويلة والى الخرنشف والى الكافورى والى البندقانيين وغير ذلك ثم يسلك من باب المارستان فيجد على يمنته سوق السلاح والنشابين

الآن

الآن تحت الربع المعروف بوقف امير سعيد ويجد على يسرته المدرسة الناصرية الملاصقة لمئذنة القبة المنصورية ثم يسلك أمامه فيجد على يمنته خان بشتاك وفوقه الربع وعرف الآن هذا الخان بالمستخرج ويجد على يسرته المدرسة الظاهرية الجديدة بجوار المدرسة الناصرية وكانت قبل انشائها مدرسة فندقا يعرف بخان الزكاة ثم يسلك أمامه فيجد على يمنته باب قصر بشتاك ويجد على يسرته المدرسة الكاملية المعروفة بدار الحديث وهى ملاصقة للمدرسة الظاهرية الجديدة ثم يسلك أمامه فيجد على يمنته الزقاق المسلوك فيه الى بيت امير سلاح المعروف بقصر امير سلاح وهو الامير فخر الدين بكتاش الفخرى الصالحى النجمى والى دار الامير سلار نائب السلطنة والى دار الطواشى سابق الدين ومدرسته التى يقال لها المدرسة السابقية وكان فى داخل هذا الزقاق مكان يتوصل اليه من تحت قبو المدرسة السابقية يعرف بالسودوس فيه عدة مساكن صارت كلها اليوم دارا واحدة انشاء الامير جمال الدين الاستادار وكان تجاه باب المدرسة السابقية ربع تحته فرن ومن ورائه عدة مساكن يعرف مكانها بالحدرة فهدم الامير جمال الدين المذكور الربع وماوراءه وحفر فيه صهريجا وأنشأ به عدة آدر هى الآن جارية فى اوقافه وكان يسلك من باب السابقية على باب الربع والفرن المذكورين الى دهليز طويل مظلم ينتهى الى باب القصر تجاه سور سعيد السعداء ومنه يخرج السالك الى رحبة باب العيد والى الركن المخلق فهدمه الامير جمال الدين وجعل مكانه قيسارية وركب على رأس هذا الزقاق تجاه حمام البيسرى دربا فى داخله دروب ليصون امواله وانقطع التطرق من هذا الزقاق وصار دربا غير نافذ ويجد السالك عن يسرته قبالة هذا الزقاق وصار دربا مدربا باب قصر البيسرية وقد بنى فى وجهه حوانيت بجانبها حمام البيسرى ومن هنا ينقسم شارع القاهرة المذكور الى طريقين احداهما ذات اليمين والاخرى ذات اليسار فأما ذات اليسار فانها تتمة القصبة المذكورة فاذا مر السالك من باب حمام الامير بيسرى فانه يجد على يسرته باب الخرنشف المسلوك فيه الى باب سر البيسرية والى باب حارة برجوان الذى يقال له ابو تراب والى الخرنشف واصطبل القطبية والى الكافورى والى حارة زويلة والى البندقانيين وغير ذلك ثم يسلك أمامه فيجد سوقا يعرف أخيرا بالوزازين والدجاجين يباع فيه الاوز والدجاج والعصافير وغير ذلك من الطيور وادركناه عامرا سوقا كبيرا من جملته دكان لا يباع فيها غير العصافير فيشتريها الصغار للعب بها وفى هذا السوق على يمنة السالك قيسارية يعلوها ربع كانت مدة سوقا يباع فيه الكتب ثم صارت لعمل الجلود وكانت من جملة اوقاف المارستان المنصورى فهدمها بعض من كان يتحدث فى نظره عن الامير ايتمش فى سنة احدى وثمانمائة وعمرها على ماهى عليه الآن وعلى يسرة السالك فى هذا السوق ربع يجرى فى وقف المدرسة الكاملية وكان هذا السوق يعرف قديما بالتبانين والقماحين ثم يمر سالكا أمامه فيجد سوق الشماعين متصلا بسوق الدجاجين وكان سوقا كبيرا فيه صفان عن اليمين والشمال من حوانيت باعة الشمع ادركته عامرا وقد بقى منه الآن يسير وفى آخر هذا السوق على يمنة السالك الجامع الاقمر وكان موضعه قديما سوق القماحين وقبالته درب الاضرى ويجانب الجامع الاقمر من شرقيه الزقاق الذى يعرف بالمحايريين ويسلك فيه الى الركن المخلق وغيره وقبالة هذا الزقاق بئر الدلاء ثم يسلك المار أمامه فيجد على يمنته زقاقا ضيقا ينتهى الى دور ومدرسة تعرف بالشرابشية يتوصل من باب سرها الى الدرب الاصفر تجاه خانقاه بيبرس ثم يسلك أمامه فى سوق المتعيشين فيجد على يسرته باب حارة برجوان ثم يسلك أمامه شاقا فى سوق المتعيشين وقد أدركته سوقا عظيما لا يكاد يعدم فيه شئ مما يحتاج اليه من المأكولات وغيرها بحيث اذا طلب منه شئ من ذلك فى ليل اونهار وجد وقد خرب الآن ولم يبق منه الا اليسير وكان هذا السوق قديما يعرف بسوق امير الجيوش وبآخره خان الرواسين وهو زقاق على يمنة السالك غير نافذ ويقابل هذا الزقاق على يسرة السالك الى باب الفتوح شارع يسلك فيه الى سوق يعرف اليوم بسويقة امير الجيوش وكان قبل اليوم يعرف بسوق الخروقيين ويسلك من هذا السوق الى باب القنطرة فى شارع معمور بالحوانيت من جانبيه ويعلوها الرباع وفيما بين الحوانيت دروب ذات مساكن كثيرة ثم يسلك أمامه من رأس سويقة امير الجيوش فيجد على يمنه الجلون الصغير المعروف بجملون ابن صيرم وكان مسكنا للبزازين فيه عدة حوانيت عامرة باصناف الثياب ادركتها عامرة وفيه مدرسة ابن صيرم المعروفة بالمدرسة الصيرمية وفى آخره باب زيادة الجامع الحاكى وكان على بابها عدة حوانيت تعمل فيها الضبب الق

برسم الابواب ويخرج من هذا الجملون الى طريقين احداهما يسلك فيها الى درب الفرنجية والى دار الوكالة
وشارع باب النصر والاخرى الى درب الرشيدى النافذ الى درب الجوانية ثم يسلك أمامه فيجد على يمنته
شبابك المدرسة الصيرمية ويقابله باب قيسارية خوند اردكين الاشرفية ثم يسلك أمامه شاقا فى سوق المرحلين
وكان صفين من حوانيت عامرة فيها جميع ما يحتاج اليه فى ترحيل الجمال وقد خرب وبقى منه قليل وفى هذا
السوق على يسرة السالك زقاق يعرف بحارة الورّاقة وفيه احد ابواب قيسارية خوند المذكورة وعدّة مساكن
وكان مكانه يعرف قديما باصطبل الحجرية ثم يسلك أمامه فيجد على يمنته احد أبواب الجامع الحاكمى وميضأته
ويجد باب الفتوح القديم ولم يبق منه سوى عقدته وشئ من عضادته وبجواره شارع على يسرة السالك يتوصل
منه الى حارة بهاء الدين وباب القنطرة ثم يسلك أمامه شاقا فى سوق المتعيشين فيجد على يمينه بابا آخر من ابواب
الجامع الحاكمى ثم يسلك أمامه فيجد عن يسرته زقاقا بساباط ينفذ الى حارة بهاء الدين فيه كثير من المساكن
ثم يسلك أمامه فيجد عن يمينه باب الجامع الحاكمى الكبير ويجد عن يساره فندق العادل ويشق فى سوق عظيم
الى باب الفتوح وهو آخر قصبة القاهرة وأما ذات اليمين من شارع بين القصرين فان المارّ اذا سلك من الدرب
الذى يقابل حمام البيسرى طالبا الركن المخلق فانه يشق فى سوق القصاصين وسوق الحصريين الى الركن المخلق
ويباع فيه الآن النعال وبه حوض فى ظهر الجامع الاقمر لشرب الدواب تسميه العامة حوض النبى ويقابله
مسجد يعرف ببراكع موسى وينتهى هذا السوق الى طريقين احداهما الى بئر العظام التى تسميها العامة
بئر العظمة ومنها ينقل الماء الى الجامع الاقمر والحوض المذكور بالركن المخلق ويسلك منه الى المحايريين والطريق
الاخرى تنتهى الى الفندق المعروف بقيسارية الجلود ويعلوه اربع انشأت ذلك خوند بركة ام الملك الاشرف
شعبان بن حسين وبجوار هذه القيسارية بوابة عظيمة قد سترت بحوانيت يتوصل منها الى ساحة عظيمة هى من
حقوق المنحر كانت خوند المذكورة قد شرعت فى عمارتها قصرا لها فماتت دون اكماله ثم يسلك أمامه فيجد
الرباع التى تعلو الحوانيت والقيسارية المستجدّة فى مكان باب القصر الذى كان ينتهى الى مدرسة سابق الدين
وبين القصرين وكان احد ابواب القصر ويعرف بباب الريح وهذه الرباع والقيسارية من جملة انشاء الامير
جمال الدين الاستادار وكانت قبله حوانيت ورباعا فهدمها وأنشأها على ما هى عليه اليوم ثم يسلك أمامه
فيجد عن يمينه مدرسة الامير جمال الدين المذكور وكان موضعها خانا وظاهره حوانيت فبنى مكانها مدرسة
وحوضا للسبيل وغير ذلك ويقال لهذه الاماكن رحبة باب العيد ويسلك منها الى طريقين احداهما ذات
اليمين والاخرى ذات اليسار فأما ذات اليمين فانها تنتهى الى المدرسة الحجازية والى درب قراصيا والى حبس
الرحبة والى درب السلامى المسلوك منه الى باب العيد الذى تسميه العامة بالقاهرة والى المارستان العتيق
والى قصر الشوك ودار الضرب والى باب سرّ المدارس الصالحية والى خزانة البنود ويسلك من رأس درب
السلامى هذا فى رحبة باب العيد الى السفينة وخط خزانة البنود ورحبة الايدمرى والمشهد الحسينى ودرب
الملوخيا والجامع الازهر والحارة الصالحية والحارة البرقية الى باب البرقية والباب المحروق والباب الجديد
وأما ذات اليسار من رحبة باب العيد فان المارّ يسلك من باب مدرسة الامير جمال الدين الى باب زاوية الخدام الى
باب الخانقاه المعروفة بدار سعيد السعداء فيجد عن يمينه زقاقا بجوار سور دار الوزارة يسلك فيه الى خرائب تتر
والى خط الفهادين والى درب ملوخيا وغير ذلك ثم يسلك أمامه فيجد عن يمينه المدرسة القراسنقرية وخانقاه
ركن الدين بيبرس وهما من جملة دار الوزارة وما جاور الخانقاه الى باب الجوانية وتجاه خانقاه بيبرس الدرب
الاصفر وهو المنحر الذى كانت الخلفاء تنحر فيه الاضاحى ثم يسلك أمامه فيجد على يمنته دار الامير قزمان
بجوار خانقاه بيبرس وبجوارهما دار الامير شمس الدين سنقر الاعسر الوزير وقد عرفت الآن بدار خوند
طولوباى زوجة السلطان الملك الناصر حسن بن محمد بن قلاوون وبجوارها حمام الاعسر المذكور وجميع
هذا من دار الوزارة ويجد على يسرته درب الرشيدى تجاه حمام الاعسر المسلوك فيه الى درب الفرنجية
وجملون ابن صيرم ثم يسلك أمامه فيجد على يمينه الشارع المسلوك فيه الى الجوانية والى خط الفهادين والى
درب ملوخيا والى العطوفية وقد خربت هذه الاماكن ويجد على يسرته الوكالة المستجدّة من انشاء الملك
الظاهر برقوق ثم يسلك أمامه فيجد على يسرته زقاقا يسلك فيه الى جملون ابن صيرم والى درب الفرنجية ثم يسلك

أمامه فيجد على يمنته دار الامير شهاب الدين احمد ابن خالة الملك الناصر محمد بن قلاون ودار الامير علم الدين سنجر الجاولى وهما من حقوق الجر التى كانت بها مماليك الخلفاء وأجنادهم ويجد على يسرته وكالة الامير قوصون ثم يسلك من باب الوكالة فيجد مقابل بابه قاعة الجاولى خان الجاولى وبعدها باب النصر القديم وادركت فيه قطعة كانت تجاه ركن المدرسة القاصدية الغربى" وقد زال ويسلك منه الى رحبة الجامع الحاكمى فيجد على يمنته المدرسة القاصدية وعلى يسرته بابى الجامع الحاكمى" وتجاه احدهما الشارع المسلوك فيه الى حارة العبدانية وحارة العطوفية وغير ذلك ومن باب الجامع الحاكمى" ينتهى الى باب النصر فيما بين حوانيت ورباع ودور فهذه صفة القاهرة الآن وستقف ان شاء الله تعالى على كيفية ابتداء وضع هذه الاماكن وما صارت اليه وذكر التعريف بمن نسبت اليه او عرفت به على ما التقطت ذلك من كتب التواريخ ومجامع الفضلاء ووقفت عليه بخطوط الثقات وأخبرنى بذلك من ادركته من المشيخة وما شاهدته من ذلك سالكا فيه سبيل التوسط فى القول بين الاكثار والاختصار والله الموفق بمنه وكرمه لا اله غيره

(ذكر سور القاهرة)

اعلم أن القاهرة منذ أسست عمل سورها ثلاث مرات الاولى وضعه القائد جوهر والمرة الثانية وضعه امير الجيوش بدر الجمالى" فى ايام الخليفة المستنصر والمرة الثالثة بناه الامير الخصى" بهاء الدين قراقوش الاسدى" فى سلطنة الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب اول ملوك القاهرة * السور الاول كان من لبن وضعه جوهر القائد على مناخه الذى نزل به هو وعساكره حيث القاهرة الآن فأداره على القصر والجامع وذلك انه لما سار من الجيزة بعد زوال الشمس من يوم الثلاثاء لسبع عشرة خلت من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة بعساكره وقصد الى مناخه الذى رسمه له مولاه الامام المعز لدين الله ابو تميم معد واستقرت به الدار اختط القصر وأصبح المصريون يهنونه فوجدوه قد حفر الاساس فى الليل فأدار السور اللبن وسماها المنصورية الى أن قدم المعز لدين الله من بلاد المغرب الى مصر ونزل بها فسماها القاهرة ويقال فى سبب تسميتها ان القائد جوهرا لما أراد بناءها احضر المنجمين وعرفهم انه يريد عمارة بلد ظاهر مصر ليقيم بها الجند وأمرهم باختيار طالع سعيد لوضع الاساس بحيث لا يخرج البلد عن نسلهم ابدا فاختاروا طالعا لوضع الاساس وطالعا لحفر السور وجعلوا بدائر السور قوائم خشب بين كل قائمتين حبل فيه أجراس وقالوا للعمال اذا تحركت الاجراس فارموا ما بأيديكم من الطين والحجارة فوقفوا ينتظرون الوقت الصالح لذلك فاتفق أن غرابا وقع على حبل من تلك الحبال التى فيها الاجراس فتحركت كلها فظن العمال أن المنجمين قد حركوها فألقوا ما بأيديهم من الطين والحجارة وبنوا فصاح المنجمون القاهر فى الطالع فمضى ذلك وفاتهم ما قصدوه ويقال ان المريخ كان فى الطالع عند ابتداء وضع الاساس وهو قاهر الفلك فسموها القاهرة واقتضى نظرهم انها لا تزال تحت القهر وأدخل فى دائر هذا السور بئر العظام وجعل القاهرة حارات للواصلين بصحبته وصحبة مولاه المعز وعمر القصر بترتيب ألقاه اليه المعز ويقال ان المعز لما رأى القاهرة لم يعجبه مكانها وقال لجوهر لما فاتك عمارة القاهرة بالساحل كان ينبغى عمارتها بهذا الجبل يعنى سطح الجرف الذى يعرف اليوم بالرصد المشرف على جامع راشدة ورتب فى القصر جميع ما يحتاج اليه الخلفاء بحيث لا تراهم الاعين فى النقلة من مكان الى مكان وجعل فى ساحاته البحرة والميدان والبستان وتقدم بعمارة المصلى بظاهر القاهرة وقد ادركت من هذا السور اللبن قطعا وآخر ما رأيت منه قطعة كبيرة كانت فيما بين باب البرقية ودرب بطوط هدمها شخص من الناس فى سنة ثلاث وثمانمائة فشاهدت من كبر لبنها ما يتعجب منه فى زمننا حتى ان اللبنة تكون قدر ذراع فى ثلثى ذراع وعرض جدار السور عدة اذرع يسع أن يمر به فارسان وكان بعيدا عن السور الحجر الموجود الآن وبينهما نحو الخمسين ذراعا وما احسب انه بقى الآن من هذا السور اللبن شئ *(وجوهر) هذا مملوك رومى" رباه المعز لدين الله ابو تميم معد وكناه بأبى الحسن وعظم محله عنده فى سنة سبع واربعين وثلثمائة وصار فى رتبة الوزارة فصيره قائد جيوشه وبعثه فى صفر منها ومعه عساكر كثيرة فيهم الامير زيرى بن مناد الصنهاجى وغيره من الاكابر فسار الى تاهرت وأوقع بعدة اقوام وافتتح مدنا وسار الى فاس فنازلها مدة ولم ينل منها شيأ فرحل عنها الى سجلماسة وحارب ثائرا فاسره بها وانتهى فى مسيره الى

البحر المحيط واصطاد منه سمكا وبعثه في قلة ماء الى مولاه المعز واعلمه انه قد استولى على مامرّ به من المدائن والامم حتى انتهى الى البحر المحيط ثم عادا الى فاس فألح عليها بالقتال الى أن اخذها عنوة واسر صاحبها وحمله هو والثائر بسجلماسة في قفصين مع هدية الى المعز وعاد في أخريات السنة وقد عظم شأنه وبعد صيته ثم لما قوى عزم المعز على تسيير الجيوش لاخذ مصر وتهيأ أمرها فقدم عليها القائد جوهرا وبرز الى رمادة ومعه ما ينيف على مائة ألف فارس وبين يديه اكثر من ألف صندوق من المال وكان المعز يخرج اليه في كل يوم ويخلو به واطلق يده في بيوت امواله فأخذ منها ما يريد زيادة على ما حمله معه وخرج اليه يوما فقام جوهر بين يديه وقد اجتمع الجيش فالتفت المعز الى المشايخ الذين وجههم مع جوهر وقال والله لو خرج جوهر هذا وحده لفتح مصر ولتدخلن الى مصر بالاردية من غير حرب ولتنزلن في خرابات ابن طولون وتبنى مدينة تسمى القاهرة تقهر الدنيا وأمر المعز بافراغ الذهب في هيئة الارحية وحملها مع جوهر على الجمال ظاهرة وأمر اولاده واخوته الامراء وولي العهد وسائر أهل الدولة أن يمشوا في خدمته وهو راكب وكتب الى سائر عماله يأمرهم اذا قدم عليهم جوهر أن يترجلوا امشاة في خدمته فلما قدم برقة افتدى صاحبها من ترجله ومشيه في ركابه بخمسين ألف دينار ذهبا فأبى جوهر الا أن يمشي في ركابه ورد المال فمشى ولما رحل من القيروان الى مصر في يوم السبت رابع عشر ربيع الاول سنة ثمان وخمسين وثلثمائة أنشد محمد بن هاني في ذلك

رأيت بعيني فوق ما كنت اسمع * وقد راعني يوم من الحشر أروع
غداة كأن الافق سدّ بمثله * فعاد غروب الشمس من حيث تطلع
فلم ادر اذ ودّعت كيف أودع * ولم ادر اذ شيعت كيف اشيع
الا ان هذا حشد من لم يذق له * غرار الكرى جفن ولا بات يهجع
اذا حلّ في ارض بناها مدائنا * وان سار عن ارض غدت وهي بلقع
تحلّ بيوت المال حيث محله * وجمّ العطايا والرواق المرفع
وكبرت الفرسان لله اذ بدا * وظل السلاح المنتضى يتقعقع
وعب عباب الموكب الفخم حوله * ورق كما رق الصباح الملع
رحلت الى الفسطاط أوّل رحلة * بأيمن فال بالذى انت تجمع
فان يك في مصر ظماء لمورد * فقد جاءهم نيل سوى النيل يهرع
ويممهم من لا يغار بنعمة * فيسلبهم لكن يزيد فيوسع

ولما دخل الى مصر واختط القاهرة وكتب بالبشارة الى المعز قال ابن هاني

تقول بنو العباس قد فتحت مصر * فقل لبني العباس قد قضى الامر
وقد جاوز الاسكندرية جوهر * تصاحبه البشرى ويقدمه النصر

ولم يزل معظما مطاعا وله حكم ما فتح من بلاد الشام حتى ورد المعز من المغرب الى القاهرة وكان جعفر بن فلاح يرى نفسه أجلّ من جوهر فلما قدم معه الى مصر سيره جوهر الى بلاد الشام في العساكر فأخذ الرملة وغلب الحسن بن عبد الله بن طغج وسار فملك طبرية ودمشق فلما صارت الشام له شمخت نفسه عن مكاتبة جوهر فأنفذ كتبه من دمشق الى المعز وهو بالمغرب سرا من جوهر يذكر فيها طاعته ويقع في جوهر ويصف ما فتح الله للمعز على يده فغضب المعز لذلك ورد كتبه كما هي مختومة وكتب اليه قد أخطأت الرأي لنفسك نحن قد أنفذنا لمع قائدنا جوهرا فاكتب اليه فما وصل منك الينا على يده قرأناه ولا تتجاوزه بعد فلسنا نفعل لك ذلك على الوجه الذى اردته وان كنت اهله عندنا ولكنا لا نستفسد جوهرا مع طاعته لنا فازداد غضب جعفر بن فلاح وانكشف ذلك لجوهر فلم يبعث ابن فلاح لجوهر يسأله نجدة خوفا أن لا ينجده بعسكر وأقام مكانه لا يكاتب جوهرا بشيء من أمره الى أن قدم عليه الحسن بن احمد القرمطي وكان من أمره ما قد ذكر في موضعه * ولما مات المعز واستخلف من بعده ابنه العزيز وورد الى دمشق هفتكين الشرابي من بغداد ندب العزيز بالله جوهرا القائد الى الشام فخرج اليها بخزائن السلاح والاموال والعساكر العظيمة فنزل على دمشق لثمان بقين من ذى القعدة سنة خمس وستين وثلثمائة فأقام عليها وهو يحارب اهلها الى أن قدم الحسن بن احمد القرمطي من الاحساء

الى

الى الشام فرحل جوهر فى ثالث جمادى الاولى سنة ست وستين فنزل على الرملة والقرمطى فى اثره فهلك وقام من بعده جعفر القرمطى فحارب جوهرا واشتد الامر على جوهر وسار الى عسقلان وحصره هفتكين بها حتى بلغ من الجهد مبلغا عظيما فصالح هفتكين وخرج من عسقلان الى مصر بعد أن اقام بها وبظاهر الرملة نحوا من سبعة عشر شهرا فقدم على العزيز وهو يريد الخروج الى الشام فلما ظفر العزيز بهفتكين واصطنعه فى سنة ثمانين وثلثمائة واصطنع منجوتكين التركى أيضا اخرجه راكبا من القصر وحده فى سنة احدى وثمانين والقائد جوهر وابن عمار ومن دونهما من اهل الدولة مشاة فى ركابه وكانت يد جوهر فى يد ابن عمار فزفر ابن عمار زفرة كاد أن ينشق لها وقال لا حول ولا قوة الا بالله فنزع جوهر يده منه وقال قد كنت عندى يا ابا محمد أثبت من هذا فظهر منك انكار فى هذا المقام لاحدثنك حديثا عسى يسليك عما انت فيه والله ما وقف على هذا الحديث احد غيرى لما خرجت الى مصر وانفذت الى مولانا المعز من اسرته ثم حصل فى يدى آخرون اعتقلتهم وهم نيف على ثلثمائة اسير من مذكوريهم والمعروفين فيهم فلما ورد مولانا المعز الى مصر أعلمته بهم فقال اعرضهم علىّ واذكر فى كل واحد حاله ففعلت وكان فى يده كتاب مجلد يقرأ فيه فجعلت آخذ الرجل من يد الصقالبة وأقدمه اليه وأقول هذا فلان ومن حاله وحاله فيرفع رأسه وينظر اليه ويقول يجوز ويعود الى قراءة ما فى الكتاب حتى احضرت له الجماعة وكان آخرهم غلاما تركيا فنظر اليه وتأمله ولما ولى أتبعه بصره فلما لم يبق أحد قبلت الارض وقلت يا مولانا رأيتك فعلت لما رأيت هذا التركى ما لم تفعله مع من تقدمه فقال يا جوهر يكون عندك مكتوما حتى ترى انه يكون لبعض ولدنا غلام من هذا الجنس تتفق له فتوحات عظيمة فى بلاد كثيرة ويرزقه الله على يده ما لم يرزقه أحد منا مع غيره وأنا اظن انه ذلك الذى قال لى مولانا المعز ولا علينا اذا فتح الله لموالينا على ايدينا أو على يد من كان يا أبا محمد لكل زمان دولة ورجال أنريد نحن أن نأخذ دولتنا ودولة غيرنا لقد أرجل لى مولانا المعز لما سرت الى مصر أولاده واخوته وولى عهده وسائر أهل دولته فتعجب الناس من ذلك وها أنا اليوم امشى راجلا بين يدى منجوتكين أعزونا وأعزوا بنا غيرنا وبعد هذا فأقول اللهم قرب أجلى ومدتى فقد أنفت على الثمانين أو أنافها فمات فى تلك السنة وذلك انه اعتل فركب اليه العزيز بالله عائدا وحمل اليه قبل ركوبه خمسة آلاف دينار ومرتبة مثقل وبعث اليه الامير منصور بن العزيز بالله خمسة آلاف دينار وتوفى يوم الاثنين لسبع بقين من ذى القعدة سنة احدى وثمانين وثلثمائة فبعث اليه العزيز بالحنوط والكفن وأرسل اليه الامير منصور بن العزيز أيضا الكفن وارسلت اليه السيدة العزيزية الكفن فكفن فى سبعين ثوبا ما بين مثقل ووشى مذهب وصلى عليه العزيز بالله وخلع على ابنه الحسين وحمله وجعله فى مرتبة ابيه ولقبه بالقائد ابن القائد ومكنه من جميع ما خلفه ابوه وكان جوهر عاقلا محسنا الى الناس كاتبا بليغا فمن مستحسن توقيعاته على قصة رفعت اليه بمصر سوء الاجترام أوقع بكم حلول الانتقام وكفر الانعام اخرجكم من حفظ الذمام فالواجب فيكم ترك الايجاب واللازم لكم ملازمة الاحتساب لانكم بدأتم فأسأتم وعدتم فتعديتم فابتداؤكم ملوم وعودكم مذموم وليس بينهما فرجة الا تقتضى الذم لكم والاعراض عنكم ليرى امير المؤمنين صلوات الله عليه رأيه فيكم ولما مات رثاه كثير من الشعراء * (السور الثانى) * بناه امير الجيوش بدر الجمالى فى سنة ثمانين وأربعمائة وزاد فيه الزيادات التى فيما بين بابى زويلة وباب زويلة الكبير وفيما بين باب الفتوح الذى عند حارة بهاء الدين وباب الفتوح الآن وزاد عند باب النصر أيضا جميع الرحبة التى تجاه جامع الحاكم الآن الى باب النصر وجعل السور من لبن وأقام الابواب من حجارة وفى نصف جمادى الآخرة سنة ثمانى عشرة وثمانمائة ابتدئ بهدم السور الحجر فيما بين باب زويلة الكبير وباب الفرج عندما هدم الملك المؤيد شيخ الدور ليبنى جامعه فوجد عرض السور فى الاماكن نحو العشرة أذرع * (السور الثالث) * ابتدأ فى عمارته السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب فى سنة ست وستين وخمسمائة وهو يومئذ على وزارة العاضد لدين الله فلما كانت سنة تسع وستين وقد استولى على المملكة انتدب لعمل السور الطواشى بهاء الدين قراقوش الاسدى فبناه بالحجارة على ما هو عليه الآن وقصد أن يجعل على القاهرة ومصر والقلعة سورا واحدا فزاد فى سور القاهرة القطعة التى من باب القنطرة الى باب الشعرية ومن باب الشعرية الى باب البحر وبنى قلعة المقس وهى برج كبير وجعله على النيل بجانب جامع المقس واقطع السور من هنالك وكان فى امله مد السور من المقس الى أن يتصل

بسور مصر وزاد فى سور القاهرة قطعة مما يلى باب النصر ممتدة الى باب البرقية والى درب بطوط والى خارج باب الوزير ليتصل بسور قلعة الجبل فانقطع من مكان يقرب الآن من الصوة تحت القلعة لموته والى الآن آثار الجدر ظاهرة لمن تأملها فيما بين آخر السور الى جهة القلعة وكذلك لم يتهيأ له أن يصل سور قلعة الجبل بسور مصر وجاء دور هذا السور المحيط بالقاهرة الآن تسعة وعشرين ألف ذراع وثلثمائة ذراع وذراعين بذراع العمل وهو الذراع الهاشمى من ذلك ما بين قلعة المقس على شاطئ النيل والبرج بالكوم الاحمر بساحل مصر عشرة آلاف ذراع وخمسمائة ذراع ومن قلعة المقس الى حائط قلعة الجبل بمسجد سعد الدولة ثمانية آلاف وثلثمائة واثنان وتسعون ذراعا ومن جانب حائط قلعة الجبل من جهة مسجد سعد الدولة الى البرج بالكوم الاحمر سبعة آلاف ومائتا ذراع ومن وراء القلعة بحيال مسجد سعد الدولة ثلاثة آلاف ومائتان وعشرة اذرع وذلك طول قوسه فى ابراجه من النيل الى النيل وقلعة المقس المذكورة كانت برجا مطلا على النيل فى شرقى جامع المقس ولم تزل الى أن هدمها الوزير الصاحب شمس الدين عبد الله المقسى عندما جدد الجامع المذكور فى سنة سبعين وسبعمائة وجعل فى مكان البرج المذكور جنينته وذكر أنه وجد فى البرج مالا وانه انما جدد الجامع منه والعامة تقول اليوم جامع المقسى بالاضافة وكان يحيط بسور القاهرة خندق شرع فى حفره من باب الفتوح الى المقس فى المحرم سنة ثمان وثمانين وخمسمائة وكان أيضا من الجهة الشرقية خارج باب النصر الى باب البرقية وما بعده وشاهدت آثار الخندق باقية ومن ورائه سور بابراج له عرض كبير مبنى بالحجارة الآن الخندق انطم وتهدمت الاسوار التى كانت من ورائه وهذا السور هو الذى ذكره القاضى الفاضل فى كتابه الى السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب فقال والله يحيى المولى حتى يستدير بالبلدين نطاقه ويمتد عليهما رواقه فما عقيلة ما كان معصمها ليترك بغير سوار ولا خصرها ليتحلى بغير منطقة نضار والآن قد استقرت خواطر الناس وأمنوا به من يد تتخطف ومن يد مجرم يقدم ولا يتوقف

(ذكر ابواب القاهرة)

وكان للقاهرة من جهتها القبلية بابان متلاصقان يقال لهما بابا زويلة ومن جهتها البحرية بابان متباعدان احدهما باب الفتوح والآخر باب النصر ومن جهتها الشرقية ثلاثة ابواب متفرقة أحدها يعرف الآن بباب البرقية والآخر بالباب الجديد والآخر بالباب المحروق ومن جهتها الغربية ثلاثة ابواب باب القنطرة وباب الفرج وباب سعادة وباب آخر يعرف بباب الخوخة ولم تكن هذه الابواب على ما هى عليه الآن ولا فى مكانها عند ما وضعها جوهر

(باب زويلة)

كان باب زويلة عندما وضع القائد جوهر القاهرة بابين متلاصقين بجوار المسجد المعروف اليوم بسام ابن نوح فلما قدم المعز الى القاهرة دخل من احدهما وهو الملاصق للمسجد الذى بقى منه الى اليوم عقد ويعرف بباب القوس فتيامن الناس به وصاروا يكثرون الدخول والخروج منه وهجروا الباب المجاور له حتى جرى على الالسنة أن من مر به لا تقضى له حاجة وقد زال هذا الباب ولم يبق له أثر اليوم الا انه يفضى الى الموضع الذى يعرف اليوم بالحجارين حيث تباع آلات الطرب من الطنابير والعيدان ونحوهما والى الآن مشهور بين الناس أن من يسلك من هنالك لا تقضى له حاجة ويقول بعضهم من اجل أن هنالك آلات المنكر وأهل البطالة من المغنين والمغنيات وليس الامر كما زعم فان هذا القول جار على ألسنة اهل القاهرة من حين دخل المعز اليها قبل أن يكون هذا الموضع سوقا للمعازف وموضعا لجلوس اهل المعاصى * فلما كان فى سنة خمس وثمانين وأربعمائة بنى امير الجيوش بدر الجمالى وزير الخليفة المستنصر بالله باب زويلة الكبير الذى هو باق الى الآن وعلى أبراجه ولم يعمل له باشورة كما هى عادة ابواب الحصون من أن يكون فى كل باب عطف حتى لا تهجم عليه العساكر فى وقت الحصار ويتعذر سوق الخيل ودخولها جملة لكنه عمل فى بابه زلاقة كبيرة من حجارة صوان عظيمة بحيث اذا هجم عسكر على القاهرة لا تثبت قوائم الخيل على الصوان فلم تزل هذه الزلاقة باقية الى ايام السلطان الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك العادل ابى بكر بن ايوب فاتفق مروره من هنالك فاختل فرسه وزلق به

وأحسبه سقط عنه * فأمر بنقضها فانقضت وبقى منها شئ يسير ظاهر فلما بنى الامير جمال الدين يوسف الاستادار المسجد المقابل لباب زويلة وجعله باسم الملك الناصر فرج ابن الملك الظاهر برقوق ظهر عند حفره الصهريج الذي به بعض هذه الزلاقة وأخرج منها حجارة من صوان لا تعمل فيها العدة الماضية وأشكالها فى غاية من الكبر لا يستطيع جرها الا اربعة ارؤس بقر فأخذ الامير جمال الدين منها شيأ والى الآن حجر منها ملقى تجاه قبو الخرنشف من القاهرة * ويذكر أن ثلاثة اخوة قدموا من الرها بنائين بنوا باب زويلة وباب النصر وباب الفتوح كل واحد بنى بابا وأن باب زويلة هذا بنى فى سنة أربع وثمانين وأربعمائة وأن باب الفتوح بنى فى سنة ثمانين وأربعمائة * وقد ذكر ابن عبد الظاهر فى كتاب خطط القاهرة أن باب زويلة هذا بناه العزيز بالله نزار بن المعز وتممه أمير الجيوش وأنشد لعلى بن محمد النيلى

يا صاح لو أبصرت باب زويلة * لعلمت قدر محله بنيانا
باب تأزر بالمجرة وارتدى الشعرى ولاث برأسه كيوانا
لو أن فرعونا بناه لم يرد * صرحا ولا اوصى به هامانا اهـ

* وسمعت غير واحد يذكر أن فرديه يدوران فى سكرجتين من زجاج * وذكر جامع سيرة الناصر محمد بن قلاوون أن فى سنة خمس وثلاثين وسبعمائة رتب ايدكين والى القاهرة فى ايام الملك الناصر محمد بن قلاوون على باب زويلة طبلخاناه تضرب كل ليلة بعد العصر * وقد أخبرنى من طاف البلاد ورأى مدن المشرق انه لم يشاهد فى مدينة من المدائن عظم باب زويلة ولا يرى مثل بدنتيه اللتين عن جانبيه ومن تأمل الاسطر التى قد كتبت على اعلاه من خارجه فانه يجد فيها اسم امير الجيوش والخليفة المستنصر وتاريخ بنائه وقد كانت البدنتان اكبر مما هما الآن بكثير هدم اعلاهما الملك المؤيد شيخ لما انشأ الجامع داخل باب زويلة وعمر على البدنتين منارتين ولذلك خبر تجده فى ذكر الجوامع عند ذكر الجامع المؤيدى

* (باب النصر) *

كان باب النصر أولا دون موضعه اليوم وأدركت قطعة من احد جانبيه كانت تجاه ركن المدرسة القاصدية الغربى بحيث تكون الرحبة التى فيما بين المدرسة القاصدية وبين بابى جامع الحاكم القبليين خارج القاهرة ولذلك تجد فى أخبار الجامع الحاكمى انه وضع خارج القاهرة فلما كان فى ايام المستنصر وقدم عليه أمير الجيوش بدر الجمالى من عكا وتقلد وزارته وعمر سور القاهرة نقل باب النصر من حيث وضعه القائد جوهر الى حيث هو الآن فصار قريبا من مصلى العيد وجعل له باشورة ادركت بعضها الى أن احتفرت اخت الملك الظاهر برقوق الصهريج السبيل تجاه باب النصر فهدمته وأقامت السبيل مكانه وعلى باب النصر مكتوب بالكوفى فى أعلاه لا اله الا الله محمد رسول الله على ولى الله صلوات الله عليهما

* (باب الفتوح) *

وضعه القائد جوهر دون موضعه الآن وبقى منه الى يومنا هذا عقده وعضادته اليسرى وعليه اسطر من الكتابة بالكوفى وهو برأس حارة بهاء الدين من قبليها دون جدار الجامع الحاكمى وأما الباب المعروف اليوم بباب الفتوح فانه من وضع أمير الجيوش وبين يديه باشورة قد ركبها الآن الناس بالبنيان لما عمر ما خرج عن باب الفتوح * (امير الجيوش) * ابو النجم بدر الجمالى كان مملوكا ارمنيا لجمال الدولة بن عمار فلذلك عرف بالجمالى ومازال يأخذ بالجد من زمن سبيه فيما يباشره ويوطن نفسه على قوة العزم ويتنقل فى الخدم حتى ولى أمارة دمشق من قبل المستنصر فى يوم الاربعاء ثالث عشرى ربيع الآخر سنة خمس وستين وأربعمائة ثم سار منها كالهارب فى ليلة الثلاثاء لاربع عشرة خلت من رجب سنة ست وخمسين ثم وليها ثانيا يوم الاحد سادس شعبان سنة ثمان وخمسين فبلغه قتل ولده شعبان بعسقلان فخرج فى شهر رمضان سنة ستين وأربعمائة فثار العسكر وأخربوا قصره وتقلد نيابة عكا فلما كانت الشدة بمصر من شدة الغلاء وكثرة الفتن والاحوال بالحضرة قد فسدت والامور قد تغيرت وطوائف العسكر قد شغبت والوزراء يقنعون بالاسم دون نفاذ الامر والنهى والرخاء قد أيس منه والصلاح لا مطمع فيه ولواتة قد ملكت الريف والصعيد بايدى العبيد والطرقات قد

انقطعت برا وبحرا الا بالخفارة الثقيلة فلما قتل بلدكوش ناصر الدولة حسين بن حمدان كتب المستنصر اليه يستدعيه ليكون المتولى لتدبير دولته فاشترط أن يحضر معه من يختاره من العساكر ولا يبقى أحدا من عسكر مصر فأجابه المستنصر الى ذلك فاستخدم معه عسكرا وركب البحر من عكا فى اول كانون وسار بمائة مركب بعد أن قيل له ان العادة لم تجر بركوب البحر فى الشتاء لهيجانه وخوف التلف فأبى عليهم وأقلع فتمادى الصحو والسكون مع الريح الطيبة مدة اربعين يوما حتى كثر التعجب من ذلك وعد من سعادته فوصل الى تنيس ودمياط واقترض المال من تجارها ومياسيرها وقام بأمر ضيافته وما يحتاج اليه من الغلال سليمان اللواتى كبير أهل البحيرة وسار الى قليوب فنزل بها وأرسل الى المستنصر يقول لا ادخل الى مصر حتى تقبض على بلدكوش وكان احد الامراء وقد اشتد على المستنصر بعد قتل ابن حمدان فبادر المستنصر وقبض عليه واعتقله بخزانة البنود فقدم بدر عشية الاربعاء لليلتين بقيتا من جمادى الاولى سنة خمس وستين وأربعمائة فتهيأله أن قبض على جميع امراء الدولة وذلك أنه لما قدم لم يكن عند الامراء علم من استدعائه فما منهم الا من اضافه وقدم اليه فلما انقضت نوبهم فى ضيافته استدعاهم الى منزله فى دعوة صنعها لهم وبيت مع اصحابه أن القوم اذا أجنهم الليل فانهم لا بد يحتاجون الى الخلاء فمن قام منهم الى الخلاء يقتل هنالك ووكل بكل واحد واحدا من أصحابه وأنعم عليه بجميع ما يتركه ذلك الامير من دار ومال واقطاع وغيره فصار الامراء اليه وظلوا نهارهم عنده وباتوا مطمئنين فما طلع ضوء النهار حتى استولى اصحابه على جميع دور الامراء وصارت رؤسهم بين يديه فقويت شوكته وعظم امره وخلع عليه المستنصر بالطيلسان المقور وقلده وزارة السيف والقلم فصارت القضاة والدعاة وسائر المستخدمين من تحت يده وزيد فى ألقابه أمير الجيوش كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين وتتبع المفسدين فلم يبق منهم أحدا حتى قتله وقتل من اماثل المصريين وقضاتهم ووزرائهم جماعة ثم خرج الى الوجه البحرى فأسرف فى قتل من هنالك من لواتة واستصفى اموالهم وأزاح المفسدين وأفناهم بانواع القتل وصار الى البر الشرقى فقتل منه كثيرا من المفسدين ونزل الى الاسكندرية وقد ثار بها جماعة مع ابنه الاوحد فحاصرها اياما من المحرم سنة سبع وسبعين وأربعمائة الى أن اخذها عنوة وقتل جماعة ممن كان بها وعمر جامع العطارين من مال المصادرات وفرغ من بنائه فى ربيع الاول سنة تسع وسبعين وأربعمائة ثم سار الى الصعيد فحارب جهينة والثعالبة وأفنى اكثرهم بالقتل وغنم من الاموال ما لا يعرف قدره كثرة فصلح به حال الاقليم بعد فساده ثم جهز العساكر لمحاربة البلاد الشامية فسارت اليها غير مرة وحاربت اهلها ولم يظفر منها بطائل واستناب ولده شاهنشاه وجعله ولى عهده * فلما كان فى سنة سبع وثمانين وأربعمائة مات فى ربيع الآخر وقيل فى جمادى الاولى منها وقد تحكم فى مصر تحكم الملوك ولم يبق للمستنصر معه أمر واستبد بالامور فضبطها احسن ضبط وكان شديد الهيبة وافر الحرمة مخوف السطوة قتل من مصر خلائق لا يحصيها الا خالقها منها انه قتل من اهل البحيرة نحو العشرين ألف انسان الى غير ذلك من اهل دمياط والاسكندرية والغربية والشرقية وبلاد الصعيد واسوان وأهل القاهرة ومصر الا انه عمر البلاد وأصلحها بعد فسادها وخرابها باتلاف المفسدين من اهلها وكان له يوم مات نحو الثمانين سنة وكانت له محاسن منها انه اباح الارض للمزارعين ثلاث سنين حتى ترفهت احوال الفلاحين واستغنوا فى ايامه ومنها حضور التجار الى مصر لكثرة عدله بعد انتزاحهم منها فى ايام الشدة ومنها كثرة كرمه وكانت مدة ايامه بمصر احدى وعشرين سنة وهو اول وزراء السيوف الذين حجروا على الخلفاء بمصر * ومن آثاره الباقية بالقاهرة باب زويلة وباب الفتوح وباب النصر وقام من بعده بالامر ابنه شاهنشاه الملقب بالافضل بن امير الجيوش وبه وبابنه الافضل أبهة الخلفاء الفاطمية بعد تلاشى امرها وعمرت الديار المصرية بعد خرابها واضمحلال احوال اهلها وأظنه هو الذى اخبر عنه المعز فيما تقدم من حكاية جوهر عنه فانه لم يتفق ذلك لاحد من رجال دولتهم غيره والله يعلم وانتم لا تعلمون

(باب القنطرة)

عرف بذلك لان جوهرا القائد بنى هنالك قنطرة فوق الخليج الذى بظاهر القاهرة ليمشى عليها الى المقس عند مسير

مطة الى مصر فى شوال سنة ستين وثلثمائة

* (باب الشعرية) *

ب طائفة من البربر يقال لهم بنو الشعرية هم ومزانة وزيارة وهوارة من أحلاف لواتة الذين نزلوا بالمنوفية

* (باب سعادة) *

ب سعادة بن حيان غلام المعز لدين الله لانه لما قدم من بلاد المغرب بعد بناء القائد جوهر القاهرة نزل ؛
ة وخرج جوهر الى لقائه فلما عاين سعادة جوهرا ترجل وسار الى القاهرة فى رجب سنة ستين وثلثمائة
خل اليها من هذا الباب فعرف به وقيل له باب سعادة ووافى سعادة هذا القاهرة بجيش كبير معه فلما كان فى
ل سيره جوهر فى عسكر مجر عند ورود الخبر من دمشق بمجيء الحسين بن احمد القرمطى المعروف بالاعصم الى
ام وقتل جعفر بن فلاح فسار سعادة يريد الرملة فوجد القرمطى قد قصدها فانحاز بمن معه الى يافا ورجع الى
ر ثم خرج الى الرملة فملكها فى سنة احدى وستين فأقبل اليه القرمطى ففر منه الى القاهرة وبها مات
ى بقين من المحرم سنة اثنتين وستين وثلثمائة وحضر جوهر جنازته وصلى عليه الشريف ابو جعفر مسلم وكان
ر واحسان

* (الباب المحروق) *

ن يعرف قديما بباب القراطين فلما زالت دولة بنى ايوب واستقل بالملك الملك المعز عز الدين ايبك التركمانى
من ملك من المماليك بمملكة مصر فى سنة خمسين وستمائة كان حينئذ اكبر الامراء البحرية مماليك
ك الصالح نجم الدين ايوب الفارس اقطاى الجمدار وقد استفحل امره وكثرت اتباعه ونافس المعز أيبك
زوج بابنة الملك المظفر صاحب حماه وبعث الى المعز بأن ينزل من قلعة الجبل ويخليها له حتى يسكنها بامرأته
كورة فقلق المعز منه وأهمه شأنه وأخذ يدبر عليه فقرر مع عدة من مماليكه أن يقفوا بموضع من القلعة
ه لهم واذا جاء الفارس اقطاى فتكوا به وأرسل اليه وقت القائلة يستدعيه ليشاوره فى أمر مهم فركب فى
ة يوم الاثنين حادى عشرى شعبان سنة اثنتين وخمسين وستمائة فى نفر من مماليكه وهو آمن مطمئن بما صار له
لا نفس من الحرمة والمهابة وبما يثق به من شجاعته فلما صار بقلعة الجبل وانتهى الى قاعة العواميد عوق
معه من المماليك عن الدخول معه ووثب به المماليك الذين أعدهم المعز وتناولوه بالسيوف فهلك لوقته
قت ابواب القلعة وانتشر الصوت بقتله فى البلد فركب اصحابه وخشداشيته وهم نحو السبعمائة فارس
تحت القلعة وفى ظنهم أن الفارس اقطاى لم يقتل وانما قبض عليه السلطان وانهم يقاتلونه حتى يطلقه لهم
شعروا الا برأس الفارس اقطاى وقد ألقيت عليهم من القلعة فانفضوا لوقتهم وتواعدوا على الخروج من
ر الى الشام واكابرهم يومئذ بيبرس البندقدارى وقلاون الالفى وسنقر الاشقر وبيسرى وسكر وبرامق
جوا فى الليل من بيوتهم بالقاهرة الى جهة باب القراطين ومن العادة أن تغلق ابواب القاهرة بالليل فألقوا
ار فى الباب حتى سقط من الحريق وخرجوا منه فقيل له من ذلك الوقت الباب المحروق وعرف به وأما القوم
هم ساروا الى الملك الناصر يوسف بن العزيز صاحب الشام فقبلهم وأنعم عليهم وأقطعهم اقطاعات واستكثر
هم وأصبح المعز وقد علم بخروجهم الى الشام فأوقع الحوطة على جميع اموالهم ونسائهم واولادهم وعامة
قاتهم وسائر أسبابهم وتتبعهم ونادى عليهم فى الاسواق بطلب البحرية وتحذير العامة من اخفائهم فصار
من اموالهم ما ملأ عينه واستمرت البحرية فى الشام الى أن قتل المعز أيبك وخلع ابنه المنصور وتسلطن
ميرقطز فتراجعوا فى أيامه الى مصر وآلت احوالهم الى أن تسلطن منهم بيبرس وقلاون ولله عاقبة الامور

* (باب البرقية) *

هكذا بيض له فى الاصل

* (ذكر قصور الخلفاء ومناظرهم والالماع بطرف من مآثرهم وما صارت اليه احوالها من بعدهم) *

م انه كان للخلفاء الفاطميين بالقاهرة وظواهرها قصور ومناظر منها القصر الكبير الشرقى الذى وضعه القائد

جوهر عندما أناخ فى موضع القاهرة ومنها القصر الصغير الغربى والقصر اليافعى وقصر الذهب وقصر الاقبال وقصر الظفر وقصر الشجرة وقصر الشوك وقصر الزمرذ وقصر النسيم وقصر الحريم وقصر البحر وهذه كلها قاعات ومناظر من داخل سور القصر الكبير ويقال لها القصور الزاهرة ويسمى مجموعها القصر وكان بجوار القصر الغربى الميدان والبستان الكافورى وكان لهم عدة مناظر وآدر سلطانية غير هذه القصور منها دار الضيافة ودار الوزارة ودار الوزارة القديمة ودار الضرب والمنظرة بالجامع الازهر والمنظرة بجوار الجامع الاقمر ومنظرة اللؤلؤة على الخليج بظاهر القاهرة ومنظرة الغزالة ودار الذهب ومنظرة المقس ومنظرة الدكة والبعل والخمس وجوه والتاج وقبة الهواء والبساتين الجيوشية والبستان الكبير ومنظرة السكرة والمنظرة بظاهر باب الفتوح ودار الملك بمدينة مصر ومنازل العز بها ومنظرة الصناعة بالساحل ومنظرة بجوار جامع القرافة الكبرى المعروف اليوم بجامع الاولياء والاندلس بالقرافة والمنظرة ببركة الحبش وسأذكر من أخبار هذه الاماكن فى مدة الدولة الفاطمية وما آل اليه حالها بحسب ما انتهى الى علمه ان شاء الله تعالى

(القصر الكبير)

هذا القصر كان فى الجهة الشرقية من القاهرة فلذلك يقال له القصر الكبير الشرقى ويسمى القصر المعزى لان المعز لدين الله ابا تميم معدا هو الذى أمر عبده وكاتبه جوهرا ببنائه حين سيره من رمادة احد بلاد افريقية بالعساكر الى مصر وألقى اليه ترتيبه فوضعه على الترتيب الذى رسمه له ويقال ان جوهرا لما أسسه فى الليلة التى اناخ قبالها فى موضعه وأصبح رأى فيه ازورارات غير معتدلة لم تعجبه فقيل له فى تغييرها فقال قد حفر فى ليلة مباركة وساعة سعيدة فتركه على حاله * وكان ابتداء وضعه مع وضع اساس سور القاهرة فى ليلة الاربعاء الثامن عشر من شعبان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة وركب عليه بابان يوم الخميس لثلاث عشرة خلت من جمادى الاولى سنة تسع وخمسين ثم انه ادار عليه سورا محيطا به فى سنة ستين وثلثمائة وهذا القصر كان دار الخلافة وبه سكن الخلفاء الى آخر ايامهم فلما انقرضت الدولة على يد السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب اخرج اهل القصر منه وأسكن فيه الامراء ثم خرب اولا فأولا * وذكر ابن عبد الظاهر فى كتاب خطط القاهرة عن مرهف بوّاب باب الزهومة أنه قال أعلم هذا الباب المدة الطويلة وما رأيته دخل اليه حطب ولا رمى منه تراب قال وهذا أحد أسباب خرابه لوقود اخشابه وتكويم ترابه قال ولما أخذه صلاح الدين وأخرج من كان به كان فيه اثناعشر ألف نسمة ليس فيهم فحل الا الخليفة وأهله وأولاده فأسكنهم دار المظفر بحارة برجوان وكانت تعرف بدار الضيافة قال ووجد الى جانب القصر بئر تعرف ببئر الصنم كان الخلفاء يرمون فيها القتلى فقيل ان فيها مطلبا وقصد تغويرها فقيل انها معمورة بالجان وقتل عمارها جماعة من أشياعه فردمت وتركت انتهى وكان صلاح الدين لما أزال الدولة أعطى هذا القصر الكبير لامراء دولته وأنزلهم فيه فسكنوه وأعطى القصر الصغير الغربى لاخيه الملك العادل سيف الدين ابى بكر بن ايوب فسكنه وفيه ولد له ابنه الكامل ناصر الدين محمد وكان قد أنزل والده نجم الدين ايوب بن شادى فى منظرة اللؤلؤة ولما قبض على الامير داود ابن الخليفة العاضد وكان ولى عهد أبيه ونعت بالحامد لله اعتقله وجميع اخوته وهم ابو الامانة جبريل وأبو الفتوح وابنه ابو القاسم وسليمان بن داود بن العاضد وعبد الوهاب بن ابراهيم بن العاضد واسماعيل بن العاضد وجعفر بن ابى الطاهر ابن جبريل وعبد الظاهر بن ابى الفتوح بن جبريل بن الحافظ وجماعة فلم يزالوا فى الاعتقال بدار المظفر وغيرها الى أن انتقل الكامل محمد بن العادل من دار الوزارة بالقاهرة الى قلعة الجبل فنقل معه ولد العاضد واخوته وأولاد عمه واعتقلهم بها وفيها مات داود بن العاضد ولم يزل بقيتهم معتقلين بالقلعة الى أن استبد السلطان الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى فأمر فى سنة ستين بالاشهاد على كمال الدين اسمعيل بن العاضد وعماد الدين ابى القاسم ابن الامير ابى الفتوح بن العاضد وبدر الدين عبد الوهاب بن ابراهيم بن العاضد أن جميع المواضع التى قبلى المدارس الصالحية من القصر الكبير والموضع المعروف بالتربة باطنا وظاهرا بخط الخوخ السبع وجميع الموضع المعروف بالقصر اليافعى بالخط المذكور وجميع الموضع المعروف بالجباسة بالخط المذكور وجميع الموضع المعروف بخزائن السلاح السلطانية وما هو بخطه وجميع الموضع المعروف بسكن اولاد شيخ

الشيوخ

الشيوخ وغيرهم من القصر الشارع بابه قبالة دار الحديث النبوى الكاملية وجميع الموضع المعروف بالقصر الغربى وجميع الموضع المعروف بدار القنطرة بخط المشهد الحسينى وجميع الموضع المعروف بدار الضيافة بحارة برجوان وجميع الموضع المعروف بدار الذهب بظاهر القاهرة وجميع الموضع المعروف باللؤلؤة وجميع قصر الزمرذ وجميع البستان الكافورى ملك لبيت المال بالنظر المولوى السلطانى الملكى الظاهرى من وجه صحيح شرعى لا رجعة لهم فيه ولا لواحد منهم فى ذلك ولا فى شئ منه ولاء ولا شبهة بسبب يد ولا ملك ولا وجه من الوجوه كلها خلا ما فى ذلك من مسجد لله تعالى او مدفن لآبائهم فأشهدوا عليهم بذلك وورخوا الاشهاد بالثالث عشر من جمادى الاولى سنة ستين وستمائة وأثبت على يد قاضى القضاة الصاحب تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الاعز الشافعى وتقرر مع المذكورين أنه مهما كان قبضوه من اثمان بعض الاماكن المذكورة التى عاقد عليها وكلاؤهم واتصلوا اليه يحاسبوا به من جملة ما تحرر ثمنه عند وكيل بيت المال وقبضت ايدى المذكورين عن التصرف فى الاماكن المذكورة وغيرها مما هو منسوب الى آبائهم ورسم ببيع ذلك فباعه وكيل بيت المال كمال الدين ظافر شيأ بعد شئ ونقضت تلك المبانى وابتنى فى مواضعها على غير تلك الصفة من المساكن وغيرها كما يأتى ذكره ان شاء الله تعالى وكان هذا القصر يشتمل على مواضع منها

(قاعة الذهب) وكان يقال لقاعة الذهب قصر الذهب وهو أحد قاعات القصر الذى هو قصر المعز لدين الله معد وبنى قصر الذهب العزيز بالله نزار بن المعز وكان يدخل اليه من باب الذهب الذى كان مقابلا للدار القطبية التى هى اليوم المارستان المنصورى ويدخل اليه أيضا من باب البحر الذى هو الآن تجاه المدرسة الكاملية وجدد هذا القصر من بعد العزيز الخليفة المستنصر فى سنة ثمان وعشرين وأربعمائة وبهذه القاعة كانت الخلفاء تجلس فى الموكب يوم الاثنين ويوم الخميس وبها كان يعمل سماط شهر رمضان للامراء وسماط العيدين وبها كان سرير الملك

(هيئة جلوس الخليفة بمجلس الملك) قال الفقيه ابو محمد الحسن بن ابراهيم بن زولاق فى كتاب سيرة المعز وكان وصول المعز لدين الله الى قصره بمصر فى يوم الثلاثاء لسبع خلون من شهر رمضان سنة اثنتين وستين وثلثمائة ولما وصل الى قصره خر ساجدا ثم صلى ركعتين وصلى بصلاته كل من دخل معه واستقر فى قصره بأولاده وحشمه وخواص عبيده والقصر يومئذ يشتمل على ما فيه من عين وورق وجوهر وحلى وفرش وأوان وثياب وسلاح وأسفاط وأعدال وسروج ولجم وبيت المال بحاله بما فيه وفيه جميع ما يكون للملوك وللنصف من رمضان جلس المعز فى قصره على السرير الذهب الذى عمله عبده القائد جوهر فى الايوان الجديد وأذن بدخول الاشراف اولا ثم اذن بعدهم للاولياء ولسائر وجوه الناس وكان القائد جوهر قائما بين يديه يقدم الناس قوما بعد قوم ثم مضى القائد جوهر وأقبل بهديته التى عباها ظاهرة يراها الناس وهى من الخيل مائة وخمسون فرسا مسرجة ملجمة منها مذهب ومنها مرصع ومنها معنبر واحدى وثلاثون قبة على نوق بخاتى بالديباج والمناطق والفرش منها تسعة بديباج مثقل وتسع نوق مجنوبة مزينة بمثقل وثلاثة وثلاثون بغلا منها سبعة مسرجة ملجمة ومائة وثلاثون بغلا للنقل وتسعون نجيبا وأربعة صناديق مشبكة يرى ما فيها وفيها أوانى الذهب والفضة ومائة سيف محلى بالذهب والفضة ودرجان من فضة مخرقة فيها جوهر وشاشية مرصعة فى غلاف وتسعمائة ما بين سفط وتخت فيها سائر ما أعدله من ذخائر مصر

* وفى يوم عرفة نصب المعز الشمسية التى عملها للكعبة على ايوان قصره وسعتها اثنا عشر شبرا فى اثنى عشر شبرا وأرضها ديباج أحمر ودورها اثنا عشر هلال ذهب فى كل هلال أترجة ذهب مشبك جوف كل اترجة خمسون درة كبار كبيض الحمام وفيها الياقوت الاحمر والاصفر والازرق وفى دورها كتابة آيات الحج بزمرذ أخضر قد فسر وحشو الكتابة در كبير لم ير مثله وحشو الشمسية المسك المسحوق يراها الناس فى القصر ومن خارج القصر لعلو موضعها وانما نصبها عدة فراشين وجروها لثقل وزنها

* وقال فى كتاب الذخائر والتحف وما كان بالقصر من ذلك ان وزن ما استعمل من الذهب الابريز الخالص فى سرير الملك الكبير مائة ألف مثقال وعشرة آلاف مثقال ووزن ما حلى به الستر الذى انشأه سيد الوزراء ابو محمد البازورى من الذهب أيضا ثلاثون ألف مثقال وانه رصع بألف وخمسمائة وستين قطعة جوهر من سائر ألوانه وذكر أن فى الشمسية الكبيرة ثلاثين ألف مثقال ذهبا وعشرين ألف درهم مخرقة وثلاثة آلاف وستمائة قطعة جوهر من سائر ألوانه وأنواعه وان فى الشمسية التى لم تتم من الذهب

سبعة عشر ألف مثقال * وقال المرتضى ابو محمد عبد السلام بن محمد بن الحسن بن عبد السلام بن الطوير الفهري القيسراني الكاتب المصري في كتاب نزهة المقلتين في اخبار الدولتين الفاطمية والصلاحية الفصل العاشر في ذكر هيئتهم في الجلوس العام بمجلس الملك ولا يتعدى ذلك يومي الاثنين والخميس ومن كان أقرب الناس اليهم ولهم خدم لا تخرج عنهم وينتظر لجلوس الخليفة أحد اليومين المذكورين وليس على التوالي بل على التفاريق فاذا تهيأ ذلك في يوم من هذه الايام استدعى الوزير من داره صاحب الرسالة على الرسم المعتاد في سرعة الحركة فيركب في ابهته وجماعته على الترتيب المقدم ذكره يعني في ذكر الركوب اول العام وسيأتي ان شاء الله تعالى في موضعه من هذا الكتاب فيسير من مكان ترجله عن دابته بدهليز العمود الى مقطع الوزارة وبين يديه اجلاء أهل الامارة كل ذلك بقاعة الذهب التي كان يسكنها السلطان بالقصر وكان الجلوس قبل ذلك بالايوان الكبير الذي هو خزائن السلاح في صدره على سرير الملك وهو باق في مكانه الى الآن من هذا المكان الى آخر ايام المستعلي ثم ان الآمر نقل الجلوس الى هذا المكان واسمه مكتوب بأعلى باذهنجه الى اليوم ويكون المجلس المذكور معلقا فيه ستور الديباج شتاء والديبقي صيفا وفرش الشتاء بسط الحرير عوضا عن الصوف مطابقا لستور الديباج وفرش الصيف مطابقا لستور الديبقي ما بين طبري وطبرستاني مذهب معدوم المثل وفي صدره المرتبة المؤهلة لجلوسه في هيئة جليلة على سرير الملك المغشى بالقرقوبي فيكون وجه الخليفة عليه قبالة وجوه الوقوف بين يديه فاذا تهيأ الجلوس استدعى الوزير من المقطع الى باب المجلس المذكور وهو مغلق وعليه ستر فيقف بحذائه وعن يمينه زمام القصر وعن يساره زمام بيت المال فاذا انتصب الخليفة على المرتبة وضع امين الملك مفلح أحد الاستاذين المحنكين الخواص الدواة مكانها من المرتبة وخرج من المقطع الذي يقال له فرد الكم فاذا الوزير واقف أمام باب المجلس وحواليه الامراء المطوقون ارباب الخدم الجليلة وغيرهم وفي خلالهم قرّاء الحضرة فيشير صاحب المجلس الى الاستاذين فيرفع كل منهم جانب الستر فيظهر الخليفة جالسا بمنصبه المذكور فتستفتح القراء بقراءة القرآن الكريم ويسلم الوزير بعد دخوله اليه فيقبل يديه ورجليه ويتأخر مقدار ثلاثة اذرع وهو قائم قدر ساعة زمانية ثم يؤمر بأن يجلس على الجانب الايمن وتطرح له مخدة تشريفا ويقف الامراء في اماكنهم المقررة فصاحب الباب واسفهسلار العساكر من جانبي الباب يمينا ويسارا ويليهم من خارجه لاصقا بعتبته زمام الآمرية والحافظية كذلك ثم يرتبهم على مقاديرهم فكل واحد لا يتعدى مكانه هكذا الى آخر الرواق وهو الافريز العالي عن أرض القاعة ويعلوه الساباط على عقود القناطر التي على العهد هنالك ثم ارباب القصب والعماريات يمنة ويسرة كذلك ثم الاماثل والاعيان من الاجناد المترشحين للتقدمة ويقف مستندا للصدر الذي يقابل باب المجلس بوّاب الباب والحجاب واصحاب الباب في ذلك المحل الدخول والخروج وهو الموصل عن كل قائل ما يقول فاذا انتظم ذلك النظام واستقر بهم المقام فأول ماثل للخدمة بالسلام قاضي القضاة والشهود المعروفون بالاستخدام فيجيز صاحب الباب القاضي دون من معه فيسلم متأدبا ويقف قريبا ومعنى الادب في السلام انه يرفع يده اليمنى ويشير بالمسبحة ويقول بصوت مسموع السلام على اميرالمؤمنين ورحمة الله وبركاته فيتخصص بهذا الكلام دون غيره من اهل السلام ثم يسلم بالاشراف الاقارب زمامهم وهو من الاستاذين المحنكين وبالاشراف الطالبيين نقيبهم وهو من الشهود المعدلين وتارة يكون من الاشراف المميزين فيمضي عليهم كذلك ساعتان زمانيتان او ثلاث ويخص بالسلام في ذلك الوقت من خلع عليه لقوص او الشرقية او الغربية او الاسكندرية فيشرفون بتقبيل العتبة فان دعت حاجة الوزير الى مخاطبة الخليفة في أمر قام من مكانه وقرب منه منحنيا على سيفه فيخاطبه مرة او مرتين ثم يؤمر الحاضرون فيخرجون حتى يكون آخر من يخرج الوزير بعد تقبيل يد الخليفة ورجله ويخرج فيركب على عادته الى داره وهو مخدوم بأولئك ثم يرخى الستر ويغلق باب المجلس الى يوم مثله فيكون الحال كما ذكر ويدخل الخليفة الى مكانه المستقر فيه ومعه خواص استاذيه وكان أقرب الناس الى الخلفاء الاستاذون المحنكون وهم اصحاب الانس لهم ولهم من الخدم ما لا يتطرق اليه سواهم ومنهم زمام القصر وشاد التاج الشريف وصاحب بيت المال وصاحب الدفتر وصاحب الرسالة وزمام الاشراف الاقارب وصاحب المجلس وهم المطلعون على أسرار الخليفة وكانت لهم طريقة محمودة في بعضهم بعضا منها انه متى ترشح استاذ للتحنيك وحنك حمل اليه كل

واحد

واحد من المحنكين بدلة من ثياب ومنديلا وفرشا وسيفا فيصبح لاحقا بهم وفي يديه مثل ما في ايديهم وكان لا يركب أحد في القصر الا الخليفة ولا ينصرف ليلا ونهارا الا كذلك وله في الليل شدادات من النساء يخدمن البغلات والحمير الاناث للجوازفي السراديب القصيرة الاقباء والطلوع على الزلاقات الى أعالي المناظر والاماكن وفي كل محلة من محلات القصر فسقية مملوءة بالماء خيفة من حدوث حريق في الليل

(كيفية سماط شهر رمضان بهذه القاعة)

قال ابن الطوير فاذا كان اليوم الرابع من شهر رمضان رتب عمل السماط كل ليلة بالقاعة بالقصر الى السادس والعشرين منه ويستدعى له قاضي القضاة ليالي الجمع توقيرا له فأما الامراء ففي كل ليلة منهم قوم بالنوبة ولا يحرمونهم الافطار مع أولادهم وأهاليهم ويكون حضورهم بمسطور يخرج الى صاحب الباب واسفهسلاره فيعرف صاحب كل نوبة ليلته فلا يتأخر ويحضر الوزير فيجلس صدره فان تأخر كان ولده أو أخوه وان لم يحضر أحد من قبله كان صاحب الباب ويهتم فيه اهتماما عظيما تاما بحيث لا يفوته شئ من أصناف المأكولات الفائقة والاغذية الرائقة وهو مبسوط في طول القاعة مادّ من الرواق الى ثلثي القاعة المذكورة والفراشون قيام لخدمة الحاضرين وحواشي الاستاذين يحضرون الماء المبخر في كيزان الخزف برسم الحاضرين ويكون انفصالهم العشاء الآخرة فيعمهم ذلك ويصل منه شئ الى أهل القاهرة من بعض الناس لبعض ويأخذ الرجل الواحد ما يكفي جماعة فاذا حضر الوزير أخرج اليه مما هو بحضرة الخليفة وكانت يده فيه تشريفا له وتطييبا لنفسه وربما حمل لسحوره من خاص ما يعين لسحور الخليفة نصيب وافر ثم يتفرق الناس الى اماكنهم بعد العشاء الآخرة بساعة اوساعتين قال ومبلغ ما ينفق في شهر رمضان لسماطه مدة سبعة وعشرين يوما ثلاثة آلاف دينار

(عمل سماط عيد الفطر بهذه القاعة)

قال الامير المختار عز الملك بن عبيد الله بن احمد بن اسمعيل بن عبد العزيز المسبحي في تاريخه الكبير وفي آخر يوم منه يعني شهر رمضان سنة ثمانين وثلثمائة حمل يانس الصقلبي صاحب الشرطة السفلى السماط وقصور السكر والتماثيل وأطباقا فيها تماثيل حلوى وحمل أيضا علي بن سعد المحتسب القصور وتماثيل السكر * وقال ابن الطوير فأما الاسمطة الباطنة التي يحضرها الخليفة بنفسه ففي يوم عيد الفطر اثنان ويوم عيد النحر واحد فأما الاول من عيد الفطر فانه يعبى في الليل بالايوان قدّام الشباك الذي يجلس فيه الخليفة فيمد ما مقداره ثلثمائة ذراع في عرض سبعة اذرع من الخشكنان والفانيذ والبسندود المقدم ذكر عمله بدار الفطرة فاذا صلى الفجر في اول الوقت حضر اليه الوزير وهو جالس في الشباك ومكن الناس من ذلك الممدود فأخذ وحمل ونهب فيأخذه من يأكله في يومه ومن يدخره لغده ومن لا حاجة له به فيبيعه ويتسلط عليه أيضا حواشي القصر المقيمون هنالك فاذا فرغ من ذلك وقد بزغت الشمس ركب من باب الملك بالايوان وخرج من باب العيد الى المصلى والوزير معه كما وصفنا في هيئة ركوب هذا العيد في فصله مخليا القاعة الذهب لسماط الطعام فينصب له سرير الملك قدّام باب المجلس في الرواق وينصب فيه مائدة من فضة ويقال لها المدورة وعليها اواني الفضيات والذهبيات والصيني الحاوية للاطعمة الخاص الفائحة الطيب الشهية من غير خضراوات سوى الدجاج الفائق المسمن المعمول بالامزجة الطيبة النافعة ثم ينصب السماط أمام السرير الى باب المجلس قبالته ويعرف بالحول طول القاعة وهو اليوم الباب الذي يدخل منه اليها من باب البحر الذي هو باب القصر اليوم والسماط خشب مدهون شبه الدكك اللاطية فيصير من جمعه للاواني سماطا عاليا في ذلك الطول وبعرض عشرة اذرع فيفرش فوق ذلك الازهار ويرص الخبز على حافتيه سواميذ كل واحد ثلاثة ارطال من نقي الدقيق ويدهن وجهها عند خبزها بالماء فيحصل لها بريق ويحسن منظرها ويعمر داخل ذلك السماط على طوله باحد وعشرين طبقا في كل طبق احد وعشرون ثنا سميطا مشويا وفي كل من الدجاج والفراريج وفراخ الحمام ثلثمائة وخمسون طائرا فيبقى طائلا مستطيلا فيكون كقامة الرجل الطويل ويسوّر بشرائح الحلواء اليابسة ويزين بألوانها المصبغة ثم يسد خلل تلك الاطباق بالصحون الخزفية التي في كل واحد منها سبع دجاجات وهي مترعة بالالوان الفائقة من الحلواء

المائمة والطباهجة المشققه والطيب غالب على ذلك كله فلا يبعد أن تناهز عدة الصحون المذكورة خمسمائة صحن ويرتب ذلك أحسن ترتيب من نصف الليل بالقاعة الى حين عود الخليفة من المصلى والوزير معه فاذا دخل القاعة وقف الوزير على باب دخول الخليفة لينزع عنه الثياب العيدية التى فى عمامتها السمة ويلبس سواها من خزائن الكسوات الخاصة التى قدمنا ذكرها وقد عمل بدار الفطرة قصران من حلوى فى كل واحد سبعة عشر قنطارا وحملا فيهما واحد يمضى به من طريق قصر الشوك الى باب الذهب والآخر يشق به بين القصرين يحملهما العتالون فينصبان اول السماط وآخره وهما شكل مليح مدهونان بأوراق الذهب وفيهما شخوص ناتئة كأنها مسبوكة فى قوالب لوحالوحا فاذا عبر الخليفة راكبا ونزل على السرير الذى عليه المدورة الفضة وجلس قام على رأسه أربعة من كبار الاستاذين المحنكين وأربعة من خواص الفراشين ثم يستدعى الوزير فيطلع اليه ويجلس عن يمينه ويستدعى الامراء المطوقين ومن يليهم من الامراء دونهم فيجلسون على السماط كقيامهم بين يديه فيأكل من اراد من غير الزام فان فى الحاضرين من لا يعتقد الفطر فى ذلك اليوم فيستولى على ذلك المعمول الآكلون وينقل الى دار أرباب الرسوم ويباح فلا يبقى منه الا السماط فقط فيعم اهل القاهرة ومصر من ذلك نصيب وافر فاذا انقضى ذلك عند صلاة الظهر انفض الناس وخرج الوزير الى داره مخدوما بالجماعة الحاضرين وقد عمل سماطا لاهله وحواشيه ومن يعز عليه لا يلحق بأيسر يسير من سماط الخليفة وعلى هذا العمل يكون سماط عيد النحر اول يوم منه وركوبه الى المصلى كما ذكرنا ولا يخرج عن هذا المنوال ولا ينقص عن هذا المثال ويكون الناس كلهم مفطرين ولا يفوت أحدا منهم شئ كما ذكرنا فى عيد الفطر قال ومبلغ ما ينفق فى سماطى الفطر والاضحى اربعة آلاف دينار وكان يجلس على اسمطة الاعياد فى كل سنة رجلان من الاجناد يقال لاحدهما ابن فائز والآخر الديلمى يأكل كل واحد منهما خروفا مشويا وعشر دجاجات محلاة وجام حلوى عشرة ارطال ولهما رسوم تحمل اليهما بعد ذلك من الاسمطة لبيوتهما ودنانير وافرة على حكم الهبة وكان أحدهما اسر بعسقلان فى تجريدة جرد اليها وأقام مدة فى الاسر فاتفق انه كان عندهم عجل سمين فيه عدة قناطير لحم فقال له الذى اسره وهو يداعبه ان اكلت هذا العجل أعتقتك ثم ذبحه وسوى لحمه وأطعمه حتى أتى على جميعه فوفى له واعتقه فقدم على اهله بالقاهرة ورأيته يأكل على السماط

* (الايوان الكبير) *

قال القاضى الرئيس محيى الدين عبد الله بن عبد الظاهر الروحى الكاتب فى كتاب الروضة البهية الزاهره فى خطط المعزية القاهره الايوان الكبير بناه العزيز بالله ابو منصور نزار بن المعز لدين الله معد فى سنة تسع وستين وثلثمائة انتهى وكان الخلفاء أولا يجلسون به فى يومى الاثنين والخميس الى أن نقل الخليفة الآمر بأحكام الله الجلوس منه فى اليومين المذكورين الى قاعة الذهب كما تقدم وبصدر هذا الايوان كان الشباك الذى يجلس فيه الخليفة وكان يعلو هذا الشباك قبة وفى هذا الايوان كان يمد سماط الفطرة بكرة يوم عيد الفطر كما تقدم وبه أيضا كان يعمل الاجتماع والخطبة فى يوم عيد الغدير وكان بجانب هذا الايوان الدواوين وكان بهذا الايوان ضلع سمكة اذا اقيما واريا الفارس بفرسه ولم يزالا حتى بعثهما السلطان صلاح الدين يوسف الى بغداد فى هدية * (عيد الغدير) * اعلم أن عيد الغدير لم يكن عيدا مشروعا ولا عمله أحد من سالف الائمة المقتدى بهم وأول ما عرف فى الاسلام بالعراق ايام معز الدولة على بن بويه فانه أحدثه فى سنة اثنتين وخمسين وثلثمائة فاتخذه الشيعة من حينئذ عيدا وأصلهم فيه ما خرجه الامام احمد فى مسنده الكبير من حديث البراء بن عازب رضى الله عنه قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فى سفر لنا فنزلنا بغدير خم ونودى الصلاة جامعة وكسح لرسول الله صلى الله عليه وسلم تحت شجرتين فصلى الظهر وأخذ بيد على بن ابى طالب رضى الله عنه فقال ألستم تعلمون أنى اولى بالمؤمنين من انفسهم قالوا بلى قال ألستم تعلمون أنى أولى بكل مؤمن من نفسه قالوا بلى فقال من كنت مولاه فعلى مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه قال فلقيه عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال هنيأ لك يا ابن ابى طالب اصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة * (وغدير خم) * على ثلاثة اميال من الجحفة بسرة الطريق وتصب فيه عين وحوله شجر كثير ومن سنتهم فى هذا العيد وهو أبدا يوم الثامن عشر

من

من ذي الحجة أن يحيوا الليلة بالصلاة ويصلوا في صبيحته ركعتين قبل الزوال ويلبسوا فيه الجديد ويعتقوا الرقاب ويكثروا من عمل البر ومن الذبائح ولما عمل الشيعة هذا العيد بالعراق ارادت عوام السنة مضاهاة فعلهم ونكايتهم فاتخذوا في سنة تسع وثمانين وثلثمائة بعد عيد الغدير بثمانية ايام عيدا اكثروا فيه من السرور واللهو وقالوا هذا يوم دخول رسول الله صلى الله عليه وسلم الغار هو وأبو بكر الصديق رضى الله عنه وبالغوا في هذا اليوم في اظهار الزينة ونصب القباب وايقاد النيران ولهم في ذلك أعمال مذكورة في أخبار بغداد * وقال ابن زولاق وفي يوم ثمانية عشر من ذي الحجة سنة اثنتين وستين وثلثمائة وهو يوم الغدير تجمع خلق من اهل مصر والمغاربة ومن تبعهم للدعاء لانه يوم عيد لان رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد الى أمير المؤمنين على ابن أبي طالب فيه واستخلفه فأعجب المعز ذلك من فعلهم وكان هذا اول ما عمل بمصر * قال المسبحي وفي يوم الغدير وهو ثامن عشر ذي الحجة اجتمع الناس بجامع القاهرة والقراء والفقهاء والمنشدون فكان جمعا عظيما اقاموا الى الظهر ثم خرجوا الى القصر فخرجت اليهم الجائزة وذكر أن الحاكم بأمر الله كان قد منع من عمل عيد الغدير قال ابن الطوير اذا كان العشر الاوسط من ذي الحجة اهتم الامراء والاجناد بركوب عيد الغدير وهو في الثامن عشر منه وفيه خطبة وركوب الخليفة بغير مظلة ولا سمة ولا خروج عن القاهرة ولا يخرج لاحد شيء فاذا كان ذلك اليوم ركب الوزير بالاستدعاء الجاري به العادة فيدخل القصر وفي دخوله بروز الخليفة لركوبه من الكرسي على عادته فيخدم ويخرج ويركب من مكانه من الدهليز ويخرج فيقف قبالة باب القصر ويكون ظهره الى دار فخر الدين جهاركس اليوم ثم يخرج الخليفة راكبا أيضا فيقف في الباب ويقال له القوس وحواليه الاستاذون المحنكون رجالة ومن الامراء المطوقين من يأمره الوزير باشارة خدمة الخليفة على خدمته ثم يجوز زي كل من له زي على مقدار همته فأول ما يجوز زي الخليفة وهو الظاهر في ركوبه فتجد الجنائب الخاص التي قدمنا ذكرها اولا ثم زي الامراء المطوقين لانهم غلمانه واحدا فواحدا بعددهم وأسلحتهم وجنائبهم الى آخر أرباب القصب والعماريات ثم طوائف العسكر أزمتها أمامها وأولادهم مكانهم لانهم في خدمة الخليفة وقوف بالباب طائفة طائفة فيكونون اكثر عددا من خمسة آلاف فارس ثم المترجلة الرماة بالقسي بالايدي والارجل وتكون عدتهم قريبا من ألف ثم الراجل من الطوائف الذين قدمنا ذكرهم في الركوب فتكون عدتهم قريبا من سبعة آلاف كل منهم بزمام وبنود ورايات وغيرها بترتيب مليح مستحسن ثم يأتي زي الوزير مع ولده أو أحد أقاربه وفيه جماعته وحاشيته في جمع عظيم وهيئة هائلة ثم زي صاحب الباب وهم اصحابه وأجناده ونواب الباب وسائر الحجاب ثم يأتي زي اسفهسلار العساكر بأصحابه وأجناده في عدة وافرة ثم يأتي زي والى القاهرة وزي والى مصر فاذا فرغ اخرج الخليفة من الباب والوقوف بين يديه مشاة في ركابه خارجا عن صبيان ركابه الخاص فاذا وصل الى باب الزهومة بالقصر انعطف على يساره داخلا من الدرب هنالك جائزا على الخوخ فاذا وصل الى باب الديلم الذي داخله المشهد الحسيني فيجد في دهليز ذلك الباب قاضي القضاة والشهود فاذا وازاهم خرجوا للخدمة والسلام عليه فيسلم القاضي كما ذكرنا من تقبيل رجله الواحدة التي تليه والشهود أمام رأس الدابة بمقدار قصبة ثم يعودون ويدخلون من ذلك الدهليز الى الايوان الكبير وقد علق عليه الستور القرقوبية جميعه على سعته وغير القرقوبية سترا فسترا ثم يعلق بدائره على سعته ثلاثة صفوف الاوسط طوارق فارسيات مدهونة والاعلى والاسفل درق وقد نصب فيه كرسي الدعوة وفيه تسع درجات لخطابة الخطيب في هذا العيد فيجلس القاضي والشهود تحته والعالم من الامراء والاجناد والمتشيعين ومن يرى هذا الرأي من الاكابر والاصاغر فيدخل الخليفة من باب العيد الى الايوان الى باب الملك فيجلس بالشباك وهو ينظر القوم ويخدمه الوزير عندما ينزل ويأتي هو ومن معه فيجلس بمفرده على يسار منبر الخطيب ويكون قد سير لخطيبه بدلة حرير يخطب فيها وثلاثون دينارا ويدفع له كراس محرر من ديوان الانشاء يتضمن نص الخلافة من النبي صلى الله عليه وسلم الى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ورضي عنه بزعمهم فاذا فرغ ونزل صلى قاضي القضاة بالناس ركعتين فاذا قضيت الصلاة قام الوزير الى الشباك فيخدم الخليفة وينفض الناس بعد التهاني من الاسماعيلية بعضهم بعضا وهو عندهم أعظم من عيد النحر وينحر فيه اكثرهم قال وكان الحافظ لدين الله ابو الميمون عبد المجيد لما تسلم من يد أبي علي بن الافضل الملقب كتيفات لما وزر له وخرج عليه

عمل عيدا فى ذلك اليوم وهو السادس عشر من المحرم من غير ركوب ولا حركة بل ان الايوان باق على فرشه وتعليقه من يوم الغدير فيفرش المجلس المحول اليوم فى الايوان الذى بابه خورنق وكان يقابل الايوان الكبير الذى هو اليوم خزائن السلاح بأحسن فرش وينصب له مرتبة هائلة قريبا من باذهنجه فيجتمع ارباب الدولة سيفا وقلما ويحضرون الى الايوان الى باب الملك المجاور للشباك فيخرج الخليفة راكبا الى المجلس فيترجل على بابه وبين يديه الخواص فيجلس على المرتبة ويقفون بين يديه صفين الى باب المجلس ثم يحمل قدامه كرسى الدعوة وعليه غشاء قرقوبى وحواليه الامراء الاعيان وأرباب الرتب فيصعد قاضى القضاة ويخرج من كمه كراسة مسطرة تتضمن فصولا كالفرج بعد الشدة بنظم مليح يذكر فيه كل من اصابه من الانبياء والصالحين والملوك شدة وفرج الله عنه واحدا فواحدا حتى يصل الى الحافظ وتكون هذه الكراسة محمولة من ديوان الانشاء فاذا تكاملت قراءتها نزل عن المنبر ودخل الى الخليفة ولا يكون عنده من الثياب أجل مما لبسه ويكون قد حمل الى القاضى قبل خطابته بدلة مميزة بلبسها للخطابة ويوصل اليه بعد الخطابة خمسون دينارا * وقال الامير جمال الدين ابو على موسى بن المامون أبى عبدالله محمد بن فاتك بن مختار البطائحى فى تاريخه واستهل عيد الغدير يعنى من سنة ست عشرة وخمسمائة وهاجر الى باب الاجل يعنى الوزير المأمون البطائحى الضعفاء والمساكين من البلاد ومن انضم اليهم من العوالى والادوان على عادتهم فى طلب الحلال وتزويج الايامى وصار موسما يرصده كل أحد ويرتقبه كل غنى وفقير فجرى فى معروفه على رسمه وبالغ الشعراء فى مدحه بذلك ووصلت كسوة العيد المذكور فحمل مايختص بالخليفة والوزير وأمر بتفرقة مايختص بأزمة العساكر فارسها وراجلها من عين وكسوة ومبلغ مايختص بهم من العين سبعمائة وتسعون دينارا ومن الكسوات مائة وأربع وأربعون قطعة والهيئة المختصة بهذا العيد برسم كبراء الدولة وشيوخها وامرائها وضيوفها والاستاذين المحنكين والمميزين منهم خارجا عن أولاد الوزير واخوته ويفرق من مال الوزير بعد الخلع عليه ألفان وخمسمائة دينار وثمانون دينارا وأمر بتعليق جميع ابواب القصور وتفرقة المؤذنين بالجوامع والمساجد عليها وتقدم بأن تكون الاسمطة بقاعة الذهب على حكم سماط اول يوم من عيد النحر وفى باكر هذا اليوم توجه الخليفة الى الميدان وذبح ماجرت به العادة وذبح الجزارون بعده مثل عدد الكباش المذبوحة فى عيد النحر وأمر بتفرقة ذلك للخصوص دون العموم وجلس الخليفة فى المنظرة وخدمت الرهجية وتقدم الوزير والامراء وسلموا فلما حان وقت الصلاة والمؤذنون على ابواب القصر يكبرون تكبير العيد الى أن دخل الوزير فوجد الخطيب على المنبر قد فرغ فتقدم القاضى ابو الحجاج يوسف بن ايوب فصلى به وبالجماعة صلاة العيد وطلع الشريف بن انس الدولة وخطب خطبة العيد ثم توجه الوزير الى باب الملك فوجد الخليفة قد جلس قاصدا للقائه وقد ضربت المقدمة فأمره بالمضى اليها وخلع عليه خلعة مكملة من بدلات النحر وثوبها احمر بالشدة الداعية وقلده سيفا مرصعا بالياقوت والجوهر وعندما نهض ليقبل الارض وجده قد أعد له العقد الجوهر وربطه فى عنقه بيده وبالغ فى اكرامه وخرج من باب الملك فتلقاه المقربون وسارع الناس الى خدمته وخرج من باب العيد وأولاده واخوته والامراء المميزون بحجبه وخدمت الرهجية وضربت العربية والموكب جميعه بزيه وقد اصطفت العساكر وتقدم الى ولده بالجلوس على اسمطته وتفرقتها برسومها وتوجه الى القصر واستفتح المقرئون فسلم الحاضرون وجرى الرسم فى السماط الاول والثانى وتفرقة الرسوم والموائد على حكم اول يوم من عيد النحر وتوجه الخليفة بعد ذلك الى السماط الثالث الخاص بالدار الجليلة لاقاربه وجلسائه ولما انقضى حكم التعييد جلس الوزير فى مجلسه واستفتح المقرئون وحضر الكبراء وبياض البلدين للتهنئة بالعيد والخلع وخرج الرسم وتقدم الشعراء فأنشدوا وشرحوا الحال وحضر متولى خزائن الكسوة الخاص بالثياب التى كانت على المأمون قبل الخلع وقبضوا الرسم الجارى به العادة وهو مائة دينار وحضر متولى بيت المال وصحبته صندوق فيه خمسة آلاف دينار برسم فكاك العقد الجوهر والسيف المرصع فأمر الوزير المأمون الشيخ أبا الحسن بن أبى اسامة كاتب الدست الشريف بكتب مطالعة الى الخليفة بما حمل اليه من المال برسم منديل الكم وهو ألف دينار ورسم الاخوة والاقارب ألف دينار وتسلم متولى الدولة بقية المال ليفرق على الامراء المطوقين والمميزين والضيوف والمستخدمين

*(المحول) * قال ابن عبد الظاهر المحول هو مجلس الداعى ويدخل اليه من باب الريح وبابه من باب البحر

ويعرف

ويعرف بقصر البحر وكان فى اوقات الاجتماع يصلى الداعى بالناس فى رواقه * وقال المسبحى وفى ربيع الاول يعنى من سنة خمس وثمانين وثلثمائة جلس القاضى محمد بن النعمان على كرسى بالقصر لقراءة علوم آل البيت على الرسم المعتاد المتقدم له ولاخيه بمصر ولابيه بالمغرب فمات فى الزحمة أحد عشر رجلا فكفنهم العزيز بالله وقال ابن الطوير وأما داعى الدعاة فانه يلى قاضى القضاة فى الرتبة ويتزيا بزيه فى اللباس وغيره ووصفه أنه يكون عالما بجميع مذاهب اهل البيت يقرأ عليه ويأخذ العهد على من ينتقل من مذهبه الى مذهبهم وبين يديه من نقباء المعلمين اثنا عشر نقيبا وله نواب كنواب الحكم فى سائر البلاد ويحضر اليه فقهاء الدولة ولهم مكان يقال له دار العلم ولجماعة منهم على التصدير بها أرزاق واسعة وكان الفقهاء منهم يتفقون على دفتر يقال له مجلس الحكمة فى كل يوم اثنين وخميس ويحضر مبيضا الى داعى الدعاة فينفذه اليهم ويأخذه منهم ويدخل به الى الخليفة فى هذين اليومين المذكورين فيتلوه عليه ان أمكن ويأخذ علامته بظاهره ويجلس بالقصر لتلاوته على المؤمنين فى مكانين للرجال على كرسى الدعوة بالايوان الكبير وللنساء بمجلس الداعى وكان من اعظم المبانى وأوسعها فاذا فرغ من تلاوته على المؤمنين والمؤمنات حضروا اليه لتقبيل يديه فيمسح على رؤسهم بمكان العلامة أعنى خط الخليفة وله أخذ النجوى من المؤمنين بالقاهرة ومصر وأعمالهما لاسيما الصعيد ومبلغها ثلاثة دراهم وثلث فيجتمع من ذلك شئ كثير يحمله الى الخليفة بيده بينه وبينه وأمانته فى ذلك مع الله تعالى فيفرض له الخليفة منه ما يعينه لنفسه وللنقباء وفى الاسماعيلية المموّلين من يحمل ثلاثة وثلاثين دينارا وثلثى دينار على حكم النجوى وصحبة ذلك رقعة مكتوبة باسمه فيتميز فى المحول فيخرج له عليها خط الخليفة بارك الله فيك وفى مالك وولدك ودينك فيدّخر ذلك ويتفاخر به وكانت هذه الخدمة متعلقة بقوم يقال لهم بنو عبد القوى أبا عن جدّ آخرهم الجليس وكان الافضل بن امير الجيوش نفاهم الى المغرب فولد الجليس بالمغرب وربى به وكان يميل الى مذهب اهل السنة وولى القضاء مع الدعوة وادركه أسد الدين شيركوه واكرمه وجعله واسطة عند الخليفة العاضد وكان قد حجر على العاضد ولولاه لم يبق فى الخزائن شئ لكرمه وكانه علم أنه آخر الخلفاء * قال المسبحى وكان الداعى يواصل الجلوس بالقصر لقراءة ما يقرأ على الاولياء والدعاوى المتصلة فكان يفرد للاولياء مجلسا وللخاصة وشيوخ الدولة ومن يختص بالقصور من الخدم وغيرهم مجلسا ولعوام الناس وللطارئين على البلد مجلسا وللنساء فى جامع القاهرة المعروف بالجامع الازهر مجلسا وللحرم وخواص نساء القصور مجلسا وكان يعمل المجالس فى داره ثم ينفذها الى من يختص بخدمة الدولة ويتخذ لهذه المجالس كتبا يبيضونها بعد عرضها على الخليفة وكان يقبض فى كل مجلس من هذه المجالس ما يتحصل من النجوى من كل من يدفع شيأ من ذلك عينا وورقا من الرجال والنساء ويكتب أسماء من يدفع شيأ على ما يدفعه وكذلك فى عيد الفطر يكتب ما يدفع عن الفطرة ويحصل من ذلك مال جليل يدفع الى بيت المال شيأ بعد شئ وكانت تسمى مجالس الدعوة مجالس الحكمة وفى سنة اربعمائة كتب سجل عن الحاكم بأمر الله فيه رفع الخمس والزكاة والفطرة والنجوى التى كانت تحمل ويتقرب بها وتجرى على ايدى القضاة وكتب سجل آخر بقطع مجالس الحكمة التى تقرأ على الاولياء يوم الخميس والجمعة انتهى ووظيفة داعى الدعاة كانت من مفردات الدولة الفاطمية وقد لخصت من أمر الدعوة طرفا احببت ايراده هنا *(وصف الدعوة وترتيبها)* وكانت الدعوة مرتبة على منازل دعوة بعد دعوة *(الدعوة الاولى)* سؤال الداعى لمن يدعوه الى مذهبه عن المشكلات وتأويل الآيات ومعانى الامور الشرعية وشئ من الطبيعيات ومن الامور الغامضة فان كان المدعوّ عارفا سلم له الداعى والا تركه يعمل فكره فيما ألقاه عليه من الاسئلة وقال له يا هذا ان الدين لمكتوم وان الاكثر له منكرون وبه جاهلون ولو علمت هذه الامّة ما خص الله به الائمة من العلم لم تختلف فيتشوق حينئذ المدعوّ الى معرفة ما عند الداعى من العلم فاذا علم منه الاقبال أخذ فى ذكر معانى القراآت وشرائع الدين وتقرير أن الآفة التى نزلت بالامّة وشتتت الكلمة وأورثت الاهواء المضلة ذهاب الناس عن أئمة نصبوا لهم واقيموا حافظين لشرائعهم يؤدونها على حقيقتها ويحفظون معانيها ويعرفون بواطنها غير أن الناس لما عدلوا عن الائمة ونظروا فى الامور بعقولهم واتبعوا ما حسن فى رأيهم وقلدوا اسفلتهم واطاعوا ساداتهم وكبراءهم اتباعا للملوك وطلبا للدنيا التى هى ايدى متبعى الاثم واجناد الظلمة واعوان الفسقة الذين يحبون العاجلة ويجتهدون فى طلب الرياسة على الضعفاء

ومكايدة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى امته وتغيير كتاب الله عز وجل وتبديل سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخالفة دعوته وافساد شريعته وسلوك غير طريقته ومعاندة الخلفاء الائمة من بعده بختر من قبل ذلك وصار الناس الى انواع الضلالات فان دين محمد صلى الله عليه وسلم ماجاء بالتحلى ولا بأمانى الرجال ولا شهوات الناس ولا بما خف على الالسنة وعرفته دهماء العامة ولكنه صعب مستصعب وامر مستقبل وعلم خفى غامض ستره الله فى حجبه وعظم شأنه عن ابتذال أسراره فهو سر الله المكتوم وأمره المستور الذى لا يطيق حمله ولا ينهض بأعبائه وثقله الا ملك مقرب او نبى مرسل او عبد مؤمن امتحن الله قلبه للتقوى فاذا ارتبط المدعو على الداعى وأنس له نقله الى غير ذلك * فمن مسائلهم مامعنى رمى الجمار والعدو بين الصفا والمروة ولم كانت الحائض تقضى الصوم ولا تقضى الصلاة ومابال الجنب يغتسل من ماء دافق يسير ولا يغتسل من البول النجس الكثير القذر ومابال الله خلق الدنيا فى ستة ايام أعجز عن خلقها فى ساعة واحدة ومامعنى الصراط المضروب فى القرءان مثلا والكاتبين الحافظين ومالنا لا نراهما أخاف أن نكابره ونجاحده حتى ادلى العيون وأقام علينا الشهود وقيد ذلك فى القرطاس بالكتابة وماتبديل الارض غير الارض وماعذاب جهنم وكيف يصح تبديل جلد مذنب بجلد لم يذنب حتى يعذب ومامعنى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية وما ابليس وما الشياطين وماوصفوا به وأين مستقرهم ومامقدار قدرهم وماياجوج وماجوج وهاروت وماروت واين مستقرهم وماسبعة ابواب النار وماثمانية ابواب الجنة وماشجرة الزقوم النابتة فى الجحيم ومادابة الارض ورؤس الشياطين والشجرة الملعونة فى القرءان والتين والزيتون وماالخنس الكنس ومامعنى الم والمص ومامعنى كهيعص وحمعسق ولم جعلت السموات سبعا والارضون سبعا والمثانى من القرءان سبع آيات ولم فجرت العيون اثنتى عشرة عينا ولم جعلت الشهور اثنى عشر شهرا ومايعمل معكم عمل الكتاب والسنة ومعانى الفرائض اللازمة فكروا اولا فى انفسكم أين أرواحكم وكيف صورها واين مستقرها وما اول أمرها والانسان ماهو وماحقيقته وماالفرق بين حياته وحياة البهائم وفضل مابين حياة البهائم وحياة الحشرات وماالذى بانت به حياة الحشرات من حياة النبات ومامعنى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم خلقت حواء من ضلع آدم ومامعنى قول الفلاسفة الانسان عالم صغير والعالم انسان كبير ولم كانت قامة الانسان منتصبة دون غيره من الحيوانات ولم كان فى يديه من الاصابع عشر وفى رجليه عشر أصابع وفى كل اصبع من اصابع يديه ثلاثة شقوق الا الابهام فان فيه شقين فقط ولم كان فى وجهه سبع ثقب وفى سائر بدنه ثقبان ولم كان فى ظهره اثنتا عشرة عقدة وفى عنقه سبع عقد ولم جعل عنقه صورة ميم ويداه حاء وبطنه ميما ورجلاه دالا حتى صار ذلك كتابا مرسوما يترجم عن محمد ولم جعلت قامته اذا انتصب صورة الف واذا ركع صارت صورة لام واذا سجد صارت صورة هاء فكان كتابا يدل على الله ولم جعلت أعداد عظام الانسان كذا وأعداد أسنانه كذا والاعضاء الرئيسة كذا الى غير ذلك من التشريح والقول فى العروق والاعضاء ووجوه منافع الحيوان ثم يقول الداعى الا تتفكرون فى حالكم وتعتبرون وتعلمون أن الذى خلقكم حكيم غير مجازف وانه فعل جميع ذلك لحكمة وله فيها أسرار خفية حتى جمع ماجمع وفرق مافرق فكيف يسعكم الاعراض عن هذه الامور وانتم تسمعون قول الله عز وجل وفى الارض آيات للموقنين وفى انفسكم افلا تبصرون ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتفكرون سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى انفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق فأى شئ رءاه الكفار فى انفسهم وفى الآفاق حتى عرفوا أنه الحق وأى حق عرفه من جحد الديانة ألا يدلكم هذا على أن الله جل اسمه اراد أن يرشدكم الى بواطن الامور الخفية وأسرار فيها مكتومة لو تنبهتم لها وعرفتموها لزالت عنكم كل حيرة ودحضت كل شبهة وظهرت لكم المعارف السنية ألا ترون انكم جهلتم انفسكم التى من جهلها كان حريا أن لا يعلم غيرها أليس الله تعالى يقول ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى وأضل سبيلا ونحو ذلك من تأويل القرءان وتفسير السنن والاحكام وايراد ابواب من التجويز والتعليل فاذا علم الداعى أن نفس المدعو قد تعلقت بما سأله عنه وطلب منه الجواب عنها قال له حينئذ لا تعجل فان دين الله اعلى وأجل من أن يبذل لغير أهله ويجعل غرضا للعب وجرت عادة الله وسنته فى عباده عند شرع من نصبه أن يأخذ العهد على من يرشده ولذلك قال واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم وأخذنا منهم ميثاقا غليظا وقال

عز

عزوجل من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا وقال جل جلاله يا أيها الذين آمنوا اوفوا بالعقود وقال ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا وقال لقد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل ومن أمثال هذا فقد أخبر الله تعالى انه لم يملك حقه الالمن أخذ عهده فأعطنا صفقة يمينك وعاهدنا بالموكد من أيمانك وعقودك أن لا تفشى لنا سرا ولا تظاهر علينا أحدا ولا تطلب لنا غيلة ولا تكتمنا نصحا ولا توالى لنا عدوا فاذا أعطى العهد قال له الداعى أعطنا جعلا من مالك نجعله مقدمة أمام كشفنا لك الامور وتعريفك اياها والرسم فى هذا الجعل بحسب ما يراه الداعى فان امتنع المدعو أمسك عنه الداعى وان أجاب وأعطى نقله الى الدعوة الثانية وانما سميت الاسماعيلية بالباطنية لانهم يقولون لكل ظاهر من الاحكام الشرعية باطن ولكل تنزيل تاويل *(الدعوة الثانية)* لا تكون الا بعد تقدم الدعوى الاولى فاذا تقرر فى نفس المدعو جميع ما تقدم وأعطى الجعل قال له الداعى ان الله تعالى لم يرض فى اقامة حقه وما شرعه لعباده الا أن يأخذ واذلك عن أئمة نصبهم للناس وأقامهم لحفظ شريعته على ما أراده الله تعالى ويسلك فى تقرير هذا ويستدل عليه بامور مقررة فى كتبهم حتى يعلم أن اعتقاد الائمة قد ثبت فى نفس المدعو فاذا اعتقد ذلك نقله الى الدعوة الثالثة *(الدعوة الثالثة)* مرتبة على الثانية وذلك أنه اذا علم الداعى ممن دعاه أن ارتباطه على دين الله لا يعلم الا من قبل الائمة قرر حينئذ عنده أن الائمة سبعة قد رتبهم البارى تعالى كما رتب الامور الجليلة فانه جعل الكواكب السيارة سبعة وجعل السموات سبعا وجعل الارضين سبعا ونحو ذلك مما هو سبع من الموجودات وهؤلاء الائمة السبعة هم على بن أبى طالب والحسن بن على والحسين بن على وعلى بن الحسين الملقب زين العابدين ومحمد بن على وجعفر بن محمد الصادق والسابع هو القائم صاحب الزمان وهم اعنى الشيعة مختلفون فى هذا القائم فمنهم من يجعله محمد بن اسمعيل بن جعفر الصادق ويسقط اسماعيل بن جعفر ومنهم من يعد اسماعيل بن جعفر اماما ثم يعد ابنه محمد بن اسمعيل فاذا تقرر عند المدعو أن الائمة سبعة انحل عن معتقد الامامية من الشيعة القائلين بامامة اثنى عشر اماما وصار الى معتقد الاسماعيلية بأن الامامة انتقلت الى محمد بن اسمعيل بن جعفر فاذا علم الداعى ثبات هذا العقد فى نفس المدعو شرع فى ثلب بقية الائمة الذين قد اعتقد الامامية فيهم الامامة وقرر عند المدعو أن محمد بن اسمعيل عنده علم المستورات وبواطن المعلومات التى لا يمكن أن توجد عند أحد غيره وأن عنده أيضا علم التأويل ومعرفة تفسير ظاهر الامور وعنده سر الله تعالى فى وجه تدبيره المكتوم واتقان دلالته فى كل امر يسأل عنه فى جميع المعدومات وتفسير المشكلات وبواطن الظاهر كله والتأويلات وتأويل التأويلات وأن دعاته هم الوارثون لذلك كله من بين سائر طوائف الشيعة لانهم أخذوا عنه ومن جهته رووا وان احدا من الناس المخالفين لهم لا يستطيع أن يساويهم ولا يقدر على التحقق بما عندهم الا منهم ويحتج لذلك بما هو معروف فى كتبهم مما لا يسع هذا الكتاب حكايته لطوله فاذا انقاد المدعو وأذعن لما تقرر نقله الى الدعوة الرابعة *(الدعوة الرابعة)* لا يشرع الداعى فى تقريرها حتى يتيقن صحة انقياد المدعو لجميع ما تقدم فاذا تيقن منه صحة الانقياد قرر عنده أن عدد الانبياء الناسخين للشرائع المبدلين لاحكامها اصحاب الادوار وتقليب الاحوال الناطقين بالامور سبعة فقط كعدد الائمة سواء وكل واحد من هؤلاء الانبياء لا بد له من صاحب يأخذ عنه دعوته ويحفظها على امته ويكون معه ظهيراله فى حياته وخليفة له من بعد وفاته الى أن يبلغ شريعته الى أحد يكون سبيله معه كسبيله هو مع نبيه الذى اتبعه ثم كذلك كل مستخلف خليفة الى أن يأتى منهم على تلك الشريعة سبعة اشخاص ويقال لهؤلاء السبعة الصامتون لثباتهم على شريعة اقتفوا فيها اثر واحد هو اولهم ويسمى الاول من هؤلاء السبعة السوس وانه لا بد عند انقضاء هؤلاء السبعة ونفاذ دورهم من استفتاح دور ثان يظهر فيه نبى ينسخ شرع من مضى من قبله وتكون الخلفاء من بعده امورهم تجرى كأمر من كان قبلهم ثم يكون من بعدهم نبى ناسخ يقوم من بعده سبعة صمت ابدا وهكذا حتى يقوم النبى السابع من النطقاء فينسخ جميع الشرائع التى كانت قبله ويكون صاحب الزمان الاخير فكان اول هؤلاء الانبياء النطقاء آدم عليه السلام وكان صاحبه وسوسه ابنه شيث وعدوا تمام السبعة الصامتين على شريعة آدم وكان الثانى من الانبياء النطقاء نوح عليه السلام

فانه نطق بشريعة نسخ بها شريعة آدم وكان صاحبه وسوسه ابنه سام وتلاه بقية السبعة الصامتين على شريعة نوح ثم كان الثالث من الانبياء النطقاء ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليه فانه نطق بشريعة نسخ بها شريعة نوح وآدم عليهما السلام وكان صاحبه وسوسه فى حياته والخليفة القائم من بعده المبلغ شريعته ابنه اسمعيل عليه السلام ولم يزل يخلفه صامت بعد صامت على شريعة ابراهيم حتى تم دور السبعة الصمت وكان الرابع من الانبياء النطقاء موسى بن عمران عليه السلام فانه نطق بشريعة نسخ بها شريعة آدم ونوح وابراهيم وكان صاحبه وسوسه اخوه هرون ولما مات هرون فى حياة موسى قام من بعد موسى يوشع بن نون خليفة له صمت على شريعته وبلغها فأخذها عنه واحد بعد واحد الى أن كان اخر الصمت على شريعة موسى يحيى بن زكرياء وهو آخر الصمت ثم كان الخامس من الانبياء النطقاء المسيح عيسى ابن مريم صلوات الله عليه فانه نطق بشريعة نسخ بها شرائع من كان قبله وكان صاحبه وسوسه شمعون الصفا ومن بعده تمام السبعة الصمت على شريعة المسيح الى ان كان السادس من الانبياء النطقاء نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانه نطق بشريعة نسخ بها جميع الشرائع التى جاء بها الانبياء من قبله وكان صاحبه وسوسه علىّ بن ابى طالب رضى الله عنه ثم من بعد علىّ ستة صمتوا على الشريعة المحمدية وقاموا بميراث أسرارها وهم ابنه الحسن ثم ابنه الحسين ثم علىّ بن الحسين ثم محمد بن علىّ ثم جعفر بن محمد ثم اسماعيل بن جعفر الصادق وهو آخر الصمت من الائمة المستورين والسابع من النطقاء هو صاحب الزمان وعند هؤلاء الاسماعيلية انه محمد بن اسمعيل بن جعفر وانه الذى انتهى اليه علم الاولين وقام بعلم بواطن الامور وكشفها واليه المرجع فى تفسيرها دون غيره وعلى جميع الكافة اتباعه والخضوع له والانقياد اليه والتسليم له لان الهداية فى موافقته واتباعه والضلال والحيرة فى العدول عنه فاذا تقرر ذلك عند المدعو انتقل الداعى الى الدعوة الخامسة * (الدعوة الخامسة) * مترتبة على ماقبلها وذلك أنه اذا صار المدعو فى الرتبة الرابعة من الاعتقاد أخذ الداعى يقرر أنه لابد مع كل امام قائم فى كل عصر حجج متفرقون فى جميع الارض عليهم تقوم وعدة هؤلاء الحجج ابدا اثناعشر رجلا فى كل زمان كما أن عدد الائمة سبعة ويستدل لذلك بأمور منها أن الله تعالى لم يخلق شيأ عبثا ولا بد فى خلق كل شئ من حكمة والا فلم خلق النجوم التى بها قوام العالم سبعة وجعل أيضا السموات سبعا والارضين سبعا والبروج اثنى عشر والشهور اثنى عشر شهرا ونقباء بنى اسرائيل اثنى عشر نقيبا ونقباء رسول الله صلى الله عليه وسلم من الانصار اثنى عشر نقيبا وخلق تعالى فى كف كل انسان أربع اصابع وفى كل اصبع ثلاث شقوق تكون جملتها اثنى عشر شقا على انه فى يد كل ابهام شقان دلالة على أن الانسان بدنه كالارض واصابعه كالجزائر الاربع والشقوق التى فى الاصابع كالحجج والابهام الذى به قوام جميع الكف وسداد الاصابع كالذى يقوم الارض بقدر مافيها والشقان اللذان فى الابهام اشارة الى أن الامام وسوسه لا يفترقان ولذلك صار فى ظهر الانسان اثنتاعشرة خرزة اشارة الى الحجج الاثنى عشر وصار فى عنقه سبع فكان العنق عاليا على خرزات الظهر وذلك اشارة الى الانبياء النطقاء والائمة السبعة وكذلك الاثقاب السبعة التى فى وجه الانسان العالى على بدنه وأشياء من هذا النوع كثيرة فاذا تمهد عند المدعو ما دعاه اليه الداعى وتقرر نقله حينئذ الى الدعوة السادسة * (الدعوة السادسة) * لاتكون الا بعد ثبوت جميع ماتقدم فى نفس المدعو وذلك أنه اذا صار الى الرتبة الخامسة أخذ الداعى فى تفسير معانى شرائع الاسلام من الصلاة والزكاة والحج والطهارة وغير ذلك من الفرائض بأمور مخالفة للظاهر بعد تمهيد قواعد تبين فى ازمنة من غير عجلة تؤدى الى أن هذه الاشياء وضعت على جهة الرموز لمصلحة العامة وسياستهم حتى يشتغلوا بها عن بغى بعضهم على بعض وتصدهم عن الفساد فى الارض حكمة من الناصبين للشرائع وقوة فى حسن سياستهم لاتباعهم واتقانا منهم لما رتبوه من النواميس ونحو ذلك حتى يتمكن هذا الاعتقاد فى نفس المدعو فاذا طال الزمان وصار المدعو يعتقد أن أحكام الشريعة كلها وضعت على سبيل الرمز لسياسة العامة وأن لها معانى أخر غير مايدل عليه الظاهر نقله الداعى الى الكلام فى الفلسفة وحضه على النظر فى كلام افلاطون وأرسطو وفيثاغورس ومن فى معناهم ونهاه عن قبول الاخبار والاحتجاج بالسمعيات وزين له الاقتداء بالادلة العقلية والتعويل عليها فاذا استقر ذلك

ده واعتقده نقله بعد ذلك الى الدعوة السابعة ويحتاج لك الى زمان طويل *(الدعوة السابعة) لا يفصح
الداعى مالم يكثر أنسه بمن دعاه ويتيقن أنه قد تأهل الى الانتقال الى رتبة اعلى مما هو فيه فاذا علم ذلك منه قال
صاحب الدلالة والناصب للشريعة لا يستغنى بنفسه ولا بد له من صاحب معه يعبر عنه ليكون أحدهما
صل والآخر عنه كان وصدر وهذا انما هو اشارة العالم السفلى لما يحويه العالم العلوى فان مدبر
الم فى اصل الترتيب وقوام النظام صدر عنه اول موجود بغير واسطة ولا سبب نشأ عنه واليه الاشارة
وله تعالى انما امره اذا أراد شيأ أن يقول له كن فيكون اشارة الى الاول فى الرتبة والآخر هو القدر الذى قال
انا كل شئ خلقناه بقدر وهذا معنى ما نسمعه من أن الله اول ما خلق القلم فقال للقلم اكتب فكتب فى اللوح
وكائن وأشياء من هذا النوع موجودة فى كتبهم وأصلها مأخوذ من كلام الفلاسفة القائلين الواحد
صدر عنه الا واحد وقد أخذ هذا المعنى المتصوفة وبسطوه بعبارات أخر فى كتبهم فان كنت ممن ارتاض
رف مقالات الناس تبين لك ما ذكرت ولا يحتمل هذا الكتاب بسط القول فى هذا المعنى واذا تقرر ما ذكر فى
ه الدعوة عند المدعو نقله الداعى الى الدعوة الثامنة *(الدعوة الثامنة)* متوقفة على اعتقاد سائر
تقدم فاذا استقر ذلك عند المدعو بناله قال له الداعى اعلم أن أحد المذكورين اللذين هما مدبرا الوجود
صادر عنه انما تقدم السابق على اللاحق تقدم العلة على المعلول فكانت الاعيان كلها ناشئة وكائنة عن
سادر الثانى بترتيب معروف فى بعضهم ومع ذلك فالسابق عندهم لا اسم له ولا صفة ولا يعبر عنه ولا يقيد
يقال هو موجود ولا معدوم ولا عالم ولا جاهل ولا قادر ولا عاجز وكذلك سائر الصفات فان الاثبات عندهم
ضى شركة بينه وبين المحدثات والنفى يقتضى التعطيل وقالوا ليس بقديم ولا محدث بل القديم امره وكلمته
لمحدث خلقه وفطرته كما هو مبسوط فى كتبهم فاذا استقر ذلك عند المدعو قرر عنده الداعى أن التالى يدأب فى
اله حتى يلحق بمنزلة السابق وأن الصامت فى الارض يدأب فى أعماله حتى يصير بمنزلة الناطق سواء وأن
اعى يدأب فى أعماله حتى يبلغ منزلة السوس وحاله سواء وهكذا تجرى امور العالم فى اكواره وأدواره ولهذا
ول بسط كثير فاذا اعتقده المدعو قرر عنده الداعى أن معجزة النبى الصادق الناطق ليست غير أشياء
ظم بها سياسة الجمهور وتشمل الكافة مصلحتها بترتيب من الحكمة تحوى معانى فلسفية تنبئ عن حقيقة
ة السماء والارض وما يشتمل العالم عليه بأسره من الجواهر والاعراض فتارة برموز يعقلها العالمون وتارة
صاح يعرفه كل أحد فينتظم بذلك للنبى شريعة يتبعها الناس ويقرر عنده أيضا أن القيامة والقرآن والثواب
عقاب معناها سوى ما يفهمه العامة وغير ما يتبادر الذهن اليه وليس هو الا حدوث ادوار عند انقضاء
دار من ادوار الكواكب وعوالم اجتماعاتها من كون وفساد جاء على ترتيب الطبائع كما قد بسطه الفلاسفة
كتبهم فاذا استقر هذا العقد عند المدعو نقله الداعى الى الدعوة التاسعة *(الدعوة التاسعة)
النتيجة التى يحاول الداعى بتقرير جميع ما تقدم رسوخها فى نفس من يدعوه فاذا تيقن أن المدعو تأهل
كشف السر والافصاح عن الرموز أحاله على ما تقرر فى كتب الفلاسفة من علم الطبيعيات وما بعد الطبيعة
علم الالهى وغير ذلك من أقسام العلوم الفلسفية حتى اذا تمكن المدعو من معرفة ذلك كشف الداعى قناعه
ل ما ذكر من الحدوث والاصول رموز الى معانى المبادى وتقلب الجواهر وان الوحى انما هو صفاء
نس فيجد النبى فى فهمه ما يلقى اليه ويتنزل عليه فيبرزه الى الناس ويعبر عنه بكلام الله الذى ينظم به النبى
يعته بحسب ما يراد من المصلحة فى سياسة الكافة ولا يجب حينئذ العمل بها الا بحسب الحاجة من رعاية
سالح الدهماء بخلاف العارف فانه لا يلزمه العمل بها ويكفيه معرفته فانها اليقين الذى يجب المصير اليه
عدا المعرفة من سائر المشروعات فانما هى أثقال وآصار حملها الكفار أهل الجهالة لمعرفة الاعراض والاسباب
ن جملة المعرفة عندهم أن الانبياء النطقاء أصحاب الشرائع انما هم لسياسة العامة وان الفلاسفة انبياء
مة الخاصة وان الامام انما وجوده فى العالم الروحانى اذا صرنا بالرياضة فى المعارف اليه وظهوره الآن
اهو ظهور امره ونهيه على لسان اوليائه ونحو ذلك مما هو مبسوط فى كتبهم وهذا حاصل علم الداعى ولهم
لك مصنفات كثيرة منها اختصرت ما تقدم ذكره (ابتداء هذه الدعوة) اعلم أن هذه الدعوة منسوبة
شخص كان بالعراق يعرف بميمون القداح وكان من غلاة الشيعة فولد ابنا عرف بعبد الله بن ميمون اتسع علمه

وكثرت معارفه وكاد أن يطلع على جميع مقالات الخليقة فرتب له مذهبا وجعله في تسع دعوات ودعا الناس الى مذهبه فاستجاب له خلق وكان يدعو الى الامام محمد بن اسمعيل وظهر من الاهواز ونزل بعسكر مكرم فصار له مال واشتهرت دعاته فأنكر الناس عليه وهو وابنه ففر الى البصرة ومعه من اصحابه الحسين الاهوازي فلما انتشر ذكره بها طلب فصار الى بلاد الشام وأقام بسلمية وبها ولد له ابنه احمد فقام من بعد ابيه عبد الله بن ميمون فسير الحسين الاهوازي داعية له الى العراق فلقي حمدان بن الاشعث المعروف بقرمط بسواد الكوفة فدعاه واستجاب له وأنزله عنده وكان من امره لما هو مذكور في أخبار القرامطة من كتابنا هذا عند ذكر المعز لدين الله معد ثم انه ولد لاحمد بن عبد الله ابنه الحسين ومحمد المعروف بأبي الشلعلع فلما هلك احمد خلفه ابنه الحسين ثم قام من بعده أخوه ابو الشلعلع وكان من امرهم ما هو مذكور في موضعه فانتشرت الدعاة في اقطار الارض وتفقهوا في الدعوة حتى وضعوا فيها الكتب الكثيرة وصارت علما من العلوم المدونة ثم اضمحلت الآن وذهبت بذهاب اهلها ولهذا يقال ان اصل دعوة الاسماعيلية مأخوذ من القرامطة ونسبوا من اجلها الى الالحاد *(صفة العهد الذي يؤخذ على المدعو)* وهو ان الداعي يقول لمن يأخذ عليه العهد ويحلفه جعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله وأنبيائه وملائكته وكتبه ورسله وما أخذه على النبيين من عقد وعهد وميثاق انك تستر جميع ما تسمعه وسمعته وعلمته وتعلمه وعرفته وتعرفه من امري وأمر المقيم بهذا البلد لصاحب الحق الامام الذي عرفت اقراري له ونصحي لمن عقد ذمته وأمور اخوانه وأصحابه وولده وأهل بيته المطيعين له على هذا الدين ومخالصته له من الذكور والاناث والصغار والكبار فلا تظهر من ذلك شيأ قليلا ولا كثيرا ولا شيأ يدل عليه الا ما اطلقت لك أن تتكلم به او أطلقه لك صاحب الامر المقيم بهذا البلد فتعمل في ذلك بامرنا ولا تتعداه ولا تزيد عليه وليكن ما تعمل عليه قبل العهد وبعده بقولك وفعلك أن تشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وتشهد أن محمدا عبده ورسوله وتشهد أن الجنة حق وأن النار حق وأن الموت حق وأن البعث حق وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور وتقيم الصلاة لوقتها وتؤتي الزكاة لحقها وتصوم رمضان وتحج البيت الحرام وتجاهد في سبيل الله حق جهاده على ما أمر الله به ورسوله وتوالي أولياء الله وتعادي اعداء الله وتقوم بفرائض الله وسننه وسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى آله الطاهرين ظاهرا وباطنا وعلانية وسرا وجهرا فان ذلك يؤكد هذا العهد ولا يهدمه ويثبته ولا يزيله ويقربه ولا يباعده ويشده ولا يضعفه ويوجب ذلك ولا يبطله ويوضحه ولا يعميه كذلك هو الظاهر والباطن وسائر ما جاء به النبيون من ربهم صلوات الله عليهم اجمعين على الشرائط المبينة في هذا العهد جعلت على نفسك الوفاء بذلك قل نعم فيقول المدعو نعم ثم يقول الداعي له والصيانة له بذلك وأداء الامانة على أن لا تظهر شيأ أخذ عليك في هذا العهد في حياتنا ولا بعد وفاتنا لا في غضب ولا على حال رضى ولا على رغبة ولا في حال رهبة ولا عند شدة ولا في حال رخاء ولا على طمع ولا على حرمان تلقى الله على الستر لذلك والصيانة له على الشرائط المبينة في هذا العهد وجعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمته وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم أن تمنعني وجميع من اسميه لك واثبته عندك مما تمنع منه نفسك وتنصح لنا ولوليك ولي الله نصحا ظاهرا وباطنا فلا تخن الله ووليه ولا احدا من اخواننا وأوليائنا ومن تعلم أنه منا بسبب في اهل ولا مال ولا رأي ولا عهد ولا عقد تتأول عليه بما يبطله فان فعلت شيأ من ذلك وانت تعلم انك قد خالفته وانت على ذكر منه فأنت بريء من الله خالق السموات والارض الذي سوى خلقك وألف تركيبك وأحسن اليك في دينك ودنياك وآخرتك وتبرأ من رسله الاولين والآخرين وملائكته المقربين الكروبيين والروحانيين والكلمات التامات والسبع المثاني والقرءان العظيم وتبرأ من التوراة والانجيل والزبور والذكر الحكيم ومن كل دين ارتضاه الله في مقدم الدار الآخرة ومن كل عبد رضي الله عنه وانت خارج من حزب الله وحزب اوليائه وخذلك الله خذلانا بينا يعجل لك بذلك النقمة والعقوبة والمصير الى نار جهنم التي ليس لله فيها رحمة وانت بريء من حول الله وقوته ملجأ الى حول نفسك وقوتك وعليك لعنة الله التي لعن الله بها ابليس وحرم عليه بها الجنة وخلده في النار ان خالفت شيأ من ذلك ولقيت الله يوم تلقاه وهو عليك غضبان ولله عليك أن تحج الى بيته الحرام ثلاثين حجة حجا واجبا ماشيا حافيا لا يقبل الله منك الا الوفاء بذلك وكل ما تملك في الوقت الذي تخالفه فيه فهو صدقة على الفقراء والمساكين الذين لا رحم بينك وبينهم لا يأجرك الله عليه ولا يدخل عليك بذلك منفعة

وكل

وكل مملوك لك من ذكرا وأنثى فى ملكك او تستفيده الى وقت وفاتك ان خالفت شيأ من ذلك فهم أحرار لوجه الله عز وجل وكل امرأة لك أو تتزوجها الى وقت وفاتك ان خالفت شيأ من ذلك فهى طوالق ثلاثا بتة طلاق الحرج لا مثوبة لك ولا خيار ولا رجعة ولا مشيئة وكل ما كان لك من اهل ومال وغيرهما فهو عليك حرام وكل ظهار فهو لازم لك وأنا المستحلف لك لامامك وحجتك وانت الحالف لهما وان نويت او عقدت او أضمرت خلاف ما احلفك عليه وأحلفك به فهذه اليمين من اولها الى آخرها مجددة عليك لازمة لك لا يقبل الله منك الا الوفاء بها والقيام بما عاهدت بينى وبينك قل نعم فيقول نعم ولهم مع ذلك وصايا كثيرة اضربنا عنها خشية الاطالة وفيما ذكرناه كفاية لمن عقل

(الدواوين)

وكانت دواوين الدولة الفاطمية لما قدم المعز لدين الله الى مصر ونزل بقصره فى القاهرة محلها ابدا دار الامارة من جوار الجامع الطولونى فلما مات المعز وقلد العزيز بالله الوزارة ليعقوب بن كلس نقل الدواوين الى داره فلما مات يعقوب نقلها العزيز بعد موته الى القصر فلم تزل به الى أن استبد الافضل بن امير الجيوش وعمر دار الملك بمصر فنقل اليها الدواوين فلما قتل عادت من بعده الى القصر ومازالت هنالك حتى زالت الدولة * قال فى كتاب الذخائر والتحف وحدثنى من اثق به قال كنت بالقاهرة يوما من شهور سنة تسع وخمسين وأربعمائة وقد استفحل امر المارقين وقويت شوكتهم وامتدت ايديهم الى أخذ الذخائر المصونة فى قصر السلطان بغير أمره فرأيت وقد دخل من باب الديلم احد أبواب القصور المعمورة الزاهرة المعروف بتاج الملوك شادى ونخر العرب على بن ناصر الدولة بن حمدان ورضى الدولة بن رضى الدولة وامير الامراء بحتكين ابن بسكتكين وامير العرب بن كيغلغ والاعز بن سنان وعدة من الامراء اصحابهم البغداديين وغيرهم وصاروا فى الايوان الصغير فوقفوا عند ديوان الشام لكثرة عددهم وجماعتهم وكان معهم احد الفراشين المستخدمين برسم القصور المعمورة فدخلوا الى حيث كان الديوان النظرى فى الديوان المذكور وصحبتهم فعلة وانتهوا الى حائط بحير فأمروا الفعلة بكشف الجير عنه فظهرت حنية باب مسدود فأمروا بهدمه فتوصلوا منه الى خزانة ذكر أنها عزيزية من ايام العزيز بالله فوجدوا فيها من السلاح ما يروق الناظر ومن الرماح العزيزية المطلية اسنتها بالذهب ذات مهارك فضة مجراة بسواد ممسوح وفضة بياض ثقيلة الوزن عدة رزم اعوادها من الزان الجيد ومن السيوف المجوهرة النصول ومن النشاب الخلنجى وغيره ومن الدرق اللمطى والحجف التبتى وغير ذلك ومن الدروع المكلل سلاح بعضها والمحلى بعضها بالفضة المركبة عليه ومن التجافيف والجواشن والكراعيدات الملبسة ديباجا المكوكبة بكواكب فضة وغير ذلك مما ذكر أن قيمته تزيد على عشرين ألف دينار فحملوا جميع ذلك بعد صلاة المغرب ولقد شاهدت بعض حواشيهم وركابياتهم يكسرون الرماح ويتلفون بذلك أعوادها الزان ليأخذوا المهارك الفضة ومنهم من يجعل ذلك فى سراويله وعمامته وجيبه ومنهم من يستوهب من صاحبه السيف الثمين وكان فيها من الرماح الطوال الخطية السمر الجياد عدة حملوا منها ما قدروا عليه وبقى منها ما كسره الركابية ومن يجرى مجراهم كانوا يبيعونه للمغازليين واصناع المرادن حتى كثر هذا الصنف بالقاهرة ولم تعترضهم الدولة ولا التفتت الى قدر ذلك ولا احتفلت به وجعلته هو وغيره فداء لاموال المسلمين وحفظا لما فى منازلهم

(ديوان المجلس)

قال ابن الطوير ديوان المجلس هو أصل الدواوين قديما وفيه علوم الدولة بأجمعها وفيه عدة كتاب ولكل واحد مجلس مفرد وعنده معين او معينان وصاحب هذا الديوان هو المتحدث فى الاقطاعات ويلحق بديوان النظر ويطلع عليه وينشأ له السجل وله المرتبة والمسند والدواة والحاجب الى غير ذلك قال ذكر خدمهم الخاصة المتصلة بهم فأولها دفتر المجلس وصاحبه من الاستاذين المحنكين ثم يتولاه اجل كتاب الدولة ممن يكون مترشحا لرأس الدواوين ويتضمن ذلك الدفتر وله مكان ديوان بالقصر الباطن من الانعام فى العطايا والظاهر من الرسوم المعروفة فى غرة السنة والضحايا والمرتب من الكسوات للاولاد والاقارب والجهات وأرباب الرتب على اختلاف الطبقات وما يرد من ملوك الدنيا من التحف والهدايا وما يرسل اليهم من الملاطفات ومقادير الصلات

للمترسلين بالمكاتبات وما يخرج من الاكفان لمن يموت من ارباب الجهات المحترمات ثم يضبط ما ينفق فى الدولة من المهمات ليعلم ما بين كل سنة من التفاوت فالصرة المنعم بها فى اول العام من الدنانير والرباعية والقراريط تقرب من ثلاثة آلاف دينار وثمن الضحايا يقرب من ألفى دينار وما ينفق فى دار الفطرة فيما يفرق على الناس سبعة آلاف دينار وما ينفق فى دار الطراز للاستعمالات الخاص وغيرها فى كل سنة عشرة آلاف دينار وما ينفق فى مهم فتح الخليج غير المطاعم ألفا دينار وما ينفق فى شهر رمضان فى سماطه ثلاثة آلاف دينار وما ينفق فى سماطى الفطر والنحر أربعة آلاف دينار وهذا خارج عما يطلق للناس اصنافا من خزائنه من المآكل والمشارب والمواصلة من الهبات وما تخرج به الخطوط من التشريفات والمسامحات وما يطلق من الاهراء من الغلات حتى لا يفوتهم علم شئ من هذه المطلقات وفى هذه الخدمة كاتب مستقل بين يدى صاحب ديوانه الاصلى ومعه كاتبان آخران لتنزيل ذلك فى الدفتر والدفتر عبارة عن جرائد مسطوحات ينزل ذلك فيها فى اوقاته من غير فوات قال واذا انقضى عيد النحر من كل سنة تقدم بعمل الاستيمار لتلك السنة تمام ذى الحجة منها فيجتمع كتاب ديوان الرواتب عند متوليه ويحمل العروض اليه فاذا تحررت نسخة التحرير بيضت بعد أن يستدعى من المجلس اوراق بالادرار الذى يقبض بغير خرج وفى الادرار ماهو مستقر بالوجهين فيضاف هذا المبلغ بجهاته الى المبالغ المعلومة بديوان الرواتب وجهاتها حتى لا يفوت من الاستيمار شئ من كل ما تقرر شرحه ويعلم مقداره عينا وورقا وغلة وغير ذلك فيحرر ذلك كله بأسماء المرتزقين وأولهم الوزير ومن يلوذ به وعلى ذلك الى أن ينتهى الجميع الى ارباب الضرر فاذا تكمل استدعى له من خزانة الفرش وطباحير لشده وشرابة لمسكه اما خضراء او حمراء ويعمل له صدر من الكلام اللائق بما بعده وهذا كله خارج عن الكسوات المطلقة لاربابها والرسوم المعتدة فى كل سنة وما يحمل من دار الفطرة من الاصناف برسم عيد الفطر وعما يشهد به دفتر المجلس من العطايا الخافية والرسوم وقد انعقد مرة وأنا اتولى ديوان الرواتب على ما مبلغه نيف ومائة ألف دينار أو قريب من مائتى ألف دينار ومن القمح والشعير على عشرة آلاف اردب فاذا فرغ من مسكه فى الشرابة حمل الى صاحب ديوان النظر ان كان والا فلصاحب ديوان المجلس ليعرضه على الخليفة ان كان يعنى مستبدا او الوزير لاستقبال المحرم من السنة الآتية فى اوقات معلومة فيتأخر فى العرض وربما يستوعب المحرم ليحيط العلم بما فيه فاذا كمل العرض أخرج الى الديوان وقد شطب على بعضه وكانوا يتحرجون من الاقامات على مال الدولة التى لا اصل لها وعلى غير متوفر ويتنجزها أربابها بالمستقبلات على الخلفاء والوزراء وينقص قوم للاستكثار ويزاد قوم للاستحقاق ويصرف قوم ويستخدم آخرون على ما تقتضيه الآراء فى ذلك الوقت ثم يسلم لرب هذا الديوان فيحمل الامر على ما شطب عليه وعلامة الاطلاق خروجه من العرض وقيل انه عمل مرة فى ايام المستنصر بالله فلما استؤذن على عرضه قال هل وقع أحد بما فيه غيرنا قيل له معاذ الله يا مولانا ما تم انعام الا لك ولا رزق الا من الله على يديك فقال ما ينقض به امرنا ولا خططنا وما صرفناه فى دولتنا باذننا وتقدم الى ولى الدولة بن جبران كاتب الانشاء بامضائه للناس من غير عرض وحمل الامر على حكمه ووقع عن الخليفة بظاهره الفقر مر المذاق والحاجة تذل الاعناق وحراسة النعم بادرار الارزاق فليجروا على رسومهم فى الاطلاق ما عندكم ينفد وما عند الله باق ووقع فى خلافة الحافظ لدين الله على استيمار الرواتب ما نصه أمير المؤمنين لا يستكثر فى ذات الله كثير الاعطاء ولا يكدره بالتأخير له والتسويف والابطاء ولما انتهى اليه ما ارباب الرواتب عليه من القلق للامتناع من ايجاباتهم وحمل خروجاتهم قد ضعفت قلوبهم وقنطت نفوسهم وساءت ظنونهم شملهم برحمته ورأفته وامنهم مما كانوا وجلين من مخافته وجعل التوقيع بذلك بخط يده تأكيدا للانعام والمن وتهنئة بصدقة لا تتبع بالاذى والمن فليعتمد فى ديوان الجيوش المنصورة اجراء ما تضمنت هذه الاوراق ذكرهم على ما ألفوه وعهدوه من رواتبهم وايجابها على سياقتها لكافتهم من غير تأول ولا تعنت ولا استدراك ولا تعقب وليجروا فى نسبياتهم على عادتهم لا ينقض من أمرهم ما كان مبرما ولا ينسخ من رسمهم ما كان محكما كرما من أمير المؤمنين وفعلا مبرورا وعملا بما أخبر به عز وجل فى قوله تعالى انما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ولينسخ فى جميع الدواوين بالحضرة ان شاء الله تعالى * وقال فى كتاب كنز الدرر ان فى سنة ست وأربعمائة عرض على الحاكم بامر الله الاستيمار باسم المتفقهين والقراء والمؤذنين بالقاهرة

ومصر وكانت الجملة فى كل سنة أحدا وسبعين ألف دينار وسبعمائة وثلاثة وثلاثين دينارا وثلثى دينار وربع دينار فأمضى جميع ذلك * وقال ابن المأمون وأما الاستيمار فبلغنى ممن اثق به أنه كان فى الايام الافضلية اثنى عشر ألف دينار وصار فى الايام المامونية لاستقبال سنة ست عشرة وخمسمائة ستة عشر ألف دينار وأما تذكرة الطراز فالحكم فيها مثل الاستيمار والشائع فيها انها كانت تشتمل فى الايام الافضلية على أحد وثلاثين ألف دينار ثم اشتملت فى الايام المأمونية على ثلاثة وأربعين ألف دينار وتضاعفت فى الايام الآمرية وعرض روزنامج بما انفق عينا من بيت المال فى مدة اولها محرّم سنة سبع عشرة وخمسمائة وآخرها سلخ ذى الحجة منها فى العساكر المسيرة لجهاد الفرنج برّا والاساطيل بحرا والمنفق فى ارباب النفقات من الجرية والمصطنعة والسودان على اختلاف قبوضهم وما ينصرف برسم خزانة القصور الزاهرة وما يبتاع من الحيوان برسم المطابخ وما هو برسم منديل الكمّ الشريف فى كل سنة مائة دينار والمطلق فى الاعياد والمواسم وما ينعم به عند الركوبات من الرسوم والصدقات وعند العود منها وثمن الامتعة المبتاعة من التجار على ايدى الوكلاء والمطلق برسم الرسل والضيوف ومن يصل مستأمنا ودار الطراز ودار الديباج والمطلق برسم الصلات والصدقات ومن يهتدى للاسلام وما ينعم به على الولاة عند استخدامهم فى الخدم ونفقات بيت المال والعمائر وهو من العين اربعمائة ألف وثمانية وستون ألفا وسبعمائة وسبعة وتسعون دينارا ونصف من جملة خمسمائة ألف وسبعة وستين ألفا ومائة وأربعين دينارا ونصف يكون الحاصل بعد ذلك مما يحمل الى الصناديق الخاص برسم المهمات لما يتجدّد من تسفير العساكر وما يحمل الى الثغور عند نفاد ما بها ثمانية وتسعين ألفا ومائة وسبعة وتسعين دينارا وربعا وسدسا ولم يكن يكتب من بيت المال وصول ولا مجرى ولا تعرف وذلك خارج عما يحمل مشاهرة برسم الديوان المأمونى والاجلاء اخوته وأولاده وما انعم به على ما تضمنت اسمه مشاهرة من الاصحاب والحواشى وأرباب الخدم والكتاب والاطباء والشعراء والفراشين الخاص والجوق والمؤدبين والخياطين والرفائين وصبيان بيت المال ونوّاب الباب ونقباء الرسائل وأرباب الرواتب المستقرة من ذوى النسب والبيوتات والضعفاء والصعاليك من الرجال والنساء عن مشاهرتهم ستة عشر ألفا وستمائة واثنان وثمانون دينارا وثلثا دينار يكون فى السنة مائتى ألف ومائة دينار فتكون الجملة سبعمائة الف وسبعة وستين ألفا ومائتين وأربعة وتسعين دينارا ونصفا * قال وفى هذا الوقت يعنى شوّال سنة سبع عشرة وخمسمائة وقعت مرافعة فى ابى البركات بن أبى الليث متولى ديوان المجلس صورتها المملوك يقبل الارض وينهى انه ما واصل انهاء حال هذا الرجل وما يعتمده لانه اهل أن ينال خدمة وانما هى نصيحة تلزمه فى حق سلطانه وقد حصل له من الاموال والذخائر ما لا عدد له ولا قيمة عليه ويضرب المملوك عن وجوه الجناية التى هى ظاهرة لان السلطان لا يرضى بذكرها فى عالى مجلسه ولا سماعها فى دولته وله ولاهله مستخدمون فى الدولة ست عشرة سنة بالجارى الثقيل لكل منهم ويذكر المملوك ما وصلت قدرته الى علمه ما هو باسمه خاصة دون من هو مستخدم فى الدواوين من اهله وأصحابه ويبدأ بما باسمه مياومة ادرارا من بيت المال والخزائن ودار التعبية والمطابخ وشون الحطب وهو ما يبين برسم البقولات والتوابل نصف دينار ومن الضأن رأس واحد ومن الحيوان ثلاثة اطيار ومن الحطب حملة واحدة ومن الدقيق خمسة وعشرون رطلا ومن الخبز عشرون وظيفة ومن الفاكهة ثمرة زهرة قصريتان وشمامة وفى كل اثنين وخميس من السماط بقاعة الذهب طيفور خاص وصحن من الاوائل وخمسة وعشرون رغيفا من الخبز المواندى والسميذ وفى كل يوم احد وأربعاء من الاسمطة بالدار المأمونية مثل ذلك وفى كل يوم سبت وثلاثاء من اسمطة الركوبات خروف مشوى وجام حلوى ورباعى عنبا ويحضر اليه فى كل يوم من الاصطبلات بغلة بمركوب محلى وبغلة برسم الراجل وفراشين من الجوق برسم خدمته وتبيت على بابه واذا خرج من بين يدى السلطان فى الليل كان له شمعة من الموكبيات توصله الى داره وزنها سبعة عشر رطلا ولا تعود وبرسم ولده فى كل يوم ثلاثة ارطال لحم وعشرة ارطال دقيق وفى ايام الركوبات رباعى والمشاهرة جارى ديوان الخاص والمجلس برسمه مائة وعشرون دينارا وبرسم ولده راتبا عشرة دنانير وأثبت اربعة غلمان نصارى ونسبهم للاسلام فى جملة المستخدمين فى الركاب ولم يخدموا لا فى الليل ولا فى النهار بما مبلغه سبعة دنانير ومن السكر خمسة عشر رطلا ومن عسل النحل عشرة ارطال ومن قلب الفستق ثلاثة

ارطال وقلب البندق خمسة ارطال وقلب اللوز أربعة ارطال وورد مربى رطلان زيت طيب عشرة ارطال شيرج خمسة ارطال زيت حار ثلاثون رطلا خل ثلاث جرار أرز نصف ويبة سماق اربعة ارطال حصرم وكشك وحب رمان وقراصيا بالسوية اثنا عشر رطلا سدر وأشنان ويبة ومن الكيزان عشرون شربة عزيزية وثلجيــة واحدة ومن الشمع ست شمعات منهن اثنتان منويات وأربعة رطليات والمسانهة فى بكور الغرة برسم الخاصة خمسة دنانير وخمس رباعية وعشرة قراريط جدد وبرسم ولده دينار ورباعى وثلاثة قراريط وخروف مقموم وخمسة أرؤس وربع قنطار خبز برماذق وصحن ارز بلبن وسكر ومن السماط بالقصر فى اليوم المذكور خروف شواء وزبادى وجام حلوى والخبز وقطعة منفوخ ومن القمح ثلثمائة اردب ومن الشعير مائة وخمسون اردبا وفى المواليد الاربعة اربع صوانى فطرة وكسوة الشتاء برسمه خاصة منديل حريرى وشقة ديبقى حرير وشقة ديباج ورداء اطلس وشقة ديباج دارى وشقتان سقلاطون احداهما اسكندرانية وشقتان عتابى وشقتان خزمغربى وشقتان اسكندرانى وشقتان دمياطى وشقة طلى مرش وفوطة خاص وبرسم ولده شقة سقلاطون دارى وشقة عتابى دارى وشقة خزمغربى وشقتان دمياطى وشقتان اسكندرانى وشقة طلى وفوطة وبرسم من عنده منديلا كم أحدهما خزائنى خاص ونصفى اردية ديبقى وشقة سقلاطون دارى وشقة عتابى وشقة سوسى وشقة دمياطى وشقتان اسكندرانى وفوطة وبرسمه أيضا فى عيد الفطر طيفوران فطرة مشورة ومائة حبة بورى وبدلة مذهبة مكملة ولولده بدلة حرير وبرسم من عنده حلة مذهبة وفى عيد النحر رسمه مثل عيد الفطر ويزيد عنه هبة مائة دينار ولولده مثل عيد الفطر وزيادة عشرة دنانير ويساق اليه من الغنم مالم يكن باسمه وفى موسم فتح الخليج أربعون دينارا وصينية فطرة وطيفور خاص من القصر وخروف شواء وجام حلواء وبرسم ولده خمسة دنانير وللخاصة فى النوروز ثلاثون دينارا وشقة ديبقى حريرى وشقة لاذ ومعجر حريرى ومنديل كم حريرى وفوطة ومائة بطيخة وسبعمائة حبة رمان وأربعة عناقيد موز وفرد بسر وثلاثة أقفاص تمر قوصى وقفصان سفرجل وثلاث بكالى هريسة واحدة بدجاج واخرى بلحم ضان والثالثة بلحم بقرى وأربعون رطلا خبز برماذق ولولده خمسة دنانير وحوائج النوروز بما تقدم ذكره وبرسمه فى الميلاد جام قاهرية ومترد سميد معتصمى وزلابية وست قرابات جلاب وعشر حبات بورى وبرسم الغيطاس خمسمائة حبة ترنج ونارنج وليمون مركب وخمسة عشر طن قصب وعشر حبات بورى وباسمه فى عيد الغدير من السماط بالقصر مثل عيد النحر وله هبة عن رسم الخلع من المجلس المأمونى يعنى مجلس الوزارة ثلاثون دينارا ولولده خمسة دنانير ومن تكون هذه رسومه فى اى وجه تنصرف أمواله والذى باسم أخيه نظير ذلك وكذلك صهره فى ديوان الوزارة وابن اخيه فى الديوان التاجى ووجوه الاموال من كل جهة واصلة اليهم والامانة مصروفة عنهم وقد اختصر المملوك فيما ذكر والذى باسمه اكثر واذا امر بكشف ذلك من الدواوين تبين صحة قول المملوك وعلم أنه ممن يتجنب قول المحال ولا يرضاه لنفسه سيما ان رفعه الى المقام الكريم وشنع ذلك بكثرة القول فيهم وعرض بالقبض عليهم وأوجب على نفسه أنه يثبت فى جهاتهم من الاموال التى تخرج عن هذا الانعام ما يجده حاضرا مدخورا عند من يعرفه مائة الف دينار فلم يسمع كلامه الى أن ظهر الراهب فى الايام الآمرية فوجد هو وغيره الفرصة فيهم وكثر الوقائع عليهم فقبض عليهم عن آخرهم ومن يعرفهم وأخذ منهم الجملة الكبيرة ثم بعد ذلك عادوا الى خدمهم بما كان من اسمائهم وتجدد من جاههم وانتقامهم من اعدائهم اكثر مما كان اولا انتهى فانظر أعزك الله الى سعة احوال الدولة من معلوم رجل واحد من كتاب دواوينها تبين لك بما تقدم ذكره فى هذه المرافعة من عظم الشأن وكثرة العطاء ما يكون دليلا على باقى احوال الدولة

(ديوان النظر)

قال ابن الطوير أما دواوين الاموال فان أجلها من يتولى النظر عليهم وله العزل والولاية ومن يده عرض الاوراق فى اوقات معروفة على الخليفة او الوزير ولم يرفيه نصرانى الا الاخرم ولم يتوصل اليه الا بالضمان وله الاعتقال بكل مكان يتعلق بنواب الدولة وله الجلوس بالمرتبة والمسند وبين يديه حاجب من امراء الدولة ويخرج له الدواة بغير كرسى وهو يندب المترسلين لطلب الحساب والحث على طلب الاموال ومطالبة ارباب الدولة ولا يعترض

(ديوان التحقيق)

هو ديوان مقتضاه المقابلة على الدواوين وكان لا يتولاه الا الكاتب خبير وله الخلع والمرتبة والحاجب ويلحق براس الديوان يعني متولى النظر ويفتقر اليه فى أكثر الاوقات * وقال ابن المأمون وفى هذه السنة يعنى سنة احدى وخمسمائة فتح ديوان المجلس قال ولما كثرت الاموال عند ابن أبي الليث صاحب الديوان رغب فى التبجح على الافضل بن أمير الجيوش بنهضه ويسأله أن يشاهده قبل حمله وذكر أنه سبعمائة ألف دينار خارجا عن نفقات الرجال فجعلت الدنانير فى صناديق بجانب والدراهم فى صناديق بجانب وقام ابن أبي الليث بين الصفين فلما شاهد الافضل بن امير الجيوش ذلك قال لابن أبي الليث ياشيخ تفرح بالمال وتربة امير الجيوش ان بلغنى أن بئرا معطلة او أرضا بائرة او بلدا خراب لاضربن عنقك فقال وحق نعمتك لقد حاشا الله ايامك أن يكون فيها بلد خراب أو بئر معطلة او ارض بور فأبى أن يكشف عما ذكر انتهى وقتل ابن أبي الليث فى سنة ثمان عشرة وخمسمائة

(ديوان الجيوش والرواتب)

قال ابن الطوير أما الخدمة فى ديوان الجيوش فتنقسم قسمين الاول ديوان الجيش وفيه مستوف اصيل ولا يكون الا مسلما وله مرتبة على غيره لجلوسه بين يدى الخليفة داخل عتبة باب المجلس وله الطراحة والمسند وبين يديه الحاجب وترد عليه امور الاجناد وله العرض والحلى والثياب ولهذا الديوان خازنان برسم رفع الشواهد واذا عرض احد الاجناد ورضى به عرض دوابه فلا يثبت له الا الفرس الجيد من ذكور الخيل واناثها ولا يترك لاحد منهم برذون ولا بغل وان كان عندهم البراذين والبغال وليس لهم تغيير أحد من الاجناد الا برسوم وكذلك اقطاعهم ويكون بين يدى هذا المستوفى نقباء الامراء ينهون اليه متجددات الاجناد من الحياة والموت والمرض والصحة وكان قد فسح للاجناد فى مقايضة بعضهم بعضا فى الاقطاع بالتوقيعات بغير علامة بل بتخريج صاحب ديوان المجلس ومن هذا الديوان تعمل اوراق ارباب الجرايات وما كان لامير وان علا قدره بالدمقور الا نادرا وأما القسم الثانى من هذا الديوان فهو ديوان الرواتب ويشتمل على اسماء كل مرتزق وجار وجارية وفيه كاتب أصيل بطراحة وفيه من المعينين والمبيضين نحو عشرة انفس والتعريفات واردة عليه من كل عمل باستمرار من هو مستمر ومباشرة من استجد وموت من مات لموجب استحقاقه على النظام المستقيم وفى هذا الديوان عدة عروض * العرض الاول يشتمل على راتب الوزير وهو فى الشهر خمسة آلاف دينار ومن يليه من ولد وأخ من ثلثمائة دينار الى مائتى دينار ولم يقرر لولد وزير خمسمائة دينار سوى شجاع بن شاور المنعوت بالكامل ثم حواشيهم على مقتضى عدتهم من خمسمائة الى أربعمائة الى ثلثمائة خارجا عن الاقطاعات * العرض الثانى حواشى الخليفة وأولهم الاستاذون المحنكون على رتبهم وجوارى خدمهم التى لا يباشرها سواهم فزمام القصر وصاحب بيت المال وحامل الرسالة وصاحب الدفتر وشاد التاج وزمام الاشراف الاقارب وصاحب المجلس لكل واحد منهم مائة دينار فى كل شهر ومن دونهم ينقص عشرة دنانير حتى يكون آخرهم من له فى كل شهر عشرة دنانير وتزيد عدتهم على ألف نفس ولطبيبى الخاص لكل واحد خمسون دينارا ولمن دونهما من الاطباء برسم المقيمين بالقصر لكل واحد عشرة دنانير * العرض الثالث يتضمن ارباب الرتب بحضرة الخليفة فاوله كاتب الدست الشريف وجاريه مائة وخمسون دينارا ولكل واحد من كاتبه ثلاثون دينارا ثم صاحب الباب وجاريه مائة وعشرون دينارا ثم حامل السيف وحامل الرمح لكل منهما سبعون دينارا وبقية الازمة على العساكر والسودان من خمسين الى أربعين دينارا الى ثلاثين دينارا * العرض الرابع يشتمل على المستقر لقاضى القضاة ومن يلى قاضى القضاة مائة دينار وداعى الدعاة مائة دينار ولكل من قراء الحضرة عشرون دينارا الى خمسة عشر الى عشرة ولخطباء الجوامع من عشرين دينارا الى عشرة وللشعراء من عشرين دينارا الى عشرة دنانير * العرض الخامس يشتمل على ارباب الدواوين ومن يجرى مجراهم وأولهم من يتولى ديوان النظر وجاريه سبعون دينارا وديوان التحقيق جاريه خمسون دينارا وديوان المجلس أربعون

دينارا وصاحب دفتر المجلس خمسة وثلاثون دينارا وكاتبه خمسة دنانير وديوان الجيوش وجاريه أربعون دينارا والموقع بالقلم الجليل ثلاثون دينارا ولجميع اصحاب الدواوين الجارى فيها المعاملات لكل واحد عشرون دينارا ولكل معين من عشرة دنانير الى سبعة الى خمسة دنانير * العرض السادس يشتمل على المستخدمين بالقاهرة ومصر لكل واحد من المستخدمين فى ولاية القاهرة وولاية مصر فى الشهر خمسون دينارا او لحماة بالاهراء والمناخات والجوالى والبساتين والاملاك وغيرها لكل منهم من عشرين دينارا الى خمسة عشر الى عشرة الى خمسة دنانير * العرض السابع الفراشون بالقصر برسم خدمها وتنظيفها خارجا وداخلا ونصب الستائر المحتاج اليها وخدمة المناظر الخارجة عن القصر فنهم خاص برسم خدمة الخليفة وعدتهم خمسة عشر رجلا منهم صاحب المائدة وحامى المطابخ من ثلاثين دينارا الى ماحولها ولهم رسوم متميزة ويقربون من الخليفة فى الاسمطة التى يجلس عليها ويليهم الرشاشون داخل القصر وخارجه ولهم عرفاء ويتولى أمرهم استاذ من خواص الخليفة وعدتهم نحو الثلثمائة رجل وجاريهم من عشرة دنانير الى خمسة دنانير * العرض الثامن صبيان الركاب وعدتهم تزيد على ألفى رجل ومقدموهم اصحاب ركاب الخليفة وعدتهم اثنا عشر مقدما منهم مقدم المقدمين وهو صاحب الركاب اليمين ولكل من هؤلاء المقدمين فى كل شهر خمسون دينارا ولهم نقباء من جهة المذكورين يعرفونهم وهم مقررون جوقا على قدر جواريهم جوقة لكل منهم خمسة عشر دينارا وجوقة لكل منهم عشرة دنانير وجوقة لكل منهم خمسة دنانير ومنهم من ينتدب فى الخدم السلطانية ويكون لهم نصيب فى الاعمال التى يدخلونها وهم الذين يحملون الحلقات لركوب الخليفة فى المواسم وغيرها وأول من قرر العطاء لغلمانه وخدمه وأولادهم الذكور والاناث وانسابهم وقرر لهم أيضا الكسوة العزيز بالله نزار بن المعز

(ديوان الانشاء والمكاتبات)

وكان لا يتولاه الا جل كتاب البلاغة ويخاطب بالشيخ الاجل ويقال له كاتب الدست الشريف ويسلم المكاتبات الواردة مختومة فيعرضها على الخليفة من بعده وهو الذى يأمر بتنزيلها والاجابة عنها للكتاب والخليفة يستشيره فى اكثر اموره ولا يحجب عنه متى قصد المثول بين يديه وهذا أمر لا يصل اليه غيره وربما بات عند الخليفة ليالى وكان جاريه مائة وعشرين دينارا فى الشهر وهو أول ارباب الاقطاعات وأرباب الكسوة والرسوم والملاطفات ولا سبيل أن يدخل الى ديوانه بالقصر ولا يجتمع بكتابه أحد الا الخواص وله حاجب من الامراء الشيوخ وفراشون وله المرتبة الهائلة والمخاد والمسند والدواة لكنها بغير كرسى وهى من اخص الدوى ويحملها استاذ من استاذى الخليفة

(التوقيع بالقلم الدقيق فى المظالم)

وكان لا بد للخليفة من جليس يذاكره ما يحتاج اليه من كتاب الله وتجويد الخط وأخبار الانبياء والخلفاء فهو يجتمع به فى اكثر الايام ومعه استاذ من المحنكين مؤهل لذلك فيكون الاستاذ ثالثهما ويقرأ على الخليفة ملخص السير ويكرر عليه ذكر مكارم الاخلاق وله بذلك رتبة عظيمة تلحق برتبة كاتب الدست ويكون صحبته للجلوس دواة محلاة فاذا فرغ من المجالسة ألقى فى الدواة كاغد فيه عشرة دنانير وقرطاس فيه ثلاثة مثاقيل ند مثلث خاص ليتبخر به عند دخوله على الخليفة ثانى مرة وله منصب التوقيع بالقلم الدقيق وله طراحة ومسند وفراش يقدم اليه ما يوقع عليه وله موضع من حقوق ديوان المكاتبات لا يدخل اليه أحد الا باذن وهو يلى صاحب ديوان المكاتبات فى الرسوم والكساوى وغيرها

(التوقيع بالقلم الجليل)

وهى رتبة جليلة ويقال لها الخدمة الصغرى ولها الطراحة والمسند بغير حاجب بل الفراش لترتيب ما يوقع فيه

(مجلس النظر فى المظالم)

كانت الدولة اذا خلت من وزير صاحب سيف جلس صاحب الباب فى باب الذهب بالقصر وبين يديه النقباء

والحجاب

والحجاب فينادي المنادى بين يديه يا ارباب الظلامات فيحضرون فمن كانت ظلامته مشافهة ارسلت الى الولاة والقضاة رسالة بكشفها ومن تظلم ممن ليس من اهل البلدين احضر قصة بأمره فيتسلمها الحاجب منه فاذا جمعها احضرها الى الموقع بالقلم الدقيق فيوقع عليها ثم تحمل الى الموقع بالقلم الجليل فيبسط ما اشار اليه الموقع الاول ثم تحمل فى خريطة الى الخليفة فيوقع عليها ثم تخرج فى الخريطة الى الحاجب فيقف على باب القصر ويسلم كل توقيع لصاحبه فان كان وزيره صاحب سيف جلس للمظالم بنفسه وقبالته قاضى القضاة ومن جانبيه شاهدان معتبران ومن جانب الوزير الموقع بالقلم الدقيق ويليه صاحب ديوان المال وبين يديه صاحب الباب واسفهسلار العساكر وبين أيديهما النواب والحجاب على طبقاتهم ويكون الجلوس بالقصر فى مجلس المظالم فى يومين من الاسبوع وكان الخليفة اذا رفعت اليه القصة وقع عليها بما يعتمد ذلك ان شاء الله تعالى ويوقع فى الجانب الايمن منها يوقع بذلك فتخرج الى صاحب ديوان المجلس فيوقع عليها جليلا ويخلى مكان العلامة فيعلم عليها الخليفة وتثبت وكانت علامتهم أبدا الحمد لله رب العالمين وكان الخليفة يوقع فى المسامحة والتسويغ والتحبيس قد انعمنا بذلك وقد أمضينا ذلك وكان اذا أراد أن يعلم ذلك الشئ الذى انهى وقع ليخرج الحال فى ذلك فاذا أحضر اليه اخراج الحال علم عليه فان كان حينئذ وزير وقع الخليفة بخطه وزيرنا السيد الاجل وذكر نعته المعروف به امتعنا الله ببقائه يتقدم بنجاز ذلك ان شاء الله تعالى فيكتب الوزير تحت خط الخليفة يمتثل أمر مولانا أمير المؤمنين صلوات الله عليه ويثبت فى الدواوين

(رتب الامراء)

وكان اجل خدم الامراء ارباب السيوف خدمة الباب ويقال لمتولى هذه الخدمة صاحب الباب وينعت اولا بالمعظم واول من خدم بها المعظم تمرتاش فى ايام الخليفة الحافظ وكان من العقلاء وناب عن الحافظ فى مرضه فلما عوفى اراده على الوزارة فامتنع وله نائب يقال له النائب وتسمى الخدمة فيها بالنيابة الشريفة ومقتضاها انها مميزة ولا يليها الا اعيان العدول وأرباب العمائم وينعت أبدا بعدى الملك وهو الذى يتلقى الرسل الواصلة من الدول ومعه نواب الباب فى خدمته ويحفظهم وينزلهم بالاماكن المعدة لهم ويقدمهم للسلام على الخليفة والوزير مع صاحب الباب فيكون صاحب الباب يمينا وهو يسارا ويتولى افتقادهم والحث على ضيافتهم ولا يمكن من التقصير فى حقوقهم واجتماع الناس بهم والاطلاع على ما جاؤا فيه ولا من ينقل الاخبار اليهم ويلى رتبة صاحب الباب الاسفهسلار وهو زمام كل زمام واليه امور الاجناد ثم يليه حامل سيف الخليفة ايام الركوب بالمظلة واليتيمة ثم من يرشح من طائفتى الحافظية والآمرية وهما وجه الاجناد وهؤلاء ارباب الاطواق ويليهم ارباب القصب والعماريات وهى الاعلام ثم زمى الطوائف ثم من يترشح لذلك من الاماثل وكانت الدولة لاتسند ذلك الا الى ارباب الشجاعة والنجدة ولهذا ادخل فيه أخلاط الناس من الارمن والروم وغيرهم وعلى ذلك كان عملهم لا للزينة والتباهى

(قاضى القضاة)

وكان من عادة الدولة انه اذا كان وزير رب سيف فانه يقلد القضاء رجلا نيابة عنه وهذا انما حدث من عهد أمير الجيوش بدر الجمالى واذا كان الخليفة مستبدا قلد القضاء رجلا ونعته بقاضى القضاة وتكون رتبته اجل رتب ارباب العمائم وأرباب الاقلام ويكون فى بعض الاوقات داعيا فيقال له حينئذ قاضى القضاة وداعى الدعاة ولا يخرج شئ من الامور الدينية عنه ويجلس السبت والثلاثاء بزيادة جامع عمرو بن العاص بمصر على طراحة ومسند حرير فلما ولى ابن عقيل القضاء رفع المرتبة والمسند وجلس على طراحات السامان فاستمر هذا الرسم ويجلس الشهود حواليه يمنة ويسرة بحسب تاريخ عدالتهم وبين يديه خمسة من الحجاب اثنان بين يديه واثنان على باب المقصورة وواحد ينفذ الخصوم اليه وله اربعة من الموقعين بين يديه اثنان يقابلان اثنين وله كرسى الدواة وهى دواة محلاة بالفضة تحمل اليه من خزائن القصور ولها حامل بجامكية فى الشهر على الدولة ويقدم له من الاصطبلات برسم ركوبه على الدوام بغلة شهباء وهو مخصوص بهذا اللون من البغال دون ارباب الدولة وعليها من خزانة السروج سرج محلى ثقيل وراءه دفتر فضة ومكان الجلد حرير وتأتيه فى المواسم الاطواق ويخلع عليه

الخلع المذهبة بلا طبل ولا بوق الا اذا ولى الدعوة مع الحكم فان للدعوة فى خلعها الطبل والبوق والبنود الخاص وهى نظير البنود التى يشرف بها الوزير صاحب السيف واذا كان للحكم خاصة كان حواليه القراء رجالة وبين يديه المؤذنون يعلنون بذكر الخليفة والوزير ان كان ثم ويحمل بنواب الباب والحجاب ولا يتقدم عليه أحد فى محضر هو حاضره من رب سيف وقلم ولا يحضر لاملاك ولا جنازة الا باذن ولا سبيل الى قيامه لاحد وهو فى مجلس الحكم ولا يعدل شاهد الا بأمره ويجلس بالقصر فى يومى الاثنين والخميس أول النهار للسلام على الخليفة ونوابه لا يفترون عن الاحكام ويحضر اليه وكيل بيت المال وكان له النظر فى ديوان الضرب لضبط ما يضرب من الدنانير فكان يحضر مباشرة التعليق بنفسه ويختم عليه ويحضر لفتحه وكان القاضى لا يصرف الا بجحة ولا يعدل أحدا الا بتزكية عشرين شاهدا عشرة من مصر وعشرة من القاهرة ورضى الشهود به ولا يحتمى أحد على الشرع ومن فعل ذلك أدب

(قاعة الفضة)

وهى من جملة قاعات القصر

(قاعة السدرة)

كانت بجوار المدرسة والتربة الصالحية واشتراها قاضى القضاة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن عبد الواحد بن على بن سرور المقدسى الحنبلى مدرس الحنابلة بالمدرسة الصالحية بألف وخمسة وتسعين دينارا فى رابع شهر ربيع الآخر سنة ستين وستمائة من كمال الدين ظافر بن الفقيه نصر وكيل بيت المال ثم باعها شمس الدين المذكور للملك الظاهر بيبرس فى حادى عشرى ربيع الآخر المذكور وكان يتوصل اليها من باب البحر

(قاعة الخيم)

كانت شرقى قاعة السدرة وقد دخلت قاعة السدرة وقاعة الخيم فى مكان المدرسة الظاهرية العتيقة

(المناظر الثلاث)

استجدهن الوزير المأمون البطائحى وزير الخليفة الآمر بأحكام الله احداهن بين باب الذهب وباب البحر والاخرى على قوس باب الذهب ومنظرة ثالثة وكان يقال لها الزاهرة والفاخرة والناضرة وكان يجلس الخليفة فى احداها لعرض العساكر يوم عيد الغدير ويقف الوزير فى قوس باب الذهب

(قصر الشوك)

قال ابن عبد الظاهر كان منزلا لبنى عذرة قبل القاهرة يعرف بقصر الشوك وهو الآن أحد أبواب القصر انتهى والعامة تقول قصر الشوق وأدركت مكانه دارا استجدت بعد الدولة الفاطمية هدمها الامير جمال الدين يوسف الاستادار فى سنة احدى عشرة وثمانمائة لينشئها دارا فمات قبل ذلك وموضعه اليوم بالقرب من دار الضرب فيما بينه وبين المارستان العتيق

(قصر أولاد الشيخ)

هذا المكان من جملة القصر الكبير وكان قاعة فسكنها الوزير الصاحب الامير الكبير معين الدين حسين بن شيخ الشيوخ صدر الدين بن حمويه فى ايام الملك الصالح نجم الدين ايوب فعرف به وأدركت هذا المكان خطا يعرف بالقصر يتوصل اليه من زقاق تجاه حمام بيسرى وفيه عدة دور منها دار الطواشى سابق الدين ومدرسته المعروفة بالمدرسة السابقية وكان يتوصل اليه من الركن المخلق أيضا من الباب المظلم تجاه سور سعيد السعداء المعروف قديما بباب الريح ثم عرف بقصر ابن الشيخ وعرف فى زمننا بباب القصر الى أن هدمه جمال الدين الاستادار كما يأتى ان شاء الله تعالى

(قصر الزمرد)

هو من جملة القصر الكبير وعرف أخيرا بقصر قوصون ثم عرف فى زمننا بقصر الحجازية وقيل له قصر الزمرذ لانه كان بجوار باب الزمرذ أحد أبواب القصر ووجد به فى سنة بضع وسبعين وسبعمائة تحت التراب عمودان عظيمان من الرخام الابيض فعمل لهما ابن عابد رئيس الحراريق السلطانية اساقيل وجرهما الى المدرسة التى انشأها الملك الاشرف شعبان بن حسين تجاه الطبلخاناة من قلعة الجبل وأدركنا جر هذين العمودين اوقاتا فى ايام تجمع الناس فيها من كل اوب لمشاهدة ذلك ولهجوا بذكرهما زمنا وقالوا فيهما شعرا وغناء كثيرا وعملوا نموذجات من ثياب الحرير وتطريز المناديل عرفت بجر العمود وكانت الانفس حينئذ منبسطة والقلوب خالية من الهموم وللناس اقبال على اللهو لكثرة نعمهم وطول فراغهم وكان العمودان المذكوران مما ارتدم من أنقاض القصر فسبحان الوارث

(الركن المخلق)

موضعه الآن تجاه حوض الجامع الاقمر على يمنة من اراد الدخول الى المسجد المعروف الآن بمعبد موسى وقيل له الركن المخلق لانه ظهر فى سنة ستين وستمائة فى هذا الموضع حجر مكتوب عليه هذا مسجد موسى عليه السلام فخلق بالزعفران وسمى من ذلك اليوم بالركن المخلق وأخبرنى الامير الوزير ابو المعالى يلبغا السالمى أنه قرأ فى الاسطر المكتوبة بأسكفة باب الجامع الاقمر كلاما من جملته والحوانيت التى بالركن المخوق بواو بعد الخاء فرأيت بعد ذلك فى الامالى للقالى وقال ابو عبيدة عن أبى عمرو الخوقاء الصحراء التى لا ماء بها ويقال الواسعة وأخوق واسع فلعله سمى المخوق بمعنى الاتساع فكان ركنا متسعا وفى بناء واسع او يكون المخلق باللام من قولهم قدح مخلق بضم الميم وفتح الخاء وتشديد اللام وفتحها اى مستو أملس وكل مالين وملس فقد خلق فكل املس مخلق وسمته العامة بعد ذلك الركن المخلق عندما خلقوه بالزعفران والله اعلم

(السقيفة)

قوله السقيفة هكذا هنا فى النسخ بالقاف والفاء وهو الظاهر المتبادر خلافا لما مر من انها سفينة بالفاء والنون اه مصححه

وكان من جملة القصر الكبير موضع يعرف بالسقيفة يقف عنده المتظلمون وكانت عادة الخليفة أن يجلس هناك كل ليلة لمن يأتيه من المتظلمين فاذا ظلم احد وقف تحت السقيفة وقال بصوت عال لا اله الا الله محمد رسول الله على ولى الله فيسمعه الخليفة فيأمر باحضاره اليه أو يفوض أمره الى الوزير أو القاضى او الوالى ومن غريب ماوقع أن الموفق بن الخلال لما كان يتحدث فى امور الدواوين ايام الخليفة الحافظ لدين الله وخرج من انتدب بعد انحطاط النيل من العدول والنصارى الكتاب الى الاعمال لتحرير ماشمله الرى وزرع من الاراضى وكتابة المكلفات فخرج الى بعض النواحى من يمسحها من شاد وناظر وعدول وتأخر الكاتب النصرانى ثم لحقهم وأراد التعدية الى الناحية فحمله ضامن مراكب المعدية الى البر وطلب منه اجرة التعدية فنفر فيه النصرانى وسبه وقال انا ماسح هذه البلدة تريد منى حق التعدية فقال له الضامن ان كان لى زرع خذه وقلع لجام بغلة النصرانى وألقاه فى معديته فلم يجد النصرانى بدا من دفع الاجرة اليه حين أخذ لجام بغلته فلما تم مساحة البلد وبيض مكلفة المساحة ليحملها الى دواوين الباب وكانت عادتهم حينئذ كتب الجملة بزيادة عشرين فدانا ترك بياضا فى بعض الاوراق وقابل العدول على المكلفة وأخذ الخطوط عليها بالصحة ثم كتب فى البياض الذى تركه ارض اللجام باسم ضامن المعدية عشرين فدانا قطيعة كل فدان اربعة دنانير عن ذلك ثمانون دينارا وحمل المكلفة الى ديوان الاصل وكانت العادة اذا مضى من السنة الخراجية اربعة اشهر ندب من الجند من فيه حماسة وشدة ومن الكتاب العدول وكاتب نصرانى فيخرجون الى سائر الاعمال لاستخراج ثلث الخراج على ماتشهد به المكلفات المذكورة فيتفق فى الاجناد فانه لم يكن حينئذ للاجناد اقطاعات كما هو الآن وكان من العادة أن يخرج الى كل ناحية ممن ذكر من لم يكن خرج وقت المساحة بل ينتدب قوم سواهم فلما خرج الشاد والكاتب والعدول لاستخراج ثلث مال الناحية استدعوا ارباب الزرع على ماتشهد به المكلفة ومن جملتهم ضامن المعدية فلما حضر ألزم بستة وعشرين دينارا وثلثى دينار عن نظير ثلث المال الثمانين دينارا التى تشهد بها المكلفة عن خراج ارض اللجام فانكر الضامن أن تكون له زراعة بالناحية وصدقه اهل البلد فلم يقبل الشاد ذلك وكان عسوفا وأمر به فضرب بالمقارع واحتج بخط العدول على المكلفة ومازال به حتى باع معديته وغيرها وأورد ثلث المال الثابت فى المكلفة

وسار الى القاهرة فوقف تحت السقيفة وأعلن بما تقدم ذكره فأمر الخليفة الحافظ باحضاره فلما مثل بحضرته قص عليه ظلامته مشافهة وحكى له ما اتفق منه في حق النصراني وما كاده به فأحضر ابن الخلال وجميع ارباب الدواوين واحضرت المكلفات التي عملت للناحية المذكورة في عدة سنين ماضية وتصفحت بين يديه سنة سنة فلم يوجد لارض الجمام ذكر البتة فحينئذ أمر الخليفة الحافظ باحضار ذلك النصراني وسمر في مركب وأقام له من يطعمه ويسقيه وتقدم بأن يطاف به سائر الاعمال وينادى عليه ففعل ذلك وأمر بكف ايدى النصرانية كلها عن الخدم في سائر المملكة فتعطلوا مدة الى أن ساءت احوالهم وكان الحافظ مغرما بعلم النجوم وله عدة من المنجمين من جملتهم شخص صار اليه عدة من اكابر كتاب النصارى ودفعوا اليه جملة من المال ومعهم رجل منهم يعرف بالاخرم بن أبي زكريا وسألوه أن يذكر للحافظ في أحكام تلك السنة حلية هذا الرجل فانه ان اقامه في تدبير دولته زاد النيل ونما الارتفاع وزكت الزروع ونتجت الاغنام ودرت الضروع وتضاعفت الاسمالات وورد التجار وجرت قوانين المملكة على اجمل الاوضاع فطمع ذلك المنجم في كثرة ما عاينه من الذهب وعمل ما قرره النصارى معه فلما رأى الحافظ ذلك تعلقت نفسه بمشاهدة تلك الصفة فأمر باحضار الكتاب من النصارى وصار يتصفح وجوههم من غير أن يطلع أحدا على ما يريده وهم يؤخرون الاخرم عن الحضور اليه قصدا منهم وخشية أن يفطن بمكرهم الى أن اشتد الزامه باحضار سائر من بقى منهم فأحضروه بعد أن وضعوا من قدره فلما رآه الحافظ رأى فيه الصفات التي عينها منجمه فاستدناه اليه وقربه وآل أمره الى أن ولاه امير الدواوين فأعاد كتاب النصارى أوفر ما كانوا عليه وشرعوا في التجبر والغلو في اظهار الفخر وتظاهروا بالملابس العظيمة وركبوا البغلات الرائعة والخيول المسومة بالسروج المحلاة واللجم الثقيلة وضايقوا المسلمين في ارزاقهم واستولوا على الاحباس الدينية والاوقاف الشرعية واتخذوا العبيد والمماليك والجوارى من المسلمين والمسلمات وصودر بعض كتاب المسلمين فألجأته الضرورة الى بيع اولاده وبناته فيقال انه اشتراهم بعض النصارى وفي ذلك يقول ابن الخلال

اذا حكم النصارى في الفروج * وغالوا بالبغال وبالسروج
وذلت دولة الاسلام طرا * وصار الامر في ايدى العلوج
فقل للاعور الدجال هذا * زمانك ان عزمت على الخروج

وموضع السقيفة فيما بين درب السلامى وبين خزانة البنود يتوصل اليه من تجاه البئر التى قدام دار كانت تعرف بقاعة ابن كتيلة ثم استولى عليها جمال الدين الاستادار وجعلها مسكنا لاخيه ناصر الدين الخطيب وغير بابها

(دار الضرب)

هذا المكان الذى هو الآن دار الضرب من بعض القصر فكان خزانة بجوار الايوان الكبير سجن بها الخليفة الحافظ لدين الله ابو الميمون عبد المجيد ابن الامير أبى القاسم محمد بن المستنصر بالله ابى تميم معد وذلك أن الآمر لما قتل في يوم الثلاثاء رابع عشر ذى القعدة سنة اربع وعشرين وخمسمائة قام العادل برغش وهزار الملوك جوامرد وكانا اخص غلمان الآمر بالامير عبد المجيد ونصباه خليفة ونعتاه بالحافظ لدين الله وهو يومئذ اكبر الاقارب سنا وذكر أن الآمر قال قبل أن يقتل باسبوع عن نفسه المسكين المقتول بالسكين وانه اشار الى أن بعض جهاته حامل منه وأنه رأى انها ستلد ذكرا وهو الخليفة من بعده وأن كفالته للامير عبد المجيد فجلس على انه كافل للمذكور وندب هزار الملوك للوزارة وخلع عليه فلم ترض الاجناد به وثاروا بين القصرين وكبيرهم رضوان بن ولخشي وقاموا بأبى على بن الافضل الملقب بكتيفات وقالوا لا نرضى الا أن يصرف هزار الملوك وتفوض الوزارة لاحمد بن الافضل في سادس عشره فكان اول ما بدأ به أن أحاط على الخليفة الحافظ وسجنه بالقاعة المذكورة وقيده وهم بخلعه فلم يتأت له ذلك وكان اماميا فأبطل ذكر الحافظ من الخطبة وصار يدعو للقائم المنتظر ونقش على السكة الله الصمد الامام محمد فلما قتل في يوم الثلاثاء سادس عشر المحرم سنة ست وعشرين وخمسمائة بالميدان خارج باب الفتوح سارع صبيان الخاص الذين تولوا قتله الى الحافظ وأخرجوه من الخزانة

المذكورة

المذكورة وفكوا عنه قيده وكان كبيرهم يانس وأجلسوه فى الشباك على منصب الخلافة وطيف برأس أحمد ابن الافضل وخلع على يانس خلع الوزارة ومازالت الخلافة فى يد الحافظ حتى مات ليلة الخميس لخمس خلون من جمادى الآخرة سنة أربع وأربعين وخمسمائة عن سبع وستين سنة منها خليفة من حين قتل ابن الافضل ثمان عشرة سنة وأربعة اشهر وأيام

(خزائن السلاح)

كانت بالايوان الكبير الذى تقدم ذكره فى صدر الشباك الذى يجلس فيه الخليفة تحت القبة التى هدمت فى سنة سبع وثمانين وسبعمائة كما تقدم وخزائن السلاح المذكورة هى الآن باقية بجوار دار الضرب خلف المشهد الحسينى وعقد الايوان باق وقد تشعث

(المارستان العتيق)

قال القاضى الفاضل فى متجددات سنة سبع وسبعين وخمسمائة فى تاسع ذى القعدة أمر السلطان يعنى صلاح الدين يوسف بن ايوب بفتح مارستان للمرضى والضعفاء فاختيرله مكان بالقصر وأفرد برسمه من اجرة الرباع الديوانية مشاهرة مبلغها مائتا دينار وغلات جهاتها الفيوم واستخدم له اطباء وطبائعيين وجرايحيين ومشارف وعاملا وخداما ووجد الناس به رفقا واليه مستروحا وبه نفعا وكذلك بمصر أمر بفتح مارستانها القديم وأفرد برسمه من ديوان الاحباس ماتقدير ارتفاعه عشرون دينارا واستخدم له طبيب وعامل ومشارف وارتفق به الضعفاء وكثر بسبب ذلك الدعاء وقال ابن عبد الظاهر كان قاعة بناها العزيز بالله فى سنة اربع وثمانين وثلثمائة وقيل ان القرآن مكتوب فى حيطانها ومن خواصها أنه لايدخلها نمل لطلسم بها ولما قيل ذلك لصلاح الدين رحمه الله قال هذا يصلح أن يكون مارستانا وسألت مباشريه عن ذلك فقالوا انه صحيح وكان قديما المارستان فيما بلغنى القشاشين وأظنه المكان المعروف بدار الديلم انتهى والقشاشين المذكورة تعرف اليوم بالخراطين المسلوك فيها الى الخميين والجامع الازهر

(التربة المعزية)

كان من جملة القصر الكبير التربة المعزية وفيها دفن المعز لدين الله آباءه الذين احضرهم فى توابيت معه من بلاد المغرب وهم الامام المهدى عبيد الله وابنه القائم بأمر الله محمد وابنه الامام المنصور بنصر الله اسمعيل واستقرت مدفنا يدفن فيه الخلفاء وأولادهم ونساءهم وكانت تعرف بتربة الزعفران وهو مكان كبير من جملتها الموضع الذى يعرف اليوم بخط الزراكشة العتيق ومن هنالك بابها ولما انشأ الامير جهاركس الخليلى خانه المعروف به فى الخط المذكور أخرج ماشاء الله من عظامهم فألقيت فى المزابل على كيمان البرقية ويمتد من هنالك من حيث المدرسة البدرية خلف المدارس الصالحية النجمية وبها الى اليوم بقايا من قبورهم وكان لهذه التربة عوايد ورسوم منها أن الخليفة كلما ركب بمظلة وعاد الى القصر لا بد أن يدخل الى زيارة آبائه بهذه التربة وكذلك لا بد أن يدخل فى يوم الجمعة دائما وفى عيدى الفطر والاضحى مع صدقات ورسوم تفرق قال ابن المامون وفى هذا الشهر يعنى شوال سنة ست عشرة وخمسمائة تنبه ذكر الطائفة النزارية وتقرر بين يدى الخليفة الآمر بأحكام الله أن يسير رسول الى صاحب الموت بعد أن جمعوا الفقهاء من الاسماعيلية والامامية وقال لهم الوزير المأمون البطائحى مالكم من الحجة فى الرد على هؤلاء الخارجين على الاسماعيلية فقال كل منهم لم يكن لنزار امامة ومن اعتقد هذا فقد خرج عن المذهب وضل ووجب قتله وذكروا حججهم فكتب الكتاب ووصلت كتب من خواص الدولة تتضمن أن القوم قويت شوكتهم واشتدت فى البلاد طمعتهم وانهم سيروا الآن ثلاثة آلاف برسم النجوى وبرسم المؤمنين الذين تنزل الرسل عندهم ويختفون فى محالهم فتقدم الوزير بالفحص عنهم والاحتراز التام على الخليفة فى ركوبه ومنتزهاته وحفظ الدور والاسواق ولم يزل البحث فى طلبهم الى أن وجدوا فاعترفوا بأن خمسة منهم هم الرسل الواصلون بالمال فصلبوا وأما المال وهو ألفا دينار فان الخليفة أبى قبوله وأمر أن ينفق فى السودان عبيد الشراء وأحضر من بيت المال تطير المبلغ وتقدم بأن يصاغ به قنديلان من ذهب وقنديلان

من فضة وأن يحمل منها قنديل ذهب وقنديل فضة الى مشهد الحسين بثغر عسقلان وقنديل الى التربة المقدسة تربة الائمة بالقصر وأمر الوزير المأمون باعلاق ألفي دينار من ماله وتقدم بأن يصاغ بها قنديل ذهب وسلسلة فضة برسم المشهد العسقلاني وأن يصاغ على المصحف الذي بخط أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بالجامع العتيق بمصر من فوق الفضة ذهب وأطلق حاصل الصناديق التي تشتمل على مال النجاوى برسم الصدقات عشرة آلاف درهم تفرق في الجوامع الثلاثة الازهر بالقاهرة والعتيق بمصر وجامع القرافة وعلى فقراء المؤمنين على ابواب القصور وأطلق من الاهراء ألفي اردب قمحا وتصدق على عدة من الجهات بجملة كثيرة واشتريت عدة جوار من الحجر وكتب عتقهن للوقت وأطلق سراحهن وقال في كتاب الذخائر ان الاتراك طلبوا من المستنصر نفقة في ايام الشدة فماطلهم وانهم هجموا على التربة المدفون فيها اجداده فأخذوا ما فيها من قناديل الذهب وكانت قيمة ذلك مع ما اجتمع اليه من الآلات الموجودة هنالك مثل المداخن والمجامر وحلى المحاريب وغير ذلك خمسين ألف دينار

(القصر النافعي)

قال ابن عبد الظاهر القصر النافعي قرب التربة يقرب من جهة السبع خوخ كان فيه عجائز من عجائز القصر وأقارب الاشراف انتهى وموضع هذا القصر اليوم فندق المهمندار الذي يدق فيه الذهب وما في قبليه من خان منجك ودار خواجا عبد العزيز المجاورة للمسجد الذي بحذاء خان منجك وما بجوار دار خواجا من الزقاق المعروف بدرب الحبشي وكان حد هذا القصر الغربي ينتهي الى الفندق الذي بالخميين المعروف قديما بخان منكورس ويعرف اليوم بخان القاضي واشترى بعض هذا القصر لما بيع بعد زوال الدولة الامير ناصر الدين عثمان بن سنقر الكاملي المهمندار الذي يعرف بفندق المهمندار بعد أن كان اصطبلا له واشترى بعضه الامير حسام الدين لاجين الايدمري المعروف بالدرفيل دوادار الملك الظاهر بيبرس وعمره اصطبلا ودارا وهي الدار التي تعرف اليوم بخواجا عبد العزيز على باب درب الحبشي ثم عمل الاصطبل الخان الذي يعرف اليوم بخان منجك وابتنى الناس في مكان درب الحبشي الدور وزال اثر القصر فلم يبق منه شيء البتة

(الخزائن التي كانت بالقصر)

وكانت بالقصر الكبير عدة خزائن منها خزانة الكتب وخزانة البنود وخزائن السلاح وخزائن الدرق وخزائن السروج وخزانة الفرش وخزانة الكسوات وخزائن الأدم وخزائن الشراب وخزانة التوابل وخزائن الخيم ودار التعبية وخزائن دار افتكين ودار الفطرة ودار العلم وخزانة الجوهر والطيب وكان الخليفة يمضي الى موضع من هذه الخزائن وفي كل خزانة دكة عليها طراحة ولها فراش يخدمها وينظفها طول السنة وله جار في كل شهر فيطوفها كلها في السنة

(خزانة الكتب)

قال المسبحي وذكر عند العزيز بالله كتاب العين للخليل بن احمد فأمر خزان دفاتره فأخرجوا من خزائنه نيفا وثلاثين نسخة من كتاب العين منها نسخة بخط الخليل بن احمد وحمل اليه رجل نسخة من كتاب تاريخ الطبري اشتراها بمائة دينار فأمر العزيز الخزان فأخرجوا من الخزانة ما ينيف عن عشرين نسخة من تاريخ الطبري منها نسخة بخطه وذكر عنده كتاب الجمهرة لابن دريد فأخرج من الخزانة مائة نسخة منها وقال في كتاب الذخائر عدة الخزائن التي برسم الكتب في سائر العلوم بالقصر أربعون خزانة خزانة من جملتها ثمانية عشر ألف كتاب من العلوم القديمة وان الموجود فيها من جملة الكتب المخرجة في شدة المستنصر ألفان وأربعمائة ختمة قرآن في ربعات بخطوط منسوبة زائدة الحسن محلاة بذهب وفضة وغيرهما وان جميع ذلك كله ذهب فيما أخذه الاتراك في واجباتهم ببعض قيمته ولم يبق في خزائن القصر البرانية منه شيء بالجملة دون خزائن القصر الداخلة التي لا يتوصل اليها ووجدت صناديق مملوءة أقلاما مبرية من براية ابن مقلة وابن البواب وغيرهما قال وكنت بمصر في العشر الاول من محرم سنة احدى وستين واربعمائة فرأيت فيها خمسة وعشرين جملا موقرة كتبا محمولة الى

دار الوزير أبى الفرج محمد بن جعفر المغربى فسألت عنها فعرفت أن الوزير أخذها من خزائن القصر هو والخطير ابن الموفق فى الدين بايجاب وجبت لهما عما يستحقانه وعلمانهما من ديوان الجبليين وان حصة الوزير أبى الفرج منها قومت عليه من جارى مماليكه وغلمانه بخمسة آلاف دينار وذكر لى من له خبرة بالكتب انها تبلغ أكثر من مائة ألف دينار ونهب جميعها من داره يوم انهزم ناصر الدولة بن حمدان من مصر فى صفر من السنة المذكورة مع غيرها مما نهب من دور من سار معه من الوزير أبى الفرج وابن أبى كدينة وغيرهما هذا سوى ما كان فى خزائن دار العلم بالقاهرة وسوى ما صار الى عماد الدولة أبى الفضل بن المحترق بالاسكندرية ثم انتقل بعد مقتله الى المغرب وسوى ما ظفرت به لواتة محمولا مع ما صار اليه بالابتياع والغصب فى بحر النيل الى الاسكندرية فى سنة احدى وستين وأربعمائة وما بعدها من الكتب الجليلة المقدار المعدومة المثل فى سائر الامصار صحة وحسن خط وتجليد وغرابة التى أخذ جلودها عبيدهم واماؤهم برسم عمل ما يلبسونه فى أرجلهم وأحرق ورقها تأولا منهم انها خرجت من قصر السلطان أعزالله أنصاره وان فيها كلام المشارقة الذى يخالف مذهبهم سوى ما غرق وتلف وحمل الى سائر الاقطار وبقى منها ما لم يحرق وسفت عليه الرياح التراب فصار تلالا باقية الى اليوم فى نواحى آثار تعرف بتلال الكتب وقال ابن الطوير خزانة الكتب كانت فى أحد مجالس المارستان اليوم يعنى المارستان العتيق فيجئ الخليفة راكبا ويترجل على الدكة المنصوبة ويجلس عليها ويحضر اليه من يتولاها وكان فى ذلك الوقت الجليس بن عبد القوى فيحضر اليه المصاحف بالخطوط المنسوبة وغير ذلك مما يقترحه من الكتب فان عن له أخذ شئ منها أخذه ثم يعيده وتحتوى هذه الخزانة على عدة رفوف فى دور ذلك المجلس العظيم والرفوف مقطعة بحواجز وعلى كل حاجز باب مقفل بمفصلات وقفل وفيها من اصناف الكتب ما يزيد على مائتى ألف كتاب من المجلدات ويسير من المجردات فمنها الفقه على سائر المذاهب والنحو واللغة وكتب الحديث والتواريخ وسير الملوك والنجامة والروحانيات والكيمياء من كل صنف النسخ ومنها النواقص التى ما تممت كل ذلك بورقة مترجمة ملصقة على كل باب خزانة وما فيها من المصاحف الكريمة فى مكان فوقها وفيها من الدروج بخط ابن مقلة ونظائره كابن البواب وغيره وتولى بيعها ابن صورة فى ايام الملك الناصر صلاح الدين فاذا أراد الخليفة الانفصال مشى فيها مشية لنظرها وفيها ناسخان وفراشان صاحب المرتبة وآخر فيعطى الشاهد عشرين دينارا ويخرج الى غيرها وقال ابن ابى طى بعد ما ذكر استيلاء صلاح الدين على القصر ومن جملة ما باعوه خزانة الكتب وكانت من عجائب الدنيا ويقال انه لم يكن فى جميع بلاد الاسلام دار كتب اعظم من التى كانت بالقاهرة فى القصر ومن عجائبها أنه كان فيها ألف ومائتا نسخة من تاريخ الطبرى الى غير ذلك ويقال انها كانت تشتمل على ألف وستمائة ألف كتاب وكان فيها من الخطوط المنسوبة اشياء كثيرة انتهى ومما يؤيد ذلك أن القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على لما أنشأ المدرسة الفاضلية بالقاهرة جعل فيها من كتب القصر مائة ألف كتاب مجلد وباع ابن صورة دلال الكتب منها جملة فى مدة اعوام فلو كانت كلها مائة ألف لما فضل عن القاضى الفاضل منها شئ وذكر ابن أبى واصل أن خزانة الكتب كانت تزيد على مائة وعشرين ألف مجلد

(خزانة الكسوات)

قال ابن أبى طى وعمل يعنى المعز لدين الله دارا وسماها دار الكسوة كان يفصل فيها من جميع انواع الثياب والبز ويكسو بها الناس على اختلاف أصنافهم كسوة الشتاء والصيف وكانت لاولاد الناس ونسائهم كذلك وجعل ذلك رسما يتوارثونه فى الاعقاب وكتب بذلك كتبا وسمى هذا الموضع خزانة الكسوة وقال عند ذكر انقراض الدولة ومن أخبارهم انهم كانوا يخرجون من خزائن الكسوة الى جميع خدمهم وحواشيهم ومن يلوذ بهم من صغير وكبير ورفيع وحقير كسوات الصيف والشتاء من العمامة الى السراويل وما دونه من الملابس والمناديل من فاخر الثياب ونفيس الملبوس ويقومون لهم بجميع ما يحتاجون اليه من نفيس المطعومات والمشروبات وسمعت من يقول انه حضر كسا القصر التى تخرج فى الصيف والشتاء فكان مقدارها ستمائة ألف دينار وزيادة وكانت خلعهم على الامراء الثياب الديبقى والعمائم بالطراز الذهب وكان طراز الذهب والعمامة من خمسمائة دينار ويخلع على اكابر الامراء الاطواق والاسورة والسيوف المحلاة وكان يخلع على

الوزير عوضا عن الطوق عقد جوهر وقال ابن المأمون وجلس الاجل يعنى الوزير المأمون فى مجلس الوزارة لتنفيذ الامور وعرض المطالعات وحضر الكتاب ومن جملتهم ابن أبى الليث كاتب الدفتر ومعه ما كان امر به من عمل جرائد الكسوة للشتاء بحكم حلوله وأوان تفرقتها فكان ما اشتمل عليه المنفق فيها السنة ست عشرة وخمسمائة من الاصناف أربعة عشر ألفا وثلثمائة وخمس قطع وان اكثر ما انفق عن مثل ذلك فى الايام الافضلية فى طول مدتها السنة ثلاث عشرة وخمسمائة ثمانية آلاف وسبعمائة وخمس وسبعون قطعة يكون الزائد عنها بحكم ما رسم به فى منفق سنة ست عشرة خمسة آلاف وستمائة وأربعا وثلاثين قطعة ووصلت الكسوة المختصة بالعيد فى آخر الشهر وقد تضاعفت عما كانت عليه فى الايام الافضلية لهذا الموسم وهى تشتمل على ذهوب وسلف دون العشرين ألف دينار وهو عندهم الموسم الكبير ويسمى بعيد الحلل لان الحلل فيه تعم الجماعة وفى غيره للاعيان خاصة فأحضر الامير افتخار الدولة مقدم خزانة الكسوة الخاص ليتسلم ما يختص بالخليفة وهو برسم الموكب بدلة خاص جليلة مذهبة ثوبها موشح مجاوم مذايل عدتها باللفافتين احدى عشرة قطعة السلف عنها مائة وستة وسبعون دينارا ونصف ومن الذهب العالى المغزول ثلثمائة وسبعة وخمسون مثقالا ونصف كل مثقال اجرة غزله ثمن دينار ومن الذهب العراقى ألفان وتسعمائة وأربع وتسعون قصبة * تفصيل ذلك شاشية طميم السلف ديناران وسبعون قصبة ذهبا عراقيا منديل بعمود ذهب السلف سبعون وألفان ومائتان وخمسون قصبة ذهبا عراقيا فان كان الذهب نظير المصرى كان الذى يرقم فيه ثلثمائة وخمسة وعشرين مثقالا لان كل مثقال نظير تسع قصبات ذهبا عراقيا وسط سرب بطانة للمنديل السلف عشرة دنانير وسبعون قصبة ذهبا عراقيا ثوب موشح مجاوم مطرف السلف خمسون دينارا وثلثمائة وأحد وخمسون مثقالا ونصف ذهبا عاليا اجرة كل مثقال ثمن دينار تكون جملة مبلغه وقيمة ذهبه ثلثمائة وأربعة وتسعين دينارا ونصفا ثوب دبيقى حريرى وسطانى السلف اثنا عشر دينارا غلالة دبيقى حريرى السلف عشرون دينارا منديل كم اول مذهب السلف خمسة دنانير ومائتان وأربع قصبات ذهبا عراقيا منديل كم ثان حريرى السلف خمسة دنانير حجرة السلف أربعة دنانير عرضى مذهب السلف خمسة دنانير وخمسة عشر مثقالا ذهبا عاليا عرضى لفافة للتخت دينار واحد ونصف بدلة ثانية برسم الجلوس على السماط عدتها باللفافتين عشر قطع السلف مائة وأربعة عشر دينارا ومن الذهب العالى خمسة وخمسون مثقالا ومن الذهب العراقى سبعمائة وأربعون قصبة تفصيل ذلك شاشية طميم السلف ديناران وسبعون قصبة ذهبا عراقيا منديل السلف ستون دينارا وستمائة قصبة ذهبا عراقيا شقة وكم السلف ستة عشر دينارا وخمسة وخمسون مثقالا ذهبا عاليا اجرة كل مثقال ثمن دينار شقة دبيقى حريرى وسطانى اثنا عشر دينارا شقة دبيقى غلالة ثمانية دنانير منديل الكم الحريرى خمسة دنانير حجرة أربعة دنانير عرضى خمسة دنانير عرضى برسم التخت دينار واحد ونصف وهذه البدلة لم تكن فيما تقدم فى ايام الافضل لانه لم يكن ثم سماط يجلس عليه الخليفة فانه كان قد نقل ما يعمل فى القصور من الاسمطة والدواوين الى داره فصار يعمل هنالك ما هو برسم الاجل أبى الفضل جعفر أخى الخليفة الآمر بدلة مذهبة مبلغها تسعون دينارا ونصف وخمسة وعشرون مثقالا ذهبا عاليا وأربعمائة وسبعون قصبة ذهبا عراقيا تفصيل ذلك منديل السلف خمسون دينارا وأربعمائة وسبعون قصبة ذهبا عراقيا شقة دبيقى حريرى وسطانى السلف عشرة دنانير شقة غلالة دبيقى السلف ثمانية دنانير حجرة ثلاثة دنانير وثلث عرضى دبيقى ثلاثة دنانير الجهة العالية بالدار الجديدة التى يقوم بخدمتها جوهر حلة مذهبة موشح مجاوم مذايل مطرف عدتها خمس عشرة قطعة سلفها ستة آلاف وثلثمائة وثلاثون قصبة تفصيل ذلك مذهب مكلف موشح مجاوم السلف خمسة عشر دينارا وستمائة وستون قصبة سدابى مذهب السلف ثمانية عشر دينارا ومائتا قصبة معجر أول مذهب موشح مجاوم مطرف السلف خمسون دينارا وألف وتسعمائة قصبة معجر ثان حريرى السلف خمسة وثلاثون دينارا ونصف رداء حريرى اول السلف عشرة دنانير ونصف رداء حريرى ثان السلف تسعة دنانير دراعة موشح مجاوم مذايل مذهبة السلف خمسة وتسعون دينارا ومن الذهب العراقى ألفان وستمائة وخمس وخمسون قصبة شقة دبيقى حريرى وسطانى السلف عشرون دينارا ونصف شقة دبيقى بغير رقم برسم عجز التفصيل ثلاثة دنانير ملاءة دبيقى السلف أربعة وعشرون دينارا وستمائة قصبة منديل

قوله بدلة خاص الخ ما ذكره فى هذه البدلة وما بعدها من الكسوات والحلل تفصيله فى الغالب لم يوافق اجماله على مقتضى ما يبدى من النسخ ولا يخفى ما فى عباراته فى هذا المقام وأمثاله من القلق ومخالفة العربية اهـ مصححه

كم اول السلف ستة دنانير ومائة وستون قصبة منديل كم ثان السلف خمسة دنانير ومائة وستون قصبة منديل كم ثالث السلف خمسة دنانير حجرة ثلاثة دنانير عرضى دبيقى ثلاثة دنانير جهة مكنون القاضى بمثل ذلك على الشرح والعدة جهة مرشد حلة مذهبة عدتها أربع عشرة قطعة السلف مائة وأحد وأربعون دينارا ومن الذهب العراقى ألف وستمائة وتسع وثمانون قصبة جهة عنبر مثل ذلك السيدة جهة ظل مثل ذلك جهة منجب مثل ذلك الامير ابو القاسم عبد الصمد بدلة مذهبة الامير داود مثله السيدة العمة حلة مذهبة السيدة العابدة العمة مثل ذلك الموالى الجلساء من بنى الاعمام وهم ابو الميمون بن عبد المجيد والامير ابو اليسر ابن الامير محسن والامير أبو على ابن الامير جعفر والامير حيدرة ابن الامير عبد المجيد والامير موسى ابن الامير عبد الله والامير أبو عبد الله ابن الامير داود لكل منهم بدلة مذهبة البنون والبنات من بنى الاعمام غير الجلساء لكل منهم بدلة حريرى ست سيدات لكل منهن حلة حريرى جهة المولى ابى الفضل جعفر التى يقوم بخدمتها ريحان حلة مذهبة جهة المولى عبد الصمد حلة حريرى ما يختص بالدار الجيوشية والمظفرية فعلى ما كان بأسمائهم المستخدمات لخزانة الكسوة الخاص زين الخزان المقدمة حلة مذهبة ست خزان لكل منهن حلة حريرى عشر وقافات لكل منهن كذلك المعلمة مقدمة المائدة كذلك رايات مقدمة خزانة الشراب كذلك المستخدمات من أرباب الصنائع من القصوريات ومن انضاف اليهن من الافضليات مائة وسبعون حلة مذهبة وحريرى على التفصيل المتقدم المستخدمات عند الجهات العالية جهة جوهر عشرون حلة مذهبة وحريرى وكذلك المستخدمات عند مكنون الامراء الاستاذون المحنكون الامير الثقة زمام القصور بدلة مذهبة الامير نسيب الدولة مرشد متولى الدفتر كذلك الامير خاصة الدولة ريحان متولى بيت المال كذلك الامير عظيم الدولة وسيفها حامل المظلة كذلك الامير صارم الدولة صاف متولى الستر كذلك وفى الدولة اسعاف متولى المائدة مثله الامير افتخار الدولة جندب بدلة مذهبة نظير البدلة المختصة بالامير الثقة ولكل من غير هؤلاء المذكورين حلة حريرى أربع قطع ولفافة فوطة مختار الدولة ظل بدلة حريرى ستة استاذين فى خزانة الكسوة الخاص عند الامير افتخار الدولة جندب لكل منهم بدلة مذهبة جوهر زمام الدار الجديد قبدلة حريرى تاج الملك امين بيت المال مثله مفلح برسم الخدمة فى المجلس مثله مكنون متولى خدمة الجهة العالية مثله فنون متولى خدمة التربة مثله مرشد الخاصى مثله النواب عن الامير الثقة فى زمام القصور وعدتهم أربعة لكل منهم بدلة حريرى خسروانى العظمى مقدم خزانة الشراب ورفيقه لكل منهما بدلة كذلك الصقالبة أرباب المذاب وعدتهم أربعة لكل منهم بدلة حريرى وشقة وفوطة نائب الستر مثل ذلك الاستاذون برسم خدمة المظلة وعدتهم خمسة لكل منهم منديل سوسى وشقة دمياطى وشقة اسكندرانى وفوطة الاستاذون الشداذون برسم الدواب وعدتهم ستة كذلك ما حمل برسم السيد الاجل المأمون يعنى الوزير بدلة خاصة مذهبة كبيرة موكبية عدتها احدى عشرة وما هو برسم جهاته وبرسم اولاده الاجل تاج الرياسة وتاج الخلافة وسعد الملك محمود وشرف الخلافة جمال الملك موسى وهو صاحب التاريخ نظير ما كان باسم اولاد الافضل بن امير الجيوش وهم حسن وحسين واحمد الاجل المؤتمن سلطان الملوك يعنى أخا الوزير عن تقدمة العساكر وزم الازمة وبرسم الجهة المختصة به وركن الدولة عز الملوك ابو الفضل جعفر عن حمل السيف الشريف خارجا عما له من حماية خزانة الكسوات وصناديق النفقات وما يحمل أيضا للخزائن المأمونية. مما ينفق منها على من يحسن فى الرأى من الحاشية المأمونية ثلاثون بدلة الشيخ الاجل ابو الحسن بن ابى اسامة كاتب الدست الشريف بدلة مذهبة عدتها خمس قطع وكم وعرضى الامير فخر الخلافة حسام الملك متولى حجبة الباب بدلة مذهبة كذلك القاضى ثقة الملك ابن النائب فى الحكم بدلة مذهبة عدتها أربع قطع وكم وعرضى الشيخ الداعى ولى الدولة بن أبى الحديق بدلة مذهبة الامير الشريف ابو على احمد بن عقيل نقيب الاشراف بدلة حريرى ثلاث قطع وفوطة الشريف انس الدولة متولى ديوان الانشاء بدلة كذلك ديوان المكاتبات الشيخ ابو الرضى ابن الشيخ الاجل أبى الحسن النائب عن والده فى الديوان المذكور بدلة مذهبة عدتها ثلاث قطع وكم ابو المكارم هبة الله اخوه بدلة مذهبة ثلاث قطع وفوطة ابو محمد حسن أخوهما كذلك أخوهم ابو الفتح بدلة حريرى قطعتان وفوطة الشيخ ابو الفضل يحيى بن سعيد الندمى منشئ ما يصدر عن

ديوان المكاتبات وتحرّر ما يؤمر به من المهمات بدلة مذهبة عدّتها ثلاث قطع وكم ومنزر ابو سعيد الكاتب بدلة حريرى ابو الفضل الكاتب كذلك الحاج موسى المعين فى الالصاق كذلك وأما الكتّاب بديوان الانشاء فلم يتفق وجود الحساب الذى فيه اسماؤهم فيذكروا ومن القياس أن يكونوا قريبا من ذلك الشيخ ولىّ الدولة ابو البركات متولى ديوان المجلس والخاص بدلة مذهبة عدّتها خمس قطع وكم وعرضى ولامرأته حلة مذهبة الشيخ ابو الفضائل هبة الله بن ابى الليث متولى الدفتر وما جمع اليه بدلة ابو المجد ولده بدلة حريرى عدى الملك ابو البركات متولى دار الضيافة بدلة مذهبة وبعده الضيوف الواردون الى الدولة جميعهم منهم من له بدلة مذهبة ومنهم من له بدلة حريرى وكذلك من يتفق حضوره من الرسل على هذا الحكم مقدّمو الركاب عفيف الدولة مقبل بدلة مذهبة القائد موفق والقائد تميم مثل ذلك أربعة من المقدّمين برسم الشكيمة لكل منهم بدلة حريرى الرواض عدّتهم ثلاثة لكل منهم بدلة حريرى الخاص من الفراشين وهم اثنان وعشرون رجلا منهم أربعة مميزون لكل منهم بدلة مذهبة وبقيتهم لكل واحد بدلة حريرى الاطباء الشديد ابو الحسن علىّ بن ابى الشديد بدلة حريرى ابو الفضل النسطورى بدلة حريرى وكذلك الفئة المستخدمون برسم الحمام وهم ثمانية مقدّمهم بدلة مذهبة وبقيتهم لكل واحد بدلة حريرى والى القاهرة ووالى مصر لكل منهما بدلة مذهبة المستخدمون فى المواكب الامير كوكب الدولة حامل الرمح الشريف وراء الموكب والدرقة المعزية بدلة حريرى حاملا الرمحين المعزية أيضا أمام الموكب بغير درق لكل منهما منديل وشقة وفوطة وهؤلاء الثلاثة رماح ماهى عربية بل هى خشوت قدم بها المعز من المغرب حاملا لواء الحمد المختصان بالخليفة عن يمينه ويساره لكل منهما بدلة متولى بغل الموكب الذى يحمل عليه جميع العدّة المغربية بدلة حريرى متولى حمل المظلة كذلك عشرة نفر من صبيان الخاص برسم حمل العشرة رماح العربية المغشاة بالديباج وراء الموكب لكل منهم منديل وشقة وفوطة حامل السبع وراء الموكب بدلة حريرى المقدّمون من صبيان الخاص وهم عشرون لكل منهم بدلة عرفاء الفراشين الذين يحطون عن فراشى الخاص وفراشى المجلس وفراشى خزائن الكسوة الخاص لكل منهم بدلة حريرى الفراشون فى خزائن الكسوات المستخدمون بالايوان وهم الذين يشدّون ألوية الحمد بين يدى الخليفة ليلة الموسم فانها لا تشدّ الا بين يديه ويبدأ هو باللف عليها بيده على سبيل البركة ويكمل المستخدمون بقية شدّها وما سوى ذلك من القضب الفضة وألوية الوزارة وغيرها وعدّتهم سبعة لكل منهم منديل سوسى وشقتان اسكندرانى المستخدمون برسم حمل القضب الفضة ولواءى الوزارة أربعة عشر كذلك مشارف خزانة الطيب وكانت من الخدم الجليلة وكان بها اعلام الجوهر التى يركب بها الخليفة فى الاعياد ويستدعى منها عند الحاجة ويعاد اليها عند الغنى عنها وكذلك السيف والثلاثة رماح المعزية مشارف خزائن السروج بدلة حريرى مشارف خزائن الفرش وكاتب بيت المال ومشارف خزائن الشراب ومشارف خزائن الكتب كل منهم بدلة حريرى بركات الادمى والمستخدمون بالدولة بالباب وسنان الدولة من الكركندى عن زم الرهجية والمبيت على ابواب القصور وكانت من الخدم الجليلة والصبيان الحجرية المشدّون بلواء الموكب بعد المقربين وعدّتهم عشرون لكل منهم الكسوة فى الشتاء والعيدين وغيرهما وعدّة الذين يقبضون الكسوة فى العيدين من الفراشين اكثر من صبيان الركاب وذلك انهم يتولون الاسمطة ويقفون فى تقدمتها وينفرد عنهم المستخدمون فى الركاب بما لهم من المتحصل فى الخلفات فى العيدين وهو ما مبلغه ستة آلاف دينار ما لاحد معهم فيها نصيب وكان يكتب فى كل كسوة هى برسم وجوه الدولة رقعة من ديوان الانشاء فمما كتب به من انشاء ابن الصيرفى مقترنة بكسوة عيد الفطر من سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ولم يزل امير المؤمنين منعما بالرغائب موليا احسانه كل حاضر من اوليائه وغائب مجزلا حظهم من منائحه ومواهبه موصلا اليهم من الحباء ما يقصر شكرهم عن حقه وواجبه وانك أيها الامير لاولاهم من ذلك بجسيمه واحراهم باستنشاق نسيمه وأخلقهم بالجزء الاوفى منه عند فضه وتقسيمه اذ كنت فى سماء المسابقة بدرا وفى جرائد المناصحة صدرا وممن أخلص فى الطاعة سرّا وجهرا وحظى فى خدمة أمير المؤمنين بما عطر له وصفا وسيرله ذكرا ولما أقبل هذا العيد السعيد والعادة فيه أن يحسن الناس هيآتهم ويأخذوا عند كل مسجد زينتهم ومن وظائف كرم أمير المؤمنين تشريف اوليائه وخدمه فيه وفى المواسم التى تجاريه بكسوات على حسب منازلهم تجمع بين الشرف والجمال ولا يبقى بعدها مطمع للآمال وكنت من

اخص

أخص الامراء المقدمين قال ووصلت الكسوة المختصة بغرة شهر رمضان وجهته برسم الخليفة للغرة بدلة كبيرة موكبية مكملة مذهبة وبرسم الجامع الازهر للجمعة الاولى من الشهر بدلة موكبية حريرى مكملة منديلها وطيلسانها بياض وبرسم الجامع الانور للجمعة الثانية بدلة منديلها وطيلسانها شعرى وماهو برسم أخى الخليفة للغرة خاصة بدلة مذهبة وبرسم له مع جهات الخليفة أربع حلل مذهبات وبرسم الوزير للغرة بدلة مذهبة مكملة موكبية وبرسم الجمعتين بدلتان حريرى ولم يكن لغير الخليفة وأخيه والوزير فى ذلك شئ فيذكر ووصلت الكسوة المختصة بفتح الخليج وهى برسم الخليفة تختان ضمنهما بدلتان احداهما منديلها وطيلسانها طميم برسم المضى والاخرى جميعها حريرى برسم العود وكذلك ما يختص باخوته وجهاته بدلتان مذهبتان وأربع حلل مذهبة وبرسم الوزير بدلة موكبية مذهبة فى تخت وبرسم اولاده الثلاثة ثلاث بدلات مذهبة وبرسم جهته حلة مذهبة فى تخت وبقية ما يخص المستخدمين وابن أبى الرداد فى تخوت كل تخت عدة بدلات وحضر متولى الدفتر واستأذن على ما يحمل برسم الخليفة وما يفرق ويفصل برسم الخلع وما يخرج من حاصل الخزائن عن الواصل وهو ما يفصل برسم الخاص من الغلمان برسم سبعمائة قباء وخمسمائة وشقين سقلاطون دارى وبرسم رؤساء العشاريات من الشقق الدمياطى والمناديل السوسى والفوط الحرير الحر وبرسم النواتية التى برسم الخاص من العشارية من الشقق الاسكندرانى والكلوتات وقد تقدم تفصيل الكسوات جميعها وعددها واسماء المستقرين لقبضها * وقال فى كتاب الذخائر وحدثنى من اثق به عن ابن عبد العزيز أنه قال قومنا ما اخرج من خزائن القصر يعنى فى سنى الشدة ايام المستنصر من سائر ألوان الخسروانى ما يزيد على خمسين ألف قطعة اكثرها مذهب وسألت ابن عبد العزيز فقال أخرج من الخزائن مما حزرت قيمته على يدى وبحضرتى اكثر من ألف قطعة وحدثنى ابو الفضل يحيى بن ابراهيم البغدادى أحد أصحاب الدواوين بالحضرة أن الذى تولى ابو سعيد النهاوندى المعروف بالمعتمد بيعه خاصة من مخرج القصر دون غيره من الامناء فى مدة يسيرة ثمانية عشر ألف قطعة من بلور ويحكم منها ما يساوى الالف دينار الى عشرة دنانير ونيف وعشرون ألف قطعة خسروانى وحدثنى عميد الملك ابو الحسن على بن عبد الكريم فخر الوزراء بن عبد الحاكم أن ناصر الدولة ارسل يطالب المستنصر بما بقى لغلمانه فذكر أنه لم يبق عنده شئ الاملابسه فأخرج ثمانمائة بدلة من ثيابه بجميع آلاتها كاملة فقومت وحملت اليه وقال ابن الطوير الخدمة فى خزائن الكسوات لها رتبة عظيمة فى المباشرات وهما خزانتان فالظاهرة يتولاها خاصة اكبر حواشى الخليفة اما استاذ أو غيره وفيها من الحواصل ما يدل على اسباغ نعم الله تعالى على من يشاء من خلقه من الملابس المشروب والخاص الدبيقى الملونة رجالية ونسائية والديباج الملونة والسقلاطون واليها يحمل ما يستعمل فى دار الطراز بتنيس ودمياط واسكندرية من خاص المستعمل وبها اصاحب المقص وهو مقدم الخياطين ولاصحابه مكان لخياطتهم والتفصيل يعمل على مقدار الاوامر وما تدعو الحاجة اليه ثم ينقل الى خزانة الكسوة الباطنة ما هو خاص للباس الخليفة ويتولاها امرأة تنعت بزين الخزان ابدا وبين يديها ثلاثون جارية فلا يغير الخليفة ابدا ثيابه الا عندها ولباسه خافيا الثياب الدارية وسعة اكمامها سعة نصف اكمام الظاهر وليس فى جهة من جهاته ثياب اصلا ولا يلبس الا من هذه الخزانة وكان برسم هذه الخزانة بستان من أملاك الخليفة على شاطئ الخليج يعنى ابدا فيه النسرين والياسمين فيحمل فى كل يوم منه شئ فى الصيف والشتاء لا ينقطع البتة برسم الثياب والصناديق فاذا كان اوان التفرقة الصيفية او الشتوية شدّ لمن تقدم ذكره من اولاد الخليفة وجهاته وأقاربه وأرباب الرواتب والرسوم من كل صنف شدة على ترتيب المفروض من شقق الديباج الملون والسقلاطون الى السوسى والاسكندرانى على مقدار الفصول من الزمان ما يقرب من مائتى شدة فالخواص فى العراضى الدبيقى ودونهم فى اوطية حرير ودونهم فى فوط اسكندرية ويدخل فى ذلك كتاب ديوانى الانشاء والمكاتبات دون غيرهم من الكتاب على مقدارهم وذلك يخرج من الجوارى فى الشهر المطلقات * وقال القاضى الفاضل فى متجددات سنة سبع وستين وخمسمائة بعد وفاة العاضد وكشف حاصل الخزائن الخاصة بالقصر فقيل ان الموجود فيها مائة صندوق كسوة فاخرة من موشى ومرصع وعقود ثمينة وذخائر فخمة وجواهر نفيسة وغير ذلك من ذخائر عظيمة الخطر وكان الكاشف بهاء الدين قراقوش

قال ابن المأمون وكان بها الاعلام والجوهر التي يركب بها الخليفة في الاعياد ويستدعى منها عند الحاجة ويعاد اليها عند الغنى عنها وكذلك السيف الخاص والثلاثة رماح المعزية وقال في كتاب الذخائر والتحف وذكر بعض شيوخ دار الجوهر بمصر أنه استدعى يوما هو وغيره من الجوهريين من اهل الخبرة بقيمة الجوهر الى بعض خزائن القصر يعني في ايام الشدة زمن المستنصر فأخرج صندوق كيل منه سبعة أمداد زمرذ قيمتها على الاقل ثلثمائة ألف دينار وكان هناك جبالسا فخر العرب بن حمدان وابن سنان وابن أبي كدينة وبعض المخالفين فقال بعض من حضر من الوزراء المعطلين للجوهريين كم قيمة هذا الزمرذ فقالوا انما نعرف قيمة الشئ اذا كان مثله موجودا ومثل هذا لا قيمة له ولا مثل فاغتاظ وقال ابن أبي كدينة فخر العرب كثير المؤنة وعليه خرج فالتفت الى كتاب الجيش وبيت المال فقال يحسب عليه فيه خمسمائة دينار فكتب ذلك وقبضه وأخرج عقد جوهر قيمته على الاقل من ثمانين الف دينار فصاعدا فتحريا فيه فقال يكتب بألفي دينار وتشاغلوا بنظر ماسواه وانقطع سلكه فتناثر حبه فأخذوا احد منهم واحدة فجعلها في جيبه وأخذ ابن ابي كدينة اخرى وأخذ فخر العرب بعض الحب وباقي المخالفين التقطوا ما بقي منه وغاض كأن لم يكن وأخذ ما كان انفذه الصليحي من نفيس الدر الرفيع الرائع وكيله على ماذكر سبع ويبات وأخذوا ألفا ومائتي خاتم ذهبا وفضة فصوصها من سائر أنواع الجوهر المختلف الالوان والقيم والاثمان والانواع مما كان لاجداده وله وصار اليه من وجوه دولته منها ثلاثة خواتم ذهب مربعة عليها ثلاثة فصوص احدها زمرذ والاثنان ياقوت سماقى ورمانى بيعت باثني عشر ألف دينار بعد ذلك وأحضر خريطة فيها نحو ويبة جوهر وأحضر الخبراء من الجوهريين وتقدم اليهم بقيمتها فذكروا أن لا قيمة لها ولا يشترى مثلها الا الملوك فقومت بعشرين ألف دينار فدخل جوهر الكاتب المعروف بالمختار عز الملك الى المستنصر وأعلمه أن هذا الجوهر اشتراه جده بسبعمائة ألف دينار واسترخصه فتقدم بانفاقه في الاتراك فقبض كل واحد منهم جزأ بقيمة الوقت وفرق عليهم قال فأما ما أخذ مما في خزائن البلور والمحكم والمينا المجرى بالذهب والمجرود والبغدادي والخيار والمدهون والخلنج والعيني والدهمي والامدي وخزائن الفرش والبسط والستور والتعاليق فلا يحصى كثرة وحدثني من أثق به من المستخدمين في بيت المال انه أخرج يوما في جملة ما أخرج من خزائن القصر عدة صناديق وان واحدا منها فتح فوجد فيه على مثال كيزان الفقاع من صافي البلور المنقوش والمجرود شئ كثير وان جميعها مملوء من ذلك وغيره وحدثني من اثق به انه رأى قدح بلور بيع مجرودا بمائتين وعشرين دينارا ورأى خرداذي بلور بيع بثلثمائة وستين دينارا وكوز بلور بيع بمائتين وعشرة دنانير ورأى صحون مينا كثيرة تباع من المائة دينار الى مادونها وحدثني من اثق بقوله انه رأى بطرابلس قطعتين من البلور الساذج الغاية في النقاء وحسن الصنعة احداهما خرداذي والاخرى باطية مكتوب على جانب كل واحدة منهما اسم العزيز بالله تسع الباطية سبعة ارطال بالمصري ماء والخرداذي تسعة وانه عرضهما على جلال الملك ابي الحسن علي بن عمار فدفع فيهما ثمانمائة دينار فامتنع من بيعهما وكان اشتراهما من مصر من جملة ما اخرج من الخزائن وان الذي تولى بيعه ابو سعيد النهاوندي من مخرج القصر دون غيره من الامناء في مدة يسيرة ثمانية عشر الف قطعة من بلور ومحكم منها ما يساوي الالف دينار الى عشرة دنانير واخرج من صواني الذهب المجراة بالمينا وغير المجراة المنقوشة بسائر أنواع النقوش المملوء جميعها من سائر أنواعه وألوانه وأجناسه شئ كثير جدا ووجد فيما وجد غلف خيار مبطنة بالحرير محلاة بالذهب مختلفة الاشكال خالية مما فيها من الاواني عدتها سبعة عشر ألف غلاف كان في كل قطعة اما بلور مجرودا ومحكم اوما يشاكله ووجدا كثر من مائة كاس باد زهر ونصب وأشباهها على اكثرها اسم هارون الرشيد وغيره ووجد في خزائن القصر عدة صناديق كثيرة مملوءة سكاكين مذهبة ومفضضة بنصب مختلفة من سائر الجواهر وصناديق كثيرة مملوءة من انواع الدوى المربعة والمدورة والصغار والكبار المعمولة من الذهب والفضة والصندل والعود والابنوس الزنجي والعاج وسائر أنواع الخشب المحلاة بالجوهر والذهب والفضة وسائر الانواع الغريبة والصنعة المعجزة الدقيقة بجميع آلاتها فيها ما يساوي الالف دينار والاكثر والاقل سوى ما عليها من الجواهر وصناديق مملوءة مشارب ذهب وفضة مخرقة بالسواد صغار وكبار مصنوعة بأحسن

ما يمكن

مايكون من الصنعة وعدة ازيار صيني كبار مختلفة الالوان مملوءة كافورا قيصوريا وعدة من جماجم العنبر الشحري ونوافج المسك التبتي وقواريره وشجر العود وقطعه ووجد للسيدة رشيدة ابنة المعز حين ماتت في سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة ما قيمته ألف ألف دينار وسبعمائة ألف دينار من جملته ثلاثون ثوب خز مقطوع واثنا عشر ألفا من الثياب المصمت ألوانا ومائة قاطرميز مملوءة كافورا قيصوريا ومما وجد لها معممات بجواهرها من ايام المعز وبيت هرون الرشيد الخز الاسود الذي مات فيه بطوس وكان من ولي من الخلفاء ينتظرون وفاتها فلم يقض ذلك الا للمستنصر بالله فحازه في خزانته ووجد لعبدة بنت المعز أيضا وماتت في سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة مالا يحصى حدثني بعض خزان القصر أن خزائن السيدة عبدة ومقاصيرها وصناديقها وما يجب أن يختم عليه ذهب من الشمع في خواتيمه على الصحة والمشاهدة اربعون رطلا بالمصري وان بطائق المتاع الموجود كتبت في ثلاثين رزمة ورق ومما وجد لها ايضا اربعمائة قطرة والف وثمانمائة قطعة مينا فضة مخرقة زنة كل مينا عشرة آلاف درهم وأربعمائة سيف محلى بالذهب وثلاثون الف شقة صقلية ومن الجوهر مالا يحد كثرة وزمرذ كيله اردب واحد وأن سيد الوزراء أبا محمد البازوري وجد في موجوداتها طستا وابريقا فلفرط استحسانه لهما سأل المستنصر فيهما فوهبهما له ووجد مدهن ياقوت احمر وزنه سبعة وعشرون مثقالا واخرج أيضا تسعون طستا وتسعون ابريقا من صافي البلور ووجد في القصر خزائن مملوءة من سائر أنواع الصيني منها اجاجين صيني كبار محلاة كل اجانة منها على ثلاثة ارجل على صورة الوحوش والسباع قيمة كل قطعة منها ألف دينار معمولة لغسل الثياب ووجد عدة اقفاص مملوءة بيض صيني معمول على هيئة البيض في خلقته وبياضه يجعل فيها ماء البيض النيمبرشت يوم الفصاد ووجد حصير ذهب وزنها ثمانية عشر رطلا ذكر أنها الحصير التي جليت عليها بوران بنت الحسن بن سهل على المأمون وأخرج ثمان وعشرون صينية مينا مجرا بالذهب بكعوب كان أرسلها ملك الروم الى العزيز بالله قومت كل صينية منها ثلاثة آلاف دينارا نفذ جميعها الى ناصر الدولة ووجد عدة صناديق مملوءة مرائي حديد من صيني ومن زجاج المينا لا يحصى ما فيها كثرة جميعها محلى بالذهب المشبك والفضة ومنها المكلل بالجوهر في غلف الكيمخت وسائر أنواع الحرير والخيزران وغيره مضبب بالذهب والفضة ولها المقابض من العقيق وغيره وأخرج من المظال وقضبها الفضة والذهب شئ كثير وأخرج من خزائن الفضة ما يقارب الاف درهم من الآلات المصنوعة من الفضة المجراة بالذهب فيها ما زنة القطعة الواحدة منه خمسة آلاف درهم الغريبة النقش والصنعة التي تساوي خمسة دراهم بدينار وان جميعه بيع كل عشرين درهما بدينار سوى ما أخذ من العشاريات الموكبية وأعمدة الخيام وقضب المظال والمحوقات والاعلام والقناديل والصناديق والتوقات والرازين والسروج واللجم والمناطق التي للعماريات والقباب وغيرها مثل ذلك وأضعافه واخرج من الشطرنج والنرد المعمولة من سائر أنواع الجوهر والذهب والفضة والعاج والابنوس برقاع الحرير والمذهب مالا يحد كثرة ونفاسة وأخرج آلات فضة وزنها ثلثمائة ألف ونيف وأربعون ألف درهم تساوي ستة دراهم بدينار وأخرج اقفاص مملوءة من سائر آلات مصوغة مجراة بالذهب عدتها أربعمائة قفص كبار سبكت جميعها وفرقت على المخالفين وأخرجت أربعة آلاف نرجسية مجوفة بالذهب يعمل فيها النرجس وألفا بنفسجية كذلك وأخرج من خزانة الطرائف ستة وثلاثون ألف قطعة من محكم وبلور وقوم السكاكين بأقل القيم فجاءت قيمتها على ذلك ستة وثلاثين ألف دينار واخرج من تماثيل العنبر اثنان وعشرون ألف قطعة اقل تمثال منها وزنه اثنا عشر منا واكبره يجاوز ذلك ومن تماثيل الخليفة مالا يحد من جملتها ثمانمائة بطيخة كافور وأخرجت الكلوتة المرصعة بالجوهر وكانت من غريب ما في القصر ونفيسه ذكر أن قيمتها ثلاثون ألف دينار ومائة ألف دينار قومت بثمانين ألف دينار وكان وزن ما فيها من الجوهر سبعة عشر رطلا اقتسمها فخر العرب وتاج الملوك فصار الى فخر العرب منها قطعة بلخش وزنها ثلاثة وعشرون مثقالا وصار الى تاج الدين مما وقع اليه حبات در كل حبة ثلاثة مثاقيل عدتها مائة حبة فلما كانت هزيمتهم من مصر نهبت وأخرج من خزائن الطيب خمسة صواري عود هندي كل واحد من تسعة أذرع الى عشرة أذرع وكافور قيصوري زنة كل حبة من خمسة مثاقيل الى ما دونها وقطع عنبر وزن القطعة ثلاثة آلاف مثقال واخرج متارد صيني محمولة على ثلاثة ارجل ملء كل وعاء منها مائتا رطل من الطعام وعدة قطع شب

وبادزهر منها اجام سعته ثلاثة اشبار ونصف وعمقه شبر مليح الصنعة وقاطرميز بلور فيه صور ثابتة تسع سبعة عشر رطلا وبلوجة بلور مجرود تسع عشرين رطلا وقصرية نصب كبيرة جدا وطابع ند فيه ألف مثقال كان لفخر الدولة ابو الحسن على بن ركن الدولة بن بويه الديلمى عمله مكتوب فى وسطه لفخر الدولة شمس الملة وأبيات منها

ومن يكن شمس اهل الارض قاطبة * فنده طابع من الف مثقال

وطاوس ذهب مرصع بنفيس الجوهر عيناه من ياقوت احمر وريشه من الزجاج المينا المجرى بالذهب على ألوان ريش الطاوس وديك من الذهب له عرف مفروق كأكبر ما يكون من اعراف الديوك من الياقوت الاحمر مرصع بسائر الدر والجوهر وعيناه ياقوت وغزال مرصع بنفيس الدر والجوهر وبطنه أبيض قد نظم من در رائع ومجمع سكارج من بلور تخرج منه وتعود فيه فحته أربعة اشبار مليح الصنعة فى غلاف خيزران وبطيخة من الكافور فى شباك ذهب مرصعة وزنها خالصة سبعون مثقالا من كافور وقطعة عنبر تسمى الخروف وزنها سوى ما يمسكها من الذهب ثمانون منا وبطيخة كافور أيضا وجد ما عليها من الذهب ثلاثة آلاف مثقال ومائدة نصب كبيرة واسعة قوائمها منها وبيضة بلخش وزنها سبعة وعشرون مثقالا اشد صفاء من الياقوت الاحمر وقاطرميز بلور مليح التقدير يسع مروقتين قوم فى المخرج بثمانمائة دينار دفع الى تاج الملوك فيه بعد ذلك ألف دينار فامتنع من بيعه ومائدة جزع يقعد عليها جماعة قوائمها مخروطة منها ونخلة ذهب مكللة بالجوهر وبديع الدر فى اجانة ذهب تجمع الطلع والبلح والرطب بشكله ولونه وعلى صفته وهيأته من الجواهر لا قيمة لها وكوز زير بلور يحمل عشرة ارطال ماء ودارج مرصع بنفيس الجوهر لا قيمة له ومزية مكللة بحب لؤلؤ نفيس وقبة العشارى وكارته وكسوة رحله الذى استعمله على بن احمد الجرجراى وفيه مائة ألف وسبعة وستون ألفا وسبعمائة درهم نقرة واطلق للصناع عن اجرة صياغته وثمن ذهب للطلاء ألفان وتسعمائة دينار وكان سعر الفضة حينئذ كل مائة درهم بستة دنانير وربع سعر ستة عشر درهما بدينار واخرج العشارى الفضى الذى استعمله على بن احمد لأم المستنصر وكان فيه مائة الف وعشرون الف درهم نقرة وصرف أجرة صياغة وطلاء ألفان وأربعمائة دينار وكسوة بمال جليل واخرج جميع كسا العشاريات التى برسم البرية والبحرية وعدتها ومناطقها ورؤس منحرفات وأهلة وصفريات وكانت اربعمائة ألف دينار استة وثلاثين عشاريا وعدة مما كيم فضة فيها ما وزنه مائة وتسعة ارطال فضة وأخرج بستان ارضه فضة مخرقة مذهبة وطينه ند وأشجاره فضة مذهبة مصوغة وأثماره عنبر وغيره وزنه ثلثمائة وستة ارطال وبطيخة كافور وزنها ستة عشر ألف مثقال وقطع ياقوت أزرق زنة كل قطعة سبعون درهما وقطع زمرذ زنة كل قطعة ثمانون درهما ونصاب مرآة من زمرد له طول وثمن كل ذلك أخذه المخالفون

* (خزائن الفرش والامتعة) *

قال فى كتاب الذخائر وحدثنى من أثق به عن ابن عبد العزيز الانماطى قال قومنا ما اخرج من خزائن القصر من سائر الخسروانى ما يزيد على خمسين ألف قطعة اكثرها مذهب وسألت ابن عبد العزيز فقال أخرج من الخزائن ما حررت قيمته على يدى وبحضرتى اكثر من مائة الف قطعة وأخرج مرتبة خسروانى حمراء بيعت بثلاثة الاف وخمسمائة دينار ومرتبة قلونى بيعت بألفين وأربعمائة دينار وثلاثون سندسية بيعت كل واحدة منها بثلاثين دينارا ونيف وعشرون ألف قطعة خسروانى فى هدبه لم يقطع منها شئ وكانت قيمة العرض المبيع بأقل القيم وابرز الاثمان فى مدة خمسة عشر يوما من صفر سنة ستين وأربعمائة سوى ما نهب وسرق ثلاثون الف الف دينار قبض جميعها الجند والاتراك ليس لاحد منهم درهم واحد قبضه عن استحقاق وحدثنى الامير ابو الحسن على بن الحسن احمد مقدمى الخميين بالقصر أن الفراشين دخلوا الى بعض خزائن الفرش لما اشتدت مطالبة المارقين للمستنصر بالمال الى الخزانة المعروفة بخزانة الرفوف وسميت بذلك لكثرة رفوفها ولكل رف منها سلم مفرد فأنزلوا منها ألفى عدل شقق طميم بهدبها من سائر أنواع الخسروانى وغيره لم تستعمل بعد وجميع ما فيها مذهب معمول بسائر الاشكال والصور وأنهم فتحوا عدلا منها فوجدوا ما فيه اجلة معمولة للفيلة من

خسروانى احمر مذهب كاحسن ما يكون من العمل وموضع نزول انخاذ الفيل ورجليه ساذجة بغير ذهب واخرج من بعض الخزائن ثلاثة آلاف قطعة خسروانى احمر مطرز بأبيض فى هدبها لم يفصل من كسا بيوت كاملة بجميع آلاتها ومقاطعها وكل بيت يشتمل على مسانده ومخاده ومساوره ومراتبه وبسطه وعتبه ومقاطعه وستوره وكل ما يحتاج اليه فيه قال وأخرج من خزائن الفرش من البيوت الكاملة الفرش من القلمونى والديبقى من سائر ألوانه وأنواعه المخمل والخسروانى والديباج الملكى والخز وسائر الحرير من جميع ألوانه وأنواعه ما لا يحصى كثرة ولا يعرف قدره نفاسة واخرج من الحصر والانخاخ السامان المطرزة بالذهب والفضة وغير المطرزة من المخرمة والطيور والفيلة المصورة بسائر أنواع الصور شئ كثير والتمس بعض الاتراك من المستنصر مقرمة يعنى ستارة سندس اخضر مذهبة فأخرج عدل منها مكتوب عليه مائة وثمانية وثمانون من جملة اعداد اعدال فيها من المتاع ووجد من الستور الحرير المنسوجة بالذهب على اختلاف ألوانها وأطوالها عدة مئين تقارب الالف فيها صور الدول وملوكها والمشاهير فيها مكتوب على صورة كل واحد اسمه ومدة ايامه وشرح حاله واخرج من خزائن الفرش أربعة آلاف رزمة خسروانى مذهب فى كل رزمة فرش مجلس ببسطه وتعاليقه وسائر آلاته منسوجة فى خيط واحد باقية على حالها لم تمس وصار الى فخر العرب مقطع من الحرير الازرق التسترى القرقوبى غريب الصنعة منسوج بالذهب وسائر ألوان الحرير كان المعز لدين الله امر بعمله فى سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة فيه صورة أقاليم الارض وجبالها وبحارها ومدنها وأنهارها ومسالكها شبه جغرافيا وفيه صورة مكة والمدينة مبينة للناظر مكتوب على كل مدينة وجبل وبلد ونهر وبحر وطريق اسمه بالذهب او الفضة او الحرير وفى آخره مما امر بعمله المعز لدين الله شوقا الى حرم الله واشهارا لمعالم رسول الله فى سنة ثلاث وخمسين وثلثمائة والنفقة عليه اثنان وعشرون ألف دينار وصار الى تاج الملوك بيت أرمنى احمر منسوج بالذهب عمل للمتوكل على الله لا مثل له ولا قيمة وبساط خسروانى دفع اليه فيه ألف دينار فامتنع من بيعه وقال ابن الطوير خزانة الفرش وهى قريبة من باب الملك يحضر اليها الخليفة من غير جلوس ويطوف فيها ويستخبر عن احوالها ويأمر بادامة الاستعمال وكان من حقوقها استعمال السامان فى اماكن خارجها بالقاهرة ومصر ويعطى مستخدمها خمسة عشر دينارا يعنى يوم يطوف بها الخليفة

(خزائن السلاح)

قال فى كتاب الذخائر فأما خزائن السيوف والآلات والسلاح فان بعضها اخذ وقسم بين العشرة الثائرين على المستنصر وهم ناصر الدولة بن حمدان وأخواه وبلدكوس وابن سبكتكين وسلام عليك وشاور بن حسين حتى صار ذو الفقار الى تاج الملوك وصمصامة عمرو بن معدى كرب وسيف عبد الله بن وهب الراسى وسيف كافور وسيف المعز وسيف ابى المعز الى الاعز بن سنان ودرع المعز لدين الله وكانت تساوى ألف دينار وسيف الحسين بن على بن ابى طالب عليهما السلام ودرقة حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه وسيف جعفر الصادق رضى الله عنه ومن الخود والدروع والتخافيف والسيوف المحلاة بالذهب والفضة والسيوف الحديدية وصناديق النصول وجعاب السهام الخلنج وصناديق القسى ورزم الرماح الزان الخطية وشدات القسا الطوال والزرد والبيض مئين ألوف وكان كل صنف منها مفردا عشرات ألوف * وقال ابن الطوير خزانة السلاح يدخل اليها الخليفة ويطوفها قبل جلوسه على السرير هناك ويتأمل حواصلها من الكراغندات المدفونة بالزرد المغشاة بالديباج المحكمة الصناعة والجواشن المبطنة المذهبة والزرديات السابلة برؤسها والخود المحلاة بالفضة وكذلك اكثر الزرديات والسيوف على اختلافها من العربيات والقلجوريات والرماح القنا والقنطاريات المدهونة والمذهبة والاسنة البرصانية والقسى لرماية اليد المنسوبة الى صناعها مثل الخطوط المنسوبة الى اربابها فيحضر اليه منها ما يجرّ به ويتأمل النشاب وكانت نصوله مثلثة الاركان على اختلافها ثم قسى الرجل والركاب وقسى اللولب الذى زنة نصله خمسة ارطال ويرمى من كل سهم بين يديه فينظر كيف مجراه والنشاب الذى يقال له الجراد وطوله شبر يرمى به عن قسى فى مجار معمولة برسمه فلا يدرى به الفارس او الراجل الا وقد نفذ فاذا فرغ من نظر ذلك كله خرج من خزانة الدرق وكانت فى المكان الذى هو خان مسرور وهى برسم الاستعمالات

قوله وهم الخ هكذا فى النسخ ولم يستوف العشرة فليحرر اه مصححه

للاساطيل من الكبورة الخارجية والخود الجاودية الى غير ذلك فيعطى مستخدمها خمسة وعشرون دينارا ويخلع على متقدم الاستعمالات جوكانية مزيدة حريرا وعمامة لطيفة

* (خزائن السروج) *

قال فى كتاب الذخائر اخرج فيما اخرج صناديق سروج محلاة بفضة مجراة بسواد ممسوحة وجد على صندوق منها الثامن والتسعون والثلثمائة وعدة ما فيها زيادة على اربعة آلاف سرج واخرج المستنصر من خزائن السروج خمسة آلاف سرج كان ابو سعد ابراهيم بن سهل التسترى دخرها له فيها وتقدم بحفظها كل سرج منها يساوى من سبعة آلاف دينار الى ألف واكثرها عال سبك جميعها وفرق فى الاتراك كان برسم ركابه منها اربعة آلاف سرج وأخذ من خزائن السيدة والدته أربعة آلاف سرج مثلها اودونها صنع بها مثل ذلك * وقال ابن الطوير خزانة السروج تحتوى على مالا يحتوى عليه مملكة من الممالك وهى قاعة كبيرة بدورها مصطبة علوها ذراعان ومجالسها كذلك وعلى تلك المصطبة متكآت مخلصة الجانبين على كل متكا ثلاثة سروج متطابقة وفوقه فى الحائط وتد مدهون مضروب فى الحائط قبل تبييضه وهو بارز بروزا متكئا عليه المركبات الحلى على لجم تلك السروج الثلاثة من الذهب خاصة او الفضة خاصة او الذهب والفضة وقلائدها وأطواقها لاعناق الخيل وهى لخاص الخليفة وأرباب الرتب ما يزيد على ألف سرج ومنها لجام هو الخاص ومنها الوسط ومنها الدون وهى خيار غيرها برسم العوارى لارباب الرتب والخدم ومنها ما هو قريب من الخاص فيكون عند المستخدم بشداده الدائم وجاريه على الخليفة مادام مستخدما والعلف مطلق من الاهراء وأما الصاغة فان فيها منهم ومن المركبين والخرازين عددا جمادا ثمين لا يفترون عن العمل وكل مجلس مضبوط بعدد متكآته وما عليها من السروج والاوتاد واللجم وكل مجلس لذلك عند مستخدميه فى العرض فلا يختل عليهم منها شئ وكذلك وسط قاعتها بعدة متوالية أيضا والشداد دون مطالبون بالنقائص منها ايام المواسم وهم يحضرونها اوقيتها فيعرض ويركب ويحضر اليها الخليفة ويطوفها من غير جلوس ويعطى حاميها للتفرقة فى المستخدمين عشرين دينارا ويقال ان الحافظ لدين الله عرضت له فيها حاجة فجاء اليها مع الحامى فوجد الشاهد غير حاضر وختمه عليها فرجع الى مكانه وقال لا يفك ختم العدل الا هو ونحن نعود فى وقت حضوره انتهى وكان الخليفة الآمر بأحكام الله تحدثه نفسه بالسفر الى المشرق والغارة على بغداد فأعد لذلك سروجا مجوفة القرابيص وبطنها بصفائح من قصدير ليجعل فيها الماء وجعل لها فيه صفارة فاذا دعت الحاجة الى الماء شرب منه الفارس وكان كل سرج منها يسع سبعة ارطال ماء وعمل عدة مخال للخيل من ديباج وقال فى ذلك

دع اللوم عنى لست منى بموثق * فلا بد لى من صدمة المتحقق
وأسقى جيادى من فرات ودجلة * وأجمع شمل الدين بعد التفرق

وأول من ركب المتصرفين فى دولته من خيوله بالمراكب الذهب فى المواسم العزيز بالله نزار بن المعز

* (خزائن الخيم) *

قال فى كتاب الذخائر وأخبرنى سماء الرؤساء ابو الحسن على بن احمد بن مدبر وزير ناصر الدولة قال اخرج فيما اخرج من خزائن القصر عدة لم تحص من أعدال الخيم والمضارب والفازات والمسطحات والخركاوات والحصون والقصور والشراعات والمشارع والفساطيط المعمولة من الديبقى والمخمل والخسروانى والديباج الملكى والارمنى والبهنساوى والكردوانى والجدمن الحلبى وما اشبه ذلك من سائر ألوانه وأنواعه ومن السندس والطسميم أيضا منها المقيل والمسبع والخيل والطاوس والطير وغير ذلك من سائر الوحوش والطير والآدميين من سائر الاشكال والصور البديعة الرائعة ومنها الساذج والمنقوش فى ظاهره بغرائب النقوش بجميع آلاتها من الاعمدة الملبسة انابيب الفضة والشاب المذهبة وغير المذهبة من سائر أنواعها وألوانها والصفريات الفضة على أقدارها والحبال الملبسة القطن والحرير والاوتاد وسائر ما يحتاج اليه من جميع آلاتها وعدتها المبطن جميعها بالديبقى الطميم المذهب والخسروانى المذهب وثياب الحرير الصينى والتسترى والمضبب

والرجيج

والزجيج والشرفى والشعرى والديباج والمريش وسائر أنواع الحرير من سائر الالوان وأنواعها كبارا وصغارا منها ما يحمل خرقه وأوتاده وعمده وسائر عدته على عشرين بعيرا ودون ذلك وفوقه فالمسطح بيت مربع له اربع حيطان وسقف بستة اعمدة منها عمودان للحائط الواحد المرفوع للدخول والخروج والخيمة ظهرها حائط مربع وسقفها الى الباب حائط مربع وأركانها شوارك من الجانبين على قدر القائم وفيها اربعة اعمدة اثنان فى الباب واثنان فى وسطها وكلما زادت زاد عمدها وسقفها ولها حدان مشروكان من الجانبين والشراع حائط فى الظهر مسقف على الرأس بعمودين من أى موضع دارت الشمس حول الى ناحية الشمس والمشرعة فيه مثل المظلة على عمود واحد تام وشراع سابل خلفها من اى موضع دارت الشمس ادير والقبة على حالها * وحدثنى ابو الحسن على بن الحسن الخمى قال اخرجنا فى جملة ما اخرج من خزائن القصر أيام المارقين حين اشتدت المطالبة على السلطان فسطاطا كبيرا اكبر ما يكون يسمى المدورة الكبيرة يقوم على فرد عمود طوله خمسة وستون ذراعا بالكبير ودائر فلكته عشرون ذراعا وقطرها ستة اذرع وثلثا ذراع ودائره خمسمائة ذراع وعدة قطع خرقه اربع وستون قطعة كل قطعة منها تحزم فى عدل واحد يجمع بعضه الى بعض بعرى وشراريب حتى ينصب يحمل خرقه وحباله وعدته على مائة جمل وفى صفريته المعمولة من الفضة ثلاثة قناطير مصرية يحملها من داخلها قضبان حديد من سائر نواحيها تمتلئ ماء من راوية جمل قد صوّر فى رفرفه كل صورة حيوان فى الارض وكل عقد مليح وشكل ظريف وفيه باذهنج طوله ثلاثون ذراعا فى اعلاه كان ابو محمد الحسن بن عبد الرحمن البازورى أمر بعمله ايام وزارته فعمله الصناع وعدتهم مائة وخمسون صانعا فى مدة تسع سنين واشتملت النفقة عليه على ثلاثين ألف دينار وكان عمله على مثال القاتول الذى كان العزيز بالله امر بعمله ايام خلافته الا أن هذا أعلى عمودا منه وأوسع وأعظم وأحسن وكان الخليفة انفذ الى متملك الروم فى طلب عمودين للفسطاط طول كل واحد منهما سبعون ذراعا بعد أن غرم عليهما ألف دينار أحدهما فى هذا الفسطاط بعد أن قطع منه خمسة اذرع والآخر حمله ناصر الدولة بن حمدان حين خرج على الخليفة المستنصر بالله الى الاسكندرية وما ادرى ما فعل به قال وأقنا مدة طويلة فى تفصيل بعضه من بعض وتقطيعه خرقا وشققا وقوّمت على المذكورين بأقل القيم وتفرق فى الآفاق وقال لى أيضا أخرجنا مسطحا قلمونيا مخملا وجها من جانبيه عمل بتنيس للعزيز بالله يسمى دار البطيخ وسطه بكنيس على ستة اعمدة اربعة منها فى اركان الكنيس وفى اربعة الاركان أربع قباب ومن القبة الى القبة رواق دائر عليه والقباب دونه وفى كل قبة أربعة أعمدة طول كل عمود من أعمدة الكنيس ثمانية عشر ذراعا وكذلك طول قائم القباب وفعلنا به مثل ما فعلنا فى الاول وقال لى أخرجنا مسطحا عمل للظاهر لاعزاز دين الله بتنيس ذهب فى ذهب طميم قائم على عمود له ست صفارى بلور وستة أعمدة فضة انفق عليه أربعة عشر ألف دينار ومسطحا ديبقيا كبيرا مذهبا بدوائر كردوانى منقوش وأخرجنا قصورا تحيط بالخيام بشرفات من المخمل والقلمونى والديبقى والديباج الخسروانى والحرير من سائر أنواعه وألوانه المذهبة المنقوشة بحياضها ودككها ومصاطبها وقدورها وزجاجها وسائر عددها وأخرجنا من الخيام الكردوانى شيأ كثيرا وأخرجنا خيمة كبيرة مدوّرة كردوانى مليحة النقش والصنعة عدتها قطع كثيرة طول عمودها خمسة وثلاثون ذراعا فعلنا بجميعها مثل ما فعلنا بالاول وأخرج فى جملتها الفسطاط الكبير المعروف بالمدوّرة الكبيرة المتولى عمله بحلب ابو الحسن على بن احمد المعروف بابن الايسر فى سنى نيف وأربعين وأربعمائة المنفق على خرقه ونقشه وعمله وعدته ثلاثون ألف دينار الذى عموده أطول ما يكون من صوارى درامين الروم البنادقة أربعون ذراعا ودائر فلكة عموده أربعة وعشرون شبرا ويحمل على سبعين جملا ووزن صفريته الفضة قنطاران سوى أنابيب عمده ويتولى اتقان عمده ونصبه مائتا رجل من فرّاش وصناع وهو شبيه بالقاتول العزيزى وسمى بالقاتول لانه ما نصب قط الا وقتل رجلا أو رجلين ممن يتولى اتقانه من فرّاش وغيره قال ووجد فى خزائن مملوءة من سائر أنواع الصوانى المدهونة ببغداد المذهبة التى حشيت كل واحدة منها بما دونها فى السعة الى ما سعته دون الدرهم ومن سائر أنواع الاطباق الخلع الرازى فى هذه السعة وفوق ذلك ودونه قد حشيت بطونها بما دونها فى السعة الى ما سعته دون الدينار ومن الموائد القوائمية الصغار والكبار ألوف ومن موائد الكرم وما اشبهها شئ كثير ومن الجفان الدور الواسعة التى قد عملت مقابضها من الفضة وحليت بأنواع

الحلى التى لا يقدر الجمل القوى على حمل جفنتين منها لعظمها تساوى الواحدة منها مائة دينار وفوقها ودونها شئ كثير ووجد من الدكاك والمحاريب والاسرة العود والصندل و العاج والابنوس والبقم شئ كثير مليح الصنعة * وقال ابن ميسر وعمل الافضل بن امير الجيوش خيمة سماها خيمة الفرح اشتملت على ألف ألف واربعمائة ألف ذراع وقائمها ارتفاعه خمسون ذراعا بذراع العمل صرف عليها عشرة آلاف دينار ومدحها جماعة من الشعراء

(خزانة الشراب)

قال ابن المأمون ولم يكن فى الايوان فيما تقدم شراب حلو بل انها تزرت لاستقبال النظر المأمونى واطلق لها من السكر مائة وخمسة عشر قنطارا وبرسم الورد المربى خمسة عشر قنطارا وأما ما يستعمل بالكافورى من الحلو الفانيذ والحامض فالمبلغ فى ذلك على ما حصره شاهده فى السنة ستة الاف وخمسمائة دينار وما يحمل للكافورى أيضا برسم كرك الماورد ما يستدعيه متولى الشراب *وقال ابن الطوير خزانة الشراب وهى أحد مجالسه أيضا يعنى القاعة التى هى الآن المارستان العتيق فاذا جلس الخليفة على السرير عرض عليه ما فيها حاصلها وهو من كبار الاستاذين وشاهدها فيحضر اليه فراشوها بين يدى مستخدمها من عيون الاصناف العالية من المعاجين العجيبة فى الصينى والطباشير الخلنج فيذوق ذلك شاهدها بحضرته ويستخبر عن احوالها بحضور أطباء الخاص وفيها من الآلات والازيار الصينى والبرابى عدة عظيمة للورد والبنفسج والمرسين وأصناف الادوية من الراوند الصينى وما يجرى مجراه مما لا يقدر احد على مثله الا هنالك وما يدخل فى الادوية من آلات العطر الى ذلك ويسأل عن الدرياق الفاروق ويأمرهم بتحصيل اصنافه ليستدرك عمله قبل انقطاع الحاصل منه ويؤكد فى ذلك تأكيدا عظيما ويستأذن على ما يطلق منها برقاع اطباء الخاص للجهات وحواشى القصر فيأذن فى ذلك ويعطى الحامى للتفرقة فى الجماعة ثلاثين دينارا

(خزانة التوابل)

وقال ابن المأمون فأما التوابل العالى منها والدون فانها جملة كثيرة ولم يقع لى شاهدها بل انى اجتمعت بأحد من كان مستخدما فى خزانة التوابل فذكر أنها تشتمل على خمسين ألف دينار فى السنة وذلك خارج عما يحمل من البقولات وهى باب مفرد مع المستخدم فى الكافورى والذى استقر اطلاقه على حكم الاستمرار من الجرايات المختصة بالقصور والرواتب المستجدة والمطلق من الطيب ويذكر الطراز وما يبتاع من الثغور ويستعمل بها وغير ذلك فأولها جراية القصور وما يطلق لها من بيت المال ادرارا الاستقبال النظر المأمونى ستة آلاف وثلثمائة وثلاثة وأربعون دينارا تفصيله منديل الكم الخاص الآمرى فى الشهر ثلاثة آلاف دينار عن مائة دينار كل يوم اربع جمع الحمام فى كل جمعة مائة دينار أربعمائة دينار وبرسم الاخوة والاخوات والسيدة الملكة والسيدات والامير أبى على واخوته والموالى والمستخدمات ومن استجد من الافضليات ألفان وتسعمائة وثلاثة وأربعون دينارا ولم يكن للقصور فى الايام الافضلية من الطيب راتب فيذكر بل كان اذا وصلت الهدية والجاوى من البلاد اليمنية تحمل برمتها الى الايوان فينقل منها بعد ذلك للافضل والطيب المطلق للخليفة من جملتها فانفسخ هذا الحكم وصار المرتب من الطيب مياومة ومشاهرة على ما يأتى ذكره ما هو برسم الخاص الشريف فى كل شهر ند مثلث ثلاثون مثقالا عود صينى مائة وخمسة دراهم كافور قديم خمسة عشر درهما عنبر خام عشرة مثاقيل زعفران عشرون درهما ماء ورد ثلاثون رطلا برسم بخور المجلس الشريف فى كل شهر فى ايام السلام ند مثلث عشرة مثاقيل عود صينى عشرون درهما كافور قديم ثمانية دراهم زعفران شعر عشرة دراهم ماهو برسم بخور الحمام فى كل ليلة جمعة عن أربع جمع فى الشهر ند مثلث أربعة مثاقيل عود صينى عشرة مثاقيل ماهو برسم السيدات والجهات والاخوة فى كل شهر ند مثلث خمسة وثلاثون مثقالا عود صينى مائة وعشرون درهما زعفران شعر خمسون درهما عنبر خام عشرون مثقالا كافور قديم عشرون درهما مسك خمسة عشر مثقالا ماء ورد أربعون رطلا ماهو برسم المائدة الشريفة ما تستلمه المعلمة مسك خمسة عشر مثقالا ماء ورد خمسة عشر رطلا ماهو برسم خزانة الشراب الخاص مسك ثلاثة مثاقيل ند

مثلث سبعة مثاقيل عود صيني خمسة وثلاثون درهما ماء ورد عشرون رطلا ماهو برسم بخور المواكب السنة وهي الجمعتان الكائنتان في شهر رمضان برسم الجامعين بالقاهرة يعني الجامع الازهر والجامع الحاكمي والعيدان وعيد الغدير وأول السنة بالجوامع والمصلى ند خاص جملة كثيرة لم تتحقق فتذكر ولم يكن للغرتين غرة السنة وغرة شهر رمضان وفتح الخليج بخور فيذكر وعدة المبخرين في المواكب ستة ثلاثة عن اليمين وثلاثة عن الشمال وكل منهم مشدود الوسط وفي كمه فحم برسم تعجيل المدخنة والمداخن فضة وحامل الدرج الفضة الذي فيه البخور أحد مقدمي بيت المال وهو فيما بين المبخرين طول الطريق ويضع بيده البخور في المدخنة واذا مات أحد هؤلاء المبخرين لا يخدم عوضا عنه الامين يتبرع بمدخنة فضة لان لهم رسوما كثيرة في المواسم مع قربهم في المواكب من الخليفة ومن الوقت الذي يتبرع فيه بالمدخنة يرجع في حاصل بيت المال واذا توفي حاملها لا ترجع لورثته وعدة ما يبخر في الجوامع والمصلى غير هؤلاء في مداخن كبار في صواني فضة ثلاث صوان في المحراب احداهن وعن يمين المنبر وشماله اثنتان وفي الموضع الذي يجلس فيه الخليفة الى أن تقام الصلاة صينية رابعة وأما البخور المطلق برسم المأمون فهو في كل شهر ند مثلث خمسة عشر مثقالا عود صيني ستون درهما عنبر خام ستة مثاقيل كافور ثمانية دراهم زعفران شعر عشرة دراهم ماء ورد خمسة عشر رطلا ومنها مقرر الجامع وما قرر من خزانة التفرقة في كل يوم اثنا عشر مجمعا كل بيت عياره رطل واحد ولكل مجمع ثلاثة ارطال جبن قريش وفاكهة بنصف درهم والمستقر لهذا الجامع في كل يوم من اللبن خمسة وثمانون رطلا ومنها مقرر الحلوى والفستق ومما استجد ما يعمل في الايوان برسم الخاص في كل يوم من الحلوى اثنا عشر جاما رطبة ويابسة نصفين وزن كل جام من الرطب عشرة ارطال ومن اليابس ثمانية ارطال ومقرر الخشكانج والبسندود في كل ليلة على الاستمرار برسم الخاص الآمري والمأموني قنطار واحد سكر ومثقالان مسك وديناران برسم المؤن لعمل خشكانج وبسندود في قعبان وسلال صفصاف ويحمل ثلثا ذلك الى القصر والثلث الى الدار المأمونية قال وجرت مفاوضة بين متولي بيت المال ودار الفطرة بسبب الاصناف ومن جملتها الفستق وقلة وجوده وتزايد سعره الى أن بلغ رطل ونصف بدينار وقد وقف منه لارباب الرسوم ما حصل شكواهم بسببه فجاوبه متولي الديوان بأن قال ما تم موجب الانفاق لما هو راتب من الديوان وطالع المقام العالي بأنه لما رسم لهما ذكرا جميع ما اشتمل عليه ما هو مستقر الانفاق من قلب الفستق والذي يطلق من الخزائن من قلب الفستق ادرارا مستقرا بغير استدعاء ولا توقيع مياومة كل يوم حسابا في الشهر التام عن ثلاثين يوما خمسمائة وخمسة وثمانون رطلا وفي الشهر الناقص عن تسعة وعشرين يوما خمسمائة وخمسة وستون رطلا حسابا عن كل يوم تسعة عشر رطلا ونصف من ذلك ما يستلمه الصناع الحلاويون والمستخدمون بالايوان مما يصنع به خاص خارجا عما يصنع بالمطابخ الآمرية عن اثني عشر جام حلوى خاص وزنها مائة وثمانية ارطال منها رطب ستون رطلا ويابس وغيره ثمانية وأربعون رطلا مما يحمل في يومه وساعته منها ما يحمل مختوما برسم المائدتين الآمريتين بالباذهنج والدار الجديدة اللتين ما يحضرهما الامن كبرت منزلته وعظمت وجاهته جامان رطبا ويابسا وما يفرق في العوالي من الموالي والجهات على اوضاع مختلفة تسع جامات وما يحمل الى الدار المأمونية برسم المائدة بالدار دون السماط جام واحد تتمة المياومة المذكورة ما يتسلمه مقدم الفراشين في خدمة المائدة الشريفة التي تتولاها المعلمة بالقصور الزاهرة أربعة ارطال فستق ما يتسلمه الشاهد والمشارف على المطابخ الآمرية مما يصنع فيها برسم الجامات الحلوى وغيره مما يكون على المدورة في الاسمطة المستمرة بقاعة الذهب في ايام السلام وفي ايام الركوبات وحلول الركاب بالمناظر أربعة ارطال وما يتسلمه الحاج مقبل الفراش برسم المائدة المأمونية مما يوصله لزمام الدار دون المطابخ الرجالية رطلان الحكم الثاني يطلق مشاهرة بغير توقيع ولا استدعاء باسماء كبراء الجهات والمستخدمين من الاصحاب والحواشي في الخدم المميزة وهو في الشهر ثلاثة عشر رطلا والديوان شاهد باسماء أربابه وما يطلق من هذه الخزائن السعيدة بالاستدعاآت والمطالعات ويوقع عليه بالاطلاق من هذا الصنف في كل سنة على ما يأتي ذكره وما يستدعى برسم التوسعة في الراتب عند تحويل الركاب العالي الى اللؤلؤة مدة ايام النيل المبارك في كل يوم رطلان وما يستدعى برسم الصيام مدة تسعة وخمسين يوما رجب وشعبان حسابا عن كل يوم رطلان مائة وثمانية عشر رطلا

ومايستدعى لما يصنع بدار الفطرة فى كل ليلة برسم الخاص خشكانج لطيفة وبسندود وجوارشات ونواطف ويحمل فى سلال صفصاف لوقته عن مدة أولها مستهل رجب وآخرها سلخ رمضان عن تسعة وثمانين يوما مائة وثمانية وسبعون رطلا لكل ليلة رطلان ويسمى ذلك بالتعبية ومايستدعيه صاحب بيت المال ومتولى الديوان فيما يصنع بالايوان الشريف برسم الموالد الشريفة الاربعة النبوى والعلوى والفاطمى والآمرى مما هو برسم الخاص والموالى والجهات بالقصور الزاهرة والدار المأمونية والاصحاب والحواشى خارجا عما يطلق مما يصنع بدار الوكالة ويفرق على الشهود والمتصدرين والفقراء والمساكين مما يكون حسابه من غير هذه الخزائن عشرون رطلا قلب فستق حسابا لكل يوم مزيد منها خمسة ارطال مايستدعى برسم ليالى الوقود الاربع الكائنات فى رجب وشعبان مما يحمل بالايوان برسم الخاصين والقصور خاصة عشرون رطلا لكل ليلة خمسة ارطال وأما ما ينصرف فى الاسمطة والليالى المذكورات فى الجامع الازهر بالقاهرة والجامع الظاهرى بالقرافة فالحكم فى ذلك يخرج عن هذه الخزائن ويرجع الى مشارف الدار السعيدة وكذلك مايستدعيه المستخدمون فى المطابخ الآمرية من التوسعة من هذا الصنف المذكور فى جملة غيره برسم الاسمطة لمدة تسعة وعشرين يوما من شهر رمضان وسلخه لاسماط فيه وفى الاعياد جميعها بقاعة الذهب ومايستدعيه النائب برسم ضيافة من يصرف من الامراء فى الخدم الكبار ويعود الى الباب ومن يرد اليه من جميع الضيوف ومايستدعيه المستخدمون فى دار الفطرة برسم فتح الخليج وهى الجلتان الكبيرتان فجميع ذلك لم يكن فى هذه الخزائن محاسبته ولاذكر جملته والمعاملة فيه مع مشارف الدار السعيدة وأما مايطلق من هذا الصنف من هذه الخزائن فى هذه الولائم والافراح وارسال الانعام فهو شئ لم تحقق اوقاته ولامبلغ استدعائه أنهى المملوكان ذلك والمجلس فضل السمو والقدرة فيما يأمر به ان شاء الله تعالى

* (دار التعبية) *

قال ابن المأمون دار التعبية كانت فى الايام الافضلية تشتمل على مبلغ يسير فانتهى الامر فيها الى عشرة دنانير كل يوم خارجا عما هو موظف على البساتين السلطانية وهو النرجس والنينوفران الاصفر والاحمر والنخل الموقوف برسم الخاص ومايصل اليه من الفيوم وثغر الاسكندرية ومن جملتها تعبية القصور للجهات والخاص والسيدات ولدار الوزارة وتعبية المناظر فى الركوبات الى الجمع فى شهر رمضان خارجا عن تعبية الحامات ومايحمل كل يوم من الزهرة وبرسم خزانة الكسوة الخاص وبرسم المائدة وتفرقة الثمرة الصيفية فى كل سنة على الجهات والامراء والمستخدمين والحواشى والاصحاب ومايحمل لدار الوزارة والضيوف وحاشية دار الوزارة

* (خزانة الادم) *

قال وأما الراتب من عندبركات الادمى فانه فى كل شهر ثمانون زوجا اوطية من ذلك برسم الخاص ثلاثون زوجا برسم الجهات أربعون زوجا برسم الوزارة عشرة أزواج خارجا عن السباعيات فانها تستدعى من خزانة الكسوة وفى كل موسم تكون مذهبة

* (خزائن دار افتكين) *

قال ابن الطوير وكانت لهم دار كبرى يسكنها نصر الدولة أفتكين الذى وافق نزار بن المستنصر بالاسكندرية جعلوها برسم الخزن فقيل خزائن دار أفتكين وتحتوى على أصناف عديدة من الشمع المحمول من الاسكندرية وغيرها وجميع القلوب المأكولة من الفستق وغيره والاعسال على اختلاف أصنافها والسكر والقند والشيرج والزيت فيخرج من هذه الخزائن بيد حاميها وهو من الاستاذين المميزين ومشارفها وهو من المعدلين راتب المطابخ خاصا وعاما اليوم اولايام ينفق منها للمستخدمين ثم لارباب التوقيعات من الجهات وأرباب الرسوم فى كل شهر من ارباب الرتب حتى لايخرج عما يحتاجونه فيها الا اللحم والخضراوات فهى أبدا معمورة بذلك انتهى

* (خبر

(خبر نزار وأفتكين) لما مات الخليفة المستنصر بالله ابو تميم معد بن الامام الظاهر لاعزاز دين الله أبى الحسن على بن الحاكم بأمر الله أبى على منصور فى ليلة الخميس الثامن عشر من ذى الحجة سنة سبع وثمانين وأربعمائة بادر الافضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى الى القصر وأجلس أبا القاسم احمد بن المستنصر فى منصب الخلافة ولقبه بالمستعلى بالله وسير الى الامير نزار والامير عبد الله والامير اسماعيل اولاد المستنصر فجاؤا اليه فاذا اخوهم أحمد وهو أصغرهم قد جلس على سرير الخلافة فامتعضوا لذلك وشق عليهم وأمرهم الافضل بتقبيل الارض وقال لهم قبلوا الارض لمولانا المستعلى بالله وبايعوه فهو الذى نص عليه الامام المستنصر قبل وفاته بالخلافة من بعده فامتنعوا من ذلك وقال كل منهم ان أباه قد وعده بالخلافة وقال نزار لو قطعت ما بايعت من هو أصغر منى سنا وخط والدى عندى بأنى ولى عهده وأنا احضره وخرج مسرعا ليحضر الخط فمضى لايدرى به أحد وتوجه الى الاسكندرية فلما أبطأ مجيئه بعث الافضل اليه ليحضر بالخط فلم يعلم له خبرا فانزعج لذلك انزعاجا عظيما وكانت نفرة نزار من الافضل لامور منها أنه خرج يوما فاذا بالافضل قد دخل من باب القصر وهو راكب فصاح به نزار انزل يا أرمنى الجنس فحقدها عليه وصار كل منهما يكره الآخر ومنها أن الافضل كان يعارض نزارا فى ايام أبيه ويستخف به ويضع من حواشيه واسبابه ويبطش بغلمانه فلما مات المستنصر خافه لانه كان رجلا كبيرا وله حاشية واعوان فقدم لذلك احمد بن المستنصر بعدما اجتمع بالامراء وخوفهم من نزار ومازال بهم حتى وافقوه على الاعراض عنه وكان من جملتهم محمود بن مصال فسير خفية الى نزار وأعلمه بما كان من اتفاق الافضل مع الامراء على اقامة أخيه احمد وادارته اهم عنه فاستعد الى المسير الى الاسكندرية هو وابن مصال فلما فارق الافضل ليحضر اليه بخط أبيه خرج من القصر متنكرا وسار هو وابن مصال الى الاسكندرية وبها الامير نصر الدولة أفتكين أحد مماليك امير الجيوش بدر الجمالى ودخلا عليه ليلا وأعلماه بما كان من الافضل وترا ميا عليه ووعده نزار بأن يجعله وزيرا مكان الافضل فقبلهما أتم قبول وبايع نزارا وأحضر أهل الثغر لمبايعته فبايعوه ونعته بالمصطفى لدين الله فبلغ ذلك الافضل فأخذ يتجهز لمحاربتهم وخرج فى آخر المحرم سنة ثمان وثمانين بعساكره وسار الى الاسكندرية فبرز اليه نزار وأفتكين وكانت بين الفريقين عدة حروب شديدة انكسر فيها الافضل ورجع بمن معه منهزما الى القاهرة فقوى نزار وأفتكين وصار اليهما كثير من العرب واشتد امر نزار وعظم واستولى على بلاد الوجه البحرى وأخذ الافضل يتجهز ثانيا الى المسير لمحاربة نزار ودس الى اكابر العربان ووجوه اصحاب نزار وافتكين وصاروا الى الاسكندرية فنزل الافضل اليها وحاصرها حصارا شديدا والح فى مقاتلتهم وبعث الى اكابر اصحاب نزار ووعدهم فلما كان فى ذى القعدة وقد اشتد البلاء من الحصار جمع ابن مصال ماله وفر فى البحر الى جهة بلاد المغرب ففت ذلك فى عضد نزار وتبين فيه الانكسار واشتد الافضل وتكاثرت جموعه فبعث نزار وأفتكين اليه يطلبان الامان منه فامنهما ودخل الاسكندرية وقبض على نزار وافتكين وبعث بهما الى القاهرة فأما نزار فانه قتل فى القصر بأن اقيم بين حائطين بنيا عليه فمات بينهما وأما افتكين فانه قتله الافضل بعد قدومه وداراً فتكين هذه كانت خارج القصر وموضعها الآن حيث مدرسة القاضى الفاضل وآدره بدرب ملوخيا

(خزانة البنود)

البنود هى الرايات والاعلام ويشبه أن تكون هى التى يقال لها فى زمننا العصائب السلطانية وكانت خزانة البنود ملاصقة للقصر الكبير ومن حقوقه فيما بين قصر الشوك وباب العيد بناها الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله ابو هاشم على بن الحاكم بأمر الله وكان فيها ثلاثة آلاف صانع مبرزين فى سائر الصنائع وكانت ايام الظاهر هذا سكونا وطمأنينة وكان مشتغلا بالاكل والشرب والتنزه وسماع الاغانى وفى زمانه تأنق اهل مصر والقاهرة فى اتخاذ الاغانى والرقاصات وبلغ من ذلك المبالغ العجيبة واتخذت له حجرة المماليك وكانوا يعلمونهم فيها انواع العلوم وأنواع آلة الحرب وصنوف حيلها من الرماية والمطاعنة والمسابقة وغير ذلك *وقال فى كتاب الذخائر والتحف ولماوهب السلطان يعنى الخليفة المستنصر لسعد الدولة المعروف بسلام عليك ما فى خزانة البنود من جميع المتاع والآلات وغير ذلك فى اليوم السادس من صفر سنة احدى وستين وأربعمائة حمل جميعه ليلا وكان فيما وجد

سعد الدولة فيها ألفا وتسعمائة درقة الى ما سوى ذلك من آلات الحرب وما سواه وغير ذلك من القضب الفضة والذهب والبنود وما سواه وفي خلال ذلك سقط من بعض الفراشين مقط شمع موقد نارا فصادف هنالك أعدال كتان ومتاعا كثيرا فاحترق جميعه وكانت لتلك غلبة عظيمة وخوف شديد فيما يليها من القصر ودور العامة والاسواق وأعلمني من له خبرة بما كان في خزانة البنود أن مبلغ ما كان فيها من سائر الآلات والامتعة والذخائر لا يعرف له قيمة عظما وان المنفق فيها كل سنة من سبعين ألف دينار الى ثمانين ألف دينار من وقت دخول القائد جوهر وبناء القصر من سنة ثمان وخمسين وثلثمائة الى هذا الوقت وذلك زائد عن مائة سنة وان جميعه باق فيها على الايام لم يتغير وان جميعه احترق حتى لم يبق منه باقية ولا اثر وانه احترق في هذه الليلة من قربات النفط عشرات الوف ومن زراقات النفط أمثالها فأما الدرق والسيوف والرماح والنشاب فلا تحصى بوجه ولا سبب مع ما فيها من قضب الفضة وثيابها المذهبة وغيرها والبنود المجملة وسروج ولجم وثياب الفرحية المصبغات والبنادين وغيرها بعد أن أخذوا ما قدروا عليه حتى لواء الحمد وسائر البنود وجميع العلامات والالوية وحدثني من أثق به أيضا انه احترق فيها من السيوف عشرات ألوف وما لا يحصى كثرة وان السلطان بعد ذلك بمدة طويلة احتاج الى اخراج شئ من السلاح لبعض مهماته فاخرج من خزانة واحدة مما بقي وسلم خمسة عشر ألف سيف مجوهرة سوى غيرها حدثني بجميعه الاجل عظيم الدولة متولي الستر الشريف انتهى * وجعلت خزانة البنود بعد هذا الحريق حبسا وفيها يقول القاضي المهذب بن الزبير لما اعتقل بها وكتب بها للكامل ابن شاور

أيا صاحبي سجن الخزانة خليا * نسيم الصبا يرسل الى كبدي نفحا
وقولا لضوء الصبح هل أنت عائد * الى ناظري أم لا أرى بعدها صبحا
ولا تيأسا من رحمة الله أن أرى * سريعا بفضل الكامل العفو والصفحا

وقال

أيا صاحبي سجن الخزانة خليا * من الصبح ما يبدو سناه لناظري
فوالله ما أدري أطرفي ساهر * على طول هذا الليل ام غير ساهر
ومالي من أشكو اليه اذا كما * سوى ملك الدنيا شجاع بن شاور

واستمرت سجنا للامراء والوزراء والاعيان الى أن زالت الدولة فاتخذها ملوك بني أيوب أيضا سجنا تعتقل فيه الامراء والمماليك * ومن غريب ما وقع بها أن الوزير أحمد بن علي الجرجراي لما توفي طلب الوزارة الحسن بن علي الانباري فأجيب اليها فتعجل من سوء التدبير قبل تمامه ما فوّته مراده وضيع ماله ونفسه وذلك انه كان قد نبغ في أيام الحاكم بأمر الله أخوان يهوديان يتصرف أحدهما في التجارة والآخر في الصرف وبيع ما يحمله التجار من العراق وهما أبو سعد ابراهيم وأبو نصر هرون ابنا سهل التستري واشتهر من أمرهما في البيوع واظهار ما يحصل عندهما من الودائع الخفية لمن يفقد من التجار في القرب والبعد ما ينشأ به جميل الذكر في الآفاق فاتسع حالهما لذلك واستخدم الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله أبا سعد ابراهيم بن سهل التستري في ابتياع ما يحتاج اليه من صنوف الامتعة وتقدم عنده فباع له جارية سوداء فتحظى بها الظاهر وأولدها ابنه المستنصر فرعت لابي سعد ذلك فلما أفضت الخلافة الى المستنصر ولدها قدمت أبا سعد وتخصصت به في خدمتها فلما مات الوزير الجرجراي وتكلم ابن الانباري في الوزارة قصده أبو نصر أخو أبي سعد فجبهه أحد أصحابه بكلام مؤلم فظن أبو نصر أن الوزير ابن الانباري اذا بلغه ذلك ينكر على غلامه ويعتذر اليه فجاء منه خلاف ما ظنه وبلغه عنه أضعاف ما سمعه من الغلام فشكا ذلك الى أخيه أبي سعد وأعلمه بأن الوزير متغير النية لهما فلم يفتر أبو سعد عن ابن الانباري وأغرى به أم المستنصر مولاته فتحدثت مع ابنها الخليفة المستنصر في أمره حتى عزله عن الوزارة فسعى أبو سعد عند أم المستنصر لابي نصر صدقة بن يوسف الفلاحي في الوزارة فاستوزره المستنصر وتولى أبو سعد الاشراف عليه وصار الوزير الفلاحي منقادا لابي سعد تحت حكمه وأخذ الفلاحي يعمل على ابن الانباري ويغري به ويصنع عليه ذنوبا ويذكر عنه ما يوجب الغضب عليه حتى تم له ما يريد فقبض عليه وخرج عليه من الدواوين أموالا كثيرة مما كان يتولاه قديما وألزمه بحملها ونوّع له أصناف العذاب واستصفى أمواله وهو معتقل

بخزانة البنود ثم قتله في يوم الاثنين الخامس من المحرم سنة أربعين واربعمائة بها فاتفق أن الفلاحي لما صرف عن الوزارة اعتقل بخزانة البنود حيث كان ابن الانبارى ثم قتل بها وحفر له ليدفن فظهر في الحفر رأس ابن الانبارى قبل أن يمضى فيه القتل فقال لا اله الا الله هذا رأس ابن الانبارى انا قتلته ودفنته ههنا وأنشد

رب لحد قد صار لحدا مرارا ✽ ضاحكا من تزاحم الاضداد

فقتل ودفن في تلك الحفرة مع ابن الانبارى فعد ذلك من غرائب الاتفاق ✽ ثم ان خزانة البنود جعلت منازل للاسرى من الفرنج المأسورين من البلاد الشامية ايام كانت محاربة المسلمين لهم فأنزل بها الملك الناصر محمد بن قلاون الاسارى بعد حضوره من الكرك وأبطل السجن بها فلم يزالوا فيها بأهاليهم واولادهم في ايام السلطان الملك الناصر محمد بن قلاون فصار لهم فيها افعال قبيحة وأمور منكرة شنيعة من التجاهر ببيع الخمر والتظاهر بالزنا واللياطة وحماية من يدخل اليها من أرباب الديون واصحاب الجرائم وغيرهم فلا يقدر أحد ولو جل على أخذ من صار اليهم واحتمى بهم والسلطان يغضى عنهم لما يرى في ذلك من مراعاة المصلحة والسياسة التي اقتضاها الحال من مهادنة ملوك الفرنج وكان يسكن بالقرب منها الامير الحاج آل ملك الجوكندار ويبلغه ما يفعله الفرنج من العظائم الشنيعة فلا يقدر على منعهم وفحش امرهم فرفع الخبر الى السلطان واكثر من شكايتهم غير مرة والسلطان يتغافل عن ذلك الى أن كثرت مفاوضة الحاج آل ملك للسلطان في امرهم فقال له السلطان انتقل أنت عنهم يا امير فلم يسعه الا الاعراض عن ذلك وعمر داره التي بالحسينية والاصطبل والجامع المعروف بآل ملك والحمام والفندق وانتقل من داره التي كان فيها بجوار خزانة البنود وسكن بالحسينية الى أن مات السلطان الملك الناصر في اخريات سنة احدى وأربعين وسبعمائة وتنقل الملك في اولاده الى أن جلس الملك الصالح عماد الدين اسمعيل ابن الملك الناصر محمد بن قلاون وضرب شورى على من يكون نائب السلطنة بالديار المصرية يدبر أحوال المملكة كما كانت العادة في ذلك مدة الدولة التركية فأشير بتولية الامير بدر الدين جنكل بن البابا فتنصل من ذلك وأبى قبوله فعرضت النيابة على الامير الحاج آل ملك فاستبشر وقال لى شروط اشرطها على السلطان فان أجابني اليها فعلت ما رسم به وهي أن لا يفعل شئ في المملكة الا برأيي وأن يمنع الناس من شرب الخمر ويقام منار الشرع ولا يعترض على أمر من الامور فاجيب الى ما سأل وأحضرت التشاريف فأفيضت عليه بالجامع من قلعة الجبل في يوم الجمعة الثاني عشر من المحرم سنة أربع وأربعين وسبعمائة وأصبح يوم السبت جالسا في دار النيابة من القلعة وحكم بين الناس وأول ما بدأ به أن أمر والى القاهرة بالنزول الى خزانة البنود وأن يحتاط على جميع ما فيها من الخمر والفواحش ويخرج الاسرى منها ويهدمها حتى يجعلها دكا ويسوى بها الارض فنزل اليها ومعه الحاجب في عدة وافرة وهجموا على من فيها وهم آمنون وأحاطوا بسائر ما تشتمل عليه وقد اجتمع من العامة والغوغاء ما لا يقع عليه حصر فأراقوا منها خمورا كثيرة تتجاوز الحد في الكثرة وأخرج من كان فيها من النساء البغايا وغيرهن من الشباب وأرباب الفساد وقبض على الفرنج والارمن وهدمها حتى لم يبق لها اثر ونودى في الناس فحكروها وبنوا فيها الدور والطواحين على ما هي عليه الآن وأمر بالاسرى فأنزلوا بالقرب من المشهد النفيسي بجوار كيمان مصر فهم هنالك الى الآن وأنزل من كان منهم أيضا بقلعة الجبل فأسكنوا معهم وطهر الله تلك الارض منهم وأراح العباد من شرهم فانها كانت شر بقعة من بقاع الارض يباع فيها لحم الخنزير على الوضم كما يباع لحم الضأن ويعصر فيها من الخمور في كل سنة ما لا يستطيع أحد حصره حتى يقال انه كان يعصر بها في كل سنة اثنان وثلاثون ألف جرة خمر ويباع فيها الخمر نحو اثنى عشر رطلا بدرهم الى غير ذلك من سائر انواع الفسوق

✽(دار الفطرة)✽

قال ابن الطوير دار الفطرة خارج القصر بناها العزيز بالله وهو أول من بناها وقرر فيها ما يعمل مما يحمل الى الناس في العيد وهي قبالة باب الديلم من القصر الذي يدخل منه الى المشهد الحسيني ويكون مبدأ الاستعمال فيها وتحصيل جميع اصنافها من السكر والعسل والقلوب والزعفران والطيب والدقيق لاستقبال النصف الثاني من شهر رجب كل سنة ليلا ونهارا من الخشكنانج والبسندود وأصناف الفانيذ الذي يقال له كعب

الغزال والبرماورد والفستق وهو شوابير مثال الصنج والمستخدمون يرفعون ذلك الى اماكن وسيعة مصونة فيحصل منه فى الحاصل شئ عظيم هائل بيد مائة صانع للعلاو بين مقدم وللخشكانيين آخر ثم يندب لها مائة فراش لحمل طيافير للتفرقة على ارباب الرسوم خارجا عمن هو مرتب لخدمتها من الفراشين الذين يحفظون رسومها ومواعينها الحاصلة بالدائم وعدتهم خمسة فيحضر اليها الخليفة والوزير معه ولا يصحبه فى غيرها من الخزائن لانها خارج القصر وكلها للتفرقة فيجلس على سريرها ويجلس الوزير على كرسى ملين على عادته فى النصف الثانى من شهر رمضان ويدخل معه قوم من الخواص ثم يشاهد ما فيها من تلك الحواصل المعمولة المعباة مثل الجبال من كل صنف فيفرقها من ربع قنطار الى عشرة ارطال الى رطل واحد وهو اقلها ثم ينصرف الخليفة والوزير بعد أن ينعم على مستخدميها بستين دينارا ثم يحضر الى حاميها ومشارفها الادعية المعمولة المخرجة من دفتر المجلس كل دعو لتفريق فريق من خاص وغيره حتى لا يبقى أحد من ارباب الرسوم الا واسمه وارد فى دعو من تلك الادعية ويندب صاحب الديوان الكتاب المسلمين فى الديوان فيسيرهم الى مستخدميها فيسلم كل كاتب دعوا أو دعوين أو ثلاثة على كثرة ما يحتويه وقلته ويؤمر بالتفرقة من ذلك اليوم فيقدمون أبدا مائتى طيفور من العالى والوسط والدون فيحملها الفراشون برقاع من كتاب الادعية باسم صاحب ذلك الطيفور علا أو دنا وينزل اسم الفراش بالدعو أو عريفه حتى لا يضيع منها شئ ولا يختلط ولا يزال الفراشون يخرجون بالطيافير ملأى ويدخلون بها فارغة فمقدار ما تحمل المائة الاولى عبيت المائة الثانية فلا يفتر ذلك طول التفرقة فأجل الطيافير ما عدد خشكانه مائة حبة ثم الى سبعين وخمسين ويكون على صاحب المائة طرحة فوق قوارته ثم الى خمسين ثم الى ثلاث وثلاثين ثم الى خمس وعشرين ثم الى عشرين ونسبة منثور كل واحد على عدد خشكانه ثم العبيد السودان بغير طيافير كل طائفة يتسلم لها عرفاؤها فى أفراد الخواص لكل طائفة على مقدارها الثلاثة الافراد والخمسة والسبعة الى العشرة فلا يزالون كذلك الى أن ينقضى شهر رمضان ولا يفوت أحدا شئ من ذلك ويتهاداه الناس فى جميع الاقليم قال وما ينفق فى دار الفطرة فيما يفرق على الناس منها سبعة آلاف دينار *

وقال ابن عبد الظاهر دار الفطرة بالقاهرة قبالة مشهد الامام الحسين عليه السلام وهى الفندق الذى بناه الامير سيف الدين بهادر الآن فى سنة ست وخمسين وستمائة اول من رتبها الامام العزيز بالله وهو أول من سنها وكانت الفطرة قبل أن ينتقل الافضل الى مصر تعمل بالايوان وتفرق منه وعندما تحول الى مصر نقل الدواوين من القصر اليها واستجد لها مكانا قبالة دار الملك بايوانى المكاتبات والانشاء فانهما كانا بقرب الدار ويتوصل اليهما من القاعة الكبرى التى فيها جلوسه ثم استجد للفطرة دارا عملت بعد ذلك وراقة وهى الآن دار الامير عز الدين الافرم بمصر قبالة دار الوكالة وعملت بها الفطرة مدة وفرق منها الا ما يخص الخليفة والجهات والسيدات والمستخدمات والاستاذين فانه كان يعمل بالايوان على العادة ولما توفى الافضل وعادت الدواوين الى مواضعها انهى خاصة الدولة ريحان وكان يتولى بيت المال ان المكان بالايوان يضيق بالفطرة فأمر المأمون أن يجمع المهندسين ويقطع قطعة من اصطبل الطارمة يبنيه دار الفطرة فانشأ الدار المذكورة قبالة مشهد الحسين والباب الذى بمشهد الحسين يعرف بباب الديلم وصار يعمل بها ما استجد من رسوم المواليد والوقودات وعقدت لها جلتسان احداهما وجدت فسطرت وهى عشرة آلاف دينار خارجا عن جوارى المستخدمين والجلة الثانية فصلت فيها الاصناف وشرحها دقيق ألف حملة سكر سبعمائة قنطار قلب فستق ستة قناطير قلب لوز ثمانية قناطير قلب بندق أربعة قناطير تمر أربعمائة اردب زبيب ثلثمائة أردب خل ثلاثة قناطير عسل نحل خمسة عشر قنطارا شيرج مائتا قنطار حطب ألف ومائتا حملة سمسم أردبان آنيسون أردبان زيت طيب برسم الوقود ثلاثون قنطارا ماورد خمسون رطلا مسك خمس نوافج كافور قديم عشرة مثاقيل زعفران مطحون مائة وخمسون درهما وبيد الوكيل برسم المواعين والبيض والسقائين وغير ذلك من المؤن على ما يحاسب به وبرفع المحازيم خمسمائة دينار * ووجدت بخط ابن ساكن قال كان المرتب فى دار الفطرة ولها ما يذكر وهو زيت طيب برسم القناديل خمسة عشر قنطارا مقاطع سكندرى برسم القوارات ثلثمائة مقطع طيافير جدد برسم السماط ثلثمائة طيفور شمع برسم السماط وتوديع الامراء ثلاثون قنطارا أجرة الصناع ثلثمائة دينار جارى الحامى مائة وعشرون دينارا جارى العامل والمشارف مائة

وثمانون دينارا وشقة ديبقي بياض حريري ومنديل ديبقي كبير حريري وشقة سقلاطون اندلسي يلبسها مقدام الفطرة يوم حملها ليفرق طيافير الفطرة على الامراء وأرباب الرسومات وعلى طبقات الناس حتى يعم الكبير والصغير والضعيف والقوي ويبدأ بها من اول رجب الى آخر رمضان * (ذكر ما اختص من صفة الطيافير) * الاعلى منها طيفور فيه مائة حبة خشكنانج وزنها مائة رطل وخمسة عشر قطعة حلاوة زنتها مائة رطل سكر سليماني وغيره عشرة ارطال قلوبات ستة ارطال بسندود عشرون حبة كعك وزبيب وتمر قنطار جملة الطيفور ثلاثة قناطير وثلث الى مادون ذلك على قدر الطبقات الى عشر حبات * وقال ابن أبي طي وعمل المعز لدين الله دارا سماها دار الفطرة فكان يعمل فيها من الخشكنانج والحلواء والبسندود والفانيذ والكعك والتمر والبندق شيء كثير من اول رجب الى نصف رمضان فيفرق جميع ذلك في جميع الناس الخاص والعام على قدر منازلهم في اوان لا تستعاد وكان قبل ليلة العيد يفرق على الامراء الخيول بالمراكب الذهب والخلع النفيسة والطراز الذهب والثياب برسم النساء

* (المشهد الحسيني) *

قال الفاضل محمد بن علي بن يوسف بن ميسر وفي شعبان سنة احدى وتسعين وأربعمائة خرج الافضل بن أمير الجيوش بعساكر جمة الى بيت المقدس وبه سكمان وايلغازي ابنا ارتق في جماعة من اقاربهما ورجالهما وعساكر كثيرة من الاتراك فراسلهما الافضل يلتمس منهما تسليم القدس اليه بغير حرب فلم يجيباه لذلك فقاتل البلد ونصب عليها المجانيق وهدم منها جانبا فلم يجدا بدا من الاذعان له وسلماه اليه فخلع عليهما وأطلقهما وعاد في عساكره وقد ملك القدس فدخل عسقلان وكان بها مكان دارس فيه رأس الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما فأخرجه وعطره وحمله في سفط الى اجل دار بها وعمر المشهد فلما تكامل حمل الافضل الرأس الشريف على صدره وسعى به ماشيا الى أن احله في مقره وقيل ان المشهد بعسقلان بناه أمير الجيوش بدر الجمالي وكمله ابنه الافضل وكان حمل الرأس الى القاهرة من عسقلان ووصوله اليها في يوم الاحد ثامن جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة وكان الذي وصل بالرأس من عسقلان الأمير سيف المملكة تميم واليها كان والقاضي المؤتمن بن مسكين مشارفها وحصل في القصر يوم الثلاثاء العاشر من جمادى الآخرة المذكور * ويذكر أن هذا الرأس الشريف لما أخرج من المشهد بعسقلان وجد دمه لم يجف وله ريح كريح المسك فقدم به الاستاذ مكنون في عشاري من عشاريات الخدمة وأنزل به الى الكافوري ثم حمل في السرداب الى قصر الزمرذ ثم دفن عند قبة الديلم بباب دهليز الخدمة فكان كل من يدخل الخدمة يقبل الارض أمام القبر وكانوا ينحرون في يوم عاشوراء عند القبر الابل والبقر والغنم ويكثرون النوح والبكاء ويسبون من قتل الحسين ولم يزالوا على ذلك حتى زالت دولتهم * وقال ابن عبد الظاهر مشهد الامام الحسين صلوات الله عليه قد ذكرنا أن طلائع بن رزيك المنعوت بالصالح كان قد قصد نقل الرأس الشريف من عسقلان لما خاف عليها من الفرنج وبنى جامعه خارج باب زويلة ليدفنه به ويفوز بهذا الفخار فغلبه أهل القصر على ذلك وقالوا لا يكون ذلك الا عندنا فعمدوا الى هذا المكان وبنوه له ونقلوا الرخام اليه وذلك في خلافة الفائز على يد طلائع في سنة تسع وأربعين وخمسمائة * وسمعت من يحكي حكاية يستدل بها على بعض شرف هذا الرأس الكريم المبارك وهي أن السلطان الملك الناصر رحمه الله لما أخذ هذا القصر وشى اليه بخادم له قدر في الدولة المصرية وكان زمام القصر وقيل له انه يعرف الاموال التي بالقصر والدفائن فأخذ وسئل فلم يجب بشيء وتجاهل فأمر صلاح الدين نوابه بتعذيبه فأخذه متولي العقوبة وجعل على رأسه خنافس وشد عليها قرمزية وقيل ان هذه أشد العقوبات وان الانسان لا يطيق الصبر عليها ساعة الا تنقب دماغه وتقتله ففعل ذلك به مرارا وهو لا يتأوه وتوجد الخنافس ميتة فعجب من ذلك وأحضره وقال له هذا سر فيك ولا بد أن تعرفني به فقال والله ما سبب هذا الا أني لما وصلت رأس الامام الحسين حملتها قال وأي سر أعظم من هذا وراجع في شأنه فعفا عنه * ولما ملك السلطان الملك الناصر جعل به حلقة تدريس وفقهاء وفوضها للفقيه البهاء الدمشقي وكان يجلس للتدريس عند المحراب الذي الضريح خلفه فلما وزر معين الدين حسين بن شيخ

الشيوخ بن حمويه ورد اليه أمر هذا المشهد بعد اخوته يجمع من أوقافه ما بنى به ايوان التدريس الآن وبيوت الفقهاء العلوية خاصة واحترق هذا المشهد فى الايام الصالحية فى سنة بضع وأربعين وستمائة وكان الامير جمال الدين بن يغمور نائبا عن الملك الصالح فى القاهرة وسببه أن أحد خزان الشمع دخل ليأخذ شيأ فسقطت منه شعلة فوقف الامير جمال الدين المذكور بنفسه حتى طفئ وأنشدته حينئذ فقلت

قالوا تعصب للحسين ولم يزل * بالنفس للهول المخوف معرضا

حتى انضوى ضوء الحريق وأصبح الـ * ـمسود من تلك المخاوف أبيضا

ارضى الاله بما أتى فكأنه * بين الانام بفعله موسى الرضى

قال وحفظة الآثار وأصحاب الحديث ونقلة الاخبار ما اذا طولع وقف منه على المسطور وعلم منه ما هو غير المشهور وانما هذه البركات مشاهدة مرئية وهى بصحة الدعوى ملية والعمل بالنية * وقال فى كتاب الدر النظيم فى أوصاف القاضى الفاضل عبد الرحيم ومن جملة مبانيه الميضأة قريب مشهد الامام الحسين بالقاهرة والمسجد والساقية ووقف عليها أراضى قريب الخندق ظاهر القاهرة ووقفها دار تجار والانتفاع بهذه المثوبة عظيم ولما هدم المكان الذى بنى موضعه مئذنة وجد فيه شئ من طلسم لم يعلم لاى شئ هو فيه اسم الظاهر بن الحاكم واسم امه رصد *(خبر الحسين)* هو الحسين بن على بن أبى طالب واسمه عبد مناف بن عبد المطلب ابن هاشم بن عبد مناف بن قصى أبو عبد الله وامه فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد لخمس خلون من شعبان سنة أربع وقيل سنة ثلاث وعق عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم سابعه بكبش وحلق رأسه وأمر أن يتصدق بزنته فضة وقال أرونى ابنى ما سميتموه فقال على بن أبى طالب حربا فقال بل هو حسين وكان أشبه الناس بالنبى صلى الله عليه وسلم ما كان اسفل من صدره وكان فاضلا دينا كثير الصوم والصلاة والحج وقتل يوم الجمعة لعشر خلون من المحرم يوم عاشوراء سنة احدى وستين من الهجرة بموضع يقال له كربلاء من أرض العراق بناحية الكوفة ويعرف الموضع أيضا بالطف قتله سنان بن انس النخعى وقيل قتله رجل من مذحج وقيل قتله شمر بن ذى الجوشن وكان أبرص وأجهز عليه خولى بن يزيد الاصبحى من حمير حز رأسه واتى عبيد الله بن زياد وقال

اوقر ركابى فضة وذهبا * انى قتلت الملك المحجبا

قتلت خير الناس اما وأبا * وخيرهم اذ ينسبون نسبا

وقيل قتله عمرو بن سعد بن أبى وقاص وكان الامير على الخيل التى أخرجها عبيد الله بن زياد الى قتل الحسين وأمّر عليهم عمرو بن سعد ووعده أن يوليه الرى ان ظفر بالحسين وقتله وقال ابن عباس رضى الله عنهما رأيت النبى صلى الله عليه وسلم فيما يرى النائم نصف النهار وهو قائم أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم فقلت بابى أنت وأمى ما هذا قال هذا دم الحسين لم ازل التقطه منذ اليوم فوجدته قد قتل فى ذلك اليوم وهذا البيت زعموا قديما لا يدرى قائله

اترجو أمة قتلت حسينا * شفاعة جده يوم الحساب

وقتل مع الحسين سبعة عشر رجلا كلهم من ولد فاطمة وقيل قتل معه من أهل بيته واخوته ثلاثة وعشرون رجلا * وكان سبب قتله انه لما مات معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه فى سنة ستين وردت بيعة اليزيد على الوليد بن عقبة بالمدينة ليأخذ البيعة على أهلها فأرسل الى الحسين بن على والى عبد الله بن الزبير ليلا فأتى بهما فقال بايعا فقالا امثلنا لا يبايع سرا ولكنا نبايع على رؤس الناس اذا أصبحنا فرجعا الى بيوتهما وخرجا من ليلهما الى مكة وذلك ليلة الاحد لليلتين بقيتا من رجب فأقام الحسين بمكة شعبان ورمضان وشوالا وذا القعدة وخرج يوم التروية يريد الكوفة بكتب أهل العراق اليه فلما بلغ عبيد الله بن زياد مسير الحسين من مكة بعث الحصين بن تميم التميمى صاحب شرطته فنزل القادسية ونظم الخيل ما بينها وبين جبل لعلع فبلغ الحسين الحاجز له عن البلاد فكتب الى أهل الكوفة يعرفهم بقدومه مع قيس بن مسهر فظفر به الحصين وبعث به الى ابن زياد فقتله وأقبل الحسين يسير نحو الكوفة فأتاه خبر قتل مسلم بن عقيل وخبر قتل أخيه من الرضاعة فقام حتى اعلم الناس بذلك وقال قد خذلنا شيعتنا فمن أحب أن ينصرف فلينصرف فليس عليه ذمام منا فتفرقوا حتى بقى فى أصحابه الذين

جاؤا معه من مكة وسار فأدركته الخيل وهم ألف فارس مع الحر بن يزيد التميمي ونزل الحسين فوقفوا تجاهه وذلك فى نحر الظهيرة فسقى الحسين الخيل وحضرت صلاة الظهر فأذن مؤذنه وخرج فحمد الله وأثنى عليه ثم قال أيها الناس انها معذرة الى الله واليكم انى لم آتكم حتى أتتنى كتبكم ورسلكم أن اقدم علينا فليس لنا امام لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى وقد جئتكم فان تعطونى ما أطمئن اليه من عهودكم أقدم مصركم وان لم تفعلوا وكنتم لمقدمى كارهين انصرفت عنكم الى المكان الذى أقبلت منه فسكتوا وقال للمؤذن أقم فأقام وقال الحسين للحر أتريد أن تصلى أنت بأصحابك قال بل صل أنت ونصلى بصلاتك فصلى بهم ودخل فاجتمع اليه أصحابه وانصرف الحر الى مكانه ثم صلى بهم العصر واستقبلهم فحمد الله وأثنى عليه وقال يا ايها الناس انكم ان تتقوا الله وتعرفوا الحق لاهله يكن أرضى لله ونحن أهل البيت اولى بولاية هذا الامر من هؤلاء المدعين ماليس لهم السائرين فيكم بالجور والعدوان فان أنتم كرهتمونا وجهلتم حقنا وكان رأيكم غير ما أتتنى به كتبكم انصرفت عنكم فقال الحر انا والله ماندرى ما هذه الكتب والرسل التى تذكر فأخرج خرجين مملوءين صحفا فنشرها بين أيديهم فقال الحر انا لسنا من هؤلاء الذين كتبوا اليك وقد أمرنا اذا نحن لقيناك أن لا نفارقك حتى نقدمك الكوفة على عبيد الله بن زياد فقال الحسين الموت ادنى اليك من ذلك ثم أمر أصحابه لينصرفوا فركبوا فمنعهم الحر من ذلك فقال له الحسين ثكلتك امك ماتريد فقال له والله لو كان غيرك من العرب يقولها ماتركت ذكر أمه بالثكل كائنا من كان والله مالى الى ذكر أمك من سبيل الا بأحسن مانقدر عليه فقال له الحسين ماتريد قال أريد أن أنطلق بك الى ابن زياد وترادا الكلام فقال له الحر انى لم أومر بقتالك وانما أمرت أن لا أفارقك حتى أدخلك الكوفة فخذ طريقا لاتدخلك الكوفة ولاتردك الى المدينة حتى أكتب الى ابن زياد وتكتب انت الى يزيد أو الى ابن زياد فلعل الله أن يأتى بأمر يرزقنى فيه العافية من أن ابتلى بشئ من أمرك فتياسر عن طريق العذيب والقادسية والحر يسايره فلما كان يوم الجمعة الثالث من المحرم سنة احدى وستين قدم عمرو بن سعد بن أبى وقاص من الكوفة فى أربعة آلاف وبعث الى الحسين رسولا يسأله ما الذى جاء به فقال كتب الى أهل مصركم هذا أن أقدم عليهم فاذا كرهونى فأنا أنصرف عنهم فكتب عمرو الى ابن زياد يعرفه ذلك فكتب اليه أن يعرض على الحسين بيعة يزيد فان فعل رأينا فيه رأينا والا فمنعه ومن معه الماء فأرسل عمرو بن سعد خمسمائة فارس فنزلوا على الشريعة وحالوا بين الحسين وبين الماء وذلك قبل قتله بثلاثة أيام ونادى مناديا حسين ألا تنظر الماء لاترى منه قطرة حتى تموت عطشا ثم التقى الحسين بعمرو بن سعد مرارا فكتب عمرو بن سعد الى عبيد الله بن زياد أما بعد فان الله قد أطفأ النائرة وجمع الكلمة وقد أعطانى الحسين أن يرجع الى المكان الذى أتى منه أو أن تسيره الى أى ثغر من الثغور شاء أو أن يأتى يزيد أمير المؤمنين فيضع يده فى يده وفى هذا لكم رضى وللامة صلاح فقال ابن زياد لشمر بن ذى الجوشن اخرج بهذا الكتاب الى عمرو فليعرض على الحسين وأصحابه النزول على حكمى فان فعلوا فليبعث بهم وان أبوا فليقاتلهم فان فعل فاسمع له وأطع وان أبى فأنت الامير عليه وعلى الناس واضرب عنقه وابعث الى برأسه وكتب الى عمرو بن سعد أما بعد فانى لم أبعثك الى الحسين لتكف عنه ولا لتمنيه ولا لتطاوله ولا لتقعد له عندى شافعا انظر فان نزل حسين وأصحابه على الحكم واستسلموا فابعث بهم الى سلما وان أبوا فازحف اليهم حتى تقتلهم وتمثل بهم فانهم لذلك مستحقون فان قتل الحسين فأوطئ الخيل صدره وظهره فانه عاق شاق قاطع ظلوم فان أنت مضيت لامرنا جزيناك بجزاء السامع المطيع وان أنت ابيت فاعتزل جندنا وخل بين شمر وبين العسكر والسلام فلما أتاه الكتاب ركب والناس معه بعد العصر فأرسل اليهم الحسين مالكم فقالوا جاء أمر الامير بكذا فاستمهلهم الى غدوة فلما أمسوا قام الحسين ومن معه الليل كله يصلون ويستغفرون ويدعون ويتضرعون فلما صلى عمرو بن سعد الغداة يوم السبت وقيل يوم الجمعة يوم عاشوراء خرج فيمن معه وعبى الحسين أصحابه وكان معه اثنان وثلاثون فارسا وأربعون راجلا وركب ومعه مصحف بين يديه وضعه أمامه واقتتل أصحابه بين يديه وأخذ عمرو بن سعد سهما فرمى به وقال اشهدوا انى اول من رمى الناس وحمل أصحابه فصرعوا رجالا وأحاطوا بالحسين من كل جانب وهم يقاتلون قتالا شديدا حتى انتصف النهار ولا يقدرون يأتونهم الا من وجه واحد وحمل شمر حتى بلغ فسطاط الحسين وحضر وقت الصلاة فسأل الحسين أن يكفوا عن القتال حتى يصلى ففعلوا ثم اقتتلوا بعد الظهر أشد قتال ووصل الى الحسين وقد صرعت أصحابه ومكث طويلا

من النهار كلما انتهى اليه رجل من الناس رجع عنه وكره أن يتولى قتله فأقبل عليه رجل من كندة يقال له مالك فضربه على رأسه بالسيف قطع البرنس وأدماه فأخذ الحسين دمه بيده فصبه فى الارض ثم قال اللهم ان كنت حبست عنا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير وانتقم من هؤلاء الظالمين واشتد عطشه فدنا ليشرب فرماه حصين بن تميم بسهم فوقع فى فمه فتلقى الدم بيده ورمى به الى السماء ثم قال بعد حمد الله والثناء عليه اللهم انى أشكو اليك ما يصنع بابن بنت نبيك اللهم أحصهم عددا واقتلهم بددا ولا تبق منهم أحدا فأقبل شمر فى نحو عشرة الى منزل الحسين وحالوا بينه وبين رحله وأقدم عليه وهو يحمل عليهم وقد بقى فى ثلاثة ومكث طويلا من النهار ولو شاؤا أن يقتلوه لقتلوه ولكنهم كان يتقى بعضهم ببعض ويحب هؤلاء أن يكفيهم هؤلاء فنادى شمر فى الناس ويحكم ما تنتظرون بالرجل اقتلوه ثكلتكم امكم فحملوا عليه من كل جانب فضرب زرعة بن شريك التميمى كفه الايسر وضرب عاتقه وهو يقوم ويكبو فحمل عليه فى تلك الحال سنان بن انس النخعى فطعنه بالرمح فوقع وقال لخولى بن يزيد الاصبحى احتز رأسه فأرعد وضعف فنزل عليه وذبحه وأخذ رأسه فدفعه الى خولى وسلب الحسين ما كان عليه حتى سراويله ومال الناس فانتهبوا ثقله ومتاعه وما على النساء ووجد بالحسين ثلاث وثلاثون طعنة وأربع وأربعون ضربة ونادى عمرو بن سعد فى أصحابه من ينتدب للحسين فيوطئه فرسه فانتدب عشرة فداسوا الحسين بخيولهم حتى رضوا ظهره وصدره وكان عدة من قتل معه اثنين وسبعين رجلا ومن أصحاب عمرو بن سعد ثمانية وثمانين رجلا غير الجرحى ودفن أهل العاصرية من بنى اسد الحسين بعد قتله بيوم وبعد أن أخذ عمرو بن سعد رأسه ورؤس أصحابه وبعث بها الى ابن زياد فأحضر الرؤس بين يديه وجعل ينكث بقضيب ثنايا الحسين وزيد بن ارقم حاضر وأقام ابن سعد بعد قتل الحسين يومين ثم رحل الى الكوفة ومعه بنات الحسين واخوانه ومن كان معه من الصبيان وعلى بن الحسين مريض فأدخلهم على زياد ولما مرت زينب بالحسين صريعا صاحت يا محمداه هذا حسين بالعراء مرمل بالدماء مقطع الاعضاء يا محمد بناتك سبايا وذريتك مقتلة فأبكت كل عدو وصديق وطيف برأسه بالكوفة على خشبة ثم ارسل بها الى يزيد بن معاوية وأرسل النساء والصبيان وفى عنق على بن الحسين ويديه الغل وحملوا على الاقتاب فدخل بعض بنى أمية على يزيد فقال أبشر يا امير المؤمنين فقد أمكنك الله من عدو الله وعدوك قد قتل ووجه برأسه اليك فلم يلبث الا اياما حتى جىء برأس الحسين فوضع بين يدى يزيد فى طشت فأمر الغلام فرفع الثوب الذى كان عليه فحين رآه خمر وجهه بكمه كأنه شم منه رائحة وقال الحمد لله الذى كفانا المؤنة بغير مؤنة كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله قالت ريا حاضنة يزيد فدنوت منه فنظرت اليه وبه ردغ من حناء والذى أذهب نفسه وهو قادر على أن يغفر له لقد رأيته يقرع ثناياه بقضيب فى يده ويقول أبياتا من شعر ابن الزبعرى ومكث الرأس مصلوبا بدمشق ثلاثة أيام ثم انزل فى خزائن السلاح حتى ولى سليمان بن عبد الملك فبعث اليه فجئ به وقد محل وبقى عظما أبيض فجعله فى سفط وطيبه وجعل عليه ثوبا ودفنه فى مقابر المسلمين فلما ولى عمر بن عبد العزيز بعث الى خازن بيت السلاح أن وجه الى برأس الحسين بن على فكتب اليه ان سليمان أخذه وجعله فى سفط وصلى عليه ودفنه فلما دخلت المسودة سألوا عن موضع الرأس الكريمة الشريفة فنبشوه وأخذوه والله أعلم ما صنع به * وقال السرى لما قتل الحسين بن على بكت السماء عليه وبكاؤها حمرتها وعن عطاء فى قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والارض قال بكاؤها حمرة أطرافها وعن على بن مسهر قال حدثتنى جدتى قالت كنت أيام الحسين جارية شابة فكانت السماء اياما كأنها علقة وعن الزهرى بلغنى انه لم يقلب حجر من أحجار بيت المقدس يوم قتل الحسين الا وجد تحته دم عبيط ويقال ان الدنيا أظلمت يوم قتل ثلاثا ولم يمس أحد من زعفرانهم شيأ فجعله على وجهه الا احترق وانهم اصابوا ابلا فى عسكر الحسين يوم قتل فنحروها وطبخوها فصارت مثل العلقم فما استطاعوا أن يسيغوا منها شيأ وروى أن السماء أمطرت دما فأصبح كل شئ لهم ملآن دما

(ما كان يعمل فى يوم عاشوراء)

قال ابن زولاق فى كتاب سيرة المعز لدين الله فى يوم عاشوراء من سنة ثلاث وستين وثلثمائة انصرف خلق من الشيعة وأشياعهم الى المشهدين قبر كلثوم ونفيسة ومعهم جماعة من فرسان المغاربة ورجالتهم بالنياحة والبكاء على الحسين عليه السلام وكسروا أوانى السقائين فى الاسواق وشققوا الروايا وسبوا من ينفق فى هذا

اليوم ونزلوا حتى بلغوا مسجد الريح وثارت عليهم جماعة من رعية أسفل فخرج أبو محمد الحسين بن عمار وكان يسكن هنالك في دار محمد بن أبي بكر وأغلق الدرب ومنع الفريقين ورجع الجميع فحسن موقع ذلك عند المعز ولولا ذلك لعظمت الفتنة لان الناس قد غلقوا الدكاكين وأبواب الدور وعطلوا الاسواق وانما قويت أنفس الشيعة بكون المعز بمصر وقد كانت مصر لا تخلو منهم في أيام الاخشيدية والكافورية في يوم عاشوراء عند قبر كلثوم وقبر نفيسة وكان السودان وكافور يتعصبون على الشيعة وتتعلق السودان في الطرقات بالناس ويقولون للرجل من خالك فان قال معاوية اكرموه وان سكت لقي المكروه وأخذت ثيابه ومامعه حتى كان كافور قد وكل بالصحراء ومنع الناس من الخروج * وقال المسبحي وفي يوم عاشوراء يعني من سنة ست وتسعين وثلثمائة جرى الامر فيه على ما يجري كل سنة من تعطيل الاسواق وخروج المنشدين الى جامع القاهرة ونزولهم مجتمعين بالنوح والنشيد ثم جمع بعد هذا اليوم قاضي القضاة عبد العزيز بن النعمان سائر المنشدين الذين يتكسبون بالنوح والنشيد وقال لهم لا تلزموا الناس أخذ شيء منهم اذا وقفتم على حوانيتهم ولا تؤذوهم ولا تتكسبوا بالنوح والنشيد ومن أراد ذلك فعليه بالصحراء ثم اجتمع بعد ذلك طائفة منهم يوم الجمعة في الجامع العتيق بعد الصلاة وأنشدوا وخرجوا على الشارع بجمعهم وسبوا السلف فقبضوا على رجل ونودي عليه هذا جزاء من سب عائشة وزوجها صلى الله عليه وسلم وقدم الرجل بعد النداء وضرب عنقه * وقال ابن المأمون وفي يوم عاشوراء يعني من سنة خمس عشرة وخمسمائة عبي السماط بمجلس العطايا من دار الملك بمصر التي كان يسكنها الافضل بن أمير الجيوش وهو السماط المختص بعاشوراء وهو يعبى في غير المكان الجاري به العادة في الاعياد ولا يعمل مدورة خشب بل سفرة كبيرة من أدم والسماط يعلوها من غير مرافع نحاس وجميع الزبادي اجبان وسلائط ومخللات وجميع الخبز من شعير وخرج الافضل من باب فرد الكم وجلس على بساط صوف من غير مشورة واستفتح المقرئون واستدعى الاشراف على طبقاتهم وحمل السماط لهم وقد عمل في الصحن الاول الذي بين يدي الافضل الى آخر السماط عدس اسود ثم بعده عدس مصفى الى آخر السماط ثم رفع وقدمت صحون جميعها عسل نحل ولما كان يوم عاشوراء من سنة ست عشرة وخمسمائة جلس الخليفة الآمر بأحكام الله على باب الباذهنج بعسى من القصر بعد قتل الافضل وعود الاسمطة الى القصر على كرسي جريد بغير مخدة متلثما هو وجميع حاشيته فسلم عليه الوزير المأمون وجميع الامراء الكبار والصغار بالقراميز وأذن للقاضي والداعي والاشراف والامراء بالسلام عليه وهم بغير مناديل ملثمون حفاة وعبي السماط في غير موضعه المعتاد وجميع ما عليه خبز الشعير والحواضر على ما كان في الايام الافضلية وتقدم الى والي مصر والقاهرة بأن لا يمكنا أحدا من جمع ولا قراءة مصرع الحسين وخرج الرسم المطلق للمتصدرين والقراء الخاص والوعاظ والشعراء وغيرهم على ما جرت به عادتهم قال وفي ليلة عاشوراء من سنة سبع عشرة وخمسمائة اعتمد الاجل الوزير المأمون على السنة الافضلية من المضي فيها الى التربة الجيوشية وحضور جميع المتصدرين والوعاظ وقراء القرآن الى آخر الليل وعوده الى داره واعتمد في صبيحة الليلة المذكورة مثل ذلك وجلس الخليفة على الارض متلثما يرى به الحزن وحضر من شرف بالسلام عليه والجلوس على السماط بما جرت به العادة * قال ابن الطوير اذا كان اليوم العاشر من المحرم احتجب الخليفة عن الناس فاذا علا النهار ركب قاضي القضاة والشهود وقد غيروا زيهم فيكونون كما هم اليوم ثم صاروا الى المشهد الحسيني وكان قبل ذلك يعمل في الجامع الازهر فاذا جلسوا فيه ومن معهم من قراء الحضرة والمتصدرين في الجوامع جاء الوزير فجلس صدرا والقاضي والداعي من جانبيه والقراء يقرؤن نوبة بنوبة وينشد قوم من الشعراء غير شعراء الخليفة شعرا يرثون به اهل البيت عليهم السلام فان كان الوزير رافضيا تغالوا وان كان سنيا اقتصدوا ولا يزالون كذلك الى أن تمضي ثلاث ساعات فيستدعون الى القصر بنقباء الرسائل فيركب الوزير وهو بمنديل صغير الى داره ويدخل قاضي القضاة والداعي ومن معهما الى باب الذهب فيجدون الدهاليز قد فرشت مصاطبها بالحصر بدل البسط وينصب في الاماكن الخالية من المصاطب دكك لتلحق بالمصاطب لتفرش ويجدون صاحب الباب جالسا هناك فيجلس القاضي والداعي الى جانبه والناس على اختلاف طبقاتهم فيقرأ القراء وينشد المنشدون أيضا ثم يفرش عليها سماط الحزن مقدار ألف زبدية من العدس والملوحات والمخللات والاجبان والالبان الساذجة والاعسال النحل والفطير والخبز المغير لونه بالقصد فاذا قرب الظهر وقف صاحب الباب وصاحب المائدة وأدخل

الناس للأكل منه فيدخل القاضى والداعى ويجلس صاحب الباب نيابة عن الوزير والمذكوران الى جانبه وفى الناس من لايدخل ولا يلزم أحد بذلك فاذا فرغ القوم انفصلوا الى أماكنهم ركبانا بذلك الزى الذى ظهروا فيه وطاف النوّاح بالقاهرة ذلك اليوم وأغلق البياعون حوانيتهم الى جواز العصر فيفتح الناس بعد ذلك ويتصرّفون

(ذكر أبواب القصر الكبير الشرقى)

وكان لهذا القصر الكبير الشرقى تسعة أبواب أكبرها وأجلها باب الذهب ثم باب البحر ثم باب الريح ثم باب الزمرّد ثم باب العيد ثم باب قصر الشوك ثم باب الديلم ثم باب تربة الزعفران ثم باب الزهومة

(باب الذهب) وهو باب القصر الذى تدخل منه العساكر وجميع أهل الدولة فى يومى الاثنين والخميس للموكب المقدّم ذكره بقاعة الذهب قال ابن أبى طىء عن المعز لدين الله انه لما خرج من بلاد المغرب أخرج اموالا كانت له ببلاد المغرب وأمر بسبكها ارحية كأرحية الطواحين وأمر بها حين دخل الى مصر فألقيت على باب قصره وهى التى كان الناس يسمونها الحشرات ولم تزل على باب القصر الى أن كان زمن الغلاء فى أيام الخليفة المستنصر بالله فلما ضاق بالناس الامر أذن لهم أن يبردوا منها عبا رد فاتخذ الناس مبارد حادّة وغزهم الطمع حتى ذهبوا بأكثرها فأمر بحمل الباقى الى القصر فلم تر بعد ذلك * وقال ابن ميسر ان المعز لما قدم الى القاهرة كان معه مائة جمل عليها الطواحين من الذهب وقال غيره كانت خمسمائة جمل على كل جمل ثلاثة ارحية ذهبا وانه عمل عضادتى الباب من تلك الارحية واحدة فوق اخرى فسمى باب الذهب

(جلوس الخليفة فى الموالد بالمنظرة علو باب الذهب) قال ابن المأمون فى أخبار سنة ست عشرة وخمسمائة وفى الثانى عشر من المحرّم كان المولد الآمرى واتفق كونه فى هذا الشهر يوم الخميس وكان قد تقرّر أن يعمل أربعون صينية خشكانج وحلوى وكعك وأطلق برسم المشاهد المحتوية على الضرائح الشريفة لكل مشهد سكر وعسل ولوز ودقيق وشيرج وتقدّم بأن يعمل خمسمائة رطل حلوى وتفرّق على المتصدّرين والقرّاء والفقراء للمتصدّرين ومن معهم فى صحون وللفقراء على ارغفة السميذ ثم حضر فى الليلة المذكورة القاضى والداعى والشهود وجميع المتصدّرين وقرّاء الحضرة وفتحت الطاقات التى قبلى باب الذهب وجلس الخليفة وسلموا عليه ثم خرج متولى بيت المال بصندوق مختوم ضمنه عينا مائة دينار وألف وثمانمائة وعشرون درهما برسم أهل القرافة وساكنيها دغ برهم وفرّقت الصوانى بعد ما حمل منها للخاص وزمام القصر ومتولى الدفتر خاصة والى دار الوزارة والاجلاء الاخوة والاولاد وكاتب الدست ومتولى حجبة الباب والقاضى والداعى ومفتى الدولة ومتولى دار العلم والمقرئين الخاص وأئمة الجوامع بالقاهرة ومصر ونقابة الاشراف قال وخرج الآمر يعنى فى سنة سبع عشرة وخمسمائة باطلاق مايخص المولد الآمرى برسم المشاهد الشريفة من سكر وعسل وشيرج ودقيق ومايصنع مما يفرّق على المساكين بالجامعين الازهر بالقاهرة والعتيق بمصر وبالقرافة خمسة قناطير حلوى وألف رطل دقيق ومايعمل بدار الفطرة ويحمل للاعيان والمستخدمين من بعد القصور والدار المأمونية صينية خشكانج وحضر القاضى والداعى والمستخدمون بدار العيد والشهود فى عشية اليوم المذكور وقطع سلوك الطريق بين القصرين وجلس الخليفة فى المنظرة وقبلوا الارض بين يديه والمقرئون الخاص جميعهم يقرؤن القرآن وتقدّم الخطيب وخطب خطبة وسع القول فيها وذكر الخليفة والوزير ثم حضر من انشد وذكر فضيلة الشهر والمولود فيه ثم خرج متولى بيت المال ومعه صندوق من مال النجاوى خاصة ممايفرّق على الحكم المتقدّم ذكره قال واستهل ربيع الاوّل ونبدأ بما شرّف به الشهر المذكور وهو ذكر مولد سيد الاوّلين والآخرين محمد صلى الله عليه وسلم لثلاث عشرة منه وأطلق ماهو برسم الصدقات من مال النجاوى خاصة ستة آلاف درهم ومن الاصناف من دار الفطرة أربعون صينية فطرة ومن الخزائن برسم المتولين والسدنة للمشاهد الشريفة التى بين الجبل والقرافة التى فيها أعضاء آل رسول الله صلى الله عليه وسلم سكر ولوز وعسل وشيرج لكل مشهد ومايتولى تفرقته سنا الملك ابن ميسر أربعمائة رطل حلاوة وألف رطل خبز قال وكان الافضل بن أمير الجيوش قد أبطل أمر الموالد الاربعة النبوى والعلوى والفاطمى والامام الحاضر وما يهتم به وقدم العهد به حتى نسى

ذكرها

ذكرها فأخذ الاستاذون يجددون ذكرها للخليفة الآمر بأحكام الله ويرددون الحديث معه فيها ويحسنون له معارضة الوزير بسببها واعادتها واقامة الجوارى والرسوم فيها فأجاب الى ذلك وعمل ما ذكر وقال ابن الطوير ذكر جلوس الخليفة فى الموالد الستة فى تواريخ مختلفة وما يطلق فيها وهى مولد النبى صلى الله عليه وسلم ومولد أمير المؤمنين على بن أبى طالب ومولد فاطمة عليها السلام ومولد الحسن ومولد الحسين عليهما السلام ومولد الخليفة الحاضر ويكون هذا الجلوس فى المنظرة التى هى أنزل المناظر وأقرب الى الارض قبالة دار فخر الدين جهاركس والفندق المستجد فاذا كان اليوم الثانى عشر من ربيع الاول تقدم بأن يعمل فى دار الفطرة عشرون قنطارا من السكر اليابس حلواء يابسة من طرائفها وتعبى فى ثلثمائة صينية من النحاس وهو مولد النبى صلى الله عليه وسلم فتفرق تلك الصوانى فى أرباب الرسوم من أرباب الرتب وكل صينية فى قوارة من أول النهار الى ظهره فأول أرباب الرسوم قاضى القضاة ثم داعى الدعاة ويدخل فى ذلك القراء بالحضرة والخطباء والمتصدرون بالجوامع بالقاهرة وقومة المشاهد ولا يخرج ذلك مما يتعلق بهذا الجانب بدعو يخرج من دفتر المجلس كما قدمناه فاذا صلى الظهر ركب قاضى القضاة والشهود بأجمعهم الى الجامع الازهر ومعهم أرباب تفرقة الصوانى فيجلسون مقدار قراءة الختمة الكريمة ثم يستدعى قاضى القضاة ومن معه فان كانت الدعوة مضافة اليه والا حضر الداعى معه بنقباء الرسائل فيركبون ويسيرون الى أن يصلوا الى آخر المضيق من السيوفيين قبل الابتداء بالسلوك بين القصرين فيقفون هناك وقد سلكت الطريق على السالكين من الركن المخلق ومن سويقة أمير الجيوش عند الحوض هناك وكنست الطريق فيما بين ذلك ورشت بالماء رشا خفيفا وفرش تحت المنظرة المذكورة بالرمل الاصفر ثم يستدعى صاحب الباب من دار الوزارة ووالى القاهرة ماض وعائد لحفظ ذلك اليوم من الازدحام على نظر الخليفة فيكون بروز صاحب الباب من الركن المخلق هو وقت استدعاء القاضى ومن معه من مكان وقوفهم فيقربون من المنظرة ويترجلون قبل الوصول اليها بخطوات فيجتمعون تحت المنظرة دون الساعة الزمانية بسمت وتشوف لانتظار الخليفة فتفتح احدى الطاقات فيظهر منها وجهه وما عليه من المنديل وعلى رأسه عدة من الاستاذين المحنكين وغيرهم من الخواص منهم ويفتح بعض الاستاذين طاقة ويخرج منها رأسه ويده اليمنى فى كمه ويشير به قائلا أمير المؤمنين يرد عليكم السلام فيسلم بقاضى القضاة أولا بنعوته وبصاحب الباب بعده كذلك وبالجماعة الباقية جملة جملة من غير تعيين احد فيستفتح قراء الحضرة بالقراءة ويكونون قياما فى الصدر وجوههم للحاضرين وظهورهم الى حائط المنظرة فيقدم خطيب الجامع الانور المعروف بجامع الحاكم فيخطب كما يخطب فوق المنبر الى أن يصل الى ذكر النبى صلى الله عليه وسلم فيقول وان هذا يوم مولده الى ما من الله به على ملة الاسلام من رسالته ثم يختم كلامه بالدعاء للخليفة ثم يؤخر ويتقدم خطيب الجامع الازهر فيخطب كذلك ثم خطيب الجامع الاقمر فيخطب كذلك والقراء فى خلال خطابة الخطباء يقرؤن فاذا انتهت خطابة الخطباء أخرج الاستاذ رأسه ويده فى كمه من طاقته ورد على الجماعة السلام ثم تغلق الطاقتان فتنفض الناس ويجرى أمر الموالد الخمسة الباقية على هذا النظام الى حين فراغها على عدتها من غير زيادة ولا نقص انتهى وهذا الباب صار بعد زوال الدولة الفاطمية يقابل دار الامير فخر الدين جهاركس الصلاحى التى عرفت بعد ذلك بالدار القطبية وهى الآن المارستان المنصورى وصار موضع هذا الباب محراب مدرسة الظاهر ركن الدين بيبرس

* (باب البحر) * هو من انشاء الحاكم بأمر الله أبى على منصور وهدم فى أيام الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى وشوهد فيه أمر عجيب * قال جامع السيرة الظاهرية لما كان يوم عاشوراء يعنى من سنة اثنتين وسبعين وستمائة رسم بنقض علو أحد أبواب القصر المسمى بباب البحر قبالة المدرسة دار الحديث الكاملية لاجل نقل عمد فيه لبعض العمائر السلطانية فظهر صندوق فى حائط مبنى عليه فللوقت أحضرت الشهود وجماعة كثيرة وفتح الصندوق فوجد فيه صورة من نحاس أصفر مفرغ على كرسى شبه الهرم ارتفاعه قدر شبر له أربعة أرجل تحمل الكرسى والصنم جالس مدور كاوله يدان مرفوعتان ارتفاعا جيدا يحمل صحيفة دورها قدر ثلاثة أشبار وفى هذه الصحيفة أشكال ثابتة وفى الوسط صورة رأس بغير جسد ودائره مكتوب كتابة بالقبطى وبالقلفطيريات والى جانبها فى الصحيفة شكل له قرنان يشبه شكل السنبلة والى الجانب الآخر

شكل آخر وعلى رأسه صليب والآخر في يده عكاز وعلى رأسه صليب وتحت أرجلهم أشكال طيور وفوق رؤس الاشكال كتابة ووجد مع هذا الصنم في الصندوق لوح من ألواح الصبيان التي يكتبون فيها بالمكاتب مدهون وجهه الواحد أبيض ووجهه الواحد احمر وفيه كتابة قد تكشط أكثرها من طول المدة وقد بلي اللوح ومابقيت الكتابة تلتئم ولا الخط يفهم وهذا نص مافيه وأخليت مكان كتابته التي تكشطت واما الوجه الابيض فهو مكتوب بقلم الصحيفة القبطي والمكتوب في الوجه الاحمر على هذه الصورة السطر الاول بقي منه مكتوبا الاسكندر السطر الثاني الارض وهباله السطر الثالث وجرب لكل السطر الرابع أصحاب السطر الخامس وهو يحرس السطر السادس واحترازه بقوة السطر السابع الملك مرجو وأبواب السطر الثامن غربيته سبعة السطر التاسع عالم حكيم عالم في عقله السطر العاشر وصفها فلا تفسد السطر الحادي عشر طارد كل سوء والذي صاغها النساء السطر الثاني عشر سدا أيضا كل آثار اسدية بيبرس وهي احد السطر الثالث عشر بيبرس ملك الزمان والحكمة كلمة الله عزوجل هذا صورة ماوجد في اللوح ممابقي من الكتابة والبقية قد تكشط وقيل ان هذا اللوح بخط الخليفة الحاكم وأعجب مافيه اسم السلطان وهو بيبرس ولما شاهد السلطان ذلك أمر بقراءته فعرض على قراء الاقلام فقرئ وذلك بالقلم القبطي ومضمونه طلسم عمل للظاهر بن الحاكم واسم أمه رصد وفيه أسماء الملائكة وعزائم ورقى وأسماء روحانية وصور ملائكة أكفه حرس الديار مصر وثغورها وصرف الاعداء عنها وكفهم عن طروقهم اليها وابتهال الى الله تعالى بأقسام كثيرة لحماية الديار المصرية وصونها من الاعداء وحفظها من كل طارق من جميع الاجناس وتضمن هذا الطلسم كتابة بالقلفطريات وأوفاقا وصورا وخواص لايعلمها الا الله تعالى وحمل هذا الطلسم الى السلطان وبقي في ذخائره قال ورأيت في كتاب عتيق رث سماه مصنفه وصية الامام العزيز بالله والد الامام الحاكم بأمر الله لولده المذكور وقد ذكر فيه الطلسمات التي على أبواب القصر ومن جملتها ان أول البروج الحمل وهو بيت المريخ وشرف الشمس وله القوة على جميع سلطان الفلك لانه صاحب السيف واسفهسلارية العسكر بين يدي الشمس الملك وله الامر والحرب والسلطان والقوة والمستولي لقوة روحانيته على مدينتنا وقد أقمنا طلسما لساعته ويومه لقهر الاعداء وذل المنافقين في مكان أحكمناه على اشرافه عليه والحصن الجامع لقصر مجاورا الاول باب بنيناه هذا نص مارأيته انتهى ولعل معنى كتابة بيبرس في هذا اللوح اشارة الى أن هدم هذا الباب يكون على زمان بيبرس فان القوم كانت لهم معارف كثيرة وعنايتهم بهذا الفن وافرة كبيرة والله أعلم وموضع باب البحر هذا اليوم يعرف بباب قصر بشتاك قبالة المدرسة الكاملية

(باب الريح) كان على ما أدركته تجاه سور سعيد السعداء على يمنة السالك من الركن المخلق الى رحبة باب العيد وكان بابا مربعا يسلك فيه من دهليز مستطيل مظلم الى حيث المدرسة السابقية ودار الطواشي سابق الدين وقصر أمير السلاح وينتهي الى ما بين القصرين تجاه حمام البيسري وعرف هذا الباب في الدولة الايوبية بباب قصر ابن الشيخ وذلك أن الوزير الصاحب معين الدين حسين بن شيخ الشيوخ وزير الملك الصالح نجم الدين أيوب كان يسكن بالقصر الذي في داخل هذا الباب ثم قيل له في زمننا باب القصر وكان على حاله له عضادتان من حجارة ويعلوه اسكفة حجر مكتوب فيها نقرا في الحجر عدة أسطر بالقلم الكوفي لم يتهيأ لي قراءة مافيها وكان دهليز هذا الباب عريضا يتجاوز عرضه فيما أقدر العشرة أذرع في طول كبير جدا ويعلو هذا الباب دور للسكنى تشرف على الطريق ومازال على ذلك الى أن أنشأ الامير الوزير المشير جمال الدين يوسف الاستادار مدرسته برحبة باب العيد واغتصب لها أملاك الناس وكان مما اغتصب ما بجوار المدرسة المذكورة من الحوانيت والرباع التي فوقها وما جاور ذلك وهدمها ليبنيها على ما يريد فهدم هذا الباب في صفر سنة احدى عشرة وثمانمائة وبنى في مكانه ومكان الدهليز المظلم الذي كان ينتهي بالسالك فيه من هذا الباب الى المدرسة السابقية هذه القيسارية الكبيرة ذات الحوانيت والسقيفة والابواب الجديدة ودخل فيها بعض مما كان يجاني هذا الباب من الحوانيت وعلوها ولما هدم هذا الباب ظهر في داخل بنيانه شخص وبلغني ذلك فسرت الى الامير المذكور وكان بيني وبينه صحبة لاشاهد هذا الشخص المذكور والتمست منه احضاره فأخبرني انه أحضر اليه شخص من حجارة قصير القامة احدى عينيه أصغر من الاخرى فقلت لابد لي من مشاهدته فأمر

باحضاره

باحضاره الموكل بالعمارة وأنا معه اذ ذاك في موضع الباب وقد هدم ما كان فيه من البناء فذكر أنه رماه بين احجار العمارة وأنه تكسر وصار فيما بينها ولا يستطيع تمييزه منها فأغلظ عليه وبالغ في الفحص عنه فأعياهم احضاره فسألت الرجل حينئذ عنه فقال لي انهم لما انتهوا في الهدم الى حيث كان هذا الشخص اذا بدائرة فيها كتابة وبوسطها شخص قصير صغير احدى العينين من حجارة وهذه كانت صفة جمال الدين فانه كان قصير القامة احدى عينيه أصغر من الاخرى ويشبه والله أعلم أن يكون قد عين في تلك الكتابة التي كانت حول الشخص أن هذا الباب يهدمه من هذه صفته كما وجد في باب البحر اسم بيبرس الذي هدم على يديه وبأمره وقد ظفر جمال الدين هذا بأموال عظيمة وجدها في داخل هذا القصر لما أنشأ داره الاولى في الحدرة من داخل هذا الباب في سنة ست وتسعين وسبعمائة وكان لكثرة هذا المال لا يستطيع كتمانه ومن شدة خوفه يومئذ من الظاهر برقوق أن يظهر عليه لا يقدر أن يصرح به فكان يقول لاصحابه وخواصه وجدت في هذا المكان سبعين قفة من حديد أخبرني اثنان رئيسان من أعيان الدولة عنه انه قال لهما هذا القول وكنت اذ ذاك أيام عمارته لهذه القاعة أتردد لشيخنا سراج الدين عمر بن الملقن رحمه الله تعالى بالمدرسة السابقية وبها كان يسكن فتعرفت بجمال الدين منه وكان يومئذ من عرض الجند ويعرف باستادار نحاس فاشتهر هنالك انه وجد حال هدمه وعمارته القاعة والرواق بالحدرة مكانا مبنيا تحت الارض مبيض الحيطان فيه مال فما كان عندي شك انه من أموال خبايا الفاطميين فانه قد ذكر غير واحد من الاخباريين أن السلطان صلاح الدين لما استولى على القصر بعد موت العاضد لم يظفر بشيء من الخبايا وعاقب جماعة فلم يوقفوه على أمرها

(باب الزمرذ) سمي بذلك لانه كان يتوصل منه الى قصر الزمرذ وموضعه الآن المدرسة الحجازية بخط رحبة باب العيد

(باب العيد) هذا الباب مكانه اليوم في داخل درب السلامي بخط رحبة باب العيد وهو عقد محكم البناء ويعلوه قبة قد عملت مسجدا وتحتها حانوت يسكنه سقاء ويقابله مصطبة وأدركت العامة وهم يسمون هذه القبة بالقاهرة ويزعمون أن الخليفة كان يجلس بها ويرخي كمه فتأتي الناس وتقبله وهذا غير صحيح وقيل لهذا الباب باب العيد لان الخليفة كان يخرج منه في يومي العيد الى المصلى بظاهر باب النصر فيخطب بعد أن يصلي بالناس صلاة العيد كما ستقف عليه عند ذكر المصلى ان شاء الله تعالى وفي سنة احدى وستين وستمائة بنى الملك الظاهر بيبرس خانا للسبيل بظاهر مدينة القدس ونقل اليه باب العيد هذا فعمله بابا له وتم بناؤه في سنة اثنتين وستين

(باب قصر الشوك) وهو الذي كان يتوصل منه الى قصر الشوك وموضعه الآن تجاه حمام عرفت بحمام الايدمري ويقال لها اليوم حمام يونس عند موقف المكارية بجوار خزانة البنود على يمنة السالك منها الى رحبة الايدمري وهو الآن زقاق ينتهي الى بئر يستقي منها بالدلاء ويتوصل من هنالك الى المارستان العتيق وغيره وأدركت منه قطعة من جانبه الايسر

(باب الديلم) وكان يدخل منه الى المشهد الحسيني وموضعه الآن درج ينزل منها الى المشهد تجاه الفندق الذي كان دار الفطرة ولم يبق لهذا الباب اثر البتة

(باب تربة الزعفران) مكانه الآن بجوار خان الخليلي من بحريه مقابل فندق المهمندار الذي يدق فيه ورق الذهب وقد بني بأعلاه طبقة ورواق ولا يكاد يعرفه كثير من الناس وعليه كتابة بالقلم الكوفي وهذا الباب كان يتوصل منه الى تربة القصر المذكورة فيما تقدم

(باب الزهومة) كان في آخر ركن القصر مقابل خزانة الدرق التي هي اليوم خان مسرور وقيل له باب الزهومة لان اللحوم وحوائج الطعام التي كانت تدخل الى مطبخ القصر الذي للحوم انما يدخل بها من هذا الباب فقيل له باب الزهومة يعني باب الزفر وكان تجاهه ايضا درب السلسلة الآتي ذكره ان شاء الله تعالى وموضعه الآن باب قاعة الحنابلة من المدارس الصالحية تجاه فندق مسرور الصغير ومن بعد باب الزهومة المذكور باب الذهب الذي تقدم ذكره فهذه ابواب القصر الكبير التسعة

(ذكر المنحر)

وكان بجوار هذا القصر الكبير المنحر وهو الموضع الذى اتخذه الخلفاء لنحر الاضاحى فى عيد النحر وعيد الغدير وكان تجاه رحبة باب العيد وموضعه الآن يعرف بالدرب الاصفر تجاه خانقاه بيبرس وصار موضعه ما فى داخل هذا الدرب من الدور والطاحون وغيرها وظاهره تجاه رأس حارة برجوان يفصل بينه وبين حارة برجوان الحوانيت التى تقابل باب الحارة ومن جملة المنحر الساحة العظيمة التى عملت لهاخوند بركة ام السلطان الملك الاشرف شعبان بن حسين البوابة العظيمة بخط الركن المخلق بجوار قيسارية الجلود التى عمل فيها حوانيت الاساكفة وكان الخليفة اذا صلى صلاة عيد النحر وخطب ينحر بالمصلى ثم يأتى المنحر المذكور وخلفه المؤذنون يجهرون بالتكبير ويرفعون أصواتهم كلما نحر الخليفة شيأ وتكون الحربة فى يد قاضى القضاة وهو بجانب الخليفة ليناوله اياها اذا نحر واول من سن منهم اعطاء الضحايا وتفرقتها فى اولياء الدولة على قدر رتبهم العزيز بالله نزار * (ما كان يعمل فى عيد النحر) * قال المسبحى وفى يوم عرفة يعنى من سنة ثمانين وثلثمائة حمل يانس صاحب الشرطة السماط وحمل أيضا على بن سعد المحتسب سماطا آخر وركب العزيز بالله يوم النحر فصلى وخطب على العادة ثم نحر عدة نوق بيده وانصرف الى قصره فنصب السماط والموائد واكل ونحر بين يديه وأمر بتفرقة الضحايا على اهل الدولة وذكر مثل ذلك فى باقى السنين وقال ابن المأمون فى عيد النحر من سنة خمس عشرة وخمسمائة وأمر بتفرقة عيد النحر والهبة وجملة العين ثلاثة آلاف وثلثمائة وسبعون دينارا ومن الكسوات مائة قطعة وسبع قطع برسم الامراء المطوقين والاستاذين المحنكين وكاتب الدست ومتولى حجبة الباب وغيرهم من المستخدمين وعدة ما ذبح ثلاثة ايام النحر فى هذا العيد وعيد الغدير ألفان وخمسمائة وأحد وستون رأسا تفصيله نوق مائة وسبعة عشر رأسا بقر أربعة وعشرون رأسا جاموس عشرون رأسا هذا الذى ينحره ويذبحه الخليفة بيده فى المصلى والمنحر وباب الساباط ويذبح الجزارون من الكباش ألفين وأربعمائة رأس والذى اشتملت عليه نفقات الاسمطة فى الايام المذكورة خارجا عما يعمل بالدار المأمونية من الاسمطة وخارجا عن اسمطة القصور عند الحرم وخارجا عن القصور الحلواء والقصور المنفوخ المصنوعة بدار الفطرة ألف وثلثمائة وستة وعشرون دينارا وربع وسدس دينار ومن السكر برسم القصور والقطع المنفوخ أربعة وعشرون قنطارا تفصيله عن قصرين فى اول يوم خاصة اثنا عشر قنطارا المنفوخ عن ثلاثة الايام اثنا عشر قنطارا وقال فى سنة ست عشرة وخمسمائة وحضر وقت تفرقة كسوة عيد النحر ووصل ما تأخر فيها بالطراز وفرقت الرسوم على من جرت عادته خارجا عما أمر به من تفرقة العين المختص بهذا العيد وأضحيته وخارجا عما يفرق على سبيل المناخ ومن باب الساباط مذبوحا ومنحورا ستمائة دينار وسبعة عشر دينارا وفى التاسع من ذى الحجة جلس الخليفة الآمر بأحكام الله على سرير الملك وحضر الوزير وأولاده وقاموا بما يجب من السلام واستفتح المقرئون وتقدم حامل المظلة وعرض ما جرت عادته من المظال الحسنة التى جميعها مذهب وسلم الامراء على طبقاتهم وختم المقرئون وعرضت الدواب جميعها والعماريات والوحوش وعاد الخليفة الى محله فلما أسفر الصبح خرج الخليفة وسلم على من جرت عادته بالسلام عليه ولم يخرج شئ عما جرت به العادة فى الركوب والعود وغير الخليفة ثيابه ولبس ما يختص بالنحر وهى البدلة الحمراء بالشدة التى تسمى بشدة الوقار والعلم الجوهر فى وجهه بغير قضيب ملك فى يده الى أن دخل المنحر وفرشت الملاءة الديبقى الحمراء وثلاث بطائن مصبوغة حمر ليتقى بها الدم مع كون كل من الجزارين بيده مكبة صفصاف مدهونة يلقى بها الدم عن الملاءة وكبر المؤذنون ونحر الخليفة أربعا وثلاثين ناقة وقصد المسجد الذى آخر صف المنحر وهو مغلق بالشروب والفاكهة المعباة فيه بمقدار ما غسل يديه ثم ركب من فوره وجملة ما نحره وذبحه الخليفة خاصة فى المنحر وباب الساباط دون الاجل الوزير المأمون وأولاده واخوته فى ثلاثة الايام ما عدته ألف وتسعمائة وستة وأربعون رأسا تفصيله نوق مائة وثلاث عشرة ناقة نحر منها فى المصلى عقيب الخطبة ناقة وهى التى تهدى وتطلب من آفاق الارض للتبرك بلحمها ونحر فى المناخ مائة ناقة وهى التى يحمل منها للوزير وأولاده واخوته والامراء والضيوف والاجناد والعسكرية والمميزين من الراجل وفى كل يوم يتصدق منها على الضعفاء والمساكين بناقة واحدة وفى اليوم الثالث من العيد تحمل ناقة منحورة للفقراء فى القرافة وينحر فى باب الساباط ما يحمل الى من حوته القصور والى دار الوزارة والى الاصحاب والحواشى اثنتا عشرة ناقة وثمانى عشرة بقرة

وخمس عشرة جاموسة ومن الكباش ألف وثمانمائة رأس ويتصدق كل يوم فى باب الساباط بسقط ما يذبح من النوق والبقر وأما مبلغ المنصرف على الاسمطة فى ثلاثة الايام خارجا عن الاسمطة بالدار المأمونية فألف وثلثمائة وستة وعشرون دينارا وربع وسدس دينار ومن السكر برسم قصور الحلاوة والقطع المنفوخ المصنوعة بدار الفطرة خارجا عن المطابخ ثمانية وأربعون قنطارا * وقال ابن الطوير فاذا انقضى ذو القعدة وأهل ذو الحجة اهتم بالركوب فى عيد النحر وهو يوم عاشره فيجرى حاله كما جرى فى عيد الفطر من الزى والركوب الى المصلى ويكون لباس الخليفة فيه الاحمر الموشح ولا ينخرم منه شئ وركوبه ثلاثة أيام متوالية فأولها يوم الخروج الى المصلى والخطابة كعيد الفطر وثانى يوم وثالثه الى المنحر وهو المقابل لباب الريح الذى فى ركن القصر المقابل لسور دار سعيد السعداء الخانقاه اليوم وكان براحا خاليا لا عمارة فيه فيخرج من هذا الباب الخليفة بنفسه ويكون الوزير واقفا عليه فيترجل ويدخل ماشيا بين يديه بقربه هذا بعد انفصالهما من المصلى ويكون قد قيد الى هذا المنحر احد وثلاثون فصيلا وناقة أمام مصطبة مفروشة يطلع عليها الخليفة والوزير ثم اكابر الدولة وهو بين الاستاذين المحنكين فيقدّم الفراشون له الى المصطبة رأسا ويكون بيده حربة من رأسها الذى لا سنان فيه ويد قاضى القضاة فى اصل سنانها فيجعله القاضى فى نحر النحيرة ويطعن بها الخليفة وتجرّ من بين يديه حتى يأتى على العدّة المذكورة فأوّل نحيرة هى التى تقدد وتسير الى داعى اليمن وهو الملك فيه فيفرقها على المعتقدين من وزن نصف درهم الى ربع درهم ثم يعمل ثانى يوم كذلك فيكون عدد ما ينحر سبعا وعشرين ثم يعمل فى اليوم الثالث كذلك وعدّة ما ينحر ثلاث وعشرون هذا وفى مدة هذه الايام الثلاثة يسير رسم الاضحية الى أرباب الرتب والرسوم كما سيرت الغرّة فى اوّل السنة من الدنانير بغير رباعية ولا قراريط على مثال الغرة من عشرة دنانير الى دينار وأما لحم الجزور فانه يفرّق فى أرباب الرسوم للتبرك فى أطباق مع ادوان الفراشين واكثر ذلك تفرقة قاضى القضاة وداعى الدعاة للطلبة بدار العلم والمتصدّرين بجوامع القاهرة ونقباء المؤمنين بها من الشيعة للتبرك فاذا انقضى ذلك خلع الخليفة على الوزير ثيابه الحمر التى كانت عليه ومنديلا آخر بغير السمة والعقد المنظوم من القصر عند عود الخليفة من المنحر فيركب الوزير من القصر بالخلع المذكورة شاقا القاهرة فاذا اخرج من باب زويلة انعطف على يمينه سالكا على الخليج فيدخل من باب القنطرة الى دار الوزارة وبذلك انفصال عيد النحر * وقال ابن أبى طىّ عدّة ما يذبح فى هذا العيد فى ثلاثة ايام النحر وفى يوم عيد الغدير ألفان وخمسمائة وأحد وستون رأسا تفصيله نوق مائة وسبعة عشر رأسا بقر أربعة وعشرون رأسا جاموس عشرون رأسا هذا الذى ينحره الخليفة ويذبحه بيده فى المصلى والمنحر وباب الساباط ويذبح الجزارون بين يديه من الكباش ألفا وأربعمائة رأس * وقال ابن عبد الظاهر كان الخليفة ينحر بالمنحر مائة رأس ويعود الى خزانة الكسوة فيغير قماشه ويتوجه الى الميدان وهو الخرنشف بباب الساباط لنحر والذبح ويعود بعد ذلك الى الحمام ويغير ثيابه للجلوس على الاسمطة وعدّة ما يذبحه ألف وسبعمائة وستة وأربعون رأسا مائة وثلاث عشرة ناقة والباقى بقر وغنم * قال ابن الطوير وثمن الضحايا على ما تقرر ما يقرب من ألفى دينار وكانت تخرج المخلقات الى الاعمال بشائر بركوب الخليفة فى يوم عيد النحر فمما كتب به الاستاذ البارع ابو القسم على بن منجب بن سليمان الكاتب المعروف بابن الصيرفى المنعوت بتاج الرياسة أما بعد فالحمد لله الذى رفع منار الشرع وحفظ نظامه ونشر راية هذا الدين وأوجب اعظامه وأطلع بخلافة امير المؤمنين كواكب سعوده وأظهر للموالف والمخالف عزة أحزابه وقوّة جنوده وجعل فرعه ساميا ناميا واصله ثابتا راسخا وشرّفه على الاديان بأسرها وكان لعراها فاصما ولاحكامها ناسخا يحمده أمير المؤمنين أن الزم طاعته الخليقة وجعل كراماته الاسباب الجديرة بالامارة الخليقة ويرغب اليه فى الصلاة على جدّه محمد الذى حاز الفخار أجمعه وضمن الجنة لمن آمن به واتبع النور الذى انزل معه ورفعه الى اعلى منزلة تخبر له منها المحل وأرسله بالهدى ودين الحق فزهق الباطل وخمدت ناره واضمحل صلى الله عليه وعلى أخيه وابن عمه أمير المؤمنين على بن أبى طالب خير الامة وامامها وحبر الملة وبدر تمامها والموفى يومه فى الطاعات على ماضى امسه ومن اقامه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المباهلة مقام نفسه واختصه بأبعد غاية فى سورة براءة فنادى فى الحج بأوّلها ولم يكن غيره ينفذ نفاذه ولا يسدّ مكانه لانه قال لا يبلغ عنى الا رجل من أهل بيتى عملا فى ذلك بما أمر الله به سبحانه وعلى

الائمة من ذريتهما خلفاء الله فى أرضه والقائمين فى سياسة خلقه بصريح الايمان ومحضه والحكمين من أمر الدين مالا وجه لحله ولا سبيل الى نقضه وسلم عليهم أجمعين سلاما يتصل دوامه ولا يخشى انصرامه ومجد وكرّم وشرّف وعظم وكتاب أمير المؤمنين هذا اليك يوم الاحد عيد النحر من سنة ست وثلاثين وخمسمائة الذى تبلج فجره عن سيئات محصت ونفوس من آثار الذنوب خلصت ورحمة امتدّت ظلالها واتشرت ومغفرة هنأت ونشرت وكان من خبر هذا اليوم أن أمير المؤمنين برز لكافة من بحضرته من اوليائه متوجها لقضاء حق هذا العيد السعيد وأدائه فى عترة راسخة قواعدها متمكنه وعساكر جمة تضيق عنها ظروف الامكنه ومواكب تتوالى كتوالى السيل وتهاب هيبة مجيئه فى الليل بأسلحة تحسر لها الابصار وتبرق وترتاع الافئدة منها وتفرق من مشرفىّ اذا ورد تورّد ومن سمهرىّ اذا قصد تقصد ومن عمد اذا عمدت تبرّأت المغافر من ضمانها ومن قسىّ اذا ارسلت بنانها وصلت الى القلوب بغير استئذانها ولم يزل سائرا فى هدى الامامة وأنوارها وسكينة الخلافة ووقارها الى أن وصل الى المصلى قدام المحراب وأدّى الصلاة اذ لم يكن بينه وبين التقبيل حجاب ثم علا المنبر فاستوى على ذروته ثم هلل الله وكبر وأثنى على عظمته وأحسن الى الكافة بتبليغ موعظته وتوجه الى ما اعدّ من البدن فنحره تكميلا لقربته وانتهى فى ذلك الى ما امر الله عز وجل وعاد الى قصوره المكرمة ومنازله المقدسة قد رضى الله عمله وشكر فعله وتقبله اعلمك امير المؤمنين بذلك لتشكر الله على النعمة فيه وتذيعه قبلك على الرسم مما تجاريه فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله تعالى

* (ذكر دار الوزارة الكبرى) *

وكان بجوار هذا القصر الكبير الشرقىّ تجاه رحبة باب العيد دار الوزارة الكبرى ويقال لها الدار الافضلية والدار السلطانية * قال ابن عبد الظاهر دار الوزارة بناها بدر الجمالىّ أمير الجيوش ثم لم يزل يسكنها من يلى امرة الجيوش الى أن انتقل الامر عن المصريين وصار الى بنى أيوب فاستقر سكن الملك الكامل بقلعة الجبل خارج القاهرة وسكنها السلطان الملك الصالح ولده ثم أرصدت دار الوزارة لمن يرد من الملوك ورسل الخليفة الى هذا الوقت وكانت دار الوزارة قديما تعرف بدار القباب واضافها الافضل الى دور بنى هريسة وعمرها دارا وسماها دار الوزارة انتهى والذى تدل عليه كتب ابتياعات الاملاك القديمة التى بتلك الخطة انها من بناء الافضل لا من عمارة ابيه بدر والدار التى عمرها أمير الجيوش بدر هى داره بحارة برجوان التى قيل لها دار المظفر ومازال وزراء الدولة الفاطمية ارباب السيوف من عهد الافضل بن أمير الجيوش يسكنون بدار الوزارة هذه الى أن زالت الدولة فاستقر بها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب وابنه من بعده الملك العزيز عثمان ثم ابنه الملك المنصور ثم الملك العادل ابو بكر بن ايوب ثم ابنه الملك الكامل وصاروا يسمونها الدار السلطانية وأوّل من انتقل عنها من الملوك وسكن بالقلعة الملك الكامل ناصر الدين محمد ابن الملك العادل أبى بكر بن ايوب وجعلها منزلا للرسل فلما ولى قطز سلطنة ديار مصر وتلقب بالملك العادل فى سنة سبع وخمسين وستمائة وحضر اليه البحرية وفيهم بيبرس البندقدارىّ وقلاون الالفىّ من الشام خرج الملك العادل قطز الى لقائهم وأنزل الامير ركن الدين بيبرس بدار الوزارة فلم يزل بها حتى سافر صحبة قطز الى الشام وقتله وعاد الى مصر فتسلطن وسكن بقلعة الجبل * وفى سنة ثلاث وتسعين وستمائة لما قتل الاشرف خليل بن قلاون فى واقعة بيدرا ثم قتل بيدرا وأجلس الملك الناصر محمد على تخت الملك وثارت الاشرفية من المماليك على الامراء وقتل منهم من قتل منهم خاف بقية الامراء من شرّ المماليك الاشرفية فقبض منهم على نحو الستمائة مملوك وأنزل بهم من القلعة وأسكن منهم نحو الثلثمائة بدار الوزارة وأسكن منهم كثير فى مناظر الكبش واجريت عليهم الرواتب ومنعوا من الركوب الى أن كان من أمرهم ما هو مذكور فى موضعه من هذا الكتاب * ولما كانت سنة سبعمائة أخذ الامير شمس الدين قراسنقر المنصورى نائب السلطنة فى ايام الملك المنصور حسام الدين لاجين قطعة من دار الوزارة فبنى بها الربع المقابل خانقاه سعيد السعداء ثم بنى المدرسة المعروفة بالقراسنقرية ومكتب الايتام فلما كانت دولة البرجية بنى الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير الخانقاه الركنية والرباط بجانبها من جملة دار الوزارة وذلك فى سنة

تسع وسبعمائة ثم استولى الناس على ما بقى من دار الوزارة وبنوا فيها فمن حقوقها الربع تجاه الخانقاه الصلاحية دار سعيد السعداء والمدرسة القراسنقرية وخانقاه ركن الدين بيبرس وما بجوارها من دار قزمان ودار الامير شمس الدين سنقر الاعسر الوزير المعروفة بدار خوند طولوباى الناصرية جهة الملك الناصر حسن ابن محمد بن قلاون وحمام الاعسر التى بجانبها والحمام المجاورة لها وما وراء هذه الاماكن من الآدر وغيرها وهى الفرن والطاحون التى قبلى المدرسة القراسنقرية ومن الآدر والخربة التى قبلى ربع قراسنقر وما جاور باب سر المدرسة القراسنقرية من الآدر وخربة اخرى هناك والدار الكبرى المعروفة بدار الامير سيف الدين برلغى الصغير صهر الملك المظفر بيبرس الجاشنكير المعروفة اليوم بدار الغزاوى وفيها السرداب الذى كان رزيك ابن الصالح رزيك فتحه فى ايام وزارته من دار الوزارة الى سعيد السعداء وهو باق الى الآن فى صدر قاعتها وذكر أن فيه حية عظيمة ومن حقوق دار الوزارة المناخ المجاور لهذه القاعة وكان على دار الوزارة سور مبنى بالحجارة وقد بقى الآن منه قطعة فى حد دار الوزارة الغربى وفى حدها القبلى وهو الجدار الذى فيه باب الطاحون والساقية تجاه باب سعيد السعداء من الزقاق الذى يعرف اليوم بخرائب تتر ومنه قطعة فى حدها الشرقى عند باب الحمام والمستوقد بباب الجوانية وكان بدار الوزارة هذا الشباك الكبير المعمول من الحديد فى القبة التى دفن تحتها بيبرس الجاشنكير من خانقاهه وهو الشباك الذى يقرأ فيه القراء وكان موضوعا فى دار الخلافة ببغداد يجلس فيه الخلفاء من بنى العباس فلما استولى الامير أبو الحرث البساسيرى على بغداد وخطب فيها للخليفة المستنصر بالله الفاطمى أربعين جمعة وانتهب قصر الخلافة وصار الخليفة القائم بأمر الله العباسى الى عانة وسير البساسيرى الاموال والتحف من بغداد الى المستنصر بالله بمصر فى سنة سبع وأربعين وأربعمائة كان من جملة ما بعث به منديل الخليفة القائم بامر الله الذى عممه بيده فى قالب من رخام قد وضع فيه كما هو حتى لا تتغير شدته ومع هذا المنديل رداؤه والشباك الذى كان يجلس فيه ويتكئ عليه فاحتفظ بذلك الى أن عمرت دار الوزارة على يد الافضل بن أمير الجيوش فجعل هذا الشباك بها يجلس فيه الوزير ويتكئ عليه ومازال بها الى أن عمر الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير الخانقاه الركنية وأخذ من دار الوزارة أنقاضا منها هذا الشباك فجعله فى القبة وهو شباك جليل وأما العمامة والرداء فمازالا بالقصر حتى مات العاضد وتملك السلطان صلاح الدين ديار مصر فسيرهما فى جملة ما بعث من مصر الى الخليفة المستضىء بالله العباسى ببغداد ومعهما الكتاب الذى كتبه الخليفة القائم على نفسه وأشهد عليه العدول فيه أنه لا حق لبنى العباس ولا له من جملتهم فى الخلافة مع وجود بنى فاطمة الزهراء عليها السلام وكان البساسيرى ألزمه حتى أشهد على نفسه بذلك وبعث بالاشهاد الى مصر فأنفذه صلاح الدين الى بغداد مع ما سيره من التحف التى كانت بالقصر وأخبرنى شيخ معمر يعرف بالشيخ على السعودى ولد فى سنة سبع وسبعمائة قال رأيت مرة وقد سقط من ظهر الرباط المجاور لخانقاه بيبرس من جملة ما بقى من سور دار الوزارة جانب ظهرت منه علبة فيها رأس انسان كبير وعندى أن هذا الرأس من جملة رؤس الامراء البرقية الذين قتلهم ضرغام فى ايام وزارته للعاضد بعد شاور فانه كان عمل الحيلة عليهم بدار الوزارة وصار يستدعى واحدا بعد واحد الى خزانة بالدار ويوهم أنه يخلع عليهم فاذا صار واحد منهم فى الخزانة قتل وقطع رأسه وذلك فى سنة ثمان وخمسين وخمسمائة وكانت دار الوزارة فى الدولة الفاطمية تشتمل على عدة قاعات ومساكن وبستان وغيره وكان فيها مائة وعشرون مقسما للماء الذى يجرى فى بركها ومطابخها ونحو ذلك

* (ذكر رتبة الوزارة وهيئة خلعهم ومقدار جاريهم وما يتعلق بذلك) *

أما المعز لدين الله اول الخلفاء الفاطميين بديار مصر فانه لم يوقع اسم الوزارة على أحد فى ايامه وأول من قيل له الوزير فى الدولة الفاطمية الوزير يعقوب بن كلس وزير العزيز بالله أبى منصور نزار بن المعز واليه تنسب الحارة الوزيرية كما ستقف عليه عند ذكر الحارات من هذا الكتاب فلما مات ابن كلس لم يستوزر العزيز بالله بعده أحدا وانما كان رجل يلى الوساطة والسفارة فاستقر فى ذلك جماعة كثيرة بقية أيام العزيز وسائر ايام ابنه أبى على منصور الحاكم بأمر الله ثم ولى الوزارة احمد بن على الجرجرائى فى ايام الظاهر أبى هاشم على بن

الحاكم ومازال الوزراء من بعده واحدا بعد واحد وهم أرباب اقلام حتى قدم أمير الجيوش بدر الجمالى * قال ابن الطوير وكان من زى هؤلاء الوزراء انهم يلبسون المناديل الطبقيات بالاحناك تحت حلوقهم مثل العدول الآن وينفردون بلبس ثياب قصار يقال لها الذراريع واحدها ذراعة وهى مشقوقة أمام وجهه الى قريب من رأس الفؤاد بأزرار وعرى ومنهم من تكون أزراره من ذهب مشبك ومنهم من أزراره لؤلؤ وهذه علامة الوزارة ويحمل له الدواة المحلاة بالذهب ويقف بين يديه الحجاب وأمره نافذ فى أرباب السيوف من الاجناد وأرباب الاقلام وكان آخرهم الوزير ابن المغربى الذى قدم عليه أمير الجيوش بدر الجمالى من عكا ووزر للمستنصر وزير سيف ولم يتقدمه فى ذلك أحد انتهى وترتيب وزارته بأن تكون وزارته وزارة صاحب سيف بأن تكون الامور كلها مردودة اليه ومنه الى الخليفة دون سائر خدمه فعقد له هذا العقد وأنشئ له السجل ونعت بالسيد الاجل امير الجيوش وهو النعت الذى كان لصاحب ولاية دمشق وأضيف اليه كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين وجعل القاضى والداعى نائبين عنه ومقلدين من قبله وكتب له فى سجله وقد قلدك أمير المؤمنين جميع جوامع تدبيره وناط بك النظر فى كل ماوراء سريره فباشر ما قلدك أمير المؤمنين من ذلك مدبرا للبلاد ومصلحا للفساد ومدمرا اهل العناد وخلع عليه بالعقد المنظوم بالجوهر مكان الطوق وزيد له الحنك مع الذؤابة المرخاة والطيلسان المقور زى قاضى القضاة وذلك فى سنة سبع وستين وأربعمائة فصارت الوزارة من حينئذ وزارة تفويض ويقال لمتوليها أمير الجيوش وبطل اسم الوزارة فلما قام شاهنشاه بن أمير الجيوش من بعد أبيه ومات الخليفة المستنصر وأجلس ابن بدر فى الخلافة احمد بن المستنصر ولقبه بالمستعلى صار يقال له الافضل ومن بعده صار من يتولى هذه الرتبة يتلقب به أيضا وأول من لقب بالملك منهم مضافا الى بقية الالقاب رضوان بن ولخشى عندما وزر للحافظ لدين الله فقيل له السيد الاجل الملك الافضل وذلك فى سنة ثلاثين وخمسمائة وفعل ذلك من بعده فتلقب طلائع بن رزيك بالملك المنصور وتلقب ابنه رزيك بن طلائع بالملك العادل وتلقب شاور بالملك المنصور وتلقب آخرهم صلاح الدين يوسف بن ايوب بالملك الناصر وصار وزير السيف من عهد أمير الجيوش بدر الى آخر الدولة هو سلطان مصر وصاحب الحل والعقد واليه الحكم فى الكافة من الامراء والاجناد والقضاة والكتاب وسائر الرعية وهو الذى يولى أرباب المناصب الديوانية والدينية وصار حال الخليفة معه كما هو حال ملوك مصر من الاتراك اذا كان السلطان صغيرا والقائم بأمره من الامراء وهو الذى يتولى تدبير الامور كما كان الامير يلبغا الخاصكى مع الاشرف شعبان وكما أدركنا الامير برقوق قبل سلطنته مع ولدى الاشرف وكما كان الامير أيتمش مع الملك الناصر فرج بعد موت الظاهر برقوق * قال ابن أبى طى وكانت خلعهم يعنى الخلفاء الفاطميين على الامراء الثياب الديبقى والعمائم القصب بالطراز الذهب وكان طراز الذهب والعمامة من خمسمائة دينار ويخلع على أكابر الامراء الاطواق الذهب والاسورة والسيوف المحلاة وكان يخلع على الوزير عوضا عن الطوق عقد جوهر * قال ابن الطوير وخلع عليه يعنى على امير الجيوش بدر الجمالى بالعقد المنظوم بالجوهر مكان الطوق وزيد له الحنك مع الذؤابة المرخاة والطيلسان المقور زى قاضى القضاة وهذه الخلع تشابه خلع الوزراء وأرباب الاقلام فى زمننا هذا غير أنه لقصور أحوال الدولة جعل عوض العقد الجوهر الذى كان للوزير ويفك بخمسة آلاف مثقال ذهبا قلادة من عنبر مفشوش يقال لها العنبرية وتميز بها الوزير خاصة ويلبس أيضا الطيلسان المقور ويسمى اليوم بالطرحة ويشاركه فيها جميع أرباب العمائم اذا خلع عليهم فانه تكون خلعهم بالطرحة وترك أيضا اليوم من خلعة الوزير وغيره الذؤابة المرخاة وهى العذبة وصارت الآن من زى القضاة فقط وهجرها الوزراء وبشبه والله أعلم أن يكون وضعها فى الدولة الفاطمية للوزير فى خلعه اشارة الى انه كبير أرباب السيوف والاقلام فانه كان مع ذلك يتقلد بالسيف وكذلك ترك فى الدولة التركية من خلع الوزارة تقليد السيف لانه لا حكم له على أرباب السيوف ولما قام الافضل ابن أمير الجيوش خلع ايضا عليه بالسيف والطيلسان المقور وبعد الافضل لم يخلع على أحد من الوزراء كذلك الى أن قدم طلائع بن رزيك ولقب بالملك الصالح عندما خلع عليه للوزارة وجعل فى خلعته السيف والطيلسان المقور * قال ابن المأمون وفى يوم الجمعة ثانيه يعنى ثانى ذى الحجة يعنى سنة خمس عشرة وخمسمائة خلع على القائد ابن فاتك البطائحى من الملابس الخاص الشريفة فى فردكم مجلس الكعبة وطوق بطوق ذهب مرصع

وسيف

وسيف ذهب كذلك وسلم على الخليفة الآمر بأحكام الله وأمر الخليفة الاستاذين المحنكين بالخروج بين يديه وأن يركب من المكان الذى كان الافضل بن امير الجيوش يركب منه ومشى فى ركابه القواد على عادة من تقدمه وخرج بتشريف الوزارة يعنى من باب الذهب ودخل من باب العيد راكبا وجرى الحكم فيه على ما تقدم للافضل ووصل الى داره فضاعف الرسوم وأطلق الهبات ولما كان يوم الاثنين خامس ذى الحجة اجتمع امراء الدولة لتقبيل الارض بين يدى الخليفة الآمر على العادة التى قررها مستجدة واستدعى الشيخ أبا الحسن بن ابى أسامة فلما حضر امر باحضار السجل للاجل الوزير المأمون من يده فقبله وسلمه لزمام القصر وامر الخليفة الوزير المأمون بالجلوس عن يمينه وقرئ السجل على باب المجلس وهو اول سجل قرئ فى هذا المكان وكانت سجلات الوزراء قبل ذلك تقرأ بالايوان ورسم للشيخ ابى الحسن أن ينقل النسبة للامراء والمحنكين من الامراء الى المأمون فى للناس اجمع ولم يكن أحد منهم ينتسب للافضل ولا لامير الجيوش وقدمت الدواة للمأمون فعلم فى مجلس الخليفة وتقدمت الامراء والاجناد فقبلوا الارض وشكروا على هذا الاحسان وأمر الخليفة باحضار الخلع لحاجب الحجاب حسام الملك وطوق بطوق ذهب وسيف ذهب ومنطقة ذهب ثم أمر بالخلع للشيخ أبى الحسن ابن أبى أسامة باستمراره على ما بيده من كتابة الدست الشريف وشرفه بالدخول الى مجالس الخليفة ثم استدعى الشيخ أبا البركات بن ابى الليث وخلع عليه بدلة مذهبة وكذلك ابو الرضى سالم ابن الشيخ أبى الحسن وكذلك ابو المكارم أخوه وأبو محمد أخوهما ثم ابو الفضل بن الميدمى ووهبه دنانير كثيرة بحكم أنه الذى قرأ السجل وخلع على الشيخ أبى الفضائل بن أبى الليث صاحب دفتر المجلس ثم استدعى عدى الملك سعد بن عماد الضيف متولى امور الضيافات والرسل الواصلين الى الحضرة من مجلس الافضل ولا يصل لعتبته أحد لا حاجب الحجاب ولا غيره سوى عدى الملك هذا فانه كان يقف من داخل العتبة وكانت هذه الخدمة فى ذلك الوقت من أجل الخدم وأكبرها ثم عادت من أهون الخدم وأقلها فعند ذلك قال القاضى ابو الفتح بن قادوس يمدح الوزير المأمون عند مثوله بين يديه وقد زيد فى نعوته

قالوا أتاه النعت وهو السيد الـ * ـمأمون حقا والاجل الاشرف
ومغيث امة احمد ومجيرها * ما زادنا شـ ـيأ على ما نعرف

قال ولما استمر حسن نظر المأمون للدولة وجميل أفعاله بلغ الخليفة الآمر بأحكام الله فشكره واثنى عليه فقال له المامون ثم كلام يحتاج الى خلوة فقال الخليفة تكون فى هذا الوقت وأمر بخلو المجلس فعند ذلك مثل بين يدى الخليفة وقال له يا مولانا امتثالنا الامر صعب ومخالفته أصعب وما يتسع خلافه قدام امراء دولته وهو فى دست خلافته ومنصب آبائه وأجداده وما فى قواى ما رومه منى ويكفينى هذا المقدار وهيهات أن أقوم به والامر كبير فعند ذلك تغير الخليفة وأقسم ان كان لى وزير غيرك وهو فى نفسى من ايام الافضل وهو مستمر على الاستعفاء الى أن بان له التغير فى وجه الخليفة وقال ما اعتقدت انك تخرج عن أمرى ولا تخالفنى فقال له المأمون عند ذلك لى شروط وأنا أذكرها فقال له مهما شئت اشترط فقال له قد كنت بالامس مع الافضل وكان قد اجتهد فى النعوت وحل المنطقة فلم أفعل فقال الخليفة علمت ذلك فى وقته قال وكان أولاده يكتبون اليه بما يعلمه مولاى من كونى قد خنته فى المال والاهل وما كان والله العظيم ذلك منى يوما قط ثم مع ذلك معاداة الاهل جميعا والاجناد وارباب الطيالس والاقلام وهو يعطينى كل رقعة تصل اليه منهم وما سمع كلام أحد منهم فى فعند ذلك قال له الخليفة فاذا كان فعل الافضل معك ما ذكرته ايش يكون فعلى انا فقال المأمون يعرفنى المولى ما يأمر به فأمتثله بشرط أن لا يكون عليه زائد فأول ما ابتدأ به أن قال اريد الاموال لا تجبى الا الى القصر ولا تصل الكسوات من الطراز والثغور الا اليه ولا تفرق الا منه وتكون اسمطة الاعياد فيه ويوسع فى رواتب القصور من كل صنف وزيادة رسم منديل الكم فعند ذلك قال له المأمون سمعا وطاعة أما الكسوات والجباية من الاسمطة فما تكون الا بالقصور وأما توسعة الرواتب فما ثم من يخالف الامر وأما زيادة رسم منديل الكم فقد كان الرسم فى كل يوم ثلاثين دينارا يكون فى كل يوم مائة دينار ومولانا سلام الله عليه يشاهد ما يعمل بعد ذلك فى الركوبات وأسمطة الاعياد وغيرها فى سائر الايام ففرح الخليفة وعظمت مسرته ثم قال المأمون اريد بهذا مسطورا بخط أمير المؤمنين ويقسم لى فيه بآبائه الطاهرين أن لا يلتفت لحاسد ولا مبغض ومهما ذكر

فى يطلعنى عليه ولا يأمرنى بأمر سرا ولا جهرا يكون فيه ذهاب نفسى واحتفاظ [illegible] الى وقت وفاتى فاذا توفيت تكون لاولادى ولمن اخلفه بعدى بحضرت الدواة وكتب ذلك جميعه واشهد الله تعالى فى آخرها على نفسه فعندما حصل الخط بيد المأمون وقف وقبل الارض وجعله على رأسه وكان الخط بالايمان نسختين احداهما فى قصبة فضة قال فلما قبض على المامون فى شهر رمضان سنة تسع وعشرين وخمسمائة أنفذ الخليفة الآمر بأحكام الله يطلب الايمان فنفذله التى فى القصبة الفضة فخرقها لوقتها وبقيت النسخة الاخرى عندى فعدمت فى الحركات التى جرت * وقال ابن ميسر فى حوادث سنة خمس عشرة وخمسمائة وفيها تشرف القائد ابو عبد الله محمد ابن الامير نور الدولة أبى شجاع فاتك ابن الامير منجد الدولة أبى الحسن مختار المستنصرى المعروف بابن البطائحى فى الخامس من ذى الحجة وكان قبل ذلك عند الافضل استاداره وهو الذى قدمه الى هذه المرتبة واستقرت نعوته فى سجله المقرر على كافة الامراء والاجناد بالاجل المأمون تاج الخلافة وجيه الملك فخر الصنائع ذخر امير المؤمنين ثم تجدد له من النعوت بعد ذلك الاجل المأمون تاج الخلافة عز الاسلام فخر الانام نظام الدين والدنيا ثم نعت بما كان ينعت به الافضل وهو السيد الاجل المأمون أمير الجيوش سيف الاسلام ناصر الانام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين ولما كان يوم الثلاثاء التاسع من ذى الحجة وهو يوم الهناء بعيد النحر جلس المأمون فى داره عند أذان الصبح وجاء الناس لخدمته للهناء على طبقاتهم من أرباب السيوف والاقلام ثم الامراء والاستاذون المحنكون والشعراء بعدهم فركب الى القصر وأتى باب الذهب فوجد المرتبة المختصة بالوزارة قد هيئت له فى موضعها الجارى به العادة وأغلق الباب الذى عندها على الرسم المعتاد لوزراء السيوف والاقلام وهذا الباب يعرف بباب السرداب فعند ما شاهد الحال فى المرتبة توقف عن الجلوس عليها الا انها حالة لم يجر معه حديث فيها ثم الجأته الضرورة لاجل حضور الامراء الى الجلوس فجلس عليها وجلس اولاده الثلاثة عن يمينه وأخواه عن يساره والامراء المطوقون خاصة دون غيرهم قيام بين يديه فانه لا يصل أحد الى هذا المكان سواهم فلم يكن بأسرع من أن فتح الباب وخرج عدة من الاستاذين المحنكين بسلام أمير المؤمنين وخرج اليه الامير الثقة متولى الرسالة وزمام القصور فعند حضوره وقف له أولاد المأمون وأخواه فطلع عند خروجه قبالة المرتبة وقال أمير المؤمنين يرد على السيد الاجل المأمون السلام فوقف عند ذلك المأمون وقبل الارض وعاد فجلس مكانه وتأخر الامير الى أن نزل من المصطبة وقبل الارض وقبل يد المأمون ودخل من فوره من الباب وأغلق الباب على حاله على ما كان عليه الافضل وكان الافضل يقول ما أزال أعدّ نفسى سلطانا حتى أجلس على تلك المرتبة والباب يغلق فى وجهى والدخان فى انفى فان الحمام كانت من خلف الباب فى السرداب ثم فتح الباب وعاد الثقة وأشار بالدخول الى القصر فدخل الى المكان الذى هيئ له وعاد لمجلس الوزارة وبقى الامراء بالدهاليز الى أن جلس الخليفة واستفتح القرّاء واستدعى المأمون فحضر بين يديه وسلم عليه أولاده واخوته وأحلّ الامراء على قدر طبقاتهم أوّلهم أرباب الاطواق ويليهم أرباب العماريات والاقصاب ثم الضيوف والاشراف ثم دخل ديوان المكاتبات وسلم بهم الشيخ ابو الحسن بن أبى اسامة ثم ديوان الانشاء وسلم بهم الشريف ابن انس الدولة ثم بقية الطالبيين من الاشراف ثم سلم القاضى ابن الرسعنى بشهوده والداعى ابن عبد الحق بالمؤمنين ثم سلم القائد مقبل مقدم الركاب الآمرى بجميع المقدمين الآمرية ثم سلم بعدهم الشيخ ابو البركات بن أبى الليث متولى ديوان المملكة ثم دخل الاجناد من باب البحر وسلم كل طائفة بمقدمها فلما انقضى ذلك دخل والى القاهرة ووالى مصر وسلم كل منهما ببياض اهل البلدين ثم دخل البطرك بالنصارى وفيهم كتاب الدولة من النصارى ورئيس اليهود ومعه الكتاب من اليهود ثم سلم المقربون وقد قارب القصر ودخل الشعراء على طبقاتهم وأنشد كل منهم ما سمحت به قريحته قال فكان هذا ارتبة الوزير المأمون قال ابن المأمون وأما ما قرّر للوزارة عينا فى الشهر بغير ايجاب بل يقبض من بيت المال فهو ثلاثة آلاف دينار تفصيلها ما هو على حكم النيابة فى العلامة ألف دينار وما هو على حكم الراتب ألف وخمسمائة دينار وما هو عن مائة غلام برسم مجلسه وخدمته لكل غلام خمسة دنانير فى الشهر فأما الغلمان الركابية وغيرهم من الفرّاشين والطباخين فعلى حكم ما يرغب فى اثباته وفى السنة من الاقطاعات خمسون ألف دينار منها دهشور وجزيرة الذهب وبقية الجملة صفقات ومن البساتين ثلاثة بستان

لامير تميم وبستانان بكوم أشفين ومن القوت يعني القمح ومن القضم يعني الشعير والبرسيم في السنة عشرون ألف اردب قمحا وشعيرا ومن الغنم برسم مطابخه ساقة من المراحات ثمانية آلاف رأس وأما الحيوان والاحطاب وجميع التوابل العال منها والدون فهما استدعاه متولي المطابخ يطلق من دار أفتكين وشون الاحطاب وغير ذلك وقد تقدم مقرر كسوة الوزارة في العيدين وفصلي الشتاء والصيف وموسم عيد الغدير وفتح الخليج وغير ذلك من غرتي شهر رمضان وأول العام وغيره كما سيرد في موضعه من هذا الكتاب ان شاء الله تعالى وقد استقصيت سير الوزراء في كتابي الذي سميته تلقيح العقول والآراء في تنقيح أخبار الجلة الوزراء فانظره

(ذكر الحجر التي كانت برسم الصبيان الحجرية)

وكان بجوار دار الوزارة مكان كبير يعرف بالحجر جمع حجرة فيها الغلمان المختصون بالخلفاء كما أدركنا بالقلعة البيوت التي كان يقال لها الطباق وكانت هذه الحجر من جانب حارة الجوانية والى حيث المسجد الذي يعرف بمسجد القاصد تجاه باب الجامع الحاكمي الذي يفضي الى باب النصر فمن حقوق هذه الحجر دار الامير بهادر اليوسفي السلاحدار الناصري التي تجاور المسجد الكائن على يمنة من سلك من باب الجوانية طالبا باب النصر ومنها الحوض المجاور لهذه الدار ودار الامير أحمد قريب الملك الناصر محمد بن قلاون والمسجد المعروف بالنخلة وما بجواره من القاعتين اللتين تعرف احداهما بقاعة الامير علم الدين سنجر الجاولي وما في جانبها الى مسجد القاصد وما وراء هذه الدور وكان لهؤلاء الحجرية اصطبل برسم دوابهم سيأتي ذكره ان شاء الله تعالى وما زالت هذه الحجر باقية بعد انقضاء دولة الخلفاء الفاطميين الى ما بعد السبعمائة فهدمت وابتنى الناس مكانها الاماكن المذكورة * قال ابن أبي طي عن المعز لدين الله وجعل كل ماهر في صنعة صانعا للخاص وأفرد لهم مكانا برسمهم وكذلك فعل بالكتاب والافاضل وشرط على ولاة الاعمال عرض اولاد الناس بأعمالهم فمن كان ذا شهامة وحسن خلقة أرسله ليخدم في الركاب فسيروا اليه عالما من اولاد الناس فأفرد لهم دورا وسماها الحجر * وقال ابن الطوير وكوتب الافضل ابن أمير الجيوش من عسقلان باجتماع الفرنج فاهمه التوجه اليها فلم يبق ممكنا من مال وسلاح وخيل ورجال واستناب أخاه المظفر أبا محمد جعفر بن امير الجيوش بدر بين يدي الخليفة مكانه وقصد استنقاذ الساحل من يد الفرنج فوصل الى عسقلان وزحف عليها بذلك العسكر فخذل من جهة عسكره وهي نوبة النصة وعلم أن السبب في ذلك من جنده ولما غلب حرق جميع ما كان معه من الآلات وكان عند الفرنج شاعر منجم اليهم فقال يخاطب صنجيل ملك الفرنج

نصرت بسيفك دين المسيح * فلله درك من صنجل
وما سمع الناس فيما رووه * بأقبح من كسرة الافضل

فتوصل الافضل الى ذبح هذا الشاعر ولم ينتفع بعد هذه النوبة أحد من الاجناد بالافضل وحظر عليهم النعوت ولم يسمع لاحد منهم كلمة وأنشأ سبع حجر واختار من اولاد الاجناد ثلاثة آلاف راجل وقسمهم في الحجر وجعل لكل مائة زماما ونقيبا وزم الكل بأمير يقال له الموفق وأطلق لكل منهم ما يحتاج اليه من خيل وسلاح وغيره وعني بهؤلاء الاجناد فكان اذا دهمه أمر مهم جهزهم اليه مع الزمام الاكبر * وقال ابن المأمون وكان من جملة الحجرية الذين يحضرون السماط رجل يعرف بابن زحل وكان يأكل خروفا كبيرا مشويا ويستوفيه الى آخره ثم يقدم له صحن كبير من القصور المعمولة بالسكر وجميع صنوف الحيوانات على اختلاف أجناسها مالم يعمل قط مثله من الاطعمة فيأكل معظمه وكان يقعد في طرف المدورة حتى يكون بالقرب من نظر الخليفة لاميزته وكان من الاجناد وأسر في ايام الافضل وقيده الفرنجي الذي أسره وعذبه وطالت مدته في الاسر وكان فقيرا فاتفق ان ذكر للفرنجي كثرة اكله فأراد أن يمتحنه فقال له أحضر لي عجلا اكبر عجل عندكم آكله الى آخره فضحك منه الفرنجي ونقص عقله وأتاه بعجل كبير ويقال بخنزير فقال له اذبحه واشوه وائتني معه بجرة خل ثم قال اذا اكلته ما يكون لي عندك فغلط الفرنجي وقال له اطلقك تمضي الى اهلك فاستحلفه على ذلك وغلظ عليه اليمين وأحضر الفرنجي عدة من اصحابه ليشاهدوا فعله فلما استوفى العجل جميعه صلب كل من الحاضرين على وجهه

وتعجب من فعله وأطلقه فقال أخاف من أن يعتقد انى هربت فارد اليكم فاحضر الفرنجى من العربان من سله اليهم ولم يشعر به الايباب عسقلان فطلع منها وأعفى بعد ذلك من السفر وبقى برسم الاسمطة * وقال ابن عبد الظاهر الحجر قريب من باب النصر وهو مكان كبير فى صف دار الوزارة الى جانبه باب القوس الذى يسمى باب النصر قديما على يمنة الخارج من القاهرة كان تربى فيه جماعة من الشباب يسمون صبيان الحجر يكونون فى جهات متعددة وهم يناهزون خمسة آلاف نسمة ولكل حجرة اسم تعرف به وهى المنصورة والفتح والجديدة وغير ذلك مفردة لهم وعندهم سلاحهم فاذا جردوا خرج كل منهم لوقته لا يكون له ما يمنعه وكانوا فى ذلك على مثال الذؤابة والاستار وكانوا اذا سمى الرجل منهم بعقل وشجاعة خرج من هنالك الى الامرة او التقدمة مثل على بن السلار وغيره ولا يأوى أحد منهم الا بحجرته بفرسه وعدته وقماشه وللصبيان الحجرية حجرة مفردة عليهم استاذون يبيتون عندهم وخدام برسمهم

(ذكر المناخ السعيد)

وكان من وراء القصر الكبير فيما يلى ظهر دار الوزارة الكبرى والحجر المناخ وهو موضع برسم طواحين القمح التى تطحن جرايات القصور وبرسم مخازن الاخشاب والحديد ونحو ذلك * قال ابن الطوير وأما المناخات ففيها من الحواصل ما لا يحصره الا القلم من الاخشاب والحديد والطواحين النحدية والغشيمة وآلات الاساطيل من الاسلحة المعمولة بيد الفرنج القاطنين فيه والقنب والكتان والمنجنيقات المعدة والطواحين الدائرة برسم الجرايات المقدم ذكرها والزفت فى المخازن الذى عليه الاتربة ولا يقطع الا بالمعاول وقد أدركت هذه الدولة يعنى دولة بنى أيوب منه شيئا كثيرا فى هذا المكان انتفع به واليه يأوى الفرنج فى بيوت برسمهم وكانت عدتهم كثيرة ففيه من النجارين والجزارين والدهانين والخبازين والخياطين والفعلة ومن العجانين والطحانين فى تلك الطواحين والفرانين فى أفران الجرايات وفى هذا المكان مادة اكثر اهل الدولة وحاميه أمير من الامراء ومشارفه من العدول وفيه أيضا شاهد النفقات وعامل يتولى التنفيذ مع المشارف وعامل برسم نظم الحساب من تعلقاتهما بجار غير جواريهم لان أوقاتهم مستغرقة فى مباشرة الاطلاقات وغيرها وذكر ابن الطوير أن المأمون بن البطائحى استجد طواحين برسم الرواتب

(ذكر اصطبل الطارمة)

الطارمة بيت من خشب وهو دخيل وكان بجوار القصر الكبير تجاه باب الديلم من شرقى الجامع الازهر اصطبل * قال ابن الطوير وكان لهم اصطبلان أحدهما يعرف بالطارمة يقابل قصر الشوك والآخر بحارة زويلة يعرف بالجميزة وكان للخليفة الحاضر ما يقرب من ألف رأس فى كل اصطبل النصف من ذلك منها ما هو برسم الخاص ومنها ما يخرج برسم العوارى لارباب الرتب والمستخدمين دائما ومنها ما يخرج أيام المواسم وهى التغيرات المتقدم ذكر ارسالها لارباب الرتب والخدم والمرتب لكل اصطبل منها لكل ثلاثة أرؤس سائس واحد ملازم ولكل واحد منها شداد برسم تسييرها وفى كل اصطبل بئر بساقية تدور الى احواض ومخازن فيها الشعير والاقراط اليابسة المجولة من البلاد اليها ولكل عشرين رجلا من السواس عريف يلتزم دركهم بالضمان لانهم الذين يتسلمون من خزائن السروج المركبات بالحلى ويعيدونها اليها كما تقدم ذكره فى خزائن السروج ولكل من الاصطبلين رائض كامير اخور ولهما ميرة وجامكية متسعة وللعرفاء على السواس ميرة وللجماعات الجرايات من القمح والخبز خارجا عن الجامكيات فاذا بقى لايام المواسم التى يركب فيها الخليفة بالمظلة مدة اسبوع أخرج الى كل رائض فى الاصطبل مع استاذ مظلة دبيقى مركبة على قنطارية مدهونة ويختص الرائض على ما يركبه الخليفة اما فرسين او ثلاثة وعليهما المركبات الحلى التى يركبها الخليفة فيركبها الرائض بحائل بينه وبين السرج ويركب الاستاذ بغلة مظلة ويحمل تلك المظلة ويسير فى براح الاصطبل وفيه سعة عظيمة مارا وعائدا وحولها البوق والطبل فيكرر ذلك عدة دفعات فى كل يوم مدة ذلك الاسبوع ليستقر ما يركبه الخليفة من الدواب على ذلك ولا ينفر منه فى حال الركوب عليه فيعمل كذلك فى كل اصطبل من الاصطبلين والدواب والبغلة التى تتهيأ هى التى يركبها الخليفة وصاحب المظلة يوم الموسم ولا يختل ذلك ويقال انه ما راثت دابة

ولا بالت

ولا بالات والخليفة راكبها ولا بغلة صاحب المظلة أيضا الى حين نزولهما عنهما وكان فى الساحل بطريق مصر من القاهرة فى البساتين المنسوبة الى ملك صارم الدين حللبا شونتان مملوءتان تبنا معبيتان كتعبيته فى المراكب كالجبلين الشاهقين ولهما مستخدمون حام ومشارف وعامل بجامكية جيدة تصل بذلك المراكب التبانة الموهلة له من موظف الاتبان بالبلاد الساحلية وغيرها مما يدخل اليه فى ايام النيل ولها رؤساء وأمرها جار فى ديوان العمائر والصناعة والانفاق منها بالتوقيعات السلطانية للاصطبلات المذكورة وغيرها من الاواسى الديوانية وعوامل بساتين الملك واذا جرى بين المستخدمين خلف فى الشنف التبن المعتبر عادوا الى قبضه بالوزن فيكون الشنف التبن ثلثمائة وستين رطلا بالمصرى نقيا واذا أنفقوا دريساً او تغيرت صورة قته كان عن القتة اثناعشر رطلا ولم يزل ذلك كذلك الى آخر وقته ومما يخبر عنهم أنهم لم يركبوا حصانا أدهم قط ولا يرون اضافته الى دوابهم بالاصطبلات وقال ابن عبد الظاهر اصطبل الطارمة كان اصطبلا للخليفة فلما زالت تلك الايام اختط وبنى آدرا

(ذكر دار الضرب وما يتعلق بها)

وكان بجوار خزانة الدرق التى هى اليوم خان مسرور الكبير دار الضرب وموضعها حينئذ كان بالقشاشين التى تعرف اليوم بالخراطين وصار مكان دار الضرب اليوم درب يعرف بدرب الشمسى فى وسط سوق السقطيين المهامزيين وباب هذا الدرب تجاه قيسارية العصفر فاذا دخلت هذا الدرب فما كان على يسارك من الدور فهو موضع دار الضرب وبجوارها دار الوكالة الحافظية فجعلت الحوانيت التى على يمينه من سلك من رأس الخراطين تجاه سوق العنبر طالبا الجامع الازهر فى ظهر دار الضرب وانشأ هذه الحوانيت وما كان يعلوها من البيوت الامير المعظم خمرتاش الحافظى وجعلها وقفا وقال فى كتاب وقفها وحد هذه الحوانيت الغربى ينتهى الى دار الضرب والى دار الوكالة وقد صارت هذه الحوانيت الآن من جملة أوقاف المدرسة الجمالية مما اغتصب من الاوقاف ومازالت دار الضرب هذه فى الدولة الفاطمية باقية الى أن استبد السلطان صلاح الدين فصارت دار الضرب حيث هى اليوم كما تقدم ذكره وكان لدار الضرب المذكورة فى ايامهم أعمال ويعمل بها دنانير الغرة ودنانير خميس العدس ويتولاها قاضى القضاة لجلالة قدرها عندهم * قال ابن المأمون وفى شوال منها وهى سنة ست عشرة وخمسمائة أمر الاجل ببناء دار الضرب بالقاهرة المحروسة لكونها مقر الخلافة وموطن الامامة فبنيت بالقشاشين قبالة المارستان وسميت بالدار الآمرية واستخدم لها العدول وصار دينارها أعلى عيارا من جميع ما يضرب بجميع الامصار انتهى وكانت دار الضرب المذكورة تجاه المارستان فكان المارستان بجوار خزانة الدرق فما عن يمينك الآن اذا سلكت من رأس الخراطين فهو موضع دار الضرب ودار الوكالة هكذا الى الحمام التى بالخراطين وماوراءها وما عن يسارك فهو موضع المارستان * قال ابن عبد الظاهر فى ايام المأمون بن البطائحى وزير الآمر بأحكام الله بنيت دار الضرب فى القشاشين قبالة المارستان الذى هنالك وسميت بالدار الآمرية

(دار العلم الجديدة) وكان بجوار القصر الكبير الشرقى دار فى ظهر خزانة الدرق من باب تربة الزعفران لما أغلق الافضل بن أمير الجيوش دار العلم التى كان الحاكم بأمر الله فتحها فى باب التبانين اقتضى الحال بعد قتله أعادة دار العلم فامتنع الوزير المأمون من اعادتها فى موضعها فأشار الثقة زمام القصور بهذا الموضع فعمل دار العلم فى شهر ربيع الاول سنة سبع عشرة وخمسمائة وولاها لابى محمد حسن بن آدم واستخدم فيها مقرئين ولم تزل دار العلم عامرة حتى زالت الدولة الفاطمية * قال ابن عبد الظاهر رأيت فى بعض كتب الاملاك القديمة ما يدل على انها قريبة من القصر النافعى وكذا ذكر لى السيد الشريف الحلبى أنها دار ابن أزدمر المجاورة لدار سكنى الآن خلف فندق مسرور الكبير وكذلك قال لى والدى رحمه الله وقد بناها جمال الدين الاستادار الحلبى دارا عظيمة غرم عليها مائة ألف واكثر من ذلك على ماذكره انتهى وموضع دار العلم هذه دار كبيرة ذات زلاقة بجوار درب ابن عبد الظاهر قريبا من خان الخليلى بخط الزراكشة العتيق

(موسم اول العام) قال ابن المأمون واسفرت غرة سنة سبع عشرة وخمسمائة وبادر المستخدمون

فى الخزائن وصناديق الانفاق بحمل مايحضر بين يدى الخليفة من عين وورق من ضرب السنة المستجدة ورسم جميع من يختص به من اخوته وجهاته وقراباته وأرباب الصنائع والمستخدمات وجميع الاستاذين العوالى والادوان وثنوا بحمل مايختص بالاجل المأمون وأولاده واخوته واستأذنوا على تفرقة مايختص بالاجل المأمون وأولاده والاصحاب والحواشى والامراء والضيوف والاجناد فأمروا بتفرقته والذى اشتمل عليه المبلغ فى هذه السنة نظير ما كان قبلها وجلس المأمون باكرا على السماط بداره وفرقت الرسوم على أرباب الخدم والمميزين من جميع اصنافه على ماتضمنته الاوراق وحضرت التعاشير والتشريفات وزى الموكب الى الدار المأمونية وتسلم كل من المستخدمين المداريج بأسماء من شرف بالجبة ومصفات العساكر وترتيب الاسمطة وأصعد كل منهم الى شغله وتوجه لخدمته ثم ركب الخليفة واستدعى الوزير المأمون ثم خرج من باب الذهب وقد نشرت مظلته وخدمت الرهجية ورتب الموكب والجنائب ومصفات العساكر عن يمينه وشماله وجميع تجار البلدين من الجوهريين والصيارف والصاغة والبزازين وغيرهم قد زينوا الطريق بما تقتضيه تجارة كل منهم ومعاشه لطلب البركة بنظر الخليفة وخرج من باب الفتوح والعساكر فارسها وراجلها بتجملها وزيها وأبواب حارات العبيد معلقة بالستور ودخل من باب النصر والصدقات تعم المساكين والرسوم تفرق على المستقرين الى أن دخل من باب الذهب فلقيه المقرئون بالقرآن الكريم فى طول الدهاليز الى أن دخل خزانة الكسوة الخاص وغير ثياب الموكب بغيرها وتوجه الى تربة آبائه للترحيم على عادته وبعد ذلك الى مارآه من قصوره على سبيل الراحة وعبيت الاسمطة وجرى الحال فيها وفى جلوس الخليفة ومن جرت عادته وتهيئة قصور الخلافة وتفرقة الرسوم على ماهو مستقر وتوجه الاجل المأمون الى داره فوجد الحال فى الاسمطة على ماجرت به العادة والتوسعة فيها اكثر مما تقدمها وكذلك الهناء فى صبيحة الموسم بالدار المأمونية والقصور وحضر من جرت العادة بحضوره للهناء وبعدهم الشعراء على طبقاتهم وعادت الامور فى ايام السلام والركوبات وترتيبها على المعهود وأحضر كل من المستخدمين فى الدواوين مايتعلق بديوانه من التذاكر والمطالعات مما تحتاج اليه الدولة فى طول السنة وينعم به ويتصدق ويحمل الى الحرمين الشريفين من كل صنف على مافصل فى التذاكر على يد المندوبين ويحمل الى الثغور ويخزن من سائر الاصناف مايستعمل ويباع فى الثغور والبلاد والاستعمار وجريدة الابواب وتذكرة الطراز والتوقيع عليها * وقال ابن الطوير فاذا كان العشر الاخير من ذى الحجة فى كل سنة انتصب كل من المستخدمين بالاماكن لاخراج آلات الموكب من الاسلحة وغيرها فيخرج من خزائن الاسلحة مايحمله صبيان الركاب حول الخليفة من الاسلحة وهو الصماصم المصقولة المذهبة مكان السيوف المحدبة والدبابيس الكيمخت الاحمر والاسود ورؤسها مدورة مضرسة واللتوت كذلك ورؤسها مستطيلة مضرسة أيضا وآلات يقال لها المستوفيات وهى عمد حديد من طول ذراعين مربعة الاشكال بمقابض مدورة فى ايديهم بعدة معلومة من كل صنف فيتسلمها نقباؤهم وهى فى ضمانهم وعليهم اعادتها الى الخزائن بعد تقضى الخدمة بها ويخرج للطائفة من العبيد الاقوياء السودان الشباب ويقال لهم أرباب السلاح الصغر وهم ثلثمائة عبد لكل واحد حربتان بأسنة مصقولة تحتها جلب فضة كل اثنتين فى شرابة وثلثمائة درقة بكوامخ فضة يتسلم ذلك عرفاؤهم على ماتقدم فيسلمونه للعبيد لكل واحد حربتان ودرقة ثم يخرج من خزانة التجمل وهى من حقوق خزائن السلاح القصب الفضة برسم تشريف الوزير والامراء أرباب الرتب وأزمة العساكر والطوائف من الفارس والراجل وهى رماح ملبسة بأنابيب الفضة المنقوشة بالذهب الاذراعين منها فيشد فى ذلك الخالى من الانابيب عدة من المعاجر الشرب الملونة ويترك أطرافها المرقومة مسبلة كالصناجق وبرؤسها رمامين منفوخة فضة مذهبة واهلة مجوفة كذلك وفيها جلاجل لها حس اذا تحركت وتكون عدتها مايقرب من مائة ومن العماريات وهى شبه الكجاوات من الديباج الاحمر وهو أجلها والاصفر والقرقوبى والسقلاطون مبطنة مضبوطة بزنانير حرير وعلى دائر التربيع منها مناطق بكوامخ فضة مسمورة فى جلد نظير عدد القصب فيسير من القصب عشرة ومن العماريات مثلها من الحمر خاصة ويخرج للوزير خاصة لواآن على رمحين طويلين ملبسين بمثل تلك الانابيب ونفس اللواء ملفوف غير منشور وهذا التشريف يسير أمام الوزير وهو للامراء من ورائهم ثم يسير للامراء أرباب الرتب فى الخدم وأولهم صاحب الباب وهو أجلهم خمس قصبات وخمس عماريات ويرسل لاسفهسلار

العساكر

العساكر أربع قصبات وأربع عماريات من عدة ألوان ومن سواهما من الامراء على قدر طبقاتهم ثلاث ثلاث
واثنتان اثنتان وواحدة واحدة ثم يخرج من البنود الخاص الديبقي المرقوم الملون عشرة برماح ملبسة
بالانابيب وعلى رؤسها الرمامين والاهلة للوزير خاصة ودون هذه البنود مما هو من الحرير على رماح غير ملبسة
ورؤسها ورمامينها من نحاس مجوف مطلي بالذهب فتكون هذه أمام الامراء المذكورين من تسعة الى سبعة
اذرع برأسها طلعة مصقولة وهي من خشب القنطاريات داخلة في الطلعة وعقبها حديد مدور وأسفل فهي في كف
حاملها الايمن وهو يفتلها فيه فتلا متداركا الدوران وفي يده اليسرى نشابة كبيرة يخطر بها وعدتها ستون مع
ستين رجلا يسيرون رجالة في الموكب يسيرون يمنة ويسرة ثم يخرج من النقارات حمل عشرين بغلا على كل بغل
ثلاث مثل نقارات الكوسات بغير كوسات يقال لها طبول فيتسلمها صناعها ويسيرون في الموكب اثنين اثنين
ولها حس مستحسن وكان لها ميزة عندهم في التشريف ثم يخرج اقوام متطوعين بغير جار ولا جراية تقرب عدتهم
من مائة رجل لكل واحد درقة من درق اللمط وهي واسعة وسيف ويسيرون أيضا رجالة في الموكب هذا
وظيفة خزائن السلاح ثم يحضر حامي خزائن السروج وهو من الاستاذين المحنكين اليه جامع مشارفها وهو من
الشهود المعدلين فيخرج منها برسم خاص الخليفة من المركبات الحلي ما هو برسم ركوبه وما يجنب في موكبه مائة
سرج منها سبعون على سبعين حصانا ومنها ثلاثون على ثلاثين بغلة كل مركب مصوغ من ذهب أو من ذهب
وفضة أو من ذهب منزل فيه المينا او من فضة منزلة بالمينا وروادفها وقرابيسها من نسبتها ومنها ما هو مرصع
بالجواهر الفائقة وفي اعناقها الاطواق الذهب وقلائد العنبر وربما يكون في أيدي وأرجل اكثرها خلاخل
مسطوحة دائرة عليها ومكان الجلد من السروج الديباج الاحمر والاصفر وغيرهما من الالوان والسقلاطون
المنقوش بألوان الحرير قيمة كل دابة وما عليها من العدة ألف دينار فيشرف الوزير من هذه بعشرة حصن
لركوبه وأولاده واخوته ومن يعز عليه من اقاربه ويسلم ذلك لعرفاء الاصطبلات بالعرض عليهم من الجرائد التي
هي ثابتة فيها بعلاماتها في أماكنها وأعدادها وعدد كل مركب منقوش عليه مثل اول وثان وثالث الى آخرها كما
هو مسطور في الجرائد فيعرف بذلك قطعة قطعة ويسلمها العرفاء لشدادين بضمان عرفائهم الى أن تعود وعليهم
غرامة ما نقص منها واعادتها برمتها ثم يخرج من الخزائن المذكورة لارباب الدواوين المرتبين في الخدم على
مقاديرهم مركبات أيضا من الحلي دون ما تقدم ذكره ما تقرب عدته من ثلثمائة مركب على خيل وبغلات وبغال
يتسلمها العرفاء المتقدم ذكرهم على الوجه المذكور وينتدب حاجب يحضر على التفرقة لفلان وفلان من أرباب
الخدم سيفا وقلما فيعرف كل شداد صاحبه فيحضر اليه بالقاهرة ومصر سحر يوم الركوب ولهم من الركاب رسوم
من دينار الى نصف دينار الى ثلث دينار فاذا تكمل هذا الامر وسلم أيضا الجالون بالمناخات اغشية
العماريات ويكون اراحة في ذلك كله الى آخر الثامن والعشرين من ذي الحجة وأصبح اليوم التاسع والعشرون
من سلخه على رأي القوم عزم الخليفة على الجلوس في الشباك لعرض دوابه الخاص المقدم ذكرها ويقال له
يوم عرض الخيل فيستدعي الوزير بصاحب الرسالة وهو من كبار الاستاذين المحنكين وفصحائهم وعقلائهم
ومحصليهم فيمضي الى استدعائه في هيئة المسرعين على حصان دهراج امتثالا لامر الخليفة بالاسراع على خلاف
حركته المعتادة فاذا عاد مثل بين يدي الخليفة وأعلمه باستدعائه الوزير فيخرج راكبا من مكانه في القصر
ولا يركب أحد في القصر الا الخليفة وينزل في السدلا بدهليز باب الملك الذي فيه الشباك وعليه من ظاهره للناس
ستر فيقف من جانبه الايمن زمام القصر ومن جانبه الايسر صاحب بيت المال وهما من الاستاذين المحنكين
فيركب الوزير من داره وبين يديه الامراء فاذا وصل الى باب القصر ترجل الامراء وهو راكب ويكون دخوله
في هذا اليوم من باب العيد ولا يزال راكبا الى اول باب من الدهاليز الطوال فينزل هناك ويمشي فيها وحواليه
حاشيته وغلمانه وأصحابه ومن يراه من أولاده وأقاربه ويصل الى الشباك فيجد تحته كرسيا كبيرا من كراسي البلق
الجيد فيجلس عليه ورجلاه تطأ الارض فاذا استوى جالسا رفع كل استاذ الستر من جانبه فيرى الخليفة
جالسا في المرتبة الهائلة فيقف ويسلم ويخدم بيده الى الارض ثلاث مرات ثم يؤمر بالجلوس على كرسيه فيجلس
ويستفتح القراء بالقراءة قبل كل شيء بآيات لائقة بذلك الحال مقدار نصف ساعة ثم يسلم الامراء ويسرع في
عرض الخيل والبغال الخاص المقدم ذكرها دابة دابة وهي هادئة كالعرائس بأيدي شداديها الى ان يكمل،

عرضها فيقرأ القراء نحتم ذلك الجلوس ويرخى الاستاذان الستر فيقدم الوزير ويدخل اليه ويقبل يديه ورجليه وينصرف عنه الى داره فيركب من مكان نزوله والامراء بين يديه لوداعه الى داره ركبانا ومشاة الى قريب المكان فاذا صلى الخليفة الظهر بعد انفضاض ما تقدم جلس لعرض ما يلبسه فى عيد تلك الليلة وهو يوم افتتاح العام بخزائن الكسوات الخاص ويكون لباسه فيه البياض غير الموشح فيعين على منديل خاص وبدلة فأما المنديل فيسلم لشاد التاج الشريف ويقال له شدة الوقار وهو من الاستاذين المحنكين وله ميزة لماسة ما يعلو تاج الخليفة فيشدها شدة غريبة لا يعرفها سواه شكل الاهليلجة ثم يحضر اليه اليتيمة وهى جوهرة عظيمة لا يعرف لها قيمة فتنظم هى وحواليها ما دونها من الجواهر وهى موضوعة فى الحافر وهو شكل الهلال من ياقوت أحمر ليس له مثال فى الدنيا فتنظم على خرقة حرير أحسن وضع ويخيطها شاد التاج بخياطة خفيفة ممكنة فيكون بأعلى جبهة الخليفة ويقال ان زنة الجوهرة سبعة دراهم وزنة الحافر أحد عشر مثقالا وبدائرها قصبة زمرد ذبابى له قدر عظيم ثم يؤمر بشد المظلة التى تشابهها تلك البدلة المحضرة بين يديه وهى مناسبة للثياب ولها عندهم جلالة لكونها تعلو رأس الخليفة وهى اثنا عشر شوركا عرض سفل كل شورك شبر وطوله ثلاثة اذرع وثلث وآخر الشورك من فوق دقيق جدا فيجتمع ما بين الشوارك فى رأس عودها بدائره وهو قنطارية من الزان ملبسة بأنابيب الذهب وفى آخر أنبوبة تلى الرأس من جسمه فلكة بارزة مقدار عرض ابهام فيشد آخر الشوارك فى حلقة من ذهب ويترك متسعا فى رأس الرمح وهو مفروض فتلقى تلك الفلكة فتمنع المظلة من الحدور فى العمود المذكور ولها اضلاع من خشب الخلنج مربعات مكسوة بوزن الذهب على عدد الشوارك خفاف فى الوزن طولها طول الشوارك وفيها خطاطيف اطاف وحلق يمسك بعضها بعضا وهى تنضم وتنفتح على طريقة شوكات الكيزان ولها رأس شبه الرمانة ويعلوه رمانة صغيرة كلها ذهب مرصع بجوهر يظهر للعيان ولها رفرف دائر يفتحها من نسبتها عرضه اكثر من شبر ونصف وسفل الرمانة فاصل يكون مقداره ثلاث أصابع فاذا ادخلت الحلقة الذهب الجامعة لآخر شوارك المظلة فى رأس العمود ركبت الرمانة عليها وافت فى عرض دبيق مذهب فلا يكشفها منه الا حاملها عند تسليمها اليه اول وقت الركوبة ثم يؤمر بشد لواءى الحمد المختصين بالخليفة وهما رمحان طويلان ملبسان بمثل أنابيب عمود المظلة الى حد نصفهما وهما من الحرير الابيض المرقوم بالذهب وغير منشورين بل ملفوفين على جسم الرمحين فيشدان ليخرجا بخروج المظلة الى أميرين من حاشية الخليفة برسم حملهما ويخرج احدى وعشرون راية لطاف من الحرير المرقوم ملونة بكتابة تخالف ألوانها من غيره ونص كتابتها نصر من الله وفتح قريب على رماح مقومة من القنا المنتقى طول كل راية ذراعان فى عرض ذراع ونصف فى كل واحدة ثلاث طرازات فتسلم لاحد وعشرين رجلا من فرسان صبيان الخاص ولهم بشارة عود الخليفة سالما عشرون دينارا ثم يخرج رمحان رؤسهما اهلة من ذهب صامتة فى كل واحد سبع من ديباج أحمر وأصفر وفى فمه طارة مستديرة يدخل فيها الريح فينفتحان فيظهر شكلهما ويتسلمهما فارسان من صبيان الخاص فيكونان أمام الرايات ثم يخرج السيف الخاص وهو من صاعقة وقعت على ما يقال وحليته ذهب مرصعة بالجوهر فى خريطة مرقومة بالذهب لا يظهر الا رأسه ليسلم الى حامله وهو أمير عظيم القدر وهذه عندهم رتبة جليلة المقدار وهو اكبر حامل ثم يخرج الرمح وهو رمح لطيف فى غلاف منظوم من اللؤلؤ وله سنان مختصر بحلية ذهب ودرقة بكوامخ ذهب فيها سعة منسوبة الى حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه فى غشاء من حرير لتخرج الى حاملها وهو أمير مميز ولهذه الخدمة وصاحبها عندهم جلالة ثم تشعر الناس بطريق الموكب وسلوكه لا يتعدى دورتين احداهما كبرى والاخرى صغرى أما الكبرى فمن باب القصر الى باب النصر مارا الى حوض عز الملك نبا ومسجده هنالك وهو أقصاها ثم ينعطف على يساره طالبا باب الفتوح الى القصر والاخرى اذا خرج من باب النصر سار حافا بالسور ودخل من باب الفتوح فيعلم الناس بسلوك احداهما فيسيرون اذا ركب الخليفة فيها من غير تبديل للموكب ولا تشويش ولا اختلال فلا يصبح الصبح من يوم الركوب الا وقد اجتمع من بالقاهرة ومصر من أرباب الرتب وأرباب التميزات من ارباب السيوف والاقلام قياما بين القصرين وكان براحا واسعا خاليا من البناء الذى فيه اليوم فيسع القوم لانتظار الخليفة ويبكر الامراء الى الوزير الى داره فيركب الى القصر من غير استدعاء لانها خدمة لازمة للخليفة فيسير أمامه تشريفه المقدم ذكره والامراء بين يديه ركبانا ومشاة وأمامه اولاده واخوته

وكل منهم مرخى الذؤابة بلا حنك وهو فى أبهة عظيمة من الثياب الفاخرة والمنديل وهو بالحنك ويتقلد بالسيف المذهب فاذا وصل القصر ترجل قبله اهله فى أخص مكان لا يصل الامراء اليه ودخل من باب القصر وهو راكب دون الحاضرين الى دهليز يقال له دهليز العمود فيترجل على مصطبة هناك ويمشى بقية الدهاليز الى القاعة فيدخل مقطع الوزارة هو وأولاده واخوته وخواص حاشيته ويجلس الامراء بالقاعة على دكك معدة لذلك مكسوة فى الصيف بالحصر السامان وفى الشتاء بالبسط الجهرمية المحفورة فاذا دخلت الدابة لركوب الخليفة وأسندت الى الكرسى الذى يركب عليه من باب المجلس أخرجت المظلة الى حاملها فيكشفها مما هى ملفوفة فيه غير مطوية فيتسلمها باعانة أربعة من الصقالبة برسم خدمتها فيركزها فى آلة حديد متخذة شكل القرن وهو مشدود فى ركاب حاملها الايمن بقوة وتأكيد فيمسك العمود بحاجز فوق يده فيبقى وهو منتصب واقف ولم يذكر قط انها اضطربت فى ريح عاصف ثم يخرج بالسيف فيتسلمه حامله فاذا تسلمه أرخيت ذؤابته مادام حاملاله ثم تخرج الدواة فتسلم لحاملها وهو من الاستاذين المحنكين وكان الوزراء حملوها القوم من الشهود المعدلين وهى الدواة التى كانت من أعاجيب الزمان وهى فى نفسها من الذهب وحليتها مرجان وهى ملفوفة فى منديل شرب بياض مذهب وقد قال فيها بعض الشعراء يخاطب الخليفة التى صنعت حلية المرجان فى وقته وهذا من أغرب ما يكون ذكر ذلك فى بيتين وهما

ألين لداود الحديد كرامة * فقدّر منه السرد كيف يريد
ولان لك المرجان وهو حجارة * ومقطعه صعب المرام شديد

فيخرج الوزير ومن كان معه من المقطع وتنضم اليه الامراء ويقفون الى جانب الراية فيرفع صاحب المجلس الستر فيخرج من كان عند الخليفة للخدمة منهم وفى اثرهم يبرز الخليفة بالهيئة المشروح حالها فى لباسه الثياب المعروضة عليه والمنديل الحامل لليتيمة بأعلى جبهته وهو محنك مرخى الذؤابة مما يلى جانبه الايسر ويتقلد بالسيف المغربى وبيده قضيب الملك وهو طول شبر ونصف من عود مكسو بالذهب المرصع بالدر والجوهر فيسلم على الوزير قوم مرتبون لذلك وعلى اهله وعلى الامراء بعدهم ثم يخرج اولئك اولا فاولا والوزير يخرج بعد الامراء فيركب ويقف قبالة باب القصر بهيئته ويخرج الخليفة وحواليه الاستاذون ودابته ماشية على بسط مفروشة خيفة من زلقها على الرخام فاذا قارب الباب وظهر وجهه ضرب رجل ببوق لطيف من ذهب معوج الرأس يقال له الغربية بصوت عجيب يخالف اصوات البوقات فاذا سمع ذلك ضربت الابواق فى الموكب ونشرت المظلة وبرز الخليفة من الباب ووقف وقفة يسيرة بمقدار ركوب الاستاذين المحنكين وغيرهم من أرباب الرتب الذين كانوا بالقاعة للخدمة وسار الخليفة وعلى يساره صاحب المظلة وهو يبالغ أن لا يزول عنه ظلها ثم يكتنف الخليفة مقدمو صبيان الركاب منهم اثنان فى الشكيمة واثنان فى عنق الدابة من الجانبين واثنان فى ركابه فالايمن مقدم المقدمين وهو صاحب المقرعة التى يتناولها ويناولها وهو المؤدى عن الخليفة مدة ركوبه الاوامر والنواهى ويسير الموكب بالحث فأوله فروع الامراء وأولادهم وأخلاط بعض العسكر الاماثل الى أرباب القصب الى أرباب الاطواق الى الاستاذين المحنكين الى حامل اللوائين من الجانبين الى حامل الدواة وهى بينه وبين قربوس السرج الى صاحب السيف وهما فى الجانب الايسر كل واحد ممن تقدم ذكره بين عشرة الى عشرين من اصحابه ويحجبه اهل الوزير المتقدم ذكرهم من الجانب الايمن بعد الاستاذين المحنكين ثم يأتى الخليفة وحواليه صبيان الركاب المذكورة تفرقة السلاح فيهم وهم أكثر من ألف رجل وعليهم المناديل الطبقيات ويتقلدون بالسيوف وأوساطهم مشدودة بمناديل وفى أيديهم السلاح مشهور وهم من جانبى الخليفة كالجناحين المادين وبينهما فرجة لوجه الفرس ليس فيها أحد وبالقرب من رأسها الصقلبيان الحاملان للمذبتين وهما مرفوعتان كالنخلتين لما يسقط من طائر وغيره وهو سائر على تؤدة ورفق وفى طول الموكب من اوله الى آخره والى القاهرة مار وعائد يفسح الطرقات ويسير الركبان فيلقى فى عوده الاسفهسلار كذلك مارا وعائدا لحث الاجناد فى الحركة والانكار على المزاحمين المعترضين ويلقى فى عوده صاحب الباب ومروره فى زمرة الخليفة الى أن يصل الى الاسفهسلار فيعود لترتيب الموكب وحراسة طرقات الخليفة وفى يد كل منهم دبوس وهو راكب خيل وابه وأسرعها هذا المن أمام الموكب ثم يسير خلف دابة الخليفة قوم من صبيان الركاب لحفظ أعقابه ثم عشرة يحملون

عشرة سيوف فى خرائط ديباج احمر وأصفر بشراريب غزيرة يقال لها سيوف الدم برسم ضرب الاعناق ثم يسير بعدهم صبيان السلاح الصغير أرباب الفرنجيات المقدم ذكرهم اولا ثم ياتى الوزير فى هيبة وفى ركابه من اصحابه قوم يقال لهم صبيان الزرد من اقوياء الاجناد يختارهم لنفسه ما مقداره خمسمائة رجل من جانبيه بفرجة لطيفة أمامه دون فرجة الخليفة وكانه على وفز من حراسة الخليفة ويجتهد أن لا يغيب عن نظره وخلفه الطبول والصنوج والصفافير وهو مع عدة كثيرة تدوى بأصواتها وحسها الدنيا ثم يأتى حامل الرمح المقدم ذكره ودرقته حمراء ثم طوائف الراجل من الركابية والجيوشية وقبلهما المصامدة ثم الفرنجية ثم الوزيرية زمرة زمرة فى عدة وافرة تزيد على أربعة آلاف فى الوقت الحاضر وهم أضعاف ذلك ثم اصحاب الرايات والسبعين ثم طوائف العساكر من الآمرية والحجرية الكبار والحافظية والحجرية الصغار المنقولين والافضلية والجيوشية ثم الاتراك المصطنعون ثم الديلم ثم الاكراد ثم الغز المصطنعة وقد كان تقدم هؤلاء الفرسان عدة وافرة من المترجلة أرباب قسى البندق وقسى الرجل فى اكثر من خمسمائة وهم المعدون للاساطيل ويكون من الفرسان المقدم ذكرهم ما يزيد على ثلاثة آلاف وهذا كله بعض من كل فاذا انتهى الموكب الى المكان المحدود عادوا على أدراجهم ويدخلون من باب الفتوح ويقفون بين القصرين بعد الرجوع كما كانوا قبله فاذا وصل الخليفة الى الجامع الاقمر بالقماحين اليوم وقف وقفة بجملته فى موكبه وانفرج الموكب للوزير فيترك مسرعا ليصير أمام الخليفة حتى يدخل بين يديه فيمر الخليفة ويسكع له سكعة ظاهرة فيشير الخليفة للسلام عليه اشارة خفية وهذه أعظم مكارمة تصدر عن الخليفة ولا تكون الا للوزير صاحب السيف وسبقه الى دخول باب القصر راكبا على عادته الى موضعه ويكون الامراء قد نزلوا قبله لانهم فى اوائل الموكب فاذا وصل الخليفة الى باب القصر ودخله ترجل الوزير ودخل قبله الاستاذون المحنكون وأحدقوا به والوزير أمام وجه الفرس مكان ترجله الى الكرسى الذى ركب منه فينزل عليه ويدخل الى مكانه بعد خدمة المذكورين له فيخرج الوزير ويركب من مكانه الجارى به على عادته والامراء بين يديه وأقاربه حواليه فيركبون من أماكنهم ويسيرون صحبته الى داره فيدخل وينزل أيضا الى مكانه على كرسى فتخدمه الجماعة بالوداع ويتفرق الناس الى أماكنهم فيجدون قد أحضر اليهم الغرة وهو أنه يقدم الخليفة بأن يضرب بدار الضرب فى العشر الاخر من ذى الحجة بتاريخ السنة التى ركب اولها فى هذا اليوم جملة من الدنانير والرباعية والدراهم المدورة المقسقلة فيحمل الى الوزير منها ثلثمائة وستون دينارا وثلثمائة وستون رباعيا وثلثمائة وستون قيراطا والى اولاده واخوته من كل صنف من ذلك خمسون والى أرباب الرتب من اصحاب السيوف والاقلام من عشرة دنانير وعشر رباعيات وعشرة قراريط الى دينار واحد ورباعى واحد وقيراط واحد فيقبلون ذلك على حكم البركة من مبلغ الخليفة قال ومبلغ الغرة التى ينعم بها فى اول العام المقدم ذكرها من الدنانير والرباعيات والقراريط ما يقرب من ثلاثة آلاف دينار والله تعالى أعلم

* (ذكر ما كان يضرب فى خميس العدس من خراريب الذهب) *

قال ابن المأمون وأحضر الاجل المأمون كاتب الدفتر وأمره بالكشف عما كان يضرب برسم خميس العدس من الخراريب الذهب وهو خمسمائة دينار عن عشرين ألف خروبة واستدعى كاتب بيت المال ووقع له باطلاق ألف دينار وأمره باحضار مشارف دار الضرب وسلمها اليه فاعتمد ذلك وضربت عشرون ألف خروبة وأحضرها فامر بحملها الى الخليفة فسير الخليفة منها الى المأمون ثلثمائة دينار وذكر أنها لم تضرب فى مدة خلافة الحافظ لدين الله غير سنة واحدة ثم بطل حكمها ونسى ذكرها قال وصار ما يضرب باسم الخليفة يعنى الآمر بأحكام الله فى ستة مواضع القاهرة ومصر وقوص وعسقلان وصور والاسكندرية * وقال ابن عبد الظاهر خميس العدس كان يضرب فيه خمسمائة تعمل عشرة آلاف خروبة كان الافضل بن أمير الجيوش يحمل منها للخليفة مائتى دينار والبقية برسمه ثم جعلت فى الايام المأمونية ألف دينار وربما زادت أو نقصت يسيرا وقد تقدم أن قاضى القضاة كان يتولى عيار دار الضرب ويحضر التغليق بنفسه ويختم عليه ويحضر للموعد الآخر لفتحه

* (ذكر دار الوكالة الآمرية) *

كانت دار الوكالة المذكورة بجانب دار الضرب وموضعها الآن على يمنة السالك من رأس الخراطين الى سوق الخيميين والجامع الازهر * قال ابن المامون فى شوال سنة ست عشرة وخمسمائة ثم أنشأ يعنى المأمون بن البطائحى وزير الخليفة الآمر بأحكام الله دار الوكالة بالقاهرة المحروسة لمن يصل من العراقيين والشاميين وغيرهما من التجار ولم يسبق الى ذلك

(ذكر مصلى العيد)

وكان فى شرقى القصر الكبير مصلى العيد من خارج باب النصر وهذا المصلى بناه القائد جوهر لاجل صلاة العيد فى شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وثلثمائة ثم جدده العزيز بالله وقد بقى الى الآن بعض هذا المصلى واتخذ فى جانب منه موضع مصلى الاموات اليوم

(ذكر هيئة صلاة العيد وما يتعلق بها)

قال ابن زولاق وركب المعز لدين الله يوم الفطر لصلاة العيد الى مصلى القاهرة التى بناها القائد جوهر وكان محمد ابن أحمد بن الادرع الحسنى قد بكر وجلس فى المصلى تحت القبة فى موضع فجاء الخدم وأقاموه وأقعدوا موضعه أبا جعفر مسلما واقعدوه هو دونه وكان أبو جعفر مسلم خلف المعز عن يمينه وهو يصلى واقبل المعز فى زيه وبنوده وقبابه وصلى بالناس صلاة العيد تامة طويلة قرأ فى الاولى بأم الكتاب وهل أتاك حديث الغاشية ثم كبر بعد القراءة وركع فأطال وسجد فأطال انا سبحت خلفه فى كل ركعة وفى كل سجدة نيفا وثلاثين تسبيحة وكان القاضى النعمان بن محمد يبلغ عنه التكبير وقرأ فى الثانية بأم الكتاب وسورة والضحى ثم كبر أيضا بعد القراءة وهى صلاة جده على بن أبى طالب عليه السلام وأطال أيضا فى الثانية الركوع والسجود أنا سبحت خلفه نيفا وثلاثين تسبيحة فى كل ركعة وفى كل سجدة وجهر ببسم الله الرحمن الرحيم فى كل سورة وأنكر جماعات يتوسمون بالعلم قراءته قبل التكبير لقلة علمهم وتقصيرهم فى العلوم حدثنا محمد بن أحمد قال حدثنا عمر بن شيبة ثنا عبد الله ورجاء عن اسرائيل عن أبى اسحق عن الحارث عن على عليه السلام انه كان يقرأ فى صلاة العيد قبل التكبير فلما فرغ المعز من الصلاة صعد المنبر وسلم على الناس يمينا وشمالا ثم ستر بالسترين اللذين كانا على المنبر فخطب وراءهما على رسمه وكان فى أعلى درجة من المنبر وسادة ديباج مثقل فجلس عليها بين الخطبتين واستفتح الخطبة بسم الله الرحمن الرحيم وكان معه على المنبر القائد جوهر وعمار بن جعفر وشفيع صاحب المظلة ثم قال الله أكبر الله أكبر واستفتح بذلك وخطب وأبلغ وأبكى الناس وكانت خطبة بخشوع وخضوع فلما فرغ من خطبته انصرف فى عساكره وخلفه أولاده الاربعة بالجواشن والخود على الخيل بأحسن زى وساروا بين يديه بالفيلين فلما حضر فى قصره أحضر الناس فأكلوا وقدمت اليهم السمط ونشطهم الى الطعام وعتب على من تأخر وهدد من بلغه عنه صيام العيد * وقال المسبحى فى حوادث آخر يوم من رمضان سنة ثمانين وثلثمائة وبقيت مصاطب ما بين القصور والمصلى الجديدة ظاهر باب النصر عليها المؤذنون حتى يتصل التكبير من المصلى الى القصر وفيه تقدم أمر القاضى محمد بن النعمان باحضار المتفقهة والمؤمنين يعنى الشيعة وأمرهم بالجلوس يوم العيد على هذه المصاطب ولم يزل يرتب الناس وكتب رقاعا فيها أسماء الناس فكانت تخرج رقعة رقعة فيجلس الناس على مصطبة مصطبة بالترتيب وفى يوم العيد ركب العزيز بالله لصلاة العيد وبين يديه الجنائب والقباب الديباج بالحلى والعساكر فى زيه من الاتراك والديلم والعزيزية والاخشيدية والكافورية وأهل العراق بالديباج المثقل والسيوف والمناطق الذهب وعلى الجنائب السروج الذهب بالجوهر والسروج بالعنبر وبين يديه الفيلة عليها الرجالة بالسلاح والزرافة وخرج بالمظلة الثقيلة بالجوهر وبيده قضيب جده عليه السلام فصلى على رسمه وانصرف * وقال ابن المأمون ولما توفى أمير الجيوش بدر الجمالى وانتقل الامر الى ولده الافضل بن أمير الجيوش جرى على سنن والده فى صلاة العيد ويقف فى قوس باب داره الذى عند باب النصر يعنى دار الوزارة فلما سكن بمصر صار يطلع من مصر باكرا ويقف على باب داره على الحالة الاولى حتى تستحق الصلاة فيدخل من باب العيد الى الايوان ويصلى به القاضى ابن الرسعنى ثم يجلس بعد الصلاة على المرتبة الى أن تنقضى الخطبة فيدخل من باب الملك ويسلم على الخليفة بحيث لا يراه أحد غيره ثم يخلع عليه ويتوجه الى داره بمصر فيكون

السماط بهامدى الاعياد فلما قتل الافضل واستقر بعده المأمون بن البطائحى فى الوزارة قال هذا نقص فى حق العيد ولا يعلم السبب فى كون الخليفة لا يظهر فقال له الخليفة الآمر باحكام الله فما تراه أنت فقال يجلس مولانا فى المنظرة التى استجدت بين باب الذهب وباب البحر فاذا جلس مولانا فى المنظرة وفتحت الطاقات وقف المملوك بين يديه فى قوس باب الذهب وتجوز العساكر فارسها وراجلها وتشملها بركة نظر مولانا اليها فاذا حان وقت الصلاة توجه المملوك بالموكب والزى وجميع الامراء والاجناد واجتاز بأبواب القصر ودخل الايوان فاستحسن ذلك منه واستصوب رأيه وبالغ فى شكره ثم عاد المأمون الى مجلسه وأمر بتفرقة كسوة العيد والهبات يعنى فى عيد النحر سنة خمس عشرة وخمسمائة وجملة العين ثلاثة آلاف وثلثمائة دينار وسبعة دنانير ومن الكسوات مائة قطعة وسبع قطع برسم الامراء المطوقين والاستاذين المحنكين وكاتب الدست ومتولى حجبة الباب وغيرهم قال ووصلت الكسوة المختصة بالعيد فى آخر شهر رمضان يعنى من سنة ست عشرة وخمسمائة وهى تشتمل على دون العشرين ألف دينار وهو عندهم الموسم الكبير ويسمى بعيد الحلل لان الحلل فيه تعم الجماعة وفى غيره للاعيان خاصة وقد تقدم تفصيلها عند ذكر خزانة الكسوة من هذا الكتاب قال ولما كان فى التاسع والعشرين من شهر رمضان خرجت الاوامر بأضعاف ما هو مستقر للمقرئين والمؤذنين فى كل ليلة برسم السحور بحكم انها ليلة ختم الشهر وحضر المأمون فى آخر النهار الى القصر للفطور مع الخليفة والحضور على الاسمطة على العادة وحضر اخوته وعمومته وجميع الجلساء وحضر المقرئون والمؤذنون وسلموا على عادتهم وجلسوا تحت الروشن وحمل من عند معظم الجهات والسيدات والمميزات من أهل القصور بلاحى وموكبيات مملوءة ماء ملفوفة فى عراضى ديبقى وجعلت أمام المذكورين ليشملها بركة ختم القرآن واستفتح المقرئون من الحمد الى خاتمة القرآن تلاوة وتطريبا ثم وقف بعد ذلك من خطب فأسمع ودعا فأبلغ ورفع الفراشون ما أعدوه برسم الجهات ثم كبر المؤذنون وهللوا وأخذوا فى الصوفيات الى أن نثر عليهم من الروشن دراهم ودنانير ورباعيات وقدمت جفان القطائف على الرسم مع الحلوى فجروا على عادتهم وملأوا أكمامهم ثم خرج استاذ من باب الدار الجليلة بخلع خلعها على الخطيب وغيره ودراهم تفرق على الطائفتين من المقرئين والمؤذنين ورسم أن تحمل الفطرة الى قاعة الذهب وأن تكون التعبية فى مجلس الملك وتعبى الطيافير المشورة الكبار من السرير الى باب المجلس وتعبى من باب المجلس الى ثلثى القاعة سماطا واحدا مثل سماط الطعام ويكون جميعه سدا واحدا من حلاوة الموسم ويزين بالقطع المنفوخ فامتثل الامر وحضر الخليفة الى الايوان واستدعى المأمون وأولاده واخوته وعرضت المظال المذهبة المحاومة وكان المقرئون يلوحون عند ذكرها بالآيات التى فى سورة النحل والله جعل لكم مما خلق ظلالا الى آخرها وجلس الخليفة ورفعت الستور واستفتح المقرئون وجدد المأمون السلام عليه وجلس على المرتبة عن يمينه وسلم الامراء جميعهم على حكم منازلهم لا يتعدى أحد منهم مكانه والنواب جميعهم يستدعونهم بنعوتهم وترتيب وقوفهم وسلم الرسل الواصلون من جميع الاقاليم ووقفوا فى آخر الايوان وختم المقرئون وسلموا وخدمت الرهجية وتقدم متولى كل اصطبل من الرواض وغيرهم يقبل الارض ويقف ودخلت الدواب من باب الديلم والمستخدمون فى الركاب بالمناديل يتسلمونها من الشدادين ويدورون بها حول الايوان ودواب المظلة متميزة عن غيرها يتسلمها الاستاذون والمستخدمون فى الركاب ويعلون بها الى قريب من الشباك الذى فيه الخليفة وكلما عرض دواب اصطبل قبل الارض متوليه وانصرف وتقدم متولى غيره على حكمه الى أن يعرض جميع ما أحضروه وهو ما يزيد على ألف فرس خارجا عن البغال وما تأخر من العشاريات والجور والمهارة ولما عرضت الدواب أبطلت الرهجية وعاد استفتاح المقرئين وكانوا محسنين فيما ينتزعونه من القرآن الكريم مما يوافق الحال مثل الآية من آل عمران زين للناس حب الشهوات الى آخرها ثم بعدها قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء الى آخرها وعرضت الوحوش بالاجلة الديباج والديبقى بقباب الذهب والمناطق والاهلة وبعدها النجب والبخاتى بالاقتاب الملبسة بالديبقى الملون المرقوم وعرض السلاح وآلات الموكب جميعها ونصبت الكسوات على باب العيد وضربت طول الليل وحملت الفطرة الخاص التى يفطر عليها الخليفة باصناف الجوارشات بالمسك والعود والكافور والزعفران والتمور المصبغة التى يستخرج ما فيها وتحشى بالطيب وغيره وتسد وتختم وسلمت للمستخدمين فى القصور وعبيت

فى

فى مواعين الذهب المكللة بالجواهر وخرجت الاعلام والبنود وركب المأمون فلما حصل بقاعة الذهب آخذ فى مشاهدة السماط من سرير الملك الى آخرها وخرج الخليفة لوقته من الباذهنج وطلع الى سرير ملكه وبين يديه الصوانى المقدم ذكرها واستدعى بالمأمون فجلس عن يمينه بعد أداء حق السلام وأمر باحضار الامراء المميزين والقاضى والداعى والضيوف وسلم كل منهم على حكم ميزته وقدمت الرسل وشرفوا بتقبيل الارض والمقرئون يتلون والمؤذنون يهللون ويكبرون وكشفت القوارات الشرب المذهبات عما هو بين يدى الخليفة فبدأ وكبر وأخذ بيده تمرة فأفطر عليها وناول مثلها الوزير فاظهر الفطر عليها وأخذ الخليفة فى أن يستعمل من جميع ما حضر ويناول وزيره منه وهو يقبله ويجعله فى كمه وتقدمت الاجلاء اخوة الوزير وأولاده من تحت السرير وهو يناولهم من يده فيجعلونه فى اكمامهم بعد تقبيله وأخذ كل من الحاضرين كذلك ويومئ بالفطور ويجعله فى كمه على سبيل البركة فمن كان رأيه الفطور أفطر ومن لم يكن رأيه أومأ وجعله فى كمه لا ينتقد على أحد فعله ثم قال المأمون بعد ذلك ما على من يأخذ من هذا المكان نقيصة بل له به الشرف والميزة ومد يده وأخذ من الطيفور الذى كان بين يديه عود نبات وجعله فى كمه بعد تقبيله وأشار الى الامراء فاعتمد كل من الحاضرين ذلك وملأوا أكمامهم ودخل الناس فأخذوا جميع ذلك ثم خرج الوزير الى داره والجماعة فى ركابه فوجد التعبية فيها من صدر المجلس الى آخره على ما أمر به ولم يعدم مما كان بالقصر غير الصوانى الخاص فجلس على مرتبته والاجلاء أولاده واستدعى بالعوالى من الامراء والقاضى والداعى والضيوف فحضروا وشرفوا بجلوسهم معه وحصل من مسرتهم بذلك ما بسطهم ورفعوا اليسير مما حضر على سبيل الشرف ثم انصرفوا وحضرت الطوائف والرسل على طبقاتهم الى أن حمل جميع ما كان بالدار بأسره وانقضى حكم الفطور وعاد للتنفيذ فى غيره وضربت الطبول والابواق على أبواب القصور والدار المامونية وأحضرت التغابير وفرقت على أربابها من الاجناد والمستخدمين وخرجت أزمة العساكر فارسها وراجلها وندب الحاجب الذى بيده الدعو لترتيب صفوفها من باب القصر الى المصلى ثم حضر الى الدار المأمونية الشيوخ المميزون وجلس المأمون فى مجلسه وأولاده بهيئة العيد وزينته ورفعت الستور وابتدأ المقرئون وسلم متولى الباب والشيوخ ولم يدخل المجلس غير كاتب الدست ومتولى الحجبة وبالغ كل منهما فى زيه وملبوسه وجروا على رسمهم فى تقبيل الارض وعتبة المجلس ووصل الى الدار المأمونية التجمل الخاص الذى برسم الخليفة جميعه القصب الفضة والاعلام والمنجوقات والعقبات والعماريات ولواآ الوزارة لركوب الخليفة بالمظلة بالطميم والمراكب الذهب المرصعة بالجوهر وغير ذلك من التجملات وركب المأمون من داره وجميع التشاريف الخاص بين يديه وخدمت الرهجية ومن جملتهم الغريبة وهى أبواق لطاف عجيبة غريبة الشكل تضرب كل وقت يركب فيه الخليفة ولا تضرب قدام الوزير الا فى المواسم خاصة وفى أيام الخلع عليه والامراء مصطفون عن يمينه وعن شماله ويليهم اخوته وبعدهم أولاده ودخل الى الايوان وجلس على المرتبة المختصة به وعن يمينه جميع الاجلاء والمميزون وقوف أمامه ومن انحط عنهم من باب الملك الى الايوان قيام ويخرج خاصة الدولة ريحان الى المصلى بالفرش الخاص وآلات الصلاة وعلق المحراب بالشروب المذهبة وفرش فيه ثلاث سجادات متراكبة وأعلاها السجادة اللطيفة التى كانت عندهم معظمة وهى قطعة من حصير ذكر أنها كانت من جملة حصير لجعفر بن محمد الصادق عليهما السلام يصلى عليها وفرش الارض جميعها بالحصر المحاريب ثم علق على جانبى المنبر وفرش جميع درجه وجعل أعلاه المخادّ التى يجلس عليها الخليفة وعلق اللواآن عليه وقعد تحت القبة خاصة الدولة ريحان والقاضى وأطلق البخور ولم يفتح من أبوابه الا باب واحد وهو الذى يدخل منه الخليفة ويقعد الداعى فى الدهليز ونقباء المؤمنين بين يديه وكذلك الامراء والاشراف والشيوخ والشهود ومن سواهم من أرباب الحرف ولا يمكن من الدخول الا من يعرفه الداعى ويكون فى ضمانه واستفتحت الصلاة وأقبل الخليفة من قصوره بغاية زيه والعلم الجوهر فى منديله وقضيب الملك بيده وبنو عمه واخوته واستاذوه فى ركابه وتلقاه المقرئون عند وصوله والخواص واستدعى بالمأمون فتقدم بمفرده وقبل الارض وأخذ السيف والرمح من مقدمى خزائن الكسوة والرهجية تخدم وحمل لواء الحمد بين يديه الى أن خرج من باب العيد فوجد المظلة قد نشرت عن يمينه والذى بيده الدعو فى ترتيب الحجبة ان شرف بها لا يتعدى أحد حكمه وسائر المواكب بالجنائب

الخاص وخيل التخافيف ومصفات العساكر والطوائف بجمعها بزيها وراياتها وراء الموكب الى أن وصل الى قريب المصلى والعماريات والزرافات وقد شد على الفيلة بالاسرة مملوءة رجالا مشككة بالسلاح لا يتبين منهم الا الاحداق وبأيديهم السيوف المجردة والدرق الحديد الصينى والعساكر قد اجتمعت وترادفت صفوفا من الجانبين الى باب المصلى والنظارة قد ملأت الفضاء لمشاهدة مالم يبلغوه والموكب سائر بهم وقد أحاط بالخليفة والوزير صبيان الخاص وبعدهم الاجناد بالدروع المسبلة والزرديات بالمغافر ملثمة والبرك الحديد بالصماصم والدبابيس ولما طلع الموكب من ربوة المصلى ترجل متولى الباب والحجاب ووقف الخليفة بجمعه بالمظلة الى أن اجتاز المأمون راكبا من حول ركابه ورد الخليفة السلام عليه بكمه وصار أمامه وترجل الامراء المميزون والاستاذون المحنكون بعدهم وجميع الاجلاء وصار كل منهم يبدأ بالسلام على الوزير ثم على الخليفة الى أن صار الجميع فى ركابه ولم يدخل من باب المصلى راكبا غير الوزير خاصة ثم ترجل على بابه الثانى الى أن وصل الخليفة اليه فاستدعى به فسلم وأخذ الشكيمة بيده الى أن ترجل الخليفة فى الدهليز الآخر وقصد المحراب والمؤذنون يكبرون قدامه واستفتح الخليفة فى المحراب وسامته فيه وزيره والقاضى والداعى عن يمينه وشماله ليوصلوا التكبير لجماعة المؤذنين من الجانبين ويتصل منهم التكبير الى مؤذنى مصلى الرجال والنساء الخارجين عن المصلى الكبير وكاتب الدست وأهله ومتولى ديوان الانشاء يصلون تحت عقد المنبر ولا يمكن غيرهم أن يكون معهم ولما قضى الخليفة الصلاة وهى ركعتان قرأ فى الاولى بفاتحة الكتاب وهل أتاك حديث الغاشية وكبر سبع تكبيرات وركع وسجد وفى الثانية بالفاتحة وسورة والشمس وضحاها وكبر خمس تكبيرات وهذه سنة الجميع ومن ينوب عنهم فى صلاة العيدين على الاستمرار وسلم وخرج من المحراب وعطف عن يمينه والحرص عليه شديد ولا يصل اليه الا من كان خصيصا به وصعد المنبر بالخشوع والسكينة وجميع من بالمصلى والتربة لا يسأم نظره ويكثرون من الدعاء له ولما حصل فى أعلى المنبر أشار الى المأمون فقبل الارض وسارع فى الطلوع اليه وأدى ما يجب من سلامه وتعظيم مقامه ووقف بأعلى درجة وأشار الى القاضى فتقدم وقبل كل درجة الى أن يصل الى الدرجة الثالثة وقف عندها وأخرج الدعو من كمه وقبله ووضعه على رأسه وأعلى بما تضمنه وهو ما جرت به العادة من تسمية يوم العيد وسنته والدعاء للدولة وكانت الحال فى أيام وزراء الاقلام والسيوف اذا حصل الخليفة فى أعلى المنبر بقى الوزير مع غيره وأشار الخليفة الى القاضى فيقبل الارض ويطلع الى الدرجة الثالثة ويخرج الدعو من كمه ويقبله ويضعه على رأسه ويذكر يوم العيد وسنته والدعاء للدولة ثم يستدعى بالوزير بعد ذلك فيصعد بعد القاضى فراعى الخليفة ذلك الامر فى حق الوزير فجعل الاشارة منه اليه أولا ورفعه عن أن يكون مأمورا مثل غيره وجعلها له ميزة على غيره ممن تقدمه واستمرت فيما بعد واستفتح الخليفة بالتكبير الجارى به العادة فى الفطر والخطبتين الى آخرهما وكبر المؤذنون ورفع اللواآن وترجل كل أحد من موضعه كما كان ركوبه وصار الجميع فى ركاب الخليفة وجرى الامر فى رجوعه على ما تقدم شرحه ومضى الى تربة آبائه وهى سنتهم فى كل ركبة بمظلة وفى كل يوم جمعة مع صدقات ورسوم تفرق وأما الوزير المأمون فانه توجه وخرج من باب العيد والامراء بين يديه الى أن وصل الى باب الذهب فدخل منه بعد أن أمر ولده الاكبر بالوصول الى داره والجلوس على سماط العيد على عادته ولما دخل المأمون بقاعة الذهب وجد الروع قد وقع من المستخدمين بتعبية السماط فأمر بتفرقة الرسوم على أربابها وهو ما يحمل الى مجلس الوزارة برسم الحاشية ولكل من حاشية أولاده واخوته وكاتب الدست ومتولى حجبة الباب ومتولى الديوان وكاتب الدفتر والنائب لكل منهم رسم يصرف قبل جلوس الخليفة وعند انقضاء الاسمطة لغير المذكورين على قدر منزلة كل منهم ثم حضر أبو الفضائل ابن أبى الليث واستأذن على طيافير الفطرة الكبار التى فى مجلس الخليفة فأمره الوزير بأن يعتمد فى تفرقتها على ما كان يعتمده فى الايام الافضلية وهو لكل من يصعد المنبر مع الخليفة طيفور فلما أخذ الخليفة راحة بعد مضيه الى التربة جلس على السرير وبين يديه المائدة اللطيفة الذهب بالمينا معباة بالزبادى الذهب واستدعى الوزير واصطف الناس من المدورة الى آخر السماط من الجانبين على طبقاتهم ورفعت الستور واستفتح المقرئون ووفى الدولة اسعاف متولى المائدة مشدود الوسط ومقدم خزانة الشراب بيده شربة فى مرفع ذهب وغطاء مرصعين بالجوهر والياقوت ومتولى خزائن الانفاق بيده خريطة مملوءة دنانير لمن يقف يطلب صدقة وانعاما فيؤمر بما يدفع

اليه

اليه وتفرقة الرسوم الجارى بها العادة ولعبت المنافقون والحسارية وتناوب القراء والمنشدون وأرخيت الستور وعبى السماط ثانيا على ما كان عليه أولا ثم رفعت الستور وجلس على المدورة والسماط من جرت العادة به وفرقت الدنانير على المقرئين والمنشدين والحسارية والمنافقين ومن هو معروف بكثرة الاكل ونهبت قصور الخليفة وفرق من الاصناف ماجرت به العادة وأرخيت الستور وأحضر متولى خزانة الكسوة الخاص للخليفة بدلة الى أعلى السرير حسبما كان أمره فلبسها وخلع الثياب التى كانت عليه على الوزير بعد ما بالغ فى شكره والثناء عليه وتوجه الى داره فوصل اليه من الخليفة الصوانى الخاص المكالة معباة على ما كانت بين يديه وغيرها من الموائد وكذلك الى أولاده واخوته صينية صينيه ولكاتب الدست ومتولى حجبة الباب مثل ذلك ويكبر الوزير بجلوسه فى داره معلنا وتسارع الناس على طبقاتهم بالعيد والخلع وبما جرى فى صعود المنبر وحضر الشعراء وأسنيت لهم الجوائز وجرى الحال يومئذ فى جلوس الخليفة وفى السلام لجميع الشيوخ والقضاة والشهود والامراء والكتاب ومقدمى الركاب والمتصدرين بالجوامع والفقهاء والقاهريين والمصريين واليهود برئيسهم والنصارى ببطريقهم على ماجرت به عادتهم وختم المقرئون وقدمت الشعراء على طبقاتهم الى آخرهم وجدد لكل من الحاضرين سلامه وانكفأ الخليفة الى الباذهنج لاداء فريضة الصلاة والراحة بمقدار ما عبيت المائدة الخاص واستحضر المأمون وأولاده واخوته على عادتهم واستدعى من شرف بحضور المائدة وهم الشيخ أبو الحسن كاتب الدست وأبو الرضى سالم ابنه ومتولى حجبة الباب وظهير الدين الكنانى على ما كان عليه الحال قبل الصيام وانقضى حكم العيد * وقال ابن الطوير اذا قرب آخر العشر الاخر من شهر رمضان خرج الزى من أماكنه على ما وصفنا فى ركوب أول العام ولكن فيه زيادات يأتى ذكرها ويركب فى مستهل شوال بعد تمام شهر رمضان وعدته عندهم أبدا ثلاثون يوما فاذا تهيأت الامور من الخليفة والوزير والامراء وأرباب الرتب على ما تقدم وصار الوزير بجماعته الى باب القصر ركب الخليفة بهيئة الخلافة من المظلة واليتيمة والآلات المقدم ذكرها ولباسه فى هذا اليوم الثياب البياض الموشحة المحومة وهى أجل لباسهم والمظلة كذلك فانها أبدا تابعة لثيابه كيف كانت الثياب كانت ويكون خروجه من باب العيد الى المصلى والزيادة ظاهرة فى هذا اليوم فى العساكر وقد انتظم القوم له صفين من باب القصر الى باب المصلى ويكون صاحب بيت المال قد تقدم على الرسم لفرش المصلى فيفرش الطراحات على رسمها فى المحراب مطابقة ويعلق ستر يمنة ويسرة فى الايمن البسملة والفاتحة وسبح اسم ربك الاعلى وفى الايسر مثل ذلك وهل أتاك حديث الغاشية ثم يركز فى جانب المصلى لواءين مشدودين على رمحين ملبسين بأنابيب الفضة وهما مستوران مرخيان فيدخل الخليفة من شرقى المصلى الى مكان ليستريح فيه دقيقة ثم يخرج محفوظا كما يحفظ فى جامع القاهرة فيصير الى المحراب ويصلى صلاة العيد بالتكبيرات المسنونة والوزير وراءه والقاضى ويقرأ فى كل ركعة ما هو مرقوم فى السترين فاذا فرغ وسلم صعد المنبر للخطابة العيدية يوم الفطر فاذا جلس فى الذروة وهناك طراحة سامان أو ديبقى على قدرها وباقيه يستر ببياض على مقداره فى تقطيع درجه وهو مضبوط لا يتغير فيراه أهل ذلك الجمع جالسا فى الذروة ويكون قد وقف أسفل المنبر الوزير وقاضى القضاة وصاحب الباب اسفهسلار العساكر وصاحب السيف وصاحب الرسالة وزمام القصر وصاحب دفتر المجلس وصاحب المظلة وزمام الاشراف الاقارب وصاحب بيت المال وحامل الرمح ونقيب الاشراف الطالبيين ووجه الوزير اليه فيشير اليه فيصعد ويقرب وقوفه منه ويكون وجهه موازيا رجليه فيقبلهما بحيث يراه العالم ثم يقوم ويقف على يمينه فاذا وقف أشار الى قاضى القضاة فيصعد الى سابع درجة ويتطلع اليه صاغيا لما يقول فيشير اليه فيخرج من كمه مدرجا قد أحضر اليه أمس من ديوان الانشاء بعد عرضه على الخليفة والوزير فيعلن بقراءة مضمونه ويقول بسم الله الرحمن الرحيم ثبت بمن شرف بصعوده المنبر الشريف فى يوم كذا وهو عيد الفطر من سنة كذا من عبيد أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الاكرمين بعد صعود السيد الاجل ونعوته المقررة ودعائه المحرر فان أراد الخليفة أن يشرف أحدا من أولاد الوزير واخوته استدعاه القاضى بالنعت المذكور ثم يتلوه ذكر القاضى وهو القارئ فلا يتسع له أن يقول عن نفسه نعوته ولا دعاءه بل يقول المملوك فلان بن فلان وقرأه مرة القاضى ابن أبى عقيل فلما وصل الى اسمه قال العبد الذليل المعترف بالصنع الجميل فى المقام الجليل أحمد بن عبد الرحمن بن

أبي عقيل فاستحسن ذلك منه ثم حذا حذوه الاعز بن سلامة وقد استقضى فى آخر الوقت فقال المملوك فى محل الكرامه الذى عليه من الولاء أصدق علامه حسن بن على بن سلامه ثم يستدعى من ذكرنا وقوفهم على باب المنبر بنعوتهم وذكر خدمهم ودعائهم على الترتيب فاذا طلع الجماعة وكل منهم يعرف مقامه فى المنبر يمنة ويسرة أشار الوزير اليهم فأخذ من هو من كل جانب بيده نصيبا من اللواء الذى بجانبه فيستر الخليفة ويسترون وينادى فى الناس بأن ينصتوا فيخطب الخليفة من المسطور على العادة وهى خطبة بليغة موافقة لذلك اليوم فاذا فرغ ألقى كل من فى يده من اللواء شئ خارج المنبر فينكشفون وينزلون أولا فأولا الاقرب فالاقرب الى القهقرى فاذا خلا المنبر منهم قام الخليفة هابطا ودخل الى المكان الذى خرج منه فلبث يسيرا وركب فى زيه المفخم وعاد من طريقه بعينها الى أن يصل الى قريب القصر فيتقدمه الوزير كما شرحنا ثم يدخل من باب العيد فيجلس فى الشباك وقد نصب منه الى فسقية كانت فى وسط الايوان مقدار عشرين قصبة سماط من الخشكنان والبسندود والبرماورد مثل الجبل الشاهق وفيه القطعة وزنها من ربع قنطار الى رطل فيدخل ذلك الجمع اليه ويفطر منه من يفطر وينقل منه من ينقل ويباح ولا يحجر عليه ولا مانع دونه فيبتز ذلك بأيدى الناس وليس هو مما يعتد به ولا يعبى مما يفرق للناس ويحمل الى دورهم ويعمل فى هذا اليوم سماط من الطعام فى القاعة يحضر عليه الخليفة والوزير فاذا انقضى ذو القعدة وهل هلال ذى الحجة اهتم بركوب عيد النحر فيجرى حاله كما جرى فى عيد الفطر من الزى والركوب الى المصلى ويكون لباس الخليفة فيه الاحمر الموشح ولا ينخرم منه شئ انتهى * وصعد مرة الخليفة الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد المنبر يوم عيد فوقف الشريف ابن انس الدولة بازائه وقال مشيرا الى الحاضرين

خشوعا فان الله هذا مقامه * وهمسا فهذا وجهه وكلامه
وهذا الذى فى كل وقت بروزه * تحياته من ربنا وسلامه

فضرب الحافظ الجانب الايسر من المنبر فرقى اليه زمام القصر فقال له قل للشريف حسبك قضيت حاجتك ولم يدعه يقول شيأ آخر وكانت تكتب المخلقات بركوب أمير المؤمنين لصلاة العيد ويبعث بها الى الاعمال فمما كتب به من انشاء ابن الصيرفى * أما بعد فالحمد لله الذى رفع بامير المؤمنين عماد الايمان وثبت قواعده وأعز بخلافته معتقده وأذل بمهابته معانده وأظهر من نوره ما انبسط فى الآفاق وزال معه الاظلام ونسخ به ما تقدمه من الملل فقال ان الدين عند الله الاسلام وجعل المعتصم بحبله مفضلا على من يفاخره ويباهيه وأوجب دخول الجنة وخلودها لمن عمل بأوامره ونواهيه وصلى الله على سيدنا محمد نبيه الذى اصطفى له الدين وبعثه الى الاقربين والابعدين وأيده فى الارشاد حتى صار العاصى مطيعا ودخل الناس فى التوحيد فرادى وجميعا وغدوا بعروته الوثقى متمسكين وأنزل عليه قل اننى هدانى ربى الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين وعلى أخيه وابن عمه أبينا أمير المؤمنين على بن أبى طالب امام الامة وكاشف الغمة وأوجه الشفعاء لشيعته يوم العرض ومن الاخلاص فى ولائه قيام بحق وأداء فرض وعلى الايمة من ذريتهما سادة البريه والعادلين فى القضيه والعاملين بالسيرة المرضيه وسلم وكرم وشرف وعظم وكتاب أمير المؤمنين هذا اليك يوم الثلاثاء عيد الفطر من سنة ست وثلاثين وخمسمائة وقد كان من قيام أمير المؤمنين بحقه وأدائه وجريه فى ذلك على عادته وعادة من قبله من آبائه ما ينبئك به ويطلعك على مستوره عنك ومغيبه وذلك أن دنس ثوب الليل لما بيضه الصباح وعاد المحرم المحظور بما أطلقه المحلل المباح توجهت عساكر أمير المؤمنين من مظانها الى بابه وأفطرت بين يديه بعد ما حازته من أجر الصيام وثوابه ثم انثنت الى مصافها فى الهيآت التى يقصر عنها تجريد الصفات وتغنى مهابتها عن تجريد المرهفات وتشهد أسلحتها وعددها بالتنافس فى الهمم وتقلق مواضيها فى أغمادها شوقا الى الطلى والقمم وقد امتلأت الارض بازدحام الرجل والخيل وثار العجاج فلم ير أغرب من اجتماع النهار والليل وبرز أمير المؤمنين من قصوره وظهر للابصار على انه محتجب بضيائه ونوره وتوجه الى المصلى فى هدى جده وأبيه والوقار الذى ارتفع فيه عن النظير والشبيه ولما انتهى اليه قصد المحراب واستقبله وأدى الصلاة على وضع رضيه الله وتقبله وأجرى أمرها على أفضل المعهود ووفاها حقها من القراءة والتكبير والركوع والسجود وانتهى الى المنبر فعلاه وكبر

الله

الله وهالله على ما أولاه وذكر الثواب على اخراج الفطرة وبشربه وان المسارعة اليه من وسائل المحافظة على الخير وقربه ووعظ وعظا ينتفع قابله فى عاجلته ومنقلبه ثم عاد الى قصوره الزاهرة مشمولا بالوقايه مكنوفا بالكفايه منتهيا فى ارشاد عبيده ورعاياه اقصى الغاية أعلمك أمير المؤمنين خبر هذا اليوم لتعلم منه ما تسكن اليه وتعلن بتلاوته على الكافة ليشتركوا فى معرفته ويشكروا الله عليه فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله تعالى * وكان من أهل برقة طائفة تعرف بصبيان الخف لها اقطاعات وجرايات وكسوات ورسوم فاذا ركب الخليفة فى العيدين مدوا حبلين مسطوحين من أعلى باب النصر الى الارض حبلا عن يمين الباب وحبلا عن شماله فاذا عاد الخليفة من المصلى نزل على الحبلين طائفة من هؤلاء على أشكال خيل من خشب مدهون وفى أيديهم رايات وخلف كل واحد منهم رديف وتحت رجليه آخر معلق بيديه ورجليه ويعملون أعمالا تذهل العقول ويركب منهم جماعة فى الموكب على خيول فيركضون وهم يتقلبون عليها ويخرج الواحد منهم من تحت ابط الفرس وهو يركض ويعود يركب من الجانب الآخر ويعود وهو على حاله لا يتوقف ولا يسقط منه شئ الى الارض ومنهم من يقف على ظهر الحصان فيركض به وهو واقف

(ذكر القصر الصغير الغربى)

وكان تجاه القصر الكبير الشرقى الذى تقدم ذكره فى غربيه قصر آخر صغير يعرف بالقصر الغربى ومكانه الآن حيث المارستان المنصورى وما فى صفه من المدارس ودار الامير بسرى وباب قبو الخرنشف وربع الملك الكامل المطل على سوق الدجاجين اليوم المعروف قديما بالتبانين وما يجاوره من الدرب المعروف اليوم بدرب الخضيرى تجاه الجامع الاقمر وما وراء هذه الاماكن الى الخليج وكان هذا القصر الغربى يعرف أيضا بقصر البحر والذى بناه العزيز بالله نزار بن المعز * قال المسبحى ولم يبن مثله فى شرق ولا فى غرب * وقال ابن أبى طى فى أخبار سنة سبع وخمسين وأربعمائة فيها تمم الخليفة المستنصر بناء القصر الغربى وسكنه وغرم عليه ألفى ألف دينار وكان ابتداء بنيانه فى سنة خمسين وأربعمائة وكان سبب بنائه انه عزم على أن يجعله منزلا للخليفة القائم بأمر الله صاحب بغداد ويجمع بنى العباس اليه ويجعله كالمجلس لهم فخانه أمله وتممه فى هذه السنة وجعله لنفسه وسكنه * وقال ابن ميسر ان ست الملك أخت الحاكم كانت أكبر من أخيها الحاكم وان والدها العزيز بالله كان قد أفردها بسكنى القصر الغربى وجعل لها طائفة برسمها كانوا يسمون بالقصرية وهذا يدلك على أن القصر الغربى كان قد بنى قبل المستنصر وهو الصحيح وكان هذا القصر يشتمل أيضا على عدة أماكن

(الميدان) وكان بجوار القصر الغربى ومن حقوقه الميدان ويعرف هذا الميدان اليوم بالخرنشف واصطبل القطبية

(البستان الكافورى) وكان من حقوق القصر الصغير الغربى البستان الكافورى وكان بستانا أنشأه الامير أبو بكر محمد بن طغج بن جف الاخشيد أمير مصر وكان مطلا على الخليج فاعتنى به الاخشيد وجعل له أبوابا من حديد وكان ينزل به ويقيم فيه الايام واهتم بشأنه من بعد الاخشيد ابناه الامير أبو القاسم أونوجور بن الاخشيد والامير أبو الحسن على بن الاخشيد فى أيام امارتهما بعد أبيهما فلما استبد من بعدهما الاستاذ أبو المسك كافور الاخشيدى بامارة مصر كان كثيرا ما يتنزه به ويواصل الركوب الى الميدان الذى كان فيه وكانت خيوله بهذا الميدان فلما قدم القائد جوهر من المغرب بجيوش مولاه المعز لدين الله لاخذ ديار مصر أناخ بجوار هذا البستان وجعله من جملة القاهرة وكان متنزها للخلفاء الفاطميين مدة أيامهم وكانوا يتوصلون اليه من سراديب مبنية تحت الارض ينزلون اليها من القصر الكبير الشرقى ويسيرون فيها بالدواب الى البستان الكافورى ومناظر اللؤلؤة بحيث لا تراهم الاعين وما زال البستان عامرا الى أن زالت الدولة فحكر وبنى فيه فى سنة احدى وخمسين وستمائة كما يأتى ذكره ان شاء الله تعالى عند ذكر الحارات والخطط من هذا الكتاب وأما الاقباء والسراديب فانها عملت أسربة للمراحيض وهى باقية الى يومنا هذا تصب فى الخليج

(القاعة) وكان من جملة القصر الغربى قاعة كبيرة هى الآن المارستان المنصورى حيث المرضى كانت سكن ست الملك أخت الحاكم بأمر الله وكانت أحوالها متسعة جدا * قال فى كتاب الذخائر والتحف وأهدت

السيدة الشريفة ست الملك أخت الحاكم بأمر الله الى أخيها يوم الثلاثاء التاسع من شعبان سنة سبع وثمانين وثلثمائة هدايا من جملتها ثلاثون فرسا بمراكبها ذهبا منها مركب واحد مرصع ومركب من حجر البلور وعشرون بغلة بسروجها ولجمها وخمسون خادما منهم عشرة صقالبة ومائة تخت من أنواع الثياب وفاخرها وتاج مرصع بنفيس الجوهر وبديعه وشاشية مرصعة وأسفاط كثيرة من طيب من سائر أنواعه وبستان من الفضة مزروع من أنواع الشجر قال وخلفت حين ماتت فى مستهل جمادى الآخرة من سنة خمس وعشرين وأربعمائة مالا يحصى كثرة وكان اقطاعها فى كل سنة يغل خمسين ألف دينار ووجد لها بعد وفاتها ثمانية آلاف جارية منها بنيات ألف وخمسمائة وكانت سمحة نبيلة كريمة الاخلاق والفعل وكان فى جملة موجودها نيف وثلاثون زيراصينيا مملوأ جميعها مسكا مسحوقا ووجد لها جوهر نفيس من جملته قطعة ياقوت ذكر أن فيها عشرة مثاقيل * قال المسبحى ولدت بالمغرب فى ذى القعدة سنة خمس وثلثمائة ولما زالت الدولة عرفت هذه الدار بالامير فخر الدين جهاركس موسك ثم بالملك المفضل قطب الدين بن الملك العادل فلما كان فى شهر ربيع الآخر من سنة ثلاث وثمانين وستمائة شرع الملك المنصور قلاون الالفى فى بنائها مارستانا ومدرسة وتربة وتولى عمارتها الامير علم الدين سنجر الشجاعى مدبر الممالك ويقال ان ذرع هذه الدار عشرة آلاف وستمائة ذراع

هكذا بياض فى الاصل

(أبواب القصر الغربى)

كان لهذا القصر عدة أبواب منها باب الساباط وباب التبانين وباب الزمرذ

(باب الساباط) هذا الباب موضعه الآن باب سر المارستان المنصورى الذى يخرج منه الآن الى الخرنشف وكان من الرسم أن يذبح فى باب الساباط المذكور مدة أيام النحر وفى عيد الغدير عدة ذبائح تفرق على سبيل الشرف * قال ابن المأمون فى سنة ست عشرة وخمسمائة وجملة مانحره الخليفة الآمر بأحكام الله وذبحه خاصة فى المنحر وباب الساباط دون المأمون وأولاده واخوته فى ثلاثة الايام ألف وسبعمائة وستة وأربعون رأسا فذكر ماكان بالمنحر قال وفى باب الساباط مما يحمل الى من حوته القصور والى دار الوزارة والاصحاب والحواشى اثنتاعشرة ناقة وثمانية عشر رأس بقر وخمسة عشر رأس جاموس ومن الكباش ألف وثمانمائة رأس ويتصدق كل يوم فى باب الساباط بسقط مايذبح من النوق والبقر * وقال ابن عبد الظاهر كان فى القصر باب يعرف بباب الساباط كان الخليفة فى العيد يخرج منه الى الميدان وهو الخرنشف الآن لينحر فيه الضحايا

(باب التبانين) هذا الباب مكان باب الخرنشف الآن وجعل فى موضعه دار العلم التى بناها الحاكم الآتى ذكرها ان شاء الله تعالى

(باب الزمرذ) كان موضع اصطبل القطبية قريبا من باب البستان الكافورى الموجود الآن

(ذكر دار العلم)

وكان بجوار القصر الغربى من بحريه دار العلم ويدخل اليها من باب التبانين الذى هو الآن يعرف بقبو الخرنشف وصار مكان دار العلم الآن الدار المعروفة بدار الخضيرى الكائنة بدرب الخضيرى المقابل للجامع الاقمر ودار العلم هذه اتخذها الحاكم بأمر الله فاستمرت الى أن أبطلها الافضل بن أمير الجيوش * قال الامير المختار عز الملك محمد بن عبد الله المسبحى وفى يوم السبت هذا يعنى العاشر من جمادى الآخرة سنة خمس وتسعين وثلثمائة فتحت الدار الملقبة بدار الحكمة بالقاهرة وجلس فيها الفقهاء وحملت الكتب اليها من خزائن القصور المعمورة ودخل الناس اليها ونسخ كل من التمس نسخ شئ مما فيها ما التمسه وكذلك من رأى قراءة شئ مما فيها وجلس فيها القرّاء والمنجمون وأصحاب النحو واللغة والاطباء بعد أن فرشت هذه الدار وزخرفت وعلقت على جميع ابوابها وممراتها الستور وأقيم قوام وخدام وفرّاشون وغيرهم وسموا بخدمتها وحصل فى هذه الدار من خزائن أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله من الكتب التى أمر بحملها اليها من سائر العلوم والآداب والخطوط المنسوبة مالم ير مثله مجتمعا لاحد قط من الملوك وأباح ذلك كله لسائر الناس على طبقاتهم ممن يؤثر قراءة الكتب والنظر فيها فكان

ذلك

ذلك من المحاسن المأثورة أيضا التي لم يسمع بمثلها من اجراء الرزق السني لمن رسم له بالجلوس فيها والخدمة لها من فقيه وغيره وحضرها الناس على طبقاتهم فنهم من يحضر لقراءة الكتب ومنهم من يحضر للنسخ ومنهم من يحضر للتعلم وجعل فيها ما يحتاج الناس اليه من الحبر والاقلام والورق والمحابر وهي الدار المعروفة بمختار الصقلي قال وفي سنة ثلاث وأربعمائة أحضر جماعة من دار العلم من اهل الحساب والمنطق وجماعة من الفقهاء منهم عبد الغني بن سعيد وجماعة من الاطباء الى حضرة الحاكم بأمر الله وكانت كل طائفة تحضر على انفرادها للمناظرة بين يديه ثم خلع على الجميع ووصلهم ووقف الحاكم بامر الله أماكن في فسطاط مصر على عدة مواضع وضمنها كتابا ثبت على قاضي القضاة مالك بن سعيد وقد ذكر عند ذكر الجامع الازهر وقال فيه وقد ذكر دار العلم ويكون العشر وثمن العشر لدار الحكمة لما يحتاج اليه في كل سنة من العين المغربي مائتان وسبعة وخمسون دينارا من ذلك لثمن الحصر العبداني وغيرها لهذه الدار عشرة دنانير ومن ذلك لورق الكاتب يعني الناسخ تسعون دينارا ومن ذلك للخازن بها ثمانية وأربعون دينارا ومن ذلك لثمن الماء اثنا عشر دينارا ومن ذلك للفراش خمسة عشر دينارا ومن ذلك للورق والحبر والاقلام لمن ينظر فيها من الفقهاء اثنا عشر دينارا ومن ذلك لمرمة الستارة دينار واحد ومن ذلك لمرمة ما عسى أن ينقطع من الكتب وما عساه أن يسقط من ورقها اثنا عشر دينارا ومن ذلك لثمن لبود للفرش في الشتاء خمسة دنانير ومن ذلك لثمن طنافس في الشتاء أربعة دنانير * وقال ابن المأمون وفي هذا الشهر يعني شهر ذي الحجة سنة ست عشرة وخمسمائة جرت نوبة القصار وهي طويلة وأولها من الايام الافضلية وكان فيهم رجلان يسمى أحدهما بركات والآخر حميد بن مكي الاطفيحي القصار مع جماعة يعرفون بالبديعية وهم على الاسلام والمذاهب الثلاثة المشهورة وكانوا يجتمعون في دار العلم بالقاهرة فاعتمد بركات من جملتهم أن استفسد عقول جماعة وأخرجهم عن الصواب وكان ذلك في ايام الافضل فأمر للوقت بغلق دار العلم والقبض على المذكور فهرب وكان من جملة من استفسد عقله بركات المذكور استاذان من القصر فلما طلب بركات المذكور واستتر دقق الاستاذان الحيلة الى أن أدخلاه عندهما في زي جارية اشترياها وقاما بحقه وجميع ما يحتاج اليه وصار أهلهما يدخلون اليه في بعض الاوقات فمرض بركات عند الاستاذين فحارا في أمره ومداواته وتعذر عليهما احضار طبيب له واشتد مرضه ومات فأعملا الحيلة وعرّفا زمام القصر أن احدى عجائزهما قد توفيت وأن عجائزهما يغسلنها على عادة القصور ويشيعنها الى تربة النعمان بالقرافة وكتبا عدة من يخرج ففسح لهما في العدة وأخذا في غسله وألبساه ما أخذاه من أهله وهو ثياب معلمة وشاشية ومنديل وطيلسان مقور وادرجوه في الدبيقي وتوجه مع التابوت الاستاذان المشار اليهما فلما قطعوا به بعض الطريق أرادا تكميل الاجر له على قدر عقولهما فقالا للحمالين هو رجل تربيته عندنا فنادوا عليه نداء الرجال واكتموا الحال وهذه أربعة دنانير لكم فسر الحمالون بذلك فلما عادوا الى صاحب الدكان عرّفوه بما جرى وقاسموه الدنانير فخافت نفسه وعلم انها قضية لا تخفى فمضى بهم الى الوالي وشرح له القضية فأودعهم في الاعتقال وأخذ الذهب منهم وكتب مطالعة بالحال فمن اول ما سمع القائد أبو عبد الله بن فاتك الذي قيل له بعد ذلك المأمون بالقضية وكان مدبر الامور في الايام الافضلية قال هو بركات المطلوب وامر باحضار الاستاذين والكشف عن القضية واحضار الحمالين والكشف عن القبر بحضورهم فاذا تحققوه امرهم بلعنه فمن أجاب الى ذلك منهم أطلقوه ومن أبى أحضروه فحققوا معرفته فنهم من بصق في وجهه وتبرأ منه ومنهم من هم بتقبيله ولم يتبرأ منه فجلس الافضل واستدعى الوالي والسياف واستدعى من كان تحت الحوطة من اصحابه فكل من تبرأ منه ولعنه أطلق سبيله وبقي من الجماعة ممن لم يتبرأ منه خمسة نفر وصبي لم يبلغ الحلم فأمر بضرب رقابهم وطلب الاستاذين فلم يقدر عليهما وقال للصبي من لفظه تبرأ منه وأنعم عليك واطلق سبيلك فقال له الله يطالبك ان لم تلحقني بهم فاني مشاهد ما هم فيه وأخذ بسفهه على الافضل فأمر بضرب عنقه فلما توفي الافضل أمر الخليفة الآمر بأحكام الله ووزيره المأمون بن البطائحي باتخاذ دار العلم وفتحها على الاوضاع الشرعية ثم عاد حميد القصار المثني بذكره وظهر وسكن مصر يدق الثياب بها ويطلع الى دار العلم وأفسد عقل استاذ وخياط وجماعة وادعى الربوبية فحضر الداعي ابن عبد الحقيق الى الوزير المأمون وعرّفه بأن هذا قد تعرّف بطرف من علم الكلام على مذهب أبي الحسن الاشعري ثم انسلخ عن الاسلام وسلك طريق الحلاج في التمويه

فاستهوى من ضعف عقله وقلت بصيرته فانّ الحلاج فى اوّل أمره كان يدّعى أنه داعية المهدىّ ثم ادّعى انه المهدىّ ثم ادّعى الالهية وأنّ الجنّ تخدمه وانه أحيى عدّة من الطيور وكان هذا القصار شيعىّ الدين وجرت له امور فى الايام الافضلية ونفى دفعة واعتقل اخرى ثم هرب بعد ذلك ثم حضر وصار يواصل طلوع الجبل واستصحب من استهواه من اصحابه فاذا أبعد قال لبعضهم بعد أن يصلى ركعتين نطلب شيأ تأكله اصحابنا فيمضى ولا يلبث دون أن يعود ومعه ما كان أعدّه مع بعض خاصته الذين يطلعون على باطنه فكانوا يهابونه ويعظمونه حتى انهم يخافون الاثم فى تأمّل صورته فلا يفكون مطرقين بين يديه وكان قصيرا دميم الخلقة وادّعى مع ذلك الربوبية وكان ممن اختص بخدمته رجل خياط وخصىّ فرسم المأمون بالقبض على المذكور وعلى جميع اصحابه فهرب الخياط وطلب فلم يوجد ونودى عليه وبذل لمن يحضر به مال فلم يقدر عليه واعتقل القصار وأصحابه وقرّروا فلم يقرّوا بشئ من حاله وبعد أيام تماوت فى الحبس فلما استوعر عليه أمر بدفنه فلما حمل ليدفن ظهر أنه حىّ فأعيد الى الاعتقال وبقى كل من لم يتبرّأ منه معتقلا ما خلا الخصىّ فانه لم يتبرّأ منه وذكر أن القتل لا يصل اليه فأمر بقطع لسانه ورمى قدّامه وهو مصرّ على ما فى نفسه فأخرج القصار والخصىّ ومن لم يتبرّأ منه من أصحابه فصلبوا على الخشب وضربوا بالنشاب فماتوا لوقتهم ثم نودى على الخياط ثانيا فاحضر وفعل به ما فعل بأصحابه بعد أن قيل له ها أنت تنظره فلم يتبرّأ منه وصلب الى جانبه وذكر أن بعض اصحاب هذا القصار ممن لم يعرف أنه كان يشترى الكافور ويرميه بالقرب من خشبته التى هو مصلوب عليها فيستقبل رائحته من سلك تلك الطريق ويقصد بذلك أن يربط عقول من كان القصار قد أضله فأمر المأمون أن يحطوا عن الخشب وأن تخلط رممهم ويدفنوا متفرّقين حتى لا يعرف قبر القصار من قبورهم وكان قتلهم فى سنة سبع عشرة وخمسمائة وابتداء هذه القضية سنة ثلاث عشرة وخمسمائة قال وكان الشريف عبد الله يحدّث عن صديق له مأمون القول أنه أخبره أنه لما شاع خبر هذا القصار وما ظهر منه أراد أن يمتحنه فتسبب الى أن خالطه وصار فى جملة أصحابه ومن يعظمه ويطلع معه الى الجبل فافسد عقله وغير معتقده وأخرجه عن الاسلام وانه لامه على ذلك وردعه فحدّثه بعجائب منها أنه قال والله ما من الجماعة الذين يطلعون معه الى الجبل أحد الا ويسأله ويستدعيه ما يريد على سبيل الامتحان فيحضره اليه لوقته وان بيده سكينا لا تقطع الا بيده واذا أمسك طائرا وقبضه أحد من الحاضرين يدفع السكين التى معه له ويقول له اذبحه فلا تمشى فى يده فيأخذها هو ويذبحه بها ويجرى دمه ثم يعود ويمسكه بيده ويسرّحه فيطير ويقول انا الحديد لا يعمل فيه ويوسع القول فيما يشاهده منه ويسمعه فلما اعتقل القصار بقى هذا الرجل مصرّا على اعتقاده فلما قتل وخرج اليه وشاهده وتحقق موته علم أن ما كان فيه سحر وزور وافك فتصدّق بجملة من ماله وعاد الى مذهبه وصح معتقده * وقال ابن عبد الظاهر دار العلم كان الافضل بن أمير الجيوش قد أبطلها وهى بجوار باب التبانين وهى متصلة بالقصر الصغير وفيها مدفون الداعى المؤيد فى الدين هبة الله بن موسى الاعجمىّ وكان لابطالها امور سببها اجتماع الناس والخوض فى المذاهب والخوف من الاجتماع على المذهب النزارىّ ولم يزل الخدّام يتوصلون الى الخليفة الآمر باحكام الله حتى تحدّث فى ذلك مع الوزير المأمون فقال اين تكون هذه الدار فقال بعض الخدّام تكون بالدار التى كانت اوّلا فقال المأمون هذا لا يكون لانه باب صار من جملة ابواب القصر وبرسم الحوائج ولا يمكن الاجتماع ولا يؤمن من غريب يتحصل به فأشار كل من الاستاذين بشئ فأشار بعضهم أن تكون فى بيت المال القديم فقال المأمون يا سبحان الله قد منعنا أن تكون متاخمة للقصر الكبير الذى هو سكن الخليفة نجعلها ملاصقة فقال الثقة زمام القصور فى جوارى موضع ليس ملاصقا للقصر ولا مخالطا له يجوز أن يعمر ويكون دار العلم فأجاب المأمون الى ذلك وقال بشرط أن يكون متوليها رجلا دينا والداعى الناظر فيها ويقام فيها متصدّرون برسم قراءة القرآن فاستخدم فيها ابو محمد حسن ابن آدم فتولاها وشرط عليه ما تقدّم ذكره واستخدم فيها مقرئون

(ذكر دار الضيافة)

خرج مالك فى الموطاء عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب انه قال كان ابراهيم عليه السلام اوّل من ضيف الضيف واوّل من اتخذ دار ضيافة فى الاسلام أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى سنة

سبع عشرة وأعدّ فيها الدقيق والسمن والعسل وغيره وجعل بين مكة والمدينة من يحمل المنقطعين من ماء الى ماء حتى يوصلهم الى البلد فلما استخلف عثمان بن عفان رضى الله عنه أقام الضيافة لابناء السبيل والمتعبدين فى المسجد وأول من بنى دار الضيافة بمصر للناس عثمان بن قيس بن أبى العاص السهمى أحد من شهد فتح مصر من الصحابة وكان ميدان القصر الغربى الذى هو الآن الخرنشف دار الضيافة بحارة برجوان وكانت هذه الدار اولا تعرف بدار الاستاذ برجوان وفيها كان يسكن حيث الموضع المعروف بحارة برجوان ثم لما قدم أمير الجيوش بدر الجمالى فى ايام الخليفة المستنصر من عكا واستبدّ بأمر الدولة انشأ هنالك دارا عظيمة وسكنها ولم يسكن بدار الديباج التى كانت دار الوزارة القديمة فلما مات أمير الجيوش بدر واستولى سلطنة ديار مصر ابنه الافضل شاهنشاه بن أمير الجيوش وانشأ دار القباب التى عرفت بدار الوزارة الكبرى قريبا من رحبة باب العيد أقرّ أخاه أبا محمد جعفرا المنعوت بالمظفر ابن أمير الجيوش بدار أمير الجيوش من حارة برجوان فعرفت بدار المظفر ومازال بها حتى مات وقبر بها والى اليوم قبره بها وتسميه العامة جعفرا الصادق ولما مات المظفر اتخذت داره المذكورة دار ضيافة برسم الرسل الواردين من الملوك واستمرت كذلك الى أن انقرضت الدولة فأنزل بها السلطان صلاح الدين اولاد العاضد الى أن نقلهم الى قلعة الجبل الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب فلما كان فى سنة تسع وسبعين وستمائة تقدم امر الملك المنصور قلاون لوكيل بيت المال القاضى مجد الدين عيسى بن الخشاب ببيع دار المظفر فباع القاعة الكبرى وما هو من حقوقها وبيعت دار المظفر الصغرى وهدمها الناس وبنوا فى مكانها دورا وموضعها الآن دار قاضى القضاة شمس الدين محمد الطرابلسى الحنفى وما بجوارها الى الدار التى بها سكنى اليوم وهى من حقوق دار المظفر الصغرى على ما فى كتبها القديمة ولما أنشأ قاضى القضاة شمس الدين المذكور داره فى سنة سبع أو سنة ثمان وثمانين وسبعمائة ظهر من تحت الارض عند حفر الاساس حجر عظيم قيل انه عتبة دار المظفر الكبرى وكان اذ ذاك الامير جهاركس الخليلى يتولى عمارة مدرسة الملك الظاهر برقوق التى فى خط بين القصرين فلما بلغه خبر هذا الحجر بعث اليه وأمر بجرّه الى العمارة فعمل عتبة باب المزملة التى للمدرسة وكان من وراء هذه الدار رحبة الافيال أدركتها ساحة ثم عمر فيها * قال ابن الطوير الخدمة المعروفة بالنيابة للقاء المرسلين وهى خدمة جليلة يقال لمتوليها النائب وينعت بعدى الملك وهو ينوب عن صاحب الباب فى لقاء الرسل الوافدين على مسافة وانزال كل واحد فى دار تصلح له ويقيم له من يقوم بخدمته وله نظير فى دار الضيافة وهو يسمى اليوم بمهمندار ويرتب لهم ما يحتاجون اليه ولا يمكن أحدا من الاجتماع بهم ويذكر صاحب الباب بهم ويبالغ فى نجاز ما وصلوا فيه وهو الذى يسلم بهم أبدا عند الخليفة والوزير وينفذ بهم ويستأذن عليهم ويدخل الرسول وصاحب الباب قابض على يده اليمنى والنائب بيده اليسرى فيحفظ ما يقولون وما يقال لهم ويجتهد فى انفصالهم على احسن الوجوه وبين يديه من الفراشين المقدّم ذكرهم عدّة لاعانته واذا غاب أقام عنه نائبا الى أن يعود وله من الجارى خمسون دينارا فى كل شهر وفى اليوم نصف قنطار خبز وقد يهدى اليه المرسلون طرفا فلا يتناولها الا باذن انتهى * وفى هذه الدولة التركية يقال لمتولى هذه الوظيفة مهمندار ولا يليها عندهم الا صاحب سيف من الامراء العشراوات وكانت فى الدولة الفاطمية على ما ذكره ابن الطوير لا يليها الا اعيان العدول وأرباب العمائم وينعت أبدا بعدى الملك وأصل هذه الكلمة بالفارسية مهمان دار (ومعناها ملتقى الضيوف)

(ذكر اصطبل الحجرية)

وكان بجوار دار الضيافة اصطبل الصبيان الحجرية المقدّم ذكرهم وموضع هذا الاصطبل اليوم يعرف بخان الوراقة داخل باب الفتوح القديم بسوق المرحلين على يسرة من اراد الخروج من باب الفتوح القديم تجاه زيادة الجامع الحاكمى ومن حقوق هذا الاصطبل ايضا الموضع الذى فيه الآن القيسارية المعروفة بقيسارية الست التى هى اليوم تجاه المدرسة الصيرمية والجملون الصغير وكانت بهذا الاصطبل خيول الصبيان الحجرية احدى طوائف العساكر فى زمن الخلفاء الفاطميين

(ذكر مطبخ القصر)

وكان بجوار القصر الغربي قبالة باب الزهومة من القصر الكبير مطبخ القصر وموضعه الآن الصاغة تجاه المدارس الصالحية ولما كانت مطبخا كان يخرج اليه من باب الزهومة وذكر ابن عبد الظاهر أنه كان يخرج من المطبخ المذكور مدة شهر رمضان ألف ومائتا قدر من جميع ألوان الطعام تفرق كل يوم على أرباب الرسوم والضعفاء

(درب السلسلة) وكان بجوار مطبخ القصر درب السلسلة قال ابن الطوير ويبيت خارج باب القصر في كل ليلة خمسون فارسا فاذا أذن بالعشاء الآخرة داخل القاعة وصلى الامام الراتب بها بالمقيمين فيها من الاستاذين وغيرهم وقف على باب القصر أمير يقال له سنان الدولة بن الكركندي فاذا علم بفراغ الصلاة أمر بضرب النوبات من الطبل والبوق ولواحقهما من عدة وافرة بطرائق مستحسنة مدة ساعة زمانية ثم يخرج بعد ذلك استاذ برسم هذه الخدمة فيقول أمير المؤمنين يرد على سنان الدولة السلام فيصقع ويغرس حربة على الباب ثم يرفعها بيده فاذا رفعها أغلق الباب وسار حوالي القصر سبع دورات فاذا انتهى ذلك جعل على الباب البياتين والفراشين المقدم ذكرهم وانصرف المؤذنون الى خزائنهم هناك وترمى السلسلة عند المضيق آخر بين القصرين من جانب السيوفيين فينقطع المار من ذلك المكان الى أن تضرب النوبة سحرا قرب الفجر فتنصرف الناس من هنالك بارتفاع السلسلة * وقال ابن عبد الظاهر درب السلسلة الذي هو الآن الى جانب السيوفيين كانت عنده سلسلة منه الى قبالته تعلق كل يوم من الظهر حتى لا يعبر راكب تحت القصر وهذا الدرب يعرف بسنان الدولة بن الكركندي وهذا الدرب هو المختص بالتقفيزة وهذه التقفيزة أمرها مستظرف لا من قبل الحسن بل من قبل التعجب من العقول ولها خمسة أوقات وهي ليالي العيدين وغرة السنة وغرة شهر رمضان ويوم فتح الخليج وهو أنه يقف راكبا في وسط الزلاقة التي لباب الذهب قبالة الدار القطبية فيخرج اليه السلام من الخليفة ثم يخدم الرهجية ثم يصعد على كندرة باب الزهومة وقدامه دواب المظلة يمنة ويسرة والرهجية تخدم وارباب الضوء ومستخدموا الطرق على السلسلة فاذا كان الطرف وصلوا اليه واجتمعت الرهجية كلهم وركب فرسا وعليه ثياب حسنة وكشف عن راياته وأخذ بيده رمحا واجتمعت الرهجية حوله ويعبر مشورا وأولئك خلفه بالصراخ والصياح بشعار الامام ثم يسير بذلك الجمع وخيل المظلة الى أبواب القصر فيقف عند كل باب تخدم الرهجية الى أن يعودوا الى باب الذهب ثم الى دار الوزارة للهناء فلم يزالوا كذلك الى ولاية ابن الكركندي فبطلت هذه السنة في الايام الآمرية وصاحب التقفيزة ممن وصل آباؤه صحبة المعز لدين الله من بلاد المغرب فكانت هذه سنتهم

(ذكر الدار المأمونية)

وكان بجوار درب السلسلة الدار المأمونية وهي المدرسة السيوفية وكانت هذه الدار سكن المأمون ابن البطائحي وعرفت قديما بقوام الدولة حبوب ثم جددها المأمون محمد بن فاتك

(المأمون البطائحي) هو ابو عبد الله محمد ابن الامير نور الدولة ابي شجاع فاتك بن الامير منجد الدولة أبي الحسن مختار المستنصري اتصل بخدمة الافضل بن أمير الجيوش في شهر شوال سنة احدى وخمسمائة عند ما تغير على تاج المعالي مختار الذي كان اصطنعه وفخم أمره وسلم اليه خزائن امواله وكسواته وسلم ما كان بيده من الخدمة لمحمد بن فاتك فتصرف فيها وقرر له الافضل ما كان باسم مختار من العين خاصة دون الاقطاع وهو مائة دينار في كل شهر وثلاثون دينارا عن جاري الخزائن مضافا الى الاصناف الراتبة مياومة ومشاهرة ومسانهة فحسن عند الافضل موقع خدمته فاعتمد عليه وسلم له جميع اموره وصرفه في كل احواله فلما كثر عليه الشغل استعان بأخويه أبي تراب حيدرة وأبي الفضل جعفر فأطلق الافضل لهما ما وسع به عليهما من المياومة والمشاهرة والمسانهة ونعته الافضل بالقائد فصار يخاطب بالقائد ويكاتب به وصار عنده بمنزلة الاستاذ فلما قتل الافضل ليلة عيد الفطر من سنة خمس عشرة وخمسمائة قام القائد ابو عبد الله بن فاتك لخدمة الخليفة الآمر بأحكام الله وأطلعه على أموال الافضل وبالغ في مناصحته حتى لقد اتهم أنه هو الذي دبر في قتل الافضل باشارة الخليفة

فخلع عليه الآمر فى مستهل ذى القعدة بمجلس اللعبة من القصر وهو المجلس الذى يجلس فيه الخليفة ولم يخلع قبله على أحد فيه وحل المنطقة من وسطه وخلع على ولده وحل منطقته وخلع على اخوته واستمر تنفيذ الامور اليه الى أن استهل ذوالحجة ففى يوم الجمعة ثانيه خلع عليه من الملابس الخاص فى فرد كم بمجلس اللعبة طوق ذهب مرصع وسيف ذهب كذلك وسلم على الخليفة وتقدم الامر للامراء وكافة الاستاذين المحنكين بالخروج بين يديه وأن يركب من المكان الذى كان الافضل يركب منه ومشى فى ركابه القواد على عادة من تقدمه وخرج بتشريف الوزارة ودخل من باب العيد راكبا ووصل الى داره فضاعف الرسوم وأطلق الهبات فلما كان يوم الاثنين خامسه اجتمع الامراء بين يدى الخليفة وأحضر السجل فى لفافة خاص مذهبة فسلمه الخليفة له من يده فقبله وسلمه لزمام القصر فأمره الخليفة بالجلوس الى جانبه عن يمينه وقرئ السجل على باب المجلس وهو أول سجل قرئ هنالك وكانت سجلات الوزراء قبل ذلك تقرأ بالايوان ورسم للشيخ أبى الحسن بن أبى اسامة كاتب الدست أن ينقل نسبة الامراء والمحنكين من الآمرية الى المأمونية وكذا الناس أجمع ولم يكن أحد ينتسب الى الافضل ولا لامير الجيوش وقدمت له الدواة فعلم فى مجلس الخليفة ونعت بالسيد الاجل المأمون تاج الخلافة ووجيه الملك فخر الصنائع ذخر أمير المؤمنين عز الاسلام فخر الانام نظام الدين أمير الجيوش سيف الاسلام ناصر الانام كافل قضاة المسلمين وهادى دعاة المؤمنين وكان يجلس بداره فى يومى الاحد والاربعاء للراحة والنفقة فى العسكر البساطية الى الظهر ثم يرفع النفقة ويحط السماط ويجلس بعد العصر والكتاب بين يديه فينفق فى الراجل الى آخر النهار وفى يوم الجمعة يطلق للمقرئين بحضرته خمسة دنانير ولكل من هو مستمر القراءة على بابه من الضعفاء والاجراء مما هو ثابت بأسمائهم خمسمائة درهم ولبقية الضعفاء والمساكين خمسمائة درهم اخرى فاذا توجه يوم الجمعة الى القرافة يكون المبلغ المذكور مستقرا لاربابه ولم يزل الى ليلة السبت الرابع من رمضان سنة تسع عشرة وخمسمائة فقبض الآمر المذكور عليه وعلى اخوته الخمسة مع ثلاثين رجلا من خواصه وأهله واعتقله ثم صلبه مع اخوته فى سنة اثنتين وعشرين * قيل ان سبب القبض عليه ما بلغ الآمر عنه أنه بعث الى الامير جعفر بن المستعلى يغريه بقتل أخيه ليقيمه مكانه فى الخلافة وكان الذى بلغ الآمر ذلك الشيخ أبا الحسن بن أبى اسامة وبلغه ايضا عنه أنه سير نجيب الدولة أبا الحسن الى اليمن ليضرب سكة عليها الامام المختار محمد بن نزار وذكر عنه انه سم شيأ ودفعه لفصاد الخليفة فنم عليه الفصاد وكان مولد المأمون فى سنة ثمان وسبعين واربعمائة وكان من ذوى الآراء والمعرفة التامة بتدبير الدول كريما واسع الصدر سفاكا للدماء كثير التحرز والتطلع الى معرفة أحوال الناس من العامة والجند فكثر الوشاة فى ايامه

(حبس المعونة) وكان بجوار الدار المأمونية حبس المعونة وموضعه اليوم قيسارية العنبر قال ابن المأمون فى سنة سبع عشرة وخمسمائة تقدم أمر المأمون الى الواليين بمصر والقاهرة باحضار عرفاء السقائين وأخذ الحجج على المتعيشين منهم بالقاهرة بحضورهم متى دعت الحاجة اليهم ليلا ونهارا وكذلك يعتمد فى القربيين وأن يبيتوا على باب كل معونة ومعهم عشرة من الفعلة بالطوارى والمساحى وأن يقوم لهم بالعشاء من أموالهما بحكم فقرهم انتهى وكان حبس المعونة هذا يسجن فيه أرباب الجرائم كما هو اليوم السجن المعروف بخزانة شمائل وأما الامراء والاعيان فيسجنون بخزانة البنود كما تقدم ولم يزل هذا الموضع سجنا مدة الدولة الفاطمية ومدة دولة بنى ايوب الى أن عمره الملك المنصور قلاون قيسارية أسكن فيها العنبرانيين فى سنة ثمانين وستمائة

(ذكر الحسبة ودار العيار)

وكان بجوار حبس المعونة دكة الحسبة ومكانها اليوم يعرف بالابازرة ومكسر الحطب بجوار سوق القصارين والفحامين * قال ابن الطوير وأما الحسبة فانه من تسند اليه لا يكون الا من وجوه المسلمين وأعيان المعدلين لانها خدمة دينية وله استخدام النواب عنه بالقاهرة ومصر وجميع أعمال الدولة كنواب الحكم وله الجلوس بجامعى القاهرة ومصر يوما بعد يوم ويطوف نوابه على أرباب الحرف والمعايش ويأمر نوابه بالختم على قدور الهراسين ونظر لحمهم ومعرفة من جزاره وكذلك الطباخون ويتبعون الطرقات ويمنعون من المضايقة فيها ويلزمون رؤساء المراكب أن لا يحملوا اكثر من وسق السلامة وكذلك مع الحمالين على البهائم

ويامرون السقائين بتغطية الزوايا بالاكسية ولهم عيار وهو أربعة وعشرون دلوا كل دلو أربعون رطلا وأن يلبسوا السراويلات القصيرة الضابطة لعوراتهم وهى زرق ويتذرون معلى المكاتب بأن لايضربوا الصبيان ضربا مبرّحا ولا فى مقتل وكذلك معلموا العوم بتحذيرهم من التغرير بأولاد الناس ويقفون على من يكون سيء المعاملة فينهونه بالردع والادب وينظرون المكاييل والموازين وللمحتسب النظر فى دار العيار ويخلع عليه ويقرأ سجله بمصر والقاهرة على المنبر ولايحال بينه وبين مصلحة اذا رآها والولاة تشد معه اذا احتاج الى ذلك وجاريه ثلاثون دينارا فى كل شهر انتهى * وكان للعيار مكان يعرف بدار العيار تعير فيه الموازين بأسرها وجميع الصنج وكان ينفق على هذه الدار من الديوان السلطانى فيما تحتاج اليه من الاصناف كالنحاس والحديد والخشب والزجاج وغير ذلك من الآلات واجر الصناع والمشارفين ونحوهم ويحضر المحتسب اونائبه الى هذه الدار ليعير المعمول فيها بحضوره فان صح ذلك أمضاه والامر باعادة عمله حتى يصح وكان بهذه الدار أمثلة يصحح بها العيار فلاتباع الصنج والموازين والاكيال الا بهذه الدار ويحضر جميع الباعة الى هذه الدار باستدعاء المحتسب لهم ومعهم موازينهم وصنجهم ومكاييلهم فتعير فى كل قليل فان وجد فيها الناقص استهلك وأخذ من صاحبه لهذه الدار وألزم بشراء نظيره مما هو محرر بهذه الدار والقيام بثمنه ثم سومح الناس وصار يلزم من يظهر فى ميزانه أو صنجه خلل باصلاح مافيها من فساد فقط والقيام باجرته فقط ومازالت هذه الدار باقية جميع الدولة الفاطمية فلما استولى صلاح الدين على السلطنة أقرّ هذه الدار وجعلها وقفا على سور القاهرة مع ما كان جاريا فى أوقاف السور من الرباع والنواحى الجارية فى ديوان الاسوار ومازالت هذه الدار باقية

*(اصطبل الجميزة) * وكان بجوار القصر الغربى من قبليه اصطبل الجميزة من جانب باب الساباط الذى هو الآن باب سر المارستان المنصورى وقيل له اصطبل الجميزة من أجل انه كان فى وسطه شجرة جميز كبيرة وكان موضع هذا الاصطبل تجاه من يخرج من باب الساباط فينزل من الحدرة التى هى الآن تجاه باب سر المارستان المتوصل منها الى حارة زويلة ويمتد فيما حاذاه يسارك اذا وقفت باول هذه الحدرة حيث الطاحون الكبيرة التى هى الآن فى اوقاف المارستان وماوراءها ويحاذيها الى الموضع المعروف اليوم بالبندقانيين وكانت بئره تعرف ببئر زويلة وعليها ساقية تنقل الماء لشرب الخيول وموضع هذا البئر اليوم قيسارية تعرف بقيسارية يونس تجاه درب الانجب وقد شاهدت هذه البئر لما أنشأ الامير يونس الدوادار هذه القيسارية والربع علوها فرأيت بئرا كبيرة جدّا وقد عقد على فوهتها عقد ركب فوقه بعض القيسارية وترك منها شيء ومنها الآن الناس تسق بالدلاء ومازال هذا الاصطبل باقيا الى أن انقرضت الدولة الفاطمية فحكر وبنى فى مكانه الآدر التى هى موجودة الآن وحكره جار فى أوقاف الصلاح الاربكى وقد تقدّم ذكر هذا الاصطبل عند ذكر اصطبل الطارمة فانظر رسومه هنالك

*(دار الديباج) * وكان بجوار اصطبل الطارمة من غربيه دار الديباج وهى حيث المدرسة الصاحبية بسويقة الصاحب وماجاورها من جانبها وماخلفها الى الوزيرية وكانت هى دار الوزارة القديمة واول من أنشأها الوزير يعقوب بن يونس بن كلس وزير العزيز بالله ثم سكنها الوزير الناصر للدين قاضى القضاة وداعى الدعاة علم المجد ابو محمد الحسن بن على بن عبد الرحمن البازورى ومازالت سكن الوزراء الى أن قدم امير الجيوش بدر الجمالى من عكا ووزره المستنصر وصار وزيرا مستبدا فأنشأ داره بحارة برجوان وسكنها وسكن من بعده ابنه الافضل ابن أمير الجيوش بدار القباب التى عرفت بدار الوزارة الكبرى وصارت هذه الدار تعرف بدار الديباج لانه يعمل فيها الحرير الديباج ويتولاها الاماثل والاعيان فمن وليها ابو سعيد بن قرقة الطبيب متولى خزائن السلاح وخزائن السروج والصناعات فلما انقرضت الدولة الفاطمية بنى الناس فى مكان دار الديباج المدرسة السيفية وماوراءها من المواضع التى تعرف اماكنها اليوم بدرب الحريرى وماجاورهذا الدرب الى المدرسة الصاحبية ومابجوارها وماهو فى ظهرها فصار يعرف خط دار الديباج فى زمننا بخط سويقة الصاحب

*(الاهراء السلطانية) * وكانت اهراء الغلال السلطانية فى دولة الخلفاء الفاطميين حيث المواضع التى فيها الآن خزانة شمائل وماوراءها الى قرب الحارة الوزيرية * قال ابن الطوير وأما الاهراء فانها كانت فى عدّة

أماكن بالقاهرة هي اليوم اصطبلات ومناخات وكانت تحتوى على ثلثمائة ألف اردب من الغلات وأكثر من ذلك وكان فيها مخازن يسمى أحدها بغدادى وآخر الفول وآخر القرافة واليها الحماة من الامراء والمشارفين من العدول والمراكب واصلة اليها بأصناف الغلات الى ساحل مصر وساحل المقس والحمالون يحملون ذلك اليها بالرسائل على يد رؤساء المراكب وأمنائها من كل ناحية سلطانية واكثر ذلك من الوجه القبلى ومنها اطلاق الاقوات لارباب الرتب والخدم وأرباب الصدقات وأرباب الجوامع والمساجد وجرايات العبيد السودان بتعريفات وما ينفق فى الطواحين برسم خاص الخليفة وهى طواحين مدارها سفل وطواحينها علو حتى لا تقارب زبل الدواب ويحمل دقيقها الخاص وما يختص بالجهات فى خرائط من شقق حلبية ومن الاهراء تخرج جرايات رجال الاسطول وفيها ما هو قديم يقطع بالمساحى ويخلط فى بعض الجرايات بالجديد بجرايات المذكورين وجرايات السودان ومنها ما يستدعى بدار الضيافة لاخباز الرسل ومن تبعهم وما يعمل من القمح برسم الكعك لزاد الاسطول فلا يفتر مستخدموها من دخل وخرج ولهم جامكية مميزة وجرايات برسم أقواتهم وشعير لدوابهم وما يقبض من الواصلين بالغلال الا بمثائل العيون المختومة معهم والاذرى وطلب العجز بالنسبة * وذكر ابن المأمون أن غلات الوجه القبلى كانت تحمل الى الاهراء وأما الاعمال البحرية والبحيرة والجزيرتان والغربية والكفور والاعمال الشرقية فيحمل منها اليسير ويحمل باقيها الى الاسكندرية ودمياط وتنيس ليسير الى ثغر عسقلان وثغر صور وانه كان يسير اليهما فى كل سنة مائة وعشرون ألف اردب منها العسقلان خمسون ألفا ولصور سبعون ألفا فيصير هنالك ذخيرة ويباع منها عند الغنى عنها قال وكان متحصل الديوان فى كل سنة ألف ألف اردب * وذكر جامع السيرة البازورية أن المتجر كان يقام به للديوان من الغلة وأن الوزير أبا محمد البازورى قال للخليفة المستنصر وهو يومئذ يتقلد وظيفة قاضى القضاة وقد قصر النيل فى سنة أربع وأربعين وأربعمائة ولم يكن بالمخازن السلطانية غلال فاشتدت المسغبة بأمير المؤمنين ان المتجر الذى يقام بالغلة فيه أوفى مضرة على المسلمين وربما انحط السعر من مشتراها ولا يمكن بيعها فتتغير فى المخازن وتتلف وانه يقام متجر لا كلفة فيه على الناس ويفيد أضعاف فائدة الغلة ولا يخشى عليه من تغير فى المخازن ولا انحطاط سعر وهو الصابون والخشب والحديد والرصاص والعسل وما أشبه ذلك فأمضى الخليفة ما رآه واستمر ذلك ودام الرخاء على الناس وتوسعوا

* (ذكر المناظر التى كانت للخلفاء الفاطميين ومواضع نزههم وما كان لهم فيها من امور جميلة) *

وكان للخلفاء الفاطميين مناظر كثيرة بالقاهرة ومصر والروضة والقرافة وبركة الحبش وظواهر القاهرة وكانت لهم عدة منتزهات أيضا فمن مناظرهم التى بالقاهرة منظرة الجامع الازهر ومنظرة اللؤلؤة على الخليج ومنظرة الدكة ومنظرة المقس ومنظرة باب الفتوح ومنظرة البعل ومنظرة التاج والخمس وجوه ومنظرة الصناعة بمصر ودار الملك ومنازل العز والهودج بالروضة ومنظرة بركة الحبش والاندلس بالقرافة وقبة الهواء ومنظرة السكرة وكان من منتزهاتهم كسر خليج ابى المنجا وقصر الورد بالخرقانية وبركة الجب

* (منظرة الجامع الازهر) * وكان بجوار الجامع الازهر من قبليه منظرة تشرف على الجامع الازهر يجلس الخليفة فيها لمشاهدة ليالى الوقود

* (ذكر ليالى الوقود) * قال المسبحى فى حوادث شهر رجب من سنة ثمانين وثلثمائة وفيه خرج الناس فى لياليه على رسمهم فى ليالى الجمع وليلة النصف الى جامع القاهرة يعنى الجامع الازهر عوضا عن القرافة وزيد فيه فى الوقيد على حافات الجامع وحول صحنه التنانير والقناديل والشمع على الرسم فى كل سنة والاطعمة والحلوى والبخور فى مجامر الذهب والفضة وطيف بها وحضر القاضى محمد بن النعمان فى ليلة النصف بالمقصورة ومعه شهوده ووجوه البلد وقدمت اليه سلال الحلوى والطعام وجلس بين يديه القراء وغيرهم والمنشدون والناحة وأقام الى نصف الليل وانصرف الى داره بعد أن قدم الى من معه اطعمة من عنده وبخرهم * وقال فى شعبان وكان الناس فى كل ليلة جمعة وليلة النصف على مثل ما كانوا عليه فى رجب وأزيد وفى ليلة النصف من شعبان كان

الناس بجمع عظيم بجامع القاهرة من الفقهاء والقرّاء والمنشدين وحضر القاضى محمد بن النعمان فى جميع شهوده ووجوه البلد ووقدت التنانير والمصابيح على سطح الجامع ودور صحنه ووضع الشمع على المقصورة وفى مجالس العلماء وحمل اليهم العزيز بالله الاطعمة والحلوى والبخور فكان جمعا عظيما * قال وفى شهر رجب سنة اثنتين وأربعمائة قطع الرسم الجارى من الخبز والحلوى الذى يقام فى هذه الثلاثة الاشهر لمن يبيت بجامع القاهرة فى ليالى الجمع والانصاف وحضر قاضى القضاة مالك بن سعيد الفارقىّ الى جامع القاهرة ليلة النصف من رجب واجتمع الناس بالقرافة على ماجرت به رسومهم من كثرة اللعب والمزاح *روى الفاكهىّ فى كتاب مكة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يصيح فى اهل مكة ويقول يا اهل مكة أوقدوا ليلة هلال المحرّم فأوضحوا لحاجكم لحاج بيت الله واحرسوهم ليلة هلال المحرّم حتى يصبحوا وكان الامر على ذلك بمكة فى هذه الليلة حتى كانت ولاية عبد الله بن محمد بن داود على مكة فأمر الناس أن يوقدوا ليلة هلال رجب فيحرسوا عمار اهل اليمن ففعلوا ذلك فى ولايته ثم تركوه بعد * وفى ليلة النصف من رجب سنة خمس عشرة وأربعمائة حضر الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله ابو هاشم علىّ بن الحاكم بأمر الله ومعه السيدات وخدم الخاصة وغيرهم وسائر العامّة والرعايا فجلس الخليفة فى المنظرة وكان فى ليلة شعبان أيضا اجتماع لم يشهد مثله من أيام العزيز بالله وأوقدت المساجد كلها أحسن وقيد وكان مشهدا عظيما بعد عهد الناس بمثله لانّ الحاكم بأمر الله كان أبطل ذلك فانقطع عمله * وقال ابن المأمون ولما كانت ليلة مستهل رجب يعنى من سنة ست عشرة وخمسمائة عملت الاسمطة الجارى بها العادة وجلس الخليفة الآمر بأحكام الله عليها والاجلّ المأمون الوزير ومن جرت عادته بين يديه وأظهر الخليفة من المسرّة والانشراح ما لم تجر به عادته وبالغ فى شكر وزيره واطرائه وقال قد أعدت لدولتى بهجتها وجدّدت فيها من المحاسن مالم يكن وقد أخذت الايام نصيبها من ذلك وبقيت الليالى وقد كان بها مواسم قد زال حكمها وكان فيها توسعة وبرّ ونفقات وهى ليالى الوقود الاربع وقد آن وقتهنّ فأشتهى نظرهنّ فامتثل الامر وتقدّم بأن يحمل الى القاضى خمسون دينارا يصرفها فى ثمن الشمع وأن يعتمد الركوب فى الاربع الليالى وهى ليلة مستهل رجب وليلة نصفه وليلة مستهل شعبان وليلة نصفه وأن يتقدّم الى جميع الشهود بأن يركبوا بصحبته وأن يطلق للجوامع والمساجد توسعة فى الزيت برسم الوقود ويتقدّم الى متولى بيت المال بأن يهتمّ برسم هذه الليالى من أصناف الحلاوات مما يجب برسم القصور ودار الوزارة خاصة * وقال فى سنة سبع عشرة وخمسمائة وفى الليلة التى صبيحتها مستهل رجب حضر القاضى ابو الحجاج يوسف بن ايوب المغربىّ ووقع له بما استجدّ اطلاقه فى العام الماضى وهو خمسون دينارا من بيت المال لابتياع الشمع برسم اوّل ليلة من رجب واستدعى ماهو برسم التعبيتين احداهما للمقصورة والاخرى للدار المامونية بحكم الصيام من مستهل رجب الى سلخ رمضان مايصنع فى دار الفطرة خشكانج صغير وبسندود فى كل يوم قنطار سكر ومثقالان مسكا ودينارات مؤنة وكان يطلق فى اربع ليالى الوقود برسم الجوامع الستة الازهر والاقمر والانور بالقاهرة والطولونىّ والعتيق بمصر وجامع القرافة والمشاهد التى تضمنت الاعضاء الشريفة وبعض المساجد التى لاربابها وجاهة جملة كبيرة من الزيت الطيب ويختص بجامع راشدة وجامع ساحل الغلة بمصر والجامع بالمقس يسير قال ولقد حدّثنى القاضى المكين بن حيدرة وهو من أعيان الشهود أنّ من جملة الخدم التى كانت بيده مشارفة الجامع العتيق وأن القومة بأجمعهم كانوا يجتمعون قبل ليلة الوقود بمدّة الى أن يكملوا ثمانية عشر ألف فتيلة وأنّ المطلق برسمه خاصة فى كل ليلة برسم وقوده أحد عشر قنطارا ونصف قنطار زيت طيب وذكر ركوب القاضى والشهود فى الليلة المذكورة على جارى العادة قال وتوجه الوزير المأمون يوم الجمعة ثانى الشهر بعوكبه الى مشهد السيدة نفيسة ومابعده من المشاهد ثم الى جامع القرافة وبعده الى الجامع العتيق بمصر وقد عمّ معروفه جميع الضعفاء وقومة المساجد والمشاهد وصلى الجمعة وعند انقضاء الصلاة أحضر اليه الشريف الخطيب المصحف الذى بخط أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه فوقع باطلاق الف دينار من ماله وأن يصاغ عليه فوق حلية الفضة حلية ذهب وكتب عليه اسمه وفى الخامس عشر من الشهر المذكور ليلة الوقود جرى الحال فى ركوب القاضى وشهوده على الترتيب الذى تقدّم فى اوّل الشهر ولما وصل الى الجامع وجده قد عبى فى الرواق الذى عن يمين الخارج منه سماط كعك وخشكنانج وحلوى فجلس عليه بشهوده

وتهيبه

وينهبه الفقراء والمساكين وتوجه بعده الى ما سواه من جامع القرافة وغيره فوجد فى رواق الجامع المذكور سماطا مثل السماط المذكور فاعتمد فيه على ما ذكره وله أيضا رسم صدقة فى هذا النصف للفقراء واهل الربط مما يفرقه القاضى عشرة دنانير يفرقها القاضى * وقال ابن الطوير اذا مضى النصف من جمادى الآخرة وكان عدده عندهم تسعة وعشرين يوما أمر أن يسبك فى خزائن دار أفتكين ستون شمعة وزن كل شمعة منها سدس قنطار بالمصرى وحملت الى دار قاضى القضاة لركوب ليلة مستهل رجب فاذا كان بعد صلاة العصر من ذلك اليوم اهتم الشهود أيضا فمنهم من يركب بثلاث شمعات الى ثنتين الى واحدة ويمضى أهل مصر منهم الى القاهرة فيصلون المغرب فى الجوامع والمساجد ثم ينتظرون ركوب القاضى فيركب من داره بهيئته وأمامه الشمع المحمول اليه موقودا مع المندوبين لذلك من الفراشين من الطبقة السفلى من كل جانب ثلاثون شمعة وبينهما المؤذنون بالجوامع يذكرون الله تعالى ويدعون للخليفة والوزير بترتيب مقدر محفوظ ويندب فى صحبته ثلاثة من نواب الباب وعشرة من الحجاب خارجا عن حجاب الحكم المستقرين وعدتهم خمسة فى زى الامراء وفى ركابه القراء يطربون بالقراءة والشهود وراءه على الترتيب فى جلوسهم بمجلس الحكم الاقدم فالاقدم وحوالى كل واحد ماله من شمع فيشقون من اول شارع فيه دار القاضى الى بين القصرين وقد اجتمع من العالم فى وقت جوازهم مالا يحصى كثرة رجالا ونساء وصبيانا بحيث لا يعرف الرئيس من المرءوس وهو مار الى أن يأتى هو والشهود باب الزمرد من أبواب القصر فى الرحبة الوسيعة تحت المنظرة العالية فى السعة العظيمة من الرحبة المذكورة وهى التى تقابل درب قراصيا فيحضر صاحب الباب ووالى القاهرة والقراء والخطباء كما شرحنا فى الموالد الستة ويترجلون تحتها رتبا بمجلس الخليفة فيها وبين يديه شمع ويبين شخصه ويحضر بين يديه الخطباء الثلاثة ويخطبون كالموالد ويذكرون استهلال رجب وأن هذا الركوب علامته ثم يسلم الاستاذ من الطاقة الاخرى استفتاحا وانصرافا كما ذكرنا ثم يركب الناس الى دار الوزارة فيدخل القاضى والشهود الى الوزير فيجلس لهم فى مجلسه ويسلمون عليه ويخطب الخطباء أيضا بأخف من مقام الخليفة ويدعون له ويخرجون عنه فيشق القاضى والجماعة القاهرة وينزل على باب كل جامع بها ويصلى ركعتين ثم يخرج من باب زويلة طالبا مصر بغير نظام ووالى القاهرة فى خدمته اليوم مستكثرا من الاعوان والحفظة فى الطرقات الى جامع ابن طولون فيدخل القاضى اليه للصلاة فيجد والى مصر عنده للقاء القوم وخدمتهم فيدخل المشاهد التى فى طريقه أيضا فاذا وصل الى باب مصر ترتب فى القاهرة وسار شاقا الشارع الاعظم الى باب الجامع من الزيادة التى يحكم فيها فيوقد له التنور الفضة الذى كان معلقا فيه وكان مليحا فى شكله وتعليقه غير منافر فى الطول والعرض واسع التدوير فيه عشر مناطق فى كل منطقة مائة وعشرون بزاقة وفيه سروات بارزة مثل النخيل فى كل واحدة عدة بزاقات تقرب عدة ذلك من ثلثمائة ومعلق بدائر سفله مائة قنديل نجومية ويخرج له الحاكم فان كان ساكنا بمصر استقر بها وان كان ساكنا بالقاهرة وقف له والى القاهرة بجامع ابن طولون فيودعه والى مصر ويسير معه والى القاهرة الى داره فاذا مضى من رجب أربعة عشر يوما ركب ليلة الخامس عشر كذلك وفيه زيادة طلوعه بعد صلاته بجامع مصر الى القرافة ليصلى فى جامعها والناس يجتمعون له لينظروه ومن معه فى كل مكان ولا يملون من ذلك فاذا انقضت هذه الليلة استدعى منه الشمع ليكمل بعضه حتى يركب به فى اول شعبان ونصفه على الهيئة المذكورة والاسواق معمورة بالحلواء ويتفرغ الناس لذلك هذه الاربع الليالى

(منظرة اللؤلؤة) وكان للخلفاء الفاطميين منظرة تعرف بقصر اللؤلؤة وبمنظرة اللؤلؤة على الخليج بالقرب ١٠
من باب القنطرة وكان قصرا من أحسن القصور وأعظمها زخرفة وهو أحد منتزهات الدنيا المذكورة فانه كان يشرف من شرقيه على البستان الكافورى ويطل من غربيه على الخليج وكان غربى الخليج اذ ذاك ليس فيه من المبانى شئ وانما كان فيه بساتين عظيمة وبركة تعرف ببطن البقرة فيرى الجالس فى قصر اللؤلؤة جميع أرض الطبالة وسائر أرض اللوق وما هو من قبليها ويرى بحر النيل من وراء البساتين * قال ابن ميسر هذه المنظرة بناها العزيز بالله ولما ولى برجوان وزارة الحاكم بأمر الله بعد أمين الدولة بن عمار الكتامى سكن بمنظرة اللؤلؤة فى جمادى الاولى سنة ثمان وثمانين وثلثمائة الى أن قتل وفى السادس والعشرين من ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعمائة أمر الحاكم بأمر الله بهدم اللؤلؤة ونهبها فهدمت ونهبت وبيع ما فيها * وقال المسبحى

وفي سادس عشري ربيع الآخر يعني سنة اثنتين وأربعمائة أمر الحاكم بأمر الله بهدم الموضع المعروف باللؤلؤة على الخليج موازاة المقس وأمر بنهب أنقاضه فنهبت كلها ثم قبض على من وجد عنده شيئ من نهب أنقاض اللؤلؤة واعتقلوا * وقال ابن المأمون ولما وقع الاهتمام بسكن اللؤلؤة والمقام فيها مدة النيل على الحكم الاول يعني قبل وزارة أمير الجيوش بدر وابنه الافضل امر بازالة ما لم تكن العادة جارية به من مضايقها بالبناء ولما بدت زيادة النيل وعوّل الخليفة الآمر بأحكام الله على السكن باللؤلؤة أمر الاجل الوزير المأمون بأخذ جماعة الفراشين الموقوفين برسم خدمتها بالمبيت بها على سبيل الحراسة لا على سبيل السكن بها وعند ما بلغ النيل ستة عشر ذراعا أمر باخراج الخيم وعندما قارب النيل الوفاء تحوّل الخليفة في الليل من قصوره بجميع جهاته واخوته واعمامه والسيدات كرائمه وعماته الى اللؤلؤة وتحوّل المأمون الى دار الذهب وأسكن الشيخ ابا الحسن محمد بن أبي أسامة الغزالة على شاطئ الخليج وسكن حسام الملك حاجب الباب داره على الخليج وأمر متولي المعونة أن يكشف الادر المطلة على الخليج قبلي اللؤلؤة ولا يمكن أحدا من السكن في شيء منها الا من كان له ملك ومن كان ساكنا بالاجرة ينقل ويقام بالاجرة لرب الملك ليسكن بها حواشي الخليفة مدة سنة وقرر من التوسعة في النفقات وما يكون برسم المستخدمين في المبيتات ما يختص برواتب القصور مدة المقام في اللؤلؤة في ايام النيل مياومة من الغنم والحيوان وجميع الاصناف وهي جملة كثيرة وأمر متولي الباب أن يندب في كل يوم خروف شواء وقنطار خبز وكذلك جميع الدروب من يحرسها ويطلق لهم برسم الغداء مثل ذلك وتكون نوبة دائرة بينهم وبقية مستخدمي الركاب ملازمون لابواب القصر على رسمهم وفي يومي الركوب يجتمعون للخدمة الا من هو في نوبته فما رسم له وأمر متولي زمام المماليك الخاص أن يكونوا بأجمعهم حيث يكون الخليفة وفي الليل يبيت منهم عدة برسم الخدمة تحت اللؤلؤة ولهم في كل يوم مثل ما تقدم والرهجية تقسم قسمين أحدهما على ابواب القصور والآخر على ابواب اللؤلؤة واصحاب الضوء مثل ذلك وقرر للجماعة المقدم ذكرها في الليل عن رسم المبيت وعن ثمن الوقود ما يخرج اليهم مختوما بأسماء كل منهم ويعرضهم متولي الباب في كل ليلة بنفسه عند رواحه وعوده وكذلك ما يختص بدار الذهب من الحرس عليها من باب سعادة ومن باب الخوخة ولهم رسوم كما تقدم لغيرهم والمتفرجون يخرجون كل ليلة للنزهة عليهم ويقيمون الى بعض الليل حتى ينصرفوا من غير خروج في شيء من ذلك عما يوجبه الشرع وفي يومي السلام يمضي الخليفة من قصوره بحيث لا يراه الا استاذوه وخواصه الى قاعة الذهب من القصر الكبير الشرقي ويحضر الوزير على عادته اليه فيكون السلام بها على مستقر العادة والاسمطة بها في يومي الاثنين والخميس وتكون الركوبات من اللؤلؤة في يومي السبت والثلاثاء الى المنتزهات * وقال في سنة سبع عشرة وخمسمائة ولما جرى النيل وبلغ خمسة عشر ذراعا أمر باخراج الخيام والمضارب الديبقي والديباج وتحوّل الخليفة الآمر بأحكام الله الى اللؤلؤة بحاشيته وأطلقت التوسعة في كل يوم لما يخص الخاص والجهات والاستاذين من جميع الاصناف وانضاف اليها ما يطلق كل ليلة عينا وورقا وأطعمة للبياتين بالنوبة برسم الحرس بالنهار والسهر في طول الليل من باب القنطرة عادا الى مسجد الليمونة من التزين من صبيان الخاص والركاب والرهجية والسودان والحجاب كل طائفة بنقيبها والعرض من متولي الباب واقع بالعدة في طرفي كل ليلة ولا يمكن بعضهم بعضا من المنام والرهجية تخدم على الدوام وتحوّل الوزير المأمون الى دار الذهب وأطلقت التوسعة والحال في اطلاق الاسمطة لهم في الليل والنهار مستمر * وقال ابن عبد الظاهر المنظرة المعروفة باللؤلؤة على بر الخليج بناها الظاهر لاعزاز دين الله ابن الحاكم يعني بعد ما هدمها ابوه الحاكم وكانت معدة لنزهة الخلفاء وكان التوصل اليها من القصر يعني القصر الغربي من باب مراد وأظنه فيما ذكره لي علم الدين بن مماتي الوراق أنه شاهد في كتب دار ابن كوخيا العتيقة أنه بابها وكانت عادة الخلفاء أن يقيموا بها أيام النيل ولما حصل التوهم من النزارية والحشيشية قبل تصرفهم لاسيما لصغر سن الخليفة وقلة حواشيه أمر بسد باب مراد المذكور الذي يتوصل منه الى الكافوري والى اللؤلؤة وأسكن في بعضها فراشين لحفظها فاذا كان في صبيحة كسر الخليج استؤذن الافضل ابن أمير الجيوش في فتح باب مراد الذي يتوصل منه الى اللؤلؤة وغيرها فيفتح ويروح الخليفة ليتفرج هو وأهله من النساء ثم يعود ويسد الباب هذا الى آخر أيام الافضل فلما راجع الوزير المأمون في ذلك سارع

اليه

اليه فأصلحت وأزيل ما كان أنشئ قبالتها على ماسيذكر فى مكانه ان شاء الله تعالى اه ومات بقصر اللؤلؤة من خلفاء الفاطميين الآمر بأحكام الله والحافظ لدين الله والفائز وحملوا الى القصر الكبير الشرقى من السراديب ولما قدم نجم الدين أيوب بن شادى من الشام على ولده صلاح الدين يوسف وخرج الخليفة العاضد لدين الله الى لقائه بصحراء الهليلج بآخر الحسينية عند مسجد تبر أنزل بمنظرة اللؤلؤة فسكنها حتى مات فى سنة سبع وستين وخمسمائة واتفق أن حضر يوما عنده الفقيه نجم الدين عمارة اليمنى والرضى ابو سالم يحيى الاحدب بن ابى حصينة الشاعر فى قصر اللؤلؤة بعد موت الخليفة العاضد فأنشد ابن أبى حصينة نجم الدين ايوب فقال

يا مالك الارض لا أرضى له طرفا * منها وما كان منها لم يكن طرفا
قد عجل الله هذى الدار تسكنها * وقد أعد لك الجنات والغرفا
تشرفت بك عمن كان يسكنها * فالبس بها العز ولتلبس بك الشرفا
كانوا بها صدفا والدار لؤلؤة * وأنت لؤلؤة صارت لها صدفا

فقال الفقيه عمارة يرد عليه

أثمت يا من هجا السادات والخلفا * وقلت ما قلته فى ثلبهم سخفا
جعلتهم صدفا حلوا بلؤلؤة * والعرف مازال سكنى اللؤلؤ الصدفا
وانما هى دار حل جوهرهم * فيها وشف فاسناها الذى وصفا
فقال لؤلؤة عجبا ببهجتها * وكونها حوت الاشراف والشرفا
فهم بسكناهم الآيات اذ سكنوا * فيها ومن قبلها قد أسكنوا الصحفا
والجوهر الفرد نور ليس يعرفه * من البرية الا كل من عرفا
لولا تجسمهم فيه لكان على * ضعف البصائر للابصار مختطفا
فالكلب يا كلب اسنى منك مكرمة * لان فيه حفاظا دائما ووفا

فلله در عمارة لقد قام بحق الوفاء ووفى بحسن الحفاظ كما هى عادته لا جرم أنه قتل فى واجب من يهوى كما هى سنة المحبين فالله يرحمه ويتجاوز عنه

(منظرة الغزالة) وكان بجوار منظرة اللؤلؤة منظرة تعرف بالغزالة على شاطئ الخليج تقابل حمام ابن قرقة وقد خربت هذه المنظرة أيضا وموضعها الآن تجاه باب جامع ابن المغربى الذى من ناحية الخليج وقد خربت أيضا حمام ابن قرقة وصار موضعها فندقا بجوار حمام السلطان التى هناك يعرف بفندق عماد وموضع منظرة الغزالة اليوم ربع يعرف بربع غزالة الى جانب قنطرة الموسكى فى الحد الشرقى وكان يسكن بهذه المنظرة الامير ابو القاسم ابن المستنصر والد الحافظ لدين الله ثم سكنها ابو الحسن بن أبى أسامة كاتب الدست وكان بعد ذلك ينزلها من يتولى الخدمة فى الطراز أيام الخلفاء * قال ابن المأمون لما ذكر تحول الخليفة الآمر بأحكام الله الى اللؤلؤة وأسكن الشيخ ابا الحسن بن أبى أسامة كاتب الدست الغزالة التى على شاطئ الخليج ولم يسكن أحد فيها قبله ممن يجرى مجراه ولا كانت الاسكن الامير أبى القاسم ولد المستنصر والد الامام الحافظ قال وأما ما يذكره الطراز فالحكم فيه مثل الاستيمار والشائع فيها أنها كانت تشتمل فى الايام الافضلية على أحد وثلاثين ألف دينار فمن ذلك السلف خاصة خمسة عشر ألف دينار قيمة الذهب العراقى والمصرى ستة عشر ألف دينار ثم اشتملت فى الايام المأمونية على ثلاثة وأربعين ألف دينار وتضاعفت فى الايام الآمرية * وقال ابن الطوير الخدمة فى الطراز وينعت بالطراز الشريف ولا يتولاه الا اعيان المستخدمين من أرباب العمائم والسيوف وله اختصاص بالخليفة دون كافة المستخدمين ومقامه بدمياط وتنيس وغيرهما وجاريه أمير الجوارى وبين يديه من المند وبين مائة رجل لتنفيذ الاستعمالات بالقرى وله عشارى دقاس مجرد معه وثلاثة مراكب من الدكاسات ولها رؤساء ونواتية لا يبرحون ونفقاتهم جارية من مال الديوان فاذا وصل بالاستعمالات الخاصة التى منها المظلة وبدلتها والبدنة واللباس الخاص الجمعى وغيره هيئ بكرامة عظيمة وندب له دابة من مراكب الخليفة لا تزال تحته حتى يعود الى خدمته وينزل فى الغزالة على شاطئ الخليج وكانت من المناظر السلطانية وجددها شجاع بن شاور ولو كان لصاحب الطراز فى القاهرة عشرة دور لا يمكن من نزوله الا بالغزالة وتجرى عليه الضيافة كالغرباء الواردين على الدولة فيمثل

بين يدى الخليفة بعد حمل الاسفاط المشدودة على تلك الكساوى العظيمة ويعرض بجميع ما معه وهو ينبه على شئ شئ بيد فراشى الخاص فى دار الخليفة مكان سكنه ولهذا حرمة عظيمة ولاسيما اذا وافق استعماله غرضهم فاذا انقضى عرض ذلك بالمدرج الذى يحضره سلم لمستخدم الكسوات وخلع عليه بين يدى الخليفة باطنيا ولا يخلع على أحد كذلك سواه ثم ينكفئ الى مكانه وله فى بعض الاوقات التى لا يتسع له الانفصال نائب يصل عنه بذلك غير غريب منه ولا يمكن أن يكون الا ولدا أو أخا فان الرتبة عظيمة والمطلق له من الجامكية فى الشهر سبعون دينارا ولهذا النائب عشرون دينارا لانه يتولى عنه اذا وصل بنفسه ويقوم اذا غاب فى الاستعمال مقامه ومن أدواته أنه اذا ادعى ذلك فى الاسفاط استدعى والى ذلك المكان ليشاهده عند ذلك ويكون الناس كلهم قياما الحلول نفس المظلة وما يليها من خاص الخليفة فى مجلس دار الطراز وهو جالس فى مرتبته والوالى واقف على رأسه خدمة لذلك وهذا من رسوم خدمته وميزتها

(دار الذهب) * وكان بجوار الغزالة دار الذهب وموضعها الآن على يسرة الخارج من باب الخوخة فيما بينه وبين باب سعادة وكانت مطلة على الخليج وفى مكانها اليوم دار تعرف ببهادر الاعسر وبقى منها عقد بجوار دار الاعسر يعرف الآن بقبو الذهب من خطة بين السورين * قال ابن المأمون لما ذكر تحول الخليفة الآمر بأحكام الله الى اللؤلؤة ثم أحضر الوزير المأمون وكيله أبا البركات محمد بن عثمان وأمره أن يمضى الى دارى الفلك والذهب اللتين على شاطئ الخليج فالدار الاولى التى من حيز باب الخوخة بناها فلك الملك وذكر أنه من الاستاذين الحاكمية ولم تكن تعرف الا بدار الفلك والتى بناها الافضل بن أمير الجيوش الدار الملاصقة لها التى من حيز باب سعادة وسماها دار الذهب غلب الاسم على الدارين ويصلح ما فسد منهما ويضيف اليهما دار الشابورة وذكر أن هذه الدار لم تسم بهذا الاسم الا الآن جزأ منها بيع فى ايام الشدة فى زمن المستنصر بشابورة قال وعند ما قارب النيل الوفاء تحول الخليفة فى الليل من قصوره بجميع جهاته واخوته وأعمامه والسيدات كرائمه وعماته الى اللؤلؤة وتحول الاجل المأمون بالاجلاء أولاده الى دار الذهب وما اضيف اليها * وقال ابن عبد الظاهر دار الذهب بناها الافضل بن امير الجيوش وكانت عادة الافضل أن يستريح بها اذا كان الخليفة باللؤلؤة يكون هو بدار الذهب وكذلك كان المأمون من بعده وكان حرس دار الذهب يسلم للوزيرية من باب سعادة يسلم لهم ومن باب الخوخة للمصامدة أرباب الشعور وصبيان الخاص وكان المقرر لهم فى كل يوم سماطين أحدهما بقاعة الفلك للممالك الخاص والحاشية وأرباب الرسوم والآخر على باب الدار برسم المصامدة حتى انه من اجتاز ورأى انه يجلس معهم على السماط لا يمنع والضعفاء والصعاليك يقعدون بعدهم وفى اول الليل بمثل ذلك ولكل منهم رسم لجميع من يبيت من أرباب الضوء الى الاعلى

*(منظرة السكرة) * وكان من جملة مناظر الخلفاء منظرة تعرف بمنظرة السكرة فى بر الخليج الغربى يجلس فيها الخليفة يوم فتح الخليج وكان لها بستان عظيم بناها العزيز بالله بن المعز وقد دثرت هذه المنظرة ويشبه أن يكون موضعها فى المكان الذى يقال له اليوم المريس قريبا من قنطرة السد وكانت السكرة من جنات الدنيا المزخرفة وفيها عدة أماكن معدة لنزول الوزير وغيره من الاستاذين

(ذكر ما كان يعمل يوم فتح الخليج)

قال ابن زولاق فى كتاب سيرة المعز لدين الله وفى ذى القعدة يعنى من سنة اثنتين وستين وثلثمائة وهى السنة التى قدم فيها الخليفة المعز لدين الله الى القاهرة من بلاد المغرب ركب المعز لدين الله عليه السلام لكسر خليج القنطرة فكسر بين يديه ثم سار على شاطئ النيل حتى بلغ الى بنى وائل ومر على سطح الجرف فى موكب عظيم وخلفه وجوه اهل الدولة ومعه ابو جعفر أحمد بن نصر يسير معه ويعرّفه بالمواضع التى يجتاز عليها وتجعت له الرعية بالدعاء ثم عطف على بركة الحبش ثم على الصحراء على الخندق الذى حفره القائد جوهر ومر على قبر كافور وعلى قبر عبد الله بن أحمد بن طباطبا الحسنى وعرّفه به ثم عاد الى قصره * وذكر الامير المسبحى فى تاريخه الكبير ركوب العزيز بالله بن المعز وركوب الحاكم بأمر الله بن العزيز وركوب الظاهر لاعزاز دين الله بن الحاكم فى كل سنة لفتح الخليج * وقال ابن المأمون فى سنة ست عشرة وخمسمائة وعند ما بلغ النيل ستة عشر ذراعا أمر باخراج الخيم وأن يضرب الثوب الكبير الافضلى المعروف بالقاتول وهو أعظم ما فى الحاصل بأربعة دهاليز

وأربع قاعات خارجا عن القاعة الكبيرة ومساحته على ماذكر ألف ألف ذراع وأربعمائة ذراع بالذراع الكبير خارجا عن سرادقه وعمود القاعة الكبيرة منه ارتفاعه خمسون ذراعا ولما كمل استعماله فى ايام الافضل ونصب تأذى منه جماعة ومات رجلان فسمي بالقاتول لاجل ذلك ومازال لايضرب الابحضور المهندسين وتنصب له أساقيل عدّة بأخشاب كثيرة والمستخدمون يكرهون ضربه ويرغبون فى ضرب أحد الثوبين الجيوشيين وان كانا عظيمين الا انهما لايصلان بجملتهما الى مقايسته ولا مؤنته ولا صنعته وأقام هذا الثوب فى الاستعمال عدّة سنين مع جمع الصناع عليه ومايضرب منه سوى القاعة الكبيرة لاغير واربعة الدهاليز وبعض السرادق الذى هو سور عليه لضيق المكان الذى يضرب فيه وكونه لايسعه بجملته قال ووصلت كسوة موسم فتح الخليج وهى مايختص بالخليفة وأخيه وبعض جهاته والوزير * فأما مايختص بالخليفة خاصة فبدلة شرحها بدنة طميم منديل سلفه مائة وعشرون دينارا وأحد طرفيه ثلاثة عشر ذراعا ذهبا عراقيا دمجا لوحا واحدا والثانى ثلاثة أذرع سلفه أربعة وعشرون دينارا ثوب طميم سلفه خمسون دينارا والذهب الذى فى الثوب والمنديل والحنك ألف دينار وخمسة دنانير فتكون جملتها بالسلف ألف دينار ومائة وخمسة وسبعين دينارا شاشية طميم للسلف ديناران وسبعون قصبة ذهبا عراقيا فتكون جملة سلفها وقيمة ذهبها ثمانية دنانير منديل بسلام سلفه ديناران وسبعون قصبة قيمته كذلك وسط برسم المنديل بخوص ذهب سلفه اثنا عشر دينارا وسبعون قصبة قيمة ذلك عشرون دينارا شقة ديبقى وسطانى حريرى السلف اثنا عشر دينارا غلالة ديبقى حريرى السلف عشرة دنانير منديل كم مذهب السلف خمسة دنانير ومائتا قصبة وأربع قصبات ذهبا عراقيا قيمة ذلك خمسة وعشرون دينارا منديل كم ثان حريرى خمسة دنانير حجره أربعة دنانير عرضى لفافة خاص خمسة دنانير وستة عشر مثقالا ذهبا مصريا فتكون سلفه وذهبه خمسة وعشرين دينارا عرضى ثان برسم تغطية التخت دينار واحد ونصف تخت ثان ضمنه بدلة خاص حريرى برسم العود من السكرة شرحها منديل حريرى سلفه ستون دينارا وسط شرب رسمه اثنا عشر دينارا شقة ديبقى وكم عشرون دينارا شقة وسطانى اثنا عشر دينارا غلالة خمسة عشر دينارا غلالة عشرة دنانير منديل سلام ديناران منديل كم خمسة دنانير منديل كم ثان أيضا خمسة دنانير شاشية حريرى ديناران حجره أربعة دنانير عرضى لفافة خمسة دنانير عرضى ثان برسم لفافة التخت دينار واحد ونصف * قال ورأيت شاهدا أن قيمة كل حلة من هذه الحلل وسلفها اذا كانت حريرى ثلثمائة وستة دنانير واذا كانت مذهبة ألف دينار واختصرما باسم أبى الفضل جعفر أخى الخليفة وأربع جهات * وأما مايختص بالوزير فبدلة مذهبة شرحها منديل سلفه سبعون دينارا وخمسمائة وسبعون قصبة عراقى جملة سلفه وذهبه مائة وأربعة عشر دينارا شقة ديبقى وكم السلف ستة عشر دينارا وثمانية وعشرون مثقالا ذهبا عاليا تكون جملة ذلك خمسين دينارا نصف شقة ديبقى وسطانى اثنا عشر دينارا ونصف شقة وسطانى برسم العود ثلاثة دنانير غلالة ديبقى سبعة دنانير ونصف شقة برسم الغلالة ديناران ونصف منديل كم سبعة دنانير واثنا عشر مثقالا ذهبا تكون قيمته تسعة عشر دينارا حجره ثلاثة دنانير عرضى أربعة دنانير وأحد عشر مثقالا تكون سلفه وذهبه سبعة عشر دينارا ثم ذكر بعد ذلك مايكون لجهة الوزير ومايكون برسم صبيان الحمام ومايفصل برسم المماليك الخاص صبيان الرايات والرماح خمسمائة شقة سقلاطون دارى تكون قيمتها سبعمائة وخمسين قباء يحمل منها برسم غلمان الوزير مائة قباء ويفرّق جميع ذلك قال ولم يكن لاحد من الاصحاب والحواشى وغيرهم فى هذا الموسم شئ فيذكر بل لهم من الهبات العين والرسوم الخارجة عن ذلك مايأتى ذكره فى موضعه وفى صبيحة هذا الموسم خلع على ابن أبى الرّداد وعلى رؤساء المراكب وغيرهم وحمل الى المقياس برسم المبيت وركوب الخليفة بتجمله ومواكبه الى السكرة مافصله وبينه ممايطول ذكره * وقال فى سنة سبع عشرة وخمسمائة ولماجرى النيل وبلغ خمسة عشر ذراعا أمر باخراج الخيام والمضارب الديبقى والديباج وتحوّل الخليفة الى اللؤلؤة بحاشيته وتحوّل المامون الى دار الذهب ووصلت كسوة الموسم المذكور من الطراز وان كانت يسيرة العدّة فهى كثيرة القيمة ولم تكن للعموم من الحاشية والمستخدمين بل للخليفة خاصة واخوته وأربع من خواص جهاته والوزير وأولاده وابن أبى الرّداد فلماوفى النيل ستة عشر ذراعا ركب الخليفة والوزير الى الصناعة بمصر وتحت العشاريات بين ايديهما ثم عدّيا فى احداها الى المقياس وصليا ونزل الثقة صدقة بن أبى

الرّداد منزلته وخلق العمود وعاد الخليفة على فوره وركب البحر فى العشارى الفضى والوزير صحبته والرهجية تخدم برّا وبحرا والعساكر طول البرّ قبالته الى أن وصل الى المقس ورتب الموكب وقدم العشارى بالخليفة الآمر بأحكام الله والوزير المأمون وسار الموكب والرهجية تخدم والصدقات والرسوم تفرّق ودخل من باب القنطرة وقصد باب العيد واعتمد ماجرت به العادة من تقديم الوزير وترجله فى ركابه الى أن دخل من باب العيد الى قصره وتقدّم بالخلع على ابن أبى الرّداد بدلة مذهبة وثوب ديبقى حريرى وطيلسان مقوّر وبياض مذهب وشقة سقلاطون وشقة تحتانى وشقة خزوشقة ديبقى وأربعة أكياس دراهم ونشرت قدّامه الاعلام الخاص الديبقى المحاومة بالالوان المختلفة التى لاترى الاقدّامه لانها من جملة تجمل الخليفة وأطلق له برسم المبيت من البخور والشموع والاغنام والحلاوات كثير * قال وهيئت المقصورة فى منظرة السكرة برسم راحة الخليفة وتغيير ثيابه وقد وقعت المبالغة فى تعليقها وفرشها وتعبيتها وقدّم بين يديه الصوانى الذهب التى وقع التناهى فيها من همم الجهات من أشكال الصور الآدمية والوحشية من الفيلة والزرافات ونحوها المعمولة من الذهب والفضة والعنبر والمرسين المشدود والمظفور وعليها المكلل باللؤلؤ والياقوت والزبرجد من الصور الوحشية مايشبه الفيلة جميعها عنبر معجون كخلقة الفيل ونابه فضة وعيناه جوهرتان كبيرتان فى كل منهما مسمار ذهب مجرى سواده وعليه سرير مخرور من عود بمتكآت فضة وذهب وعليه عدّة من الرجال ركبان وعليهم اللبوس تشبه الزرديات وعلى رؤسهم الخود وبأيديهم السيوف المجرّدة والدرق وجميع ذلك فضة ثم صور السباع منحورة من عود وعيناه ياقوتتان حمراوان وهو على فريسته وبقية الوحوش وأصناف تشدّ من المرسين المكلل باللؤلؤ شبه الفاكهة * قال ومن جملة ماوقع الاهتمام به فى هذا الموسم ماصار يستعمل فى الطراز وان لم يتقدم نظيره للولائم التى تتخذ برسم تغطية الصوانى عدّة من عراضى ديبقى ثم قوّارات شرب تكون من تحت العراضى على الصوانى مفتح كل قوّارة منهنّ دون اربعة أشبار سلف كل واحدة منهنّ خمسة عشر دينارا ورقم فى كل منهنّ سجف ذهب عراقى ثمنه من أربعين الى ثلاثين دينارا تكون الواحدة بخمسين دينارا ويستعمل أيضا برسم الطرح من فوق القوّارات الاسكندرانى التى تشدّ على الموائد التى تحمل من عند كل جهة قوّارات ديبقى مقصور من كل لون محاومة بالرقم الحريرى مفتح كل قوّارة أربعة اذرع يكون الثمن عن كل واحدة أربعين دينارا ولقد بيعت عدّة من القوّارات الشرب فسارع التجار العراقيون الى شرائها ونهاية مابلغ ثمن كل واحدة منهن ستة عشر دينارا وسافروا بها الى البلاد فلم يبع لهم منها سوى اثنتين وعادوا بالبقية الى الديار المصرية فى سنة ست وثمانين وخمسمائة وحفظوا منهنّ شيأ عن السوق فلم يحفظ لهم رأس مالهنّ قال وكان ماتقدم من الزبادى فى الطيافير من الصينى الى آخر أيام الافضل بن أمير الجيوش وأيام المأمون وانما استجدّت الاوانى الذهب فى أواخر الايام الآمرية والذى يعبى بين يدى الخليفة قوائمية ضمنها عدّة من الطيافير المحمولة بالمرافع الفضة برسم الاطباق الحارة وليس فى المواسم مائدة بغير سماط للامراء ويجلس عليها الخليفة غير هذا الموسم وان كان يجرى مجرى الاعياد وله البخور مطلق مثلها وينفرد بالجلوس معه الجلساء المميزون والمستخدمون وعند كمال تعبيتها وبخورها يجلس الخليفة عليها عن يمينه وزيره وعن يساره أخوه ومن شرّف بحضوره وفى آخرها فرّق منها ماجرت به العادة على سبيل البركة * وقال فى سنة ثمان عشرة وخمسمائة ووصلت الكسوة المختصة بفتح الخليج وهى برسم الخليفة تختان ضمنهما بدلتان احداهما مناديلها وثوبها طميم برسم المضى والاخرى جميعها حريرية برسم العود وكذلك مايخص اخوته وجهاته بدلتان مذهبتان وأربع حلل مذهبة وبرسم الوزير بدلة موكبية مذهبة فى تخت وبرسم أولاده الثلاثة ثلاث بدلات مذهبة وبرسم جهته حلة مذهبة فى تخت وهؤلاء المميزون لكل منهم تخت وبقية مايخص المستخدمين وابن أبى الرّداد فى تخوت كل تخت فيه عدّة بدلات وحضر متولى الدفتر واستأذن على مايحمل برسم الخليفة ومايفرّق ومايفصل برسم الخلع ومايخرج من حاصل الخزائن غير الواصل وهو مايفصل برسم الغلمان الخاص عن سبعمائة قباء خمسمائة وشقتان سقلاطون دارى وبرسم رؤساء العشارى من الشقق الدمياطى والمناديل السوسى والفوط الحرير الاحمر وبرسم النواتية التى برسم الخاص من العشارية من الشقق الاسكندرانى والكلوتات فوقع باتفاق جميع ذلك وتفصيل مايجب منه ثم ابتيع ذلك بمطالعة ثانية برسم ماهو مستقرّ العموم من النقد العين والورق للموسم المذكور وهو من العين أربعة آلاف وخمسمائة

دينار

دينار ومن الورق خمسة عشر ألف درهم فوقع باطلاق ذلك وذكر تفصيل الكسوات والهبات بأسماء أربابها وحضر متولى المائدة الآمرية بمطالعة يستدعى ماجرت به العادة فى هذا الموسم من الحيوان والضان والبقر وغير ذلك من الاصناف برسم التفرقة والاسمطة وحضر متولى دار التعبية يستدعى ما يبتاع به الثمرة والزهرة وهيئة المتعينين لتعبية السكرة لاجل حلول الركاب بها ومقامه فيها وتعبية جميع مقاصيرها التى برسم الاستاذين والاصحاب والحواشى وهو مائة دينار فوقع باطلاقها وفى العاشر من الشهر المذكور يعنى شهر رجب وفى النيل ستة عشر ذراعا فتوجه المأمون الى صناعة العمائر بمصر ورميت العشاريات بين يديه وقد جددت وزينت جميعها بالستور الديبقى الملونة والكوامخ والاهلة الذهب والفضة وشمل الانعام أرباب الرسوم على عادتهم وعدّى فى احدى العشاريات الى المقياس وخلق العمود بما جرت به عادتهم من الطيب وفرقت رسوم الاطلاق وانكفا الى دار الذهب وأمر باطلاق ما يخص المبيت فى المقياس بجميع الشهود والمتصدرين وهى العشرات من الخبز عشرة قناطير وعشرة خراف شوى وعشر جامات حلوى وعشر شمعات وأول من يحضر المبيت الشريف الخطيب سيد المقربين وامام المتصدرين وله وللجماعة من الدراهم التى تفرق أوفى نصيب قال وخرج الخليفة بزى الخلافة ووقارها وناموسها بالثياب الطميم التى تذهل الابصار والمنديل بالشدة العربية التى ينفرد بلباسها فى الاعياد والمواسم خاصة لا على الدوام وكانت تسمى عندهم شدة الوقار مرصعة بغالى الياقوت والزمرذ والجوهر وعند لباسها تحقق لها الاعلام ويتجنب الكلام ويهاب ولا يكون سلام قريب منه وخليل غير الوزير الا بتقبيل الارض من بعيد من غير دنو ثم بين يديه من مقدمى خزائنه من يحمل سيفه ورمحه المرصعين بأفخر ما يكون ثم المذاب التى كل منها عودها ذهب وينفرد بحملها الصقالبة ويمشى بين الصفين المرتبين راجلا على بسط حرير فرشت له وكل من الصفين يتناهى فى مواصلة تقبيل الارض الى أن وصل الى مجلس خلافته وصعد على الكرسى المغشى بالديباج المنصوب برسم ركوبه وقد صفت الرواض وأزمة الاصطبلات خيل المظلة بعد أن أزالت الاغشية الحرير والشقق الديبقى المذهبة عن السروج وبقيت كما وصفها الله تعالى فى كتابه فقدم اليه ما وقع اختياره عليه وأمر بأن يجنب البقية فى الموكب بين يديه ولما علا ما قدم اليه استفتح مقرئو الحضرة وتسلم جميع مقدمى الركاب ركابه والرواض الشكيمة وزال حكم الاستاذين المستخدمين فى الركاب وعادت الموالى والاقارب الى محالهم واستدعى بالوزير بجميع نعوته فواصل تقبيل الارض الى أن قبل ركابه وشرفه بتقبيل يده بحكم خلوها من قضيب الملك فى هذه المواسم ولما أدى ما يجب من فرض السلام أخذ السيف من الامير افتخار الدولة أحد الامراء الاستاذين المميزين المحنكين متولى خزانة الكسوة الخاص وسلمه بعد أن قبله لاخيه الذى يتولى حمله فى الموكب بعد أن أرخيت عذبته تشريفا له مدة حمله خاصة وترفع بعد ذلك وشد وسطه بالمنطقة الذهب تأدبا وتعظيما لما معه وسلم الرمح والدرقة لمن يتولى حملهما بلواء الموكب ولم يكن للخدمة المذكورة عذبة مرخاة ولا منطقة واستدعى ركوب الوزير وأولاده من عند باب قاعة الذهب وخرج الخليفة من القاعة المذكورة الى اول دهليز فتلقته جماعة صبيان ركابه العشرة المقدمين أرباب الميمنة والميسرة وصبيان وراء صبيان الرسائل وصبيان السلام كل منهم فى الخدمة المعينة لا يخرج عنها لسواها وجميعهم بالمناديل الشروب المعلمة وبأوساطهم العراض الديبقى المقصورة وليس الجميع عبيدا بشراء ولا سودان بل مولدة وأولاد أعيان وأهل فهم ولسان ثم احتاط بركابه بعدهم من هو على غير زيهم بل بالقنابيز المفرجة والمناديل السوسى وهم المتولون لحمل السلاح الخاص الذى لا يكون الا فى موكبه خاصة على الاستمرار من الصوارى والفرنجيات والدبابيس واللتوت والصماصم بالدرق الصينى واليمنى بالكوامخ الفضة والذهب ويحصل الاستدعاء من صبيان السلام فى مسافة الدهاليز لكل من هو مستخدم فى الموكب ركوبه من محل حجبته الى أن خرج الخليفة من باب الذهب وقد ضربت الغربية وأبواق السلام واجتمع الرهج من كل مكان ونشرت المظلة فاجتمع اليها الزويلية بالعدد الغربية وظلل بها وسارت بسيره والقرآن الكريم عن يمينه ويساره والحجرية الصبيان المنشدون واجتمع الموكب بجملته على ما ذكر أولا والترتيب أمامه لمتولى الباب وحجابه وتلوه لمتولى الستر وكل منهم على حكم المدارج التى وصلت اليه لا سبيل الى الخروج عما رسم فيها وسار بجملة موكبه على ترتيب أوضاعه بين حصنين مانعين من طوارق عساكره فارسها وراجلها

كل طائفة يقدمها زمامها وقد ازدحموا فى المصفات بالعدد المذهبة الحربية والآلات المانعة المضيئة وليس بينهم طريق لسالك وقد زين لهم جميع ما يكون أمامهم من الطرق جميعها حوانيتها وآدرها وجميع مساكنها وأبواب حاراتها بانواع من الستور والديباج والديبقى على اختلاف اجناسها ثم بأصناف السلاح وملآت النظارة الفجاج والبطاح والوهاد والربا والصدقات والرسوم ثم أهل الجانبين من أرباب الجوامع والمساجد وبوابى الابواب والسقائين والفقراء والمساكين فى طول الطريق الى أن أطل على الخيام المنصوبة فوقف بموكبه واستدعى الوزير بعده من مقدمى ركابه فاجتاز راكبا بمفرده وجمع حاشيته بسلاحهم رجالة فى ركابه بعد أن بالغ فى الايماء بتقبيل الارض أمامه فرد عليه بكمه السلام وعاد الخليفة فى سيره بالموكب بعد أن حصل الوزير أمامه وترجل جميع من شرف بحجبته فى ركابه وآخرهم متولى حمل سيفه ورمحه وصبيان السلام يستدعون كل منهم الى تقبيل الارض بجميع نعوته اكباراله وتميزا واحتاطوا بركابه ووصل الى المضارب فى الحرس الشديد على ابوابها وسرادقاتها من كل جانب وقد تبين وجاهة من حصل بها ومكن من الدخول اليها وترجل الوزير فى الدهليز الثالث من دهاليزها وتقدم الى الخليفة وأخذ شكيمة الفرس من يد الرواض وشق به الخيام التى جمعت جميع الصور الآدمية والوحشية وقد فرشت جميعها بالبسط الجهرمية والاندلسية الى أن وصل الى القاعة الكبرى فيها وترجل على سرير خلافته وجلس فى محل عظمته وأجلس وزيره على الكرسى الذى اعدله واحتاط به المستخدمون حملة السلاح المنتصب جميعه وحجبوا العيون عن النظر اليه وصف بين يديه الامراء والضيوف والمشرفون بحجبته وختم المقرئون القرآن العظيم وقدم عدى الملك النائب شعراء المجلس على طبقاتهم وعند انقضاء خدمة آخرهم عادت المستخدمون والرواض مقدمة ما أمروا به من الدواب فعلاها الخليفة والوزير يمسك الشكيمة بيده وانتظم موكبا عظيما والقراء عوض الرهجية والجماعة فى ركابه رجالة على حكم ما كانوا عليه أولا وصعد من القاعة التى فى دهاليز الباب القبلى منها فخرج منه وانفصلت خدمة جميع الامراء والضيوف من ركابه بأحسن وداع من تقبيل الارض وصعد الخليفة ووزيره وأولاده واخوته والاصحاب والحواشى الى السكرة وهى من جنات الدنيا المزخرفة وتلقاه أخوه بعظمة سلامه وتقبيل الارض بين يديه وجلس لوقته وفتحت الطاقات التى فى المنظرة وعن يمينه وزيره وعن يساره أخوه جالسان واعتمد الناس جميعهم عند مشاهدته تقبيل الارض له وادامة النظر نحوه والمستخدمون جميعهم على السد مشدودى الاوساط واقفين عليه فلما أمرهم الوزير أن يكسروه قبلوا الارض جميعا وانصرفوا عنه وتولته الفعلة فى البساتين السلطانية بالفتح من الجانبين والقرآن والتكبير من الجانب الغربى حيث الخليفة والرهج واللعب من الجانب الشرقى ولما كمل فتحه انحدرت العشاريات عن آخرها اللطيف منها يقدم الكبير والجميع مزينة بالذهب والفضه والستور المرقومة ورؤساؤهم وخدامهم بالكسوات الجميلة وبعد ذلك غلقت الطاقات وحل الخليفة بالمقصورة التى لراحته وكذلك الوزير وأولاده واخوته وجميع الامراء الاستاذين والاصحاب والحواشى واستدعى للوقت والى مصر من البر الشرقى وخلع عليه بدلة منديلها وثوبها مذهبان وثوبان عتابى وسقلاطون وقبل الارض من تحت المنظرة وعدى فى البحر الى حفظ مكانه ثم استدعى بعده حامى البساتين ومشارفها فخلع عليهما بدلتين حريرى وثوبين سقلاطون وعتابى ثم متولى ديوان العمائر كذلك ثم مقدمى الرؤساء كذلك واعتمد كل من سلم اليه الاثباتات المشتملة على أصناف الانعام من العين والورق وصوانى الفطرة والموائد التى يهتم بها جميع الجهات والخراف المشوية والجامات الحلواء تفرقة ذلك على ما رسم وهو شامل غير مخصص من أخى الخليفة والوزير الى الاصحاب والحواشى من أرباب السيوف والاقلام ثم الامراء المستخدمين والضيوف المميزين من الاجناد وغيرهم من الادوان ممن يتعلق به خدمة تختص بالموسم من البحارة وأرباب اللعب وغيرهم وعبيت الاسمطة فى المسطحات المنصوبة لها بالجانب من الباب الغربى من الخيام وأمر الوزير أخاه بالمضى اليها والجلوس عليها فتوجه وبين يديه متولى حجبة الباب ونوابه والمعروفية والحجاب واستدعت الامراء والضيوف بالسقاة من خيامهم وأجلس كل منهم على السماط فى موضعه على عادتهم وتلاهم العساكر على طبقاتهم ولم يمنع حضورهم ما يسر لكل منهم من جميع ما ذكر على حكم ميزته ولما انقضى حكم الاسمطة المختصة بالامراء الكبار عاد أخو الوزير الى حيث مقر الخلافة وبقى متولى الباب

جالسا

جالسا لاسمطة العبيد وجميع المستخدمين من الراجل والسودان وعبيت المائدة الخاص بالسكرة التى ما يحضرها الا العوالى الخاص المستخدمون فى الخدم الكبار ويجمع له حالتان حضوره فى أشرف مقام وجلوسه فى محل يحصل له به حرمة وذمام وجلس الخليفة عليها وأخوه على شماله ووزيره على يمينه بعد أن أدّى كل منهما ما يجب من سلامه وتعظيمه وحضر أولاد الوزير واخوته والشيخ أبو الحسن كاتب الدست وابنه سالم ومن الاستاذين المحنكين أرباب الخدم وجرى الحال فى المائدة الشريفة على ما هو ما الوف وفرّق من جلتها الكل من أرباب الخدم الذين لم يحضروا عليها ما هو لكل منهم على سبيل الشرف وتميز فى ذلك اليوم خاصة ما يختص بالقاضى وشهوده والداعى وابن خاله الذين يخصصون عن سواهم بمقامهم دون غيرهم فى قاعة الخيمة الكبرى أمام سرير الخلافة المنصوب مدّة النهار مع ما يحمل اليهم من الموائد وغيرها مما هو بأسمائهم فى الاثباتات مذكور ولما تكامل وضع المائدة وانقضى حكمها قبل كل من الحاضرين الارض وانصرف بعد أن استصحب منها ما تقتضيه نفسه على حكم الشرف والبركة ويقضى بعد ذلك الفرائض الواجبة فى وقتها ولا بدّ من راحة بعدها وحضر مقدّما الركاب وحاسبا كاتب الدفتر على ما معهما برسم تفرقة الرسوم والصدقات فى مسافة الطريق فكمل لهما على ما بقى معهما مثل ما كان اولا ولما استحق العود عاد كل من المستخدمين الى شغله من ترتيب الموكب ومصفات العساكر وترتيب من يشرّف بالحضرة من الامراء والضيوف وفرّقت الصوانى الخاص التى تكون بين يدى الخليفة مدّة النهار الجامعة للثروة من كل جهة والزينة من كل معنى والغرابة من كل صنف وقد جمعت ملاذ جميع الحواس والعدّة منها يسيرة وليس ذلك لتقصير من هم الجهات التى تتنوع فيها بالغرائب بل للتعب الشديد عليها ثم لضيق الزمان لانّ كلا منها الامنـدوحة أن يكون فيه زهرة وثمرة وطول المكث كذلك يتلف ما فيها واذا شملت مع قلتها من له الوجاهة العالية من أخى الخليفة والوزير لم يكن له غير صينية واحدة وأخذ كل من الحاشية أهبة تجمله لموضع ميزته وغير الخليفة ثيابه بما يقتضيه الموكب وهو بدلة حريرى بشدّة الوقار وعلم الجوهر وسير الى الوزير صحبة مقدم خزانة الكسوة الخاص على يد المستخدمين عنده من الاستاذين من جملة بدلات الجمع التى يتوجه منها الى زيه ما يؤمر به من يسعى اليه بدلة مكملة حريرى ومنديلها بياض بالشدّة الدانية غير العربية ولما لبس ما سير اليه وحضر بين يديه لشكر نعمته أمره بركوب أخيه فى احدى العشاريات فامتثل أمره وتوجه صحبته من السكرة بجميع خواصه وحواشيه وفتح لهم الباب الذى هو منها بشاطئ الخليج وقدّم له احدى العشاريات الموكبية وفيها مقدّم رياسة البحرية فركب فيها بجمعه والوزير واقف راجل على شاطئ الخليج خدمة له الى أن انحدرت العشاريات جميعها قدامه ومراكب اللعب بغير أحد من أرباب الرهج والمستخدمون فى البرّين يمنعون من يقاربه والمتفرجون لا يصدّهم ويردّهم ما يحل بهم بل يرمون أنفسهم من على الدواب ويسيرون بسيره وعاد الوزير الى السكرة فلما شاهد الخليفة الدواب الخاص التى برسم ركوبه أمره بما وقع عليه اختياره منها وعلاه فاحتاط بركابه مقدّمو الركاب واستفتح القراء وخرج من باب السكرة ودخل من باب الخليفة القبلى وشق قاعتها على سرير مملكته وخص بالسلام فيها شيوخ الكتاب العوالى والقاضى والداعى ومن معهما ولهم بذلك ميزة عظيمة يختصون بها دون غيرهم وخرج منها الى البستان المعروف بنزار وسار فى ميدانه وجميعه من الجانبين سور معقود من شجر نارنج اصولها مفترقة وفروعها مجتمعة وظلالات الطريق وعليها من الثمرة التى أخرجها من وقتها الى هذا اليوم وقد خرجت بهجتها عن المعتاد وحصل عليها ثمرة سنتين احداهما انتهت والاخرى فى الابتداء وهو بهيئته وزيه وترتيب عساكره وأمرائه وخرج من الباب بعد أن عمّ من له رسم بانعامه وعاد الرهج والموكب على ما كان عليه فلما وصل الى السد الذى على بركة الحبش كسر بين يديه *(وقال فى كتاب الذخائر)* ان مما اخرج من القصر فى سنة احدى وستين وأربعمائة فى خلافة المستنصر قبة العشارى وقاربه وكسوة رحله وهو مما استعمله الوزير أحمد بن على الجرجراى فى سنة ست وثلاثين وأربعمائة وكان فيه مائة ألف وسبعة وستون ألفا وسبعمائة درهم فضة نقرة وان المطلق لصناع الصاغة عن اجرة ذلك وفى ثمن ذهب لطلائه خاصة ألفان وسبعمائة دينار وعمل ابو سهل التسترى لوالدة المستنصر عشاريا يعرف بالفضى وحلى رواقه بفضة تقديرها مائة ألف وثلاثون ألف درهم ولزم ذلك اجرة الصناعة ولطلاء بعضه ألفان وأربعمائة دينار واستعمل كسوة برسمه

بمال جليل وأنفق على العشاريات التى برسم النزه البحرية التى عدتها ستة وثلاثون عشاريا بالتقدير بجميع آلاتها وكساها وحلاها من مناطق ورؤس مجوقات واهلة وصفريات وغير ذلك أربعمائة ألف دينار * وقال ابن الطوير اذا أذن الله سبحانه وتعالى بزيادة النيل المبارك طالع ابن أبى الرداد بما استقر عليه أذرع القاع فى اليوم الخامس والعشرين من بؤونة وأرخه بما يوافقه من أيام الشهور العربى فعلم ذلك من مطالعته وأخرجت الى ديوان المكاتبات فنزلت فى السير المرتب بأصل القاع والزيادة بعد ذلك فى كل يوم تؤرخ بيومه من الشهر العربى وما وافقه من ايام الشهر القبطى لايزال كذلك وهو محافظ على كتمان ذلك لا يعلم به أحد قبل الخليفة وبعده الوزير فاذا انتهى فى ذراع الوفاء وهو السادس عشر الى أن يبقى منه اصبع أو اصبعان وعلم ذلك من مطالعته أمر أن يحمل الى المقياس فى تلك الليلة من المطابخ عشرة قناطير من الخبز السميذ وعشرة من الخراف المشوية وعشرة من الجامات الحلواء وعشر شمعات ويؤمر بالمبيت فى تلك الليلة بالمقياس فيحضر اليه قراء الحضرة والمتصدرون بالجوامع بالقاهرة ومصر ومن يجرى مجراهم فيستعملون ذلك ويقدون الشمع عليهم من العشاء الآخرة وهم يتلون القرآن برفق ويطربون بمكان التطريب فيختمون الختمة الشريفة ويكون هذا الاجتماع فى جامع المقياس فيوفى الماء ستة عشر ذراعا فى تلك الليلة ولوفاء النيل عندهم قدر عظيم ويبتهجون به ابتهاجا زائدا وذلك لانه عمارة الديار وبه التئام الخلق على فضل الله فيحسن عند الخليفة موقعه ويهتم بأمره اهتماما عظيما اكثر من كل المواسم فاذا أصبح الصبح من هذا اليوم وحضرت مطالعة ابن أبى الرداد اليه بالوفاء ركب الى المقياس لتخليقه فيستدعى الوزير على العادة فيحضر الى القصر فيركب الخليفة بزى أيام الركوب من غير مظلة ولا ما يجرى مجراها بل فى هيئة عظيمة من الثياب والوزير تابعه فى الجمع الهائل على ترتيب الموكب ويخرج شاقا من باب زويلة وسالكا الشارع الى آخر الركن من بستان عباس المعروف اليوم بسيف الاسلام فيعطف سالكا على جامع ابن طولون والجسر الاعظم بين الركنين الى الساحل بمصر الى الطريق المسلوكة على طرف الخشابين الشرقى على دار الفاضل الى باب الصاغة بجوار دهاليز ماد بمصاطب مفروشة بالحصر العبدانى بسطا وتأزيرا فيشقها والوزير تابعه فيخرج منها منعطفا على الصناعة الاخرى وكانت برسم المكس الى السيوفيين ثم على منازل العز التى هى اليوم مدرسة ثم الى دار الملك فيدخل من الباب المقابل لسلوكه فيترجل الوزير عنده للدخول بين يديه ماشيا الى المكان المعد له ويكون قد حمل أمس ذلك اليوم من القصر البيت المتخذ للعشارى الخاص وهو بيت مثمن من عاج وأبنوس عرض كل جزء ثلاثة أذرع وطوله قامة رجل تام فيجمع بين الاجزاء الثمانية فيصير بيتا دوره أربعة وعشرون ذراعا وعليه قبة من خشب محكم الصناعة وهو بقبته ملبس بصفائح الفضة والذهب فيتسلمه رئيس العشاريات الخاص ويركبه على العشارى المختص بالخليفة ويجعل باكر ذلك اليوم الذى يركب فيه الخليفة على الباب الذى يخرج منه للركوب الى المقياس فاذا استقر الخليفة بالمنظرة بدار الملك التى يخرج من بابها الى العشارى وأسند اليه استدعى الوزير من مكانه فيحضر اليه ويخرج بين يديه الى أن يركب فى العشارى فيدخل البيت المذهب وحده ومعه من الاستاذين المحنكين من يأمره من ثلاثة الى أربعة ثم يطلع فى العشارى خواص الخليفة خاصة ورسم الوزير اثنان أو ثلاثة من خواصه وليس فى العشارى من هو جالس سوى الخليفة باطنا والوزير ظاهرا فى رواق من باب البيت الذى هو بعرانيس من الجانبين قائمة مخروطة من أخف الخشب وهى مدهونة مذهبة وعليها من جانبيها ستور معمولة برسمها على قدرها فاذا اجتمع فى العشارى من جرت عادته بالاجتماع اندفع من باب القنطرة طالبا باب المقياس العالى على الدرج التى يعلوها النيل فيدخل الوزير ومعه الاستاذون بين يدى الخليفة الى الفسقية فيصلى هو والوزير ركعات كل واحد بمفرده فاذا فرغ من صلاته أحضرت الآلة التى فيها الزعفران والمسك فيديفها بيده بآلة ويتناولها صاحب بيت المال فيناولها لابن أبى الرداد فيلقى نفسه فى الفسقية وعليه غلالته وعمامته والعمود قريب من درج الفسقية فيتعلق فيه برجليه ويده اليسرى ويخلقه بيده اليمنى وقراء الحضرة من الجانب الآخر يقرؤن القرآن نوبة بنوبة ثم يخرج على فوره راكبا فى العشارى المذكور وهو بالخيار اما أن يعود الى دار الملك ويركب منها عائدا الى القاهرة أو ينحدر فى العشارى الى المقس فيتبعه الموكب الى القاهرة ويكون فى البحر فى ذلك اليوم ألف قرقورة مشحونة بالعالم فرحا بوفاء النيل وبنظر

الخليفة

الخليفة فاذا استقر بالقصر اهتم بركوب فتح الخليج وفيه همة عظيمة ظاهرة للابتهاج بذلك ثم يصير ابن أبي الرداد باكر ثانى ذلك اليوم الى القصر بالايوان الكبير الذى فى الشباك الى باب الملك بجواره فيجد خلعة معباة هنالك فيؤمر بلبسها ويخرج من باب العيد شاقا بها بين القصرين من اوله قصد الاشاعة ذلك فان ذلك من علامة وفاء النيل ولاهل البلاد الى ذلك تطلع وتكون خلعة مذهبة وكان من العدول المحنكين فيشرف فى الخلعة بالطيلسان المقور ويندب له من التغييرات ولمن يريده خمس تغييرات مركبات بالحلى ويحمل أمامه على أربع بغال مع أربعة من مستخدمى بيت المال أربعة اكياس فى كل كيس خمسمائة درهم ظاهرة فى اكفهم وبصحبته أقاربه وبنو عمه وأصدقاؤه ويندب له الطبل والبوق ويكتنف به عدة كثيرة من المتصرفين الرجالة فيخرج من باب العيد ويركب احدى التغييرات وهى أميزها ويشرف أمامه بحملين من النقارات التى قدمنا ذكرها يعنى فى ركوب اول العام من زى الموكب فيسير شاقا القاهرة والابواق تضرب أمامه كبارا وصغارا والطبل وراءه مثل الامراء وينزل على كل باب يدخل منه الخليفة ويخرج من باب القصر فيقبله ويركب وهكذا يعمل كل من يخلع عليه من كبير وصغير من الامراء المطوقين الى من دونهم سيفا وقلما ويخرج من باب زويلة طالبا مصر من الشارع الاعظم الى مسجد عبد الله الى دار الانماط جائزا على الجامع الى شاطئ البحر فيعدى الى المقياس بخلعه واكياسه وهذه الاكياس معدة لارباب الرسوم عليه فى خلعه ولنفسه ولبنى عمه بتقرير من اول الزمان فاذا انقضى هذا الشان شرع فى الركوب الى فتح الخليج ثانى يوم وقد كان وقع الاهتمام به منذ دخلت زيادة النيل ذراع الوفاء اهتماما عظيما فيعمل فى بيت المال من التماثيل شكل الوحوش من الغزلان والسباع والفيلة والزرافات عدة وافرة منها ماهو ملبس بالعنبر ومنها ما هو ملبس بالصندل ثم شكل التفاح والاترج اللطيف والوحوش مفسرة الاعين والاعضاء بالذهب الى غير ذلك ثم تخرج الخيمة التى يقال لها القاتول لان فراشا سقط من أعلى عمودها فمات فسميت بذلك وطوله سبعون ذراعا واعلاه صفرية فضة تسع راوية ماء وعليه الفلكة التى كانت فى الايوان الى قريب الوقت ثم يعمل فى اول العمود شقة دائرة ثم اوسع منها ويتوالى ذلك الى احدى عشرة شقة فتصير سعة الخيمة ما يزيد على فدانين مستديرة وتنصب فى بر الخليج الغربى على حافته مكان بستان الحلى اليوم وكانت ثم منظرة يقال لها السكرة برسم جلوس الخليفة لفتح الخليج فى مثل هذا اليوم وينصب أرباب الرتب من الامراء من بحرى تلك الخيمة الكبرى خياما كثيرة ويتمايزون فيها على قدر هممهم وضربهم اياها فى الاماكن الاقرب فالاقرب على قدر رتبهم فاذا تم ذلك وعزم الخليفة على الركوب ثالث يوم التخليق أو رابعه أخرج كل من المستخدمين فى المواضع المقدم ذكرها فى ركوب اول العام آلات الموكب على عادته ويزاد فيه اخراج أربعين بوقا عشرة من الذهب وثلاثون من الفضة ويكون بواقوها ركبانا وأرباب الابواق النحاس مشاة ومن الطبول الكبار التى مكان خشبها فضة عشرة فاذا حضر الوزير الى باب القصر خرج الخليفة فى هيئة عظيمة وهمة عالية وقد تضاعفت همم الاجناد فى ذلك اليوم فارسها وراجلها ويخرج زى الخليفة من المظلة والسيف والرمح والالوية والدواة وغير ذلك من الاستاذين المحنكين ويركب فى ذلك اليوم من الاقارب المقيمين بالقصر عشرون أو ثلاثون وهم بالنوبة فى كل سنة فيتقدمون الى المنظرة فى مكان لهم صحبة استاذين لخدمتهم وحفظهم ويكون قد لف عمود الخيمة الكبرى المشار اليها بديباج أبيض أو أحمر أو أصفر من أعلاه الى أسفله وينصب مسندا اليه سرير الملك ويغشى بقرقوبى وعرانيسه ذهب ظاهرة فيخرج الخليفة للركوب ويركب فيخرج من باب القصر وعليه ثوب يقال له البدنة وهو كله ذهب وحرير مرقوم والمظلة من شكله ولا يلبس هذا الثوب فى غير هذا اليوم ويسير بالموكب الهائل شاقا القاهرة من الطريق التى ركب منها لتخليق المقياس الا انه لا يدخل طرق مصر من الخشابين بل خارجها من طريق الساحل فاذا جاز على جامع ابن طولون وجد قد ربط من رأس المنارة من مكان العشارى النحاس حبل طويل قوى موضوع آخره فى الطريق وفيه قوم يقال لهم الحبارية واحد فى زى فارس على شكل فرس وفى يده رمح وبكتفه درقة فينحدر على بكرة وفى رجليه آخر يمسكها وهو يتقلب فى الهواء بطنا وظهرا حتى يصل الى الارض ويكون قاضى القضاة وأعيان الشهود جلوسا فى باب الجامع من هذه الجهة فاذا وازاهم الخليفة وكانوا قد ركبوا وقف لهم وقفة فيسلم على القاضى ثم يدخل فيقبل الرجل التى من جانبه لاغير ويدخل بالشهود

فى الفرجة أمام وجه الدابة بمقدار قصبة المساحة فيسلم عليهم ويرجعون الى دوابهم فيركبون ويكون قد نصب لهم بالقرب من الخيمة الكبرى خيمتان احداهما ديباج أحمر والاخرى ديبقى أبيض بصفارى فضة لكل واحدة فيتم الخليفة بهيئته الى أن يدخل من باب الخيمة ويكون الوزير قد تقدمه على العادة ليخدمه فيجده راجلا على باب الخيمة فيمشى بين يديه الى سرير الملك فينزل ويجلس على المرتبة المنصوبة فيه ويحيط به الاستاذون المحنكون والامراء المطوقون بعدهم ويوضع للوزير الكرسى الجارى به عادته فيجلس عليه ورجلاه تحك الارض ويقف أرباب الرتب صافين من ناحية سرير الملك الى ناحية الخيمة والقراء يقرؤن القرآن ساعة زمانية فاذا ختموا قراءتهم استاذن صاحب الباب على حضور الشعراء للخدمة بما يطلق هذا اليوم فيؤمر بتقديمهم واحدا بعد واحد ولهم منازل على مقدار أقدارهم فالواحد يتقدم الواحد بخطوة فى الانشاد وهو أمر معروف عند مستخدم يقال له النائب وتقدم شاعر يقال له ابن جبر وأنشد قصيدة منها

فتح الخليج فسال منه الماء * وعلت عليه الراية البيضاء
فصفت موارده لنا فكانه * كف الامام فعرفها الاعطاء

فانتقد الناس عليه فى قوله فسال منه الماء وقالوا اى شئ يخرج من البحر غير الماء فضيع ما قاله بعد هذا المطلع وتقدم شاعر يقال له مسعود الدولة بن جرير وأنشد

مازال هذا السد ينظر فتحه * اذن الخليفة بالنوال المرسل
حتى اذا برز الامام بوجهه * وسطا عليه كل حامل معول
فجرى كأن قد ديف فيه عنبر * يعلوه كافور بطيب المندل

فانتقدوا عليه ايضا قوله فى البيت الثانى وقالوا أهلك وجه الامام بسطوات المعاول عليه وان كان قصد فتح السد بالمعاول لكنه ما نظمه الا قلقا ثم تقدم له شاعر شاهد يقال له كافى الدولة ابو العباس احمد وأنشد قصيدة شهد له جماعة منهم القاضى الاثير بن سنان فانه عملها بحضوره بديها

لمن اجتماع الخلق فى ذا المشهد * للنيل أم لك يا ابن بنت محمد
أم لاجتماعكما معا فى موطن * واخيتما فيه لاصدق موعد
ليس اجتماع الخلق الا للذى * حاز الفضيلة منكما فى المولد
شكروا لكل منكما لوفائه * بالسعى لكن منهم للاجود
ولمن اذا اعتمد الوفاء ففعله * بالقصد ليس له كمن لم يقصد
هذا يفى ويعود ينقص تارة * وتسد أنت النقص ان لم يردد
وقواه ان بلغ النهاية قصرت * واذا بلغت الى النهاية تبتدى
فالآن قد ضاقت مسالك سعيه * بالسد فهو به بحال مقيد
فاذا أردت صلاحه فافتح * لبرى جنابا مخصبا وترى ندى
وأمر بفصد العرق منه فاشتكا * جسم فصح الجسم ان لم يفصد
واسلم الى امثال يومك هكذا * فى عيش مغبوط وعز مخلد

فأمر له على الفور بخمسين دينارا وخلع عليه وزيد فى جاريه ثم يقوم الخليفة عن السرير راكبا والوزير بين يديه حتى يطلع على المنظرة المعروفة بالسكرة وقد فرشت بالفرش المعدة لها فيجلس فيها ويتهيأ أيضا للوزير مكان يجلس فيه ويحيط بالسد حامى البساتين ومشارفها لانه من حقوق خدمتهما فتفتح احدى طاقات المنظرة ويطل منها الخليفة على الخليج وطاقة تقاربها يتطلع منها استاذ من الخواص ويشير بالفتح فيفتح بأيدى عمال البساتين بالمعاول ويخدم بالطبل والبوق من البرين فاذا اعتدل الماء فى الخليج دخلت العشاريات اللطاف ويقال لها السماويات وكانها خدم بين يدى العشارى الذهبى المقدم ذكره ثم العشاريات الخاص الكبار وهى ستة الذهبى المذكور والفضى والاحمر والاصفر واللازوردى والصقلى وكان أنشأه نجار من رؤسا الصناعة صقلى وزاد فيه على الانشاء المعتاد فنسب اليه وهذه العشاريات لا تخرج عن خاص الخليفة فى أيام النيل وتحوله الى اللؤلؤة للفرجة وسارت فى الخليج وعلى بيت كل منها الستور الديبقى الملونة وبرؤسها وفى أعناقها الاهلة وقلائد من

الخرز

الخرز فتسند الى البر الذى فيه المنظرة الجالس فيها الخليفة فاذا استقر جلوس الخليفة والوزير بالمنظرة ودخل قاضى القضاة والشهود الخيمة الديبقى البيضاء وصلت المائدة من القصر فى الجانب الغربى من الخليج على رؤس الفراشين صحبة صاحب المائدة وعتتها مائة شدة فى الطيافير الواسعة وعليها القوارات الحرير وفوقها الطراحات ولها رواء عظيم ومسك فائح فتوضع فى خيمة واسعة منصوبة لذلك ويحمل للوزير ما هو مستقر له بعادة جارية ومن صوانى التماثيل المذكورة ثلاث صوان ويخص منها أيضا لاولاده واخوته خارجا عن ذلك اكراما وافتقادا ويحمل الى قاضى القضاة والشهود شدة من الطعام الخاص من غير تماثيل توقيرا للشرع ويحمل الى كل أمير فى خيمته شدة طعام وصينية تماثيل ويصل من ذلك الى الناس شئ كثير ولا يزالون كذلك الى أن يؤذن بالظهر فيصلون ويقيمون الى العصر فاذا أذن به صلى وركب الموكب كله لانتظار ركوب الخليفة فيركب لابسا غير البدلة بل بهيئته والمظلة مناسبة لثيابه التى عليه واليتيمة والترتيب بأجمعه على حاله ويسير فى البر الغربى من الخليج شاقا البساتين هنالك حتى يدخل من باب القنطرة الى القصر والوزير تابعه على الرسم المعتاد ويزفه للقوم أحسن الايام ويمضى الوزير الى داره مخدوما على العادة * وقال فى كتاب الذخائر والتحف ان المستعمل من الفضة قبة العشارى المعروف بالمقدم وقاربه وكسوة رحله فى سنة ست وثلاثين وأربعمائة فى وزارة على ابن أحمد الجرجراى مائة ألف وسبعة وستون ألفا وسبعمائة درهم نقرة وان المطلق للصناع عن أجرة الصناعة وفى ثمن ذهب لطلائه خاصة ألفان وتسعمائة دينار وسبعون وكانت الفضة فى ذلك الوقت كل مائة درهم بستة دنانير وربع سعر ستة عشر درهما بدينار ولما تولى أبو سعيد سهل التسترى الوساطة سنة ست وثلاثين وأربعمائة استعمل لام المستنصر عشاريا يعرف بالفضى وحلى رواقه بفضة تقديرها مائة ألف وثلاثون ألف درهم ولزم ذلك أجرة الصناعة ولطلاء بعضه ألفان واربعمائة دينار سوى كسوة له بمال جليل والمنفق على ستة وثلاثين عشاريا برسم النزه البحرية لا لآلاتها وحلاها من مناطق ورؤس منجوقات وأهلة وصفريات وغير ذلك أربعمائة ألف دينار وكانت العادة عندهم اذا حصل وفاء النيل أن يكتب الى العمال فمما كتب من انشاء تاج الرياسة أبى القاسم على بن منجب بن سليمان الصيرفى * أما بعد فان أحق ما وجبت به التهنئة بالبشرى وغدت المسار منتشرة تتوالى وتترى وكان من اللطائف التى غمرت بالمنة العظمى والنعمة الجسيمة الكبرى ما استدعى الشكر لموجد العالم وخالقه وظلت النعمة به عامة لصامت الحيوان وناطقه وتلك الموهبة بوفاء النيل المبارك الذى يسره الله تعالى وله الحمد يوم كذا فان هذه العطية تؤدى الى خصب البلاد وعمارتها وشمول المصالح وغزارتها وتفضى بتضاعف المنافع والخيرات وتكاثر الارزاق والاقوات ويتساهم الفائدة فيها جميع العباد وتنتهى البركة بها الى كل دان وناء وكل حاضر وباد فأذع هذه النعمة قبلك وانشرها فى كل من يتدبر عملك وحثهم على مواصلة الشكر لهذه الالطاف الشاملة لهم ولك فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله تعالى وكتب أيضا ان اولى ما تضاعف به الابتهاج والجذل وانفسح فيه الرجاء واتسع الأمل ما عم نفعه صامت الحيوان وناطقه وأحدث لكل احد اغتباطا لازمه وآلى أن لا يفارقه وذلك مامن الله به من وفاء النيل المبارك الذى تحيى به كل أرض موات وتكتسى بعد اقشعرارها حلة النبات ويكون سببا لتوافر الاقوات فانه وفى المقدار الذى يحتاج اليه فلتذع هذه المنة فى القاصى والدانى لتستعمل الكافة بينهم ضروب البشائر والتهانى ان شاء الله تعالى وكتب أيضا من لطف الله الواجب حمده اللازم شكره وفضله الذى لا يمل نشره ولا يسأم ذكره ومنه الذى استبشر به الانام وتضاعف فيه الانعام ومثل الله الحياة به فى قوله تعالى انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام أمر النيل المبارك الذى يعم النجود والتهائم وتنتفع به الخلائق وترتع فيما يظهره البهائم وقد توجه اليك بهذا الكتاب بهذه البشرى فلان فأجره على رسمه فى اظهاره مجملا وايصاله الى رسمه مكملا واذاعة هذه النعمة على الكافة ليتساهموا الاغتباط بها ويبالغوا فى الشكر لله سبحانه وتعالى بمقتضاها وعلى حسبها فاعلم ذلك واعمل به ان شاء الله تعالى

* (منظرة الدكة) * وكان من جملة مناظر الخلفاء الفاطميين منظرة تعرف بالدكة لها بستان عظيم بجوار المقس فيما بينه وبين أراضى اللوق ومازالت باقية حتى زالت الدولة وحكر مكان البستان وصار خطة تعرف الى اليوم

بخط الدكة نخربت المنظرة وزال أثرها قال ابن عبد الظاهر الدكة بالمقس كانت بستانا وكان الخليفة اذا ركب من كسر الخليج من السكرة بمظلته يسير فى البر الغربى ومضارب الناس والامراء وخيمهم عن يمينه وشماله الى أن يصل الى هذا البستان المعروف بالدكة وقد غلقت أبوابه ودهاليزه فيدخل اليه بمفرده ويسقى منه الفرس الذى تحته وهى قضية ذكر المؤرخ للسيرة المأمونية انهم كانوا يعتمدونها الى آخر وقت ولم يعلم سببها ثم يخرج ويسير الى أن يقف على الترعة الآتى ذكرها ويدخل من باب القنطرة وينزل الى القصر والدكة الآن آدر وحارات شهرتها تغنى عن وصفها فسبحان من لا يتغير * وقال ابن الطوير عن الظاهر لاعزاز دين الله أبى هاشم على بن الحاكم بأمر الله كان بمنظرة يقال لها الدكة بساحل المقس يعنى انه مات بها

(منظرة المقس) وكان من جملة مناظرهم أيضا منظرة بجوار جامع المقس الذى تسميه العامة اليوم جامع المقسى وكانت هذه المنظرة بحرى الجامع المذكور وهى مطلة على النيل الاعظم وكان حينئذ ساحل النيل بالمقس وكانت هذه المنظرة معدة لنزول الخليفة بها عند تجهيز الاسطول الى غزو الفرنج فتحضر رؤساء المراكب بالشوانى وهى مزينة بأنواع العدد والسلاح ويلعبون بها فى النيل حيث الآن الخليج الناصرى تجاه الجامع وماوراء الخليج من غربيه قال ابن المأمون وذكر تجهيز العساكر فى البر عند ورود كتب صاحبى دمشق وحلب فى سنة سبع عشرة وخمسمائة مايحث على غزو الفرنج ومسيرها مع حسام الملك وركب الخليفة الآمر بأحكام الله وتوجه الى الجامع بالمقس وجلس بالمنظرة فى أعلاه واستدعى مقدم الاسطول الثانى وخلع عليه وانحدرت الاساطيل مشحونة بالرجال والعدد والآلات والاسلحة واعتمد ماجرت العادة به من الانعام عليهم وعاد الخليفة الى البستان المعروف بالبعل الى آخر النهار وتوجه الى قصره بعد تفرقة جميع الرسوم والصدقات والهبات الجارى بها العادة فى الركوبات * وقال ابن الطوير فاذا تكملت النفقة وتجهزت المراكب وتهيأت للسفر ركب الخليفة والوزير الى ساحل المقس وكان هناك على شاطئ البحر بالجامع منظرة يجلس فيها الخليفة برسم وداعه يعنى الاسطول ولقائه اذا عاد فاذا جلس هو والوزير للوداع جاءت القواد بالمراكب من مصر الى هناك للحركات فى البحر بين يديه وهى مزينة بأسلحتها ولبوسها وفيها المنجنيقات تلعب فتنحدر وتقلع بالجاذيف كما يفعل فى لقاء العدو بالبحر الملح ويحضر بين يدى الخليفة المقدم والرئيس فيوصيهما ويدعو للجماعة بالنصرة والسلامة ويعطى المقدم مائة دينار والرئيس عشرين دينارا وتنحدر الى دمياط وتخرج الى البحر الملح فيكون لها ببلاد العدو صيت وهيبة فاذا وقع لهم مركب لايسألون عما فيه سوى الصغار والرجال والنساء والسلاح وماعدا ذلك فللاسطول واتفق مرة أن قدم على الاسطول سيف الملك الجمل فكسب بطشة عظيمة فيها ألف وخمسمائة شخص بعد أن بعث عليهم بالقتال وقتل منهم نحو من مائة وعشرين رجلا وحضر الى القاهرة ففرح الخليفة وركب الى المقس وجلس بالمنظرة للقائهم وأطلقوا الاسرى بين يديه تحت المنظرة من جانب البر فاستدعيت الجمال لركوبهم وشق بهم القاهرة ومصر وهم كل اثنين على جمل ظهرا لظهر وعاد الخليفة الى القصر فجلس فى احدى مناظره لنظرهم فى جوازهم فلما عادوا بهم من مصر صاروا بهم الى المناخات فصح منهم ألف رجل فاضافوا الى من فى المناخ وأما النساء والصبيان فانهم دخلوا بهم الى القصر بعد أن حمل منهم للوزير نصيب وافر وأخذ الجهات والاقارب بقيتهن فيستخدمونهن ويعلمونهن الصنائع ويتولى الاستاذون تربية الصبيان وتعليمهم الخط والرماية ويقال لهم الترابى ومن استريب به من الاسرى ونبه عليه بقوة أوقع به والشيخ الذى لا ينتفع به يمضى فيه حكم السيف بمكان يقال له بئر المنامة فى الخراب قريب مصر ولم يسمع على الدولة قط انها فادت أسيرا بمال ولا بأسير مثله وهذه الحال فى كل سنة آخذة فى الزيادة لا النقص وقدم على الاسطول مرة أمير يقال له حرب بن فور صاحب الحاجب لؤلؤ فكسب بطشة حصل فيها خمسمائة رجل انتهى وقد خربت هذه المنظرة وكان موضعها برج كبير صار يعرف فى الدولة الايوبية بقلعة المقس مشرف على النيل فلما جدد الصاحب الوزير شمس الدين عبد الله المقسى جامع المقس على ماهو عليه الآن فى سنة سبعين وسبعمائة هدم هذا البرج وجعل مكانه جنينة شرقى الجامع وتحدث الناس انه وجد فيه مالا والله أعلم

(منظرة البعل) وكان من مناظرهم بظاهر القاهرة منظرة فى بستان انيق يعرف بالبعل أنشأه الافضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالى وموضع هذا البستان الى اليوم يعرف بالبعل وصارت أرضه مزرعة

في جانب

فى جانب الخليج الغربى بجرى أرض الطبالة فى كوم الريش مقابل قناطر الاوز وقد خربت المنظرة وبقى منها آثار أدركتها يعطن بها الكتان تدل على عظمها وجلالتها فى حال عمارتها وكانت منظرة البعل من أجل منتزهاتهم وكان لهم بها أوقات عميمة المبرات جليلة الخيرات * قال ابن المأمون فأما يوم السبت والثلاثاء فيكون ركوب الوزير من داره بالرهجية ويتوجه الى القصر فيركب الخليفة الى ضواحى القاهرة للنزهة فى مثل الروضة والمشتهى ودار الملك والتاج والبعل وقبة الهواء والخمسة وجوه والبستان الكبير وكان لكل منظرة منهن فرش معلوم مستقر فيها من الايام الافضلية للصيف والشتاء وتفرق الرسوم ويسلم لمقدمى الركاب اليمين والشمال لكل واحد عشرون دينارا وخمسون رباعيا ولتالى مقدم الركاب اليمين مائة كاغدة فى كل كاغدة ثلاثة دراهم ومائة كاغدة فى كل كاغدة درهمان ولتالى مقدم الشمال مثل ذلك فأما الدنانير فلكل باب يخرج منه من البلد دينار ولكل باب يدخل منه دينار ولكل جامع يجتاز عليه دينار ما خلا جامع مصر فان رسمه خمسة دنانير ولكل مسجد يجتاز عليه رباعى ولكل من يقف ويتلو القرآن كاغدة والفقراء والمساكين من الرجال والنساء لكل من يقف كاغدة ولكل من يركب الخليفة ديناران ويكون مع هذا متولى صناديق الانفاق يحجب الخليفة وبيده خريطة ديباج فيها خمسمائة دينار لما عساه يؤمر به فاذا حصل فى احدى المناظر المذكورة فرّق من العين ما مبلغه سبعة وخمسون دينارا ومن الرباعية مائة وستة وثمانون دينارا للحواشى والاستاذين وأصحاب الدواوين والشعراء والمؤذنين والمقرئين والمنجمين وغيرهم ومن الخراف الشواء خمسون رأسا منها طبقان حارة مكملة مشورة برسم المائدة الخاص مضافا لما يحضر من القصور من الموائد الخاص والحلاوات وطبق واحد برسم مائدة الوزير وبقية ذلك بأسماء أربابه ورأسا بقر برسم الهرائس فاذا جلس الخليفة على المائدة استدعى الوزير وخواصه ومن جرت العادة بجلوسه معه ومن تأخر عن المائدة ممن جرت عادته بحضورها حمل اليه من بين يدى الخليفة على سبيل التشريف وعند عود الخليفة الى القصر يحاسب متولى الدفتر مقدمى الركاب على ما أنفق عليه فى مسافة الطريق من جامع ومسجد وباب ودابة وأما تفرقة الصدقات فهم فيها على حكم الامانة قال واذا وقع الركوب الى الميادين جرى الحال فيها على الرسم المستقر من الانعام ويؤمر متولى خزائن الخاص وصناديق الانفاق أن يكون معه خريطة فى السرج ديباج تسمى خريطة الموكب فيها ألف دينار معدة لمن يؤمر بالانعام عليه فى حال الركوب

* (منظرة التاج) * هى من جملة المناظر التى كانت الخلفاء تنزلها للنزهة بناها الافضل بن أمير الجيوش وكان لها فرش معدّ لها للشتاء والصيف وقد خربت ولم يبق لها سوى أثر كوم توجد تحته الحجارة الكبار وما حول هذا الكوم صار مزارع من جملة أراضى منية الشيرج قال ابن عبد الظاهر وأما التاج فكان حوله البساتين عدة وأعظم ما كان حوله قبة الهواء وبعدها الخمس وجوه التى هى باقية

* (منظرة الخمس وجوه) * كانت أيضا من مناظرهم التى يتنزهون فيها وهى من انشاء الافضل بن أمير الجيوش وكان لها فرش معدّ لها وبقى منها آثار بناء جليل على بئر متسعة كان بها خمسة أوجه من المحال الخشب التى تنقل الماء لسقى البستان العظيم الوصف البديع الزى البهيج الهيئة والعامة تقول التاج والسبع وجوه الى الآن وموضعها الى وقتنا هذا من أعظم متفرجات القاهرة ويثبت هنالك فى أيام النيل عند ما يعم تلك الاراضى البشنين فتفتن رؤيته وتبهج النفوس نضارته وزينته فاذا نضب ماء النيل زرعت تلك البسطة قرطا وكنا نايقصر الوصف عن تعداد حسنه وأدركت حول الخمس وجوه غروسا من نخل وغيره تشبه أن تكون من بقايا البستان القديم وقد تلاشت الآن ثم ان السلطان الملك المؤيد شيخ المحمودى الظاهرى جدد عمارة منظرة فوق الخمس وجوه ابتدأ بناءها فى يوم الاثنين أول شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وعشرين وثمانمائة

* (منظرة باب الفتوح) * وكان للخلفاء الفاطميين منظرة خارج باب الفتوح وكان يومئذ ما خرج عن باب الفتوح براحا فيما بين الباب وبين البساتين الجيوشية وكانت هذه المنظرة معدّة لجلوس الخليفة فيها عند عرض العساكر ووداعها اذا سارت فى البرّ الى البلاد الشامية قال ابن المأمون وفى هذا الشهر يعنى المحرّم سنة سبع عشرة وخمسمائة وصلت رسل ظهير الدين طغدكين صاحب دمشق وآق سنقر صاحب حلب بكتب

الى الخليفة الآمر باحكام الله والى الوزير المأمون الى القصر فاستدعوا التقبيل الارض كما جرت العادة من اظهار التجمل وكان مضمون الكتب بعد التصدير والتعظيم والسؤال والضراعة أن الاخبار تظافرت بقلة الفرنج بالاعمال الفلسطينية والثغور الساحلية وأن الفرصة قد أمكنت فيهم والله قد أذن بهلاكهم وأنهم ينتظرون انعام الدولة العلوية وعوايد افضالها واويستنصرون بقوتها ويحثون على نصرة الاسلام وقطع دابر الكفر وتجهيز العساكر المنصورة والاساطيل المظفرة والمساعدة على التوجه نحوهم لتلافي تواصل مددهم وتعود الى القوة شوكتهم فقوى العزم على النفقة فى العساكر فارسها وراجلها وتجريدها وتقدم الى الازمة باحضار الرجال الاقوياء وابتدئ بالنفقة فى الفرسان بين يدى الخليفة فى قاعة الذهب وأحضر الوزانون وصناديق المال وأفرغت الاكياس على البساط واستمر الحال بعد ذلك فى الدار المأمونية وتردد الرأى فيمن يتقدم فوقع الاتفاق على حسام الملك البرنى وأحضر مقدم الاساطيل الثانية لان الاساطيل توجهت فى الغزو وخلع عليه وأمر بأن ينزل الى الصناعتين بمصر والجزيرة وينفق فى أربعين شينيا ويكمل نفقاتها وعددها ويكون التوجه بها صحبة العسكر وأنفق فى عشرين من الامراء للتوجه صحبته فكملت النفقة فى الفارس والراجل وفى الامراء السائرين وفى الاطباء والمؤذنين والقراء وندب من الحجاب عدة وجعل لكل منهم خدمة فمنهم من يتولى خزانة الخيام وسيرمعه من حاصل الخزائن برسم ضعفاء العسكر ومن لا يقدر على خيمة خيم ومنهم حاجب على خزائن السلاح وأنفق فى عدة من كتاب ديوان الجيش لعرض العساكر وفى كتاب العربان وأحضر مقدموا الخراسين بالخفار وتقدم اليها بأنه من تأخر عن العرض بعسقلان وقبض النفقة فلا واجب له ولا اقطاع وكتبت الكتب الى المستخدمين بالثغور الثلاثة الاسكندرية ودمياط وعسقلان باطلاق وابتياع ما يستدعى برسم الاسمطة على ثغر عسقلان للعساكر والعربان من الاصناف والغلال ووقع الاهتمام بنجاز أمر الرسل الواصلين وكتبت الاجوبة عن كتبهم وجهز المال والخلع المذهبات والاطواق والسيوف والمناطق الذهب والخيل بالمراكب الحلى الثقال وغير ذلك من التجملات وخلع على الرسل وأطلق لهم التغيير وسلمت اليهم الكتب والتذاكر وتوجهوا صحبة العسكر وركب الخليفة الآمر بأحكام الله الى باب الفتوح ونظر بالمنظرة واستدعى حسام الملك وخلع عليه بدلة جليلة مذهبة وطوقه بطوق ذهب وقلده ومنطقه بمثل ذلك ثم قال الوزير المأمون للامراء بحيث يسمع الخليفة هذا الأمير مقدمكم ومقدم العساكر كلها وما وعد به انجزته وما قرره امضيته فقبلوا الارض وخرجوا من بين يديه وسلم متولى بيت المال وخزائن الكسوة لحسام الملك الكتب بما ضمنته الصناديق من المال وأعدال الكسوات وحملت قدامه وفتحت طاقات المنظرة فلما شاهد العساكر الخليفة قبلوا الارض فأشار اليهم بالتوجه فساروا بأجمعهم وركب الخليفة وتوجه الى الجامع بالمقس وجلس بالمنظرة واستدعى مقدم الاسطول وخلع عليه وانحدرت الاساطيل مشحونة بالرجال والعدة

* (منظرة الصناعة) * وكان من جملة مناظر الخلفاء منظرة بالصناعة فى الساحل القديم من مصر يجلس بها الخليفة تارة حتى تقدم له العشاريات فيركبها ويسير للمقياس حتى يخلق بين يديه عند الوفاء وكان بهذه الصناعة ديوان العمائر وأنشأ هذه المنظرة والصناعة التى هى فيها الوزير المأمون ولم تزل الى آخر الدولة ودهليزها ماد بمصاطب مفروشة بالحصر العبدانى بسطا وتأزيرا وقد خربت هذه الصناعة والمنظرة وصار موضعهما الآن بستانا كان يعرف ببستان ابن كيسان ويعرف فى زمننا هذا الذى نحن فيه الآن ببستان الطواشى وهو بأول مراغة مصر تجاه غيط الجرف على يسرة من يسلك من المراغة يريد الكبارة وباب مصر قال ابن المأمون وكانت جميع مراكب الاساطيل ما تنشأ الا بالصناعة التى بالجزيرة فأنكر الوزير المأمون ذلك وأمر بان يكون انشاء الشوانى وغيرها من المراكب النيلية الديوانية بالصناعة بمصر وأضاف اليها دار الزبيب وأنشأ المنظرة بها واسمه باق الى الآن عليها وقصد بذلك أن يكون حلول الخليفة يوم تقدمة الاساطيل ورميها بالمنظرة المذكورة وأن يكون ما ينشأ من الحرانى والشلنديات فى الصناعة بالجزيرة قال ولما وفى النيل ستة عشر ذراعا ركب الخليفة والوزير الى الصناعة بمصر ورميت العشاريات بين أيديهما ثم عديا فى احداها الى المقياس وقال ابن الطوير الخدمة فى ديوان الجهاد ويقال له ديوان العمائر وكان محله بصناعة الانشاء بمصر للاسطول والمراكب الحاملة للغلات السلطانية والاحطاب وغيرها وكانت تزيد على خمسين عشاريا ويليها عشرون ديماسا

منها

منها عشرة برسم خاص الخليفة أيام الخليج وغيرها ولكل منها رئيس ونواتى لا يبرحون ينفق فيهم من مال هذا الديوان وبقية العشاريات الدواميس برسم ولاة الاعمال المميزة فهى تجر لهم وينفق فى روسائها ورجالها أيضا كانوا من مال هذا الديوان وتقيم مع أحدهم مدة مقامه فاذا صرف عاد فيه وخرج المتولى الجديد فى العشارى المرسى بالصناعة ولا يخرج الا بتوقيع باطلاقه والانفاق فيه وللمشارفين بالاعمال عشاريات دون هذه وفى هذا الديوان برسم خدمة ما يجرى فى الاساطيل نائبان من قبل مقدم الاسطول وفيه من الحواصل لعمارة المراكب شئ كثير واذا لم يف ارتفاعه بما يحتاج اليه استدعى له من بيت المال ما يسد خلله قال وكان من أهم أمورهم احتفالهم بالاساطيل والاجناد ومواصلة انشاء المراكب بمصر والاسكندرية ودمياط من الشوانى الحربية والشلنديات والمسطحات الى بلاد الساحل حين كانت بأيديهم مثل صور وعكا وعسقلان وكانت جريدة قواده أكثر من خمسة آلاف مدونة منهم عشرة أعيان تصل جامكية كل منهم الى عشرين دينارا ثم الى خمسة عشر ثم الى عشرة دنانير ثم الى ثمانية ثم الى دينارين وهى أقلها ولهم اقطاعات تعرف بأبواب الغزاة بما فيه من النطرون فيصل دينارهم بالمناسبة الى نصف دينار وحواليه ويعين من هؤلاء القواد العشرة من يقع الاجماع عليه لرياسة الاسطول المتوجه للغزو فيكون معه الفانوس وكلهم يهتدون به ويقلعون باقلاعه ويرسون بارسائه ويقدم على الاسطول أمير كبير من أعيان الامراء وأقواهم جنانا ويتولى النفقة فيهم للغزو الخليفة بنفسه بحضور الوزير فاذا أراد النفقة فيما تعين من عدة المراكب السائرة وكانت آخر وقت تزيد على خمسة وسبعين شينيا وعشر مسطحات وعشر حمالة فيتقدم الى النقباء باحضار الرجال ويسمع بذلك من هو خارج مصر والقاهرة فيدخل اليها ولهم المشاهرة والجرايات المتقررة مدة أيام السفر وهم معروفون عند عشرين نقيبا ولا يعترض أحد أحدا الا من رغب فى ذلك من نفسه فاذا اجتمعت العدة المغلقة للمراكب المطلوبة أعلم المقدم بذلك الوزير فطالع الخليفة بالحال وفرز يوم للنفقة فحضر الوزير بالاستدعاء على العادة فيجلس الخليفة على هيئته فى مجلس ويجلس الوزير فى مكانه ويحضر صاحبا ديوان الجيش وهما المستوفى وهو أميرهما ويجلس داخل عتبة المجلس وهذه رتبة له مميزة وكاتب الجيش الاصل ويجلس بجانبه تحت العتبة على حصر مفروشة بالقاعة ولا يخلو المستوفى أن يكون عدلا أو من أعيان الكتاب المسلمين وأما كاتب الجيش فيهودى فى الاغلب ويفرش أمام المجلس أنطاع تصب عليها الدراهم ويحضر الوزانون ببيت المال لذلك فاذا تهيأ الانفاق أدخل القابضون مائة مائة ويقفون فى آخر الوقوف بين يدى الخليفة من جانب واحد نقابة نقابة وتكون أسماؤهم قد رتبت فى أوراق لاستدعائهم بين يدى الخليفة ويستدعى مستوفى الجيش من تلك الاوراق واحدا واحدا فاذا خرج اسمه عبر من الجانب الذى هو فيه الى الجانب الخالى فاذا تكمل عشرة رجال وزن الوزانون لهم النفقة وكانت لكل واحد خمسة دنانير صرف كل دينار ستة وثلاثون درهما فيتسلمها النقيب وتكتب بيده وباسمه وتمضى النفقة كذلك الى آخرها فاذا تم ذلك اليوم ركب الوزير من بين يدى الخليفة وانفض ذلك الجمع فيحمل من عند الخليفة مائدة يقال لها غداء الوزير وهى سبع مجيفات أوساط احداها بلحم دجاج وفستق والبقية من شواء وهى مكمورة بالازهار فتكون هذه عدة أيام تارة متوالية وتارة متفرقة فاذا تكملت النفقة وتجهزت المراكب وتهيأت للسفر ركب الخليفة والوزير الى ساحل المقس وذكر ابن أبى طى أن المعز لدين الله أنشأ ستمائة مركب لم ير مثلها فى البحر على مدينة وعمل دار صناعة بالمقس

(دار الملك) وكان من جملة مناظرهم دار الملك بمصر وهى من انشاء الافضل بن أمير الجيوش ابتدأ فى بنائها وانشائها فى سنة احدى وخمسمائة فلما كملت تحول اليها من دار القباب بالقاهرة وسكنها وحول اليها الدواوين من القصر فصارت بها وجعل فيها الاسمطة واتخذ بها مجلسا سماه مجلس العطايا كان يجلس فيه فلما قتل الافضل صارت دار الملك هذه من جملة منتزهات الخلفاء وكان بها بستان عظيم وما زالت عظيمة الى أن انقرضت الدولة فجعلها الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب دار متجر ثم عملت فى أيام الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى دار وكالة وموضع دار الملك ما وراء حبة الخروب بجوار المدرسة المعزية وبقى منها جدار يجلس تحته بياعوا الحناء * قال ابن المأمون ومن جملة ما قرره القائد أبو عبد الله من تعظيم المملكة وتفخيم أمر السلطنة أن

المجلس الذى يجلس فيه الافضل بدار الملك يسمى مجلس العطايا فقال القائد مجلس يدعى بهذا الاسم ما يشاهد فيه دينار يدفع لمن يسأل وأمر بتفصيل ثمان ظروف ديباج أطلس من كل لون اثنين وجعل فى سبعة منها خمسة وثلاثين ألف دينار فى كل ظرف خمسة آلاف دينار سكب وبطاقة بوزنه وعدده وشرّابة حرير كبيرة من ذلك ستة ظروف دنانير بالسوية عن اليمين والشمال فى مجلس العطايا الذى برسم الجلوس وعند مرتبة الافضل بقاعة اللؤلؤة ظرفان أحدهما دنانير والآخر دراهم جدد فالذى فى اللؤلؤة برسم ما يستدعيه الافضل اذا كان عند الحرم وأمّا الذى فى مجلس العطايا فانّ جميع الشعراء لم يكن لهم فى الايام الافضلية ولا فيما قبلها على الشعر جار وانما كان لهم اذا اتفق طرب السلطان واستحسانه لشعر من أنشد منهم ما يسهله الله على حكم الجائزة فرأى القائد أن يكون ذلك من بين يديه من الظروف وكذلك من يتضرع ويسأل فى طلب صدقة أو ينعم عليه ابتداء بغير سؤال يخرج ذلك من الظروف واذا انصرف الحاضرون نزل القائد المبلغ بخطه فى البطاقة ويكتب عليه الافضل بخطه صح ويعاد الى الظرف ويختم عليه فلما استهل رجب من سنة اثنى عشرة وخمسمائة وجلس الافضل فى مجلس العطايا على عادته وحضر الاجلّ المظفر أخوه للهناء وجلس بين يديه وشاهد الظروف والقائد وولده وأخوه قيام على رأسه وتقدمت الشعراء على طبقاتهم أمر لكل منهم بجائزة وشاع خبر الظروف وكثر القول فيها واستعظم أمرها وضوعف مبلغها واتسع هذا الانعام بالصدقات الجارى بها العادة فى مثل هذا الشهر لفقهاء مصر والرباطات بالقرافة وفقرائها * وقال ابن الطوير وقد ذكر ركوب الخليفة فى أوّل العام وحضور الغرّة وينقطع الركوب بعد هذا اليوم الذى هو أوّل العام فيركبون فى آحاد الايام الى أن يكمل شهر ولا يتعدّى ذلك يومى السبت والثلاثا فاذا اعزم الخليفة على الركوب فى احد هذه الايام اعلم بذلك وعلامته انفاق الاسلحة فى صبيان الركاب من خزانة السلاح خاصة دون ماسواها واكثر ذلك الى مصر ويركب الوزير صحبته من ورائه على اخصر من النظام المتقدّم يعنى فى ركوب أوّل العام وأقل جمع فيخرج شاقا القاهرة وشوارعها على الجامع الطولونىّ على المشاهد الى درب الصفاء ويقال له الشارع الاعظم الى دار الانماط الى الجامع العتيق فاذا وصل الى بابه وجد الشريف الخطيب قد وقف على مصطبة بجانبه فيها محراب مفروشة بحصر معلق عليها سجادة وفى يده المصحف المنسوب خطه الى علىّ بن أبى طالب رضى الله عنه وهو من حاصله فاذا وازاه وقف فى موضعه وناوله المصحف من يده فيتسلمه منه ويقبله ويتبرك به مرارا ويعطيه صاحب الخريطة المرسومة للصلات ثلاثين دينارا وهى رسم حتى اجتازبه فيوصلها الشريف الى مشارف الجامع فيكون نصيبهما منها خمسة عشر دينارا والباقى للقومة والمؤذنين دون غيرهم ويسير الى أن يصل دار الملك فينزلها والوزير معه ومنذ يخرج من باب القصر الى أن يصل الى دار الملك لا يمرّ بمسجد الا أعطى قيمه من الخريطة دينارا فلا يزال بدار الملك نهاره فتأتيه المائدة من القصر وعدتها خمسون شدّة على رؤس الفرّاشين مع صاحب المائدة وهو أستاذ جليل غير محنك وكل شدّة فيها طيفور فيها الاوانى الخاص وفيها من الاطعمة الخاص من كل نوع شهىّ وكل صنف من المطاعم العالية ولها رواء ورائحة المسك فائحة منها وعلى كل شدّة طرحة حرير تعلوا القوّارة التى هى الشدّة فيحمل الى الوزير منها جزء وافر ولمن صحبه وللامراء ولكافة الحاضرين فى الخدمة ويصل منها الى الناس بعصر من بعضهم بعضا شئ كثير ولا يزال الى أن يؤذن عليه بالعصر فيصلى ويتحرك الى العود الى القاهرة والناس فى طريقه لنظره فيركب وزيه فى هذه الايام انه يلبس الثياب المذهبة البياض والملونة والمنديل من النسبة وهو مشدود وشدّته مفردة عن شدّات الناس وذؤابته مرخاة من جانبه الأيسر ويتقلد بالسيف العربى المجوهر بغير حنك ولا مظلة ولا يتيمة فانّ ذلك فى أوقات مخصوصة ولا يمرّ أيضا بمسجد فى سلوكه فى هذه الطريق بالساحل الا ويعطى قيمه دينارا أيضا كما جرى فى الرواح وينعطف من باب الخرق ويدخل من باب زويلة شاقا القاهرة حتى يدخل القصر فيكون ذلك من المحرّم الى شهر رمضان امّا أربع مرّات أو خمس مرّات ومن شعر الاسعد اسعد بن مهذب بن زكريا بن أبى مليح مما فى دار الملك هذه

حللت بدار الملك والنيل آخذ * بأطرافها والموج يوسعها ضربا
نخيلته قد غار لما وطئتها * عليها فأضحى عند ذلك لها حربا

* (منازل العز) *

بنتها

بنتها السيدة تغريد أم العزيز بالله بن المعز ولم يكن بمصر أحسن منها وكانت مطلة على النيل لا يحجبها شئ عن نظره ومازال الخلفاء من بعد العزيز يتداولونها وكانت معدة لنزهتهم وكان بجوارها حمام ولها منها باب وموضعها الآن مدرسة تعرف بالمدرسة التقوية منسوبة للملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن نجم الدين أيوب بن شادى

(الهودج) وكان من منتزهاتهم العظيمة البناء العجيبة البديعة الزى بناه في جزيرة الفسطاط التي تعرف اليوم بالروضة يقال له الهودج بناه الخليفة الآمر بأحكام الله لمحبوبته البدوية التي غلب عليه حبها بجوار البستان المختار وكان يتردد اليه كثيرا وقتل وهو متوجه اليه ومازال منتزها للخلفاء من بعده قال ابن سعيد في كتاب المحلى بالاشعار قال القرطبي في تاريخه تداكر الناس في حديث البدوية وابن مياح من بني عمها وما يتعلق بذلك من ذكر الآمر حتى صارت رواياتهم في هذا الشأن كأحاديث البطال وألف ليلة وليلة وما أشبه ذلك والاختصار منه أن يقال ان الآمر كان قد بلى بعشق الجوارى العربيات وصارت له عيون بالبوادى فبلغه أن جارية بالصعيد من أكمل العرب وأظرفهم شاعرة جميلة فيقال انه تزيا بزى بداة الاعراب وكان يجول في الاحياء الى أن انتهى الى حيها وبات هنالك في ضائفة وتحيل حتى عاينها هنالك فما ملك صبره ورجع الى مقر ملكه وأرسل الى أهلها يخطبها وتزوجها فلما وصلت صعب عليها مفارقة ما اعتادته وأحبت أن تسرح طرفها في الفضاء ولا تنقبض نفسها تحت حيطان المدينة فبنى لها البناء المشهور في جزيرة الفسطاط المعروف بالهودج وكان غريب الشكل على شط النيل وبقيت متعلقة الخاطر بابن عم لها ربيت معه يعرف بابن مياح فكتبت اليه من قصر الآمر

يا ابن مياح اليك المشتكى * مالك من بعدكم قد ملكا
كنت في حيي مطاعا آمرا * نائلا ما شئت منكم مدركا
فأنا الآن بقصر مرصد * لا أرى الا خبيثا ممسكا
كم تثنينا كأغصان اللوا * حيث لا نخشى علينا دركا

فأجابها

بنت عمي والتي غذيتها * بالهوى حتى علا واحتبكا
بحت بالشكوى وعندى ضعفها * لو غدا ينفع منا المشتكى
مالك الامر اليه اشتكى * مالك وهو الذى قد ملكا

قال وللناس في طلب ابن مياح واختفائه أخبار تطول وكان من عرب طي في قصر الآمر طراد بن مهلهل السنبسي فبلغته هذه القضية فقال

ألا ابلغوا الآمر المصطفى * مقال طراد ونعم المقال
قطعت الاليفين عن ألفة * بها سمر الحي بين الرجال
كذا كان آباؤك الاكرمون * سالت فقل لى جواب السؤال

فقال الخليفة الآمر لما بلغته الابيات جواب سؤاله قطع لسانه على فضوله وطلب في أحياء العرب فلم يوجد فقالت العرب ما أخسر صفقة طراد باع أبيات الحي بثلاثة أبيات وكان بالاسكندرية مكين الدولة أبو طالب أحمد بن عبد المجيد بن احمد بن الحسن بن حديد له مروءة عظيمة ويحتذى أفعال البرامكة وللشعراء فيه أمداح كثيرة مدحه ظافر الحداد وأمية بن أبي الصلت وغيرهما وكان له بستان يتفرج فيه به جرن كبير من رخام وهو قطعة واحدة وينحدر فيه الماء فيبقى كالبركة من كبره وكان يجد في نفسه برؤيته زيادة على أهل التنعم والمباهاة في عصره فوشى به للبدوية محبوبة الآمر فسألت الخليفة الآمر في حمل الجرن اليها فأرسل الى ابن حديد باحضار الجرن فلم يجد بدا من حمله من البستان فلما صار الى الآمر أمر بعمله في الهودج فقلق ابن حديد وصارت في قلبه حرارة من أخذ الجرن فأخذ يخدم البدوية ومن يلوذ بها بأنواع الخدم العظيمة الخارجة عن الحد في الكثرة حتى قالت البدوية هذا الرجل أخجلنا بكثرة تحفه ولم يكلفنا قط أمر انقدر عليه عند الخليفة ولا نا فلما قيل له هذا القول عنها قال مالى حاجة بعد الدعاء لله بحفظ مكانها وطول حياتها في عز غير رد الفسقية التي قلعت من دارى التي بنيتها

في أيامهم من نعمتهم ترد الى مكانها فتعجبت من ذلك وردتها عليه فقيل له حصلت في حد أن خبرتك البدوية في جميع المطالب فنزلت همتك الى قطعة حجر فقال أنا أعرف بنفسي ما كان لها أمل سوى أن لا تغلب في أخذ ذلك الحجر من مكانه وقد بلغها الله أملها وكان هذا المكين متولي قضاء الاسكندرية ونظرها في أيام الآمر وبلغ من علو همته وعظم مروءته أن سلطان الملوك حيدرة أخا الوزير المأمون بن البطائحي لما قلده الآمر ولاية ثغر الاسكندرية في سنة سبع عشرة وخمسمائة وأضاف اليه الاعمال البحرية ووصل الى الثغر ووصف له الطبيب دهن شمع بحضور القاضي المذكور فأمر في الحال بعض غلمانه بالمضي الى داره لاحضار دهن شمع فما كان أكثر من مسافة الطريق الا أن أحضر حقا مختوما ففك عنه فوجد فيه منديل لطيف مذهب على مداف بلور فيه ثلاثة بيوت كل بيت عليه قبة ذهب مشبكة مرصعة بياقوت وجوهر بيت دهن بمسك وبيت دهن بكافور وبيت دهن بعنبر طيب ولم يكن فيه شيء مصنوع لوقته فعند ما أحضره الرسول تعجب المؤتمن والحاضرون من علو همته فعند ما شاهد القاضي ذلك بالغ في شكر انعامه وحلف بالحرام ان عاد الى ملكه فكان جواب المؤتمن قد قبلته منك لا لحاجة اليه ولا لنظر في قيمته بل لاظهار هذه الهمة واذاعتها وذكر أن قيمة هذا المداف وما عليه خمسمائة دينار فانظر رحمك الله الى من يكون دهن الشمع عنده في اناء قيمته خمسمائة دينار ودهن الشمع لا يكاد أكثر الناس يحتاج اليه البتة فماذا تكون ثيابه وحلي نسائه وفرش داره وغير ذلك من التجملات وهذا انما هو حال قاضي الاسكندرية ومن قاضي الاسكندرية بالنسبة الى أعيان الدولة بالحضرة وما نسبة أعيان الدولة وان عظمت أحوالهم الى أمر الخلافة وأبهتها الا يسير حقير ومازال الخليفة الآمر يتردد الى الهودج المذكور الى أن ركب يوم الثلاثاء رابع ذي القعدة سنة أربع وعشرين وخمسمائة يريد الهودج وقد كمن له عدة من النزارية في فرن عند رأس الجسر من ناحية الروضة فوثبوا عليه وأثخنوه بالجراحة حتى هلك وحمل في العشاري الى اللؤلؤة فمات بها وقيل قبل أن يصل اليها وقد خرب هذا الهودج وجهل مكانه من الروضة ولله عاقبة الامور

*(قصر القرافة) * وكان لهم بالقرافة قصر بنته السيدة تغريد أم العزيز بالله بن المعز في سنة ست وستين وثلثمائة على يد الحسين بن عبد العزيز الفارسي المحتسب هو والحمام الذي في غربيه وبنت البئر والبستان وجامع القرافة وكان هذا القصر نزهة من النزه من أحسن الآثار في اتقان بنيانه وصحة أركانه وله منظرة مليحة كبيرة محمولة على قبو ماد تجوز المارة من تحته ويقيل المسافرون في أيام القيظ هنالك ويركب الراكب اليه على زلاقة وكان كأحسن ما يكون من البناء وتحته حوض لسقي الدواب يوم الحلول فيه وكان مكانه بالقرب من مسجد الفتح ولما كان في سنة عشرين وأربعمائة جدده الخليفة الآمر وعمل تحته مصطبة للصوفية وكان يجلس في الطاق بأعلى القصر ويرقص أهل الطريقة من الصوفية والجامر بالالوية موضوعة بين ايديهم والشموع الكثيرة تزهر وقد بسط تحتهم حصر من فوقها بسط ومدت لهم الاسمطة التي عليها كل نوع لذيذ ولون شهي من الاطعمة والحلوى أصنافا مصنفة فاتفق أن تواجد الشيخ ابو عبد الله بن الجوهري الواعظ ومزق مرقعته وفرقت على العادة خرقا وسأل الشيخ ابو اسحاق ابراهيم المعروف بالقارح المقرى خرقة منها ووضعها في راسه فلما فرغ التمزيق قال الخليفة الآمر بأحكام الله من طاق بالمنظرة ياشيخ أبا اسحق قال لبيك يامولانا قال اين خرقتي فقال مجيبا له في الحال ها هي على رأسي يا أمير المؤمنين فاستحسن الآمر ذلك وأعجبه موقعه فأمر في الساعة والوقت فأحضر من خزائن الكسوات ألف نصفية ففرقت على الحاضرين وعلى فقراء القرافة ونثر عليهم متولي بيت المال من الطاق ألف دينار فتخاطفها الحاضرون وتعاهد المغربلون الارض التي هنالك اياما لاخذ ما يواريه التراب ومابرح قصر الاندلس بالقرافة حتى زالت الدولة فهدم في شهر ربيع الآخر سنة سبع وستين وخمسمائة

*(المنظرة ببركة الحبش) * وكانت لهم منظرة تشرف على بركة الحبش قال الشريف ابو عبد الله محمد الجواني في كتاب النقط على الخطط ان الخليفة الآمر بأحكام الله بنى على المنظرة التي يقال لها بأبركة الخركة منظرة من خشب مدهونة فيها طاقات تشرف على خضرة بركة الحبش وصور فيها الشعراء كل شاعر وبلده واستدعى من كل واحد منهم قطعة من الشعر في المدح وذكر الخركاة وكتب ذلك عند رأس كل شاعر وبجانب صورة

كل

كل منهم رف لطيف مذهب فلما دخل الآمر وقرأ الاشعار أمر أن يحط على كل رف صرة مختومة فيها خمسون دينارا وأن يدخل كل شاعر ويأخذ صرته بيده ففعلوا ذلك وأخذوا صررهم وكانوا عدة شعراء

(البساتين) وكان للخلفاء عدة بساتين يتنزهون بها منها البساتين الجيوشية وهما بستانان كبيران أحدهما من عند زقاق الكحل خارج باب الفتوح الى المطرية والآخر يمتد من خارج باب القنطرة الى الخندق وكان لهما شأن عظيم ومن شدة غرام الافضل بالبستان الذي كان يجاور بستان البعل عمل له سورا مثل سور القاهرة وعمل فيه بحرا كبيرا وقبة عشارى تحمل ثمانية أرادب وبنى فى وسط البحر منظرة محمولة على اربع عواميد من احسن الرخام وحفها بشجر النارنج فكان نارنجها لا يقطع حتى يتساقط وسلط على هذا البحر أربع سواق وجعل له معبرا من نحاس مخروط زنته قنطار وكان يملأ فى عدة أيام وجلب اليه من الطيور المسموعة شيأ كثيرا واستخدم للحمام الذى كان به عدة مطيرين وعمر به أبراجا عدة للحمام والطيور المسموعة وسرح فيه كثيرا من الطاوس وكان البستانان اللذان على يسار الخارج من باب الفتوح بينهما بستان الخندق لكل منهما اربعة ابواب من الاربع جهات على كل منها عدة من الارمن وجميع الدهاليز مؤزرة بالحصر العبدانى وعلى أبوابها سلاسل كثيرة من حديد ولا يدخل منها الا السلطان وأولاده وأقاربه * قال ابن عبد الظاهر واتفقت جماعة على أن الذى يشتمل عليه مبيعهما فى السنة من زهر وثمر نيف وثلاثون ألف دينار وانها لا تقوم بمؤنتهما على حكم اليقين لا الشك وكان الحاصل بالبستان الكبير والمحصن الى آخر الايام الآمرية وهى سنة اربع وعشرين وخمسمائة ثمانمائة وأحد عشر رأسا من البقر ومن الجمال مائة وثلاثة رؤس ومن العمال وغيرهم ألف رجل وذكر أن الذى دار سور البستانين من سنط وجميز وأثل من اول حدهما الشرقى وهو ركن بركة الارمن مع حدهما البحرى والغربى جميعا الى آخر زقاق الكحل فى هذه المسافة الطويلة سبعة عشر ألف ألف ومائتا شجرة وبقى قبليهما جميعا لم يحصن وان السنط تفصن حتى لحق بالجميز فى العظم وان معظم قرظه يسقط الى الطريق فيأخذه الناس وبعد ذلك يباع بأربعمائة دينار وكان به كل ثمرة لها دويرة مفردة وعليها اسياج وفيها نخل منقوش فى ألواح عليها برسم الخاص لا تجنى الا بحضور المشارف وكان فيهما ليمون تفاحى يوكل بقشره بغير سكر وأقام هذان البستانان بيد الورثة الجيوشية مع البلاد التى لهم مدة ايام الوزير المأمون لم تخرج عنهم وكشف ذلك فى ايام الخليفة الحافظ فكان فيهما ستمائة رأس من البقر وثمانون جملا وقوم ما عليهما من الاثل والجميز فكانت قيمته مائتى ألف دينار وطلب الامير شرف الدين وكانت له حرمة عظيمة من الخليفة الحافظ قطع شجرة واحدة من سنط فأبى عليه فتشفع اليه وقومت بسبعين دينارا فرسم الخليفة ان كانت وسط البستان تقطع والا فلا ولما جرى فى آخر ايام الحافظ ما جرى من الخلف ذبحت ابقاره وجماله ونهب ما فيه من الآلات والانقاض ولم يبق الا الجميز والسنط والاثل لعدم من يشتريه انتهى وكان هذان البستانان من جملة الحبس الجيوشى وهو أن أمير الجيوش بدر الجمالى حبس عدة بلاد وغيرها منها فى البر الشرقى ناحية بهتيت والاميرية والمنية وفى البر الغربى ناحية سفط ونهيا ووسيم مع هذين البستانين المذكورين على عقبه فاستأجر هذا الحبس الوزراء مدة سنين باجرة يسيرة وصار يزرع فى الشرقى منه الكتان ومنه ما تبلغ قطيعته ثلاثة دنانير ونصفا وربعا عن كل فدان فيتناولون فيه ربحا جزيلا لانفسهم فلما بعد العهد انقرضت أعقابه ولم يبق من ذريته سوى امرأة كبيرة فأفتى الفقهاء بأن هذا الحبس باطل فصار للديوان السلطانى يتصرف فيه ويحمل متحصله مع اموال بيت المال وتلاشت البساتين وبنى فى اماكنها ما يأتى ذكره ان شاء الله تعالى وبنى العزيز بالله بستانا بناحية سردوس

(قبة الهواء) وكان من احسن منتزهات الخلفاء الفاطميين قبة الهواء وهى مستشرف بهج بديع فيما بين التاج والخمس وجوه يحيط به عدة بساتين لكل بستان منها اسم ولهذه القبة فرش معدة فى الشتاء والصيف ويركب اليها الخليفة فى ايام الركوبات التى هى يوم السبت والثلاثاء

(بحر أبى المنجا) وكان من منتزهات الخلفاء يوم فتح بحر أبى المنجا قال ابن المأمون وكان الماء لا يصل الى الشرقية الا من السردوسى ومن الصماصم ومن المواضع البعيدة فكان اكثرها يشرق فى اكثر السنين وكان ابو المنجا اليهودى مشارف الاعمال المذكورة فتضرر المزارعون اليه وسألوا فى فتح ترعة يصل الماء منها فى ابتدائه اليهم فابتدأ بحفر خليج أبى المنجا فى يوم الثلاثاء السادس من شعبان سنة ست وخمسمائة وركب الافضل بن أمير

الجيوش ضحى وصحبته القائد أبو عبد الله محمد بن فاتك البطائحى وجميع اخوته والعساكر تحاذيه فى البر وجمعت شيوخ البلاد وأولادها وركبوا فى المراكب ومعهم حزم البوص فى البحر وصار العشارى والمراكب تتبعها الى أن رماها الموج الى الموضع الذى حفروا فيه البحر وأقام الحفر فيه سنتين وفى كل سنة تتبين الفائدة فيه ويتضاعف من ارتفاع البلاد ما يهون الغرامة عليه * ولما عرض على الافضل جملة ما أنفق فيه استعظمه وقال غرمنا هذا المال جميعه والاسم لابى المنجا فغير اسمه ودعى بالبحر الافضلى فلم يتم ذلك ولم يعرف الا بأبى المنجا ثم جرى بين أبى المنجا وبين ابن أبى الليث صاحب الديوان بسبب الذى انفق خطوب أدت الى اعتقال أبى المنجا عدة سنين ثم نفى الى الاسكندرية بعد أن كادت نفسه تتلف ولم يزل القائد أبو عبد الله بن فاتك يتلطف بحاله الى تضاعف من عبرة البلاد ما سهل أمر النفقة فيه ورأيت بخط ابن عبد الظاهر وهذا ابو المنجا هو جد بنى صفير الحكماء اليهود والذين أسلموا منهم ولما طال اعتقال أبى المنجا فى الاسكندرية فى مكان بمفرده مضيقا عليه تحيل فى تحصيل مصحف وكتب ختمة وكتب فى آخرها كتبها ابو المنجا اليهودى وبعثها الى السوق ليبيعها فقامت قيامة اهل الثغر وطولع بأمره الى الخليفة فأخرج وقيل له ما حملك على هذا فقال طلب الخلاص بالقتل فأدب واطلق سبيله وقيل انه كان فى محبسه حية عظيمة فأحضر اليه فى بعض الايام لبن فرأى الحية وقد شربت منه ودخلت جحرها فصار فى كل يوم يحضر لها اللبن فتخرج وتشرب منه وتدخل مكانها ولم تؤذه ولما ولى المأمون البطائحى وزارة الآمر بأحكام الله بعد الافضل بن أمير الجيوش تحدث الآمر معه فى رؤية فتح هذا الخليج وأن يكون له يوم كخليج القاهرة فندب الآمر معه عدى الملك أبا البركات بن عثمان وكيله وأمره بأن يبنى على مكان السد منظرة متسعة تكون من مجرى السد وسرع فى عمارتها بعد كمال النيل ومازال يوم فتح سد هذا البحر يوما مشهودا الى أن زالت الدولة الفاطمية فلما استولى بنو أيوب من بعدهم على مملكة مصر أجروا الحال فيه على ما كان قال القاضى الفاضل فى متجددات سنة سبع وسبعين وخمسمائة وركب السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن ايوب لفتح بحر أبى المنجا وعاد قال وفى سنة تسعين وخمسمائة كسر بحر أبى المنجا بعد أن تأخر كسره عن عيد الصليب بسبعة ايام وكان ذلك لقصور النيل فى هذه السنة ولم يباشر السلطان الملك العزيز عثمان ابن السلطان صلاح الدين بنفسه وركب أخوه شرف الدين يعقوب الطواشى لكسره وبدت فى هذا اليوم من مخايل القبوط ما يوجبه سوء الافعال من المجاهرة بالمنكرات والاعلان بالفواحش وقد افرط هذا الامر واشترك فيه الآمر والمامور ولم ينسلخ شهر رمضان الا وقد شهد ما لم يشهده رمضان قبله فى الاسلام وبدا عقاب الله فى الماء الذى كانت المعاصى على ظهره فان المراكب كان يركب فيها فى رمضان الرجال والنساء مختلطين مكشفات الوجوه وأيدى الرجال تنال منها ما تنال فى الخلوات والطبول والعيدان مرتفعات الاصوات والصيحات واستنابوا فى الليل عن الخمر بالماء والجلاب ظاهرا وقيل انهم شربوا الخمر مستورا وقربت المراكب بعضها من بعض وعجز المنكر عن الانكار الا بقلبه ورفع الامر الى السلطان فندب حاجبه فى بعض الليالى ففرق منهم من وجده فى الحالة الحاضرة ثم عادوا بعد عوده وذكر أنه وجد فى بعض المعادى خمرا فأراقه ولما استهل شوال وهو مطموع فيه تضاعف هذا المنكر وفشت هذه الفاحشة ونسأل الله العفو والعافية عن الكبائر والتجاوز عما تسقط فيه المعاذر * وقال فى سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة كسر بحر أبى المنجا وباشر العزيز كسره وزاد النيل فيه اصبعا وهى الاصبع الثامنة عشرة من ثمانى عشر ذراعا وهذا الحد يسمى عند أهل مصر اللجة الكبرى وقد تلاشى فى زمننا امر الاجتماع فى يوم فتح سد بحر أبى المنجا وقل الاحتفال به لشغل الناس بهم المعيشة

(قصر الورد بالخاقانية) وكان من ايام منتزهات الخلفاء يوم قصر الورد بناحية الخاقانية وهى قرية من قرى قليوب كانت من خاص الخليفة وبها جنان كثيرة للخليفة وكانت من أحسن المنتزهات المصرية وكان بها عدة دويرات يزرع فيها الورد فيسير اليها الخليفة يوما ويصنع له فيها قصر عظيم من الورد ويخدم بضيافة عظيمة * قال ابن الطوير عن الخليفة الآمر بأحكام الله وعمل له بالخاقانية وكانت من خاص الخليفة قصر من ورد فسار اليها يوما وخدم بضيافة عظيمة فلما استقر هنالك خرج اليه أمير يقال له حسام الملك من الامراء الذين كانوا مع المؤتمن أخى المأمون البطائحى وتخاذلوا عنه فوصل الى الخاقانية وهو لابس لامة حربه

والتمس المثول بين يديه يعني الخليفة فاستقل ما جاء به في ذلك الوقت مما ينافي ما فيه الخليفة من الراحة والنزهة وحيل بينه وبين مقصوده فقال لجماعة من حواشي الخليفة انتم منافقون على الخليفة ان لم اصل اليه فانه يعاقبكم بذلك فأطلعوا الخليفة على أمره وحليته بالسلاح وقوله فأمر باحضاره فلما وقعت عينه عليه قال يا مولانا لمن تركت اعداءك يعني الوزير المأمون البطائحي وأخاه وكان الآمر قد قبض عليهما واعتقلهما هذا والعهد قريب غير بعيد أأمنت الغدر فما أجابه الا وهو على الرهاويج من الخيل فلم تمض ساعة الا وهو بالقصر فمضى الى مكان اعتقال المأمون وأخيه فزادهما وثاقا وحراسة وفي أثناء ذلك وصل ابن نجيب الدولة الذي كان سيره المأمون في وزارته الى اليمن لتحقيق نسبه أنه ولد من جارية نزار بن المستنصر لما خرجت من القصر وهي به حامل ويدعوا اليه بقية الناس وأحضر الى القاهرة على جمل مشوه فأدخل خزانة البنود وقتل هو والمأمون وجماعة في تلك الليلة وصلبوا ظاهر القاهرة

(بركة الجب) هي بظاهر القاهرة من بحريها وتسميها العامة في زمننا هذا الذي نحن فيه بركة الحاج لنزول الحجاج بها عند مسيرهم من القاهرة الى الحج في كل سنة ونزولهم عند العود بها ومنها يدخلون الى القاهرة ومن الناس من يقول جب يوسف وهو خطأ وانما هي أرض جب عميرة وعميرة هذا هو ابن تميم بن جزء التجيبي من بني القرناء نسبت هذه الارض اليه فقيل لها أرض جب عميرة ذكره ابن يونس وكان من عادة الخليفة المستنصر بالله أبي تميم معد بن الظاهر بن الحاكم في كل سنة أن يركب على النجب مع النساء والحشم الى جب عميرة هذا وهو موضع نزهة بهيئة أنه خارج الى الحج على سبيل اللعب والمجانة وربما حمل معه الخمر في الروايا عوضا عن الماء ويسقيه من معه وأنشده مرة الشريف ابو الحسن علي بن الحسين بن حيدرة العقيلي في يوم عرفة

قم فانحر الراح يوم النحر بالماء * ولا تضح ضحى الا بصهباء
وادرك حجيج الندامى قبل نفرهم * الى منى قصفهم مع كل هيفاء
وعج على مكة الروحاء مبتكرا * فطف بها حول ركن العود والناي

قال ابن دحية فخرج في ساعته بروايا الخمر تزجي بنغمات حداة الملاهي وتساق حتى أناخ بعين شمس في كبكبة من الفساق فأقام بها سوق الفسوق على ساق وفي ذلك العام أخذه الله تعالى واهل مصر بالسنين حتى بيع في ايامه الرغيف بالثمن الثمين وعاد ماء النيل بعد عذوبته كالغسلين ولم يبق بشاطئيه أحد بعد أن كانا محفوفين بحور عين وقال ابن ميسر فلما كان في جمادى الآخرة من سنة أربع وخمسين وأربعمائة خرج المستنصر على عادته الى بركة الجب فاتفق أن بعض الاتراك جرد سيفا في سكر منه على بعض عبيد الشراء فاجتمع عليه طائفة من العبيد وقتلوه فاجتمع الاتراك بالمستنصر وقالوا ان كان هذا عن رضاك فالسمع والطاعة وان كان عن غير رضاك فلا نرضى بذلك فأنكر المستنصر ما وقع وتبرأ مما فعله العبيد فتجمع الاتراك لحرب العبيد وبرز بعضهم الى بعض وكان بين الفريقين قتال شديد على كوم شريك انهزم فيه العبيد وقتل منهم عدد كثير وكانت أم المستنصر تعين العبيد وتمدهم بالاموال والاسلحة فاتفق في بعض الايام أن بعض الاتراك ظفر بشيء مما تبعث به أم المستنصر الى العبيد فأعلم بذلك اصحابه وقد قويت شوكتهم بانهزام العبيد فاجتمعوا بأسرهم ودخلوا على المستنصر وخاطبوه في ذلك وأغلظوا في القول وجهروا بما لا ينبغي وصار السيف قائما والحروب متتابعة الى أن كان من خراب مصر بالغلاء والفتن ما كان وكان من قبل المستنصر يترددون الى بركة الجب قال المسبحي ولاثنتي عشرة خلت من ذي القعدة سنة أربع وثمانين وثلثمائة عرض العزيز بالله عساكره بظاهر القاهرة عند سطح الجب فنصب له مضرب ديباج رومي فيه ألف ثوب بصفرية فضة ونصبت له فازة منقل وقبة منقل بالجوهر وضرب لابنه الامير أبي علي منصور مضرب آخر وعرضت العساكر وكان عدتها مائة عسكري وأقبلت أسارى الروم وعدتهم مائتان وخمسون فطيف بهم وكان يوما عظيما حسنا لم تزل العساكر تسير بين يديه من ضحوة النهار الى صلاة المغرب ومازالت بركة الجب متنزها للخلفاء والملوك من بني ايوب وكان السلطان صلاح الدين يبرز اليها للصيد ويقيم فيها الايام وفعل ذلك الملوك من بعده واعتنى بها الملك الناصر محمد بن قلاون وبنى بها احواشا وميدانا كما سيأتي ذكره ان شاء الله تعالى وبركة الجب وما يليها في درك بني صبرة وهم ينسبون الى صبرة

ابن بطيخ بن مغالة بن دعجان بن عنب بن الكليب بن أبي عمرو بن دمية بن جدس بن اريش بن اراش بن جزيلة ابن لخم فهم أحد بطون لخم وفيهم بنو جذام بن صبرة بن بصرة بن غنم بن غطفان بن سعد بن مالك بن حرام بن جذام أخي لخم

(المشتهى) وكان من مواضعهم التي أعدت للنزهة المشتهى

(ذكر الايام التي كان الخلفاء الفاطميون يتخذونها أعيادا ومواسم تتسع بها أحوال الرعية وتكثر نعمهم)

وكان للخلفاء الفاطميين في طول السنة أعياد ومواسم وهي موسم رأس السنة وموسم اول العام ويوم عاشوراء ومولد النبي صلى الله عليه وسلم ومولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومولد الحسن ومولد الحسين عليهما السلام ومولد فاطمة الزهراء عليها السلام ومولد الخليفة الحاضر وليلة اول رجب وليلة نصفه وليلة اول شعبان وليلة نصفه وموسم ليلة رمضان وغرة رمضان وسماط رمضان وليلة الختم وموسم عيد الفطر وموسم عيد النحر وعيد الغدير وكسوة الشتاء وكسوة الصيف وموسم فتح الخليج ويوم النوروز ويوم الغطاس ويوم الميلاد وخميس العدس وأيام الركوبات

(موسم رأس السنة) وكان للخلفاء الفاطميين اعتناء بليلة اول المحرم في كل عام لانها اول ليالي السنة وابتداء أوقاتها وكان من رسومهم في ليلة رأس السنة أن يعمل بمطبخ القصر عدة كثيرة من الخراف المقموم والكثير من الرؤس المقموم وتفرق على جميع أرباب الرتب واصحاب الدواوين من العوالي والادوات أرباب السيوف والاقلام مع جفان اللبن والخبز وأنواع الحلواء فيعم ذلك سائر الناس من خاص الخليفة وجهاته والاستاذين المحنكين الى أرباب الضوء وهم المشاعلية ويتنقل ذلك في ايدي اهل القاهرة ومصر

(موسم اول العام) وكان اهم باول العام عناية كبيرة فيه يركب الخليفة بزيه المفخم وهيئته العظيمة كما تقدم ويفرق فيه دنانير الغرة التي مر ذكرها عند ذكر دار الضرب ويفرق من السماط الذي يعمل بالقصر لاعيان أرباب الخدم من أرباب السيوف والاقلام بتقرير مرتب خرفان شواء وزبادي طعام وجامات حلواء وخبز وقطع منفوخة من سكر وأرز بلبن وسكر فيتناول الناس من ذلك ما يجل وصفه ويتبسطون بما يصل اليهم من دنانير الغرة من رسوم الركوب كما شرح فيما تقدم

(يوم عاشوراء) كانوا يتخذونه يوم حزن تتعطل فيه الاسواق ويعمل فيه السماط العظيم المسمى سماط الحزن وقد ذكر عند ذكر المشهد الحسيني فانظره وكان يصل الى الناس منه شيء كثير فلما زالت الدولة اتخذ الملوك من بني أيوب يوم عاشوراء يوم سرور يوسعون فيه على عيالهم ويتبسطون في المطاعم ويصنعون الحلاوات ويتخذون الاواني الجديدة ويكتحلون ويدخلون الحمام جريا على عادة أهل الشام التي سنها لهم الحجاج في ايام عبد الملك بن مروان ليرغموا بذلك آناف شيعة علي بن أبي طالب كرم الله وجهه الذين يتخذون يوم عاشوراء يوم عزاء وحزن فيه على الحسين بن علي لانه قتل فيه وقد أدركنا بقايا مما عمله بنو ايوب من اتخاذ يوم عاشوراء يوم سرور وتبسط وكلا الفعلين غير جيد والصواب ترك ذلك والاقتداء بفعل السلف فقط *وما أحسن قول أبي الحسين الجزار الشاعر يخاطب الشريف شهاب الدين ناظر الاهراء وكتب بها اليه ليلة عاشوراء عندما أخر عنه ما كان من جاريه في الاهراء

قل لشهاب الدين ذي الفضل الندى * والسيد بن السيد بن السيد
أقسم بالفرد العلي الصمد * ان لم يبادر لنجاز موعدي
لاحضرن للهناء في غد * مكحل العينين مخضوب اليد

يعرض للشريف بما يرمى به الاشراف من التشيع وانه اذا جاءه بهيئة السرور في يوم عاشوراء غاظه ذلك لانه من أفعال الغضب وهو من أحسن ما سمعته في التعريض فلله دره

(عيد النصر) وهو السادس عشر من المحرم عمله الخليفة الحافظ لدين الله لانه اليوم الذي ظهر فيه من محبسه ويفعل فيه ما يفعل في الاعياد من الخطبة والصلاة والزينة والتوسعة في النفقة وكتب فيه ابو القاسم علي ابن الصيرفي الى بعض الخطباء عيد النصر وهو أفضل الاعياد وأسناها وأعلاها وأدلها على تقصير الواصف

اذا

اذا بلغ وتناهى ونحن نأمرك أن تبرز فى يوم الاحد السادس عشر من المحرم سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة على الهيئة التى جرت العادة بمثلها فى الاعياد وتوعد بأن تقرأ على الناس الخطبة التى سيرناها اليك قرين هذا الامر بشرح هذا اليوم وتفصيله وذكر ما خصه الله به من تشريفه وتفضيله وتعتمد فى ذلك ما جرى الرسم فيه فى كل عيد وتنتهى فيه الى الغاية التى ليس عليها مزيد . فاعلم هذا واعمل به ان شاء الله تعالى

* (المواليد الستة) كانت مواسم جليلة يعم الناس فيها ميزات من ذهب وفضة وخشكنانج وحلواء كما مرّ ذلك

* (ليالى الوقود الاربع) * كانت من أبهج الليالى وأحسنها يحشر الناس لمشاهدتها من كل اوب وتصل الى الناس فيها انواع من البرّ وتعظم فيها ميزة أهل الجوامع والمشاهد فانظره فى موضعه تجده

* (موسم شهر رمضان) * وكان لهم فى شهر رمضان عدة أنواع من البرّ منها كشف المساجد قال الشريف الجوّانى فى كتاب النقط كان القضاة بمصر اذا بقى لشهر رمضان ثلاثة ايام طافوا يوما على المشاهد والمساجد بالقاهرة ومصر فيبدؤن بجامع المقس ثم بجوامع القاهرة ثم بالمشاهد ثم بالقرافة ثم بجامع مصر ثم بمشهد الرأس لنظر حصر ذلك وقناديله وعمارته وازالة شعثه وكان اكثر الناس ممن يلوذ بباب الحكم والشهود والطفيليون يتعينون لذلك اليوم والطواف مع القاضى لحضور السماط

* (ابطال المسكرات) * قال ابن المأمون وكانت العادة جارية من الايام الافضلية فى آخر جمادى الآخرة من كل سنة أن تغلق جميع قاعات الخمارين بالقاهرة ومصر وتختم ويحذر من بيع الخمر فرأى الوزير المأمون لما ولى الوزارة بعد الافضل بن أمير الجيوش أن يكون ذلك فى سائر أعمال الدولة فكتب به الى جميع ولاة الاعمال وأن ينادى بأنه من تعرض لبيع شئ من المسكرات أو لشرائها سرّا او جهرا فقد عرض نفسه لتلافها وبرئت الذمة من هلاكها

* (ومنها غرّة رمضان) * وكان فى اول يوم من شهر رمضان يرسل لجميع الامراء وغيرهم من أرباب الرتب والخدم لكل واحد طبق ولكل واحد من أولاده ونسائه طبق فيه حلواء وبوسطه صرّة من ذهب فيعم ذلك سائر أهل الدولة ويقال لذلك غرّة رمضان

* (ومنها ركوب الخليفة فى اول شهر رمضان) * قال ابن الطوير فاذا انقضى شعبان اهتمّ بركوب اول شهر رمضان وهو يقوم مقام الرؤية عند المتشيعين فيجرى أمره فى اللباس والآلات والاسلحة والعرض والركوب والترتيب والموكب والطريق المسلوكة كما وصفناه فى اول العام لا يختلّ بوجه ويكتب الى الولاة والنوّاب والاعمال بمساطير مخلقة يذكر فيها ركوب الخليفة

* (ومنها سماط شهر رمضان) * وقد تقدم ذكر السماط فى قاعة الذهب من القصر

* (سحور الخليفة) * قال ابن المأمون وقد ذكر أسمطة رمضان وجلوس الخليفة بعد ذلك فى الروشن الى وقت السحور والمقرئون تحته يتلون عشرا ويطربون بحيث يشاهدهم الخليفة ثم حضر بعدهم المؤذنون واخذوا فى التكبير وذكر فضائل السحور وختموا بالدعاء وقدمت المخادّ للوعاظ فذكروا فضائل الشهر ومدح الخليفة والصوفيات وقام كل من الجماعة للرقص ولم يزالوا الى أن انقضى من الليل اكثر من نصفه فحضر بين يدى الخليفة استاذ بما انعم به عليهم وعلى الفرّاشين وأحضرت جفان القطائف وجرار الجلاب برسمهم فأكلوا وملأوا اكمامهم وفضل عنهم ما تخطفه الفرّاشون ثم جلس الخليفة فى السدلا التى كان بها عند الفطور وبين يديه المائدة معباة جميعها من جميع الحيوان وغيره والقعبة الكبيرة الخاص مملوءة أوساطه بالهمة المعروفة وحضر الجلساء واستعمل كل منهم ما اقتدر عليه وأومأ الخليفة بأن يستعمل من القعبة فيفرق الفرّاشون عليهم اجمعين وكل من تناول شيأ قام وقبل الارض وأخذ منه على سبيل البركة لاولاده واهله لان ذلك كان مستفاضا عندهم غير معيب على فاعله ثم قدمت الصحون الصينى مملوءة قطائف فأخذ منها الجماعة الكفاية وقام الخليفة وجلس بالباذهنج وبين يديه السحورات المطيبات من لبنين رطب ومخض وعدة انواع عصارات وافطلوات وسويق ناعم وجريش جميع ذلك بقلوبات وموز ثم يكون بين يديه صينية ذهب مملوءة سفوفا وحضر الجلساء وأخذ كل منهم فى تقبيل الارض والسؤال بما ينعم عليه منه فتناوله المستخدمون والاستاذون

وفرّقوه فأخذه القوم فى اكمامهم ثم سلم الجميع وانصرفوا

*(ومنها الختم فى آخر رمضان) *وكان يعمل فى التاسع والعشرين منه* قال ابن المأمون ولما كان التاسع والعشرون من شهر رمضان خرج الامر بأضعاف ماهو مستقرّ للمقرئين والمؤذنين فى كل ليلة برسم السحور بحكم انها ليلة ختم الشهر وحضر الاجل الوزير المأمون فى آخر النهار الى القصر للفطور مع الخليفة والحضور على الاسمطة على العادة وحضر اخوته وعمومته وجميع الجلساء وحضر المقرئون والمؤذنون وسلموا على عادتهم وجلسوا تحت الروشن وحمل من عند معظم الجهات والسيدات والمميزات من اهل القصور ثلاجى وموكبيات مملوءة ماء ملفوفة فى عراضى ديبقى وجعلها أمام المذكورين لتشملها بركة ختم القرآن الكريم واستفتح المقرئون من الحمد الى خاتمة القرآن تلاوة وتطريبا ثم وقف بعد ذلك من خطب فأسمع ودعا فأبلغ ورفع الفرّاشون ماأعدّوه برسم الجهات ثم كبر المؤذنون وهللوا وأخذوا فى الصوفيات الى أن نثر عليهم من الروشن دنانير ودراهم ورباعيات وقدّمت جفان القطائف على الرسم مع البسندود والحلواء فجروا على عادتهم وملؤا اكمامهم ثم خرج استاذ من باب الدار الجديدة بخلع خلعها على الخطيب وغيره ودراهم تفرّق على الطائفتين من المقرئين والمؤذنين

(ذكر مذاهبهم فى أوّل الشهور)

اعلم أن القوم كانوا شيعة ثم غلوا حتى عدّوا من غلاة أهل الرفض وللشيعة فى اثناء الشهور عمل أحسن ما رأيت فيه ما حكاه ابو الريحان محمد بن أحمد البيرونى فى كتاب الآثار العافية عن القرون الخالية قال وفى سنين من الهجرة نجمت ناجمة لاجل أخذهم بالتأويل الى اليهود والنصارى فاذا لهم جداول وحسبانات يستخرجون بها شهورهم ويعرفون منها صيامهم والمسلمون مضطرون الى رؤية الهلال وتفقد ما اكتساه القمر من النور وجدوهم شاكين فى ذلك مختلفين فيه مقلدين بعضهم بعضا فى عمل رؤية الهلال بطريق الزيجات فرجعوا الى اصحاب علم الهيئة فألفوا زيجاتهم مفتتحة بمعرفة اوائل ما رادمن شهور العرب بصنوف الحسبانات فظنوا أنها معمولة لرؤية الاهلة فأخذوا بعضها ونسبوه الى جعفر بن محمد الصادق عليهما السلام وزعموا أنه سرّ من أسرار النبوّة وتلك الحسبانات مبنية على حركات التدبير الوسطى دون المعدّلة ومعمولة على سنة القمر التى هى ثلثمائة وأربعة وخمسون يوما وخمس يوم وسدس يوم وأن ستة أشهر من السنة تامة وستة أشهر ناقصة وان كل ناقص منها فهو تال لتام فلما قصدوا استخراج الصوم والفطر بها خرجت قبل الواجب بيوم فى اغلب الاحوال فأوّلوا قوله عليه السلام صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته وقالوا معنى صوموا لرؤيته اى صوموا اليوم الذى يرى فى عشيته كما يقال تهيؤا لاستقباله فيتقدّم التهيؤ على الاستقبال قال ورمضان لا ينقص عن ثلاثين يوما أبدا

(قافلة الحاج) قال فى كتاب الذخائر والتحف ان المنفق على الموسم كان فى كل سنة تسافر فيها القافلة مائة ألف وعشرين ألف دينار منها ثمن الطيب والحلواء والشمع راتبا فى كل سنة عشرة آلاف دينار ومنها نفقة الوفد الواصلين الى الحضرة أربعون ألف دينار ومنها فى ثمن الحمايات والصدقات واجرة الجمال ومعونة من يسير من العسكرية وكبير الموسم وخدم القافلة وحفر الآبار وغير ذلك ستون ألف دينار وان النفقة كانت فى ايام الوزير اليازورى قد زادت فى كل سنة وبلغت الى مائتى ألف دينار ولم تبلغ النفقة على الموسم مثل ذلك فى دولة من الدول

(موسم عيد الفطر) وكان لهم فى موسم عيد الفطر عدّة وجوه من الخيرات منها تفرقة الفطرة وتفرقة الكسوة وعمل السماط وركوب الخليفة لصلاة العيد وقد تقدّم ذكر ذلك كله فيما سبق

(عيد النحر) فيه تفرقة الرسوم من الذهب والفضة وتفرقة الكسوة لارباب الخدم من اهل السيف والقلم وفيه ركوب الخليفة لصلاة العيد وفيه تفرقة الاضاحى كما مرّ ذلك مبينا فى موضعه من هذا الكتاب

(عيد الغدير) فيه تزويج الايامى وفيه الكسوة وتفرقة الهبات لكبراء الدولة ورؤسائها وشيوخها وامرائها وضيوفها والاستاذين المحنكين والمميزين وفيه النحر أيضا وتفرقة النحائر على أرباب الرسوم وعتق

قوله وفى سنين الخ هكذا هذه العبارة موجودة فى جميع النسخ التى بيدى ولا يخفى ما فيها من الركاكة والسقامة فلتحرر بمراجعة اصلها اه مصححه

الرقاب

الرقاب وغير ذلك كما سبق بيانه فيما تقدم

(كسوة الشتاء والصيف) وكان لهم في كل من فصلي الشتاء والصيف كسوة تفرق على أهل الدولة وعلى أولادهم ونسائهم وقد مرّ ذكر ذلك

(موسم فتح الخليج) وكانت لهم في موسم فتح الخليج وجوه من البرّ منها الركوب لتخليق المقياس ومبيت القرّاء بجامع المقياس وتشريف ابن أبي الردّاد بالخلع وغيرها وركوب الخليفة الى فتح الخليج وتفرقة الرسوم على أرباب الدولة من الكسوة والعين والمآكل والتحف وقد تقدم تفصيل ذلك

(ذكر النوروز)

وكان النوروز القبطي في أيامهم من جملة المواسم فتتعطل فيه الاسواق ويقل فيه سعي الناس في الطرقات وتفرق فيه الكسوة لرجال أهل الدولة وأولادهم ونسائهم والرسوم من المال وحوائج النوروز * قال ابن زولاق وفي هذه السنة يعني سنة ثلاث وستين وثلثمائة منع المعز لدين الله من وقود النيران ليلة النوروز في السكك ومن صب الماء يوم النوروز وقال في سنة أربع وستين وثلثمائة وفي يوم النوروز زاد اللعب بالماء ووقود النيران وطاف أهل الاسواق وعملوا فيلة وخرجوا الى القاهرة بلعبهم ولعبوا ثلاثة أيام وأظهروا السماجات والحلي في الاسواق ثم أمر المعز بالنداء بالكف وأن لا توقد نار ولا يصب ماء وأخذ قوم فحبسوا وأخذ قوم فطيف بهم على الجمال وقال ابن ميسر في حوادث سنة ست عشرة وخمسمائة وفيها أراد الآمر بأحكام الله أن يحضر الى دار الملك في النوروز الكائن في جمادى الآخرة في المراكب على ما كان عليه الافضل بن أمير الجيوش فأعاد المأمون عليه أنه لا يمكن فان الافضل لا يجري مجراه مجرى الخليفة وحمل اليه من الثياب الفاخرة برسم النوروز للجهات ماله قيمة جليلة وقال ابن المأمون وحل موسم النوروز في التاسع من رجب سنة سبع عشرة وخمسمائة ووصلت الكسوة المختصة به من الطراز وثغر الاسكندرية مع ما يبتاع من المذاب المذهبة والحريري والسوادج وأطلق جميع ما هو مستقر من الكسوات الرجالية والنسائية والعين والورق وجميع الاصناف المختصة بالموسم على اختلافها بتفصيلها وأسماء أربابها وأصناف النوروز البطيخ والرمان وعراجين الموز وأفراد البسر وأقفاص التمر القوصي وأقفاص السفرجل وبكل الهريسة المعمولة من لحم الدجاج ولحم الضان ولحم البقر من كل لون بكلة مع خبز برّ مارق قال وأحضر كاتب الدفتر الاثباتات بما جرت العادة به من اطلاق العين والورق والكسوات على اختلافها في يوم النوروز وغير ذلك من جميع الاصناف وهو أربعة آلاف دينار وخمسة عشر ألف درهم فضة والكسوات عدة كثيرة من شقق ديبقي مذهبات وحريريات ومعاجر وعصائب مشاومات ملونات وشقق لاذ مذهب وحريري ومشفع وفوط ديبقي حريري فأما العين والورق والكسوات فذلك لا يخرج عمن تحوزه القصور ودار الوزارة والشيوخ والاصحاب والحواشي والمستخدمون ورؤساء العشاريات وبحارتها ولم يكن لاحد من الامراء على اختلاف درجاتهم في ذلك نصيب وأما الاصناف من البطيخ والرمان والبسر والتمر والسفرجل والعناب والهرائس على اختلافها فيشمل ذلك جميع من تقدم ذكرهم ويشركهم في ذلك جميع الامراء أرباب الاطواق والاقصاب وسائر الاماثل وقد تقدم شرح ذلك فوقع الوزير المأمون على جميع ذلك بالانفاق وقال القاضي الفاضل في تعليق المتجددات لسنة أربع وثمانين وخمسمائة يوم الثلاثاء رابع عشر رجب يوم النوروز القبطي وهو مستهل توت وتوت أول سنتهم وقد كان بمصر في الايام الماضية والدولة الخالية يعني دولة الخلفاء الفاطميين من مواسم بطالاتهم ومواقيت ضلالاتهم فكانت المنكرات ظاهرة فيه والفواحش صريحة في يومه ويركب فيه أمير موسوم بأمير النوروز ومعه جمع كثير ويتسلط على الناس في طلب رسم رتبه على دور الاكابر بالجمل الكبار ويكتب مناشير ويندب مترسمين كل ذلك يخرج مخرج الطير ويقنع بالميسور من الهبات ويجتمع المؤنثون والفاسقات تحت قصر اللؤلؤة بحيث يشاهدهم الخليفة وبأيديهم الملاهي وترتفع الاصوات وتشرب الخمر والمزر شربا ظاهرا بينهم وفي الطرقات ويتراش الناس بالماء وبالماء والخمر وبالماء ممزوجا بالاقذار فان غلط مستور وخرج من داره لقيه من يرشه ويفسد ثيابه ويستخف بحرمته فاما فدى نفسه واما فضح ولم يجر

الحال فى هذا النوروز على هذا ولكن قدرش الماء فى الحارات وأحى المنكر فى الدور أرباب الخسارات وقال فى سنة اثنتين وتسعين وخمسمائة وجرى الامر فى النوروز على العادة من رش الماء واستجد فيه هذا العام التراجم بالبيض والتصافع بالانطاع وانقطع الناس عن التصرف ومن ظفر به فى الطريق رش بمياه نجسة وخرق به * قال مؤلفه رحمه الله تعالى ان اول من اتخذ النوروز جمشيد ويقال فى اسمه أيضا جمشاد أحد ملوك الفرس الاول ومعناه اليوم الجديد وللفرس فيه آراء وأعمال على مصطلحهم غير أنه فى غير هذا اليوم وقد صنف على بن حمزة الاصفهانى كتابا مفردا فى أعياد الفرس وذكر الحافظ ابو القاسم بن عساكر من طريق حماد بن سلمة عن محمد بن زياد عن أبى هريرة قال كان اليوم الذى ردّ الله فيه الى سليمان بن داود خاتمه يوم النوروز فجاءت اليه الشياطين بالتحف وكانت تحفة الخطاطيف أن جاءت بالماء فى مناقيرها فرشته بين يدى سليمان فاتخذ الناس رش الماء من ذلك اليوم وعن مقاتل بن سليمان قال سمى ذلك اليوم نيروزا وذلك أنه وافق هذا اليوم الذى يسمونه النيروز فكانت الملوك تتيمن بذلك اليوم واتخذوه عيدا وكانوا يرشون الماء فى ذلك اليوم ويهدون كفعل الخطاف ويتيمنون بذلك ولله درّ القائل

كيف ابتهاجك بالنوروز ياسكنى * وكل مافيه يحكينى وأحكيه
فناره كلهيب النار فى كبدى * وماؤه كتوالى دمعتى فيه

وقال آخر

نورز الناس ونورز *ت ولكن بدموعى
وذكت نارهم والنـار مابين ضلوعى

وقال غيره

ولما أتى النوروز ياغاية المنى * وأنت على الاعراض والهجر والصدّ
بعثت بنار الشوق ليلا الى الحشى * فنورزت صبحا بالدموع على الخدّ

(الميلاد) * وهو اليوم الذى ولد فيه عبد الله ورسوله المسيح عيسى ابن مريم صلى الله عليه وسلم والنصارى تتخذ ليلة يوم الميلاد عيدا وتعمله قبط مصر فى التاسع والعشرين من كيهك ومابرح لاهل مصر به اعتناء وكان من رسوم الدولة الفاطمية فيه تفرقة الجامات المملوءة من الحلاوات القاهرية والمتارد التى فيها السمك وقرابات الجلاب وطيافير الزلابية والبورى فيشمل ذلك أرباب الدولة اصحاب السيوف والاقلام بتقرير معلوم على ماذكره ابن المأمون فى تاريخه

(الغطاس) * ومن مواسم النصارى بمصر عمل الغطاس فى اليوم الحادى عشر من طوبة * قال المسعودىّ فى مروج الذهب ولليلة الغطاس بمصر شأن عظيم عند أهلها لاينام الناس فيها وهى ليلة احدى عشرة من طوبة ولقد حضرت سنة ثلاثين وثلثمائة ليلة الغطاس بمصر والاخشيد محمد بن طغج فى داره المعروفة بالمختار فى الجزيرة الراكبة على النيل والنيل مطيف بها وقد أمر فأسرج من جانب الجزيرة وجانب الفسطاط ألف مشعل غير ما أسرج اهل مصر من المشاعل والشمع وقد حضر النيل فى تلك الليلة مئو ألوف من الناس من المسلمين والنصارى منهم فى الزواريق ومنهم فى الدور الدانية من النيل ومنهم على الشطوط لايتناكرون كل ما يمكنهم اظهاره من المآكل والمشارب وآلات الذهب والفضة والجواهر والملاهى والعزف والقصف وهى أحسن ليلة تكون بمصر وأشملها سرورا ولا تغلق فيها الدروب ويغطس اكثرهم فى النيل ويزعمون أنّ ذلك أمان من المرض ونشرة للداء وقال المسبحىّ فى سنة ثمان وثمانين وثلثمائة كان غطاس النصارى فضربت الخيام والمضارب والاشرعة فى عدّة مواضع على شاطئ النيل فنصبت اسرّة للرئيس فهد بن ابراهيم النصرانىّ كاتب الاستاذ برجوان وأوقدت له الشموع والمشاعل وحضر المغنون والملهون وجلس مع أهله يشرب الى أن كان وقت الغطاس فغطس وانصرف * وقال فى سنة خمس عشرة وأربعمائة وفى ليلة الاربعاء رابع ذى القعدة كان غطاس النصارى فجرى الرسم من الناس فى شراء الفواكه والضأن وغيره ونزل أمير المؤمنين الظاهر لاعزاز دين الله بن الحاكم لقصر جدّه العزيز بالله بمصر لنظر الغطاس ومعه الحرم ونودى أن لا يختلط المسلمون مع النصارى عند نزولهم الى البحر فى الليل وضرب بدر الدولة الخادم الاسود متولى الشرطتين خيمة عند الجسر

وجلس فيها وأمر الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله بأن توقد المشاعل والنار فى الليل فكان وقيدا كثيرا وحضر الرهبان والقسوس بالصلبان والنيران فقسسوا هنالك طويلا الى أن غطسوا وقال ابن المأمون انه كان من رسوم الدولة أنه يفرّق على سائر أهل الدولة الترنج والنارنج والليمون المراكبى وأطنان القصب والسمك والبورى برسوم مقرّرة لكل واحد من أرباب السيوف والاقلام

(خميس العهد) ويسميه أهل مصر من العامّة خميس العدس ويعمله نصارى مصر قبل الفصح بثلاثة أيام ويتهادون فيه وكان من جملة رسوم الدولة الفاطمية فى خميس العدس ضرب خمسمائة دينار ذهبا عشرة آلاف خرّوبة وتفرقتها على جميع أرباب الرسوم كما تقدّم

(ايام الركوبات) وكان الخليفة يركب فى كل يوم سبت وثلاثاء الى منتزهاته بالبساتين والتاج وقبة الهواء والخمس وجوه وبستان البعل ودار الملك ومنازل العز والروضة فيعمّ الناس فى هذه الايام من الصدقات أنواع ما بين ذهب وما كل وأشربة وحلاوات وغير ذلك كما تقدم بيانه فى موضعه من هذا الكتاب

(صلاة الجمعة) وكان الخليفة يركب فى كل سنة ثلاث ركبات لصلاة الجمعة بالناس فى جامع القاهرة الذى يعرف بالجامع الازهر مرّة وفى جامع الخطبة المعروف بالجامع الحاكمى مرّة وفى جامع عمرو بن العاص بمصر اخرى فينال الناس منه فى هذه الجمع الثلاث رسوم وهبات وصدقات كما ستقف عليه ان شاء الله تعالى عند ذكر الجامع الازهر ولله در الفقيه عمارة اليمنى فقد ضمن مرثيته اهل القصر جملا مما ذكر وهى القصيدة التى قال ابن سعد فيها لم يسمع فيما يكتب فى دولة بعد انقراضها أحسن منها

رميت يادهر كف المجد بالشلل * وجيده بعد حسن الحلى بالعطل
سعيت فى منهج الراى العثور فان * قدرت من عثرات الدهر فاستقل
جدعت مارنك الاقنى فأنفك لا * ينفك ما بين قرع السنّ والخجل
هدمت قاعدة المعروف عن عجل * سعيت مهلا أما تمشى على مهل
لهفى ولهف بنى الآمال قاطبة * على فجيعتها فى اكرم الدول
قدمت مصر فأولتنى خلائفها * من المكارم ما أربى على الامل
قوم عرفت بهم كسب الالوف ومن * كمالها أنها جاءت ولم أسل
وكنت من وزراء الدست حين سما * رأس الحصان يهاديه على الكفل
ونلت من عظماء الجيش مكرمة * وخلة حرست من عارض الخلل
ياعاذلى فى هوى أبناء فاطمة * لك الملامة ان قصرت فى عذلى
بالله در ساحة القصرين وابك معى * عليهما لا على صفين والجمل
وقل لاهليهما والله ما التحمت * فيكم جراحى ولا قرحى بمندمل
ماذا عسى كانت الافرنج فاعلة * فى نسل آل أمير المؤمنين على
هل كان فى الامر شئ غير قسمة ما * ملكتموا بين حكم السبى والنفل
وقد حصلتم عليها واسم جدكم * محمد وأبوكم غير منتقل
مررت بالقصر والاركان خالية * من الوفود وكانت قبلة القبل
فلت عنها بوجهى خوف منتقد * من الاعادى ووجه الود لم يمل
أسلت من أسفى دمعى غداة خلت * رحابكم وغدت مهجورة السبل
أبكى على ماتراءت من مكارمكم * حال الزمان عليها وهى لم تحل
دار الضيافة كانت أنس وافدكم * واليوم أوحش من رسم ومن طلل
وفطرة الصوم اذ أضحت مكارمكم * تشكو من الدهر حيفا غير محتمل
وكسوة الناس فى الفصلين قد درست * ورث منها جديد عندهم وبلى
وموسم كان فى يوم الخليج لكم * يأتى تجملكم فيه على الجمل
وأوّل العام والعيدين كم لكم * فيهن من وبل جود ليس بالوشل

والارض تهتز فى يوم الغدير كما * يهتز ما بين قصريكم من الاسل
والخيل تعرض فى وشى وفى شية * مثل العرائس فى حلى وفى حلل
ولا حملتم قرى الاضياف من سعة الاطباق الا على الاكتاف والعجل
وما خصصتم ببرّ اهل ملتكم * حتى عممتم به الاقصى من الملل
كانت رواتبكم للذمتين وللضيف المقيم وللطارى من الرسل
ثم الطراز بتنيس الذى عظمت * منه الصلات لاهل الارض والدول
وللجوامع من احسانكم نعم * لمن تصدّر فى علم وفى عمل
وربما عادت الدنيا فمعقلها * منكم وأضحت بكم محلولة العقل
والله لافاز يوم الحشر مبغضكم * ولا نجا من عذاب الله غير ولى
ولا سقى الماء من حرّ ومن ظمأ * من كف خير البرايا خاتم الرسل
ولا رأى جنة الله التى خلقت * من خان عهد الامام العاضد ابن على
ائمتى وهداتى والذخيرة لى * اذا ارتهنت بما قدمت من عملى
تالله لم اوفهم فى المدح حقهم * لان فضلهم كالوابل الهطل
ولو تضاعفت الاقوال واتسعت * ما كنت فيهم بحمد الله بالخجل
باب النجاة هم دنيا وآخرة * وحبهم فهو اصل الدين والعمل
نور الهدى ومصابيح الدجى ومحل الغيث ان ربت الانواء فى المحل
أئمة خلقوا نورا فنورهم * من محض خالص نور الله لم يغل
والله مازلت عن حبى لهم أبدا * ما اخر الله لى فى مدة الاجل

وبسبب هذه القصيدة قتل عمارة رحمه الله وتمحلت له الذنوب انتهى ماذكره رحمه الله تعالى

(ذكر ما كان من امر القصرين والمناظر بعد زوال الدولة الفاطمية)

ولما مات العاضد لدين الله فى يوم عاشوراء سنة سبع وستين وخمسمائة احتاط الطواشى قراقوش على اهل العاضد وأولاده فكانت عدة الاشراف فى القصور مائة وثلاثين والاطفال خمسة وسبعين وجعلهم فى مكان أفرد لهم خارج القصر وجمع عمومته وعشيرته فى ايوان بالقصر واحترز عليهم وفرّق بين الرجال والنساء لئلا يتناسلوا وليكون ذلك أسرع لانقراضهم وتسلم السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب القصر بما فيه من الخزائن والدواوين وغيرها من الاموال والنفائس وكانت عظيمة الوصف واستعرض من فيه من الجوارى والعبيد فأطلق من كان حرّا ووهب واستخدم باقيهم وأطلق البيع فى كل جديد وعتيق فاستمرّ البيع فيما وجد بالقصر عشر سنين وأخلى القصور من سكانها وأغلق أبوابها ثم ملكها امراءه وضرب الالواح على ما كان للخلفاء وأتباعهم من الدور والرباع وأقطع خواصه منها وباع بعضها ثم قسم القصور فأعطى القصر الكبير للامراء فسكنوا فيه وأسكن أباه نجم الدين أيوب بن شادى فى قصر اللؤلؤة على الخليج وأخذ أصحابه دور من كان ينسب الى الدولة الفاطمية فكان الرجل اذا استحسن دارا أخرج منها سكانها ونزل بها قال القاضى الفاضل وفى ثالث عشر به يعنى ربيعا الآخر سنة سبع وستين كشف حاصل الخزائن الخاصة بالقصر فقيل ان الموجود فيه مائة صندوق كسوة فاخرة من موشح ومرصع وعقود ثمينة وذخائر فخمة وجواهر نفيسة وغير ذلك من ذخائر جمة الخطر وكان الكاشف بهاء الدين قراقوش وبيان وأخليت أمكنة من القصر الغربى سكن بها الامير موسك والامير أبو الهيجاء السمين وغيره من الغز وملئت المناظر المصونة عن الناظر والمتنزهات التى لم يخطر ابتذالها فى الخاطر فسبحان مظهر العجائب ومحدثها ووارث الارض ومورثها قال ومقدار ما يحدس أنه خرج من القصر ما بين دينار ودرهم ومصاغ وجوهر ونحاس وملبوس وأثاث وقماش وسلاح مالا يفى به ملك الاكاسرة ولا تتصوره الخواطر الحاضرة ولا يشتمل على مثله الممالك العامرة ولا يقدر على حسابه الا من يقدر على حساب الخلق فى الآخرة * وقال الحافظ جمال الدين يوسف اليغمورى وجدت بخط المهذب أبى طالب محمد بن على بن الخيمى

حدثنى الامير عضد الدين مرهف بن مجد الدين سويد الدولة بن منقذ أن القصر أغلق على ثمانية عشر ألف نسمة عشرة آلاف شريف وشريفة وثمانية آلاف عبد وخادم وأمة ومولدة وتربية * وقال ابن عبد الظاهر عن القصر لما أخذه صلاح الدين وأخرج من به كان فيه اثنا عشر ألف نسمة ليس فيهم فحل الا الخليفة وأهله وأولاده ولما اخرجوا منه اسكنوا فى دار المظفر وقبض أيضا صلاح الدين على الامير داود بن العاضد وكان ولى العهد وينعت بالحامد لله واعتقل معه جميع اخوته الامير ابو الامانة جبريل وابو الفتوح وابنه ابو القاسم وسليمان بن داود وعبد الظاهر حيدرة بن العاضد وعبد الوهاب بن ابراهيم بن العاضد واسماعيل بن العاضد وجعفر بن أبى الظاهر بن جبريل وعبد الظاهر بن أبى الفتوح بن جبريل بن الحافظ وجماعة من بنى أعمامه فلم يزالوا فى الاعتقال بدار الافضل من حارة برجوان الى أن انتقل الملك الكامل محمد بن العادل بن أبى بكر بن ايوب من دار الوزارة بالقاهرة الى قلعة الجبل فنقل معه ولد العاضد واخوته وأولاد عمه واعتقلهم بالقلعة وبها مات العاضد واستمر البقية حتى انقرضت الدولة الايوبية وملك الاتراك الى أن تسلطن الملك الظاهر ركن الدين بيبرس البندقدارى فلما كان فى سنة ستين وستمائة أشهد على من بقى منهم وهم كمال الدين اسماعيل بن العاضد وعماد الدين ابو القاسم ابن الامير أبى الفتوح بن العاضد وبدر الدين عبد الوهاب بن ابراهيم بن العاضد أن جميع المواضع التى قبلى المدارس الصالحية من القصر الكبير والموضع المعروف بالتربة ظاهرا وباطنا بخط الخوخ السبع وجميع الموضع المعروف بالقصر اليافعى بالخط المذكور وجميع الموضع المعروف بسكن اولاد شيخ الشيوخ وغيرهم من القصر الشارع بابه قبالة دار الحديث النبوى الكاملية وجميع الموضع المعروف بالقصر الغربى وجميع الموضع المعروف بدار الفطرة بخط المشهد الحسينى وجميع الموضع المعروف بدار الضيافة بحارة برجوان وجميع الموضع المعروف باللؤلؤة وجميع قصر الزمرذ وجميع البستان الكافورى ملك لبيت المال المولوى السلطانى الملكى الظاهرى من وجه صحيح شرعى لا رجعة لهم فيه ولا لواحد منهم فى ذلك ولا فى شئ منه ولا مثوبة بسبب يد ولا ملك ولا وجه من الوجوه كلها خلا ما فى ذلك من مسجد لله تبارك وتعالى أو مدفن لآبائهم وورخ ذلك الاشهاد بثالث عشر ربيع الاول سنة ستين وستمائة وأثبت على قاضى القضاة الصاحب تاج الدين عبد الوهاب ابن بنت الاعز الشافعى رحمه الله تعالى وتقرر مع المذكورين أن مهما كان قبضوه من اثمان بعض الاماكن المذكورة التى عاقد عليها وكلاؤهم واتصلوا اليه يحاسبوا به من جملة ما يحرز ثمنه عند وكيل بيت المال وقبضت ايدى المذكورين عن التصرف فى الاماكن المذكورة وغيرها ورسم ببيعها فباعها وكيل بيت المال كمال الدين ظافر أولا فأولا ونقضت شيأ فشيأ وبنى فى اماكنها ما يأتى ذكره ان شاء الله تعالى واشترى قاعة السدرة بجوار المدرسة والتربة الصالحية قاضى القضاة شمس الدين محمد بن ابراهيم بن عبد الواحد بن على بن مسرور المقدسى الحنبلى مدرس الحنابلة بالمدرسة الصالحية بألف وخمسة وسبعين دينارا فى رابع جمادى الآخرة سنة ستين وستمائة من كمال الدين ظافر بن الفقيه نصر وكيل بيت المال ثم باعها المذكور للملك الظاهر بيبرس فى حادى عشرى جمادى الآخرة المذكور وقاعة السدرة هذه قد صارت هى وقاعة الخيم أصل المدرسة الظاهرية الركنية البيبرسية البندقدارية قال القاضى الفاضل وفى يوم الاثنين سادس شهر رجب يعنى من سنة أربع وثمانين وخمسمائة ظهر تسحب رجلين من المعتقلين فى القصر أحدهما من أقارب المستنصر والآخر من أقارب الحافظ واكبرهما سنا كان معتقلا بالايوان حدث به مرض وأثخن فيه ففك حديده ونقل الى القصر الغربى فى اوائل سنة ثلاث وثمانين واستمر لما به ولم يستقل من المرض وطلب ففقد واسمه موسى بن عبد الرحمن أبى حمزة بن حيدرة بن أبى الحسن أخى الحافظ واسم الآخر موسى بن عبد الرحمن بن أبى محمد بن أبى اليسر بن محسن بن المستنصر وكان طفلا فى وقت الكائنة بأهله وأقام بالقصر الغربى مع من أسر به الى أن كبر وشب قال وذكر أن القصر الغربى قد استولى عليه الخراب وعلا على جدرانه التشعث والهدم وانه يجاور اصطبلات فيها جماعة من المفسدين وربما تسلق اليه للتطرق للنساء المعتقلات والمتسلق منه اذا قويت نفسه على التسحب لم تكن عقلته فى القصر المذكور مانعة من التسحب قال وعدد من بقى من هذه الذرية بدار المظفر والقصر الغربى والايوان مائتان واثنان وخمسون شخصا ذكور ثمانية وتسعون واناث مائة وأربعة وخمسون تفصيله المقيمون بدار المظفر أحد وثلاثون

ذكور أحد عشر كلهم أولاد العاضد لصلبه اناث عشرون بنات العاضد خمسة اخوته أربع جهات العاضد أربع بنات الحافظ ثلاث جهات يوسف ابنه وجبريل ابن عمه أربع المعتقلون بالايوان خمسة وخمسون رجلا منهم الامير أبو الظاهر بن جبريل بن الحافظ المقيمون بالقصر الغربي مائة وستة وستون شخصا ذكور اثنان وثلاثون اكبرهم عمره عشرون سنة وأصغرهم عمره سبع عشرة سنة اناث مائة وأربع وثلاثون بنات أربع وستون اخوات وعمات وزوجات سبعون * قال وفي جمادى الآخرة سنة ثمان وثمانين وخمسمائة كانت عدة من في دار المظفر بحارة برجوان والقصر الغربي والايوان من أولاد العاضد وأقاربه ومن معهم مضافا اليهم ثلثمائة واثنتين وسبعين نفسا دار المظفر أحرار ومماليك مائة وست وستون نفسا القصر الغربي احرار مائة وأربعون نفسا الايوان تسعة وسبعون رجلا بالغون وأما منازل العز فاشتراها الملك المظفر تقي الدين عمر بن شاهنشاه بن نجم الدين ايوب بن شادي في نصف شعبان سنة ست وستين وخمسمائة وجعلها مدرسة للفقهاء الشافعية واشترى الروضة وجعلها وقفا على المدرسة المذكورة والله تعالى اعلم بالصواب واليه المرجع والمآب وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

تم الجزء المبارك بحمد الله وعونه ويتلوه الجزء الثاني الحارات

فهرست

باب

ابطال

صدر من هذه السلسلة

٢٩ - البرصان والعرجان والعميان والحولان جـ ٢

٣٠ - رسائل ابن العربى جـ ١

٣١ - رسائل ابن العربى جـ ٢

٣٢ - منامات الوهرانى

٣٣ - الكشكول جـ ١

٣٤ - الكشكول جـ ٢

٣٥ - أخبار الاول فيمن تصرف فى مصر من أرباب الدول

٣٦ - بدائع الزهور فى وقائع الدهور (الجزء الأول - القسم الأول)

٣٧ - بدائع الزهور فى وقائع الدهور (الجزء الأول - القسم الثانى)

٣٨ - بدائع الزهور فى وقائع الدهور (الجزء الأول - القسم الثالث)

٣٩ - بدائع الزهور فى وقائع الدهور (الجزء الثانى)

٤٠ - بدائع الزهور فى وقائع الدهور (الجزء الثالث)

٤١ - بدائع الزهور فى وقائع الدهور (الجزء الرابع)

٤٢ - بدائع الزهور فى وقائع الدهور (الجزء الخامس)

٤٣ - بدائع الزهور فى وقائع الدهور (الفهارس - الجزء الأول - الأعلام- القسم الأول)

٤٤ - بدائع الزهور فى وقائع الدهور (الفهارس- الجزء الأول- الأعلام - القسم الثانى)

٤٥ - بدائع الزهور فى وقائع الدهور (الفهارس - الجزءالثاني- الموظفون والوظائف)

٤٦ - بدائع الزهور فى وقائع الدهور (الفهارس - الجزء الثالث-الاماكن و البلدان)

٤٧ - بدائع الزهور فى وقائع الدهور

(الفهارس - الجزء الرابع-المصطلحات- القسم الأول)

٤٨ - بدائع الزهور فى وقائع الدهور

(الفهارس - الجزء الرابع-المصطلحات- القسم الثانى)

٤٩ - فتوح مصر والمغرب الجزء الأول

٥٠ - فتوح مصر والمغرب الجزء الثانى

٥١ - المواعظ والاعتبار الجزء الأول

٥٢ - المواعظ والاعتبار الجزء الثانى

رقم الايداع : ٩٩/٧٨٦٩

شركة الأمل للطباعة والنشر

AL-MAKRĪZĪ

Abu'l 'Abbās Ahmad B. Alī B. 'Abd al-Kādir
al-Ḥuṣainī, Taḳi al-Dīn
Died 845 H.

AL-MAWA'IẒ WA'L-I'TIBĀR

FI

DHIKR AL-KHIṬAṬ WA'L-ĀTHĀR

الأمل للطباعة

السعر : ٤ جنيهات